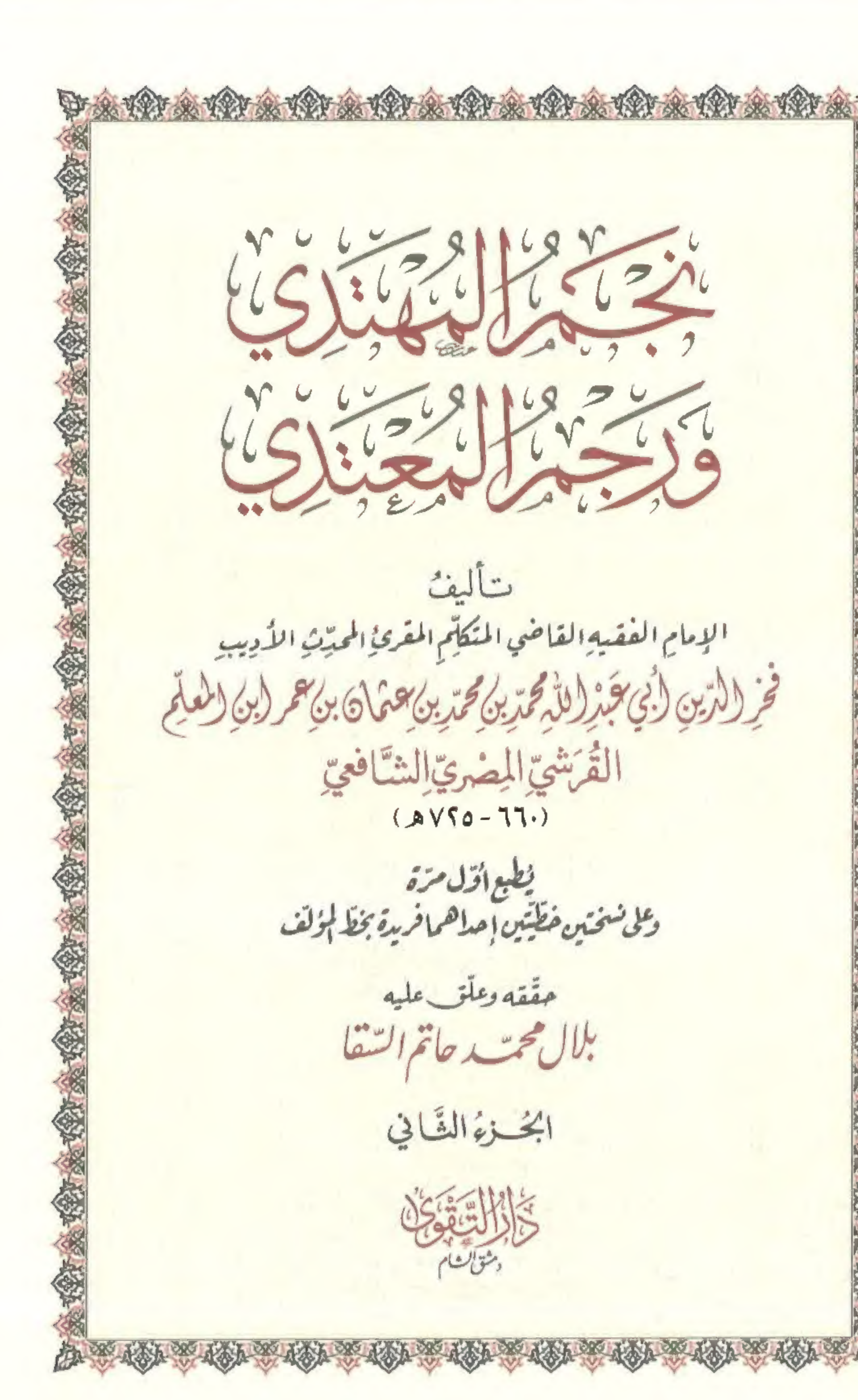


نجم المهتدي ورجم المعتدي

تأليف

الإمام الفقيه القاضي المتكلم المقرئ المحدث الأديب

فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم القرشي المصري الشافعي

(٦٦٠ - ٧٢٥ هـ)

يطبع أول مرة

وعلى نسختين خطيتين إحداهما فريدة بخط المؤلف

حققه وعلق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الثاني

دار التقوى

دمشق الشام



الكتاب : نجم المهتدي ورجم المعتدي

المؤلف : محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم

الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الرقم الدولي : 978-9933-610-24-1





سورية - دمشق - حلبوني
هاتف : ٩٦٣+ ١١ ٢٢١٥٤٦٤ / ص . ب : ٣٠٧٢١
جوال : ٩٦٣+ ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ / ٩٦٣+ ٩٤١٩٤٤٣٨٧
daraltaqwa.pu@gmail.com

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصَّفْراويُّ الإِسْكَنْدرانيُّ المصريُّ الشافعيُّ]

قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ محمدُ بنُ الرشيدِ أبي الحسنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي المجدِ الحسنِ بنِ الرشيدِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ القاضي عينِ الدولةِ أبي القاسمِ [عليِّ بنِ] صدقةَ بنِ حفصٍ ، الصَّفْراويُّ الأصلِ ، الإِسْكَنْدرانيُّ المولدِ ، المصريُّ الدارِ .

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : على الخطيبِ أبي إسحاقَ العراقيِّ ، وكتبَ لقاضي القضاةِ صدرِ الدينِ المارانيِّ ، ونابَ عنهُ في الحكمِ ، وكانَ يقولُ : (حكمَ مِنْ أعمامي وخُؤولتي بالإسكندريَّةِ وغيرِها سبعةَ عشرَ نفساً) .

ونابَ أيضاً في الحكمِ : عن قاضي القضاةِ ابنِ أبي عصرونَ ، وعن قاضي القضاةِ زينِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ يوسفَ الدمشقيِّ ، وعن قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ أبي القاسمِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ السُّكَّريِّ ، ثمَّ استقلَّ بالحكمِ بالقاهرةِ المحروسةِ والوجهِ البحريِّ في سنةِ ثلاثَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وفي سنةِ سبعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ تولَّىٰ قضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريَّةِ .

وكانَ عارفاً بالأحكامِ ، درَّاكاً في النظرِ ، مُستظهِراً في الاستدلالِ ، إلىٰ ما انضمَّ إلىٰ ذلكَ مِنْ نظمٍ حسنٍ ونثرٍ ونوادرَ نُقِلَتْ عنهُ .

وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، قويّاً في الدينِ ، رادّاً علىٰ أهلِ البِدعِ ، مَقْليّاً علىٰ

ذلكَ[1] ، لا يهابُ أحداً ، ولا يخافُ في ذاتِ اللهِ لومةَ لائمٍ ، يرُدُّ على الملوكِ كلامَهُم إذا تكلَّمُوا بغيرِ الشرعِ ، ويُرشِدُهُم إلى الحقِّ .

وهوَ الذي قالَ للكاملِ حينَ قالَ لهُ : احكُمْ في القضيَّةِ الفلانيَّةِ ؛ فإنَّها ثبتَتْ عندي ، قالَ : حتىٰ تثبُتَ عندي ، فأجابَهُ الكاملُ : (كن فراح) لفظةٌ باللسانِ الكرديِّ[2] ، قالَ لهُ : ما في الشرعِ (كن فراح) ، واستقالَهُ الكاملُ منها ، ورجعَ إلىٰ موافقتِهِ[3] .

أقامَ قاضياً ما بينَ نائبٍ ومُستقِلٍّ خمساً وخمسينَ سنةً .

وُلِدَ يومَ السبتِ مُستهَلَّ جمادى الآخرةِ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ تاسعَ عشرَ ذي القَعْدةِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

---

(1) مقلياً : مبغضاً .

(2) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦٥) : (يا كنواخ) بدل (كن فراح) ، وقال : (هي كلمة شتم بالفارسية) .

(3) انظر تفصيل هٰذه الحكاية وما علَّقه في خاتمتها الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦٥ـ٦٦) .

(4) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٩٠ـ٥٩١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦٣ـ٦٦) .

ومنهُم :

أبو محمدٍ جعفرُ بنُ مكِّيٍّ بنِ عليٍّ بنِ سعيدِ بنِ هبةِ اللهِ البغداديُّ الحاجبُ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الخلافَ والأصولَينِ ، وحصَّلَ مِنَ الأدبِ قطعةً صالحةً ، ولهُ شعرٌ معروفٌ[1] ، وَوليَ حِجْبةَ بابِ المراتبِ مِنَ الديوانِ العزيزِ ببغدادَ .

وُلِدَ يومَ عاشوراءَ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثاني مِنْ صفرٍ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

---

(١) ومن شعره : (من الطويل)

إلٰهيَ يا مولى الموالي وخيرَ مَنْ ... تُمَدُّ إليهِ الراحُ عندَ سؤالِ

قطعتُ رجائي عن سواكَ لأنَّني ... رجوتُكَ إذ كنتَ العليمَ بحالي

ومَنْ يكُ في كلِّ الأمورِ مُفوِّضاً ... إليكَ فقد حازَ المنى بكمالِ

انظر « الوافي بالوفيات » (١١/ ١١٩) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٧٢-٥٧٣) ، و« الوافي بالوفيات » (١١/ ١١٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ تاجُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ القاضي أبي العباسِ أحمدَ ، البكريُّ الشَّرِيشيُّ الصوفيُّ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، واشتغلَ بعلومِ النظرِ ، وجمعَ مجاميعَ في الأصولِ وغيرِها ، وكانَ رحلَ إلى بغدادَ ولقيَ بها الشيخَ شهابَ الدينِ السُّهْرَوَرْديَّ .

تُوفِّيَ بمدينةِ الفَيُّومِ بظاهرِها في عاشرِ شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/٦٠٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/٤٢٧-٤٢٨) ، وفيهما وفاته سنة (٦٤٠هـ) .

ومنهُمْ :

الشيخُ كمالُ الدينِ أبو الفتحِ موسى بنُ أبي الفضلِ يونسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعَةَ بنِ مالكِ بنِ محمدٍ ، الفقيهُ الشافعيُّ[١]

تفقَّهَ بالموصلِ علىٰ والدِهِ ، ثمَّ توجَّهَ إلىٰ بغدادَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وأقامَ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ يشتغلُ بها على السَّديدِ السَّلَمَاسيِّ ، وكانَ المُدرِّسُ بها الشيخَ رضيَّ الدينِ القزوينيَّ ، فقرأَ الخلافَ والأصولَ ، [وبحثَ الأدبَ على الكمالِ أبي البركاتِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ محمدٍ الأنباريِّ ، فتميَّزَ ومهرَ][٢] ، وكانَ قرأَ الأدبَ علىٰ أبي بكرٍ يحيى بنِ سعدونَ القرطبيِّ بالموصلِ .

ثمَّ أُصعِدَ إلى الموصلِ وعكفَ على الاشتغالِ ، ودرَّسَ بعدَ وفاةِ والدِهِ بالمسجدِ المعروفِ بـ (الأميرِ زينِ الدينِ) صاحبِ إربلَ .

وكانَ الفقهاءُ يقولُونَ : إنَّهُ يدري أربعةً وعشرينَ فنّاً درايةً مُتقَنةً ، وكانَ في المذهبِ أوحدَ أهلِ زمانِهِ ، وكانَ جماعةٌ مِنَ الحنفيَّةِ يشتغلُونَ عليهِ بمذهبِهِم ويَحُلُّ لهم فيهِ إشكالاتٍ[٣] ، وكانَ أتقنَ فنَّيِ الخلافِ البخاريِّ

---

(١) وهو والد شارح « التنبيه » شرف الدين أحمد بن موسى ابن يونس .

(٢) ما بين معقوفين من « الوفيات » (٥/ ٣١١) ، وهو مناسب للسياق .

(٣) العبارة في « وفيات الأعيان » : (ويحل لهم مسائل « الجامع الكبير » أحسنَ حلٍّ مع ما هي عليه من الإشكال المشهور) ، و« الجامع الكبير » : من كتب ظاهر الرواية الستة المعتمدة في المذهب الحنفي المروية عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني بروايات الثقات ؛ فهي ثابتة إما متواترة عنه أو مشهورة ، وهي عبارة عن مسائل مروية غالباً عن الإمام أبي حنيفة والإمام أبي يوسف والإمام محمد ، وباقي الكتب هي : « المبسوط » ، و« الزيادات » ، و« الجامع الصغير » ، و« السير الكبير » ، و« السير الصغير » ، ونظمها ابن عابدين فقال : (من الرجز)=

والعراقيِّ ، وأصولَ الفقهِ وأصولَ الدينِ .

ولمَّا وردَتْ كتبُ الإمامِ فخرِ الدينِ الرازيِّ إلى الموصلِ وكانَ بها إذْ ذاكَ جماعةٌ مِنَ الفضلاءِ . . لم يفهَمْها أحدٌ منهُم إلا هوَ .

وكانَ يُقرِئُ كلَّ علمٍ مِنْ علومِ الإسلامِ ، وكانَ لهُ في التفسيرِ والحديثِ اليدُ الطُّولىٰ ، وكذلكَ أسماءُ الرجالِ والتواريخُ والأشعارُ والمحاضراتُ .

ولمَّا تولَّىٰ تدريسَ المدرسةِ البدريَّةِ حضرَ جماعةٌ مِنَ المدرِّسينَ أصحابِ الطيالسِ ، وكانَ العمادُ المغربيُّ [الصِّنهاجيُّ النحويُّ] حاضراً ، فأنشدَ : [من الطويل]

كَمَالُ كَمَالِ ٱلدِّينِ لِلْعِلْمِ وَٱلْعُلاَ ... فَهَيْهَاتَ سَاعٍ فِي مَسَاعِيكَ يَطْمَعُ
إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلنُّظَّارُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... فَغَـايَـةُ كُـلٍّ أَنْ تَقُـولَ وَيَسْمَعُـوا
فَلاَ تَحْسَبُوهُمْ مِنْ عِنَادٍ تَطَيْلَسُوا ... وَلَـٰكِنْ حَيَاءً وَٱعْتِرَافاً تَقَنَّعُوا[1]

وللعمادِ فيهِ أيضاً : [من الوافر]

يَجُـرُّ ٱلْمَـوْصِـلُ ٱلأَذْيَـالَ فَخْـراً ... عَلَـىٰ كُـلِّ ٱلْمَنَـازِلِ وَٱلـرُّسُـومِ
بِـدِجْلَـةَ وَٱلْكَمَـالِ هُمَـا شِفَـاءٌ ... لِهِيـمٍ أَوْ لِـذِي فَهْـمٍ سَقِيـمِ[2]
فَـذَا بَحْـرٌ تَـدَفَّـقَ وَهْـوَ عَـذْبٌ ... وَذَا بَحْـرٌ وَلَـٰكِـنْ مِـنْ عُلُـومِ

وكُتْبُ ظـاهـر الـروايـة أَتَـتْ ... سـتّـاً وبـالأصـول أيضـاً سُمِّيَتْ
صنَّفهـا محمَّـدُ الشَّيبـانـي ... حـرَّرَ فيها المـذهـبَ النُّعمـانـي
الجـامـعُ الصغيـرُ والكبيـرُ ... والسِّيَـرُ الكبيـرُ والصغيـرُ
ثـم الـزيـاداتُ مـع المبسـوطِ ... تـواتـرت بـالسنـدِ المضبـوطِ

انظر « شرح عقود رسم المفتي » لابن عابدين (١/١٦) ضمن « مجموعة رسائل ابن عابدين » .

(١) في « الوفيات » و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (من غناء) بدل (من عناد) .

(٢) الهيم : الإبل العطاش ، وهي جمع أهيم ، والأنثىٰ هيماء .

وُلِدَ بالموصلِ يومَ الخميسِ خامسِ صفرٍ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بها رابعَ عشرَ شعبانَ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) ترجمه ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٥/ ٣١١ـ٣١٧) ترجمة حافلة ، وفيه شعر العماد المغربي السابق ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٧٨ـ ٣٨٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٨٥ـ ٨٧) .

ومنهُمْ :

الفقيهُ الإمامُ العالمُ محيي الدينِ أبو الحسنِ
عليُّ بنُ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ
أبي الفرجِ[1] مهرانَ بنِ عليِّ بنِ مهرانَ ، القَرْمِيسينيُّ الأصلِ

تفقَّهَ بالإسكندريَّةِ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسمعَ مِنْ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، ودرَّسَ .

وُلِدَ في رمضانَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الحادي والعشرينَ مِنْ جمادى الأولىٰ سنةَ إحدىٰ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

---

(١) زاد في (أ ، ب) : (بن) ، وأبو الفرج هـٰذا كان من رؤساء التجار ، وقد علَّق عنه الحافظ السِّلَفي بعض الفوائد ، وقال : (كان لي به أنس كثير) انظر « معجم السفر » (ص٣٨٤) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/٦٢١) وفيها ولادته سنة (٥٧٧هـ) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/٨٧) .

ومنهُم :

أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأنصاريُّ الأندلسيُّ الإِسْتِجيُّ

أخذَ بالأندلسِ : عن أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ يحيىٰ خطيبِ قرطبةَ ، ورحلَ إلى الحجازِ ، وتفقَّهَ بمصرَ : علىٰ أبي الحسنِ الأبياريِّ ، وأخذَ : عنِ الحافظَينِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ ونصرِ بنِ أبي الفرجِ الحُصْريِّ ، وكانَ ثقةً فاضلاً ، علىٰ هديٍ واستقامةٍ واتِّباعٍ للسنَّةِ .

تُوفِّيَ في جمادى الأولىٰ سنةَ إحدىٰ وأربعينَ وستٍّ مئةٍ بحصنِ المَريَّةِ مُتوجِّهاً إلىٰ تِلِمْسانَ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٦٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٧٨) .

ومنهُم :

أبو الوليدِ محمدُ بنُ أحمدَ[1] ابنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ التُّجِيبيُّ الأندلسيُّ القرطبيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الحاجِّ)

وَلِيَ قضاءَ إشبيليةَ وغيرِها ، وروىٰ : عنِ ابنِ حُبيشٍ ، والـمَجْريطيِّ ، وأبي القاسمِ بنِ غالبٍ الشَّرَّاطِ ، ولهُ مشاركةٌ في فنونٍ مِنَ العلمِ ، واعتقادٌ صحيحٌ .

تُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

---

(١) كذا في « صلة التكملة » ، وفي « تاريخ الإسلام » زيادة : (بن محمد) .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٩٤ـ٩٥) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو الحجَّاجِ يوسفُ بنُ عبدِ الرحيمِ الأَقْصُريُّ

صحبَ : الشيخَ عبدَ الرزَّاقِ ، والشيخَ عبدَ الرحيمِ ، وحبيباً العجميَّ ، وانتفعَ بهم ، وكانَتْ لهُ كراماتٌ وخوارقُ ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ ، ويكفيهِ أنَّ مِنْ أصحابِهِ الشيخَ مُفرِّجَ الدَّمامينيَّ .

وحكىٰ : أنَّهُ لمَّا قصدَ الشيخَ عبدَ الرحيمِ قالَ : وجدتُ عندَ بابِهِ رجلينِ أحدُهُما مغربيٌّ ، فقالَ أحدُهُما لي : أتيتَ راكبَ حمارٍ ؟! فانتهرَهُ الآخرُ وهوَ المغربيُّ وكانَ مِنْ أربابِ الأحوالِ ، وقالَ : لم يأْتِ إلا راكبَ أجنحةِ الملائكةِ ؛ ألا ترىٰ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ ٱلْمَلاَئِكَةَ لَـتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ » ؟![1]، وكأنَّ ذلكَ الشيخَ أُخبِرَ عن حالي ، ولقد رأيتُ في تلكَ الطريقِ أجنحةَ الملائكةِ مفروشةً لي أطأُ عليها ، ورأيتُ مِنَ العوالمِ تتلقَّاني ما لا يعلمُهُ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ .

وقالَ : أُعطِيتُ في بدايتي التصريفَ بـ (كنْ) ، حتىٰ كنتُ أقولُ للحائطِ : (كوني ذهباً) فتكونُ[2] .

قالَ : وربَّما كنتُ أتوضَّأُ ، فيسيلُ بينَ يدَيَّ قُضبانُ الذهبِ والفضَّةِ ، فسكنَتْ نفسي إليهِ ، فحُجِبتُ عن مقامي ، فسألتُ اللهَ أنْ يصرفَ ذلكَ عنِّي ، فانصرفَ ، فلمَّا صرتُ إلىٰ ما أنا فيهِ أُمِرْتُ أنْ أدعوَ الناسَ إلى اللهِ تعالىٰ ، فصارَ الواردُ يَرِدُ عليَّ ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ لو رددتَ عليَّ تلكَ الخِشْخاشةَ التي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) كذا في الأصل بتأنيث الحائط ، والقياس التذكير .

أعطيتَنيها . . كنتُ أجودُ على الفقراءِ ، فسمعتُ هاتفاً يهتِفُ بي : تريدُ أنْ تكونَ ربّاً ، فقلتُ : كيفَ أكونُ ربّاً ؟! فقالَ : تكونُ درَّاكاً ، فقلتُ : التوبةَ ، لا أعودُ إلىٰ مثلِها .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ بالأقصُرِ ، ودُفِنَ بها سنةَ اثنتينِ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « الطالع السعيد » (ص٤١٦ـ٤١٨) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٩/١٠٩ـ١١٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ بهاءُ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبي عليٍّ الحسينِ المالكيُّ

اشتغلَ : على أبيهِ ، وعلىٰ أكثرِ مشايخِ أبيهِ ؛ كأبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ ، كانَ الشيخُ علمُ الدينِ أخوهُ يحكي عنِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرطبيِّ ، قالَ : بلغَ الفقيهُ بهاءُ الدينِ درجةَ الاجتهادِ وهوَ ابنُ أربعٍ وعشرينَ سنةً .

وصنَّفَ كتباً جليلةً ؛ منها : « هدايةُ الـمُقتبِسِ لمسندِ مالكِ بنِ أنسٍ »[1] ، وتكملةً لهُ على « الموطأِ » ، ومُصنَّفاً على « التقصِّي » لابنِ عبدِ البرِّ ، وكتابَ « مسألةِ أيمانِ المسلمينَ » ، وكتاباً سمَّاهُ « رسالةَ الغفرانِ مِنَ المكثِ بحرَّانَ » ، ردَّ فيهِ على الخطيبِ الفخرِ ابنِ التيميةِ[2] ، وذكرَ قصَّتَهُ معَهُ ، وهيَ حسنةٌ ممتعةٌ ، رويتُها عنِ ابنِهِ قطبِ الدينِ عنهُ ، ولهُ تعاليقُ في أصولِ الدينِ وأصولِ الفقهِ .

وكانَ الشيخُ جمالُ الدينِ والدُهُ يقولُ : (عبدُ العزيزِ ولدي ، وأخي مِنَ الرَّضاعةِ ، ورفيقي علىٰ مشايخي) ، وكانَ الشيخُ جمالٌ رُزِقَهُ وهوَ صغيرُ السنِّ ؛ فلذلكَ أدركَ مشايخَ كثيرةً .

تُوفِّيَ في العشرِ الأخيرِ مِنْ شوالٍ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ بإخبارِ ولدِهِ قطبِ الدينِ .

---

(١) وتحتمل في (أ) : (المغتلس) و(المقتنس) بدل (المقتبس) .

(٢) ذكر هـٰذا الكتاب حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١/ ٨٧٩) ، ولم ينص على اسم المؤلف والمردودِ عليه ، وعبارته : (مختصر لبعض العلماء ، ألفها ـ أي : « رسالة الغفران » ـ سنة « ٦٢٧ » ، ردَّ فيها علىٰ حنبلي مجسم منكر علىٰ قواعد علم الكلام) ، ولا تخفىٰ على القارئ الفائدة التي قدمها لنا ابن المعلم في كتابه هـٰذا .

ومنهُم :

أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ بنِ زَيدانَ الفاسيُّ الأصوليُّ النحويُّ المُعدَّلُ المعروفُ[1]

كانَ مُتصدِّراً بالجامعِ العتيقِ بمصرَ لإقراءِ النحوِ وأصولِ الدينِ على طريقِ الإمامِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وليَ الحسبةَ بمصرَ[2] ، وكانَ حسنَ الأخلاقِ ، جميلَ المعاشرةِ ، شديداً في إنكارِ المنكرِ ، صحيحَ الاعتقادِ .

وُلِدَ في العشرِ الأولِ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السادسِ مِنْ جمادى الأولى سنةَ أربعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ بمصرَ[3] .

* * *

---

(١) في « صلة التكملة » : (المعدل بمصر) .

(٢) في (ب) : (القضاء) بدل (الحسبة) .

(٣) انظر « صلة التكملة » (١/ ١٦٤) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدِ بنِ القائدِ الهلاليُّ الرِّيغيُّ المالكيُّ الخطيبُ الحاكمُ بثغرِ الإسكندريَّةِ

تفقَّهَ بالإسكندريَّةِ علىٰ مذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسمعَ : مِنْ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، ومخلوفِ ابنِ جارةَ ، وقدمَ مصرَ واشتغلَ بها مدَّةً ، ثمَّ أعادَ بمدرسةِ الناصرِ المالكيَّةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ[1] ، وتوجَّهَ إلى الإسكندريَّةِ ، ووليَ القضاءَ بها بعدَ موتِ القاضي عبدِ الرحمٰنِ بنِ سلامةَ .

واشتَهَرَتْ ديانتُهُ ، وثبوتُهُ في الأحكامِ وصلابتُهُ ، وهوَ أحدُ العلماءِ العاملينَ ، والفقهاءِ المُتورِّعينَ .

والرِّيغيُّ : بكسرِ الراءِ المهملةِ ، وسكونِ الياءِ آخرِ الحروفِ ، وغينٍ مُعجمةٍ .

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ ، كذا ذكرَهُ الزينُ ، أو في سنةِ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ خمسٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

---

(١) وسمع بها من الإمام أبي القاسم الشاطبي المقرئ جميعَ « الموطأ » .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/١٧٦-١٧٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٢٧٢) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ أفضلُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ نامَاوَرَ بنِ عبدِ الملكِ الخُونَجيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ

كانَ عارفاً بالأصولَين والمنطقِ المعرفةَ التامَّةَ ، درَّسَ بالمدرسةِ الصالحيَّةِ ، وصنَّفَ ، وولِيَ القضاءَ بمصرَ[1] .

تُوفِّيَ خامسَ شهرِ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ ستٍّ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) وكان شافعي المذهب .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٠٠ـ٢٠١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٢٢٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٠٥ـ١٠٦) .

ومنهُمْ :

الشيخُ العارفُ قطبُ الوقتِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي القاسمِ بنِ غُزِّيٍّ الدِّمْياطيُّ المعروفُ بـ (ابنِ قُفْلٍ)

كانَ أحدَ المشايخِ المشهورينَ ، والصُّلَحاءِ المذكورينَ ، صحيحَ الاعتقادِ ، مُشفِقاً على أصحابِهِ ، ويكفيهِ فضلاً أنَّ الشيخَ شمسَ الدينِ أبا عبدِ اللهِ ابنَ النعمانِ مِنْ أصحابِهِ .

سمعتُهُ يقولُ : قالَ ليَ الشيخُ أبو الحسنِ : رأيتُكَ تُكثِرُ مِنْ فلانٍ ـ وأشارَ إلىٰ بعضِ المُحدِّثينَ ـ وإنِّي أخشىٰ أنْ يكونَ على اعتقادِ أهلِ كومِ الجارحِ[1] ، فقلتُ لهُ : ليسَ فيهِ شيءٌ ممَّا تظنُّ ، فقالَ لي ـ في قصَّةٍ طويلةٍ ـ : اطمأنَّ خاطري عليكَ وعليهِ ، لا يَحِلُّ لمسلمٍ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يُسلِّمَ علىٰ أحدٍ ممَّنْ يعتقدُ اعتقادَهُم .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ أسرَهُ الفرنجُ في نوبةِ المنصورةِ ، فكانُوا يُعظِّمونَهُ ولا يمتهنونَهُ ؛ لشهرتِهِ عندَهُم وصلاحِهِ[2] .

وكانَ مِنَ الرياضةِ علىٰ أمرٍ عظيمٍ ؛ مرَّ في الطريقِ وحولَهُ أصحابُهُ والفقراءُ الذينَ هم مِنْ أكابرِ المصريينَ وأولادِ أعيانِهم ، فقالَ شخصٌ : هـٰؤلاءِ الذينَ

---

(١) انظر التعريف عن هـٰذه القرية تعليقاً أثناء ترجمة الحافظ المنذري في (٢/ ٥٧) .

(٢) انظر « النجوم الزاهرة » (٦/ ٢٣٨) ، وقد جمع كراماته تلميذه ابن النعمان في كتاب سماه « الدر المكنون في كرامات الشيخ أبي الحسن المدفون بجهة مكنون » ، وانظر « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (٣/ ١٢٧١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو عمرٍو بنُ الحاجبِ عثمانُ بنُ أبي بكرِ ابنِ يونسَ الدُّوِينيُّ الأصلِ الإسنائيُّ المولدِ الإسْكندرانيُّ الوفاةِ الفقيهُ المالكيُّ الأصوليُّ النَّحْويُّ

درَّسَ بمصرَ بجامعِها ، وتصدَّرَ بالفاضليَّةِ بالقاهرةِ في فتوَّتِهِ ، ثمَّ توجَّهَ إلى الشامِ وأقامَ بدمشقَ مُنتصِباً للتدريسِ ، وصنَّفَ تصانيفَهُ المشهورةَ نثراً ونظماً[1] .

قالَ الشريفُ عزُّ الدينِ : (وكانَ أحدَ الأئمَّةِ الأعلامِ وعلماءِ الإسلامِ)[2] .

وُلِدَ بإسْنا مِنْ صعيدِ مصرَ الأعلىٰ في أواخرِ سنةِ سبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السادسِ والعشرينَ مِنْ شوَّالٍ سنةَ ستٍّ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

---

(١) ومن أجلِّ تصانيفه وأهمها : متن « الكافية » في علم النحو ، ومتن « الشافية » في الصرف والخط ، وقد نالا خدمة كبيرة لدى العلماء وطلاب العلم في حياته وبعد وفاته إلىٰ يومنا هـٰذا .

(٢) صلة التكملة (١/ ٢٠٤) ، والإمام ابن الحاجب كان له وقفة شهيرة في نصرة مذهب أهل السنة ، والدفاع عن إمامهم في ذلك الوقت سلطانِ العلماء العزِّ بن عبد السلام رحمه الله تعالى . انظر (٢/ ٤٧٢ ، ٥٠٦ـ٥٠٧) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٤٨ـ٢٥٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٢٦٤ـ ٢٦٨) ، و« صلة التكملة » (١/ ٢٠٣ـ٢٠٤) .

يأكلُونَ الدنيا بالدينِ ، فأقبلَ عليهِ وقالَ : يا ولدي ؛ والآخرةَ أيضاً ، ومشىٰ ولم يُمكِّنْ أحداً منهُ .

وقالَ بعضُ أصحابِهِ : كانَ سببُ رجوعي عن تناولِ ما يتناولُهُ المُسرِفُونَ علىٰ أنفسِهِم مِنَ التنبيةِ[1] : أنِّي تناولتُ شيئاً منها ليلةً ، ثمَّ حضرتُ الزاويةَ عندَهُ ، وكانَ لهُ قنديلٌ قد أُهدِيَ إليهِ مِنَ الزجاجِ الحلبيِّ الصافي ، وكانَ الشيخُ يُعجِبُهُ ذلكَ القنديلُ ، فأخذتُ أنحطُّ ، وخطرَ لي أنَّني قد أوثقتُ القنديلَ ، فرفعتُهُ فسقطَ ، فتكسَّرَ القنديلُ ، فقالَ لي : ما بالُكَ يا محمدُ ؟ فقلتُ : يا سيِّدي ؛ أنا محمومٌ ، فقالَ : يا ولدي ؛ لا ترجعْ تُحَمُّ .

صحبَ : الشيخَ أبا مروانَ عبدَ الملكِ بنَ قُفْلٍ ، وبهِ عُرِفَ .

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجَّةِ سنةَ سبعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

---

(١) لعله نوع من المخدرات ، والمثبت موافق لرسم المخطوط وضبطه .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٣٦٥-٣٦٦) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ العاملُ رشيدُ الدينِ أبو محمدٍ
عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الوهابِ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ رشيدُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ [بنُ الشيخ أبي محمدٍ عبدِ الوهابِ] بنِ الفقيهِ الإمامِ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ المُقدَّمِ ذكرُهُ[(١)] .

مِنْ مشاهيرِ فقهاءِ المالكيَّةِ ورُواةِ الحديثِ وعلماءِ الأصولِ ، كانَ زاهداً مُتورِّعاً ، خَشِناً في دينِهِ ، وعليهِ مدارُ الفُتيا بثغرِ الإسكندريَّةِ .

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في عاشرِ صفرٍ سنةَ سبعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ بثغرِ الإسكندريَّةِ[(٢)] .

* * *

---

(١) انظر (١/ ٤٨٨) .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٠٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٣٦٢ـ٣٦٣) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ العاملُ بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ هبةِ اللهِ ابنُ الجُمَّيْزيِّ اللَّخْميُّ المصريُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ العالمُ بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الشيخِ أبي الفضائلِ هبةِ اللهِ بنِ سلامةَ بنِ المُسلَّمِ بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ ، اللَّخْميُّ المصريُّ الشافعيُّ الخطيبُ المعروفُ بـ(ابنِ الجُمَّيْزيِّ) رحمَهُ اللهُ .

قرأَ القرآنَ الكريمَ بالقراءاتِ العشرِ ببغدادَ : على الشيخِ أبي الحسنِ عليِّ ابنِ عساكرَ البطائحيِّ ، وبدمشقَ : على القاضي أبي سعدِ ابنِ أبي عصرونَ ، وتفقَّهَ عليهِ بدمشقَ ، وبمصرَ : على الشيخِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ منصورٍ العراقيِّ ، والإمامِ شهابِ الدينِ أبي الفتحِ الطوسيِّ .

وسمعَ بمصرَ : مِنِ ابنِ بَرِّيٍّ ، ومِنَ الشريفِ أبي عليٍّ محمدِ بنِ أسعدَ الجَوَّانيِّ ، والشاطبيِّ .

وسمعَ بالإسكندريَّةِ : مِنَ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سِلَفَةَ الأصفهانيِّ ، وأبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ .

وسمعَ بدمشقَ : مِنَ الحافظِ أبي القاسمِ عليِّ بنِ الحسنِ[1] ، وابنِ أبي عصرونَ المذكورِ ، والخطيبِ أبي القاسمِ عبدِ الملكِ الدَّوْلَعيِّ .

وسمعَ ببغدادَ : مِنْ أبي الحسنِ ابنِ عساكرَ البطائحيِّ ، وأبي شاكرٍ صاحبِ

(١) هو حافظ الدنيا : الإمام ابن عساكر الشافعي الأشعري رحمه الله تعالى .

ابنِ بالانَ، وأبي عبدِ اللهِ العَيْشُونيِّ، وفخرِ النساءِ شُهْدةَ الإبْريَّةِ[1]، وأضرابِهِم.

وكانَ رئيسَ العلماءِ في وقتِهِ، ودرَّسَ بزاويةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ، وخطبَ بالقاهرةِ بالجامعِ الأنورِ الحاكميِّ، وكانَ مُتقِناً للأصولِ وعلمِ الكلامِ والخلافِ والجدلِ.

وذهبَ رسولاً إلى الديوانِ العزيزِ ببغدادَ، وخُلِعَ عليهِ وعلى رفقتِهِ مِنَ الطلبةِ هناكَ الخِلَعُ السَّنِيَّةُ، وأُذِنَ لهُ فانتصبَ للاستدلالِ بإحدى المدرستَينِ؛ إمَّا النِّظاميَّةِ أوِ المستنصريَّةِ، وظهرَ على مَنْ حضرَهُ مِنْ علماءِ بغدادَ، وأنعمَ عليهِ الديوانُ العزيزُ، وضُوعِفَتْ صِلاتُهُ، ورجعَ مُكرَماً.

وكانَ قد رزقَهُ اللهُ معَ تمكُّنِهِ في العلمِ الوَجاهةَ في الدنيا؛ خصوصاً عندَ الكاملِ والصالحِ، وكانَ يأمرُ على القضاةِ، ويُفتي عليهِم ولا يعدلُونَ عن فُتياهُ.

سمعتُ الشيخَ الإمامَ وجيهَ الدينِ عبدَ الوهابِ بنَ الحسينِ البَهْنَسيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ غيرَ مرَّةٍ: (حضرتُ عندَ الشيخِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ، وكانَ قد مرضَ وأَبَلَّ مِنْ مرضِهِ[2]، فعادَهُ شيخُنا الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ، فقالَ لهُ الشيخُ الإمامُ بهاءُ الدينِ: يا سيِّدي؛ أشتهي أنْ تُكمِّلَ إحسانَكَ بالإقامةِ عندي في هذا اليومِ أتأنَّسُ بكَ.

وكانَتِ الفتاوى بمصرَ قد تعطَّلَتْ لأجلِ مرضِ الشيخِ بهاءِ الدينِ أياماً، فلمَّا سمعَ الناسُ أنَّ الشيخَ بهاءَ الدينِ قَدَرَ على الفُتيا لإبلالِهِ مِنْ مرضِهِ..

---

(١) قال السبكي في «الطبقات» (٨/ ٣٠٢) نقلاً عن شيخه الذهبي: (ولا نعلم أحداً سمع من السلفي وابن عساكر وشهدة سواه، إلا الحافظ عبد القادر بن عبد الله.
قلت: وفي سماع عبد القادر من الحافظ ابن عساكر ما لا يخفى)، وقد مرَّ في (١/ ٤٣٥-٤٣٦) أنه حدَّث عن ابن عساكر بالإجازة.

(٢) يقال: أَبَلَّ المريض: إذا برئ من مرضه.

أحضرُوا فتاويَهُم في ذلكَ اليومِ ، فكانَتْ قريباً مِنَ المئةِ ورقةِ استفتاءٍ ، فقالَ الشيخُ بهاءُ الدينِ : عرِّفُوهُم أنْ نحنُ مشغولُونَ بخدمةِ الشيخِ .

فقالَ الشيخُ عزُّ الدينِ : لا أكونُ سبباً لحرمانِ هـٰؤلاءِ مقصودَهُم ، ولا لحرمانِ سيِّدي أجراً بسببِهِم ، فقالَ الشيخُ بهاءُ الدينِ : لا يُفتىٰ ومالكٌ بالمدينةِ ، وأشارَ إلى الشيخِ عزِّ الدينِ أنْ يكتبَ على الفتاوىٰ ؛ تأدُّباً معَهُ ، فقالَ الشيخُ عزُّ الدينِ : هـٰؤلاءِ لم يُحضِرُوا فتاويَهُم إلا إلىٰ سيِّدِنا ، فأنا إنْ كتبتُ كتبتُ في ورقةٍ بغيرِ إذنِ صاحبِها ، فسيِّدُنا يكتبُ ، وببركةِ ذلكَ تصحُّ وتكمُلُ لكَ العافيةُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

فابتدأَ الشيخُ عزُّ الدينِ يفتحُ الفتاوىٰ ، ويُناوِلُ الشيخَ بهاءَ الدينِ وهوَ يكتبُ ـ لا يتوقَّفُ ولا يتروَّىٰ ـ أجوبةً سديدةً يُجيبُ عنِ المقصدِ ويُحصِّلُ المطلوبَ ، ويضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ[1] ، والشيخُ عزُّ الدينِ يتناولُها منهُ بعدَ الكتابةِ ويتأمَّلُها ، ويدعو لهُ بالبقاءِ وطولِ العُمُرِ ، ويُقرِّرُ جميعَ ذلكَ ويُوافِقُ عليهِ ، إلا مسألتَينِ أو ثلاثاً ـ شكَّ الشيخُ وجيهُ الدينِ ـ فقالَ الشيخُ بهاءُ الدينِ : أظنُّ سيِّدَنا انتقدَ الجوابَ في هـٰذهِ ، فقالَ الشيخُ عزُّ الدينِ : لم يظهرْ ليَ الجوابُ فيها[2] ، فقالَ : يا فلانُ ـ لبعضِ مَنْ كانَ مِنْ أولادِهِ حاضراً ـ هاتِ

---

(1) الهِناء : القَطِران الذي يُطلىٰ به ، والنُّقْب : جمع نُقْبة ؛ وهو الجرب أو أول ما يبدو منه ، قال في « أساس البلاغة » (٢/ ٢٩٧) : (ومن المجاز : فلان يضع الهِناء مواضع النُّقْب : إذا كان ماهراً مصيباً) .

(2) مع أنه كان إمام الأئمة في زمانه ، وخصوصاً علم الفقه ، وكتابه « الغاية في اختصار النهاية » أبرز دليل علىٰ تمكنه ودقته في علم الفقه ، وكان الإمام الحافظ عبد العظيم المنذري امتنع من الفتيا عندما دخل العز بن عبد السلام مصر ، وقال : (كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه) ، بل نُقل عن الجمال ابن الحاجب أنه قال : عبد السلام أفقه من الغزالي ، ومع هـٰذا : فإنه توقف في هاتين المسألتين أو الثلاث ، وأفتىٰ بهما بهاء الدين دون تردد ، مما يدل علىٰ سعة علم بهاء الدين واستحضاره ، وبراعته=

ذاكَ الجزءَ الفلانيَّ مِنَ الكتابِ الفلانيِّ ، والجزءَ الفلانيَّ مِنْ كتابٍ آخرَ ، والجزءَ الفلانيَّ مِنْ كتابٍ آخرَ ، فحضرَتِ الأجزاءُ[1] ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ هاذهِ المسألةُ مسطورةٌ في هاذا الجزءِ هنا في الصفحةِ اليمنىٰ ، وفتحَ المكانَ بعينِهِ ، فرأى الشيخُ النقلَ كما ذكرَهُ في كلِّ مسألةٍ ، يفعلُ ذلكَ في الأجزاءِ كلِّها ، فتظهرُ كما نقلَ الشيخُ بهاءُ الدينِ ، فدعا الشيخُ عزُّ الدينِ لهُ بامتدادِ العُمُرِ وفُسحةِ الأجلِ .

وأقاما ذلكَ النهارَ في مُباحثةٍ ، وتأدُّبٍ وحُسنِ مُنافثةٍ ، إلىٰ أنْ حضرَ ما كانَ الشيخُ بهاءُ الدينِ هيَّأَهُ للشيخِ عزِّ الدينِ ، فتناولَ منهُ ما قُدِّرَ لهُ هوَ ومَنْ كانَ معَهُ ، ودعا للشيخِ بهاءِ الدينِ وانصرفَ ، فلمَّا خرجَ قطعَ طريقَهُ بالثناءِ عليهِ والدعاءِ لهُ ، إلىٰ أنْ وصلَ إلىٰ منزلِهِ بالقاهرةِ ، رضيَ اللهُ عنهُما) .

ويكفي الشيخَ بهاءَ الدينِ فخراً أنَّ مِنْ طلبتِهِ الضياءَ عبدَ الحكمِ بنَ المقسطيِّ ، وغيرَهُ مِنَ الأكابرِ .

وُلِدَ الشيخُ بهاءُ الدينِ يومَ عيدِ الأضحىٰ سنةَ تسعٍ [وخمسينَ] وخمسِ مئةٍ[2] ، وتُوفِّيَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

= في علم الفقه والفتوىٰ ، وورع واحتياط العز بن عبد السلام ، رحمهما الله تعالىٰ ورضي عنهما .

(١) ويحتمل : (فحُضِرت) بدل (فحضرت) .

(٢) في (أ، ب): (وتسعين) بدل (وخمسين)، وهو سهو من المؤلف، وكثيراً ما أصحح ضمن معقوفين اعتماداً على المصادر والمراجع دون الإشارة في الهامش، وقد أشرت إلى ذلك في منهج العمل .

(٣) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٥٥ـ ٢٥٦)، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٠١ـ ٣٠٤)، وله « مشيخة » بتخريج رشيد الدين العطار ، ذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم ، وفي ترجمة المؤلف زيادات نفيسة ليست في « الصلة » و« الطبقات » وخصوصاً زيارة ابن عبد السلام لابن الجميزي ، وهاكذا ديدنه في كثير من التراجم ، وكنت قد نبَّهت علىٰ ذلك مراراً .

ومنهُمُ :

السيدُ الشريفُ العالمُ القاضي شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ زيدِ بنِ الحسنِ بنِ ظَفَرٍ الحسينيُّ الأُرْمَويُّ الأصلِ المصريُّ الدارِ ، المعروفُ بـ (قاضي العسكرِ)

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : علىٰ شيخِ الشيوخِ أبي الحسنِ بنِ حَمُّويه ، وعلىٰ أضرابِهِ ، وحدَّثَ : عن فاطمةَ بنتِ سعدِ الخيرِ وأقرانِها ، ودرَّسَ بمدرسةِ ابنِ زينِ التُّجَّارِ ، وتولَّىٰ نقابةَ الأشرافِ وقضاءَ العسكرِ ، وترسَّلَ إلىٰ بغدادَ ، وكانَ أحدَ الرؤساءِ المشهورينَ ، والفقهاءِ المذكورينَ[١] .

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثَ عشرَ مِنْ شوالٍ سنةَ خمسينَ وستِّ مئةٍ[٢] .

* * *

(١) في « صلة التكملة » : (الرؤساء المذكورين ، والفقهاء المشهورين) .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٧٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٤٤٩-٤٥٠) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العلامةُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ هابيلَ العَبْدَريُّ القَصْريُّ المعروفُ بـ (الأشقرِ)[1]

كانَ عالماً بالأصولِ والفروعِ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ زاهداً مُتقلِّلاً مِنَ الدنيا ، كانَ يُقرِئُ كتبَ الأصولِ ، قرأَ عليهِ عبدُ الوهابِ بنُ رُشَيِّقٍ كتابَ « الاصطلامِ » بحثاً[2] .

* * *

---

(١) في هامش (أ ، ب) : (لم يعرف لهٰذا الشيخ وفاة فأذكره في طبقته بحكم وفاته ، فإن وجدت فليحول إلى طبقته) .

(٢) و« الاصطلام » : تأليف أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩) ، وهو جد السمعاني عبد الكريم صاحب « الأنساب » .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ الشيخِ أبي الحجَّاجِ يوسفَ ابنِ محمدِ بنِ خلفِ بنِ محمدِ بنِ أيوبَ ، الأنصاريُّ القَصْريُّ مِنْ قَصْرِ عبدِ الكريمِ يُعرَفُ بـ (ابنِ رُشَيِّقٍ) بضمِّ الراءِ وفتحِ الشينِ

كانَ يُثني علىٰ شيخِهِ المُتقدِّمِ ، ويُنوِّهُ بذكرِهِ ، ويُصحِّحُ اعتقادَهُ ، قرأَ الأصولَ والفروعَ ، ومِنْ جملةِ ما قرأَ علىٰ أبي العباسِ القَصْريِّ : كتابُ « الاصطلامِ » .

وذكرَ أنَّهُ طرقَ علىٰ أبي العباسِ البابَ مرَّةً ، فخرجَ إليَّ مُلتحِفاً بمِلْحَفةٍ ، فقلتُ لهُ[1] : ما هاذا ؟! فقالَ : [من الخفيف]

نَحْـنُ قَـوْمٌ إِذَا غَسَلْنَـا ٱلثِّيَـابَـا ... إِتَّخَـذْنَـا بُيُـوتَنَـا جِلْبَـابَـا[2]

قلتُ : ولعلَّهُ مأخوذٌ مِنْ بيتِ أبي الطيِّبِ الطبريِّ في وصفِ طلبةِ العلمِ[3] : [من الكامل]

قَـوْمٌ إِذَا غَسَلُـوا ثِيَـابَ جَمَـالِهِـمْ ... لَبِسُوا ٱلْبُيُوتَ إِلَىٰ فَرَاغِ ٱلْغَاسِلِ

أخذَ عبدُ الوهابِ ابنُ رُشَيِّقٍ عن أبيهِ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ ، وكانَ أبوهُ لقيَ الإمامَ أبا بكرِ ابنَ العربيِّ ، وعياضَ بنَ موسىٰ ، وغيرَهُما .

تُوفِّيَ عبدُ الوهابِ المذكورُ سنةَ خمسينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) في الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم ، والأصل : (فخرج إليه . . . فقال له) .

(٢) أورد هاذه الحكاية ابن الصابوني في « تكملة إكمال الإكمال » (ص٦١) .

(٣) أورد البيت الثعالبي في « يتيمة الدهر » (٥/ ١٧١) من شعر أبي المظفر الجرجاني ، وللبيت قصة أوردها ابن خلكان في « وفياته » (٢/ ٥١٤) ، والذهبي في « السير » (٢٠/ ٣٣٥) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٤٤٨) ، و« توضيح المشتبه » (٤/ ١٩٥ـ١٩٦) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عيسى الخزرجيُّ الأندلسيُّ المالَقيُّ

أحدُ الزهَّادِ والمُتورِّعينَ ، وعبادِ اللهِ المُتَّقينَ ، كانَ مُشتغِلاً بنفسِهِ ، مُتخلِّياً عمَّا في أيدي الناسِ ، يأكلُ مِنْ كسبِ يدِهِ ، وكانَتْ صنعتُهُ تطريقَ [القصديرِ](١) ، ولا يقبلُ مِنْ أحدٍ شيئاً ، صحيحَ الاعتقادِ على الكتابِ والسنَّةِ ، مالكيَّ المذهبِ ، يحضرُ بعضَ دروسِ العلمِ في بعضِ الأوقاتِ ، ويُشيِّعُ الجنائزَ ، وقلَّما شيَّعَ جنازةً إلا مشىٰ معَها حتىٰ تُدفَنَ .

كانَ يُكرِمُ العلماءَ والأشرافَ ، ولا يُعظِّمُ أحداً مِنْ أربابِ الدنيا ، كثيرَ الجِدِّ والعملِ ، لا يفترُ عنِ العبادةِ والاشتغالِ ، ولم يكنْ في زمنِهِ مثلُهُ ، وكانَ يدري النحوَ والقراءاتِ(٢) ، قالَ شيخُنا رضيُّ الدينِ الشاطبيُّ : (وكانَ يعرفُ طرفاً جيِّداً مِنَ اللغةِ) .

كثيرَ الرياضةِ ؛ حُكِيَ عنهُ : أنَّهُ حكمَ عليهِ بعضُ أصحابِهِ بالطُّلوعِ معَهُ إلىٰ دفنِ قريبٍ لهُ في القَرافةِ ، وكانَ [بهِ] أثرُ ضعفٍ(٣) ، فقالُوا لهُ : يا سيِّدي ؛ لا بدَّ مِنْ ركوبِكَ ، فركبَ حماراً ، فقعدَ بهِ الحمارُ في أثناءِ الطريقِ ، فلم يضربْهُ ، ونزلَ مِنْ عليهِ وتركَهُ يتمرَّغُ .

فلمَّا أدركَهُ الناسُ قالُوا لهُ : يا سيِّدي ؛ ما تُعامَلُ الدوابُّ كذا ، اضربْهُ ،

---

(١) في (أ ، ب) : (القصطير) .

(٢) فهو معدود من النحاة ، وقد ذكره الإمام السيوطي في « بغية الوعاة » (١/٢٠٦) .

(٣) في (أ ، ب) : (من) بدل (به) ، والأقرب ما أثبت ، والضمير يرجع إلى المُترجَم ، والله تعالىٰ أعلم .

فقالَ : لا أضربُ مخلوقاً مثلي مِنْ غيرِ جنايةٍ ولا ذنبٍ ، فقالُوا : نحنُ نضربُهُ حتىٰ يقومَ ، فقال : ولا أنتُم .

فبقيَ واقفاً والناسُ حولَهُ إلىٰ أنْ قامَ الحمارُ بعدَ زمانٍ طويلٍ ، وانتفضَ قائماً مِنَ الترابِ ، ثمَّ أتىٰ فوقفَ بينَ يدي الشيخِ ، فأركبُوهُ عليهِ ، ثمَّ حضـرَ دفـنَ الميتِ ورجعَ ، ولم يضربِ الحمارَ ولا استحثَّهُ في الطريقِ .

لهُ كراماتٌ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها .

تُوفِّيَ ليلةَ الثامنِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بالقَرافةِ ، وقبرُهُ هناكَ يُزارُ ، وكانَ أوصىٰ أنْ يُجعَلَ قبرُهُ علىٰ ما هوَ عليهِ الآنَ ، فعُمِلَ بهـٰذهِ الوصيَّةِ بعدَ وفاتِهِ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (١/٢٧٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/١٠٩) ، و« بغية الوعاة » (١/٢٠٦) .

ومنهُمْ :

الشيخُ العارفُ الوليُّ أبو موسىٰ عيسى بنُ يخلفَ بنِ عليٍّ السندرانيُّ

ذكرَ أنَّهُ صَحِبَ الشيخَ أبا مدينٍ في حداثةِ سنِّهِ ، وماتَ قبلَ أنْ يكملَ حالُهُ ، فانتقلَ إلى الشيخِ أبي الصبرِ أيوبَ بعدَ انتقالِ الشيخِ أبي مدينٍ ، فصحبَهُ سنينَ .

قالَ : وخرجتُ سائحاً في البرِّيَّةِ ، وأَلِفتُ الوحوشَ والحيَّاتِ والسباعَ ، ثمَّ دخلتُ إلىٰ أبي الصبرِ ، فكساني حالةً أفهمَتْني وعرفتُ بها أنَّ تلكَ الحالَ التي كنتُ عليها ليسَتْ بشيءٍ .

فلمَّا عَلِمَ الشيخُ أبو الصبرِ أنَّهُ حصلَ لهُ حالٌ جيِّدةٌ . . قالَ لهُ : ارتحلْ إلى المشرقِ ينتفعْ بكَ الناسُ ، فجاءَ إلى الديارِ المصريَّةِ وانتفعَ عليهِ الناسُ .

وكانَ يُرىٰ بحالِ الملامتيَّةِ[1] ، وكانَتْ لهُ مُكاشفةٌ مصيبةٌ وسهامٌ سديدةٌ ، وكراماتُهُ مشهورةٌ عندَنا فلا نُطيلُ بذكرِها .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ الشيخِ القطبِ نصيرِ الدينِ العجَّانَ يقولُ : إنَّ الشيخَ في السنةِ التي انتقلَ فيها زارَ مساجدَ القاهرةِ والعراقَينِ ونَصيرِ كلَّها ، يُصلِّي في كلِّ مسجدٍ ركعتينِ ، ولم ينزلْ مسجداً مهجوراً ولا عامراً مِنَ المدنِ والقرىٰ والطُّرُقِ مِنْ مصرَ إلىٰ قُوصَ حتىٰ صلَّى فيهِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ؟ فقالَ : يا ولدي ؛ رأيتُ أعلامَ الرحلةِ قد نُشِرَتْ ، فلا أدري هل هيَ السفرةُ الكبرىٰ أم سفرةُ الحجِّ ، فكانَتْ سفرةَ الموتِ والنقلةِ ، وكانَتْ تلكَ الصلواتُ التي صلاها في المساجدِ وداعاً لها .

تُوفِّيَ الشيخُ أبو موسىٰ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وستِّ مئةٍ بمدينةِ قُوصَ ، ودُفِنَ بها .

---

(١) سيأتي شرحها تعليقاً في (٢/ ٤٥) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ شمسُ الدينِ لسانُ المُتكلِّمينَ سيفُ المُناظِرينَ أبو محمدٍ عبدُ الحميدِ بنُ عيسى بنِ عمُّويه بنِ يونسَ بنِ خليلِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يونسَ الخُسْرَوشاهيُّ الشافعيُّ الأصوليُّ المُتكلِّمُ

كانَ أوحدَ وقتِهِ في فنونِهِ .

وُلِدَ بخُسْرَوشاهَ ونشأَ بها ، وقرأَ علومَ المعقولِ على الإمامِ فخرِ الدينِ بنِ الخطيبِ[1] وبرعَ فيها ، وأقامَ مدَّةً بالقاهرةِ بالخانقاهِ المعروفةِ بـ (سعيدِ السعداءِ) ، واشتغلَ عليهِ مشايخُنا ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ ؛ منهُمْ : الشريفُ شرفُ الدينِ الكَرَكيُّ ، وشهابُ الدينِ أحمدُ بنُ إدريسَ القَرافيُّ ، وكانا يَصفانِ عنهُ أموراً عظيمةً مِنَ الإتقانِ والدِّيانةِ وصحَّةِ الاعتقادِ .

رحلَ إلى البلادِ ، وسمعَ بنيسابورَ على المؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وحدَّثَ عنهُ وعن غيرِهِ .

وُلِدَ بخُسْرَوشاهَ سنةَ ثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بدمشقَ في الخامسِ والعشرينَ مِنْ شوَّالٍ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

---

(١) هو الإمام الشهير والحبر النحرير فخر الدين الرازي بن الخطيب ضياء الدين .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/٣٠٦-٣٠٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/١٦١-١٦٢) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو الفضلِ العباسُ بنُ خلفِ بنِ بكّارِ بنِ عليٍّ بنِ كثيرٍ الزِّناتيُّ المغربيُّ الفاسيُّ

كانَ مِنْ أهلِ فاسٍ ، استوطنَ بمصرَ ، وكانَ مِنَ الصلحاءِ المجتهدينَ في العبادةِ ، لا يخرجُ مِنْ بيتِهِ في الغالبِ إلا مِنَ الجمعةِ إلى الجمعةِ ، وكانَ عارفاً بأصولِ الدين ، وصنّف في طريقِ التصوّفِ ، وعقيدةً في أصولِ الدين ، وكان قرأ الأصول على الشيخ أبي الحسن العطّارِ ، وكان أبو الحسنِ العطّارُ عارفا بالمذاهبِ الأربعة والأصلَين والعربية ، وكان يجلسُ لتذكيرِ الناسِ يومين في الجمعةِ .

قالَ أبو الفضلِ : (أقامَ شيخي أبو الحسنِ العطارُ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] . . سنةً كاملةً ، وكانَ أبو الحسنِ يزيدُ علىٰ علماءِ وقتِهِ بالتصوُّفِ) .

وُلِدَ أبو الفضلِ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) ذكر المترجَمَ عرضاً الإمامُ السيوطي في « بغية الوعاة » (٢/ ٢٠٣) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العارفُ علمُ الدينِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ السديدِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ المنعمِ ، المعروفُ بـ (المنفلوطيِّ)

صحبَ الشيخَ أبا الحسنِ بنَ حُميدٍ المعروفَ بـ (ابنِ الصباغِ)[1] ، وانتفعَ بذلكَ .

وصنَّفَ الكتبَ في علمِ الطريقِ[2] ؛ فمنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « أسرارَ علمِ المُناجينَ ومدحَ مقاماتِ السالكينَ » ، حذا فيهِ حذوَ « رسالةِ القشيريِّ » ، وبوَّبَهُ أبواباً علىٰ حالاتِ السلوكِ والمعارفِ ؛ ومنها : كتابُ « تنظيفِ القلبِ عمَّا يشغلُ عنِ الربِّ » ، ومنها : كتابُ « الحدودِ والوقوفِ على المقصودِ » ، ومنها : كتابُ « المطرفةِ بشمائلِ أهلِ الزمانِ مِنْ عطايا المنَّانِ » ، ومنها : كتابُ « جلاءِ الحَزَنِ ونفيسِ الثَّمَنِ » ، ومنها : كتابُ « المنائحِ وإبداءِ النصائحِ »[3] ، ومنها : كتابُ « علاماتِ الأعلامِ وسماتِ أهلِ الاستقامةِ والقوامِ » ، ومنها : كتابُ « ترتيبِ السلوكِ مِنَ النظمِ المفكوكِ » حذا في هـٰذهِ حذواً حسناً بديعاً .

ولهُ نظمٌ حسنٌ لا يَسَعُ ذكرُهُ في هـٰذا المختصرِ .

تُوفِّيَ في الثامنِ مِنْ صفرٍ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

---

(١) هو أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن الصباغ السابق في (١/ ٥٥٠ـ٥٥٣) .

(٢) وكان رحمه الله مالكي المذهب .

(٣) يحتمل في (أ) : (المصالح) بدل (النصائح) .

(٤) انظر « الطالع السعيد » (ص٨٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٩/ ٥١) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٥٥٢) .

ومنهُمْ :

الشيخُ مجدُ الدينِ أبو المجدِ بنُ عليِّ بنِ أبي الثناءِ الإِخْميميُّ الصوفيُّ الفقيهُ الخطيبُ

صحبَ الشيخَ أبا الطاهرِ المحليَّ المُقدَّمَ ذكرُهُ[1] ، وانتفعَ بهِ ، وزوَّجَهُ الشيخُ أبو الطاهرِ ابنتَهُ .

وكانَ زاهداً ورعاً مُتقلِّلاً مِنَ الدنيا ، مُحافظاً علىٰ أورادِهِ ، مُلازِماً للإمامةِ في تاجِ الجوامعِ ، حافظاً لأوقاتِ حضورِهِ إلى الصلاةِ ، لا يختلُّ وقتٌ عن وقتٍ دقيقةً ولا بعضَ ساعةٍ ، كثيرَ الرِّفقِ ، حسنَ السَّمْتِ ، ساعياً في مصالحِ المسلمينَ وقضاءِ حوائجِهِم علىٰ قدميهِ ماشياً .

وكانَ مَرْعيَّ الجانبِ عندَ أهلِ الدنيا والآخرةِ ، ولم يكنْ يقضي عندَهُم حاجةً لنفسِهِ ، ولا لِمَنْ يختصُّ بهِ مِنَ الخُدَّامِ والفقراءِ ، وإنَّما كانَ يقضي حوائجَ الناسِ ، حتىٰ إنَّهُ ذُكِرَ عنهُ أنَّهُ تردَّدَ في حاجةٍ بعضِ مَنْ قصدَهُ إلى الصاحبِ الوزيرِ شرفِ الدينِ هبةِ اللهِ بنِ صاعدٍ الفائزيِّ مراراً تزيدُ على العشرينَ وهوَ يردُّهُ ويردُّها غيرَ مَقْضيَّةٍ ، فلمَّا كانَ في آخرِ مرَّةٍ قالَ لهُ : يا شيخَنا مجدَ الدينِ ؛ واللهِ ؛ ما رددتُكَ استخفافاً بحقِّكَ ، ولـٰكنْ هوَ أمرٌ مقدورٌ ، ولقدِ استحييتُ مِنَ اللهِ كم أردُّكَ في هـٰذهِ الحاجةِ .

فقالَ لهُ الشيخُ : وأنا واللهِ ما قصدتُكَ في قضاءِ هـٰذهِ الحاجةِ ، ولم أقصدْ إلا اللهَ عزَّ وجلَّ ، وهوَ لم يُسخِّرْكَ أوَّلَ دفعةٍ ، ثمَّ قصدتُهُ فلم يُسخِّرْكَ ، فأنا

(١) انظر (١/٦٠١ـ٦٠٥) .

لا أزالُ أقصِدُهُ إلىٰ أنْ يُسخِّرَكَ ، فالتزمَ ألا يرُدَّ الشيخَ في حاجةٍ بعدَها أبداً .

تُوفِّيَ في الحادي والعشرينَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٨/ ١٦٠) ، و« نزهة الأنام » (ص٢٢٥) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ برهانُ الدين أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أبي محمدٍ عبدِ المجيدِ بنِ سلطانَ بنِ أحمدَ بنِ الصَّبيح ، المصريُّ الشافعيُّ العدلُ ، المعروفُ بـ(ابنِ قراقيشَ)

كانَ أحدَ العلماءِ المُعيدينَ بمصرَ ، والعارفينَ بالأصولِ ، سمعَ : مِنْ أبي القبائلِ عَشيرِ بنِ عليٍّ الجبليِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ حمدِ بنِ حامدٍ ، واشتغلَ بالعلومِ ، وتولَّى العقودَ بمصرَ ، والحكمَ بالجِيزةِ .

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السابعِ والعشرينَ مِنْ ربيعٍ الأولِ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٣١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ١٥٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الفقيهُ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ عبدِ المجيدِ بنِ علَّاسٍ المالكيُّ المُتكلِّمُ

تصدَّرَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، ودرَّسَ بها .

وتُوفِّيَ في ثاني عشرَ شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٣٣٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ١٦٤) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ القدوةُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ أبي الفضلِ ، السُّلَميُّ الأندلسيُّ المرسيُّ

اشتغلَ ببلادِ المغربِ بمذهبِ مالكٍ[1] ، وسمعَ بها مِنْ أَبَوَيْ محمدٍ : عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عبيدِ اللهِ الحَجْرِيِّ ، وعبدِ المنعمِ[2] بنِ محمدِ ابنِ الفَرَسِ ، وقَدِمَ مصرَ وسمعَ بها ، وبالحجازِ والشامِ والعراقِ ، ودخلَ إلىٰ خراسانَ ، وسمعَ بأصفهانَ ومروَ ونيسابورَ ، وهوَ الذي استخرجَ خزانةَ كتبِ نيسابورَ كما تقدَّمَ في ترجمةِ الجُوَينيِّ[3] .

وسمعَ بهراةَ وغيرِها : مِنْ أبي الفتحِ منصورِ بنِ عبدِ المنعمِ الفَراويِّ ، وأبي روحٍ عبدِ العزيزِ بنِ محمدٍ الهرويِّ[4] ، وأبي الحسنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وطبقتِهِم .

وحصَّلَ أصولَ سماعاتٍ ، وكتباً أمهاتٍ لا تكادُ تُوجَدُ معَ غيرِهِ ، وحدَّثَ بالكثيرِ ، وكانَ بارعاً في كلِّ علمٍ ، وكانَ مِنْ أعيانِ العلماءِ والأئمَّةِ الفُضَلاءِ ،

---

(١) فهو مالكي المذهب كما ذهب إليه القطب اليونيني في « ذيل مرآة الزمان » (١/٧٦) ، وعدَّه ابن السبكي في « طبقاته » (٨/٦٩-٧٢) من الشافعية ، ولعله تشفَّع عندما رحل إلى الشرق وأخذ عن شيوخه ، والله تعالى أعلم .

(٢) في (أ، ب) : (وأبي محمد عبد المنعم) ، والأولى ما أثبت استغناء بقوله قبلُ : (أبوي محمد) .

(٣) انظر (١/٤٢٤-٤٢٥) .

(٤) في غالب المصادر والمراجع : (عبد المعز) بدل (عبد العزيز) ، وفي بعضها كالمثبت .

عارفاً بالعربيّةِ والتفسيرِ[1] ، ولهُ النظمُ الحسنُ والمعارفُ[2] ، وكانَ يُحِبُّ السفرَ ، وجَوْبَ البلادِ ، ورؤيةَ الصالحينَ .

وُلِدَ بمُرْسيةَ في ذي الحجةِ سنةَ تسعٍ وستِّينَ وخمسِ مئةٍ ، وقيلَ : سنةَ سبعينَ وخمسِ مئةٍ ، حكىٰ ذلكَ الشريفُ عزُّ الدينِ نقيبُ نقباءِ الأشرافِ في كتابِهِ « صلةِ وفياتِ الشيخِ زكيِّ الدينِ »[3] ، وتُوفِّيَ في النصفِ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ بينَ الزَّعْقةِ والعريشِ مِنْ منازلِ الرَّمْلِ ، وهوَ مُتوجِّهٌ مِنْ مصرَ إلىٰ دمشقَ ، ودُفِنَ مِنْ يومِهِ بتلِّ الزعقةِ ، رحمَهُ اللهُ[4] .

* * *

---

(١) ومن مؤلفاته : « الضوابط النحوية في علم العربية » ، و« الإملاء على المفصل » ، أخذ على الزمخشري فيه سبعين موضعاً ، أقام على خطئها البرهان ، واستدل على سقمها بالبيان ، و« تفسير القرآن » قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض . انظر « بغية الوعاة » (١/١٤٥) .

(٢) ومن شعره : (من الكامل)

قالوا محمَّدُ قد كبرتَ وقد أتىٰ ... داعي المَنونِ وما اهتممتَ بزادِ

قلتُ الكريمُ مِنَ القبيحِ لضيفِهِ ... عندَ القدومِ مجيئُهُ بالزادِ

(٣) صلة التكملة (١/٣٤٧) ، وزكي الدين : هو الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « معجم الأدباء » (٦/٢٥٤٦ـ٢٥٤٧) ، و« صلة التكملة » (١/٣٤٦ـ٣٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٦٩ـ٧٢) ، و« بغية الوعاة » (١/١٤٤ـ١٤٦) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ القطبُ العارفُ أبو زكريا
يحيى بنُ يَلِيمانَ بنِ هادي ، السبتيُّ المالكيُّ

جمعَ بينَ العلمِ والعملِ ، وكانَ لا يأكلُ الخبزَ ، ولا شيئاً فيهِ بُرٌّ ، وكانَ صحيحَ الاعتقادِ ، حسنَ الهيئةِ ، مُحباً لأهلِ العلمِ والخيرِ والصلاحِ ، مُحَبّاً في الأشرافِ مُعظِّماً لهُم ، وكانَتْ حالتُهُ حالةَ المَلامتيّةِ ، وقيلَ : إنَّهُ كانَ يُنفِقُ ما كانَ يُنفِقُهُ مِنَ الذهبِ الكثيرِ مِنَ الغيبِ .

سكنَ القرافةَ الصُّغرىٰ ، وكانَتْ لهُ الكلمةُ المسموعةُ عندَ الملوكِ والأمراءِ ، والأمرُ النافذُ عليهِم ، وكانَ حسنَ التربيةِ لأصحابهِ المقيمينَ بزاويتِهِ ، لا يغذوهُم بشيءٍ غيرِ الفقرِ ، ويُعلِّمُهُمُ المجاهدةَ والإيثارَ .

وكانَ كثيرَ الإنصافِ في بحثِهِ ، وكانَ يقولُ : لي مِنَ المشايخِ عددٌ كثيرٌ لا أكادُ أُحصيهِ ، وكلُّ مَنْ أفادَني شيئاً مِنْ أمرِ الدينِ والدنيا لم يكنْ عندي . . فهوَ شيخي ، حتىٰ صغيرٌ علَّمَني أشربُ الماءَ مِنَ اليرنراتِ النحاسِ بالشافعيِّ[1] أولَ ما وردتُ البلادَ .

ولهُ كراماتٌ كثيرةٌ لا تُحصىٰ ، وكانَ لا يُقصَدُ في شيءٍ إلا فعلَهُ .

وممَّا يُحكَىٰ عنهُ : أنَّ الفارسَ أقطايَ رأسَ البحريَّةِ في زمنِ المُعِزِّ كانَ كثيرَ الصَّولةِ سفَّاكاً للدماءِ ، لا يقومُ لغضبِهِ شيءٌ ، فجرتْ بينَهُ وبينَ الصاحبِ الوزيرِ فخرِ الدينِ مُشاجرةٌ ، فغضبَ عليهِ فطلبَهُ ، فأشارَ عليهِ والدُهُ الصاحبُ الوزيرُ

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل المراد : تعليمه شربَ الماء من كؤوس النحاس بالموضع المُسمىٰ بـ (الشافعي) ، والله تعالىٰ أعلم .

بهاءُ الدينِ أنْ يستخفيَ عندَ السبتيِّ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ كيفَ أستخفي عندَهُ وقد تعصَّبتُ عليهِ معَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ؟![1] ، فقالَ : اذهبْ إليه ؛ فإنَّهُ فتىً فتيانٍ .

فذهبَ إليهِ الصاحبُ فخرُ الدينِ مُستخفياً ، فقالَ : اصعَدْ هـٰذهِ الغرفةَ ، فلمَّا استقرَّ بها دخلَ الفارسُ أقطايُ على الشيخِ يزورُهُ ، فقالَ لهُ : يا أقطايُ ؛ بلغَني أنَّكَ تطلبُ فخرَ الدينِ بنَ بهاءِ الدينِ ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ وأينَ هوَ ؟ واللهِ ؛ إن ظَفِرْتُ بهِ لأفعلَنَّ كذا ، ولأفعلَنَّ كذا .

فقالَ لهُ الشيخُ أبو زكريا : يا أقطايُ ؛ فخرُ الدينِ عندي في هـٰذهِ الغرفةِ التي تراها ، لـٰكنَّكَ لا تقدرُ أنْ تتعرَّضَ لهُ ، وإنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ اصعَدْ إليهِ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ واللهِ ، لا تعرَّضتُ لهُ بعدَها بسوءٍ ، فقالَ لهُ الشيخُ : قلتُ لكَ : إنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ اصعَدْ إليهِ ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ هوَ آمِنٌ على نفسهِ ومالِهِ وولدِهِ ، فقالَ لهُ : قلتُ لكَ : إنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ اصعَدْ إليهِ ، أتظُنُّ أنَّكَ تقدرُ عليهِ بعدَ دخولِهِ إليَّ ، هـٰذا ما خطرَ لي ؟! لـٰكنْ قلتُ لكَ : إنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ فاصعَدْ إليهِ .

فحينَئذٍ فَهِمَ المرادَ منهُ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ السمعَ والطاعةَ ، فأخذَهُ الشيخُ

---

(١) ولعل تعصب الشيخ العز عليه كان في الظاهر فقط ؛ بناء على أن المترجم كانت حاله حال الملامتية ، وأصل الملامتية : أنهم كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ؛ فلذلك لا يشتغلون بتزيين الظواهر للخلق ، بل يبتهلون إلى الله سبحانه في أن يزين أسرارهم لهم ، وقال عنهم أبو حفص الحداد : (أهل الملامة : قوم أظهروا للخلق قبائح الأفعال التي هم فيها ، وستروا عنهم محاسن ما هم فيه ، فلامهم الخلق على ظواهرهم ، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم. . .) ، ومعلوم أن العز بن عبد السلام كان في الظاهر ينكر على مثل هـٰؤلاء حفاظاً لظاهر الشريعة وفي الباطن كان معظماً لهم عارفاً لقدرهم ، ومن قرأ كتابه « قواعد الأحكام » يدرك هـٰذه الحقيقة ، وفي ذلك قصة مشهورة مذكورة في كتب التراجم .

وصعِدَ إلى الصاحبِ فخرِ الدينِ في الغرفةِ ، فأصلحَ بينَهُما وطابا ، وخرجَ الصاحبُ مُكرَماً مُعظَّماً ، ولم يَعُدْ بينَهُ وبينَ الفارسِ حالةٌ سيئةٌ .

وكانَ الشيخُ يقولُ : (لا تأتِني مظلوماً ؛ فإنَّكَ إنْ أتيتَني مظلوماً أسأتَ ظنَّكَ بمَنْ ينصرُكَ ، لا تأتِني إلا ظالماً ؛ فإنِّي أرجو أنْ يهديَكَ اللهُ بي إلى الطريقِ) .

وكانَ يقولُ : (إنَّ الطبيبَ لا يُداوِي الأصحّاءَ ، وإنَّما يُداوِي المرضىٰ) .

وكانَ يقولُ : (ليتَ شعري !! ما حُجَّةُ المُشبِّهةِ وليسَ كمثلِهِ شيءٌ ؟! وما حُجَّةُ المُعطِّلةِ وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ؟! وما حُجَّةُ المعتزلةِ وإنَّا كلَّ شيءٍ خلقناهُ بقدرٍ ؟!) .

ولهُ عندي كراماتٌ كثيرةٌ مسطورةٌ ـ بحكمِ أنَّهُ كانَ شيخَ جدِّي لأمِّي وأخوالي ـ لا يَسَعُ المصنَّفَ ذكرُها .

تُوفِّيَ نصفَ شوَّالٍ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٣٥٧) ، و« ذيل مرآة الزمان » (١/ ٨٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٢٢١) ، والترجمة فيها عبارة عن أسطر قليلة ، وعقَّبَ الذهبي علىٰ عدم تناوله الخبزَ بقوله : (وهـٰذا يدل علىٰ قلة الإخلاص ، نسأل الله السلامة في الدين) ، ولا علاقة للإخلاص وعدمه بسبب تركه تناولَ الخبز ، بل عدم تناوله يحتمل احتمالاتٍ عديدةً ليس هـٰذا مكانَ ذكرها ، ومن قرأ سيرته هنا وخصوصاً صدر الترجمة يدرك أنه كان بعيداً أشدَّ البعد عما نسبه إليه الذهبي ، بل إن المُترجَم من الملامتية الذين تشرَّبت عروقهم طعم الإخلاص ، وتحقق بالصدق ومراقبة الله عز وجل ، نسأل الله السلامة من الطعن بأولياء الله المقربين وعباد الله الصالحين .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ نجمُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أبي الوفاءِ محمدِ بنِ أبي [محمدٍ] الحسنِ بنِ أبي سعدٍ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ عثمانَ البغداديُّ البادَرائيُّ الشافعيُّ سفيرُ الخلافةِ

كانَ أحدَ الرؤساءِ المشهورينَ ، والعلماءِ المذكورينَ ، درَّسَ بالنِّظاميَّةِ ببغدادَ ، وتولَّى القضاءَ بها في آخرِ عمرِهِ ، وكانَ يترسَّلُ إلى الملوكِ .

قَدِمَ مصرَ والشامَ مرَّاتٍ مُتعدِّدةً ، وكانَ فيهِ خيرٌ كثيرٌ ومحبَّةٌ للصالحينَ ، وكانَ يعرفُ فنوناً ؛ منها : الأصلانِ ، والتفسيرُ ، والخلافُ ، وكانَ يُحِبُّ أهلَ الخيرِ والصلاحِ والفقهاءَ ، ويُؤثِرُهُم بمالِهِ ، ووقفَ المدرسةَ بدمشقَ المعروفةَ بِهِ[1] .

سمعَ : مِنْ عبدِ العزيزِ ابنِ مَنِينا ، وأبي البركاتِ ابنِ الصبَّاغِ ، وأقرانِهِم .

وُلِدَ في آخرِ المُحرَّمِ سنةَ أربعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في مُستهَلِّ ذي القَعْدةِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ببغدادَ[2] .

كانَ رسولاً ، وردَ الديارَ المصريَّةَ مراراً ؛ منها : مرَّةً للصلحِ بينَ صاحبِ الشامِ الملكِ الناصرِ وصاحبِ مصرَ ، فأصلحَ بينَهُما ، وفي ذلكَ يقولُ السراجُ الورَّاقُ قصيدتَهُ التي أوَّلُها : [من الطويل]

بِـكَ ٱلْتَـأَمَ ٱلإِسْـلَامُ بَعْـدَ شَتَـاتِـهِ ... وَجَـرَّدَ نَحْـوَ ٱلْكُفْـرِ حَـدَّ شَبَـاتِـهِ
وَأُغْمِدَ سَيْفُ ٱلْخُلْفِ بَعْدَ ضَغَائِنٍ ... بِهَا حَمِيَتْ غَيْظاً صُدُورُ حُمَاتِهِ

(١) وقد دخلت هـٰذه المدرسة مراتٍ عديدةً ، وحضرت فيها بعض دروس العلامة المقرئ الفقيه الحنفي شيخنا عبد الرزاق الحلبي ، رحمه الله تعالىٰ وجمعنا به في عليين .
(٢) ونجَّاه الله من فتنة التتار التي كانت في ذي الحجة من السنة نفسها .

أُقِيمَ سِنَانُ ٱلدِّينِ مِنْ بَعْدِ زَيْغِهِ   وَثُقِّفَ بَعْدَ ٱلْمَيْلِ عِطْفُ قَنَاتِهِ

هُدِينَا بِنَجْمِ ٱلدِّينِ وَٱلأَمْرُ مُشْكِلٌ   فَكَانَتْ نُجُومُ ٱللَّيْلِ فِي كَلِمَاتِهِ

إِمَامٌ دَعَاهُ ٱلدِّينُ مُسْتَصْرِخاً بِهِ   فَلَبَّاهُ بِٱلْمَفْعُولِ مِنْ نَجَدَاتِهِ

وَأَصْلَحَ ذَاتَ ٱلْبَيْنِ وَهْيَ جَدِيرَةٌ   بِإِصْلاَحِهَا إِذْ قَامَ فِيهَا بِذَاتِهِ

وَقَدْ كَادَ دِينُ ٱللهِ يَثْنِي سِنَانَهُ   إِلَىٰ نَحْرِهِ لَوْ لَمْ يُفِقْ مِنْ سُبَاتِهِ

وَكَادَتْ يَدُ ٱلإِسْلاَمِ تَقْطَعُ أُخْتَهَا   فَتَطْمَعُ أَيْدِي ٱلشِّرْكِ فِي جَنَبَاتِهِ

فَمَا زَالَ حَتَّىٰ بَتَّ مَا كَانَ مِنْهُمَا   وَدَانَا بِوَصْلٍ لَمْ يُخَفْ مِنْ بَتَاتِهِ

أَعَادَ إِلَى ٱلأَغْمَادِ كُلَّ مُهَنَّدِ   ثَنَاهُ وَحُسْنُ ٱلصَّفْحِ فِي صَفَحَاتِهِ

لَقَدْ رَغِمَ ٱلشَّيْطَانُ إِذْ كُنْتَ عُوذَةً   بِهَا سَلِمَ ٱلإِسْلاَمُ مِنْ هَمَزَاتِهِ

رَعَى ٱللهُ عَبْدَ ٱللهِ إِنَّ قُصُورَهُ   لأَحْسَنُ شَيْءٍ عُدَّ مِنْ حَسَنَاتِهِ

فَلا يَعْدَمِ ٱلإِسْلاَمُ رَأْيَكَ إِنَّهُ   لَسُورٌ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ

أَمُنْتَجَعَ ٱلآمَالِ وَٱلْعَامُ مُجْحِفٌ   وَلِلْغَيْثِ فِيهِ نَبْوَةٌ عَنْ نَبَاتِهِ

وَنَاشِرَ أَعْلاَمِ ٱلْخِلاَفَةِ هَادِياً   بِهَا حَائِراً أَوْضَحْتَ سُبْلَ نَجَاتِهِ

رَفَعْتَ لَنَا أَعْلاَمَهَا وَعُلُومَهَا   [. . . . .]

وَأَعْدَيْتَ لِلآفَاقِ ذِكْرَ مَوَاقِفٍ   سَرَتْ نَفَحَاتُ ٱلْمِسْكِ مِنْ نَفَحَاتِهِ

مَوَاقِفِ مَنْ أَضْحَىٰ لَدَيْهِنَّ وَاقِفاً   يُطَهَّرُ بِٱلْغُفْرَانِ مِنْ شَنَآتِهِ

وَبَيْتٍ إِذَا طَافَ ٱلْعُفَاةُ بِرُكْنِهِ   غَدَا ٱلنُّجْحُ مَصْرُوفاً لَدَىٰ عَتَبَاتِهِ

أَلاَ إِنَّ [. . . . .] دُونَهُ   وَيَظْهَرُ سِرُّ ٱلْوَحْيِ مِنْ حُجُرَاتِهِ

عَلَيْهَا صَلاَةُ ٱللهِ فَهْيَ مَنَاسِكٌ   بِهَا كُلُّنَا [. . . . .](1)

* * *

(1) انظر ترجمته في «صلة التكملة» (١/٣٥٩ـ٣٦٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤٨/٢٠٠ـ٢٠٢)، و«الدارس في تاريخ المدارس» (١/١٥٤ـ١٥٥)، وما بين معقوفين في القصيدة ذهب من الأصل بسبب رداءة التصوير .

ومنهُمْ :

الفقيهُ العالمُ المُقرئُ عمادُ الدينِ أبو عمرٍو عثمانُ ابنُ جمالِ الدينِ أبي حفصٍ عمرَ المُعلِّمُ رحمَهُ اللهُ

وُلِدَ بمصرَ ونشأَ بها، وقرأَ علىٰ والدِهِ القرآنَ، واشتغلَ على الفقيهِ: أبي الطاهرِ المحلِّيِّ ، وعلىٰ أقرانِهِ ، وقرأَ القرآنَ الكريمَ بالرواياتِ السبعِ جمعاً وإفراداً : على الشيخِ جمالِ الدينِ أبي الفضلِ زيادةَ بنِ عمرانَ بنِ زيادةَ المقرئِ ، أحدِ المُتصدِّرينَ بمصرَ ، وأجازَهُ بالقراءةِ والإقراءِ ، وأوراقُ سندِهِ وفصلُ إجازتَيْهِ عندَنا .

وكانَ قد بعثَ إليهِ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ بنُ عينِ الدولةِ وكتبَ لهُ تقليداً بالنيابةِ في عملٍ مِنْ أعمالِ الديارِ المصريَّةِ ، فمنعَهُ الفقيهُ أبو الطاهرِ مِنْ ذلكَ ، وقالَ لهُ : يا عثمانُ ؛ تُؤثِرُ علينا عملاً مِنَ الأعمالِ ، فقالَ : لا واللهِ يا سيِّدي ، فبعثَ الشيخُ بالتقليدِ إلى ابنِ عينِ الدولةِ .

ولم يَزَلْ مُلازِماً لخدمةِ الشيخِ يقرأُ بينَ يديهِ دروسَهُ ، ويُطالِعُ لهُ ، ويقرأُ القرآنَ ، والشيخُ يسمعُ لهُ ، وكانَ يقولُ لأهلِ بيتِهِ : إذا كانَ عثمانُ بينَ يَدَيَّ فمَنْ شاءَ أنْ يدخلَ منكُم ويمرَّ في حاجتِهِ ؛ فإنَّهُ لا يلتفتُ إلىٰ أحدٍ ولا ينظرُ إليهِ ، وليسَتْ همَّتُهُ إلا لي ، ولا نظرُهُ إلا إليَّ[1] .

وكانَ سَلْمانَ بيتِ الشيخِ[2] ؛ حتىٰ إنَّهُ كانَ لهُ نوبةٌ في شهوةِ الطعامِ ، وكانَ

---

(١) وانظر ترجمة أبي الطاهر في (١/ ٦٠١ـ٦٠٥) .

(٢) أشار به : إلىٰ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه : « سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ » كما أخرجه الحاكم (٣/ ٥٩٨) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٢١٢ـ٢١٣) من حديث سيدنا عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه .

الشيخُ يطبخُ في بيتِهِ كلَّ يومٍ بشهوةِ واحدٍ ممَّنْ يَمُونُهُ ، حتى الصغيرِ مِنَ العبيدِ والإماءِ ؛ تسويةً بينَهُم .

وكانَ جدِّي عثمانُ رحمَهُ اللهُ حسنَ الخطِّ ، ويُقالُ : إنَّهُ جميلُ السَّمْتِ ، وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، سمعتُ والدي نفعَ اللهُ بهِ يقولُ : كانَ الفقيهُ عُمَرُ جدِّي يكتبُ للصغارِ « عقيدةَ المهديِّ »[1] يحفظونَها معَ القرآنِ ، فلمَّا كبِرنا ألزمَنا جدُّكَ عثمانُ بحفظِ « عقيدةِ الغزاليِّ » ، وكانَ يُعلِّمُنا فيقولُ : (قُلْ : أنا شافعيُّ المذهبِ ، أشعريُّ الاعتقادِ) ، ولم أكنْ أعلمُ ما معنىٰ (أشعريُّ الاعتقادِ) حتىٰ كبِرتُ وسألتُ عن ذلكَ .

وحكىٰ لي غيرُ واحدٍ عنِ الفقيهِ عثمانَ : أنَّهُ كانَ لهُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ ختمةٌ كاملةٌ ترتيلاً .

وحكىٰ لي والدي قالَ : كانَ جدُّكَ ينامُ ، فيتلو وهوَ نائمٌ ، فربَّما مرَّ على الحزبينِ والثلاثةِ[2] ، وأنا أستوفي عليهِ : هل يغلَطُ أم لا ؟ فلا يغلَطُ ولا يقفُ ؛ لكثرةِ مُمازجتِهِ للتلاوةِ في اليقظةِ .

وسمعتُ والدي يقولُ : (إنَّهُ مرَّةً جرتْ لهُ معَ السلطانِ الملكِ الكاملِ مُفاوضةٌ ، فأغضبَ السلطانَ ، فقامَ وأمرَ بتعويقِهِ والترسيمِ عليهِ ، فحُبِسَ في مسجدٍ بالجزيرةِ قبلَ بناءِ القلعةِ ، وكانَ السلطانُ إذْ ذاكَ في مقعدِهِ بالجزيرةِ ، فصلَّىٰ جدُّكَ العشاءَ الآخرةَ ، واستفتحَ الختمةَ ترتيلاً بصوتِهِ الحسنِ إلى الصباحِ ، فصلَّى الصبحَ ثمَّ ختمَها ، فحينَ فراغِهِ مِنَ الدعاءِ وجدَ كنانيّاً واقفاً ينتظِرُهُ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ السلطانُ أمرَ برفعِ الترسيمِ عنكَ وعودِكَ إلىٰ شُغْلِكَ دونَ بقيَّةِ رُفقتِكَ) .

---

(١) أي : عقيدة المهدي بن تومرت رحمه الله تعالى . انظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٤٦٩) .

(٢) في (ب) : (الجزأين) بدل (الحزبين) .

ولم يَزَلْ يُلازِمُ التلاوةَ ـ كلَّ يومٍ وليلةٍ ختمةٌ ـ إلىٰ أنْ مرضَ مرضَهُ الذي ماتَ فيهِ بالأُسْرِ ؛ وهوَ احتباسُ الإراقةِ[1] ، فتُوفِّيَ منها .

تُوفِّيَ في يومِ الجمعةِ الرابعِ والعشرينَ مِنْ شوَّالٍ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ عصرَ الجمعةِ ، ودُفِنَ مِنْ نهارِهِ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

سمعتُ الفقيهَ العالمَ المفتيَ شرفَ الدينِ محمدَ بنَ ضياءِ الدينِ عبدِ الحكمِ بنِ المقسطيِّ يقولُ : (رأيتُ جدَّكَ العمادَ في المنامِ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أعطاني توقيعَ الأمانِ وها هوَ بيدي ، ثمَّ أخرجَ توقيعاً ، فرأيتُ كتابةً بالنورِ علىٰ صَفَحاتِ الورقِ ، لٰكنِّي لم أُمْهَلْ لأنْ أستخرجَ القراءةَ ، فانتبهتُ) ، رحمَهُمُ اللهُ .

* * *

(١) أي : مرض احتباس البول .

ومنهُمُ :

[الإمامُ السيدُ العارفُ القطبُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الشاذليُّ]

الشيخُ الإمامُ السيدُ العارفُ القطبُ أبو الحسنِ[1] عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الجبارِ بنِ تميمِ بنِ هُرْمُزَ بنِ حاتمِ بنِ قصيٍّ بنِ يوسفَ بنِ يوشعَ بنِ وردِ ابنِ بطَّالِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ .

رأيتُ نسبَهُ بخطِّ الشريفِ عزِّ الدينِ نقيبِ نقباءِ العلويِّينَ ، ولم يذكرْ مِنْ تميمٍ إلىٰ قصيٍّ[2] ، واللهُ أعلمُ بذلكَ ، ورأيتُ هـٰذهِ النسبةَ بخطِّ بعضِ أصحابِهِ في مجموعٍ مِنْ كلامِ الشيخِ المذكورِ[3] ، يُعرَفُ بـ (الشاذليِّ) .

قَدِمَ الديارَ المصريَّةَ مِنَ المغربِ ، وأقامَ بالإسْكَندريَّةِ مدَّةً ، وسافرَ إلى الحجازِ مراراً ، وكانَ عاليَ الهمَّةِ ، مُنطَّقاً بالحكمةِ ، مُهتدياً بأنوارِ سلفِهِ الصالحِ ، ولهُ كلامٌ نَثَرَ فيهِ الجواهرَ ، وظهرَتْ عليهِ بركةُ تلكَ المظاهرِ .

فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ :

ـ **المحبَّةُ** : سِرٌّ في القلبِ مِنَ المحبوبِ ؛ فإذا ثبتَتْ قطعَتْكَ عن كلِّ مصحوبٍ .

ـ **حقيقةُ المحبَّةِ** : رؤيةُ المحبوبِ كالعِيانِ ، **وكمالُها** : فقدانُكَ في كلِّ وقتٍ وأوانٍ .

---

(١) هو الإمام الكبير المربي سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) صلة التكملة (١/ ٣٩٧)، وفيها : (بُرْد) بدل (ورد) .

(٣) انظر « لطائف المنن » لابن عطاء الله (ص٧٥) .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا قطعَكَ عمَّا تُحِبُّ ، وردَّكَ إلىٰ ما يُحِبُّ . . فهيَ علامةُ محبَّتِهِ لكَ) .

وقالَ : (المعرفةُ : ما قطعَكَ عن غيرِ اللهِ ، وردَّكَ إلى اللهِ) .

وقالَ : (ليسَ الرجلُ الكاملُ مَنْ حَيِيَ في نفسِهِ ، وإنَّما الرجلُ الكاملُ مَنْ حَيِيَ بهِ غيرُهُ) .

وقالَ : (كلُّ شيخٍ لم تصلْكَ العوائدُ منهُ مِنْ وراءِ حجابٍ[1] . . فليسَ بشيخٍ) .

وقالَ : (مَنْ دعا إلى اللهِ بغيرِ ما دعا بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فهوَ بدعيٌّ) .

وقالَ : (آدابُ الحضرةِ ثلاثةٌ : دوامُ النظرِ ، وإلقاءُ السمعِ ، والتوطينُ لما يَرِدُ مِنَ الحُكْمِ) .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (وُسِمَ بالسعادةِ عبدٌ عرفَ الحقَّ فتواضعَ لأجلِهِ وإنْ عَمِلَ ما عملَ ، ووُسِمَ بالشقاوةِ عبدٌ جحدَ الحقَّ وتكبَّرَ علىٰ أهلِهِ وإنْ عملَ ما عملَ) .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (خرجتُ لبستانٍ معَ أصحابي في مدينةِ تونسَ ، ثمَّ عُدْتُ إلى المدينةِ ، وكنَّا ركباناً على الحميرِ ، فلمَّا وصلْنا قريباً مِنَ المدينةِ نزلُوا ، وكانَ الطينُ كثيراً ، فقالُوا لي : يا سيِّدَنا ؛ انزلْ هنا ، فقلتُ : ولِمَ ؟ فقالُوا : هـٰذهِ المدينةُ ، ونستحيي أنْ ندخلَها على الحميرِ ، فثنَيْتُ رجلي وأردتُ مُوافقتَهُم ، فقيلَ لي : إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ علىٰ راحةٍ يصحبُها التواضعُ ، ولـٰكنْ يُعذِّبُ علىٰ تعبٍ يصحبُهُ الكِبْرُ) .

---

(١) في (ب) : (الفوائد) بدل (العوائد)، ويحتمله في (أ) .

لهُ كراماتٌ كثيرةٌ شهيرةٌ ليسَ هـٰذا موضعَ ذكرِها ، وكلامُهُ أيضاً كثيرٌ منقولٌ عنهُ يتداولُهُ أصحابُهُ وغيرُ أصحابِهِ ، وليسَ هـٰذا موضعَ استيعابِهِ .

تُوفِّيَ بصحراءِ عيذابَ في العشرِ الأولِ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « مرآة الجنان » (٤/ ١٤٠ـ١٤٧) ففيها إطناب في ترجمته ، وأفرده وتلميذُهُ أبا العباس المرسي بالترجمة سيدي المربي ابنُ عطاء الله السكندريُّ في كتابه الماتع النفيس « لطائف المنن » ، وقد فوَّق ابن تيمية سهام نقده وطعنه علىٰ هـٰذه الشخصية الجليلة المباركة المشهورة بالولاية والصلاح والمعرفة ، فعادت بفضل الله هـٰذه السهام عليه ، ويكفي الإمامَ الشاذليَّ مدحاً تعظيمُ سلطان العلماء العز بن عبد السلام له ، وتلمذةُ وتعظيمُ واعتقاد الإمام المجتهد المجدد ابن دقيق العيد ، هـٰذا ؛ وقد ترجمه الإمام الذهبي ترجمة مبتورة كعادته غالباً في تراجم أئمة الأشاعرة والتصوف ، ومع بتره هـٰذا فإنَّ فيه غضّاً من حق هـٰذا الإمام الجليل الكبير ، وقد ردَّ كلامه وكشف خباياه الإمام اليافعي في « مرآته » (٤/ ١٤٢ـ١٤٣) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي حفصٍ عمرَ بنِ إبراهيمَ بنِ عمرَ الأنصاريُّ القرطبيُّ المالكيُّ ، المعروفُ بـ (ابنِ المُزيِّنِ) العدلُ[(١)]

سمعَ بقرطبةَ : مِنْ أبي الحسنِ ابنِ حفصٍ ، وبتِلِمْسانَ : مِنْ أبي عبدِ اللهِ التُّجيبيِّ ، وبسبتةَ : مِنْ قاضيها أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ سليمانَ بنِ حوطِ اللهِ .

وقَدِمَ ديارَ مصرَ وسكنَ الإسكندريَّةَ ، واختصرَ « صحيحَ الإمامِ مسلمِ بنِ الحجاجِ » ، و« أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ » ، وشرحَ « مُختصرَهُ لصحيحِ مسلمٍ » بكتابٍ سمَّاهُ « المفهمَ » ، وصنَّفَ غيرَ ذلكَ .

وكانَ مُتمسِّكاً بالكتابِ والسنَّةِ ، مُتمذْهِباً بمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، صحيحَ الاعتقادِ ، أثنىٰ في كتابِهِ « مختصرِ البخاريِّ » على البخاريِّ في ردِّهِ علىٰ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْليِّ ، ونوَّهَ بذكرِهِ ، ورفعَ بذلكَ شريفَ قدرِهِ .

وقالَ في الحديثَينِ اللذينِ ذكرَهُما البخاريُّ تعليقاً اللذينِ يُوهمانِ الصوتَ : (تنبيهٌ : هـٰذانِ الحديثانِ كلاهُما مُعلَّقٌ مقطوعٌ ، والأولُ موقوفٌ ، فلا يُعتمَدُ [عليهما] في كونِ اللهِ تعالىٰ مُتكلِّماً بصوتٍ ؛ فإنَّ كلامَهُ الذي هوَ صفتُهُ مُنزَّهٌ عنِ الحروفِ والأصواتِ ، لـٰكنْ يُعبَّرُ عنهُ بالحروفِ والأصواتِ ، كما دلَّتْ عليهِ الأدلَّةُ القاطعةُ)[(٢)] .

---

(١) زاد في (أ ، ب) : (بالإسكندرية) ، ولعلها زيدت سهواً من « صلة التكملة » ، والسياق هنا مختلف عن الذي في « الصلة » .

(٢) أورده ابن الجوزي في « كشف المشكل » (٨/٣٨٧) ، والزركشي في « التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح » (ص ١٢٧٣) ، وانظر شبيه هـٰذا الكلام مختصراً في كتابه « المفهم » (٦/١٧١ـ١٧٢) .

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ بقرطبةَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الرابعَ عشرَ مِنْ ذي القَعدةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٤٠٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٢٢٤ـ٢٢٦) ، و« الديباج المذهب » (ص٦٨ـ٧٠) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الحافظُ زكيُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العظيمِ بنُ أبي محمدٍ عبدِ القويِّ بنِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ سلامةَ بنِ سعدِ بنِ سعيدٍ المُنذرِيُّ الشاميُّ الأصلِ المصريُّ الوفاةِ والدارِ ، الفقيهُ الشافعيُّ

مناقبُهُ أكثرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ ، ومصنفاتُهُ أشهرُ ، منها المختصرُ ومنها الأخصرُ ، صنَّفَ في المذهبِ ، وتكلَّمَ على « المهذَّبِ » ، ولهُ « معجمُ أشياخِهِ » أعربَ فيهِ عن منازلِهِم ، وطرَّزَهُ بالتنبيهِ علىٰ شرفِ قدرِهِم وفخرِ أوائلِهِم ، ولهُ « التكملةُ » التي وصلَ بها « الوفياتِ » إلىٰ عصرِهِ ، وعَدَّ فيها العلماءَ مِنْ مصرِهِ وغيرِ مصرِهِ[1] .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يُستفادُ منهُ صحةُ الاعتقادِ ، ليسَ عليهِ في شيءٍ منهُ انتقادٌ ، سمعتُ غيرَ واحدٍ يذكرُ قصَّتَهُ معَ شيخِهِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ المقدسيِّ حينَ أتاهُ ليقرأَ عليهِ ، فرآهُ وهوَ مُتَرَدِّدٌ في أمرِهِ ـ في قصَّةٍ طويلةٍ ـ وقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ أنا أطلعُ علىٰ كرسيِّ القراءةِ ، وأقولُ في الميعادِ العامِّ : إنَّني علىٰ مُعتقَدِ الشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وإنَّني بريءٌ ممَّا يعتقدُهُ أهلُ كومِ الجارحِ[2] ، ففعلَ ذلكَ ، فحينَئذٍ أقرأَهُ وهوَ مُطمئنُّ الخاطرِ[3] .

كانَ الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ يأتي مِنْ مدرسةِ الصالحِ إليهِ حتىٰ يسمعَ

---

(١) ومن كتبه النفيسة الدالة علىٰ إتقانه في علم الحديث وإخلاصه : « الترغيب والترهيب » ، وهو مشهور متداول .

(٢) كوم الجارح : قرية بظاهر القاهرة ، وفي هـٰذه القرية ولد الإمام المنذري رضي الله عنه .

(٣) انظر « نزهة الأنام » (ص٢٤٧) .

عليهِ ويستفيدَ منهُ ، وسُمِعَ غيرَ مرَّةٍ وهوَ يدعو لهُ في حضرتِهِ ومغيبِهِ بطولِ العمرِ[1] .

وفضائلُهُ كثيرةٌ ، وكراماتُهُ شهيرةٌ ، ويكفيهِ فخراً أنَّ مِنْ أصحابِهِ الشيخَ تقيَّ الدينِ بنَ دقيقِ العيدِ .

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ في غرَّةِ شعبانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ بمصرَ ، وتُوفِّيَ في رابعِ ذي القَعدةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، ولمَّا ماتَ رثاهُ [. . .][2] .

* * *

(١) وحكى ابن السبكي في « طبقاته » (٨/ ٢٦١) عن والده : (أنَّ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام كان يُسمع الحديث قليلاً بدمشق ، فلما دخل القاهرة بطَّل ذلك ، وصار يحضر مجلس الشيخ زكي الدين ويسمع عليه في جملة من يَسمع ولا يُسمع ، وأنَّ الشيخ زكي الدين أيضاً ترك الفتيا وقال : حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس إليَّ) .

(٢) انقطاع في العبارة في (أ ، ب) ، وفي « طبقات الشافعيين » لابن كثير (ص ٨٧٦) بعد أن ذكر وفاته قال : (وشيَّعه خلق كثير ، ورثاه جماعة بقصائد) ، وللسراج الورَّاق مرثيَّة فيه ذكرها الحافظ السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص ٢٩٢ـ٢٩٣) ، ولعل المؤلف أراد أن يذكرها فلم يتيسَّر له ذلك ؛ إذ كثيراً ما ينقل عن السراج الورَّاق في كتابنا هـٰذا ، وغالب هـٰذا النقل يكون إمَّا بالسماع وإمَّا بالإجازة وإمَّا بكليهما ، وانظر « صلة التكملة » (١/ ٣٩٣ـ٣٩٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٥٩ـ٢٦١) ، و« نزهة الأنام » (ص٢٤٦ـ٢٤٧) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ الوهابِ بنِ محمدِ بنِ عطيّةَ التنوخيُّ المنعوتُ بـ (التاجِ) الإسكندريُّ

سمعَ الكثيرَ : مِنْ أبي الفضلِ جعفرِ بنِ أبي الحسنِ الهَمْدانيِّ ، وأبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عبدِ المجيدِ الصَّفْراويِّ ، وكانَ فقيهاً أصوليّاً .

تُوفِّيَ تاسعَ جمادى الأولىٰ سنةَ سبعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٤١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٣٢٨) .

ومنهُمْ :

الإمامُ العالمُ الفاضلُ البارعُ شرفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ الفِهْريُّ التِّلِمْسانيُّ الأصلِ المصريُّ الدارِ والمولدِ والوفاةِ

نشأَ بمصرَ ، وقرأَ بها القرآنَ الكريمَ ، وقرأَ الفقهَ علىٰ مشايخِ وقتِهِ ، والأصولَيْنِ على التقيِّ المُقترَحِ ، ومهرَ فيهما وبرَعَ .

وسمعتُ غيرَ واحدٍ يقولُ : (كانَ قلمُ الشيخِ شرفٍ أفصحَ مِنْ لسانِهِ ، وكانَ لا يُجارَىٰ في البحثِ ، إلا أنَّهُ كانَ مُتثبِّتاً يبحثُ بتُؤَدَةٍ ، وكانَ يُفيدُ الطلبةَ ، ويُقرِّبُ لأذهانِهِم) .

ومهرَ في العلومِ ، وصنَّفَ التصانيفَ ؛ فشرحَ « المعالمَيْنِ » أحسنَ شرحٍ[١] ، وشرحَ « لمعَ الأدلةِ » لإمامِ الحرمينِ وأتمَّهُ ، وأتمَّ « شرحَ المُقترحِ لإرشادِ إمامِ الحرمينِ »[٢] ، وصنَّفَ في الخلافِ كتاباً سمَّاهُ : « إرشادَ السالكِ إلىٰ أبينِ المسالكِ » ، وشرحَ « التنبيهَ » لأبي إسحاقَ الشيرازيِّ ، وشرحَ « الجملَ » في النحوِ للزجَّاجِ ، ولهُ تعاليقُ في الخلافِ كثيرةٌ ، وفوائدُ .

وبالجملةِ : فانتفعَ عليهِ جماعةٌ مِنَ العلماءِ والفقهاءِ ، وتخرَّجَ بِهِ الجمُّ

---

(١) أي : « معالم أصول الدين » و« معالم أصول الفقه » ، وكلاهما للإمام الكبير الفخر الرازي رحمه الله تعالى . انظر « فهرسة اللبلي » (ص٢٥) ، وذكر الإمام السيوطي في « حسن المحاضرة » (٤١٣/٢) أنَّ له شرحين على « المعالم » للإمام محيي الدين القليوبي ، والصواب ما ذكرت .

(٢) وكان الإمام المقترح قد وصل فيه إلىٰ (بحث معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) انظر « فهرسة اللبلي » (ص٢٥) ، و« شرح الإرشاد » للمقترح (ص٥٢٢) .

الغفيرُ ، وكانَ حسنَ الديانةِ ، مستقيمَ الاعتقادِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ في صفرٍ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، أخبرَني بذلكَ صِهْرُهُ[1] .

* * *

---

(1) انظر « فهرسة اللبلي » (ص٢٣ـ٢٧) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (٢/ ١٥٢) ، ولم يعلما تاريخ وفاته ، وذكر الإمام السيوطي في « حسن المحاضرة » (١/ ٤١٣) أنه توفي سنة (٦٤٤هـ) ، ولعل ما أورده ابن المعلم ها هنا هو الصواب ؛ إذ ذكر اللبلي في « فهرسته » (ص١٢٤) أنَّ التلمساني حضر جنازة الخسروشاهي بدمشق سنة (٦٥٢هـ) ، وأيضاً الوفاة هنا منقولة عن أحد أقاربه اللصيقين به ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ ضياءُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الحكمِ بنُ زكيِّ الدينِ عبدِ المحسنِ الشافعيُّ

قرأَ العلمَ : على الضياءِ بنِ الورَّاقِ ، **وأكملَ أشغالَهُ** : على الفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ[1] ، وتولَّى الإعادةَ عندَهُ ، وكانَ عالماً بالأصولَينِ ، وأُجيزَ بالفتيا .

ومِنْ غريبِ ما اتَّفقَ لهُ : أنَّهُ التمسَ مِنَ الفقيهِ بهاءِ الدينِ الإجازةَ بالفتيا ، فقالَ لهُ : ما شُيِّخَ الإمامُ ، لا بدَّ لكَ أنْ يكونَ على ذكرِكَ كتابٌ مِنْ كتبِ العراقيينَ تنقلُهُ وتُفتي منهُ ؛ فإنَّ العراقيينَ أقعدُ بنقلِ المذهبِ ، فانقطعَ عنهُ مدَّةً لطيفةً ، ثمَّ أتاهُ وقالَ لهُ : هـٰذا « المُهذَّبُ » قد قطعتُهُ قراءةً ، وأرجو أنْ أكونَ ذاكراً لهُ ، فأخذَ عليهِ الشيخُ بهاءُ الدينِ مواضعَ منهُ ، فوجدَهُ ذاكراً لجميعِهِ .

أخبرَني الشيخُ شهابُ الدينِ بنُ قاضي دمياطَ قالَ : (رأيتُهُ عقيبَ الصلواتِ يدعو ويبتهلُ ، ويقولُ : يا ربِّ ؛ شيخٌ كبيرٌ ، وقد فَنِيَ عمري في الاشتغالِ بكتابِكَ العزيزِ ، وسنَّةِ نبيِّكَ عليهِ السلامُ ، وقراءةِ العلمِ ، أسألُكَ بكتابِكَ الكريمِ ، ونبيِّكَ نبيِّ الرحمةِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أنْ تُقيلَني عَثْرتي ، وأنْ تُحبِّبَ إليَّ ما حبَّبتَهُ إلى نبيِّكَ ، يا أللهُ . . . ويتضرَّعُ ويبتهلُ .

فقلتُ : يا سيِّدي الشيخَ ضياءَ الدينِ ؛ لي مدَّةٌ مديدةٌ وأنا أنظرُكَ تتضرَّعُ وتبتهلُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ولا أعلمُ مطلوبَكَ ، قالَ : يا ولدي ؛ لا تَسَلْني ؛

---

(١) وبهاء الدين ابن الجميزي سبقت ترجمته في (٢/ ٢٥ـ ٢٨) ، وهو من أقران العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى كما سبق في القصة التي أوردها المؤلف في ترجمته .

فإنِّي في ورطةٍ عظيمةٍ ، إنْ لم يُقِلْني اللهُ منها هلكتُ ، وبكىٰ بكاءً شديداً ، فقلتُ : باللهِ عليكَ ـ وأقسمتُ عليهِ بأقسامٍ عظيمةٍ ـ إلا ما أخبرْتَني .

فقالَ : يا ولدي ؛ صحَّ عنِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ يحبُّ الدُّبَّاءَ وأجدُ باطني لا يميلُ إليهِ بل أكرهُهُ ، فباللهِ عليكَ ؛ اجمعْ لي بمَنْ تعرفُهُ مِنَ الصالحينَ وسَلْهُ أنْ يسألَ اللهَ أنْ يُحبِّبَهُ إليَّ ، قالَ : فزُرتُ جماعةً مِنَ المشايخِ والصلحاءِ وأخبرْتُهُم عن حالِهِ ، فكانُوا يدعُونَ لهُ ، وهوَ يدعو اللهَ عزَّ وجلَّ ويتضرَّعُ ويبتهلُ إلىٰ أنْ أجابَ اللهُ دعاءَهُ .

فحضرَ معَنا ليلةً عندَ السِّنْجاريِّ ، فرأيتُهُ يُغالِبُنا علىٰ طبيخِ اليقطينِ كالسِّكْباجِ وغيرِها ، ويمعنُ منهُ ، فتعجَّبْنا لذلكَ !! فقالَ : واللهِ ؛ هوَ أحبُّ الأطعمةِ إليَّ اليومَ والحمدُ للهِ ، فعلمتُ أنَّ طالبَ العلمِ لا يُخيِّبُهُ اللهُ ، بل يحفظُهُ ويختمُ لهُ بالخيرِ) .

تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبي القاسمِ السُّلَميُّ الشافعيُّ

قلتُ : هوَ الغوثُ الحاضرُ ، بلِ الغيثُ الماطرُ ، الذي رَدَعَ البدعَ ، وقَمَعَ أهلَ الرياءِ والسُّمَعِ ، ولم يَزَلْ لأدواءِ القلوبِ طبيباً ، وبالثناءِ على اللهِ تعالىٰ مُنزِّهاً وخطيباً ، وهوَ الشمسُ أضاءَ ، فملأَ الفضاءَ ، أطلعَهُ اللهُ علىٰ رأسِ المئةِ السابعةِ حينَ كادَتْ حُصونُ الحقِّ أنْ تطرقَ ، وجيوشُ أهلِ السنَّةِ أنْ تتفرَّقَ وتفرقَ ، فجدَّدَ لهـٰذهِ الأمَّةِ أمرَ دينِها ، وكبتَ عدوَّ السنَّةِ وسرَّ خَدينَها[١] ، الناطقُ بالحقِّ حينَ صُمَّتِ الآذانُ وصمتَتِ الألسنةُ ، والقائمُ بالحقِّ يدرأُ السيئةَ بالحسنةِ ، طالما عُرِضَ عليهِ المالُ فنفَّرَهُ إباؤهُ فأباهُ[٢] ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِهِ لمَّا هداهُ واجتباهُ ، وردَّ على الملوكِ أوامرَهُم ، وهدىٰ إلى الحقِّ أكابرَهُم ، ولم يكنْ ذلكَ بلينٍ مِنَ الكلامِ ، ولا مداهنةٍ في المَلقىٰ والسلامِ ،

---

(١) الخَدين : الصاحب والصديق .

(٢) بل طالما بذل المال الكثير ، حتىٰ يجبر القلب الكسير ، وينالَ من الله الأجر الكبير ؛ قال الإمام التاج ابن السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢١٤) : (وحكىٰ قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة رحمه الله : أن الشيخ لما كان بدمشق وقع مرَّة غلاء كبير ، حتىٰ صارت البساتين تباع بالثمن القليل ، فأعطته زوجته مصاغاً لها ، وقالت : اشتر لنا به بستاناً نصيف به ، فأخذ ذلك المصاغ وباعه وتصدَّق بثمنه ، فقالت : يا سيدي ؛ اشتريت لنا ؟ قال : نعم ، بستاناً في الجنة ، إني وجدت الناس في شدة فتصدَّقت بثمنه ، فقالت له : جزاك الله خيراً . وحكي أنه كان مع فقره كثيرَ الصدقات ، وأنه ربَّما قطع من عمامته وأعطىٰ فقيراً يسأله إذا لم يجد معه غير عمامته) .

بل يدخلُ راكباً إلىٰ إيوانِهم ، إعزازاً للعلمِ في أذهانِهم ، وهم معَ ذلكَ يُقابِلُونَـهُ بالتعظيمِ والتبجيلِ ، ويُحلُّونَهُ إذْ يُجلُّونَهُ فوقَ الرؤوسِ كما يستحقُّهُ محلُّهُ الجليلُ ، ويتبرَّكُونَ بتقبيلِ بَنانِهِ ، ويتلقَّفُونَ صوبَ الصوابِ مِنْ هُدَىٰ فُتياهُ وهَدْيِ بيانِهِ ، ومناقبُهُ أكثرُ مِنْ أنْ تُحصَرَ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ العالمَ وجيهَ الدينِ أبا محمدٍ عبدَ الوهابِ بنَ حسينٍ يقولُ : (كانَ الشيخُ عزُّ الدينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : مَضَتْ لي ثلاثونَ سنةً لا أنامُ كلَّ ليلةٍ إلا بعدَ أنْ أُمِرَّ أبوابَ الشريعةِ علىٰ خاطري) .

وكانَ يقولُ عنهُ : (إنَّهُ كانَ يقولُ : ما احتجتُ في علمٍ مِنَ العلومِ إلىٰ أنْ أُكمِلَهُ على الشيخِ الذي كنتُ أقرؤُهُ عليهِ ، وما توسَّطتُ علىٰ شيخٍ مِنَ المشايخِ الذينَ كنتُ أقرأُ عليهِم في علمٍ إلا وقالَ ليَ الشيخُ : قدِ استغنيتَ عنِّي ، فاشتغلْ معَ نفسِكَ ، ولم أَقْنَعْ بذلكَ ، بل لا أبرحُ حتىٰ أُكمِلَ الكتابَ الذي أقرؤُهُ في ذلكَ العلمِ) .

صنَّفَ الشيخُ عزُّ الدينِ الكتبَ في سائرِ العلومِ[1] ؛ فمِنْ ذلكَ : « كتابُهُ في التفسيرِ » ، وقفتُ عليهِ بخطِّهِ في مجلدٍ ضخمٍ بخطٍّ دقيقٍ يكونُ تقديرَ مجلدينِ ، تكلَّمَ فيهِ على المعاني مُختصَراً .

ومنها : اختصارُهُ لـ « صحيحِ مسلمِ بنِ الحجاجِ القُشيريِّ » ، وقفتُ عليهِ بخطِّهِ ، وقُرِئَ في درسِ الإمامِ وجيهِ الدينِ بحضوري ، وكملَ عليهِ مرتينِ .

ومنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « المجازِ » ، ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « قواعدِ الإسلامِ »[2] ، ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ في « مناسكِ الحجِّ » ، ومِنْ ذلكَ :

---

(١) انظر تعداد هـٰذه المؤلفات في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٢٤٧ـ٢٤٨) .

(٢) قال الإمام التاج السبكي في « الطبقات » (٨/٢٤٧) عن هـٰذا الكتاب والذي قبله : (وهـٰذان الكتابان شاهدان بإمامته وعظيم منزلته في علوم الشريعة) .

كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « الغايةِ في اختصارِ النهايةِ »[1] ، **ومِنْ ذلكَ** : كتابُهُ الذي تكلَّمَ فيهِ على الإيمانِ ووجوهِهِ ومعانيهِ ، وفرَّقَ بينَهُ وبينَ الإسلامِ ، **ومِنْ ذلكَ** : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « بدايةَ السولِ في تفضيلِ الرسولِ » .

ولهُ كتابٌ مفردٌ في الصومِ وفضلِهِ والكلامِ فيهِ ، **ومِنْ ذلكَ** : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « مقاصدَ الصلاةِ » .

عقيدة العزّ بن عبد السلام في مسألة الكلام المسمّاة : « الملحة في اعتقاد أهل الحق »[2]

ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « الملحةِ في تصحيحِ العقيدةِ »[3] .

أخبرَني المشايخُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرانَ الحسينيُّ[4] ، والشيخُ العارفُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ ابنُ النعمانِ ، والشيخُ رضيُّ الدينِ محمدُ بنُ عمرَ القَسَنْطِينيُّ ، والشيخُ نورُ الدينِ عليُّ بنُ أبي الوحشِ بنِ أحمدَ العينيُّ ـ مِنْ رأسِ عينٍ ـ وغيرُ واحدٍ مِنْ أصحابِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ؛ قالُوا كلُّهُم :

قالَ الشيخُ الإمامُ العالمُ الفقيهُ بقيَّةُ السلفِ ، عمدةُ الخلفِ ، شيخُ

---

(١) أي : « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني .

(٢) وهـٰذه العقيدة عبارة عن فتوىٰ أرسلها بعض المشبهة امتحاناً وافتتاناً للإمام ابن عبد السلام حتىٰ يسقطوا موضعه عند السلطان ، وكان الإمام قد اتصل به ذلك ، فلما جاءته الفتيا قال : (هـٰذه الفتيا كُتبت امتحاناً لي ، والله ؛ لا كتبت فيها إلا ما هو الحق) ، وهـٰذه الفتنة التي تعرض لها الإمام كانت في دمشق قبل قدومه إلىٰ مصر ، وألَّف ابنه عبدُ اللطيف بأمر منه مُصنَّفاً ذكر فيه المحنة التي تعرض لها والده ، وسماه : « إيضاح الكلام فيما جرىٰ للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام » ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢١٨) ، وما سيأتي في (٢/ ٥٠٠ـ ٥١٩) .

(٣) أو « الملحة في اعتقاد أهل الحق » كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٣٩) .

(٤) كذا في (أ، ب)، وانظر ما سيأتي تعليقاً (٢/ ٢٠٧) .

الإسلام ، عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ الشافعيُّ السُّلَميُّ رضيَ اللهُ عنهُ :

(الحمدُ للهِ ذي العِزَّةِ والجلالِ ، والقدرةِ والكمالِ ، والإنعامِ والإفضالِ ، الواحدِ الأحدِ ، الفردِ الصمدِ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكنْ لهُ كُفُواً أَحَدٌ ، وليسَ بجسمٍ مُصوَّرٍ ، ولا جوهرٍ محدودٍ مُقدَّرٍ ، ولا يُشبِهُ شيئاً ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ ، ولا تُحيطُ بهِ الجهاتُ ، ولا تكتنفُهُ الأرَضُونَ ولا السماواتُ ، كانَ قبلَ أنْ كوَّنَ المكانَ ودبَّرَ الزمانَ ، وهوَ الآنَ علىٰ ما عليهِ كانَ .

خلقَ الخلقَ وأعمالَهُم ، وقدَّرَ أرزاقَهُم وآجالَهُم ؛ فكلُّ نعمةٍ منهُ فهيَ فضلٌ ، وكلُّ نِقْمةٍ فهيَ عدلٌ ، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

استوىٰ على العرشِ المجيدِ على الوجهِ الذي قالَهُ ، وبالمعنى الذي أرادَهُ ، استواءً مُنزَّهاً عنِ المُماسَّةِ والاستقرارِ ، والتمكُّنِ والحلولِ والانتقالِ ، فتعالى اللهُ الكبيرُ المتعالِ ، عمَّا يقولُهُ أهلُ الغيِّ والضلالِ ، بل لا يحملُهُ العرشُ ، بلِ العرشُ وحَمَلَتُهُ محمولُونَ بلطفِ قدرتِهِ ، ومقهورُونَ في قبضتِهِ ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً ، وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عدداً ، مُطَّلِعٌ علىٰ هواجسِ الضمائرِ ، وحركاتِ الخواطرِ .

حيٌّ ، مُريدٌ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، عليمٌ ، قديرٌ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، ولا يُتصوَّرُ في كلامِهِ أنْ ينقلبَ مِداداً في الألواحِ والأوراقِ ، شَكْلاً ترمقُهُ العيونُ والأحداقُ ، كما زعمَ أهلُ الحشوِ والنفاقِ ، بلِ الكتابةُ مِنْ أفعالِ العبادِ ، ولا يُتصوَّرُ في أفعالِهم أنْ تكونَ قديمةً ، ويجبُ احترامُها لدَلالتِها علىٰ كلامِهِ ، كما يجبُ احترامُ أسمائِهِ لدَلالتِها علىٰ ذاتِهِ ، وحُقَّ لما دلَّ عليهِ وانتسبَ إليهِ أنْ يُعتقَدَ [عظمتُهُ] ، وتُرعىٰ حُرْمتُهُ ؛ ولذلكَ

يجبُ احترامُ الكعبةِ والأنبياءِ ، والعُبَّادِ والعلماءِ .

أَمُـرُّ عَلَـى ٱلـدِّيَـارِ دِيَـارِ لَيْلَـىٰ أُقَبِّلُ ذَا ٱلْجِـدَارَ وَذَا ٱلْجِـدَارَا[1]

ولمثلِ ذلكَ يُقبَّلُ الحجرُ الأسودُ ، ويحرمُ على المُحدِثِ أنْ يمسَّ المصحفَ ؛ أسطرَهُ وحواشيَهُ التي لا كتابةَ فيها ، وجلدَهُ وخريطتَهُ التي هوَ فيها ، فويلٌ لمَنْ زَعَمَ أنَّ كلامَ اللهِ القديمَ شيءٌ مِنْ ألفاظِ العبادِ ، أو رسمٌ مِنْ أشكالِ المِدادِ .

واعتقادُ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ مُشتمِلٌ على ما دلَّتْ عليهِ أسماءُ اللهِ التسعةُ والتسعونَ ، التي سمَّىٰ بها نفسَهُ في كتابِهِ وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأسماؤُهُ مُندرِجةٌ في أربعِ كلماتٍ ؛ هُنَّ الباقياتُ الصالحاتُ :

الكلمةُ الأولىٰ : قولُ : « سبحانَ اللهِ » ، ومعناها في كلامِ العربِ : التنزيهُ والسَّلْبُ ، فهيَ مُشتمِلةٌ على سلبِ النقصِ والعيبِ عن ذاتِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ ؛ فما كانَ مِنْ أسمائِهِ سلباً فهوَ مُندرِجٌ تحتَ هٰذهِ [الكلمةِ] ؛ كالقُدُّوسِ ؛ وهوَ الطاهرُ مِنْ كلِّ عيبٍ ، والسلامِ ؛ وهوَ الذي سَلِمَ مِنْ كلِّ آفةٍ .

الكلمةُ الثانيةُ : قولُ : « الحمدُ للهِ » ، وهيَ مشتملةٌ على إثباتِ ضروبِ الكمالِ لذاتِهِ وصفاتِهِ ؛ فما كانَ مِنْ أسمائِهِ إثباتاً ؛ كالعليمِ والقادرِ والقديرِ والسميعِ والبصيرِ . . فهوَ مُندرِجٌ تحتَ الكلمةِ الثانيةِ .

فقد نفَينا بقولِنا : « سبحانَ اللهِ » كلَّ عيبٍ عَقَلْناهُ ، وكلَّ نقصٍ فَهِمْناهُ ، وأثبتْنا بـ« الحمدُ للهِ » كلَّ كمالٍ عَرَفْناهُ ، وكلَّ جلالٍ أدركْناهُ .

---

(١) البيت لمجنون ليلىٰ قيس بن الملوح ، كما في « خزانة الأدب » (٤/٢٢٨) ، و« زهر الأكم » (٣/٧٦) ، وليس في « ديوانه » الذي برواية أبي بكر الوالبي ، وهو من الوافر .

ووراءَ ما نَفَيناهُ وأثبتْناهُ شأنٌ عظيمٌ ، قد غابَ عنَّا وجَهِلْناهُ ، فنُحقِّقُهُ مِنْ جهةِ الإجمالِ بقولِنا : « اللهُ أكبرُ » وهيَ الكلمةُ الثالثةُ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ أجلُّ ممَّا نفَيناهُ وأثبتْناهُ ؛ وذلكَ معنىٰ قولِهِ عليهِ السلامُ : « لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ »[1] ، فما كانَ مِنْ أسمائِهِ مُتضمِّناً لمدحٍ فوقَ ما عَرَفْناهُ وأدركْناهُ ؛ كالأعلىٰ والمُتعالي . . فهوَ مُندرِجٌ تحتَ قولِنا : « اللهُ أكبرُ » .

فإذا كانَ في الوجودِ مَنْ هـٰذا شأنُهُ نَفَينا أنْ يكونَ في الوجودِ مَنْ يُشاكِلُهُ أو يُناظِرُهُ ، فحقَّقْنا ذلكَ بقولِنا : « لا إلـٰهَ إلا اللهُ » ، وهيَ الكلمةُ الرابعةُ ؛ فإنَّ الألوهيَّةَ ترجعُ إلى استحقاقِ العبوديَّةِ لهُ ، ولا يستحقُّ العبوديَّةَ إلا مَنِ اتَّصفَ بجميعِ ما ذكرْناهُ .

فما كانَ مِنْ أسمائِهِ مُتضمِّناً للجميعِ على الإجمالِ ؛ كالواحدِ والأحدِ وذي الجلالِ والإكرامِ . . فهوَ مُندرِجٌ تحتَ قولِنا : « لا إلـٰهَ إلا اللهُ » ، وإنَّما يستحقُّ العبوديَّةَ ؛ لما وَجَبَ لهُ مِنْ أوصافِ الجلالِ ، ونعوتِ الكمالِ ، الذي لا يصفُهُ الواصفُونَ ، ولا يعُدُّهُ العادُّونَ .

حُسْنُكَ لاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ... كَالْبَحْرِ حَدِّثْ عَنْهُ بِلاَ حَرَجِ[2]

فسبحانَ مَنْ عَظُمَ شانُهُ ، وعزَّ سلطانُهُ !! يسألُهُ مَنْ في السماواتِ والأرضِ ؛ لافتقارِهِم إليهِ ، كلَّ يومٍ هوَ في شأنٍ ؛ لاقتدارِهِ عليهِ ، لهُ الخلقُ والأمرُ ، والسلطانُ والقهرُ ؛ فالخلائقُ مقهورُونَ في قبضتِهِ ، والسماواتُ مَطْويَّاتٌ بيمينِهِ ، يُعذِّبُ مَنْ يشاءُ ويرحمُ مَنْ يشاءُ ، وإليهِ تُقلَبُونَ .

فسبحانَ الأزليِّ الذاتِ والصفاتِ ، ومُحيي الأمواتِ ، وجامعِ الرُّفاتِ ، العالِمِ بما كانَ وما هوَ آتٍ !!

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) البيت للشريف المرتضىٰ في « ديوانه » (١/ ٢٤٢) ، وهو من المنسرح .

ولو أُدرِجَتِ **الباقياتُ الصالحاتُ** في كلمةٍ منها على سبيلِ الإجمالِ ؛ وهيَ : « الحمدُ للهِ » . . لاندرجَتْ فيها ؛ كما قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « لو شئتُ أنْ أُوقِرَ بعيراً مِنْ قولِكَ : الحمدُ للهِ . . فعلتُ »[1] ؛ فإنَّ الحمدَ هوَ الثناءُ ، والثناءُ يكونُ بإثباتِ الكمالِ تارةً ، وبسلبِ النقصِ أخرىٰ ، وتارةً بالاعترافِ بالعجزِ عن دَرْكِ الإدراكِ ، وتارةً بإثباتِ التفرُّدِ بالكمالِ ، والتفرُّدُ بالكمالِ مِنْ أعلىٰ مراتبِ المدحِ والكمالِ .

فقدِ اشتملَتْ هـٰذهِ الكلمةُ علىٰ ما ذكرْنا في الباقياتِ الصالحاتِ ؛ لأنَّ الألفَ واللامَ فيها لاستغراقِ جنسِ المدحِ والحمدِ ممَّا علمْناهُ وجَهِلْناهُ ، ولا خروجَ للمدحِ عن شيءٍ ممَّا ذكرْناهُ ، ولا يستحقُّ الإلـٰهيَّةَ إلا مَنِ اتَّصفَ بجميعِ ما قرَّرْناهُ .

ولا يخرجُ عن هـٰذا اعتقادُ مَلَكٍ مُقرَّبٍ ، ولا نبيٍّ مُرسَلٍ ، ولا أحدٍ مِنْ أهلِ المِلَلِ ، إلا مَنْ خذلَهُ اللهُ ، فاتَّبعَ هواهُ ، وعصىٰ مولاهُ ، أولـٰئكَ قومٌ قد غمرَهُم ذُلُّ الحجابِ ، وطُرِدُوا عنِ البابِ ، وقعدوا عن ذلكَ الجَنابِ[2] ، وحُقَّ لمَنْ حُجِبَ في الدنيا عن إجلالِهِ ومعرفتِهِ ، أنْ يُحجَبَ في الآخرةِ عن إكرامِهِ ورؤيتِهِ .

اِرْضَ لِمَـنْ غـابَ عَنْـكَ غَيْبَتَـهُ ⁂ فَـذاكَ ذَنْـبٌ عِقـابُـهُ فيـهِ[3]

فهـٰذا إجمالٌ مِنِ اعتقادِ الأشعريِّ ، واعتقادِ السلفِ ، وأهلِ الطريقةِ والحقيقةِ ، نسبتُهُ إلى التفصيلِ الواضحِ ، كنسبةِ القطرةِ إلى البحرِ الطافحِ .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/١٥٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/٣٠٢) بلفظ : (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير « فاتحة الكتاب ») .

(٢) في « طبقات الشافعية الكبرى » : (وبعدوا) بدل (وقعدوا) .

(٣) البيت لابن التلميذ الطبيب في « عيون الأنباء » (ص٣٦٢) ، و« وفيات الأعيان » (٦/٧٠) ، وهو من المنسرح .

يَعْرِفُهُ ٱلْبَاحِثُ مِنْ جِنْسِهِ ... وَسَائِرُ ٱلنَّاسِ لَهُ مُنْكِرُ
لَقَدْ ظَهَرْتَ فَلاَ تَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ ... إلا عَلَىٰ أَكْمَهٍ لاَ يَعْرِفُ ٱلْقَمَرَا[1]

والحشويَّةُ المُشبِّهةُ الذينَ يُشبِّهُونَ اللهَ بخلقِهِ ضربانِ :

أحدُهُما : لا يتحاشىٰ مِنْ إظهارِ الحشوِ ، ويحسبُونَ أنَّهُم علىٰ شيءٍ ، أَلا إنَّهُم همُ الكاذبُونَ .

والآخرُ : يتستَّرُ بمذهبِ السلفِ ؛ لسُحتٍ يأكلُهُ ، أو حُطامٍ يأخذُهُ .

أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ نُسْكاً ... وَعَلَىٰ ٱلْمَنْقُوشِ دَارُوا[2]

يريدُونَ أنْ يأمنُوكُم ويأمنُوا قومَهُم .

ومذهبُ السلفِ : إنَّما هوَ التوحيدُ والتنزيهُ ، دونَ التشبيهِ والتجسيمِ .

وكذلكَ جميعُ المبتدعةِ يزعمُونَ أنَّهُم علىٰ مذهبِ السلفِ ، وهم كما قالَ القائلُ : [من الوافر]

وَكُلٌّ يَدَّعُونَ وِصَالَ لَيْلَىٰ ... وَلَيْلَىٰ لا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا[3]

وكيفَ يُدَّعىٰ على السلفِ أنَّهُم يعتقدُونَ التجسيمَ والتشبيهَ، أو يسكتُونَ عندَ ظهورِ البدعِ ويخالفُونَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢]، وقولَهُ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقولَهُ: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]؟!

---

(١) البيت الأول أورده سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » (١٥/ ٤٤٣) ، وهو من السريع ، والبيت الثاني لذي الرمة في « ديوانه » (ص٩٤) ، وهو من البسيط .

(٢) أورده الجاحظ في « الحيوان » (٣/ ٤٦٧) ، وعزاه للعلاء بن الجارود ، وبنحوه ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٣/ ١٦٩) ، وعزاه لمحمود الوراق ، وهو من مجزوء الرمل ، والمنقوش : الدينار .

(٣) أورده ابن أبي حجلة في « ديوان الصبابة » (ص٤) .

والعلماءُ ورثةُ الأنبياءِ ، فيجبُ عليهم مِنَ البيانِ ما وجبَ على الأنبياءِ ؛ فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، **ومِنْ أنكرِ المُنكراتِ التجسيمُ والتشبيهُ** ، ومِنْ أفضلِ المعروفِ التوحيدُ والتنزيهُ ، وإنَّما سكتَ السلفُ قبلَ ظهورِ البِدَعِ .

فوربِّ السماءِ ذاتِ الرَّجْعِ ، والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ ؛ لقد تشمَّرَ السلفُ للبدعِ لمَّا ظهرَتْ ، فقمعُوها أتمَّ القَمْعِ ، وردعُوا أهلَها أشدَّ الرَّدْعِ ، فردُّوا على القَدَريَّةِ والجَهْميَّةِ والجَبْريَّةِ وغيرِهم مِنْ أهلِ البِدَعِ ، فجاهدُوا في اللهِ حقَّ جهادِهِ ، **والجهادُ ضربانِ** : ضربٌ بالجدلِ والبيانِ ، وضربٌ بالسيفِ والسِّنانِ .

فليتَ شعري !! ما الفرقُ بينَ مُجادَلةِ الحشويَّةِ وغيرِهم مِنْ أهلِ البدعِ لولا خُبْثٌ في الضمائرِ ، وسوءُ اعتقادٍ في السرائرِ ؟! ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء : ١٠٨] .

فإذا سُئِلَ أحدُهُم عن مسألةٍ مِنْ مسائلِ الحشوِ . . أمرَ بالسكوتِ [عنْ] ذلكَ ، وإذا سُئِلَ عن غيرِ الحشوِ مِنَ البدعِ . . أجابَ فيهِ بالحقِّ ، ولولا ما انطوىٰ عليهِ باطنُهُ مِنَ التجسيمِ والتشبيهِ . . لأجابَ في مسائلِ الحشوِ بالتوحيدِ والتنزيهِ[1] .

ولم تَزَلْ هٰذهِ الطائفةُ المُبتدِعةُ قد ضُرِبَتْ عليهِمُ الذِّلَّةُ أينما ثُقِفُوا ، كلَّما أوقدُوا ناراً للحربِ أطفأَها اللهُ ، ويسعَوْنَ في الأرضِ فساداً ، واللهُ لا يُحِبُّ

---

(١) وسبق في (١/ ٢٩٣) قوله لأبي عبد الله الكركي شيخ المصنف : (ومن قال : « أنا لا أؤول ، إنما أنا على مذهب السلف أومن بها على ما جاءت » ، وسرد العبارات التي يصادم بها الحشوية . . فاعلم أنه في الباطن يقول بالظاهر ، ويعتقد مذهب الحشوية والمجسمة) .

المفسدينَ ، لا تلوحُ لهُم فُرْصةٌ إلا طارُوا إليها ، ولا فتنةٌ إلا أكبُّوا عليها .

وابنُ حنبلٍ وأصحابُهُ وسائرُ فضلاءِ علماءِ السلفِ . . بُرآءُ ممَّا نسبُوهُ إليهِم واختلقُوهُ عليهِم ، وكيفَ يُظَنُّ بأحمدَ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ أنْ يعتقدُوا أنَّ وصفَ اللهِ القديمَ القائمَ بذاتِهِ هوَ عينُ لفظِ اللافظينَ ، ومِدادِ الكاتبينَ ؟! معَ أنَّ وصفَ اللهِ قديمٌ ، وهـٰذهِ الألفاظُ والأشكالُ حادثةٌ بضرورةِ العقلِ وصريحِ النقلِ ، وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حدوثِها في ثلاثةِ مواضعَ مِنْ كتابِهِ :

الموضعُ الأولُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء : ٢] ، فجعلَ الآتيَ مُحدَثاً ، فمَنْ زعمَ أنَّهُ قديمٌ فقد ردَّ على اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وإنَّما هـٰذا المُحدَثُ دليلٌ على القديمِ ، كما أنَّا إذا كتبْنا اسمَ اللهِ عزَّ وجلَّ في ورقةٍ لم يكُنِ الربُّ القديمُ حالّاً تلكَ الورقةَ . . فكذلكَ إذا كُتِبَ الوصفُ القديمُ في شيءٍ ؛ لم يحلَّ الوصفُ القديمُ حيثُ حلَّتِ الكتابةُ .

الموضعُ الثاني : قولُهُ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة : ٣٨ـ٤٠] ، وقولُ الرسولِ صفةٌ للرسولِ ، ووصفُ الحادثِ حادثٌ يدُلُّ على الكلامِ القديمِ ، فمَنْ زعمَ أنَّ قولَ الرسولِ قديمٌ فقد ردَّ علىٰ ربِّ العالمينَ .

ولم يقتصرْ سبحانَهُ على الإخبارِ بذلكَ حتىٰ أقسمَ علىٰ ذلكَ بأتمِّ الإقسامِ ؛ فقالَ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ أي : تُشاهِدُونَ ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي : ما لا تَرَونَهُ ، واندرجَ في هـٰذا القَسَمِ صفاتُهُ ، وغيرُ ذلكَ مِنْ مخلوقاتِهِ .

الموضعُ الثالثُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ * وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير : ١٥ـ١٩] .

والعجبُ ممَّنْ يقولُ : « القرآنُ مُركَّبٌ مِنْ حروفٍ وأصواتٍ » ، ثمَّ يزعمُ أنَّهُ في المصحفِ !! وليسَ في المصحفِ إلا حرفٌ مُجرَّدٌ لا صوتَ معَهُ ؛ إذْ

ليسَ فيهِ حرفٌ مُتكوِّنٌ عن صوتٍ ؛ فإنَّ الحرفَ اللفظيَّ ليسَ هوَ الشكلَ الكتابيَّ ؛ ولذلكَ يُدرَكُ الحرفُ اللفظيُّ بالآذانِ ولا يُشاهَدُ بالعِيانِ ، ويُشاهَدُ الشكلُ الكتابيُّ بالعِيانِ ولا يُسمَعُ بالآذانِ ، ومَنْ توقَّفَ في ذلكَ لم يُعَدَّ مِنَ العقلاءِ ، فضلاً عنِ العلماءِ ، **فلا كثَّرَ اللهُ في المسلمينَ مِنْ أهلِ البدعِ والأهواءِ ، والإضلالِ والإغواءِ .**

ومَنْ قالَ بأنَّ الوصفَ القديمَ حالٌّ في المصحفِ . . لزِمَهُ إذا احترقَ المُصحفُ أنْ يقولَ بأنَّ وصفَ اللهِ القديمَ احترقَ ، سبحانَهُ وتعالىٰ عمَّا يقولُونَ عُلُوّاً كبيراً !! ومِنْ شأنِ القديمِ ألا يلحقَهُ تغيُّرٌ ولا عدمٌ ؛ فإنَّ ذلكَ مُنافٍ للقِدَمِ .

فإن زعمُوا أنَّ القرآنَ مكتوبٌ في المصحفِ غيرُ حالٍّ فيهِ كما يقولُهُ الأشعريُّ . . فلِمَ يلعنُونَ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ ؟! وإنْ قالُوا بخلافِ ذلكَ ، فانظُرْ كيفَ يفترُونَ على اللهِ الكذبَ وكفىٰ بهِ إثماً مبيناً ، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

وأمَّا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : ٧٧ـ ٧٨] . . فلا خلافَ بينَ أئمَّةِ العربيَّةِ أنَّهُ لا بدَّ مِنْ كلمةٍ محذوفةٍ يتعلَّقُ بها قولُهُ : ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ، ويجبُ القطعُ بأنَّ ذلكَ المحذوفَ تقديرُهُ : مكتوبٌ في كتابٍ مكنونٍ ؛ لما ذكرْناهُ ، وما دلَّ عليهِ العقلُ الشاهدُ بالوَحدانيَّةِ وبصحَّةِ الرسالةِ ، وهوَ مَناطُ التكليفِ بإجماعِ المسلمينَ .

وإنَّما لم يُستدَلَّ بالعقلِ على القومِ ـ وكفىٰ بهِ شاهداً ـ لأنَّهُم لا يسمعُونَ شهادتَهُ ، معَ أنَّ الشرعَ قد عدَّلَ العقلَ وقَبِلَ شهادتَهُ ، واستدلَّ بهِ في مواضعَ مِنْ كتابِهِ ؛ كالاستدلالِ بالإنشاءِ على الإعادةِ ، وكقولِهِ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، وقولِهِ : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا

خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، وقولِهِ : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

فيا خيبةَ مَنْ ردَّ شاهداً قِبلَهُ اللهُ ، وأسقطَ دليلاً نصبَهُ [اللهُ] ، وهم يرجعُونَ إلى المنقولِ ؛ فلذلكَ استدلَلْنا بالمنقولِ وتركْنا المعقولَ كَميناً ؛ إنِ احتجْنا إليهِ أبرزْناهُ ، وإنْ لم نحتجْ إليهِ أخَّرناهُ .

وقد جاءَ في الحديثِ : « مَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ وَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يُعْرِبْهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ »(١) ، والقديمُ لا يكونُ مَعِيباً باللحنِ وكاملاً بالإعرابِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات : ٣٩] ، وإذا أخبرَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّا نُجزىٰ علىٰ قراءةِ القرآنِ . . دلَّ علىٰ أنَّهُ مِنْ أعمالِنا ، وليسَتْ أعمالُنا بقديمةٍ .

وإنَّما أُتِيَ القومُ مِنْ قِبَلِ جهلِهِم بكتابِ اللهِ ، وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولسانِ العربِ ، وسَخافةِ العقلِ ، وبَلادةِ الذهنِ ؛ فإنَّ القرآنَ لفظٌ يُطلَقُ في الشرعِ واللسانِ على الوصفِ القديمِ ، ويُطلَقُ على القراءةِ الحادثةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة : ١٧] أرادَ بـ« قرآنَهُ » : قراءتَهُ ؛ إذْ ليسَ للقرآنِ قرآنٌ آخرُ ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة : ١٨] أي : قراءتَهُ ؛ فالقراءةُ غيرُ المقروءِ ، والقراءةُ حادثةٌ ، والمقروءُ قديمٌ ، كما أنَّا إذا ذكَرْنا اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ كانَ الذكرُ حادثاً ، والمذكورُ قديماً .

[فهٰذِهِ] نبذةٌ مِنْ مذهبِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإِنَّ ٱلْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ(٢)

---

(١) أخرجه بنحوه الخطيب في « المتفق والمفترق » (١٤٥٤) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والطبراني في « الأوسط » (٤٩٢٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .
(٢) سبق تخريجه (١/٥٨٧) .

والكلامُ في مثلِ هـٰذا يطولُ ، ولولا ما وجبَ على العلماءِ مِنْ إعزازِ الدينِ ، وإخمالِ المُبتدعِينَ ، وما طوَّلَتْ بهِ الحشويَّةُ ألسنتَهُم في هـٰذا الزمانِ مِنَ الطعنِ في أعراضِ المُوحِّدينَ ، والإزراءِ على كلامِ المُنزِّهينَ . . لَمَا أطلْتُ النَّفَسَ في مثلِ هـٰذا الموضعِ معَ اتِّضاحِهِ ، ولـٰكنْ قد أمرَ اللهُ بالجهادِ في نصرةِ دينِهِ ؛ إلا أنَّ سلاحَ العالمِ علمُهُ ولسانُهُ ، كما أنَّ سلاحَ المَلِكِ سيفُهُ وسِنانُهُ ، وكما لا يجوزُ للملوكِ إغمادُ أسلحتِهم عنِ المُلحدينَ والمشركينَ . . لا يجوزُ للعلماءِ إغمادُ ألسنتِهم عنِ الزائغينَ والمبتدعينَ .

فمَنْ ناضلَ عنِ اللهِ وأظهرَ دينَ اللهِ كانَ جَدِيراً أنْ يحرسَهُ اللهُ بعينِهِ التي لا تنامُ ، ويُعِزَّهُ بعزِّهِ الذي لا يُضامُ ، ويحوطَهُ بُركنِهِ الذي لا يُثلَمُ ولا يُرامُ ، ويحفظَهُ مِنْ جميعِ الأنامِ، ولو شاءَ لانتصرَ منهُم ، ولـٰكن ليبلوَ بعضَكم ببعضٍ .

وما زالَ المُنزِّهُونَ والمُوحِّدُونَ يُفتُونَ بذلكَ على رؤوسِ الأشهادِ في المحافلِ والمشاهدِ ، ويجهرُونَ بهِ في المدارسِ والمساجدِ ، وبدعةُ الحشويَّةِ كامنةٌ خَفيَّةٌ لا يتمكَّنُونَ مِنَ المُجاهَرةِ بها ، بل يدُسُّونَها إلى جهلةِ العوامِّ ، وقد جهرُوا بها في هـٰذا الأوانِ ، فنسألُ اللهَ أنْ يُعجِّلَ بإخمالِها على عادتِهِ ، ويقضيَ بإذلالِها كما سبقَ مِنْ سنَّتِهِ .

وعلى طريقةِ المُنزِّهينَ والمُوحِّدينَ ، درجَ السلفُ والخَلَفُ رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ .

والعَجَبُ : أنَّهُم يذمُّونَ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ بقولِهِ : « إنَّ الخُبْزَ لا يُشبِعُ ، والماءَ لا يُروِي ، والنارَ لا تُحرِقُ »[1] ، وهـٰذا كلامٌ أنزلَ اللهُ تعالى معناهُ في

---

(١) وهـٰذا الاعتقاد من جملة ما هوَّله وضخَّمه بعض أعداء العز بن عبد السلام للملك الأشرف ، وهـٰؤلاء هم مبتدعة الحنابلة القائلون بالحرف والصوت . انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٢١٨/٨) .

كتابِهِ !! فإنَّ الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ حوادثُ انفردَ الربُّ سبحانَهُ وتعالىٰ بخلقِها ، فلم يخلُقِ الخبزَ للشِّبَعِ ، ولم يخلقِ الماءَ للرِّيِّ ، ولم يخلقِ النارَ للإحراقِ ، وإنْ كانَتْ أسباباً في ذلكَ والخالقُ هوَ المُسبِّبُ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، نفىٰ أنْ يكونَ رسولُهُ خالقاً للرمي وإنْ كانَ سبباً فيهِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۞ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم : ٤٣ـ٤٤] ، فاقتطعَ الإضحاكَ والإبكاءَ والإماتةَ والإحياءَ عن أسبابِها وأضافَها إليهِ ؛ فكذلكَ قطعَ الأشعريُّ رحمَهُ اللهُ الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ عن أسبابِها وأضافَها إلىٰ خالقِها ؛ لقولِهِ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] ، وقولِهِ : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس : ٣٩] ، ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٤] .

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ[1]

فسبحانَ مَنْ رضيَ عن قومٍ فأدناهُم ، وسَخِطَ علىٰ آخرينَ فأقصاهُم !! لا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهم يُسألُونَ .

وعلى الجملةِ : فينبغي لكلِّ عالمٍ إذا أُذِلَّ الحقُّ وأُخمِلَ الصوابُ . . أنْ يبذُلَ جهدَهُ في نصرِهِما ، وأنْ [يجعلَ] نفسَهُ بالذُّلِّ والخمولِ أولىٰ منهُما ، وإنْ عَزَّ الحقُّ وظهرَ الصوابُ أنْ يستظلَّ بظلِّهِما ، وأنْ يكتفيَ باليسيرِ مِنْ رَشاشِ غيرِهِما .

قَلِيلٌ مِنْكِ يَنْفَعُنِي وَلَٰكِنْ قَلِيلُكِ لاَ يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ[2]

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي في « ديوانه » (٤/ ١٢٠) ، وهو من الوافر .

(٢) في (ب) : (يكفيني) بدل (ينفعني) ، والبيت أورده أبو العلاء المعري في « معجز أحمد » (١/ ١٧) ، وعزاه في « معاهد التنصيص » (٣/ ٢٥٩) لأبي نصر الميكالي ، وهو=

والمُخاطَرةُ بالنفوسِ مشروعةٌ في إعزازِ الدينِ ؛ ولذلكَ يجوزُ للرجلِ مِنَ المسلمينَ أنْ ينغمسَ في صفوفِ المشركينَ[١] ، وكذلكَ المُخاطَرةُ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ونصرةِ قواعدِ الدينِ بالحُجَجِ والبراهينِ : فمَنْ خَشِيَ علىٰ نفسِهِ سقَطَ عنهُ الوجوبُ وبقيَ الاستحبابُ ، ومَنْ قالَ بأنَّ التغريرَ بالنفوسِ لا يجوزُ فقد بَعُدَ عنِ الحقِّ ونأىٰ عنِ الصوابِ .

وعلى الجملةِ : فمَنْ آثرَ اللهَ علىٰ نفسِهِ آثرَهُ اللهُ ، ومَنْ طلبَ رضا اللهِ بما يُسخِطُ الناسَ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضىٰ عنهُ الناسَ ، ومَنْ طلبَ رضا الناسِ بما يُسخِطُ اللهَ سَخِطَ اللهُ عليهِ وسَخِطَ عليهِ الناسُ[٢] ، وفي رضا اللهِ كفايةٌ عن رضا كلِّ أحدٍ .

فَلَيْتَـكَ تَحْلُـو وَٱلْحَيَـاةُ مَـرِيـرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَىٰ وَٱلأَنَامُ غِضَابُ[٣]

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ ... وَمَا مِنَ ٱللهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عِوَضُ[٤]

وقد قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱحْفَظِ ٱللهَ يَحْفَظْكَ ، ٱحْفَظِ ٱللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ »[٥] ، وقد جاءَ في الحديثِ : « ٱذْكُرُوا ٱللهَ بِأَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ يُنْزِلُ ٱلْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ أَنْزَلَهُ ٱلْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ »[٦] ؛ **المرادُ واللهُ أعلمُ** : أكثِرُوا

= من الوافر ، ويحتمل أن يكون البيت خطاباً للمذكر .

(١) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (للبطل ، ينغمر) بدل (للرجل ، ينغمس) .

(٢) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (وأسخط) بدل (وسخط) .

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني في « ديوانه » (٢/ ٢٤) ، وهو من الطويل .

(٤) البيت من البسيط .

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) ، والحاكم (٣/ ٥٤١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وفي (ب) : (تجاهك) بدل (أمامك) ، وهو لفظ الترمذي .

(٦) أخرجه بنحوه الحاكم (١/ ٤٩٤ـ٤٩٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٨٦٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٥٠١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ذكرَ اللهِ فيذكرَكُمُ اللهُ ، كما جاءَ في القرآنِ : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، فإذا أكثرَ العبدُ الذكرَ للهِ كثُرَ ذكرُ اللهِ لهُ ، فهوَ مِنَ التذكُّرِ لا مِنَ الذكرِ ، واللهُ أعلمُ ، حتَّىٰ قالَ بعضُ الأكابرِ : « مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ كيفَ منزلتُهُ عندَ اللهِ فلينظُرْ كيفَ منزلةُ اللهِ عندَهُ »(١) .

اللهمَّ ؛ فانصُرِ الحقَّ وأظهرِ الصوابَ ، وأَبْرِمْ لهـٰذهِ الأمَّةِ أمراً رشيداً ؛ تُعِزُّ فيهِ وليَّكَ ، وتُذِلُّ فيهِ عدوَّكَ ، ويُعمَلُ فيهِ بطاعتِكَ .

والحمدُ للهِ الذي إليهِ استنادي ، وعليهِ اعتمادي ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وأزواجِهِ ، كلَّما ذكرَهُ الذاكرُونَ ، وغَفَلَ عنهُ الغافلُونَ)(٢) .

وللشيخِ رضيَ اللهُ عنهُ فتاوىٰ في المبتدعةِ مِنَ الحشويَّةِ وغيرِهِم مشهورةٌ ، ولهُ معَهُم مواقفُ مذكورةٌ ، عادَتْ فيها السنَّةُ منصورةً ، وفئةُ الضلالِ

---

(١) ورد هـٰذا القول مرفوعاً كما أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٤ـ٤٩٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٨٦٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٥٠١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) في (ب) : (عن ذكره) بدل (عنه) ، وأورد هـٰذه العقيدة كاملة الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢١٩ـ ٢٢٩) ، وقد أطال الإمام عبد اللطيف بن الإمام العز بن عبد السلام في « إيضاح الكلام » في ذكر ما جرىٰ ووقع بعد أن وصلت هـٰذه الفتيا للملك الأشرف وما نتج عن ذلك مما كاد يودي بحياة الإمام العز بن عبد السلام لولا صدقه وإخلاصه ، ولولا وقوف إمامين جليلين معه في محنته هـٰذه ؛ وهما إمام المالكية أبو عمرو ابن الحاجب ، وإمام الحنفية جمال الدين الحَصيري ، ولولا وقوف الملك الكامل الذي كان على اعتقاد أهل السنة والجماعة ومنافحاً عن عقيدة الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وبعد ذهاب هـٰذه المحنة ، وانقشاع المسألة للملك الأشرف.. صرَّح بخجله وحيائه من الإمام ، وقال : (لقد غلطنا في حق ابن عبد السلام غلطة عظيمة) ، وصار يترضَّاه ويعمل بفتاويه وما أفتاه ، ويطلب أن يقرأ عليه تصانيفه الصغار . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٢٩ـ٢٤٠) ، وما سيأتي في (٢/ ٥٠٠ـ٥١٩) .

مدحورةً ، ليسَ هـٰذا موضعَ استقصائِها[1] .

ولهُ طبقةٌ عاليةٌ في السماعِ .

حضرَ : أبا الحسينِ أحمدَ ابنَ حمزةَ ابنِ الموازينيِّ ، وأبا طاهرٍ الخُشُوعيَّ ، وسمعَ : مِنْ أبي محمدٍ القاسمِ بنِ عليٍّ الدمشقيِّ ، وعبدِ اللطيفِ بنِ إسماعيلَ بنِ أبي سعدٍ ، وأبي حفصٍ ابنِ طبرزدَ ، وأبي عليٍّ حنبلِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الفرجِ ، وأبي القاسمِ عبدِ الصمدِ بنِ محمدٍ الحَرَسْتانيِّ[2] .

ووليَ القضاءَ بمصرَ والديارِ المصريَّةِ ، ثمَّ صرفَ نفسَهُ .

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ في عاشرِ جمادى الأولىٰ سنةَ ستينَ وستِّ مئةٍ ، وصلَّىٰ عليهِ ولدُهُ شرفُ الدينِ إماماً ، وكانَ مِنْ جملةِ المأمومينَ الملكُ الظاهرُ بيبرسُ البُنْدُقْدَاريُّ الصالحيُّ ، رحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ[3] .

ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ منهُمُ : الأديبُ جمالُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ المعروفُ بـ (الجزَّارِ) ، شاعرُ مصرَ ، وأجازَنيها ؛ فممَّا أجازَهُ لي ثمَّ نقلتُها مِنْ خطِّهِ الأولِ[4] : [من السريع]

---

(١) ومنها ما سيأتي في (٢/٤٧١ـ ٤٧٢ ، ٥٠٠ـ ٥١٩) ، ومرَّ معنا سابقاً في (١/٢٩٢ـ ٢٩٣) عن الكركي شيخ المؤلف ؛ أنه لما قدم مصر قادماً من المغرب اجتمع بالإمام عبد العزيز بن عبد السلام ، فكان أولُ شيء سأله عنه المعتقدَ ، وذكر له من ضمن كلامه علامة يعرف بها الحشوية .

ومن مواقفه العظيمة رحمه الله تعالى : إلهاب مشاعر الناس في الجهاد ضد حُفَالة التاريخ والحضارة البشرية المغول بقيادة الخبيث الهالك هولاكو ، فكان اللقاء في عين جالوت ، وكان النصر الساحق للمسلمين بعد أن أفنوا عدداً كبيراً من جيش المغول .

(٢) وقرأ الفقه : على الفخر ابن عساكر ، والأصول : على السيف الآمدي .

(٣) ولما بلغ الظاهرَ خبرُ موته قال : (لم يستقرَّ ملكي إلا الساعةَ ؛ لأنه لو أمر الناس فيما أراد لبادروا إلى امتثال أمره) انظر « طبقات الشافعية » لابن شهبة (٢/١٣٩) .

(٤) أوردها الإمام السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص٢٩٤ـ٢٩٥) ، وفيها زيادات=

أَمَّـا ٱلْفَتَـاوَىٰ فَعَلَيْهَـا ٱلسَّـلاَمْ مُذْ فُقِدَ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلسَّلاَمْ
مَـاتَ فَمَـنْ يُـوضِـحُ إِشْكَـالَهَـا وَيَعْـرِفُ ٱلْحِـلَّ بِهَـا وَٱلْحَـرَامْ
إِنَّـا إِلَـى ٱللهِ لِفَقْـدِ ٱمْـرِئٍ قَـامَ بِحَـقِّ ٱللهِ خَيْـرَ ٱلْقِيَـامْ
مَـا خُـصَّ مِنْـهُ بِـٱلْعَـزَاءِ ٱمْـرُؤٌ وَٱلـرُّزْءُ قَـدْ عَـمَّ جَمِيـعَ ٱلأَنَـامْ
كُـلُّ أَخِـي عِلْـمٍ بَكَـىٰ فَقْـدَهُ لِأَنَّـهُ فِـي كُـلِّ عِلْـمٍ إِمَـامْ
يَـا مَـنْ بِـهِ ٱلسُّنَّـةُ قَـدْ أَصْبَحَـتْ غَنِيَّـةً عَـنْ ذَابِـلٍ أَوْ حُسَـامْ
مَـنْ ذَا ٱلَّـذِي يُطْمَـعُ فِـي جُـودِهِ بَعْـدَكَ إِنْ ضَـنَّ بِغَيْـثٍ غَمَـامْ
وَهَـاتِ قُـلْ لِـي ٱلْيَـوْمَ أَيُّ ٱمْـرِئٍ يَبْقَىٰ عَلَى ٱلْعَهْدِ وَيَرْعَى ٱلذِّمَامْ
كَـمْ مُهْجَـةٍ كَـادَتْ تُفَـدِّيـكَ لَـوْ أَمْكَنَ أَنْ يَرْضَىٰ فِدَاهَا ٱلأَنَامْ[1]
لاَ تَقْـدِرُ ٱلأَمْـلاَكُ تُثْنِيـكَ عَـنْ حَـقٍّ وَكَـمْ أَغْـرَاكَ مِنْهُـمْ مَـلاَمْ
زُخْـرِفَـتِ ٱلْجَنَّـةُ شَـوْقـاً إِلَـىٰ وَجْـهٍ لَـهُ تَشْتَـاقُ دَارُ ٱلسَّـلاَمْ
وَٱلْحُـورُ فِـي أَبْـوَابِهَـا قَـدْ غَـدَا لَهَـا عَلَـىٰ وَجْهِـكَ أَيُّ ٱزْدِحَـامْ
خُلِقْـتَ لِـلأَجْـرِ وَكَسْـبِ ٱلثَّنَـا فِـي ٱلـدِّيـنِ وَٱلـدُّنْيَـا وَبِـرِّ ٱلأَنَـامْ
أَئِمَّـةُ ٱلـدِّيـنِ لِلُقْيَـاكَ فِـي ٱلْـ ـفِرْدَوْسِ بِـٱلأَمْـسِ تَـرَاهُـمْ قِيَـامْ
حَسْبُ ٱبْنِ إِدْرِيسَ عُلاً شِدْتَهَا لَيْـسَ لَهَـا بَـاقِـي ٱلـزَّمَـانِ ٱنْهِـدَامْ
يَـا بَحْـرَ عِلْـمٍ كُلُّنَـا بَعْـدَهُ لِلَفْظِـهِ ٱلْعَـذْبِ شَـدِيـدُ ٱلأُوَامْ[2]
بِمَـنْ يَلُـوذُ ٱلنَّـاسُ فِـي حَـادِثٍ لِخَطْبِـهِ فِـي كُـلِّ صُبْـحٍ ظَـلاَمْ
كَمْ ظُلْمَةٍ فِي ٱلْخَطْبِ قَدْ أَشْرَقَتْ بِطَلْعَـةٍ تُخْجِـلُ بَـدْرَ ٱلتَّمَـامْ

= واختلاف يسير عمّا أورده المؤلف ها هنا ، وجاءت هـٰذه القصيدة علىٰ هامش (أ) ، وعند قوله : (فمما أجازه لي) انتهت الصفحة ، وبعدها صفحة بيضاء كتب في صدرها : (يكتب هنا تكملة قصيدة أبي الحسين رضي الله عنه) .

(١) في « المحاضرات والمحاورات » : (الحمام) بدل (الأنام) .

(٢) الأوام : حر العطش .

وَمَنْ تُرَىٰ بَعْدَكَ فِي عَصْرِنَا ... لَهُ بِهَـٰذَا ٱلدِّينِ حُسْنُ ٱهْتِمَامْ
لاَ يَقْبَلُ ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ ذَرَّةٍ ... مِنْ دِينِهِ فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامْ
وَأَشْجَعُ ٱلنَّاسِ بِنَفْسٍ لَهُ ... بِهَا غِنىً عَنْ كُلِّ جَيْشٍ لُهَامْ[1]
يَلْقَىٰ أَعَادِيهِ بِتَقْطِيبَةٍ ... وَيَلْتَقِي أَضْيَافَهُ بِٱبْتِسَامْ
تَٱللهِ مَا ٱلدُّنْيَا سِوَىٰ هَجْعَةِ ٱلطَّـ ... ـرْفِ وَمَا ٱلْعِيشَةُ إلا مَنَامْ
وَكَيْفَ لاَ يَتْرُكُ مَا لَمْ يَدُمْ ... ذُو فِطْنَةٍ لَمْ يَرْضَ إلا ٱلدَّوَامْ
وَصَلْتَ لِلرَّاحَةِ بَعْدَ ٱلْعَنَا ... وَفُزْتَ بِٱلصِّحَّةِ بَعْدَ ٱلسَّقَامْ
حَيٍّ نَكِيراً وَأَخَاهُ إِذَا ... مَا أَحْجَمَا عَنْكَ لِفَرْطِ ٱحْتِشَامْ
وَبَاسِطِ ٱلْحُورَ ٱلَّتِي لَمْ تَزَلْ ... لِحُسْنِهَا مَقْصُورَةً فِي ٱلْخِيَامْ
وَٱسْتَخْدِمِ ٱلْوِلْدَانَ فِيمَا تَرَىٰ ... فَكُلُّ مَا فِيهَا تَرَاهُ غُلاَمْ
لاَ زِلْتَ لِلرَّحْمَةِ أَهْلاً وَلا ... عَدَتْ ثَرَىٰ قَبْرِكَ سُحْبُ ٱلْغَمَامْ

ومِمَّا أجازَنيهِ القاضي شمسُ الدينِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الأُسْوائيُّ الحاكمُ بها يُعرَفُ بـ (ابنِ الفضلِ) قالَ : أنشدَني الشيخُ عزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ[2] : [من الكامل]

لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ عَرَاهُ غَرَامُ ... مَا عَنَّفُوهُ فِي هَوَاهُ وَلامُوا[3]

وأمرَني أنْ أُكمِلَ عليهِ ، فعملتُ :

لَكِنَّهُمْ جَهِلُوا لَذَاذَةَ حُبِّهِ ... وَعَلِمْتُهَا فَلِذَا سَهِرْتُ وَنَامُوا
لَوْ يَعْلَمُونَ كَمَا عَلِمْتُ حَقِيقَةً ... جَنَحُوا إِلَىٰ ذَاكَ ٱلْجَنَابِ وَهَامُوا

---

(١) **اللُّهام** : الجيش العظيم ، كأنه يلتهم كل شيء .
(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٤٦ـ٢٤٧) ، و« البدر الطالع » (ص٢٤٠ـ٢٤١) .
(٣) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (ما عنفوني) بدل (ما عنفوه) ، وذكر العيَّاشي في « رحلته » (٢/ ٩٣) أنه لا يعرف للعز بن عبد السلام من الشعر إلا هذا البيت .

أَوْ لَوْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ لِعُيُونِهِمْ ... خَرُّوا وَلَمْ تَثْبُتْ لَهُمْ أَقْدَامُ

وَبِحُبِّهِ عَزَّتْ قُرُونَتِيَ ٱلَّتِي ... ذَلَّتْ فَعِنْدِي بِٱلْغَرَامِ غَرَامُ[1]

فَبَقِيتُ أَنْظُرُهُ بِكُلِّ مُصَوَّرٍ ... وَبِكُلِّ مَلْفُوظٍ بِهِ ٱسْتِعْجَامُ

وَأَرَاهُ فِي صَافِي ٱلْجَدَاوِلِ إِنْ جَرَتْ ... وَأَرَاهُ إِنْ جَادَ ٱلرِّيَاضَ غَمَامُ

وَأَرَاهُ إِنْ سَنَحَ ٱلْغَزَالُ مِنَ ٱلْحِمَىٰ ... مُتَدَلِّلاً أَوْ بَرْبَرَ ٱلضِّرْغَامُ

لَمْ يَثْنِنِي عَمَّنْ أُحِبُّ ذَوَابِلٌ ... سُمْرٌ وَأَبْيَضُ صَارِمٌ صَمْصَامُ

مَوْلَايَ عِزَّ ٱلدِّينِ عَزَّ بِكَ ٱلْعُلاَ ... فَخْراً فَدُونَ حِذَاكَ مِنْهُ ٱلْهَامُ

لَمَّا رَأَيْنَا فِيكَ عِلْماً لَمْ يَكُنْ ... بِٱلدَّرْسِ قُلْنَا إِنَّهُ إِلْهَامُ

جَاوَزْتَ حَدَّ ٱلْمَدْحِ حَتَّىٰ لَمْ يُطِقْ ... نَظْماً لِفَضْلِكَ فِي ٱلْوَرَىٰ ٱلنَّظَّامُ[2]

لَوْلَاكَ عِزَّ ٱلدِّينِ تُنْعِشُ مُهْجَتِي ... مَا كَانَ لِي بِٱلْبَلْدَتَيْنِ مُقَامُ

فَعَلَيْكَ يَا عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ تَحِيَّةٌ ... وَعَلَيْكَ يَا عَبْدَ ٱلسَّلَامِ سَلَامُ[3]

* * *

---

(١) قرونتي : نفسي .

(٢) كذا ضبط قوله : (يُطِقْ) و(النَّظَّام) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » ، وتحتمل أنها : (تُطِقْ) و(النُّظَّام) .

(٣) ولما انتهىٰ من ارتجال هـٰذه الأبيات في الدرس قال له الإمام العز بن عبد السلام : (أنت إذاً فقيه شاعر) ، وقد أطنب الإمام ابن السبكي في ترجمة ابن عبد السلام ، وأتت هـٰذه الترجمة علىٰ كثير من محطات مسيرته العلمية والاجتماعية والسياسية رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « ذيل مرآة الزمان » (٢/ ١٧٢ـ ١٧٦) ، و« صلة التكملة » (١/ ٤٦٦ـ٤٦٧) ، و(٢/ ٥٠٠ـ٥١٩) من هـٰذا الكتاب .

ومنهُمْ :

[الإمامُ المقرئُ كمالُ الدينِ أبو الحسنِ
عليُّ بنُ شجاعٍ العباسيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ العالمُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي الفوارسِ شجاعِ بنِ أبي الفضلِ سالمِ بنِ عليٍّ بنِ موسى بنِ حسانَ بنِ طوقٍ ـ واسمُهُ : عبيدُ اللهِ ـ ابنِ سندِ بنِ عليِّ بنِ الفضلِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عليِّ بنِ موسى بنِ عيسى بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ ، الهاشميُّ العباسيُّ المصريُّ المقرئُ الشافعيُّ الضريرُ المنعوتُ بـ (الكمالِ) .

مولدُهُ بالمعتمديةِ قريةٍ مِنْ أعمالِ الجيزيَّةِ .

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : على الإمامِ أبي القاسمِ بنِ الورَّاقِ وغيرِهِ ، وقرأَ الأدبَ : علىٰ أبي الحسينِ النحويِّ ، وسمعَ مِنْ جماعةٍ مِنَ القادمينَ على البلدِ ، وجماعةٍ مِنْ أهلِها ، وقرأَ القرآنَ الكريمَ : علىٰ أبي الجودِ غياثِ بنِ فارسٍ اللخميِّ ، وروى الشاطبيَّةَ عن مُصنِّفِها .

وسمعَ : أبا الحسنِ شجاعَ بنَ سِيدْهُم المُدْلِجيَّ ، وأبا القاسمِ هبةَ اللهِ البوصيريَّ ، وأبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عبدِ المولى اللبنيَّ ، وأبا الفضلِ الغزنويَّ ، وأبا عبدِ الله محمدَ بنَ حَمْدٍ الأرتاحيَّ ، وأبا محمدٍ عبدَ المجيبِ ابنَ زهيرٍ ، وأبا روحٍ المُطهَّرَ بنَ أبي بكرٍ البيهقيَّ ، وأبا نزارٍ ربيعةَ بنَ الحسنِ اليمنيَّ .

وتصدَّرَ بالجامعِ العتيقِ بمصرَ ، وبمسجدِ موسَكَ بالقاهرةِ ، وانتفعَ بهِ الناسُ ، وانتهتْ إليهِ رئاسةُ القرّاءِ والإقراءِ بالديارِ المصريَّةِ ، وكانَ جميلَ الهيئةِ ، حسنَ الاعتقادِ .

[وُلِدَ] سنةَ اثنتينِ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، سابعَ شعبانِها ، [وتُوفِّيَ في السابعِ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ إحدىٰ وستينَ وستِّ مئةٍ][1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/٤٩٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/٨١ـ٨٣) ، و« نكت الهميان » (ص١٩٦) ، وما بين معقوفين غير واضح في الأصل بسبب رداءة التصوير .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الحافظُ رشيدُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ مُفرجٍ ، القُرشيُّ الأمويُّ نسباً ، المالكيُّ مذهباً النابلسيُّ أصلاً المصريُّ داراً ومنشأً ووفاةً[1]

كانَ مِنْ عبادِ اللهِ الصالحينَ ، والزُّهَّادِ المنقطعينَ ، والثقاتِ المُبرِّزينَ ، والعدولِ المَرْضيِّينَ ، مِنَ الأولياءِ ، وممَّنْ نُقِلَتْ عنهُ كراماتٌ كثيرةٌ هوَ جديرٌ بها .

فأمَّا تحرُّزُهُ في الروايةِ فإليهِ المُنتهى ، ويكفيهِ قصَّةُ البِرْزاليِّ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ محمدٍ ، وكانَ هـٰذا البِرْزاليُّ قد كتبَ استدعاءً لجماعةٍ مِنَ الشاميِّينَ والمصريِّينَ[2] ، وأخذَ فيهِ خطوطَ جماعةٍ مِنَ المشايخِ عندَ رحلتِهِ إلى العجمِ ، ثمَّ حضرَ بالاستدعاءِ ، وبعثَهُ للشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، فرأىٰ فيهِ اسمَ جماعةٍ منهُم يحيى بنُ عليٍّ القرشيُّ العطارُ ، فذكرَ ذلكَ للشيخِ رشيدِ الدينِ ، فقالَ لهُ : هـٰذا الرجلُ لم أعرفْهُ قبلَ اليومِ ، ولعلَّهُ قصدَ بهـٰذهِ التسميةِ غيري ، فكاتبَهُ الشيخُ زكيُّ الدينِ واستفهمَ منهُ ، فبعثَ وهوَ يقولُ : جزى اللهُ هـٰذا الرجلَ خيراً عن عدالتِهِ ؛ فإنِّي لم أقصدْهُ ، وإنَّما قصدْتُ غيرَهُ .

قالَ ولدُهُ جمالُ الدينِ أبو صادقٍ عنهُ : قالَ : كنتُ سمعتُ بدمشقَ على ابنِ البنَّا الصوفيِّ الجزءَ الثالثَ مِنْ « فوائدِ أبي الطاهرِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ

---

(١) وهو الشهير بـ (العطار) ، وقد سبق ذكره مراراً .

(٢) **الاستدعاء** : هو طلب إجازة من بعض أهل الحديث أو غيرهم من العلماء بواسطة المراسلة أو المكاتبة .

العباسِ المُخلِّصِ » انتقاءِ ابنِ البقَّالِ عليهِ ولم أُحصِّلْ منهُ نسخةً ، ثمَّ بعدَ ذلكَ وقعَتْ لي نسخةٌ فيها نقلُ سماعِ الشيخِ ، وقد سمعتُ عليهِ ، فنقلتُ منها نسخةً وقابلتُها ، ثمَّ داخلَني الوهْمُ فقلتُ : لعلَّ هـٰذهِ النسخةَ لا تكونُ مُوافِقةً للأصلِ الذي سمعتُ منهُ ، فأنفذتُها إلىٰ دمشقَ ، فقُوبِلَتْ على الأصلِ الذي سمعتُ منهُ ، فوُجِدَ في النسخةِ التي كتبتُها بخطِّي أربعةُ أحاديثَ لم تكنْ في أصلِ سماعي الذي سمعتُ منهُ بدمشقَ .

قرأَ القرآنَ العظيمَ : على الشيخِ أبي محمدٍ زيادةَ بنِ عمرانَ بنِ زيادةَ المالكيِّ المقرئِ ، **واشتغلَ بالفقهِ** : علىٰ أبي الحسنِ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ بنِ تغلبَ المالكيِّ .

سمعَ والدَهُ ، وسمعَ بنفسِهِ الكثيرَ بمصرَ والشامِ ومكَّةَ والمدينةِ ، وحدَّثَ وأعادَ ، وتعيَّنَ في فنِّهِ ، وانتهىٰ إليهِ الحفظُ والإتقانُ في وقتِهِ .

[وسمعَ][1] : أباهُ وعمَّهُ وجدَّهُ لأمِّهِ وأخاهُ لأبيهِ بانتقائِهِ ، وابنَ عمَّتِهِ أبا الحسينِ ، وأبا القاسمِ بنَ عليٍّ البوصيريَّ ، وأبا الطاهرِ الشَّفيقيَّ ، والحاجبَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ حمزةَ البغداديَّ الكاتبَ ، وأبا الفضلِ الغزنويَّ ، وأبا الحسينِ الصوفيَّ ، وأبا الثناءِ الحرَّانيَّ ، وأبا اليُمْنِ الكنديَّ ، وأبا القاسمِ الحرستانيَّ ، والعمادَ الأصفهانيَّ ، وابنَ معزوزٍ الكُوميَّ ، وفاطمةَ بنتَ سعدِ الخيرِ[2] .

أخذَ عنهُ جماعةٌ مِنَ الحُفَّاظِ ؛ كأبي عبدِ اللهِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ ابنِ النجَّارِ صاحبِ « ذيلِ تاريخِ بغدادَ » ، وأبي بكرٍ محمدِ بنِ عبدِ الغنيِّ ابنِ نقطةَ صاحبِ « إكمالِ الإكمالِ » ، والحسنِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ ابنِ البكريِّ اليمنيِّ المُؤرِّخِ ، وأبي القاسمِ العقيليِّ صاحبِ « تاريخِ حلبَ » .

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمة .

(٢) وهي زوجته .

وصنَّفَ وأملى كتباً كثيرةً ؛ مِنْ ذلكَ : « موافقاتُ الصحيحَينِ » و« موافقاتُ السننِ » ، و« عوالي مالكِ بنِ أنسٍ » ، و« عوالي اللَّيثِ بنِ سعدٍ » ، و« الأربعينَ حديثاً في فضلِ الصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » ، و« في فضلِ الجهادِ أربعينَ حديثاً » ، وكتابُ « نزهةِ الناظرِ فيمَنْ روىٰ عنِ البغويِّ مِنَ الأكابرِ » ، وكتابُ « غررِ الفوائدِ المجموعةِ فيما وقعَ في صحيحِ مسلمٍ مِنَ الأحاديثِ المقطوعةِ » ، وكتابُ « الدلائلِ المُبينةِ في فضائلِ عالمِ المدينةِ » ، وكتابُ « تحفةِ المستفيدِ في الأحاديثِ الثُّمانيةِ الأسانيدِ » ، و« مصافحةُ الأئمَّةِ » جزءٌ واحدٌ ، وكتابُ « الإعلامِ بمَنْ حدَّثَ عن مالكِ بنِ أنسٍ مِنْ مشايخِهِ الأعلامِ » ، و« عوالي الصحيحَينِ » ، وكتابُ « غرائبِ الأخبارِ ومُلَحِ الحكاياتِ والأشعارِ » ، وكانَ جمعَ مُعجَماً لمشايخِهِ ولم يُحدِّثْ بهِ ؛ لأنَّهُ لم يكنْ قابلَهُ على الأصولِ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

كانَ يُوقِفُ كتبَهُ للانتفاعِ بها بالمدرسةِ الصاحبيَّةِ البهائيَّةِ بمصرَ ، واتُّبِعَ ذلكَ بعدَ وفاتِهِ ، وهيَ فيها الآنَ .

ولهُ النظمُ الحسنُ ؛ فمِنْ ذلكَ : ما أوردَهُ ولدُهُ أبو صادقٍ قالَ : أنشدَني والدي رضيَ اللهُ عنهُ لنفسِهِ : [من مجزوء الوافر]

تَقَضَّى ٱلْعُمْرُ فِي ٱللَّعِبِ وَمَا قَضَّيْتُ مِنْ أَرَبِ
وَلاَ ٱسْتَكْثَرْتُ مِنْ مَالٍ وَلاَ عِلْمٍ وَلاَ أَدَبِ
وَلاَ ٱسْتَوْثَقْتُ مِنْ عِلْمِي بِمَا يُنْجِي مِنَ ٱلْعَطَبِ
وَمَا لِي خَصْلَةٌ تُرْضَىٰ بِوَجْهٍ لاَ وَلاَ سَبَبِ

---

(١) وكثير من هـٰذه المؤلفات التي ذكرها الإمام ابن المعلِّم لم تذكرها المصادر والمراجع ، وذكرت سابقاً في (٢/٢٨) أنَّ له تخريجاً لـ « مشيخة البهاء ابن الجمَّيزي » رحمهما الله تعالىٰ .

سِــوَىٰ تَــوْحِيــدِ خَــالِقِنَــا ... وَتَصْــدِيقِــي لِخَيْــرِ نَبِــي
وَإِيمَــانِــي بِــإِخْــوَتِــهِ ... وَمَــا أُوتُــوا مِــنَ ٱلْكُتُــبِ
وَحُبِّــي جَمْــعَ عِتْــرَتِــهِ ... وَجَمْــعَ صِحَــابِــهِ ٱلنُّجُــبِ
بِــذَا أَرْجُــوهُ يَغْفِــرُ لِــي ... وَيَحْمِينِــي مِــنَ ٱللَّهَــبِ
وَيُــدْخِلُنِــي ٱلْجِنَــانَ غَــداً ... بِــلاَ تَعَــبٍ وَلاَ نَصَــبِ
وَيَــرْحَمُنِــي بِــرَحْمَتِــهِ ... وَفَضْــلٍ مِنْــهُ مُنْسَحِــبِ
فَــإِنَّ ٱلْجُــودَ عَــادَتُــهُ ... وَمَــنْ يَقْصِــدْهُ لَــمْ يَخِــبِ

صحبَ الشيخُ رشيدُ الدينِ : جماعةً مِنَ الزُّهَّادِ والصالحينَ ؛ كالشيخِ القرشيِّ ، والشيخِ أحمدَ بنِ محمدٍ اللخميِّ ، [وأبي] العباسِ إلياسَ[1] ، وأبي العبَّاسِ الحرَّارِ ، وأبي العبَّاسِ بنِ القسطلانيِّ .

وُلِدَ في شعبانَ سنةَ أربعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الاثنينِ الثاني مِنْ جُمادى الأولىٰ سنةَ اثنتينِ وستينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ يومَ الثُّلاثاءِ الثالثِ مِنْ جمادىٰ .

ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ فممَّنْ رثاهُ : أبو الحسينِ الجزَّارُ ، وأجازَنيهِ فيما أجازَهُ لي : [من الوافر]

تَعَطَّلَــتِ ٱلْــوَرَىٰ مِمَّــنْ يُفِيــدُ ... فَــلاَ عَبْــدُ ٱلْعَظِيــمِ وَلاَ رَشِيــدُ

وقالَ الورَّاقُ[2] : [من الرجز]

دَمْعِي عَلَى ٱلْحَبْرِ ٱلرَّشِيدِ مُرْسَلُ ... وَحُــزْنُ قَلْبِــي أَبَــداً مُسَلْسَــلُ
بَكَىٰ دَمـاً جَفْنِـي ٱلْقَـرِيـحُ بَعْـدَهُ ... لَـوْ بِـٱلْجَـرِيـحِ يُفْتَـدَى ٱلْمُعَلَّـلُ

---

(١) في (أ ، ب) : (أبو) بدل (وأبي) .
(٢) انظر « فوات الوفيات » (٤/ ٢٩٦) ، و« المحاضرات والمحاورات » (ص٢٩٣ـ٢٩٤) .

أيْـنَ إِمَـامٌ فِـي ٱلْحَـدِيـثِ مِثْلُـهُ تَضْـرِبُ آبَـاطـاً إِلَيْـهِ ٱلإِبِـلُ
وَمَـنْ إِلَيْـهِ يَـرْجِـعُ ٱلْقَـوْمُ وَمَـنْ عَلَيْـهِ فِـي تَحْـرِيـرِهِ ٱلْمُعَـوَّلُ
وَمَـنْ إِذَا مَـا حَـلَّ صَـدْرَ مَحْفِلٍ قَـالَ مُفِيـداً فَـأَصَـاخَ ٱلْمَحْفِـلُ
وَمَـنْ إِذَا أَتَيْتَـهُ مُسَـائِـلاً يُحَـلُّ مُبْهَـمٌ وَيُجْلَـىٰ مُشْكِـلُ
ذَادَ عَـنِ ٱلسُّنَّـةِ كُـلَّ مُفْتَـرٍ لَيْـسَ لِمَـا أَدْخَـلَ فِيهَـا مَـدْخَـلُ
وَكَانَ فِي عِلْمِ ٱلرِّجَالِ أَوْحَداً بِحَيْثُ قَالَ ٱلْعِلْمُ هَـٰذَا ٱلرَّجُلُ
يَا جَامِعَ ٱبْنِ ٱلْعَاصِ قَدْ أَوْحَشْتَ مِنْ جَـارِكَ وَٱسْتَـوْحَـشَ صَـفٌّ أَوَّلُ
يَكْفِيـهِ إِسْحَـارُكَ عِنْـدَ ٱللهِ وَٱلْـ ـبُكُـورُ فِـي طَـاعَتِـهِ وَٱلأُصُـلُ
كَـمْ قَـامَ فِيـكَ خَـاشِعـاً لِـرَبِّـهِ وَصَـاحِبَـاهُ ٱلشَّـوْقُ وَٱلتَّمَلْمُـلُ
عَهْـدِي بِصَـدْرٍ مِنْكَ مِنْهُ خَـالِيـاً قَـدْ عَـادَ وَهْـوَ بَعْـدَهُ مُعَطَّـلُ
للهِ مَـا ضَـمَّ ٱلتُّـرَابُ مِـنْ حِجـاً يَطِيشُ رَضْـوَىٰ دُونَـهُ وَيَـذْبُـلُ[1]
وَمِـنْ عَفَـافٍ وَتُقَـىً وَكَيْـفَ لا وَٱلْعِلْـمُ رَأْسٌ لَهُمَـا وَٱلْعَمَـلُ
إِنَّ ضَجِيعَـيْ لَحْـدِهِ لَسُنَّـةُ ٱلْـ ـهَادِي ٱلشَّفِيعِ وَٱلْكِتَابُ ٱلْمُنْزَلُ
لِمِثْـلِ ذَا فَلْيَعْمَـلِ ٱلْقَـوْمُ إِذَا رَامُـوا ٱلْعُـلاَ لِمِثْلِ ذَا فَلْيَعْمَلُـوا
سَقَـاكَ يَـا يَحْيَـىٰ حَياً مُـرْتَجِزٌ تَحْـدُو قُطَارِيـهِ صَباً وَشَمْـأَلُ[2]
وَرَوَّضَـتْ قَبْـرَكَ كُـلُّ دِيمَـةٍ عَلَيْـكَ حُـزْنـاً بِـالـرُّعُـودِ تُعْـوِلُ
فَمَـا يَضِيـعُ كُـلُّ مَـا قَـدَّمْتَـهُ وَٱللهُ جَـازٍ وَٱلنَّبِـيُّ ٱلْمُـرْسَـلُ[3]

* * *

(١) **رَضْوىٰ** : اسم جبل قريب من المدينة المنورة ، **ويذبُل** : جبل في بلاد نجد.

(٢) **الحيا** : الغيث ، **والمرتجز** : السحاب البطيء الحركة لكثرة الماء فيه ، **والقُطاري** : المراد به : القطرات .

(٣) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٠٠ـ٥٠١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٢٠ـ١٢١) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٣١٤ـ٣١٥) .

ومنهُمْ :

الشيخُ كمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الغنيِّ بنُ عليِّ بنِ عبدِ الكافي البَهْنَسيُّ المنشأِ والمدفنِ المصريُّ الدارِ الفيوميُّ الوفاةِ

اشتغلَ بالفقهِ : على الشيخِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ وأقرانِهِ ، ووليَ الإعادةَ بالزاويةِ المجديَّةِ ، **واشتغلَ بالأصولَينِ** : على الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ ، **وبفنونِ التفسيرِ والأصولِ** : على الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وبرعَ ومهرَ ، وكانَ في الظاهرِ طالباً عندَ الشيخِ وجيهِ الدينِ البهنسيِّ ومُعيداً عندَهُ ، وفي الباطنِ مُفيداً لهُ .

وكانَ هوَ والشيخُ وجيهُ الدينِ يتعاورانِ مجلسَ الشيخِ عزِّ الدينِ ويتناوبانِهِ للاستفادةِ ، وكانَ كمالُ الدينِ يطلعُ إلى القاهرةِ ماشياً إذا لم يكنْ رفيقاً للوجيهِ ، فربَّما لم يحضرِ الشيخُ وجيهُ الدينِ درسَ الشيخِ عزِّ الدينِ في بعضِ الأيامِ ولا درسَ الخُسْرَوشاهيِّ ، فينقلُ لهُ كمالُ الدينِ جميعَ ما وقعَ مِنَ البحوثِ نقلَ المسطرةِ لا يُهمِلُ مِنْ ذلكَ شيئاً .

سمعتُ غيرَ واحدٍ مِنْ أصحابِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كانَ الشيخُ عزُّ الدينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : عندَكُم في مصرَ بهنسيَّانِ وتِزْمَنْتِيَّانِ ؛ يعني : الشيخَ كمالَ الدينِ والشيخَ وجيهَ الدينِ بالبهنسيَّينِ ، وبالتِّزْمَنْتِيَّينِ : السديدَ والظهيرَ) ، رحمَهُمُ اللهُ .

صنَّفَ الشيخُ كمالُ الدينِ « مُقدِّمتَهُ في الأصولِ » ، وكانَ الشيخُ شمسُ الدينِ الأصفهانيُّ يُثني عليها ويُحرِّضُ على الاشتغالِ بها ، ويقولُ : (هٰذا الرجلُ أبانَ فيها عن فضلٍ ورسوخٍ في علمِ الكلامِ والمنطقِ) .

تقلَّدَ القضاءَ بالفيوم وما أُضيفَ إليها مِنَ الأعمالِ مِنْ جهةِ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ ، واتَّسعَتْ حالُهُ واستعانَ علىٰ عائلتِهِ وأخصبَ مَرْعاهُ ، وأنجحَ مَسْعاهُ ، غيرَ أنَّهُ أجْرَتْهُ الأيامُ علىٰ عادتِها في قطعِ اللَّذَّاتِ ، وقصدِ السادةِ بالأذاةِ ، فبينا هوَ يُهذِّبُ ثمراتِ تحصيلِهِ اليانعةَ ، هجمَتْ عليهِ المنيَّةُ القاطعةُ .

تُوفِّيَ بمدينةِ الفيوم سنةَ اثنتينِ وستينَ وستٍّ مئةٍ ، قيلَ : إنَّهُ أدركَتْهُ هَيْضَةٌ[1] ، فأُحضِرَ لهُ طبيبٌ يهوديٌّ خبيثٌ ففصدَهُ ، وسدَّدَ سهمَ المنيَّةِ إليهِ حينَ قصدَهُ ، فرحمَ اللهُ كمالَهُ ، وأحسنَ لديهِ مآبَهُ ومآلَهُ .

* * *

(١) الهيضة : المَرْضة بعد المَرْضة ، أو نكس المريض ، أو انطلاق البطن .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ زينُ الدينِ أبو الفرجِ محمدُ بنُ القاضي المُوفَّقِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أبي القاسمِ عبدِ الوهابِ بنِ محمدِ بنِ أبي الفرجِ الإسكندريُّ المالكيُّ

سمعَ مِنَ الحافظِ شرفِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المفُضَّلِ المقدسيِّ وأقرانِهِ ، واشتغلَ بمذهبِ مالكٍ ، ووليَ القضاءَ والخطابةَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، وفيهِ يقولُ سراجُ الدينِ وهيَ فيما أجازَهُ لي : [من الطويل]

أَمَا لَكَ يَا نَوْمِي بِجَفْنِي تَعَلُّقُ ... لَعَلَّ خَيَالَ ٱلْعَامِرِيَّةِ يَطْرُقُ

أَيَأْبَى ٱلْهَوَىٰ إِلا مُسَامَرَتِي ٱلدُّجَا ... وَلِي مُقْلَةٌ عَبْرَىٰ وَجَفْنٌ مُؤَرَّقُ

حَنَانَيْكَ يَا بَرْقَ ٱلْحِمَىٰ كَمْ تَشُوقُنِي ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرِي مِنَ ٱلنَّاسِ شَيِّقُ

تَأَمَّلْ فُؤَادِي كُلَّمَا بِتَّ خَافِقاً ... وَأَوْمَضْتَ مِنْ ذَاكَ ٱلْحِمَىٰ كَيْفَ يَخْفِقُ

وَدُونَكَ جَفْناً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ... مِنَ ٱلْحَيِّ أَمْسَىٰ وَهْوَ بِٱلدَّمْعِ يَشْرَقُ[1]

بَكَيْتُ زَمَانِي وَٱلشَّبِيبَةُ غَضَّةٌ ... وَغُصْنِيَ رَيَّانُ ٱلْمَعَاطِفِ مُورِقُ

وَأَجْرَيْتُ شُهْبَ ٱلدَّمْعِ مِنِّي وَحُمْرَهَا ... عَلَىٰ أَثَرِ ٱلْعِيسِ ٱلَّتِي لَيْسَ تُلْحَقُ

وَلَوْ أَنَّ وُرْقَ ٱلْبَانِ تَبْكِي بِأَدْمُعِي ... لَمَا لاَحَ مِنْهَا لِلْعُيُونِ مُطَوَّقُ

وَلَوْ أَنَّهَا طَارَتْ وَسِرْتُ إِلَى ٱلْحِمَىٰ ... عَلَىٰ قَدَمِي أَيْقَنَّ أَنِّيَ أَسْبَقُ

سَقَتْ عَبَرَاتِي لِلأَحِبَّةِ مَنْزِلاً ... بِطِيبِ ثَرَاهُ مِسْكُ دَارِينَ يَعْبَقُ

وَقَفْتُ بِهِ مِنْ فَرْطِ شَوْقِيَ سَائِلاً ... وَدَمْعِي فَكَادَتْ دِمْنَةُ ٱلدَّارِ تَنْطِقُ

---

(١) ذرَّ شارق ؛ أي : كلما طلعت الشمس أو الضوء ، ويَشْرَق : يغصُّ .

وَقُمْتُ أَبُثُّ ٱلشَّوْقَ عَافِيَ رَسْمِهِ ... وَأُخْبِرُهُ مَاذَا جَنَاهُ ٱلتَّفَرُّقُ
وَحَاكَمْتُ أَيَّامِي لِقَاضٍ مُوَفَّقٍ ... يُؤَيَّدُ فِي أَحْكَامِهِ وَيُوَفَّقُ
إِمَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا جَمَالٌ بِحُلْيَةٍ ... بَدَا وَعَلَى ٱلدِّينِ ٱلْحَنِيفِيِّ رَوْنَقُ
أَقَامَ مَنَاراً لِلشَّرِيعَةِ عَالِياً ... تَمُدُّ إِلَيْهِ ٱلشُّهْبُ طَرْفاً وَتَرْمُقُ
وَزَيَّنَ [...] رُتْبَتَهُ ٱلَّتِي ... تَلِيقُ بِهِ وَٱلْجِيدُ بِٱلْعِقْدِ أَلْيَقُ[1]
فَيُطْلِعُ شَمْساً مِنْ نَتَائِجِ فِكْرِهِ ... تَأَلَّقُ فِي لَيْلِ ٱلْخُطُوبِ وَتُشْرِقُ
يُقَلِّدُ أَجْيَادَ ٱلْمَنَابِرِ لَفْظُهُ ... عُقُوداً بِهَا يَزْدَانُ غَرْبٌ وَمَشْرِقُ
يَجُرُّ عَلَىٰ سَحْبَانَ فَضْلَ ذُيُولِهِ ... إِذَا فَاهَ مِنْهُ فِي ٱلْمَحَافِلِ مَنْطِقُ
وَتَهْتَزُّ أَعْوَادٌ تَكَادُ إِذَا ٱعْتَلَىٰ ... ذُرَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ ٱلْوُرْقِ تُورِقُ
وَكَمْ أَنْشَأَتْ أَقْلَامُهُ مِنْ خَمِيلَةٍ ... يُنَمْنَمُ مِنْهَا طِرْسُهُ وَيُنَمَّقُ
هِيَ ٱلرَّوْضَةُ ٱلْغَنَّاءُ لَكِنْ يَمِينُهُ ... أَسَحُّ مِنَ ٱلأَنْوَاءِ جُوداً وَأَغْدَقُ
مِنَ ٱلنَّفَرِ ٱلْغُرِّ ٱلَّذِينَ بِذِكْرِهِمْ ... تُغَرِّبُ رُكْبَانُ ٱلْعُلاَ وَتُشَرِّقُ
هُمُ أَعْرَقُوا فِي ٱلأَكْرَمِينَ مَحَامِداً ... فَمَا مِنْهُمُ إِلا كَرِيمٌ وَمُعْرِقُ
غَدَا ٱلْجُودُ خُلْقاً فِيهِمُ وَسِوَاهُمُ ... إِذَا جَادَ يَوْماً فَهْوَ فِيهِ تَخَلُّقُ
وَمَنْ كَانَ زَيْنُ ٱلدِّينِ مِنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ ... فَخَارٌ عَلَىٰ نَسْرِ ٱلسَّمَاءِ مُحَلِّقُ
هُمُ ٱلْمُطْعِمُونَ ٱلزَّادَ وَٱلْغَيْثُ مُمْسِكٌ ... وَأَيْدِيهِمُ بِٱلْمَكْرُمَاتِ تَدَفَّقُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا ضُيُوفاً بِرَبْعِهِ ... وَبَاتَ عَلَى ٱلنَّارِ ٱلنَّدَىٰ وَٱلْمُحَلَّقُ[2]

---

(١) ما بين معقوفين غير واضح في الأصل ، وفي (ب) : (وزين كلتا رتبتيه التي) ، وهو غير مستقيم وزناً .

(٢) هٰذا الشطر أخذه من قول الأعشىٰ :

تشبُّ لمقرورَينِ يصطليانها ... وباتَ على النار الندىٰ والمُحلَّق

والمُحلَّق : لقب عبد العُزَّى بن حنتم ، وبعضهم ضبط اللام المشددة بالكسر ، ولبيته قصة ذكرها عبد القادر البغدادي وغيره . انظر « خزانة الأدب » (٧/ ١٥٤ـ١٥٥) .

أَمَوْلاَيَ زَيْنَ ٱلدِّينِ خُذْ بِنْتَ يَوْمِهَا أَتَـاكَ بِهَـا لِـي خَـاطِـرٌ يَتَـدَفَّـقُ
يُرِيكَ صَحِيحَ ٱلْوُدِّ فِي صَفَحَاتِهَا إِذَا كَـانَ لِـلأَقْـوَامِ وُدٌّ مُلَفَّـقُ

تُوفِّيَ زينُ الدينِ في عاشرِ رجبٍ سنةَ اثنتينِ وستينَ وستِّ مئةٍ ، سقطَ عليهِ جدارٌ فماتَ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٠٦) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٣٠٤) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ الفاضلُ نجمُ الدينِ أبو نصرٍ فتحُ بنُ موسى بنِ حمَّادِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عيسى الجَزِيريُّ الأصلِ القَصْريُّ المَرْبى المصريُّ الدارِ السُّيُوطيُّ الوفاةِ[1]

سمعَ بدمشقَ : مِنَ الكِنْديِّ ، وببغدادَ : مِنِ ابنِ الدُّبَيْثيِّ ، واجتمعَ بالعلماءِ ودرَّسَ وأفتى ، واشتغلَ بالأصولِ بالشام وبمصرَ وبغدادَ ، وكانَ فاضلاً أصوليّاً ، أديباً شاعراً ، ولهُ شعرٌ لم يحضُرْني[2] .

وُلِدَ بالجزيرةِ الخضراءِ مِنَ الأندلسِ في رجبٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بسُيوطَ مِنْ صعيدِ مصرَ في رابعِ جُمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

---

(١) قوله : (القصري) نسبة إلى (قصر ابن عبد الكريم) المعروف بـ (قصر كتامة) .

(٢) نَظَمَ « سيرة ابن هشام » على قافية الراء في اثني عشر ألف بيت ، كما نظم « المفصل » للزمخشري ، و« الإشارات » لابن سينا .

(٣) انظر « صلة التكملة » (٢/٥١٨ـ٥١٩) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/٣٢٧ـ٣٢٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/١٥٣ـ١٥٤) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ بدرُ الدينِ أبو المحاسنِ
يوسفُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ السِّنْجاريُّ

تفقَّهَ ببلادِ الشرقِ على العلماءِ ، ورحلَ إلىٰ بغدادَ ، ثمَّ عادَ إلى البلادِ ووليَ القضاءَ .

ثمَّ لمَّا تولَّى السلطانُ الملكُ الصالحُ نجمُ الدينِ أيوبُ بنُ أبي بكرٍ . . وجَّهَ إليهِ فحضرَ ، وكانَتْ لهُ عليهِ خِدَمٌ سلفَتْ ، فتمكَّنَ مِنْ دولةِ السلطانِ الملكِ الصالحِ تمكُّنَ الروحِ مِنَ الجسدِ ، ثمَّ ولاهُ قضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريةِ ، وكانَ مُنطوياً علىٰ جميلِ أخلاقٍ وعلىٰ كرمِ نَفْسٍ ، وفتوَّةٍ ومروءةٍ ، واعتقادٍ صحيحٍ ، وكانَ أَمَرَ بضربِ بعضِ الحشويةِ ، وأخمدَ كلمتَهُم .

وممَّا يُحكىٰ عنهُ مِنْ مروءتِهِ وفتوَّتِهِ : أنَّهُ جرتْ عادتُهُ إذا حضرَ بينَ يديهِ شيءٌ . . يُطعِمُ منهُ مَنْ حولَهُ ، فكانَ ذاتَ يومٍ جالساً ، فأحضرَ لهُ شخصٌ قُفَّةً صغيرةً فيها ريحانٌ وعشرُ خياراتٍ في غيرِ وقتِ الخيارِ ، فمدَّ يدَهُ فأخذَ واحدةً فأكلَها وطرحَ بعضَ قشرِها ، ثمَّ أخذَ الثانيةَ ففعلَ بها كذلكَ ، ثمَّ الثالثةَ ، إلىٰ أنِ استكملَ العشرةَ ، ثمَّ أمرَ للذي قدَّمَ ذلكَ بحلوٍ ودراهمَ .

فتكلَّمَ معَهُ أصحابُهُ وقالوا لهُ بعدَ خروجِ الرجلِ : صنعتَ اليومَ شيئاً لم تكنْ تصنعُهُ قبلَ ذلكَ !!

فقالَ : قد أبقَيتُ مِنْ كلِّ خيارةٍ قطعةً شاهدةً لي أنَّهُ لمَّا مددتُ يدي أُريدُ جبرَهُ بأكلِ شيءٍ ممَّا قدَّمَهُ إليَّ . . وجدتُها مُرَّةً ، فقلتُ : آكلُ الثانيةَ أدفعُ بها مرارةَ الأولىٰ فوجدتُها مرَّةً أيضاً ، فلم يُمكنِّي إظهارُ التقزُّزِ منها ، فأخذتُ

الثالثةَ فوجدتُها مثلَ أختَيْها ، وكذلكَ إلى العاشرةِ .

قالَ الحاكي لذلكَ : فذُقْنا جميعَ القطعِ مِنَ الخيارِ فوجدْناها مُرَّةً ، ووجدْناهُ احتملَ مضغَها خيفةً على قلبِ الرجلِ ؛ لئلا يتألَّمَ وينكسرَ باطنُهُ ، رضيَ اللهُ عنهُ .

[تُوفِّيَ] في رابعَ عشرَ رجبٍ سنةَ ثلاثٍ وستينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

[ومنهُمْ] :

الشيخُ الإمامُ العالمُ قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ أبو منصورٍ موهوبُ بنُ عمرَ بنِ موهوبِ بنِ إبراهيمَ ، الجزريُّ الشافعيُّ النَّحْويُّ الأصوليُّ يُعرَفُ في بلادِهِ بـ (ابنِ الطبيبِ)

تفقَّهَ بالجزيرةِ : علىٰ أبي القاسمِ عبدِ القاهرِ بنِ مهرانَ المشهورِ بـ (ابنِ البَزْرِيِّ) ، واشتغلَ بالأصولِ وبَرَعَ ودرَّسَ وأفتىٰ[1] ، وتولَّىٰ قضاءَ الجزيرةِ ، وأوقفَني بعضُ الجَزَرِيِّينَ على انتخالٍ مكتوبٍ باسمِهِ وعليهِ علامتُهُ ، ثمَّ حضرَ إلى الديارِ المصريَّةِ وأقامَ بها ودرَّسَ ، ووَلِيَ الحكمَ نيابةً عنِ الشيخِ عزِّ الدينِ ابنِ عبدِ السلامِ[2] ، ثمَّ وَلِيَ استقلالاً مرَّتينِ .

وكانَ يُقرِئُ النحوَ ، وكتبَ الأدبِ ، والتفسيرَ ، والفقهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، والأصولَ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، وكانَ قد وُسِّعَ عليهِ مالُهُ ، وكانَ مُقتصِداً في نفسِهِ ونفقتِهِ ، وانتفعَ عليهِ جماعةٌ مِنْ أكابرِ المصريينَ .

وُلِدَ في نصفِ جمادى الآخرةِ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ بالجزيرةِ ، وتُوفِّيَ في تاسعِ رجبِ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ فجأةً بالمعشوقِ بظاهرِ مصرَ رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

---

(١) وله فتوىٰ شهيرة في مولد سيد الأكوان صلى الله عليه وسلم ؛ قال رحمه الله تعالىٰ في ذلك : (هـٰذه بدعة لا بأس بها ، ولا تكره البدع إلا إذا راغمت السنة ، وأما إذا لم تراغمها فلا تكره ، ويثاب الإنسان بحسب قصده في إظهار السرور والفرح بمولد النبي صلى الله عليه وسلم) انظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (١/٤٤٣) .

(٢) وكان المُترجَم من تلاميذه .

(٣) انظر « صلة التكملة » (٢/٥٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٣٨٧) ، و« رفع =

ومنهُم :

قاضي القضاةِ تاجُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ خلفِ بنِ بدرٍ العَلاَميُّ الشافعيُّ ، يُعرَفُ بـ (ابنِ بنتِ الأَعَزِّ)

قلتُ : هوَ مَلَكٌ في صورةِ بشرٍ ، أظهرَ اللهُ بِهِ العدلَ ونشرَ ، وحفيدُ وزارةٍ مِنْ عُشِّها دَرَجَ ، وفريدُ رئاسةٍ أوصلَتْهُ إلىٰ عرشِها الدَّرَجُ ، وعالمٌ وردَ شِرَعُ الشرائعِ عِدَّهُ[1] ، وتضلَّعَ مِنْ مَعْذَبِها بعلومٍ عِدَّةٍ ، همَّةٌ لا يُدرِكُها المُطاوِلُ ، ونُهوضٌ في ذاتِ اللهِ لا جَرَمَ أنَّهُ إذا صالَ لم يتركْ مَصالاً لصائلٍ ، وإنْ قالَ لم يتركْ مَقالاً لقائلٍ .

لهُ نوادرُ في العلمِ أتَتْ عَفْواً ، وبوادرُ حمتْ لهُ مِنْ حلمِهِ عنِ الكدرِ صَفْواً ، جمعَ السكينةَ والوقارَ ، وأُلقِيَتْ عليهِ المهابةُ مِنْ غيرِ استكبارٍ ، واتَّقى اللهَ فاتقىٰ لا خوفَ ظلمٍ ولكن خوفَ إكبارٍ ، قدِ ارتفعَ علىٰ مقامِ [أهلِ] الزمانِ تاجاً ، واستغنىٰ عن دنياهُم لكنْ كانَ دينُهُم إليهِ مُحتاجاً .

[تفقَّهَ] : على العالم ابنِ الورَّاقِ ، وابنِ السكَّريِّ ، **وقرأَ الأصولَ** : على الأفضلِ الخُونجيِّ ، **وأجازَهُ** : الشيخُ مجدُ الدينِ ابنُ دقيقِ العيدِ ، **وسمعَ** : مِنْ أبي الفضلِ بنِ أبي الحسنِ الهَمْدانيِّ ، وكانَ مُعظِّماً للشيخِ

= الإصر » (١/ ٤٤١-٤٤٢) ، **والمعشوق** : اسم لمكان فيه أشجار بظاهر مصر . انظر الحديث عنه في « المواعظ والاعتبار » (٣/ ٢٨٢) .

(١) **العِدّ** : الماء الجاري الذي لا ينقطع .

عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ[١] [. . .] الشافعية[٢] .

ودرَّسَ أيضاً بالمدرسةِ الصَّلاحيَّةِ المجاورةِ للإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ قد ضربَ في كلِّ فنٍّ بسهمٍ ، مُحَبّاً في أهلِ الخيرِ والصلاحِ ، مُؤثِراً لأهلِ الديانةِ ، يُحِبُّ الفضائلَ وأهلَها ، وكانَ للأدباءِ عندَهُ مَحَلٌّ تبوَّأَ منهُ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ الجزَّارُ الذروةَ ، واستمسكَ مِنْ ودادِهِ بأوثقِ سببٍ وعُرْوةٍ ، وفيهِ يقولُ قصائدَ وأبياتاً يطولُ تَعدادُها ، ويَشغَلُ عنِ المُهِمِّ إيرادُها ؛ فمِنْ أبياتِهِ قولُهُ : [من البسيط]

لاَ تُنْكِرِ ٱلدِّينَ وَٱلدُّنْيَا إِذَا ٱجْتَمَعَا ... مِمَّنْ إِلَىٰ خَلَفٍ يُعْزَىٰ وَمِقْدَامِ
جَـدٌّ تَتِيـهُ مُلُـوكُ ٱلْخَـافِقَيْـنِ بِـهِ ... وَوَالِــدٌ أَيُّ صَــوَّامٍ وَقَــوَّامِ

وشاركَهُ في بعضِ حظِّهِ ، والتشرُّفِ بعنايتِهِ ولَحْظِهِ . . السراجُ عمرُ الورَّاقُ ، فكانَ شاهدَ تلكَ المحاسنِ ، ووارِدَ تلكَ الأنهارِ التي سَلْسَلُها غيرُ آسِنٍ ، فنطقَ فيهِ بمدائحَ اقتضتْها المنائحُ ، يُخجِلُ ثَنَاءَ الزَّهْرِ على الغمامِ ؛ فمنها قولُهُ : [من الوافر]

تَتَـوَّجَـتِ ٱلشَّـرِيعَـةُ مِنْـكَ تَـاجَـا ... بِـهِ ٱمْتَـلأَتْ سُـرُوراً وَٱبْتِهَـاجَـا
إِمَـامٌ لَـمْ يُحَـابِ وَلاَ يُحَـابَـىٰ ... وَقَـاضٍ لَـمْ يُـدَاجِ وَلاَ يُـدَاجَـىٰ
إِذَا أَخَـذَ النَّـدِيَّ رَأَيْـتَ طَـوْداً ... إِذَا صَدَمَ ٱلْجِبَالَ غَدَتْ زُجَاجَا

---

(١) ونقل ابن السبكي عن الإمام المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد قولَهُ : (لو تفرَّغَ ابن بنت الأعز للعلم فاق ابن عبد السلام) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٣١٩) ، وكان توليه القضاء بتعيين من الإمام عز الدين بن عبد السلام رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) ما بين معقوفين غير واضح في الأصل بسبب رداءة التصوير .

وَإِنْ رَاقَ ٱلْمَسَامِعَ مِنْهُ لَفْظٌ غَدَا لِلنَّحْلِ مَنْطِقُهُ مُجَاجَا[1]
لَقَدْ أَمِنَتْ رَعِيَّتُهُ وَكَانَتْ لِفَرْطِ ٱلْخَوْفِ تَرْتَجُّ ٱرْتِجَاجَا
تَتَبَّعَهَا فَلَمْ يَدَعِ ٱخْتِلاَلاً وَثَقَّفَهَا فَلَمْ يَدَعِ ٱعْوِجَاجَا
أَمُغْتَرّاً بِلِينٍ فِيهِ رَاقِبْ وُثُوبَ ٱللَّيْثِ وَٱحْذَرْ أَنْ يُهَاجَا
فَلَوْلاَ ٱللِّينُ فِي ٱلْبِيضِ ٱلْمَوَاضِي لَمَا نَفَعَتْ وَلاَ قَطَعَتْ وِدَاجَا[2]
أَسَائِلَنِي عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ إِنِّي لأَكْرَهُ لِلْمُسَاءَلِ أَنْ يُحَاجَى
رَأَيْتُ بَنِي ٱلْعَلاَمِيِّ ٱسْتَقَلُّوا بِعِلْمٍ تَوَّجَ ٱلإِسْلاَمَ تَاجَا
أَرَى ٱلإِسْلاَمَ مُبْتَهِجاً بِقَاضٍ بِهِ عَادَ ٱلسُّرُورُ لَهُ وَعَاجَا

ومِنْ قصائدِهِ فيهِ : [من الكامل]

عِنْدِي لِمَوْلاَنَا ٱلْوَزِيرِ أَيَادِي بِثَنَائِهَا أَخْرَسْتُ قُسَّ إِيَادِ
وَصَنَائِعٌ أَرْقَى ٱلْمَنَابِرَ خَاطِباً بِبَيَانِهَا فِي حَاضِرٍ أَوْ بَادِ
أَلْهَمْنَنِي مِنْ بَعْدِمَا طَوَّقْنَنِي فَسَجَعْتُ سَجْعَ ٱلْوُرْقِ فِي ٱلأَعْوَادِ
أُنْشِي وَأُنْشِدُ فِي وَزِيرٍ وَصْفُهُ يُرْبِي عَلَى ٱلإِنْشَاءِ وَٱلإِنْشَادِ
وَإِذَا أَعَدْتُ عَلَى ٱلْمَسَامِعِ ذِكْرَهُ فَكَأَنَّنِي لَمْ آتِهَا بِمُعَادِ
تَزْدَادُ جِدَّتُهُ إِذَا رَدَّدْتُهُ وَٱلشَّيْءُ قَدْ يَبْلَى عَلَى ٱلتَّرْدَادِ
تَتَشَوَّقُ ٱلأَسْمَاعُ مِنْهُ لِمِثْلِ مَا نَظَمَتْ أَيَادِيهِ عَلَى ٱلأَجْيَادِ
إِنَّ ٱلْوَزِيرَ بِمَا تَقَلَّدَ نَاهِضٌ لَمْ يَعْيَ عَاتِقُهُ بِحَمْلِ نِجَادِ
يَقِظٌ يُجَرِّدُ لِلأُمُورِ عَزَائِماً تُثْنِي عَلَيْهَا أَلْسُنُ ٱلأَغْمَادِ
أَدْنَتْ لَهُ ٱلْقَاصِي ٱلْبَعِيدَ وَسَهَّلَتْ مَا كَانَ [مَا] لَوْ كَانَ صَعْبَ قِيَادِ

---

(١) المُجاج : العسل .
(٢) الوِداج : العرق في العنق .

وَمَخَـافَـةَ ٱللهِ ٱلَّتِـي مِـنْ أَجْلِهَـا رَعَـدَتْ لَـدَيْـهِ فَـرَائِصُ ٱلآسَـادِ

وَيَـرَاعَـةٌ سَمْـرَاءَ تَصْعَـدُ كَفَّـهُ فَتَـرُوعُ بِيـضَ ظُبَـارِمِ صَفَّـادِ

خَـرْسَـاءَ زَادَ بَيَـانُهَـا لَمَّـا ٱرْتَقَـتْ تِلْـكَ ٱلْبَنَـانَ عَلَـىٰ بَيَـانٍ زِيَـادِ

فِـي رِيقِهَـا شَهْـدٌ وَسُـمٌّ فِيهِمَـا أَمْـنُ ٱلْـوَلِـيِّ وَرَوْعَـةُ ٱلأَضْـدَادِ

أَكْرِمْ بِتَاجِ ٱلدِّينِ صَدْراً لَمْ يَزَلْ وَمَكَانُهُ فِي ٱلنَّاسِ صَدْرُ ٱلنَّادِي

قَـدْ جَـاءَ بِـٱلْبُـرْهَـانِ فِيمَـا حَلَّـهُ حَتَّـىٰ ظَفِـرْنَـا مِنْـهُ بِـٱلإِرْشَـادِ

فَـأَقَـامَ أَعْـلاَمَ ٱلشَّـرِيعَـةِ هَـادِيـاً مَنْ كَانَ ضَلَّ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ

اَلصَّاحِبُ ٱلْبَانِي عُلاً لَمْ يَبْنِهَا نَجْـلُ ٱلْعَمِيـدِ وَلاَ بَنُـو عَبَّـادِ

وَٱلطَّـاهِـرُ ٱلأَعْـرَاقِ غَيْـرَ مُـدَافَـعٍ فِـي سُـؤْدَدِ ٱلآبَـاءِ وَٱلأَجْـدَادِ

مِـنْ مَعْشَـرٍ لَهُـمُ ٱلْمَكَـارِمُ عَـادَةٌ شُغِفُـوا بِهَـا فَخْـراً عَلَـى ٱلآبَـادِ

اَلْجَامِعِينَ إِذَا حَبَوْا وَإِذَا ٱحْتَبَوْا لِنَدَى ٱلْبُحُورِ رَجَاحَةَ ٱلأَطْوَادِ

وَٱلصَّادِعِينَ إِذَا بَدَوْا غَسَقَ ٱلدُّجَا بِمَنَـاشِـبٍ وَمَنَـابِـتٍ وَأَيَـادِي

هُمْ ثَبَّتُوا عَلْيَاءَهُمْ فِي تَاجِهِمْ وَيَبِيـنُ سِـرُّ ٱلأَصْـلِ فِي ٱلأَعْـوَادِ

ذَبُّوا وَمَا ٱتَّكَلُوا عَلَىٰ أَحْسَابِهِمْ حَتَّـىٰ أَضَـافُـوا طَـارِفـاً لِتِـلاَدِ

وَلَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى ٱلْوَزِيرِ فَشَدَّ مِنْ أَيْـدِي وَشَيَّـدَ مَنْصِبِـي وَعِمَـادِي

وَبَلَغْتُ فِي أَيَّامِهِ ٱلأَمَلَ ٱلَّذِي أَلْقَـى ٱلْعِنَـانَ إِلَـيَّ بَعْـدَ عِنَـادِ

يَـا سَيِّـدَ ٱلْـوُزَرَاءِ دَعْـوَةُ خَـادِمٍ بِكَ عَادَ لاَ يَخْشَى ٱلزَّمَانَ ٱلْعَادِي

[وُلِدَ في مُستهَلِّ رجبٍ سنةَ أربعٍ وستِّ مئةٍ ، وتوفِّيَ ليلةَ السابعِ والعشرينَ مِنْ شهرِ رجبٍ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ][1] .

---

(١) ما بين معقوفين بياض في الأصل، وعلى الهامش: (بعده يذكر المولد والوفاة ، ثم يقال : ورثاه جماعة من الشعراء بقصائد) وبناء على التاريخ المذكور كان حق الترجمة أن تُقدَّم .

ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ بقصائدَ ؛ **فممَّا رثاهُ بِهِ سراجُ الدينِ** : [من الخفيف]

عَرَفَ ٱلْمَوْتُ قَدْرَ مَنْ هُوَ طَالِبْ ... فَأَلَحَّتْ صُرُوفُهُ وَٱلنَّوَائِبْ
وَأَتَىٰ رَاجِياً لِبَابِكَ عِلْماً ... أَنَّ رَاجِيكَ لَيْسَ يَرْجِعُ خَائِبْ
وَلَكَمْ دَافَعَتْهُ عَنْكَ حَيَاةٌ ... غَالَبَتْهُ عَلَيْكَ وَٱلْمَوْتُ غَالِبْ
قَدْ أَصَمَّ ٱلنَّاعِي بِكَ ٱلْيَوْمَ حَتَّىٰ ... رَجَباً فَٱسْمُهُ ٱلأَصَمُّ مُنَاسِبْ
وَلَئِنْ مُتَّ فِيهِ فَٱلآنَ لاَ يَخْـ ... ـتَلِفُ ٱلنَّاسُ فِي ٱنْقِطَاعِ ٱلرَّغَائِبْ[1]
وَا عَنَاً لِلإِسْلاَمِ بَعْدَكَ وَا ضَيْـ ... ـعَةَ ٱلْمُلْكِ وَا خُلُوَّ ٱلْمَنَاصِبْ
كَمْ غَدَا بَاكِياً لِفَقْدِكَ مِحْرَا ... بُ إِمَامٍ وَمِنْبَرٌ تَحْتَ خَاطِبْ
دَرَسَتْ بَعْدَكَ ٱلْمَدَارِسُ وَٱنْحَطَّ ... بِحُكْمِ ٱلأَقْدَارِ قَدْرُ ٱلْمَرَاتِبْ
أَيْنَ ذَبٌّ عَنِ ٱلشَّرِيعَةِ مِنْ عَزْ ... مِكَ قَدْ أَرْغَمَ ٱلْقَنَا وَٱلْقَوَاضِبْ[2]
وَٱتِّبَاعٌ لِمَذْهَبِ ٱلْحَقِّ لاَ تَعْـ ... ـدِلُ عَنْهُ عَلَى ٱتِّسَاعِ ٱلْمَذَاهِبْ
كُنْتَ عَبْدَ ٱلْوَهَّابِ مِنْ أَنْعُمِ ٱللهِ ... عَلَيْنَا وَمِنْ أَجَلِّ ٱلْمَوَاهِبْ
فَغَدَا ٱلْيَوْمَ سَالِباً مِنْكَ مَا أَعْـ ... ـطَاهُ وَٱللهُ خَيْرُ مُعْطٍ وَسَالِبْ
كُنْتَ تَاجاً عَلَى ٱلشَّرِيعَةِ تَكْفِيـ ... ـهَا مِنَ ٱلْمُلْحِدِينَ شَرَّ عَصَائِبْ
كُنْتَ كَٱلْبَدْرِ طَالِعاً فِي دُجَا ٱلْخَطْـ ... ـبِ وَلاَ بُدَّ أَنْ يُرَى ٱلْبَدْرُ غَائِبْ
أَيْنَ تِلْكَ ٱلأَنَاةُ أَيْنَ وَقَارٌ ... يَسْتَخِفُّ ٱلْجِبَالَ ذَاتَ ٱلْهَوَاضِبْ
مَنْ رَأَىٰ مَا رَآهُ مِنْ سُؤْدَدٍ سَا ... رَ لَهُ فِي مَشَارِقٍ وَمَغَارِبْ

---

(١) **أشار بذلك** : إلىٰ صلاة الرغائب التي تفعل في شهر رجب ، وفيها خلاف بين الأئمة ؛ فالكثير منهم ذهب إلىٰ كراهتها ، وذهب الغزالي وغيره إلىٰ استحبابها ، وللحافظ الزبيدي كلام نفيس حول صلاة الرغائب . انظر « المجموع » (٣/ ٥٤٩) ، و« إحياء علوم الدين » (١/ ٧٥٠ـ٧٥١) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٣/ ٤٢٢ـ٤٢٥) .

(٢) **القواضب** : جمع قضيب ؛ وهو السيف اللطيف الدقيق .

مَا رَأَى ٱلنَّاسُ حَاكِماً جَاءَ مِلْكُ ٱلْـ ... أَرْضَ يَسْعَىٰ لَهُ بِدَعْوَىٰ مُطَالِبْ
وَلَئِـنْ عُـدَّتِ ٱلْمَنَـاقِـبُ لِلْقَـا ... ضِـي فَلِلَّـهِ مَـا لَـهُ مِـنْ مَنَـاقِـبْ
قُـلْ لِأَبْنَـائِـهِ وَصَـدْرُهُـمُ ٱلصَّـدْ ... رُ وَأَصْبَـاهُـمُ لَـهُ حِلْـمُ شَـائِـبْ
إِنْ هَوَىٰ مِنْ سَمَائِكُمْ بَدْرُهَا ٱلتَّمُّ ... فَمَـا عُطِّلَـتْ وَأَنْـتُـمْ كَـوَاكِـبْ[1]

* * *

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣١٨ـ٣٢٣) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ١٦٤ـ١٦٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٩٩ـ٢٠٠) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ تاجُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الشيخِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ ابنِ ميمونٍ ابنُ القسطلانيِّ القيسيُّ المصريُّ المالكيُّ

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وسمعَ بمكَّةَ : مِنْ أبي الفرجِ يحيى بنِ ياقوتٍ ، وأبي شجاعٍ زاهرِ بنِ رستمَ الأصفهانيِّ ، والشريفِ يونسَ بنِ يحيى الهاشميِّ ، وأبي الفتوحِ نصرِ بنِ أبي الفرجِ الحُصْريِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ البنَّاءِ ، وغيرِهم ، وبمصرَ : مِنْ أبي روحٍ المُطهَّرِ بنِ أبي بكرٍ البيهقيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ خلفٍ الكوميِّ ، والحافظِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ المقدسيِّ ، وغيرِهم ، وسمعَ مِنْ أبيهِ .

ودرَّسَ بمدرسةِ المالكيَّةِ ، وبدارِ الحديثِ بالقاهرةِ المحروسةِ ، وكانَ مِنَ الخيرِ والصلاحِ وحسنِ الاصطلاحِ علىٰ أمرٍ عظيمٍ ، وكانَ لهُ وجاهةٌ عندَ الأكابرِ .

وُلِدَ في ليلةِ السابعَ عشرَ مِنْ جمادى الأولىٰ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السابعَ عشرَ مِنْ شوالٍ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ .

رثاهُ جماعةٌ مِنْ شعراءِ مصرَ ؛ منهُمُ : السراجُ عمرُ بنُ محمدِ بنِ حسنٍ الورَّاقُ بقصيدةٍ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ ونقلتُها مِنْ خطِّهِ : [من الكامل]

هَلْ لِلرَّدَىٰ عِلْمٌ بِمَنْ يَخْتَارُ ... أَمْ هَمُّهُ ٱلْعُلَمَاءُ وَٱلأَخْيَارُ

ذَهَبُوا فَأَظْلَمَتِ ٱلْمَسَالِكُ بَعْدَهُمْ ... وَمَضَوْا فَضَلَّ ٱلسَّالِكُونَ وَحَارُوا

غَابَتْ بُدُورُ حَنَادِسٍ تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ... مِنْهُمْ وَغَارَتْ فِي ٱللُّحُودِ بِحَارُ[1]

تَـٱللهِ لاَ وَٱللهِ لاَ أَبْقَـىٰ ٱلْـوَرَىٰ ... لَيْـلٌ يَكُـرُّ عَلَيْهِـمُ وَنَهَـارُ

أَتَرَىٰ سِهَامَ ٱلْمَوْتِ تُخْطِئُ أَنْفُساً ... بَيْـنَ ٱلْحِمَـامِ وَبَيْنَهَـا أَوْتَـارُ

أَوْ أَنْ تَرُومَ مَزِيدَ عُمْرٍ وَٱلْقَضَا ... حَتْـمٌ بِـهِ ٱلأَرْزَاقُ وَٱلأَعْمَـارُ

لاَ يَمْنَعُ ٱلْمَلِكَ ٱلْمُتَوَّجَ حِصْنُهُ ... مِـنْ حَتْفِهِ وَٱلْجَحْفَـلُ ٱلْجَـرَّارُ

كَـلا وَلاَ لِلطِّفْـلِ مِنْـهُ رَأْفَـةٌ ... تُـرْجَـىٰ وَلاَ لِلشَّيْـخِ مِنْـهُ وَقَـارُ

غادَاكَ تَاجَ ٱلدِّينِ صَوْبُ غَمَامَةٍ ... أَنْـوَاؤُهَـا كَـدُمُـوعِنَـا مِـدْرَارُ

وَلَقَـدْ بَكَتْـكَ كَمَـا بَكَيْنَـا سُنَّـةٌ ... قَـدْ سَنَّهَـا لِـلأُمَّـةِ ٱلْمُخْتَـارُ

جَلَّيْتَهَـا وَحَمَيْتَهَـا مِـنْ آفِـكٍ ... للهِ سُـورٌ حَفَّهَـا وَسِـوَارُ

بَلْ كُنْتَ إِذْ جَلَّيْتَ عَلْيَا تَاجِهَا ... وَجَمِيعُ لَفْظِكَ جَوْهَـرٌ وَنُضَـارُ

فَٱذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ ... أَثْنَـىٰ عَلَيْهَـا ٱلسَّهْـلُ وَٱلأَوْعَـارُ

وَٱفْخَرْ بِمَا لَكَ مِنْ فُرُوعٍ قَدْ زَكَتْ ... وَكَـذَا أُصُـولُـكَ سَـادَةٌ أَطْهَـارُ

وَأَرَىٰ سَمَاءً مِنْكَ تَغْرُبُ شَمْسُهَا ... طَلَعَـتْ بِهَـا وَتَجَلَّـتِ ٱلأَقْمَـارُ

وَأَرَى ٱلْـوَزِيـرَ عَلِيّـاً ابْـنَ مُحَمَّـدٍ ... جَـاراً لَهُـمْ يَبْقَـىٰ وَنِعْـمَ ٱلْجَـارُ

لاَ زَالَ مَحْرُوسَ ٱلْجَنَابِ مُؤَيَّداً ... مَا غَرَّدَتْ فِي دَوْحِهَا ٱلأَطْيَارُ[2]

* * *

---

(١) الحنادس : جمع حِنْدِس ؛ وهو الليل المظلم .

(٢) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٥٢ـ٥٥٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٠٠ـ٢٠١) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ الورعُ الزاهدُ المُقرِئُ شهابُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، المعروفُ بـ (ابنِ أبي شامةَ)

قرأَ القرآنَ الكريمَ على الشيخِ عَلَمِ الدينِ السخاويِّ ، واشتغلَ عليهِ وعلىٰ أبي عمرٍو ابنِ الحاجبِ بالنحوِ ، وروىٰ عن جماعةٍ مِنَ المشايخِ المُحدِّثينَ .

وكانَ مِنَ العلماءِ الأكابرِ[1] ، أشعريَّ الاعتقادِ ، تابعاً في ذلكَ شيخيهِ السخاويَّ وابنَ الحاجبِ .

وكانَ السَّخاويُّ قد نَظَمَ قصيدةً يردُّ فيها على الحشويَّةِ ، فانتصبَ لمُنابذتِهِ وناقضَهُ في النظمِ نجمُ الدينِ بنُ حمدانَ الحنبليُّ ، وأفحشَ في الكلامِ وسفَّهَ ، ونسبَ للأشعريِّ ما لا يليقُ ، فنَظَمَ الشيخُ شهابُ الدينِ قصيدتَهُ الميميَّةَ رادّاً على ابنِ حمدانَ ، مُنتصِراً لمذهبِ الحقِّ وللشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وناصراً لشيخِهِ عَلَمِ الدينِ السَّخاويِّ ، وهيَ قصيدةٌ طويلةٌ لا يَسَعُ هٰذا المُصنَّفَ ذكرُها ، لٰكنْ نذكرُ منها بعضَها ؛ فمنها : [من الخفيف]

أَحْمَدُ ٱللهَ ذَا ٱلْجَلَالِ لَهُ ٱلْأَمْـ ـرُ [. . .] دَائِماً قَيُّوماً[2]

وَأُصَلِّي مُسَلِّماً أَبَدَ ٱلدَّهْـ ـرِ عَلَىٰ كُلِّ مُرْسَلٍ تَسْلِيمَا

وَنَبِيٍّ وَمَلَأكٍ وَصَفِيٍّ وَوَلِيٍّ وَتَابِعِينَ عُمُومَا

---

(١) وألف مؤلفات نفيسة ؛ منها : « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » ، و« الباعث على إنكار البدع والحوادث » ، و« كتاب البسملة الأكبر » ، و« كتاب البسملة الأصغر » انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٦٥) .

(٢) كذا في الأصل ، والشطر سقط منه ما يتم به وزنه .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لاَ تَكُونُوا كَمَنْ ضَلُّـ ... ـوا عُقُولاً وَقَدْ أَضَلُّوا فُهُومَا

وَٱسْمَعُوا نَظْمَ مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ قَمْـ ... ـعِ أُولِي ٱلْحَشْوِ شَيْخَهُ ٱلْمَرْحُومَا

اَلسَّخَاوِيَّ شَيْخَ أَشْيَاخِ ذَا ٱلْعَصْـ ... ـرِ لَهُ ٱلْفَضْلُ ظَاعِناً وَمُقِيمَا

جَامِعاً عِفَّةً وَزُهْداً وَدِيناً ... وَسَخَاءً وَرَأْفَةً وَعُلُومَا

قَالَ شِعْراً فِي ٱلأَشْعَرِيِّ إِمَاماً ... نَصَرَ ٱلدِّينَ أَحْسَنَ ٱلتَّعْلِيمَا

وَأُولُو ٱلْحَشْوِ وَٱلضَّلاَلَةِ وَٱلْبِدْ ... عَةِ يَدْعُونَهُ ظَلُوماً غَشُومَا

أَوْقَفُونِي عَلَىٰ قَصِيدَةِ مَنْ رَا ... مَ ٱعْتِرَاضاً فَقَالَ قَوْلاً ذَمِيمَا

سَاقِطاً لَيْسَ يَسْتَحِقُّ جَوَاباً ... وَحَوَىٰ بِدْعَةً وَمَعْنىً وَخِيمَا

سَاءَ فِعْلاً لَوْ لَمْ أَخَفْ مِنْ جَهُولٍ ... غِرَّةً مَا أَجَبْتُهُ تَنْظِيمَا

منها :

قَالَ قَدْ كَانَ ٱلأَشْعَرِيْ فِي ٱعْتِزَالٍ ... قَبْلَ مَا تَابَ عَدَّ ذَلِكَ شُومَا

قُلْتُ يَكْفِيكَ ذَا سَقَاماً لِفَهْمٍ ... إِنَّ مَنْ ظَنَّ ذَاكَ كَانَ ظَلُومَا

أَتَرَى ٱلإِعْتِزَالَ أَوْلَىٰ مِنَ ٱلشِّرْ ... كِ فَهَذَا ٱلْمَقَالُ لَنْ يَسْتَقِيمَا

عَيَّرَ ٱلتَّائِبِينَ وَٱللهُ أَثْـ ... ـنَىٰ عَلَيْهِمْ وَٱلأَنْبِيَاءُ قَدِيمَا[1]

قَالَ فِيهِ مَثَالِبٌ قُلْتُ كَلا ... حَاشَ للهِ أَنْ يَكُونَ أَثِيمَا

إِنَّ ذَاكَ ٱلْجُزْءَ ٱلَّذِي كَذَبَ ٱلْجَا ... مِعُ فِيهِ بَغْياً وَعَدْواً وَلُومَا[2]

بَيَّنَ ٱلْحَافِظُ ٱلإِمَامُ ٱلَّذِي كَا ... نَ عَلَيْهِمْ مُصَمِّماً تَصْمِيمَا[3]

---

(١) وكأن سقام هـٰذا الفهم قد أخذه من قدوته المفتري الأهوازي الذي نسب الأكاذيب الفاحشة لإمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري ، وأتىٰ بجهالات شنيعة من جملتها عدم قبول توبة المبتدع . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٤٢ ، ٦٦٩ـ٦٧٥ ، ٧٥٤ـ٧٥٥) .

(٢) في هامش (أ) : (يعني : الأهوازي) أي : في جزئه الذي سمَّاه « مثالب ابن أبي بشر » .

(٣) في هامش (أ) : (يعني : ابن عساكر) أي : في كتابه النفيس « تبيين كذب المفتري » =

كَذِبَ ٱلْمُفْتَرِيْ بِمَا فِيهِ أَضْحَىٰ   مَـنْ تَعَـدَّىٰ مُلَـوَّمـاً تَلْـوِيمَـا

إِنَّ لِـلأَشْعَـرِيْ مَنَـاقِـبَ شَتَّـىٰ   لاَتِقَـاتٍ بِمِثْلِـهِ تَكْـرِيمَـا

عَضَّدَ ٱلدِّينَ بِٱلتَّصَانِيفِ حَتَّىٰ   قَمَـعَ ٱلْمُبْـدِعِيـنَ قَمْعـاً أَلِيمَـا

وَرَأَى ٱلْمُصْطَفَىٰ يَقُولُ لَهُ ٱنْصُرْ   مَذْهَبَ ٱلْحَقِّ رَاحِماً مَرْحُومَا

وَلَكَـمْ تَـابِـعٍ لَـهُ مِـنْ إِمَـامٍ   طَبَّـقَ ٱلأَرْضَ ذِكْـرُهُ تَفْخِيمَـا

كَـأَبِـي زَيْـدَ ٱلْمَـرْوَزِيِّ مَعَ ٱلْقَفَّـ   ـالِ وَٱلصُّعْلُـوكِـيِّ فِيهِـمْ زَعِيمَا

ثُـمَّ ٱلإِسْمَـاعِيلِـيِّ وَٱبْـنِ خَفِيـفٍ   وَٱبْنِ سَمْعُونَ مَعْ سَلِيمٍ سَلِيمَا[1]

وَأَبِـي بَكْـرٍ ابْـنِ فُـورَكَ وَٱلْقَـا   ضِي وَٱلأُسْتَاذِ ٱلْحَائِزِينَ ٱلْمَرُومَا[2]

وَمِـنَ ٱلشَّـامِ وَٱلْعِـرَاقِ ذَوِي عِلْـ   ـمٍ وَدِيـنٍ قَـدْ حُكِّمُـوا تَحْكِيمَـا

كُـلُّ فَـرْدٍ مِنْهُـمْ مَكَـانُ أُلُـوفٍ   ضِيـمَ إِنْ قِسْتُـمُ بِـهِ إِقْلِيمَـا

وَٱحْتَوَى ٱلْغَرْبُ بَعْدَ مِصْرَ عَلَىٰ جَمْـ   ـعٍ كَثِيـرٍ قَـدْ قُـدِّمُـوا تَقْـدِيمَـا

مِـنْ جَمِيـعِ ٱلطَّـرَائِـقِ ٱلْغُـرِّ إِلا   فِرْقَةَ ٱلْحَشْوِ ٱلآكِلِينَ ٱللُّحُومَا

لاَ يُبَـالِـي مَـنْ لَيْـسَ فِيـهِ حَيَـاءٌ   مَـا بِـهِ كَـانَ نَـاطِقـاً مَـرْجُـومَـا

مَنْ يَكُنْ رَدَّ مَا يَقُولُ أُولُو ٱلْبِدْ   عَـةِ جَمْعـاً يَكُـنْ نَصِيـراً قَـوِيمَـا

هِـيَ لِـلأَشْعَـرِيِّ لاَ لِسِـوَاهُ   رُتْبَـةٌ سُلِّمَـتْ [لَـهُ] تَسْلِيمَـا

قَـدَّسَ ٱللهُ رُوحَـهُ وَجَـزَاهُ   جَنَّـةً كَـانَ مَـاؤُهَـا تَسْنِيمَـا

مَنْ يَكُنْ قَالَ قَدْ كَانَ فِي ٱلْقُرْ   آنِ خَلْـقٌ وَلَـمْ يَكُـنْ تَعْلِيمَـا[3]

= الذي قيل فيه : (كل سنِّي لا يكون عنده كتاب « التبيين » لابن عساكر . . فليس من أمر نفسه على بصيرة) .

(١) أي : أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي . انظر (١/ ٤٣٠) .

(٢) المراد بالقاضي : أبو بكر الباقلاني ، والأستاذ : أبو إسحاق الإسفراييني ، رحمهما الله تعالى ، وانظر (١/ ٣٨٦ـ٣٨٧ ، ٤٠٨) .

(٣) بعض كلمات الشطر الأول غير واضحة في الأصل .

دَأْبُـهُ طُـولَ دَهْـرِهِ ذَمُّ هَـٰـذَا ... فِـي ٱلتَّصَانِيفِ وٱلْجِدَالِ مُقِيمَا

لِمَ لَمْ يُلْزِمْهُ ٱلْخُصُومُ بِمَا قُلْـ ... ـتُمْ وَهُـمْ مِنْكُـمْ أَدَقُّ فُهُومَا

إِنَّمَا ٱلْخَلْقُ فِعْلُنَا لاَ صِفَاتُ ٱلرَّ ... بِّ فَـاْعْـرِفْ مُـرَادَهُ تَقْسِيمَا

مَـا رَأَيْنَـا بَيْـنَ ٱلَّـذِي قَـالَـهُ أَحْـ ... ـمَـدُ وَٱلأَشْعَـرِيُّ فَـرْقـاً مُقِيمَا

أَنْـتُمُ فِي ٱلضَّـلاَلِ وَٱلْغَـيِّ لاَ يَبْـ ... ـرَحُ مَـا قَـدْ تَبْنُـونَـهُ مَثْلُـومَا

منها :

كَمْ قَدَ اغْوَيْتُمُ بِحَوْرَانَ وَٱلأَجْـ ... ـبَالِ قَوْماً نَوْكَىٰ وَطِفْلاً يَتِيمَا

وَبِحَـرَّانَ ثُـمَّ حَـوْلاَنَ حَمْقَـىٰ ... أَشْبَهُوا فِي ٱلضَّلاَلِ زِنْجاً وَرُومَا

كُلُّ مَنْ كَانَ هَكَذَا ٱغْتَرَّ بِـٱلْحَـرْ ... فِ وَبِٱلصَّوْتِ فَهْوَ يُبْدِي كُلُومَا

مَا يَرَىٰ غَيْرَ ظَاهِرِ ٱللَّفْظِ قَدْ ضَلَّ ... بِكُـمْ عَـالَـمٌ وَعَـادُوا رَمِيمَـا

أَنْـتُـمُ كُنْتُـمُ لَهُـمْ سَبَـبَ ٱلإِضْـ ... ـلاَلِ ذَاقُـوا بِكُـمْ عَـذَابـاً أَلِيمَـا

كُـلُّ ذَا فِي مِيـزَانِكُـمْ مَـا عَلَيْكُـمْ ... لَـوْ سَكَتُّـمْ لَقَـدْ أَتَيْتُـمْ عَظِيمَـا

بِـدْعَـةً قُلْتُـمُ ٱلْقُـرَانُ بِحَـرْفٍ ... وَبِصَـوْتٍ وُهِّمْتُـمُ تَـوْهِيمَـا

فَنَفَـاهُ أَصْحَـابُنَـا وَأَبَـانُـوا ... لِلْوَرَىٰ ٱلـرَّقْـمَ مِنْهُ وَٱلْمَـرْقُومَا

فَصَلُـوا ذَا مِـنْ ذَا ٱلتِّـلاَوَةِ وَٱلْمَتْـ ... ـلُـوَّ فَصْـلاً مُبَيَّنـاً مَعْلُـومَـا[1]

فَـٱسْتَبَـانَ ٱلْمُحَقِّقُـونَ ضَـلاَلاً ... فِـي ٱعْتِقَـادِكُـمُ وَلَيْـلاً بَهِيمَـا

نَسَبُـوكُـمْ إِلَـى ٱلْحُلُـولِ فَقَـالُـوا ... ٱلنَّصَـارَىٰ أَخَـفُّ مِنْكُـمْ جُـرُومَـا

بِئْسَمَـا قُلْتُـمُ وَأَحْمَـدُ يَبْـرَا ... مِـنْ مَقَـالاَتِكُـمْ وَكَـانَ رَحِيمَـا

مِثْـلَ مَـا جَعْفَـرٌ بَـرِيءٌ مِـنَ ٱلشِّيـ ... ـعَـةِ فِيمَـا رَوَوْا وَكَـانَ حَلِيمَـا

---

(١) أي : فرقوا بين التلاوة والمتلو ، أو اللفظ والملفوظ ، أو الرقم والمرقوم ، كما سيأتي بيانه في (٢/ ٣٦٤-٣٦٥) .

إِنَّ أَصْحَابَ ٱلأَشْعَرِيِّ هُمُ ٱلأَكْـ ـثَـرُ عِلْمـاً مُحَقَّقـاً وَفُهُـومَـا
نَسَبُـوا لِـلإِلَـٰـهِ أَكْمَـلَ وَصْـفٍ وَنَفَـوْا كُـلَّ مُـوهِـمٍ تَجْسِيمَـا
اِبْنَ حَمْدَانَ لاَ حُمِدْتَ وَهَلْ يُحْـ ـمَدُ شَخْصٌ عَنْ غَيِّهِ لَنْ يَرِيمَا[1]
نَـاصِبـاً نَفْسَـهُ ضَـلاَلاً وَبَغْيـاً وَٱعْتِـدَاءً مُعَـانِـداً وَخَصِيمَـا
نَـاسِبـاً غَيْـرَ مَـا نَقُـولُ إِلَيْنَـا لَيْسَ فِينَا مَنْ يَجْحَدُ ٱلتَّكْلِيمَا
كَلَّـمَ ٱللهُ مَـنْ أَرَادَ لِهَـٰذَا قَدْ دَعَوْنَا مُوسَى ٱلنَّجِيَّ ٱلْكَلِيمَا
قَالَ عِلْمُ ٱلْكَلاَمِ قَدْ أَجْمَعَ ٱلنَّا سُ عَلَىٰ ذَمِّـهِ فَكُـنْ مُسْتَقِيمَـا
قُلْتُ عِلْمُ ٱلْكَلاَمِ عِلْمٌ شَرِيفٌ اِنْتِصَـارٌ لِلـدِّيـنِ إِنْ هُـوَ ضِيمَـا
لاَ تَقُلْ بَاطِلاً فَمَا ذَمَّ أَهْلُ ٱلْـ ـعِلْـمِ إِلا ٱعْتِقَـادَكَ ٱلْمَـوْهُـومَـا
إِنَّمَـا ذَمَّـهُ ٱلإِمَـامُ ٱبْـنُ إِدْرِيـ ـسٍ زَمَاناً [قَدْ]كَانَ فِيهِ وَخِيمَا
هَوَ كَٱلسَّيْفِ فِي يَدِ ٱلْحَقِّ حَقٌّ فَلَكَ ٱلْوَيْلُ حَاجِماً مَحْجُومَا

منها :

ثُـمَّ يَـا أَيُّهَـا ٱلَّـذِي نَظَـمَ ٱلشِّعْـ ـرَ جَوَاباً وَخَالَفَ ٱلْمَرْسُومَا
مَا تَأَدَّبْتَ فِي ٱلْمَقَالِ وَقَدْ جِئْـ ـتَ بِنَظْمٍ قَدْ شَبَّهُوهُ ٱلْوَنِيمَا
أَتُبَـارِي بِنَظْمِـكَ ٱلْغَـثِّ نَظْمـاً لإِمَـامِ ٱلْبَـلاَغَتَيْـنِ عَمِيمَـا
لَسْتَ أَهْلاً لَهَا وَمَا ٱسْتَوَتِ ٱلأَقْـ ـدَامُ مَا شَابَهَ ٱلسَّمُومُ ٱلنَّسِيمَا
أَنْتَ فِي ٱلنَّظْمِ مِثْلُ فَهْمِكَ فِي أَصْـ ـلِ ٱلدِّيَانَاتِ مَذْهَباً مَذْمُومَا
بَعُـدَ ٱلْحَنْبَلِـيُّ عَـنْ مَكْـرُمَـاتٍ سَـابِقَـاتٍ لَنَـا وَكَـانَ نَـؤُومَـا[2]
وَأَتَـىٰ بِـٱلْقَبِيـحِ فِـي نُصْـرَةِ ٱلْبَـا طِلِ نَظْمـاً يُشَـابِـهُ ٱلتَّنُّـومَـا[3]

---

(١) **لن يريم** : لن يبرح .

(٢) **المراد** : ابن حمدان بدلالة السياق .

(٣) **التَّنُّوم** : شجر مُرٌّ فيه سواد ييبس عند دخول الشتاء ويذهب .

قَـالَ قَـوْلاً بِـهِ خَلِيـقٌ مَقَـالاً لَيْـسَ فِيـهِ مُشَـارَكـاً مَـزْحُـومَـا

مَـا لَنَـا عَـادَةٌ بِـأَنْ نَمْنَـعَ ٱلْكَلْـ ـبَ نُبَـاحـاً فَخَلِّـهِ مُسْتَـدِيمَـا[1]

قُلْـتُ لَـٰكِـنْ عَـادَاتُنَـا مَـعَ ٱلْكَلْـ ـبِ وَمَنْ أَشْبَهَ ٱلْكِلاَبَ هُجُومَا

أَنْ نَـرُضَّ ٱلـدِّمَـاغَ مِنْـهُ بِنَعْـلٍ أَوْ بِسَيْـفٍ حَتَّـىٰ نَـرَاهُ عَـدِيمَـا[2]

وَنَصُـونَ ٱلإِنَـاءَ مِنْـهُ وُلُـوغـاً وَنَكُـفَّ ٱلثِّيَـابَ عَنْـهُ دَمِيمَـا

إِنَّهُ أَنْجَسُ ٱلنَّجَاسَاتِ فِي ٱلشَّرْ عِ وَقَـدْ عُـدَّ مَـرُّهُ مَحْـرُومَـا

منها :

قَـدْ كَشَفْنَـا بِنَظْمِنَـا ذَا رُمُـوزاً وَفَضَحْنَـا كَـلاَمَـهُ ٱلْمَشْـؤُومَـا

وَرَجَمْنَـاهُ بِـٱلْمَعَـانِـي وَبِـٱللَّفْـ ـظِ لِئَـلا يَطْغَـىٰ وَكَـانَ رَجِيمَـا

لِلشَّيَاطِينِ لَمْ تَزَلْ أَنْجُمُ ٱلشُّهْـ ـبِ ٱلْمَصَابِيحِ فِي ٱلسَّمَاءِ رُجُومَا

وَشَيَـاطِيـنُ ٱلإِنْـسِ قَـدْ رَجَمَتْهَـا شُهُبُ ٱلأَرْضِ مَا تَقِيهَا ٱلنُّجُومَا

مِثْلُ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ وَهُوَ شِهَابٌ لَقَبـاً نَجْـلُ [ٱبْـنِ] إِبْـرَاهِيمَـا

والقصيدةُ مئةٌ وتسعةٌ وتسعونَ بيتاً لا يسعُ الحالُ ذكرَها كاملةً ، وإنَّما أثبتُّ منها هـٰذهِ الأبياتَ .

---

(١) في هامش (أ) : (من كلام ابن حمدان ضمنه) ، وهـٰذا السبُّ الذميم ، والكلام الأثيم ، الناشئان من ابن حمدان . . في حق إمام كبير في زمانه ، وخصوصاً في علم القراءات الذي كان له فيه القدح المعلَّىٰ ، وهـٰكذا هو ديدن المبتدعة في كل زمان ؛ حجتهم وعمدتهم الطعن في الأكابر ، وسبيلهم ومنهجهم الهجوم علىٰ من حازوا المفاخر ، قال الإمام الذهبي في « سيره » (٢٣/ ١٢٣) في حق علم الدين السخاوي : (وكان مع سعة علومه وفضائله ديِّناً حسن الأخلاق ، مُحبَّباً إلى الناس ، وافر الحرمة ، مُطَّرِحاً للتكلف ، ليس له شغلٌ إلا العلم ونشره) .

(٢) نَرُضَّ : ندق أو نكسر .

[تُوفِّيَ] الشيخُ شهابُ الدينِ يومَ الثلاثاءِ تاسعَ عشرَ مِنْ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ بدمشقَ ، ودُفِنَ يومَ الأربعاءِ خارجَ بابِ الفراديسِ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] .

* * *

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٦٥ـ ١٦٨) ، و« غاية النهاية » (١/ ٣٦٥ـ٣٦٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٨/ ٦٧ـ٧٠) .

ومنهُمْ :

الفقيهُ الإمامُ العالمُ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ عطاءِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ ، الإسكندرانيُّ المالكيُّ العدلُ

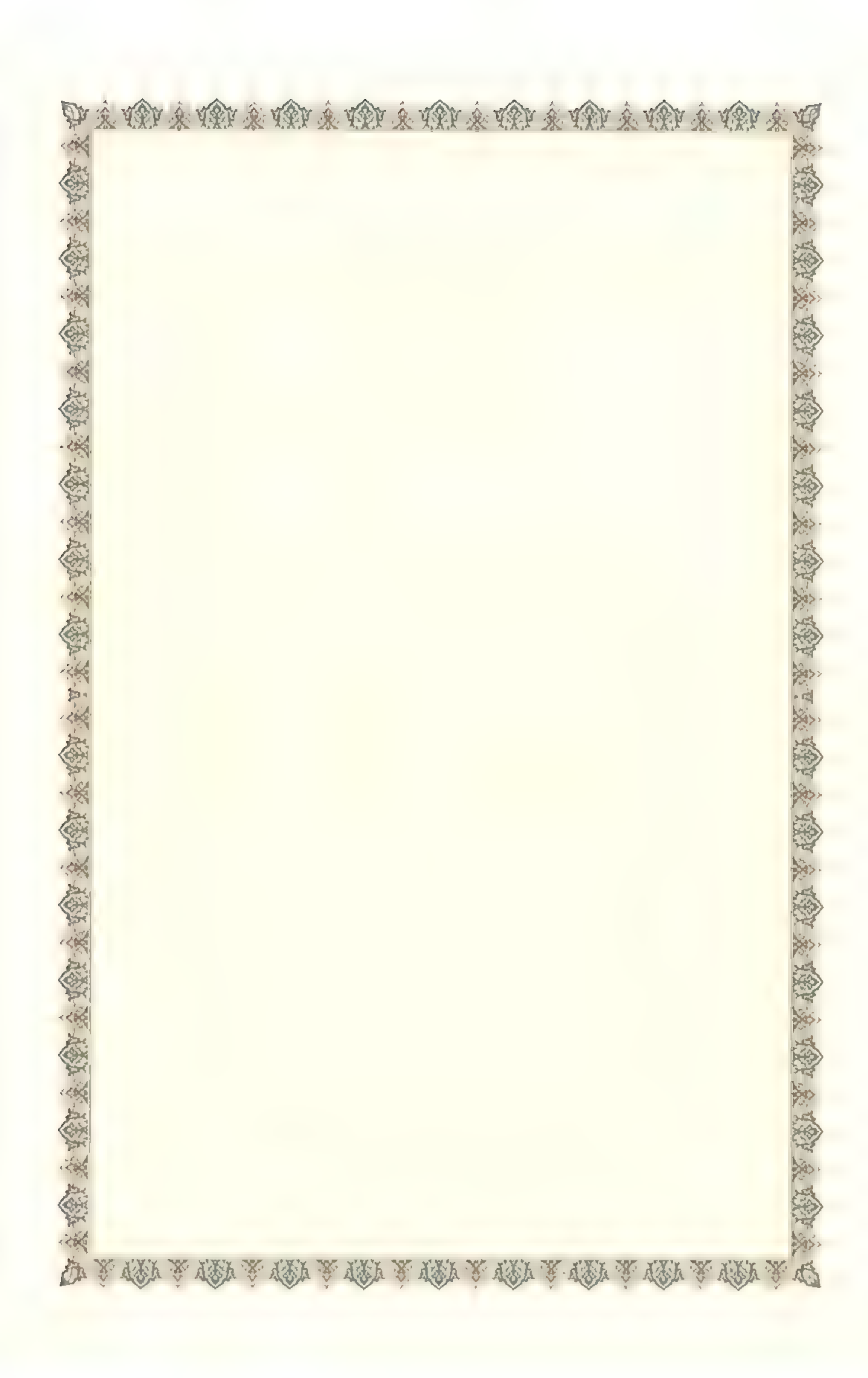
كانَ مِنْ أكابرِ الفقهاءِ المالكيَّةِ ، درَّسَ وأفتىٰ ، وحدَّثَ : عن أبي الفضلِ جعفرِ بنِ أبي الحسنِ الهَمْدانيِّ ، وأبي الحسنِ الأبياريِّ ، تُوفِّيَ بالإسكندريَّةِ عاشرَ رمضانَ سنةَ أربعٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[1] .

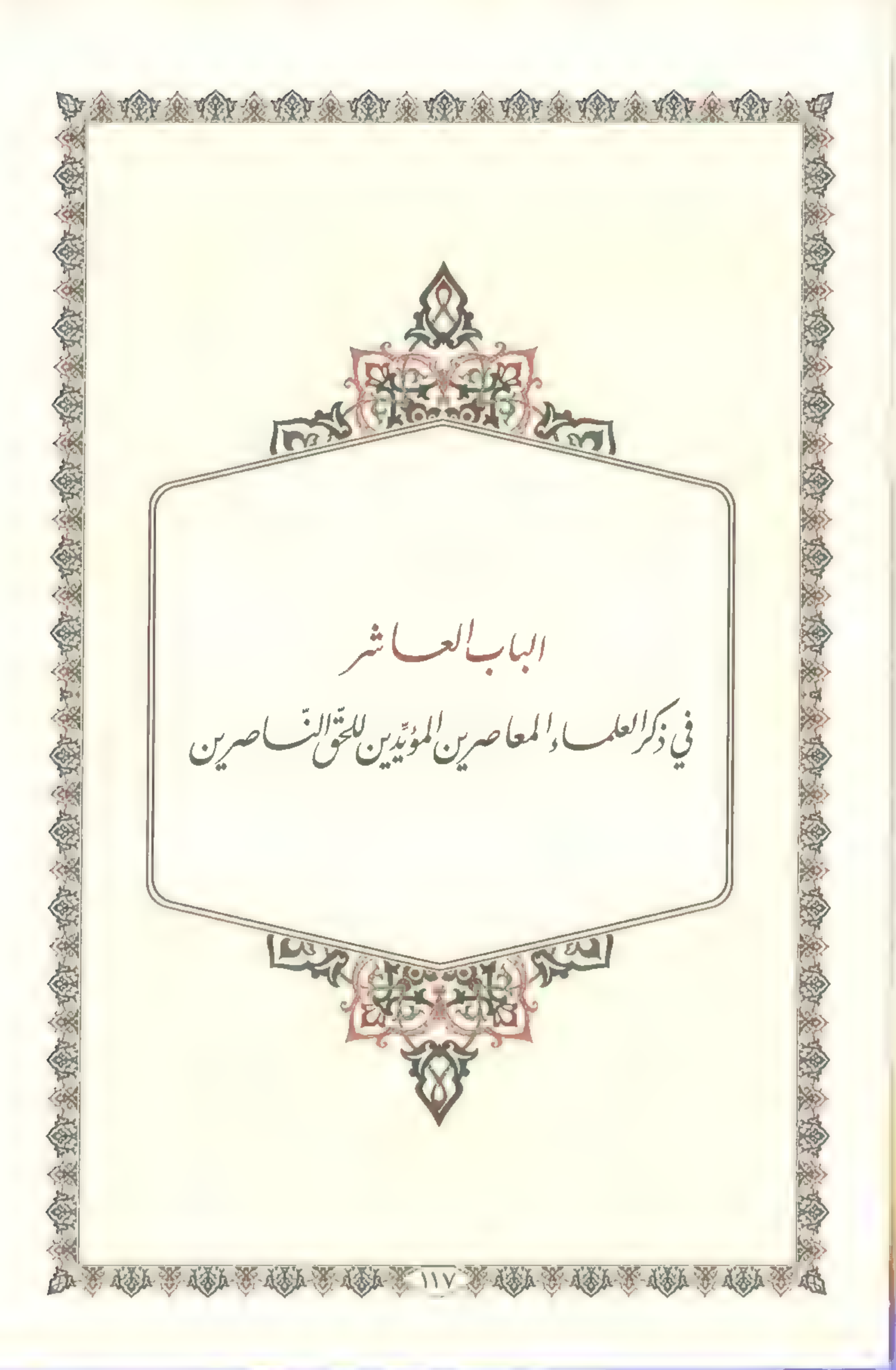
* * *

---

(١) انظر « الديباج المذهب » (ص١٦٧) ، و« حسن المحاضرة » (١/٤٥٦) ، ويلقب بـ (رشيد الدين) ، ومن أحفاده سيدي الإمام المربِّي تاج الدين ابن عطاء الله السكندري الشاذلي ، إمام التصوف في زمانه ، وأحدُ مَنْ قام على ابن تيمية في مسألة الزيارة المشهورة .

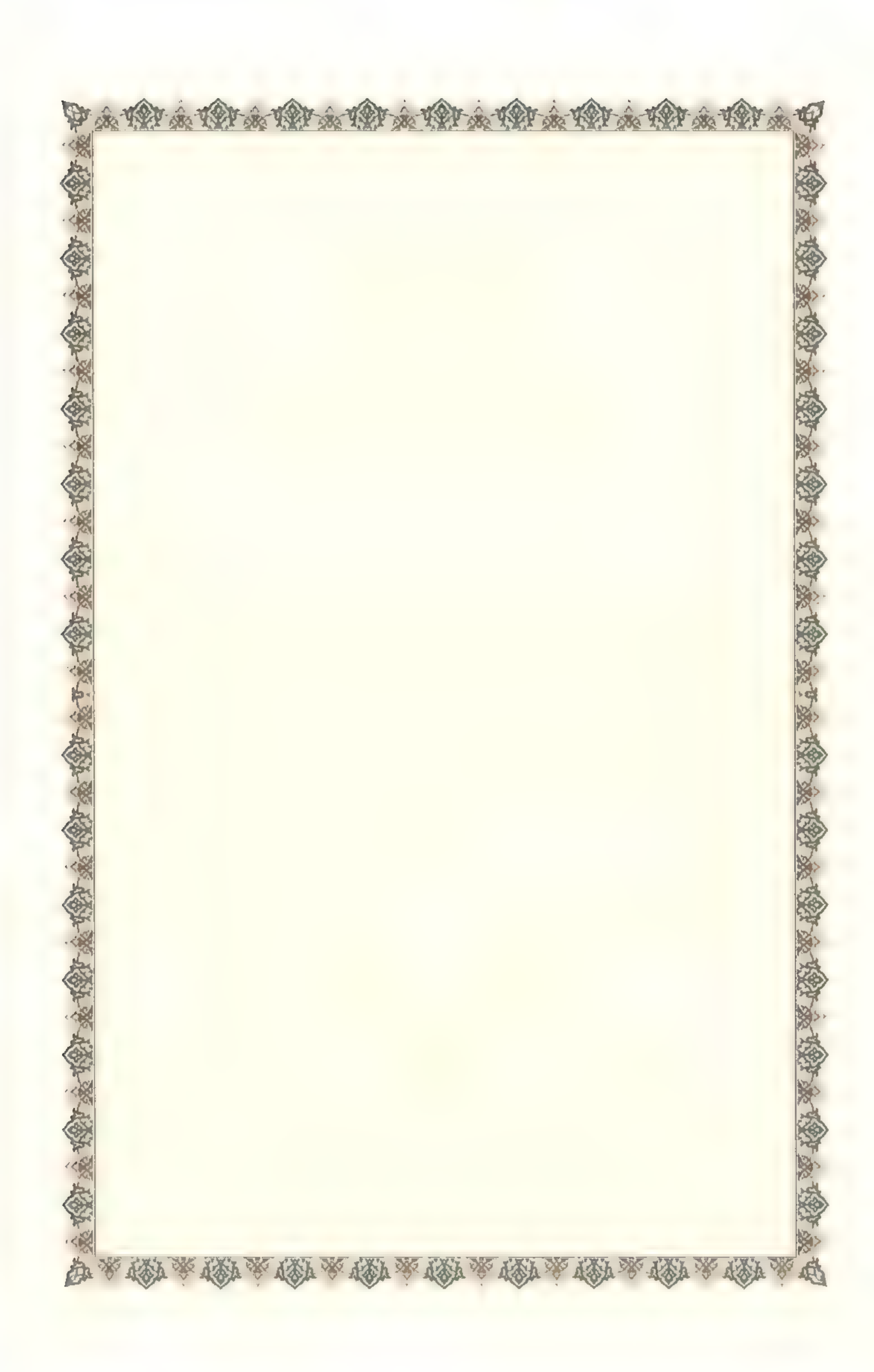
تتميم لتراجم هـٰذا الباب : ومن أئمة الأشاعرة : الإمام الفقيه المفتي الأديب جلال الدين أبو العزائم هُمام بن راجي الله بن سرايا بن ناصر بن داود المصري خطيب الجامع الصالحي خارج باب زويلة ، ولد في ذي القعدة أو في ذي الحجة سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وخمسين وخمس مئة ، وتوفي في ربيع الأول سنة ثلاثين وست مئة ، وقرأ العربية : على ابن بري ، والأصول : على ظافر بن الحسين ، وارتحل إلى العراق ، وتفقه : على المجير البغدادي وابن فضلان ، ثم عاد إلىٰ مصر ، قال الذهبي : وصنَّف ودرس وأفتىٰ وقال الشعر الجيد ، وله كتب في الأصول والخلاف والمذهب . ذكر جميع ذلك ابن قاضي شهبة في « طبقاته » (٢/٩٣ـ٩٤) ، ثم نقل عن إمامنا ابن المعلم قوله في حق الفقيه همام : (قرأت بخطه من تصنيفه في الأصلين والفقه نحو خمسين مجلداً) ، ولعل هـٰذه الترجمة من جملة التراجم الساقطة من كتابنا هـٰذا ، والله تعالىٰ أعلم .





الباب العاشر

في ذكر العلماء المعاصرين المؤيّدين للحق النّاصرين



بابُ
العلماءِ المعاصرينَ المؤيِّدينَ للحقِّ النَّاصرينَ (1)

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

هـٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ إنْ شاءَ اللهُ مَنْ أدركتُهُ مِنْ علماءِ عصرِنا ، وشاهدتُهُ مِنْ صلحاءِ مصرِنا وغيرِ مصرِنا ، وأنا أُوفي بما كنتُ وعدتُ أنْ أُفرِدَ لهُم باباً ، وأُسفِرَ عن محاسنِهِم حجاباً ، وأسرُدَ مِنْ مناقبِهِم ما يُلحِقُ أعجازَ الأزمنةِ بالصدورِ ، ويُبرِزُ النجومَ في صورةِ البدورِ ، وأذكرُ في أوَّلِ كلِّ ترجمةٍ ما يحضرُني مِنْ سجعٍ يروقُ ؛ قضاءً لما لهُم عليَّ مِنَ الحقوقِ .

وترتيبُهم أيضاً في الطبقاتِ : على قضاءِ نَحبِهِم ، وسبقِهِم إلى ربِّهِم ؛ فأبتدئُ بِمَنْ عاصرتُهُ بسنِّ التمييزِ ، مِنْ أولي العلمِ والتبريزِ ، إلى مَنِ انتقلَ إلى اللهِ حينَ تمامِ هـٰذا المُصنَّفِ ، وكمالِ هـٰذا التأليفِ الذي حظيَ ببركتِهِم وتشرَّفَ .

ولم أقتصِرْ على مَنْ لقيتُهُ ومَثُلْتُ بينَ يديهِ ، واستفدتُ منهُ وقرأتُ عليهِ ، بل ذكرتُ مَنْ حضرَني ذكرُهُ مِنْ علماءِ الزمانِ ، وفُضلاءِ الأوانِ ، والصلحاءِ الأولياءِ ، والعارفينَ الأتقياءِ ، على الترتيبِ المُقدَّمِ ذِكرُهُ .

وأسألُ اللهَ القبولَ والحمايةَ عنِ الزللِ بأتمِّ صونٍ ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ .

---

(1) جاء في المقدمة (1/141) : (مؤيدي الحق والناصرين) بدل (للحق الناصرين) ، والتراجم الآتية اقتصر فيها المؤلف على العلماء الموجودين في مصر أو القريبين منها ، ولم يذكر علماء المغرب الأقصىٰ ، وكذلك علماء الشرق والحجاز واليمن وغيرهم ، وقد نص على ذلك فيما سيأتي في (2/306) .

فمنهُمْ :

[الإمامُ مجدُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ وهبٍ ابنُ دقيقِ العيدِ القشيريُّ المالكيُّ]

الذي سعىٰ إلى العلياءِ مَجْداً ، وعلِمَ أنَّ بقدرِ الجِدِّ يُدرَكُ العلا فنالَ بجدِّهِ جَدّاً ، وعلتْ همتُهُ فلم يسعَ لأدنىٰ معيشةٍ ولا لأعلاها مُتموِّلاً ، بل طلبَ العلا فنالَها ولا عجبَ أن يُدرِكَ المجدُ مجداً مُؤثَّلاً[1] : الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ مجدُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي العطايا وهبِ بنِ مطيعِ بنِ أبي الطاعةِ ، القشيريُّ المنفلوطيُّ الأصلِ والمولدِ ، القوصيُّ الدارِ والوفاةِ .

[تفقَّهَ] علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ : علىٰ غيرِ واحدٍ ؛ منهُمْ : الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُفضَّلِ المقدسيُّ ، وصحبَهُ مدَّةً ، وسمعَ منهُ ومِنْ أقرانِهِ مِنْ أصحابِ السِّلَفيِّ ، واشتغلَ بالأصولَينِ على التقيِّ المُقترِحِ ، وصاهرَهُ .

وبرعَ في فنونٍ عديدةٍ ، ودرَّسَ وأفتىٰ ، وانتفعَ بِهِ الناسُ عموماً ، وتخرَّجَ بِهِ جماعةٌ مِنَ الفقهاءِ ، ويكفيهِ فخراً ابنُهُ الشيخُ تقيُّ الدينِ[2] ، وانتفعَ بِهِ جماعةٌ ؛ كالجلالِ الدِّشْنائيِّ ، والبهاءِ القِفْطيِّ ، والسيدِ الشريفِ ضياءِ الدينِ ابنِ عبدِ الرحيمِ ، والقاضي تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ بنِ خلفٍ[3] ، والشمسِ بنِ

---

(١) لا يخفىٰ على الأديب أن هـٰذا مأخوذ من قول امرىء القيس : (من الطويل)

ولـو أنَّ مـا أسعـىٰ لأدنـىٰ معيشـةٍ ... كفاني ـ ولم أطلبْ ـ قليلٌ من المالِ

ولـٰكنَّمـا أسعـىٰ لمجـدٍ مُـؤثَّـلٍ ... وقد يُدرِكُ المجدَ المُؤثَّل أمثالي

انظر « ديوانه » (ص٣٩) ، والمؤثل : المثمر الذي له أصل ، وهو الكثير أيضاً .

(٢) أي : الإمام المجتهد تقي الدين ابن دقيق رحمه الله تعالىٰ .

(٣) وهـٰؤلاء ستأتي تراجمهم .

المُفضَّلِ الأُسْوانيِّ ، وجماعةٌ لا يُحصَرُونَ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ لَيِّنَ الجانبِ ، رقيقَ القلبِ ، حسنَ السَّمْتِ ، كريمَ الأخلاقِ ، مُحَبّاً في أهلِ الخيرِ والديانةِ .

صحبَ الشيخَ أبا الحسنِ ابنَ الصباغِ وتخرَّجَ بهِ ، وأخذَ عنهُ آدابَ الصوفيةِ وأخلاقَهُم ، ولهُ كراماتٌ وأحوالٌ يضيقُ هٰذا المُختصَرُ عن ذكرِها .

وُلِدَ في شهرِ رمضانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ثالثَ عشرَ مُحرَّمٍ سنةَ سبعٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٧٠ـ٥٧١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٤٤) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ نصيرُ الدينِ أبو البركاتِ
المباركُ بنُ يحيى ابنُ الطباخِ الشافعيُّ]

الفقيهُ إذا عُدَّ الفُقَها ، والمُحقِّقُ للأدلَّةَ إذا روَّجَها المُغالِطُ ولفَّقَها ، والسَّخِيُّ بالفوائدِ إذا امتنعَ الضابطُ أن يُنفِقَها ، ولقد كانَتْ لهُ رحمَهُ اللهُ همَّةٌ تعلو مواطِئُها الهامَ ، وسعيٌ إلى المعالي يُتحقَّقُ أنَّهُ إلهامٌ ، لا جَرَمَ مدَّ إلى العلا بباعٍ غيرِ قصيرٍ ، واهتدىٰ إلى المجدِ ببصرٍ غيرِ كالٍّ ولا حسيرٍ ، ونصرَ الحقَّ فكانَ نعمَ النصيرُ : الشيخُ الإمامُ العالمُ الحَبْرُ نصيرُ الدين أبو البركاتِ المباركُ بنُ يحيى بنِ أبي الحسنِ بنِ أبي القاسمِ ، المصريُّ الصوفيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الطباخِ) .

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : علىٰ طلبةِ مُجلِّي بنِ جُمَيعٍ ، وكانَ عارفاً بالجدلِ والخلافِ والأصولَينِ على المقترحِ ، وكانَ يقولُ : (أنا أُفتي في المذاهبِ الأربعةِ ، وأُفتي أيضاً علىٰ مذهبِ أهلِ البيتِ ، غيرَ أنِّي لا أنتحلُ إلا مذهبَ الإمامِ الشافعيِّ) .

برعَ في العلومِ ودرَّسَ وأفتىٰ ، وكتبَ مِنْ كلامِ الأشعريِّ شيئاً كثيراً ، وكانَ حسنَ السَّمْتِ ، صوفيَّ الأخلاقِ ، مُتقدِّماً عندَ الأكابرِ والوزراءِ والملوكِ .

وُلِدَ في الحادي والعشرينَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[1] ،

---

(١) مولده في « صلة التكملة » : في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمس مئة ، وكذلك في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » ، إلا أن فيه (الخامس عشر) بدل (الحادي والعشرين) .

وتُوفِّيَ في الحادي عشرَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ سبعٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/٥٧٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/٣٦٧ـ ٣٦٨) ، وكان للمترجم عناية كبيرة بكتاب « التنبيه » لأبي إسحاق الشيرازي ؛ حتى إنه نُوزِعَ مرّةً في مسألة وقيل له : ليست هاذه في « التنبيه » ، فغضب وقال : ما من مسألة إلا وهي في « التنبيه » ، فقيل له : أين في « التنبيه » : (إن لكلِّ جريةٍ حكماً في الماء الجاري) ؟ فقال : في قوله في (الطلاق) : (وإن قال لها وهي في ماء جار : إن خرجت من هاذا الماء فأنت طالق ، وإن أقمت فيه فأنت طالق.. لم تطلق خرجت أو أقامت) ، فقد جعل لكل جرية حكماً .

ومنهُمُ :

[الإمامُ تقيُّ الدينِ أبو التقىٰ صالحُ بنُ الحسينِ الجعفريُّ الزينبيُّ]

الجعفريُّ أباً ، الهاشميُّ نَسَباً ، القاضي الناظرُ ، والمُناضِلُ المُناظِرُ ، والخطيبُ البليغُ ، والساقي فئةَ الكفرِ ما تتجرَّعُهُ ولا تكادُ تُسِيغُ ، جمعَ بينَ رئاسةِ العلمِ والدينِ ؛ فلذلكَ جمعَ بينَ النظرِ في الأحكامِ والمصالحِ ، وأمِنَ حينَ اتَّقىٰ وأصلحَ فهوَ تقيٌّ وصالحٌ : **الشيخُ الإمامُ العالمُ تقيُّ الدينِ أبو التقىٰ صالحُ بنُ الحسينِ بنِ طلحةَ ، الهاشميُّ الجعفريُّ الزينبيُّ** .

سمعَ : مِنْ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أبي الكرمِ الخلَّالِ .

وكانَ مِنَ الفقهاءِ الأكابرِ ، والعلماءِ الأفاضلِ ، والمُتكلِّمينَ الأماثلِ ، صنَّفَ كتباً في العلومِ ؛ **منها** : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « تخجيلَ أهلِ الإنجيلِ » ، وقفتُ عليهِ في مُجلَّدينِ ، ولهُ خُطَبٌ حسنةٌ ، ونثرٌ ونظمٌ حسنٌ ، تولَّىٰ قضاءَ قوصَ ونظرَها أيضاً .

وُلِدَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ [...] ثمَّ[1] ، وتُوفِّيَ بالقاهرةِ في مُستهَلِّ ذي القعدةِ سنةَ ثمانٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، وما بين معقوفين بياض فيهما بمقدار كلمة ، ولعله أراد أن يذكر بلد الولادة إلا أنه لم يتيسر له أو لم يعثر عليه ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٩٤) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٤٣٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٦٢) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ
أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ اللهِ السبكيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ ، والعَضْبُ الحسامُ ، فارسُ النقضِ والإبرامِ ، والناهي عنِ المنكرِ الحرامِ ، ومُصرِّفُ الأمرِ الجَموحِ كأنَّهُ قد زُمَّ مُصعَبُهُ لهُ بزِمامٍ ، المُجدِّدُ رسمَ المراسمِ المالكيَّةِ حينَ درسَ وعفا ، والعافي عنِ الهافي ومثلُهُ مَنْ قدرَ وعفا ، والعامرُ بسيادتِهِ معالمَ الشرفِ فلذلكَ سُمِّيَ عمرَ وشَرَفاً : الشيخُ العالمُ العلامةُ الحبرُ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ صالحِ بنِ عيسى ، السُّبكيُّ المالكيُّ .

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ : على الفقيهِ الدِّرْعيِّ بمصرَ ، وبالقاهرةِ : على الحافظِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ ، وسمعَ منهُ ومِنَ القاضي أبي محمدٍ عبدِ اللهِ ابنِ مُجلِّي ، وتولَّى الحسبةَ بالقاهرةِ ، ودرَّسَ وأفتى ، ثمَّ تولَّى الحكمَ بالديارِ المصريةِ حينَ جُعِلَتِ القضاةُ أربعةً على مذاهبِ الأئمَّةِ الأربعةِ رضيَ اللهُ عنهُم[1] .

---

(١) وكان القضاء قبل ذلك مُتمحِّضاً للسادة الشافعية ، وكان هـٰذا التغيير والتجديد على يد الملك الظاهر بيبرس ، وكان سبب ذلك : أنه سأل القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلامي المار في (٢/ ١٠٠ـ ١٠٥) في أمر ، فامتنع من الدخول فيه ، فقيل له : مُرْ نائبك الحنفي ، وكان القاضي ـ وهو الشافعي ـ يستنيب من شاء من المذاهب الثلاثة ، فامتنع من ذلك أيضاً ، وجرىٰ ما جرىٰ ، ثم أحدث مثل ذلك في دمشق ، وقيل : إنه ندم على ذلك . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣١٩ـ٣٢١) ففيها تفصيل لهـٰذه الحادثة ، وكان هـٰذا التغيير في حدود سنة (٦٦٤هـ) .

وكانَ سديداً في عقيدتِهِ ويقينِهِ ، شديداً في دينِهِ ، رادعاً للمبتدعةِ ، صادعاً بالحقِّ لا يضرُّهُ مَنْ خذلَهُ ولا مَنْ خدعَهُ .

وُلِدَ في عشرِ ذي الحجةِ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الخامسِ والعشرينَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ تسعٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(1) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦١٠ـ٦١١) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٤٦١ـ٤٦٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٩١ـ٢٩٤) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي الفضلِ الهِنْتاتيُّ المالكيُّ]

الغريبُ المثلِ والوطنِ ، العجيبُ النُّبْلِ والفَطَنِ ، الصادعُ بالحقِّ إذا وهى الصادعُ وجَبَنَ ، والحسنُ فعلاً وقولاً فلذلكَ دُعِيَ أبا الحسنِ : الشيخُ الإمامُ العالمُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي الفضلِ عباسِ بنِ خلفٍ ، الهِنْتاتيُّ المالكيُّ .

كانَ مُشتغِلاً بالفقهِ على مذهبِ مالكٍ ، وبالأصولِ على مذهبِ الإمامِ أبي الحسنِ الأشعريِّ .

ونَظَمَ قصيدةً في مسألةِ الكلامِ جيِّدةً سلكَ فيها مسلكاً جيِّداً ؛ وهيَ : [من الطويل]

بَدَأْتُ بِحَمْدِ ٱللهِ أَسْنَى ٱلْوَسَائِلِ ... إِلَى كُلِّ مَأْمُولٍ مُهِمٍّ وَطَائِلِ

هُوَ ٱلْمُرْتَجَى عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ إِنْ غَدَتْ ... وَمُسْعِفُ رَاجِيهِ [. . .][1]

سَأَلْتَ رَعَاكَ ٱللهُ عَنْ شَرْحِ غَامِضٍ ... مِنَ ٱلْعِلْمِ زَلَّتْ فِيهِ بَعْضُ ٱلْقَبَائِلِ

هُوَ ٱلْقَوْلُ فِي مَعْنَى ٱلْكَلَامِ وَحَدِّهِ ... وَهَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَىٰ نَحْلِ نَاحِلِ

وَعَنْ مَذْهَبِ ٱلتَّحْقِيقِ فِيهِ وَكَشْفِهِ ... عَلَىٰ لُغَةِ ٱلأَعْرَابِ أَهْلِ ٱلْمَحَافِلِ

وَقَطْعِ نِزَاعِ ٱلْخَصْمِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ... بِأَوْضَحِ تِبْيَانٍ وَأَهْدَى ٱلدَّلَائِلِ

فَأَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي جَوَابِكَ رَاغِباً ... إِلَى ٱللهِ فِي تَحْصِيلِ أَعْلَى ٱلْمَنَازِلِ

وَأَوْضَحْتُ عَنْ دِينِ ٱلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ ... وَمَذْهَبِ أَرْبَابِ ٱلْعُلُومِ ٱلأَفَاضِلِ

فَحَدُّ ٱلْكَلَامِ ٱلْقَوْلُ فِي ٱلنَّفْسِ عِنْدَنَا ... وَعِنْدَ جَمِيعِ ٱلْعَارِفِينَ ٱلأَوَائِلِ

وَمَا هُوَ إِلا فِي ٱلْفُؤَادِ حَدِيثُهُ ... نُحِسُّ بِهِ فِي ٱلنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ حَائِلِ

---

(١) ما بين معقوفين في الأصل غير واضح بسبب رداءة التصوير .

وَلَيْسَ بِصَوْتٍ لاَ وَلاَ هُوَ أَحْرُفٌ ... وَلَيْسَ بِلَفْظٍ بِاللِّسَانِ ٱلْمُنَاضِلِ

فَكُلُّ كَلاَمِ ٱلنَّفْسِ قَوْلٌ مُحَقَّقٌ ... تُتَرْجِمُ عَنْهُ مُفْصِحَاتُ ٱلْمَقَاوِلِ

لِسَانٌ وَخَطٌّ ثُمَّ رَمْزٌ مُبَيَّنٌ ... كَلاَمٌ ظَهِيرٌ لَيْسَ عَنْهُ بِمَائِلِ

فَمِنْهُ كَلاَمٌ فِي ٱلتَّقَاسِيمِ حَادِثٌ ... وَمِنْهُ قَدِيمٌ كَامِلٌ وَصْفُ كَامِلِ

فَلِلَّهِ مَا مِنْهُ قَدِيمٌ مُنَزَّهٌ ... وَحَادِثُهُ لِلْحَادِثِينَ ٱلأَمَاثِلِ

لِأَنَّ كَلاَمَ ٱللهِ وَصْفٌ لِذَاتِهِ ... يَجِلُّ جَلاَلُ ٱلذَّاتِ عَنْ كُلِّ بَاطِلِ

وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقاً لَكَانَتْ عُلُومُهُ ... وَقُدْرَتُهُ مَفْعُولَتَيْنِ لِفَاعِلِ

وَمَا كَانَ ذَا عِلْمٍ قَدِيمٍ وَقُدْرَةٍ ... وَسَمْعٍ وَإِدْرَاكٍ مُحِيطٍ وَشَامِلِ

وَلاَ ذَا كَلاَمٍ قَبْلَ خَلْقِ كَلاَمِهِ ... وَذَاكَ مُحَالٌ لَيْسَ قَوْلاً لِعَاقِلِ

وَلَوْ جَازَ فِي ذَاتِ ٱلإِلَٰهِ حُدُوثُهُ ... لَجَازَ حُدُوثُ ٱلذَّاتِ مِنْ غَيْرِ فَاصِلِ

وَلَوْ جَازَ لاَ فِي ٱلذَّاتِ أَوْ ذَاتِ غَيْرِهِ ... لَمَا كَانَ مُخْتَصّاً بِهِ دُونَ قَائِلِ

وَلَٰكِنَّهُ وَصْفٌ لَهُ قَائِمٌ بِهِ ... كَعِلْمٍ وَسَمْعٍ لَيْسَ عَنْهُ بِزَائِلِ

وَمَا دُونَهُ مِنْ مُصْحَفٍ قَدْ تَضَمَّنَتْ ... فَذَلِكَ قُرْآنٌ عَظِيمُ ٱلْمَحَافِلِ

بِإِجْمَاعِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ طُرّاً وَأَنَّهُ ... دَلِيلُ كَلاَمِ ٱللهِ عِنْدَ ٱلتَّعَاقُلِ

وَأَحْرُفُهُ مَخْلُوقَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا ... تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَاهُ وَقْتَ ٱلتَّنَاوُلِ

وَلَوْ كَانَ ذَا صَوْتٍ وَحَرْفٍ كَلاَمُهُ ... لَكَانَ لَهُ ثَغْرٌ كَشَكْلِ ٱلْهَيَاكِلِ

وَلَوْ كَانَ جِسْماً كَانَ صُنْعاً لِصَانِعٍ ... كَسَائِرِ أَجْسَامِ ٱلَّذِي لِلتَّمَاثُلِ

فَلاَ تَلْتَفِتْ أَقْوَالَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ... كَصَلْصَلَةٍ أَوْ مِثْلُ جَرِّ ٱلسَّلاَسِلِ

وَهَلْ ذَاكَ إِلا صَوْتُ جِبْرِيلَ نَازِلاً ... بِوَحْيٍ إِلَى ٱلْمُخْتَارِ أَكْرَمِ نَازِلِ

كَذَا مُقْتَضَى ٱلأَخْبَارِ عِنْدَ شُيُوخِنَا ... فَكُنْ وَاعِياً قَوْلِي لَطِيفَ ٱلشَّمَائِلِ

وَلاَ قَوْلَ قَوْمٍ إِنَّ نَفْيَ مُخَاطِبٍ ... يُحِيلُ قَدِيمَ ٱلْقَوْلِ نُكْتَةَ سَائِلِ[1]

---

(١) وهذا من جملة الإيرادات التي أوردها المعتزلة على أهل السنة والجماعة ؛ وهي أنَّ =

فَمَا نَفْيُ قَوْلٍ لِانْتِفَاءِ مُخَاطَبٍ ... بِحُجَّةِ نِحْرِيرٍ ذَكِيٍّ مُجَادِلِ

كَمَا نَفْيُ مَعْلُومٍ إِذَا لَيْسَ ثَابِتاً ... لِعِلْمٍ بِهِ قَطْعاً لِأَهْلِ ٱلْغَوَائِلِ

وَقَالَتْ بِهِ قَوْمٌ سُمُّوا قَدَرِيَّةً ... وَأَهْلُ ٱعْتِزَالٍ مِثْلُهُمْ حَذْوَ نَاعِلِ

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ فِيهِمْ بِأَنَّهُمْ ... مَجُوسٌ عَلَى ٱلتَّصْحِيحِ فِي نَقْلِ نَاقِلِ[1]

فَتِلْكَ مَقَالَاتٌ لِكُلِّ مُعَانِدٍ ... وَكُلِّ غَبِيٍّ فَاسِدِ ٱلْعَقْلِ جَاهِلِ

فَهَـٰذَا جَوَابٌ لَيْسَ يَخْفَىٰ صَوَابُهُ ... عَلَىٰ عَالِمٍ بِٱلشَّرْعِ وَٱلدِّينِ فَاضِلِ

تَضَمَّنَهُ نَظْمِي فَأَشْرَقَ نُورُهُ ... وَبُرْهَانُهُ مَاضٍ مَضَاءَ ٱلْمَنَاصِلِ[2]

فَيَا رَبِّ فَٱرْحَمْ مَنْ قَرَاهُ بِرَغْبَةٍ ... وَلَا تُخْلِنِي مِنْ فَضْلِ شَرْحِ ٱلْمَسَائِلِ

وَيَسِّرْ لَنَا ٱلتَّقْوَىٰ لِنَحْظَىٰ بِوَصْفِهِ ... وَنَجْنِيْ ثِمَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ ٱلتَّوَاصُلِ

وَصَلِّ عَلَى ٱلْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... صَلَاةَ رِضاً مَرَّ ٱلضُّحَىٰ وَٱلْأَصَائِلِ

صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليماً ، نقلتُها مِنْ نسخةٍ مسموعةٍ علىٰ ناظمِها وعليها خطُّهُ رحمَهُ اللهُ .

تُوفِّيَ في السادسِ والعشرينَ مِنْ شهرِ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ سبعينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

= الخطاب لا بد أن يكون إلىٰ مخاطب موجود في الخارج . انظر « النبراس » للفرهاري (ص٣١٣) .

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) ، والحاكم (١/ ٨٥) ، وأحمد (٢/ ٨٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) في هامش (أ) : (المروي : مُضِيٌّ) أي : بدل (مضاء) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ كمالُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ بندارَ التَّفْليسيُّ الشافعيُّ]

الذي كانَ على الحقيقةِ كمالاً ، وللخليقةِ عِصْمةً ومآلاً ، وعلى المُبتدِعةِ نقمةً ونَكالاً ، طالما طَلَعَ بدراً في فلكِ المناظرةِ والتدريسِ ، وأنفقَ مِنْ حاصلِ فوائدَ صدرَتْ عن ملاءةٍ لا عن تَفْليسٍ ، وأردفَ تأسيسَ التقديسِ بتجنيسِ التأنيسِ[1] : الشيخُ الإمامُ العالمُ قاضي القضاةِ كمالُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ بندارَ بنِ عمرَ ، التَّفْليسيُّ الشافعيُّ الفقيهُ .

وُلِدَ بتفليسَ ، وتفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الأصولَينِ وغيرَهُما ، وبرعَ في ذلكَ ، وسمعَ : مِنْ أبي المُنجَّى[2] عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ابنِ اللَّتِّيِّ ، والإمامِ أبي عمرٍو عثمانَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ النصريِّ[3] ، ودرَّسَ وأفتىٰ ، ووَلِيَ القضاءَ بدمشقَ ، وقدمَ مصرَ فأقامَ بالقاهرةِ يُدرِّسُ ويُفتي ويشتغلُ بالعلومِ .

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وستِّ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ ليلةَ الرابعَ عشرَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ اثنتينِ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[4] .

---

(١) في (ب) : (بتحقيق) بدل (بتجنيس) .

(٢) في نسختينا : (ابن أبي المنجىٰ) ، والمثبت من المصادر والمراجع .

(٣) هو الإمام الكبير ، والمحدث النحرير ، والمفتي الشهير : التقي أبو عمرو بن الصلاح الشهرزوري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٤٤ـ٦٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٠٩ـ٣١٠)، و« تاريخ الإسلام » (٥٠/ ١٠٣ـ١٠٤) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ أقضى القضاةِ سديدُ الدينِ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ عبدِ الكريم التِّزْمَنْتيُّ الشافعيُّ]

العالمُ الحَبْرُ ، والحاكمُ الصَّدْرُ ، الذي كانَ في علمِهِ فريداً ، وفي ذاتِ الإلـهِ شديداً ، ومُنِحَ السيادةَ في العلمِ والسَّدادَ في الحكمِ فكانَ سيِّداً وسديداً .

الشيخُ الإمامُ أقضى القضاةِ سديدُ الدينِ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أبي محمدٍ عبدِ الكريمِ بنِ أحمدَ بنِ خليفةَ ، الصِّنْهاجيُّ التِّزْمَنْتِيُّ الشافعيُّ .

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : على الفقيهِ أبي الطاهرِ وأضرابِهِ ، وسمعَ قولَهُ : قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ بنُ عينِ الدولةِ ، واشتغلَ بالعلومِ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ الفاضليَّةِ ، ونابَ في الحكمِ بالقاهرةِ .

تُوفِّيَ في الحادي عشرَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ أربعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٧٨-٦٧٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٣٦-٣٣٧) ، وقد سبق مدح ابن عبد السلام له في (٢/ ٩١) ، وكان من جملة تلاميذ المترجم إمام الشافعية في زمانه أبو العباس ابن الرفعة صاحب « الكفاية » و« المطلب العالي » .

ومنهُمْ :

[الإمامُ وجيهُ الدينِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ محمدٍ الأنصاريُّ القيروانيُّ المالكيُّ]

الوجيهُ إذا عُدَّ الوُجَهاءُ ، والنبيهُ إذا ذُكِرَ النُّبَهاءُ ، المُشارِكُ في فضائلَ ، والسالكُ سبيلَ العلماءِ الأفاضلِ ، القريبُ وإنْ بَعُدَ مزارُهُ ، والغريبُ الذي حُمِدَتْ آثارُهُ : الشيخُ الإمامُ وجيهُ الدينِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ محمدٍ ، الأنصاريُّ القيروانيُّ المالكيُّ .

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الأصولَ والأدبَ ، وحدَّثَ ودرَّسَ وأفتىٰ ، ونابَ عنِ القضاةِ المالكيَّةِ في بعضِ ضواحي القاهرةِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ في الرابعَ عشرَ مِنْ شهرِ رمضانَ سنةَ أربعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٠/ ١٨١) ، وذكراه في وفيات سنة (٦٧٥هـ) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ برهانُ الدينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدٍ البوشيُّ المالكيُّ]

العالمُ المُتورِّعُ ، والمُفضَّلُ المُتبرِّعُ ، والقانتُ المُتطوِّعُ : الشيخُ الإمامُ برهانُ الدينِ قاضي القضاةِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ، البوشيُّ مولداً ونشأةً المصريُّ داراً المالكيُّ .

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وتولَّى العقودَ والفروضَ بمصرَ مدَّةً ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ ثغرِ الإسكندريَّةِ مدَّةً ، ثمَّ انصرفَ .

وُلِدَ في شهرِ رمضانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بمصرَ في الحادي عشرَ مِنْ شعبانَ سنةَ خمسٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٨٥) ، و« عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » (٢/ ١٧٣) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ ميكائيلَ الرَّبَعيُّ الشافعيُّ]

الشِّهابُ المُتوقِّدُ ذكاءً ، والعالِمُ المُتزهِّدُ طلباً لثوابِ اللهِ ورجاءً ، والنعمانيُّ صحبةً وولاءً ، أقامَ بالشرقيَّةِ شَرَقاً في لهواتِ أولي الأصواتِ ، وخرقاً على القائلينَ بالجهةِ مِنْ كلِّ الجهاتِ ، يُناضِلُ ويُناظِرُ و[. . .][1] .

هوَ مُنتسِبٌ إلىٰ ميكائيلَ ، فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ ميكائيلَ الرَّبَعيُّ ، مِنْ ربيعةِ الفرسِ .

كانَ إماماً عالماً فاضلاً ، ينتحلُ مذهبَ الشافعيِّ ، وكانَ نحويّاً عارفاً بأصولِ الدينِ وأصولِ الفقهِ ، نظمَ قصائدَ في الردِّ على المُشبِّهةِ ، ولهُ تصانيفُ عديدةٌ في ذلكَ ، ولهُ نثرٌ حَسَنٌ ؛ فمِنْ نظمِهِ[. . .][2] .

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ يومَ الثَّلاثاءِ الحادي والعشرينَ مِنْ شهرِ جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

ومنهُمْ : الشيخُ الإمامُ القائمُ في ذاتِ اللهِ أحسنَ القيامِ ، فهوَ الحافي الحازمُ[4] ، والمُشمِّرُ عنْ ساقِ مجتهدٍ [. . .][5] .

---

(١) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) .
(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار سطرين .
(٣) انظر « المنهل الصافي » (٢/ ١٨٧) .
(٤) الحافي : القاضي .
(٥) جاء قوله : (عن ساقه) في الأصل خاتمة (ق/١٨٧/أ) ، وابتدأت الصفحة (ب) بقوله : (الإسكندرية المحروسة) من ترجمة الجلال الدشناني ، فلعله سقط ورقة أو أكثر ، وذهب فيها بعض التراجم وأولُ ترجمةِ جلال الدين الدشنائي ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهُمْ :

[الإمامُ جلالُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدِّشْنائيُّ الشافعيُّ]

[. . .] الإسكندريَّة المحروسة إلى الشيخِ الإمامِ العابدِ الشريفِ أبي الحسنِ الشاذليِّ ، ودخلَ علىٰ يدِهِ الخلوةَ وانتفعَ بهِ ، ورابطَ بالثغرِ مدَّةً ، وصنَّفَ في الفقهِ « شرحَ التنبيهِ » ولم يستكملْ ذلكَ[1] ، وفي القراءاتِ ، والعربيَّةِ ، وأصولِ الدينِ ، وفي العروضِ ، وفي الجدلِ كتاباً سمَّاهُ : « غايةَ الاقتصادِ في طرقِ الاجتهادِ » ، وفي الأصولِ : « عجالةَ المقتنعِ في الاصطلاحِ المتَّبعِ » .

وعُرِضَ عليهِ قضاءُ الأعمالِ القوصيَّةِ فأباهُ ، أملىٰ عليَّ ذلكَ كلَّهُ ولدُهُ أبو الفتحِ محمدٌ ، وكانَ لهُ النظمُ الحسنُ ؛ فممَّا أجازَني مِنْ نظمِهِ وذكَّرَني بهِ ولدُهُ ، وكانَ قد لِيمَ على انقطاعِهِ عنِ الجماعةِ وعنِ الناسِ ؛ فقالَ[2] : [من مخلع البسيط]

يَـا لَائِمِـي كُـفَّ عَـنْ مَـلَامِـي	عَلَـى ٱنْعِـزَالِـي عَـنِ ٱلْأَنَـامِ
إِنَّ نَـذِيـرِي ٱلَّـذِي نَهَـانِـي	يُخْبِـرُ حَـالِـي عَلَـى ٱلتَّمَـامِ
أَرَىٰ مَشِيبِـي وَوَهْـنَ عَظْمِـي	قَـدْ أَدْنَيَـانِـي إِلَـى ٱلْحِمَـامِ
وَمَـا تَـزَوَّدْتُ لِٱرْتِحَـالِـي	وَلَا لِـدَارٍ بِهَـا مُقَـامِـي
وَمَـا أَرَىٰ نَـافِعـاً عِـلَاجِـي	لِـدَاءِ غَيْـرِي وَبِـي سَقَـامِـي
فَشُغْـلُ قَلْبِـي بِـدَاءِ غَيْـرِي	يَصْـرِفُ عَـنْ غَيْـرِيَ ٱهْتِمَـامِـي

(١) وصل فيه إلىٰ (كتاب الصيام) في مجلدين لطيفين .

(٢) والأبيات الأربعة الأُوَل في « الطالع السعيد » (ص٣٩ـ٤٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٧/٣٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٢١) ، وذكر الأدفوي أنها طويلة ، واختصرها من خط ابنه الإمام أبي الفتح محمد ، وأتىٰ بها تامةً إمامُنا ابن المُعلِّم ، وهـٰذا يبرز قيمة كتابنا هـٰذا وأهميته للباحث .

فَـإِنْ تَجِـدْنِـي بَـرِئْـتُ يَـوْمـاً ... وَزَالَ مَـا بِـي مِـنِ ٱغْتِمَـامِـي
وَقَــدْ تَــزَوَّدْتُ خَيْــرَ زَادٍ ... فِعْـلَ أُولِـي ٱلْعَـزْمِ لَا ٱلطَّغَـامِ[1]
فَلِـمْ إِذاً إِنْ طَـوَيْـتُ كَشْحِـي ... وَلَـمْ أُوَاجِهْـكَ بِـٱبْتِسَـامِ
أَوْ لَـمْ يَسَـعْ قَـاصِـدِي مَكَـانِـي ... وَلَـمْ أُبَـادِرْهُ بِـٱلسَّـلَامِ
أَوْ لَـمْ أُفِـدْ طَـالِبـاً عُلُـومـاً ... أُفِـدْتُ قِـدْمـاً مِـنَ ٱلْكِـرَامِ
أَوْ لَـمْ أُعِـنْ سَـالِكـاً مُـرِيـداً ... قَـدْ جَـاهَـدَ ٱلنَّفْـسَ بِـٱلْحُسَـامِ
أَوْ لَـمْ أُجِـبْ دَاعِـيَ ٱنْتِصَـارٍ ... وَلَـمْ أُغِـثْ لَهْـفَ ذِي أُوَامِ[2]
فَلَيْـسَ لِـي إِنْ جَمَعْـتُ نَفْسِـي ... عُـذْرٌ إِذَا تَـمَّ لِـي نِظَـامِـي
أَمَّـا وَحَـالِـي بِهَـا ٱعْـوِجَـاجٌ ... وَأَسْهُمِـي لَـمْ تُصِـبْ مَـرَامِـي
فَصَـرْفُ وَقْتِـي لِفَـرْضِ عَيْنِـي ... أَوْجَـبُ مِـنْ سَـائِـرِ ٱلْأَنَـامِ
إِذْ لَيْـسَ يُغْنِـي سِـوَايَ عَنِّـي ... فِـي دَفْـعِ مَـا أَخْتَشِـي أَمَـامِـي
فَكُـلُّ نَفْـسٍ لَمَّـا تُهَـذَّبْ ... وَمَـا ٱطْمَـأَنَّـتْ عَلَـىٰ مَقَـامِ
فَهَجْـرُهَـا لِـلأَنَـامِ شُغْـلاً ... بِشَـأْنِهَـا لَيْـسَ بِـٱلْحَـرَامِ
لَـٰكِـنْ مَـنِ ٱرْتَـاضَ بَعْـدَ عِلْـمٍ ... أَكْـرِمْ بِـهِ صَـاحِ مِـنْ إِمَـامِ
فَهْـوَ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْغِيَـاثُ يَبْـدُو ... لِلنَّـاسِ كَـٱلشَّمْـسِ وَٱلْغَمَـامِ

ومِنْ كلامِهِ نثراً : وصيَّةٌ كتبَ بها لولدِهِ تاجِ الدينِ أبي الفتحِ ؛ وهيَ :

﴿ **ربَّنا** ؛ آتِنا مِنْ لدنْكَ رحمةً ، وهيِّئْ لنا مِنْ أمرِنا رشداً ﴾ .

يا بُنيَّ أرشدَكَ اللهُ وأيَّدَكَ : **أُوصيكَ بوصايا** إنْ أنتَ حفظتَها وحافظتَ عليها . . رجوتُ لكَ السعادةَ في دينِكَ ومعاشِكَ بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ :

---

(١) **الطَّغام** : أوغاد الناس وأراذلهم .

(٢) **الأُوام** : العطش أو حره .

فأُولاها : مراعاةُ تقوى اللهِ العظيمِ بحفظِ جوارحِكَ كلِّها مِنْ معاصي اللهِ حياءً مِنَ اللهِ ، والقيامِ بأوامرِ اللهِ تعالىٰ عبوديَّةً للهِ .

وثانيها : ألا تستقرَّ علىٰ جهلِ ما تحتاجُ إلىٰ علمِهِ .

وثالثُها : ألا تُعاشِرَ إلا مَنْ تحتاجُ إليهِ في مصلحةِ دينِكَ أو معاشِكَ .

ورابعُها : أنْ تُنصِفَ مِنْ نفسِكَ ، ولا تنتصفَ لها إلا لضرورةٍ .

وخامسُها : ألا تُعادِيَ مسلماً ولا ذمِّيّاً .

وسادسُها : أنْ تقنعَ مِنَ اللهِ بما رزقَكَ مِنْ مالٍ وجاهٍ .

وسابعُها : أنْ تُحسِنَ التدبيرَ فيما بيدِكَ استغناءً عنِ الخلقِ .

وثامنُها : ألا تستهينَ بمِنَنِ الناسِ عليكَ .

وتاسعُها : أن تقمعَ نفسَكَ عنِ الخوضِ في الفضولِ ؛ بتركِ استعلامِ ما لم تعلمْ ، والإعراضِ عمَّا علمتَ .

وعاشرُها : أنْ تلقى الناسَ مُبتدِئاً بالسلامِ ، مُحسِناً في الكلامِ ، مُنطلِقَ الوجهِ ، مُتواضِعاً باعتدالٍ ، مُتباعِداً بما تجدُ إليهِ السبيلَ[1] ، مُتحبِّباً إلىٰ أهلِ الخيرِ ، ومُدارِياً لأهلِ الشرِّ ، مُتَّبِعاً في ذلكَ السُّنةَ)[2] .

وُلِدَ جلالُ الدينِ سنةَ تسعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

---

(١) في « الطالع السعيد » : (مساعداً) بدل (متباعداً) .

(٢) أوردها الأدفوي في « الطالع السعيد » (ص٣٩) .

(٣) انظر « الطالع السعيد » (ص٣٨ـ٤١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٠ـ٢١) ، و« الوافي بالوفيات » (٧/ ٣٦ـ٣٧) ، وفيها أنَّ ولادته كانت سنة (٦١٥هـ) ، **ومن كبار مشايخه** : الإمام العز بن عبد السلام ، والحافظ عبد العظيم المنذري ، وكان المترجم يُعدُّ=

ومنهُمْ :

[الإمامُ أقضى القضاةِ عمادُ الدينِ
أبو الحسنِ عليُّ بنُ صالحٍ ابنُ أبي عمامةَ]

العالمُ الذي أُوتِيَ رشدَهُ مِنْ قبلُ ، وظهرَ عليهِ ببركةِ أبي الطاهرِ الفضلُ ، فاقتنى الفضائلَ ومثلُهُ مَنِ اقتنىٰ ، وابتنى المكارمَ وهوَ المُتقِنُ لما أسَّسَ وابتنىٰ ، وبوَّأَتْهُ ذروةَ المكارمِ همَّةٌ أنالَتْهُ المنىٰ ، فهوَ الحاكمُ الذي بعثَ إليهِ الملكُ بالسَّدادِ ، والعمادُ الذي رفعَ به بيتَهُ وما انحطَّ بيتٌ رُفِعَ بالعمادِ : أقضى القضاةِ عمادُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ صالحِ بنِ عليٍّ ، عُرِفَ بـ (ابنِ أبي عمامةَ) .

اشتغلَ : على الفقيهِ أبي الطاهرِ ، والفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، وابنِ السكريِّ ، واستفادَ مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ .

وتولَّى الحكمَ بمدينةِ بلبيسَ ، ثمَّ نابَ عنِ السناجرةِ في الحكمِ بمصرَ ، ثمَّ في آخرِ وقتِهِ تولَّىٰ نيابةَ الحكمِ بالقاهرةِ المعزيةِ .

وكانَ مِنَ السياسةِ والرئاسةِ علىٰ أمرٍ عظيمٍ ، ومِنْ حسنِ المَلْقىٰ ، ولينِ الكلمةِ ، وطلاقةِ الوجهِ وبشاشتِهِ ، ومِنَ التواضعِ .

= من الأبدال ؛ لصلاحه وزهده وورعه ، ويحكىٰ ـ كما في المصادر السابقة ـ : أنَّ الشيخ نصير الدين بن الطباخ قال للشيخ عز الدين : ما أظنُّ في الصعيد مثل هٰذين الشابَّين ـ يعني : الدشنائي ، وابن دقيق العيد ـ فقال عز الدين : ولا في المدينتين ؛ أي : مصر والقاهرة ، وكان هو والحافظ المنذري يميلان إليهما ، والشيخ عز الدين إلى الدشنائي أميل ، والشيخ المنذري إلى ابن دقيق العيد أميل ، رحمهم الله جميعاً .

سمعَ : أبا بكرٍ عبدَ العزيزِ بنَ أحمدَ بنِ باقا ، وأقرانَهُ ، وسمعتُ عليهِ « مسندَ الإمامِ الشافعيِّ » رضيَ اللهُ عنهُ بروايتِهِ عنِ ابنِ باقا المذكورِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) في جمادى الآخرة ، وولد سنة (٥٩٥هـ) ، ووفاته في « تاريخ الإسلام » (٥٠/٢٣٦) ، و« ذيل التقييد » (٢/١٩٥) : سنة (٦٧٦هـ) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الباقي بنُ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ خليلٍ الجابريُّ الأنصاريُّ]

شيخُنا الخطيبُ الذي أخرسَتْ بلاغتُهُ سَحْبانَ ، وألبسَتِ المنبرَ جلالةً بانَتْ عنهُ إذْ بانَ ، قد أحرزَ بخِلالِهِ الجميلةِ مناقبَ تلكَ المكارمِ لا قَعْبانِ[1] ، فهوَ مصباحٌ أضاءَ في مشكاةِ الأنوارِ ، وصباحٌ صدعَ بعلمِهِ مِنْ جلبابِ دُجا الجهلِ مُسدَّفَ الإزارِ ، ونجمٌ طلعَ في فلكِ المنابرِ ، وفرعٌ أينعَ مِنْ دوحةِ الصحابيِّ جابرٍ .

هـٰذا ؛ ولهُ مِنَ النظمِ ما يسترقُّ الخواطرَ ، ويسترقُ الحاسَّتينِ المِسْمعَ والناظرَ ، ويُذكِّرُ بنشرِهِ أيامَ الصِّبا ، ويُعطِّرُ بتأرُّجِ نشرِهِ الجَنوبَ والصَّبا .

فأمَّا نسبُهُ : **فهوَ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الباقي بنُ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ خليلٍ** ، يجتمعُ معَ الفقيهِ أبي الطاهرِ في [. . .][2] ، ثمَّ ينتهيانِ إلىٰ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حرامٍ الأنصاريِّ .

وُلِدَ بمصرَ ونشأَ بها ، **واشتغلَ** : علىٰ خالِ أبيهِ الفقيهِ أبي الطاهرِ المحلِّيِّ ، **وسمعَ** : على الشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، **واستفادَ** : مِنَ الفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، ومِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وأعادَ بالمدرسةِ

---

(١) أخذه من قول الشاعر النابغة الجعدي : (من البسيط)

تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ مِنْ لبنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

انظر « إيضاح شواهد الإيضاح » (٢/ ٦١٧) .

(٢) **قوله** : (أبي الطاهر) أي : المحلي ، وما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمتين .

الصاحبيَّةِ البهائيَّةِ ، ودرَّسَ بزاويةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ ، وتولَّى الخطابةَ بمصرَ .

وكانَ حسنَ اللفظِ ، حلوَ العبارةِ ، جميلَ الوجهِ ، لهُ طريقةٌ حسنةٌ في الخطابةِ قلَّ مَنْ يحكيها .

وتقدَّمَ في الدولةِ الظاهريَّةِ ، وحَظِيَ بعنايةِ الصاحبِ بهاءِ الدينِ ، وعَلَّمَ الملكَ السعيدَ بنَ الملكِ الظاهرِ القرآنَ ، وكانَ قبلَ ذلكَ تولَّى نيابةَ الحكمِ في بعضِ الضواحي ثمَّ تركَها .

وكانَ كريمَ النفسِ ، مهيبَ الظاهرِ ، فإذا خلوتَ بهِ رأيتَ دُعابةً حلوةً ، وكانَ مُتديِّناً .

لهُ نثرٌ حسنٌ ونظمٌ رائقٌ ، ولم يحضُرْني مِنْ كلامِهِ الآنَ على كثرتِهِ إلا ما كتبَ جواباً عن أبياتٍ بائيَّةٍ بعثَ بها ناصرُ الدينِ بنُ النقيبِ إلى المقرِّ الصاحبيِّ الفخريِّ يستدعي منهُ شيئاً مِنْ نظمِهِ ، فأمرَهُ الصاحبُ فخرُ الدينِ أَنْ يُجيبَ ناصرَ الدينِ على الوجهِ الذي ذكرَهُ في جوابِهِ ، فأجابَ عنهُ نثراً ونظماً .

فأمَّا النثرُ : فهوَ : (نُؤدِّي واجباتِ خدمِهِ ، ونشكرُ ترادُفَ فضلِ مولانا وكرمِهِ ، ونُعوِّذُ فضائلَهُ بالسبعِ المثاني ، ونسألُ اللهَ دوامَ إحسانِهِ الذي عمَّ القاصيَ والدانيَ ، ونُنهي أنَّهُ امتثلَ ما رُسِمَ بهِ ولبَّى ، وسارعَ إلى ذلكَ مُتشرِّفاً وما تأبَّى ، بيدَ أنَّهُ أظهرَ على عمدٍ عُوارَهُ ، وانبسطَ عمَّا كانَ الصوابُ استتارَهُ ، وولجَ باباً يتعاظمُ قَرْعَهُ ، وسلكَ وادياً لا يُطِيقُ على جَزَعِهِ جِزْعَهُ[1] ، واستَهدَفَ للمُصمِياتِ مُتحرِّياً[2] ، وأتى ما أتاهُ تهوُّراً لا تحرِّياً ، وإنَّما الثقةُ بطِيبِ النِّجارِ ومكارمِ الأخلاقِ[3] . . سهَّلَتِ البُروزَ في زِيِّ الغنى معَ الإملاقِ ،

---

(١) **جزْعه** : قطعه .

(٢) **استهدف** : صار هدفاً ، **والمصميات** : السهام القاتلة .

(٣) **النِّجار** : الأصل والحسب .

والرغبةَ إلىٰ قُسِّ البلاغةِ وسَحْبانِها ، والذي أخذَ أنواعَ الفصاحةِ بعِنانِها ، في التجاوُزِ والصفحِ الجميلِ ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ) .

[وأمَّا النظمُ : فهوَ :] [من الكامل]

يَا ذَا ٱلْيَرَاعَةِ وَٱلْحُسَامِ ٱلْقَاضِبِ ... وَأَخَا ٱلْبَرَاعَةِ وَٱلْبَيَانِ ٱلسَّالِبِ

إِنَّ ٱلْقَرِيضَ صِنَاعَةٌ مَعْذُوقَةٌ ... بِٱلنَّحْوِ وَٱلتَّصْرِيفِ ضَرْبَةَ لاَزِبِ[1]

وَيَزِينُهَا عِلْمُ ٱلْعَرُوضِ مُصَاحِباً ... فَنَّ ٱلْقَوَافِي بَعْدَ ذِهْنٍ ثَاقِبِ

ثُمَّ ٱللُّغَاتُ وَحِفْظُ أَشْعَارٍ حَوَتْ ... جُمَلَ ٱلْبَيَانِ فَمَا لَهَا مِنْ عَائِبِ

وَمُحَرَّرُ ٱلتَّارِيخِ مَضْمُوماً إِلَىٰ ... مَا سَارَ أَمْثَالاً بِعَصْرٍ ذَاهِبِ

وَإِجَادَةُ ٱلْمَعْنَىٰ بِلَفْظٍ رَائِقٍ ... كَٱلدُّرِّ أُحْكِمَ لَقْطُهُ بِتَنَاسُبِ[2]

وَوَلاَئِكَ ٱلْمَمْلُوكُ أَضْحَىٰ مُمْلِقاً ... مِمَّا يَقُولُ يَمِينُ غَيْرِ ٱلْكَاذِبِ

لَوْلاَ ٱمْتِثَالِي مَا رَسَمْتَ وَأَنَّنِي ... أَبْغِي رِضَاكَ لَمَا بَعَثْتُ مَعَايِبِي

وَٱلسَّتْرُ مِنْ شِيَمِ ٱلْكِرَامِ فَجُدْ بِهِ ... إِنَّ ٱلسَّرِيَّ يَرَاهُ عَيْنَ ٱلْوَاجِبِ

ولهُ شعرٌ كثيرٌ كانَ يُنشِدُنا إيَّاهُ ، ويكفيهِ فخراً ولدُهُ قطبُ الدينِ محمدٌ ، كانَ قد برعَ في فنِّ الحديثِ ، وصنَّفَ أطرافاً على ترتيبٍ لم يُسبَقْ إليهِ ، غيرَ أنَّهُ حالَتِ المنيَّةُ بينَهُ وبينَ ذلكَ ، وكانَ يقولُ الشعرَ على اختلافِ أنواعِهِ .

تُوفِّيَ الشيخُ الخطيبُ [في جمادى الأولىٰ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ][3] .

* * *

---

(١) معذوقة : موسومة .

(٢) في (ب) : (لفظه) بدل (لقطه) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وتوفي ولده محمد سنة (٦٩٦هـ) ، وترجمةُ عبد الباقي في « تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٢٧١) ، و« تاريخ البرزالي » (١/ ٤٣١) عبارة عن أسطر قليلة ، وانظر ترجمة ولده محمد في « تاريخ الإسلام » (٥٢/ ٣١٠) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ أقضى القضاةِ نفيسُ الدينِ أبو البركاتِ محمدُ بنُ هبةِ اللهِ ابنِ شكرٍ الدَّميريُّ المالكيُّ]

أقضى القضاةِ وقاضيهم ، ورادُّ الخصومِ بعدَ الشَّغْبِ إلىٰ تراضيهم ، حفيدُ وزارةٍ مِنْ بيتِها نَشَا ، وفريدُ رئاسةٍ نمَّ عَرْفُها عليهِ ووشىٰ ، ووحيدُ سيادةٍ لا يُساجَلُ كيفَ وهوَ ماجدٌ يملأُ الدلوَ إلىٰ عقدِ الرِّشَا ؟! أحيا مذهبَ عالمِ المدينةِ حينَ قاربَ عَفاءً ودُروساً ، ونشرَ العلمَ بإفادتِهِ إملاءً ودُروساً ، ونافسَ في اقتناءِ الأجورِ فلم ترَ العيونُ مثلَهُ مُنافِساً ونفيساً : قاضي القضاةِ نفيسُ الدينِ أبو البركاتِ محمدُ بنُ القاضي ضياءِ الدينِ هبةِ اللهِ بنِ أبي السعاداتِ بنِ شكرٍ ، المالكيُّ الدَّميريُّ الأصلِ القاهريُّ المولدِ والدارِ والوفاةِ .

اشتغلَ بالقاهرةِ المعزيةِ بالقرآنِ المُعظَّمِ ، وبمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، ونابَ في الحكمِ ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ دمياطَ بتقليدٍ سلطانيٍّ استقلالاً ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ قضاةِ المالكيَّةِ بمصرَ والقاهرةِ المحروستَينِ .

وكانَ جميلَ المنظرِ ، كريمَ النفسِ ، حسنَ الملقىٰ ، كثيرَ الفتوَّةِ والخيرِ ، يُجيرُ مَنْ يَرِدُ عليهِ مِنْ صغيرٍ أو كبيرٍ ، مُحافِظاً علىٰ دينِهِ ، حافظاً لصُحبةِ أصحابِهِ ، كثيرَ البِرِّ بهم ، مُتلطِّفاً في أحكامِهِ ، مُتورِّعاً ، جيِّدَ الاعتقادِ ، حُلْوَ المُباسَطةِ معَ الصلابةِ والتصميمِ على الحقِّ ، رادّاً علىٰ أهلِ البدعِ ، وكانَ شيخُنا أبو عبدِ اللهِ ابنُ النعمانِ كثيراً ما يستنصرُ بهِ ويستعينُ علىٰ إظهارِ الحقِّ .

تُوفِّيَ مُستهَلَّ ذي الحجةِ سنةَ ثمانينَ وستِّ مئةٍ[1] .

---

(1) وولد سنة (٦٠٥هـ) ، وانظر « رفع الإصر » (١/ ٤٢٦) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الزاهدُ الورعُ علمُ الدينِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عتيقِ ابنِ رشيقٍ الرَّبَعيُّ المالكيُّ]

العالمُ العريقُ النسبةِ في العلومِ ، والحَبْرُ على الإطلاقِ والبحرُ في النفعِ والعمومِ ، والسيِّدُ الذي امتطى الأفلاكَ رفعةً وانتعلَ النجومَ ، مِنْ بيتٍ معمورٍ بالعبادةِ في الأرضِ ، قد شاركَ منهُ الولدُ الوالدَ في السيادةِ وإنْ لم يمضِ ، لا يعرفونَ في إصدارِهِم وإيرادِهِم إلا الحقَّ المحضَ ، ويكفيهم هٰذا العالمُ الذي يُفزَعُ إليهِ في مُهمَّاتِ الأمورِ ، والعَلَمُ الذي تأتمُّ الهداةُ بما في رأسِهِ مِنَ النورِ[1] ، إنْ سُئِلَ تكفَّلَ بالوصولِ إلى علمِ الفروعِ والأصولِ ، أو أجابَ رأيتَ الصوابَ مِنْ لُبابِ المحصولِ ، فهوَ عَلَمٌ يهدي نفوساً لولاهُ كانَ عُرْضَتَها طامسُ الأعلامِ مجهولٌ[2] : الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ الورعُ الزاهدُ علمُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبي عليٍّ الحسينِ بنِ عتيقِ ابنِ رشيقٍ ، المُقدَّمُ ذكرُ أبيهِ[3] .

وُلِدَ بمصرَ ، واشتغلَ مبدأَ اشتغالِهِ على والدِهِ ، ثمَّ أكملَ اشتغالَهُ على أخيهِ

---

(١) أشار به : إلى بيت الخنساء الشهير : (من البسيط)

وإنَّ صخراً لَتأتمُّ الهداةُ بهِ كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

(٢) يقال : فلان عُرْضة للشر ؛ إذا قوي عليه ، وفي الكلام إشارة : إلى بيت سيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه من قصيدته الاعتذارية (البردة) ؛ وهو : (من البسيط)

مِنْ كلِّ نضَّاخةِ الذِّفرى إذا عَرِقَتْ عُرْضتُها طامسُ الأعلامِ مجهولُ

انظر « ديوانه » (ص٦٢) .

(٣) انظر (١/٥٩٨) .

بهاءِ الدينِ عبدِ العزيزِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] ، ومهرَ وبرعَ ، واشتَهرَ بالصلاحِ والورعِ .

ودرَّسَ وأفتىٰ ، وكانَ مُؤيَّداً في فتياهُ ، حسنَ الهيئةِ ، جميلَ المنظرِ ، حُلْوَ العبارةِ ، أُلقِيَتْ عليهِ المهابةُ والسكينةُ .

سمعَ : أبا الحسينِ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ جُبَيرٍ الكنانيَّ[2] ، وطبقتَهُ [. . .][3] .

تُوفِّيَ في ذي الحجةِ في سنةِ ثمانينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

---

(١) انظر (٢/١٧) .

(٢) هو ابن جبير الرحَّالة الكبير ، صاحب « الرحلة » الشهيرة .

(٣) بياض في (أ ، ب) بمقدار سطر .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٥٠/٣٦٧) ، و« الوافي بالوفيات » (٣/١٦) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ عمرُ بنُ عبدِ الوهابِ بنِ خلفِ العلاَميُّ الشافعيُّ]

العالمُ الورعُ ، والرئيسُ الذي طُبِعَ على الخيرِ يومَ طُبِعَ[1] ، والحبرُ الذي حِيزَ لهُ ما تفرَّقَ مِنَ الفضلِ في غيرِهِ وجُمِعَ ، سليلُ وزارةٍ وقضاءٍ ، ووارثُ تنفيذٍ وإمضاءٍ ، قد أينعَتْ لهُ ثمراتُ العلومِ فهوَ يُهذِّبُها ، وخَطَبَتْهُ المناصبُ وغيرُهُ يخطُبُها ، ولقد كانَتْ دولتُهُ لآذانِ الأعصارِ شَنْفاً[2] ، وأشبهَتْ سيرتُهُ السيرةَ العُمَرِيَّةَ تسميةً ووَصْفاً : قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ عمرُ بنُ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ[3] .

اشتغلَ : على والدِهِ بالفقهِ وغيرِهِ ، وعلى الشيخِ عزِّ الدينِ ، والشيخِ زكيِّ الدينِ ، وجماعةٍ [مِنَ] المعاصرينَ في ذلكَ الوقتِ ، ودرَّسَ وأفتىٰ ، ووَلِيَ قضاءَ القضاةِ للطائفةِ الشافعيَّةِ بالديارِ المصريَّةِ .

وكانَ مَهيباً ، شديدَ الوقارِ ، وافرَ الدينِ قويّاً ، لا يُوافِقُ المَلِكَ ولا مَنْ دونَهُ علىٰ مقصدِهِ ، ولا يسوسُهُم ، بل يفعلُ ما يقتضيهِ الشرعُ قهراً مِنْ غيرِ مُجامَلَةٍ لهُم ، فكانَ ذلكَ سبباً لصرفِهِ عنِ القضاءِ ، وأراحوهُ مِنْ حيثُ لا يشعُرونَ ، وهنَّأَهُ بالعزلِ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ ابنُ النعمانِ ، وأنشدَ في ذلكَ بيتينِ لم يحضُراني .

---

(١) أي : جُبل على الخير يوم خُلِق .

(٢) الشَّنْف : القرط .

(٣) هو عبد الوهاب بن خلف العلامي المار في (٢/ ١٠٠ـ١٠٥) .

[وُلِدَ] في [القاهرةِ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وستٍّ مئةٍ][1] ، وتُوفِّيَ في حادي عشرَ مُحرَّمٍ سنةَ ثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

---

(1) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(2) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣١٠ـ٣١١) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٣٦٠) .

ومنهُمْ :

[السيدُ الشريفُ الإمامُ عمادُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ هاشمٍ العباسيُّ الهاشميُّ الشافعيُّ]

السيدُ الشريفُ النسيبُ ، والعالمُ الأريبُ الذي هوَ حسيبٌ ، مهرَ في العلومِ وبرعَ ، ونسيبٌ نزعَتْ بهِ أعراقُهُ وحبَّذا العرقُ إذا نزعَ ، قد جمعَ شرفَي العلمِ والنسبِ ، ولم يقنعْ بالحسَبِ الموروثِ حتى ضمَّ إليهِ المُكتسَبَ ، تحرَّرَتْ أنابيبُ صَعْدَةِ دينِهِ لمَّا انتهىٰ إلى العبَّاسِ نبعتُها ، وتبحَّرَتْ عيونُ مسائلِهِ لمَّا تسلسلَ مِنْ عبدِ اللهِ نبعتُها ، وتجوهرَتْ فنونُ فضائلِهِ فهيَ كما نَصِفُها وفوقَ ما ننعتُها : الشريفُ السيدُ عمادُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ هاشمِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ العباسيُّ الهاشميُّ الشافعيُّ .

كذا بخطِّهِ في إجازتي ، ولم أَقِفْ علىٰ تتمَّةِ نسبِهِ ، وهوَ حمصيُّ الأصلِ مصريُّ الدارِ والوفاةِ .

كانَ مُدرِّساً عالماً رئيساً ، مُناظِراً علىٰ طريقةِ أهلِ العراقِ ، وكانَ جميلَ المنظرِ ، حسنَ المخبرِ ، كثيرَ التواضعِ ؛ لا يدخلُ عليهِ أحدٌ مِنَ الطلبةِ صغيرٌ ولا كبيرٌ . . إلا نهضَ قائماً إلىٰ أنْ يجلسَ ، ولم يُرَ قطُّ ما بعدَ الكوعِ لهُ مكشوفاً .

وكانَ يدري الأصولَ درايةً جيِّدةً ، وكانَ يُلقي الدرسَ أحسنَ إلقاءٍ مِنْ صدرِهِ ، لم ترَ عيني بعدَهُ مَنْ يحفظُ الدرسَ فيلقيهِ مثلَهُ .

وكانَ حسنَ الترتيبِ ، مُقتصِداً في حالِهِ ، جميلَ الهيئةِ ، لهُ ترتيبٌ لا يتعدَّاهُ علىٰ ممرِّ الأوقاتِ .

درَّسَ بمدرسةِ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ رحمَهُ اللهُ بمصرَ ، وتردَّدَ في الرُّسْليةِ إلى البلادِ مراراً [1] .

تُوفِّيَ في حادي عشرَ مُحرَّمٍ سنةَ ثمانينَ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

* * *

(1) الرسلية : بمثابة رسل البريد أو الرسل التي توصل الرسائل .

[ومنهُمُ] :

[الإمامُ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ
أحمدُ بنُ محمدٍ ابنُ خَلِّكانَ الشافعيُّ]

الشمسُ المُشرِقةُ ، والمُزْنةُ المُغدِقةُ ، الجامعُ فنونَ العلمِ ، واليانعُ مِنْ أفنانِهِ ثمارُ الحِجا والحلمِ : قاضي القضاةِ شمسُ الدين أحمدُ بنُ محمدِ بن إبراهيمَ بنِ أبي بكرِ بنِ خَلِّكانَ[1] .

قرأَ العلومَ بالديارِ الشاميَّةِ ، واشتغلَ وحصَّلَ وصنَّفَ التصانيفَ[2] ، وكانَ صحيحَ الاعتقادِ ، حسنَ البحثِ ، حُلْوَ العبارةِ ، عارفاً بأصولِ الدينِ معرفةً جيِّدةً .

دخلَ إلىٰ مصرَ ، وأقامَ بها مدَّةً في زمنِ قاضي القضاةِ شرفِ الدينِ بنِ عينِ الدولةِ ، وأرسلَ إليهِ مَنْ يتحدَّثُ معَهُ أنْ يُولِّيَهُ بعضَ الأعمالِ ، فقالَ : مَنْ هوَ هـٰذا ؟ فقالُوا : ابنُ خَلِّكانَ ، فقالَ قاضي القضاةِ وكانَ كثيرَ التندُّرِ : لا خَلَّ كانَ ، ولا عسلَ صارَ ، ما عندي شيءٌ أُولِّيهِ ، فلمَّا سمعَ أنَّ بدرَ الدينِ السِّنجاريَّ قد كَتَبَ [. . .][3] .

استخرتُ اللهَ تعالىٰ وولَّيتُكَ الغربيةَ ، فأجابَهُ شمسُ الدينِ : يا مولانا ؛ لا شرقيَّةٌ ولا غربيَّةٌ ؛ كانَ هـٰذا قبلَ أن يُحَلَّ ركابُ الصاحبِ بدرِ الدينِ

---

(1) ويكنىٰ : أبا العباس .

(2) ومن مؤلفاته : كتاب « وفيات الأعيان » ، قال ابن السبكي في « الطبقات » (٨/ ٣٢) : (وهو كتاب جليل) .

(3) ما بين معقوفين انقطاع في الكلام في (أ) ، وبياض في (ب) .

السِّنجاريِّ ، وأمَّا بعدَ أنْ حلَّ ركابَهُ في الديارِ المصريةِ وتركَ الرَّحلَ وراءَهُ . . فلا أتولَّىٰ إلا مِنْ جهتِهِ ، فاغتمَّ لذلكَ شرفُ الدينِ بنُ عينِ الدولةِ[1] .

تولَّىٰ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ نيابةَ الحكمِ كما [. . .][2] مِنْ قضاةِ الديارِ المصريةِ ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ القضاةِ ورئاسةَ الأصحابِ بالديارِ الشاميةِ ، وتُوفِّيَ بها يومَ الخميسِ رابعَ عشرَ رجبٍ المعظَّمِ ، سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وستِّ مئةٍ رحمَهُ اللهُ .

ووقفتُ علىٰ مجلدٍ كاملٍ احتوىٰ علىٰ ما قيلَ في شمسِ الدينِ مِنَ المدائحِ شعراً لا يسعُ الحالُ ذكرَها ولا ذكرَ بعضِها[3] .

* * *

---

(١) كذا في نسختينا ، وفي النص سقط أشرنا إليه ، وذكر الحافظ ابن حجر في « رفع الإصر » (١/ ٣٧٢) نحو ما ذُكِرَ مختصراً وفيه بعض مخالفة ، ولفظه : (ومن نوادره : أنَّ القاضي شمس الدين ابن خلكان استشفع عنده أن يوليه نيابة الحكم فامتنع ، وقال : « لا خل كان ، ولا عسل صار » ، فاتفق أنَّ البدر السنجاري لما قدم إلى القاهرة وخشي أبو المكارم أن ينضم ابن خلكان عن نادرته ، فقال : « لا شرقية ولا غربية » ، ثم قدم السنجاري فكان ما ظنه أبو المكارم) ، وأبو المكارم : هي كنية ابن عين الدولة ، والسنجاري سبقت ترجمته في (٢/ ٩٧ـ٩٨) .

(٢) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) بسبب رداءة التصوير ، وبياض في (ب) بمقدار سطر .

(٣) انظر « ذيل مرآة الزمان » (٤/ ١٤٩ـ١٦٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٣ـ٣٤) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ١٩٣ـ١٩٧) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الزاهدُ المُربِّي صفيُّ الدينِ الحسينُ بنُ جمالِ الدينِ بنِ أبي المنصورِ الأَزْديُّ المالكيُّ]

قدوةُ المهتدينَ ، وهدايةُ المقتدينَ ، ونكايةُ المبتدعةِ المعتدينَ ، الذي كانَ قطبَ عرفانٍ ، ودوحةَ ولايةٍ استقلَّتْ بفنونٍ وأظلَّتْ بأفنانٍ ، طلعَ في فلكِ وزارةٍ أشرقَتْ بهِ أبراجُهُ ، ورُبِّيَ في حِجْرِ تَرَفٍ صفا عليهِ عبقريُّهُ وديباجُهُ ، وارتضعَ أفاويقَ علمٍ أنبتَ لحمَهُ وأنشزَ عظمَهُ سائغُ ثديها ، وانتفعَ بفضائلِ أبيهِ وجدِّهِ التي نفعَ الكافَّةَ بالغُ هديها .

فلمَّا كمَّلَ العلمُ نظرَهُ ، وأصفىٰ جوهرَهُ ، ولاحَ عليهِ عنوانُ الفطرةِ التي جبلَهُ اللهُ عليها وفطرَهُ .. لحظَ شمسَ سعادةِ أبيهِ بازغةً ، فقالَ : لا أُحِبُّ الآفلينَ ، وكرهَ بعدَ حسنِ التقويمِ أنْ يُرَدَّ أسفلَ سافلينَ ، فتجرَّدَ عن ملابسِ العزَّةِ الفاخرةِ ، ورغبَ عن أبناءِ الدنيا إلىٰ أبناءِ الآخرةِ ، داخلاً في سلكِ قومٍ شدُّوا على الكرمِ مآزرَهُم ، وأصبحَ التأييدُ الربَّانيُّ مُعاضِدَهُم ومُؤازِرَهُم ، فسدَّدَ سهمَ إصابتِهِ نحوَ الغرضِ الأسنىٰ ، ولم يَلْوِ بعدَ جوهرٍ على العَرَضِ الأدنىٰ .

فلزمَ طريقَ الإرادةِ ، مُستضيئاً بأنوارِ علومِهِ علىٰ سلوكِ العبادةِ ، خادماً للقومِ بنفسِهِ وبإيثارِهِ ، هادماً لبناءِ الرئاسةِ ماحياً لآثارِهِ ، فحرَّرَ لهُ الحرَّارُ عبوديتَهُ التي بشرفِها تحقَّقَ[1] ، وأعادَهُ إلى الحُرِّيةِ فاستحقَّ ولاءَهُ وإنَّما الولاءُ

---

(١) والحرَّار : من كبار الأولياء والمربين في زمانه ، صاحب كرامات عديدة ، وإشارات سديدة ، وقد سبقت ترجمته في (١/ ٥٦٠) .

لِمَنْ أعتَقَ ، فاجتنىٰ ثمراتِ ما غرسَ ، وأشرقَ وجودُهُ بهديِ النورِ الذي اقتبسَ ، وعمَّ ذلكَ النورُ مَنْ أرادَ طريقَهُ والتمسَ .

ونُشِرَتْ لهُ أعلامُ الولايةِ بعنايةِ الرحمـٰنِ ، وأظلَّتْ دوحتُهُ مُثمِرةَ الأغصانِ ، وخدمَتْهُ الأكابرُ ومِنْ خَدَمِ خدمتِهِ الأعيانُ ، وألقى اللهُ عليهِ محبَّةً فالقلوبُ لا يصرفُها عنهُ صارفٌ ، وأُفِيضَتْ عليهِ خِلَعُ القَبولِ يسحبُ منها المطارفَ ، وتوسَّدَ مِنْ خملِهِ ما مَهَدَ علىٰ عبقريٍّ ورفارفَ ، وتعوَّضَ عن ذلكَ التذلُّلِ دلالاً ، ونادىٰ مُنادي تعظيمِهِ : هـٰكذا هـٰكذا وإلا فلا لا ، وهوَ معَ ذلكَ يقضي في المسيرِ إلى اللهِ تعالىٰ نفيسَ نَفْسِهِ ، ويُربي يومُهُ في العبادةِ علىٰ أَمْسِهِ .

ولم يَزَلْ علىٰ بابِ ربِّهِ داعياً ، وفي علاجِ مَنْ عَجَزَ عن طبِّهِ ساعياً ، ولتقويمِ اعوجاجِ مَنِ انتظمَ في صحبِهِ مُراعِياً . . حتىٰ تخرَّجَتْ بِهِ التلاميذُ ، وتدرَّجَتْ إلىٰ رتبةِ المشايخِ الأساتيذُ ، وأنالَهُم مِنْ معارفِهِ الأملَ والأمانيَ ، ورقَّاهُم رتبةً قلَّ مَنْ يبلُغُها أو يُداني ، إلىٰ أن بلغَتْ أقصى التعميرِ مستقلُّ رحالِهِ ، وألقى العصا وقرَّ عيناً ساري مسيرِهِ وتَرحالِهِ ، فانتقلَ خيرَ منقولٍ ، غيرَ مسؤومٍ ولا مملولٍ ، إلىٰ منازلِ الأبرارِ ، ومواطنِ الأخيارِ ، فاستوحشَتْ منهُ بقاعٌ كانَ أُنْسَها ، وتألَّمَتْ لفقدِهِ نفوسٌ كانَ أنفسَها ، ونَضَبَ ذلكَ الموردُ عن كلِّ لهفانَ ، ونادىٰ ناعي مَعارفِهِ لعارفِهِ : قفا نبكِ مِنْ ذكرىٰ حبيبٍ وعرفانِ[1] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ صفيُّ الدينِ الحسينُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ أبي المنصورِ ، المُقدَّمُ ذكرُ أبيهِ وجدِّهِ[2] .

---

(١) أشار به : إلىٰ قول امرئ القيس في مطلع قصيدة له : (من الطويل)

قفا نبكِ من ذكرىٰ حبيبٍ وعرفانِ ورسـمٍ عَفَـتْ آيـاتُـهُ منـذُ أزمـانِ

انظر « ديوانه » (ص٨٩) .

(٢) انظر (١/٥٢٣ ، ٥٥٦) .

وُلِدَ بمصرَ بخوخةِ السراجِ بالدارِ المعروفةِ بوالدِهِ ، وعُرِفَتْ بعدَ ذلكَ بسكنِ ابنِ الطبيبِ ، ورُبِّيَ إلىٰ أَنْ ترعرعَ ، **وقرأَ القرآنَ العظيمَ** : على الشيخِ أبي العباسِ أحمدَ الخزرجيِّ المعروفِ بـ (التلمسانيِّ) ، وكانَ هٰذا الشيخُ زاهداً مُحدِّثاً وَرِعاً مِنْ أصحابِ السِّلَفيِّ وأقرانِهِ .

ثمَّ اشتغلَ بمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : على الشيخِ جمالِ الدينِ والدِهِ ، وعلى الشيخِ أبي العباسِ بنِ اللهيبِ ، ثمَّ سافرَ معَ والدِهِ إلىٰ بلادِ المشرقِ وانتهىٰ إلىٰ حرَّانَ ، ولقيَ جماعةً شهدُوا فيهِ الخيرَ وبشَّرُوهُ ، واجتمعَ بصلحاءَ وأكابرَ وأولياءَ ذكرَهُم في « رسالتِهِ » المعروفةِ المأثورةِ عنهُ ، ووقفتُ عليهِ بخطِّهِ[1] ؛ وهم قريبٌ مِنْ مئةٍ وثمانيةٍ مِنَ الرجالِ وامرأةٍ ، ولم يذكرْ فيها كلَّ مَنْ رآهُ .

ثمَّ رجعَ إلىٰ مصرَ وأقامَ بها بُرْهةً يسيرةً ، ثمَّ سافرَ والدُهُ رسولاً إلى الملكِ المسعودِ صاحبِ اليمنِ ، فحينَ غَيبةِ والدِهِ مرَّ يوماً بجامعِ مصرَ ، فرآهُ الأستاذُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ التجيبيُّ المعروفُ بالحرَّارِ المُقدَّمُ ذكرُهُ رحمَهُ اللهُ[2] ، فأشهدَهُ اللهُ حالَهُ ، فجذبَهُ بخاطرِهِ معَ شبوبيتِهِ وقرافتِهِ[3] ، وحسنِ بِزَّتِهِ وترفِهِ وهيئتِهِ ، فسَلَبَ ذلكَ وتبعَهُ ، وتجرَّدَ علىٰ يديهِ ، وحكَّمَهُ في نفسِهِ ، ولبسَ زِيَّ الصوفيةِ ، وشرعَ في خدمتِهِ وخدمةِ أصحابِهِ .

ولم يَزَلْ علىٰ ذلكَ إلىٰ أنْ قدمَ والدُهُ مِنَ اليمنِ ، فتلقَّاهُ وهوَ علىٰ تلكَ الحالِ ، فشقَّ عليهِ ما رأىٰ ، فأمرَهُ بالتركِ والعودِ إلىٰ ما كانَ عليهِ فأبىٰ ، فعاقبَهُ

---

(١) كذا في (أ، ب) : (عليه) بالتذكير ، **والأنسب والأوضح** : (عليها) ، ويحتمل أن يعود المثبت على المصدر المفهوم من (ذكر) ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) انظر (١/٥٦٠) .

(٣) أي : اكتسابه بالتجارة وهو في ريعان شبابه .

بتركِ الطعامِ والشرابِ ، فلم يأكُلْ ولم يشربْ ولم يرجِعْ عن حالِهِ .

إلىٰ أنْ أوقعَ اللهُ في باطنِ والدِهِ صدقَهُ في حالِهِ ، فأمرَهُ بالرجوعِ إلىٰ شيخِهِ ، فقالَ لهُ : ما يسألُ الشيخَ أنْ يقبلَني إلا أنتَ[1] ، فأخذَهُ ومشَيا إلى الشيخِ بمسجِدِهِ بزقاقِ القناديلِ ، فسألَهُ أن يقبلَهُ فقبلَهُ ، وقالَ لهُ : يا جمالَ الدينِ ؛ أرجو أنْ ينفعَكَ اللهُ بهِ ، فقالَ الشيخُ جمالُ الدينِ : وَدِدْتُ لو كنتُ مكانَهُ[2] .

ولم يَزَلْ في صحبةِ الشيخِ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لهُ أصحابُهُ عندَ موتِهِ : يا سيِّدي ؛ علىٰ مَنْ نجتمعُ بعدَكَ ؟ فقالَ : على الصفيِّ ، سألُوهُ مراراً ، وأجابَ بذلكَ مراراً .

وكانَتْ أوقاتُ الشيخِ معمورةً ، كانَ وِرْدُهُ ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً مئةَ ركعةٍ .

وكانَ يقولُ : (الصوفيُّ مَنْ يكونَ وردُهُ الفرضَ الأولَ) يعني : خمسينَ صلاةً[3] ، وكانَ يقرأُ في وردِهِ ليلاً عشرينَ حزباً .

وصرفَ اللهُ وجوهَ الصلحاءِ والأولياءِ والأكابرِ والعلماءِ إليهِ ، فكانَ الجميعُ يأتونَ إلىٰ زاويتِهِ مِنَ الشامِ والعراقِ ويتبركونَ بهِ ، ويسمعونَ منهُ .

وكانَ قدْ فُتِحَ عليهِ في المعارفِ ما لمْ يُفتَحْ علىٰ أحدٍ مِنْ أقرانِهِ في زمانِهِ ، وسارتْ لهُ وعنهُ كراماتٌ أوجبتْ تعلُّقَ خواطرِ الكافَّةِ بهِ في سائرِ الآفاقِ .

---

(١) وقصد بذلك : إعزازَ شيخه الحرَّار رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) انظر هـٰذه الحكاية في « روض الرياحين » (ص٤٧٧ـ ٤٧٩) ، وفيها طول عمَّا أورده المؤلف ها هنا ، وتفاصيل مؤثرة .

(٣) وهي الفرض الأول الذي فُرِض في السماء ، إلىٰ أن خُفِّف إلىٰ خمس صلوات ، علىٰ ما هو المشهور في قصة المعراج .

ولقد بلغَني أنَّهُ سافرَ إحدىٰ سفراتِهِ إلى الشامِ في زمنِ كبارِ مشايخِها ، فعُمِلَتْ لقدومِهِ الأعراسُ العظيمةُ ، وبالغَ الناسُ في إكرامِهِ مبالغةً يعجزُ عنْ وصفِها اللسانُ ؛ حتىٰ إنَّهُ رُشَّ عليهِ وعلىٰ أصحابِهِ ومَنْ كانَ معَهُ في السماعِ الواحدِ مِنْ بعضِ السماعاتِ ما يُقاربُ عشرةَ قناطيرِ ماءِ وردٍ ، حتىٰ نزحُوا ماءَ الوردِ مِنْ بينِ أرجلِ الصوفيةِ بالطاساتِ ، وطلبُوا منهُ أنْ يُفِيدَهُم ممَّا علَّمَهُ اللهُ ، فأفادَهُم وتكفَّلَ رشادَهُم ، وكانَ مفتوحاً عليهِ في المعاني بما لم يُفتَحْ علىٰ غيرِهِ بهِ .

لهُ مُصنَّفاتٌ ؛ فمنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « فكُّ الأزرارِ عن عنقِ الأنوارِ ، وهتكُ الأستارِ عن معالمِ الأسرارِ ، ممَّا جُمِعَ مِنْ جوابِ السائلِ عن غريبِ المسائلِ » ، و« رسالتُهُ » التي ذكرَ فيها بعضَ مَنْ لقيَهُ مِنَ المشايخِ[1] ، وكتاباً سمَّاهُ : « العطايا الوهبيةَ في مراتبِ القطبيةِ » ، ولهُ جزءٌ لطيفٌ في « الفرقِ بينَ التمثلاتِ والتنزلاتِ والتطوراتِ والتصوراتِ » .

سمعَ : أبا الحسنِ عليَّ بنَ البناءِ المكيَّ البغداديَّ ، وروىٰ عنهُ « الترمذيَّ » سماعاً بحقِّ سماعِ ابنِ البنَّاءِ مِنَ الكَرُوخيِّ ، وسمعَ شيئاً مِنْ مصنفاتِ والدِهِ ، وأجازَ لهُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ البغداديُّ جميعَ ما سمعَهُ مِنَ الإمامِ أبي الفرجِ ابنِ الجوزيِّ ، وجميعَ ما أجازَهُ لهُ مِنْ مُصنَّفاتِهِ ومقولاتِهِ ومنقولاتِهِ ، وجميعَ ما أجازَ لهُ شيوخُ العلمِ سنةَ سبعٍ وستِّ مئةٍ بحرَّانَ .

---

(١) وقال المقريزي في « المقفى الكبير » (٣/٥٦٧) عن هـٰذه « الرسالة » : (وفيها فوائد كثيرة) ، علىٰ حين وقف عليها الذهبي وقال : (وفيها عظائم لا تحتمل ، والله الموعد) ، وليته ذكر دليلاً علىٰ هـٰذه الدعوى الخطيرة !! خصوصاً أنَّ المترجم من كبار أئمة الزهد والصلاح والولاية ، وجرحُ الذهبي في الصوفية والأشاعرة يحتاج إلىٰ أخذٍ وردٍّ كبيرين قبل الأخذ به .

ومِنْ كلامِهِ : أنْ قالَ **وقد سُئِلَ** عمَّا وقعَ مِنَ الإطلاقِ عنِ الحقِّ سبحانَهُ مِنَ التجلِّياتِ والظهورِ والتنزُّلاتِ ، **فأجابَ رضيَ اللهُ عنهُ** :

أنَّ الإلـهَ سبحانَهُ وتعالىٰ علاهُ وشأنُهُ مُنزَّهٌ عنِ التجدُّداتِ ، مُتعالٍ عنِ التنقُّلاتِ ، لا يجوزُ عليهِ تغييرٌ ولا تبديلٌ .

وجودُهُ ثابتٌ بما هوَ عليهِ مِنْ كمالِ ذاتِهِ ، وأسماءُ وصفاتُ كياناتِهِ باقيةٌ بأحكامِها في مراتبِ الوجودِ ، كلُّ كيانٍ ثابتٌ بحكمِهِ في وجودِ ظهورِهِ لا يتغيَّرُ عن كيانٍ بحكمِ كيانٍ ، ولا تختلفُ عليهِ الأحوالُ بتغيُّرِ الأزمانِ ، كيانُ عرشِهِ على الماءِ باقٍ ، وتنوُّعاتُ عروشِهِ في الأكوانِ بحسبِها ثابتةٌ إلى انتهاءِ الأكوانِ واستقرارِ الأزمانِ ، ولا نهايةَ في الحقيقةِ ، وكلٌّ مِنْ ذلكَ ثابتٌ وجودُهُ ، وإنَّما التنوُّعُ في حقِّ إدراكِ المُتنزِّلينَ ، وعلمِ العالِمينَ ، وشهودِ المشاهِدينَ ، ومعرفةِ العارفينَ ، فتحيَّزَ كلٌّ منهُم عن كلِّ نوعٍ مِنَ التجلِّياتِ وصيغِ المظاهرِ والتنزُّلاتِ علىٰ حسَبِ إدراكِهِ وشهودِهِ للنوعِ المُختصِّ بالمنزلةِ والمرتبةِ التي انتهىٰ إليها مِنْ حيثُ التطورُ في الأطوارِ ، والكشفُ عمَّا ينتهي الكشفُ فيهِ إلىٰ ما لا حدَّ لهُ ولا عددَ ولا حصرَ ولا أمدَ .

وهوَ سبحانَهُ في عليِّ ذاتِهِ ، وسَنِيِّ صفاتِهِ . . لا يتجدَّدُ عندَهُ مُتجدِّدٌ ، ولا يتغيَّرُ عليهِ في كمالِ ربوبيَّتِهِ وثبوتِ وجودِهِ حادثٌ ؛ فالتجلِّي إنَّما هوَ حدوثُ كشفٍ للشاهدِ بما قُسِمَ لهُ مِنَ الفضلِ في الزمنِ اللازمِ لهُ ، كذلكَ الحجابُ بعدَ الكشفِ في حقِّ المحجوبِ لا في حقِّ الحقِّ سبحانَهُ ؛ فإنَّهُ سبحانَهُ لا يحجبُهُ حجابٌ ؛ إذِ المحجوبُ دونَ الحجابِ ، وكما لا يتجدَّدُ علىٰ ثبوتِ وجودِهِ تجدُّدُ ظهورٍ . . كذلكَ لا يتجدَّدُ في حقِّهِ حجابٌ ؛ إذِ الظهورُ والحَجْبُ في حقِّ أربابِ المراتبِ في الإدراكاتِ ، واللهُ أعلمُ .

قالَ : افتحْ بصرَكَ الحِسِّيَّ الظاهرَ لظاهرِ الوجودِ تجدْهُ ثابتاً قائماً على

الوصفِ الذي انتهىٰ بصرُكَ إليهِ ، [ثمَّ] أَرْخِ جفنَيْكَ علىٰ بصرِكَ تجدِ الوجودَ قدِ انحجبَ عنكَ ، وليسَ إلا سترُ جفنيكَ لعينيكَ ، فحجابُكَ أنتَ ومنكَ ، لم يتجدَّدْ للوجودِ ظهورٌ ولا حجابٌ منهُ ، كذلكَ بصيرةُ القلبِ إذا نُوِّرَتْ بأنوارِ العلمِ الملكوتيِّ تشهدُ الملكوتَ ثابتَ الوجودِ لم يتجدَّدْ عليهِ في نفسِهِ مُتجدِّدٌ .

اعتبرْ كذلكَ إلىٰ سِرِّ الحقِّ القائمِ بكَ إذا غُيِّبْتَ أنتَ عنهُ وكَشَفَ عن حكمِ سِرِّيَّتِهِ ، فشهدتَ وجودَهُ مُتَّصِلاً بصفةِ الربَّانيةِ التي هوَ هيَ اتِّصالاً لم يُكْنَ بعدَ أنْ لم يكُنْ ، وإنَّما ظهورُ حكمِهِ بسببِ حدوثِ غيبتِكَ وانكشافِكَ عنهُ ؛ للزومِ الحدوثِ بحدوثِكَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء : ٢] ، فالذكرُ كلامُ اللهِ تعالىٰ وهوَ قديمٌ ، وإنَّما الإتيانُ حادثٌ للزومِ حدوثِنا ، واللهُ أعلمُ[١] .

وسُئِلَ عن قولِهِ تعالىٰ ـ إخباراً عن موسىٰ عليهِ السلامُ حينَ المقابلةِ لفرعونَ وإلقاءِ السحرةِ ـ : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه : ٦٧] .

فقالَ : الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ معيَّةَ الحقِّ سبحانَهُ واحدةٌ مِنْ حيثُ ذاتُهُ ، مُتنوِّعةٌ مِنْ حيثُ تنوُّعاتُ مراتبِ موجوداتِهِ ، فلكلِّ مرتبةٍ مِنْ مراتبِ الوجودِ نوعٌ مِنَ المعيَّةِ يُناسِبُ تلكَ المرتبةَ .

وكانَ موسىٰ علىٰ نبيِّنا وعليهِ الصلاةُ والسلامُ عالماً بالمعيَّاتِ مُشاهِداً لها مِنْ حيثُ ظهرَتْ ، فلمَّا قابلَهُ فرعونُ بسحرِهِ لاحَتْ لهُ في بديهةِ الحالِ معيَّةُ الحقِّ معَ فرعونَ ، فسرىٰ إلىٰ محلِّهِ الشريفِ هاجسُ الخوفِ ، فداركَهُ الحقُّ بالثباتِ ؛ فقالَ لهُ : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ [طه : ٤٦] بالنصرِ والتأييدِ ، فلمَّا تبيَّنَ لهُ ذلكَ زالَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما كانَ وَجَسَ لهُ في البديهةِ ، وتبيَّنَ لهُ معيَّةُ

(١) وانظر ما قيل أيضاً في تأويل هـٰذه الآية في (١/ ١٥٤ـ ١٥٥) .

الحقِّ معَ فرعونَ للإحاطةِ والعلمِ بما هوَ فيهِ والمكرِ بهِ والخديعةِ لهُ ، فعلىٰ هٰذا يُحمَلُ ما أخبرَ بهِ عنهُ ؛ لشرفِ نبوَّتِهِ ورسالتِهِ وعصمتِهِ ، واللهُ أعلمُ .

وسُئِلَ رضيَ اللهُ عنهُ عن قولِهِ ـ إخباراً عن موسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في آخرِ سؤالِهِ ربَّهُ أخاهُ هارونَ ـ : ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه : ٣٥] ، ولم يَقُلْ : (بنا حفيّاً) ولا (لطيفاً) ، ولا غيرَ ذلك .

فأجابَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ مقدمةَ عطيَّةِ اللهِ سبحانَهُ لهُ أنْ أخذَهُ مِنْ يدِ الأسبابِ ؛ بإلقائِهِ في المهالكِ ، ووضعِهِ في التابوتِ ، وإلقائِهِ في اليمِّ ، وأخذِ عدوِّهِ لهُ ، فبيَّنَتِ القدرةُ العليَّةُ سرَّ ذلكَ بقولِهِ سبحانَهُ : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] ، فلمَّا سألَ أخاهُ هارونَ أنْ يكونَ معَهُ اعترفَ للحقِّ سبحانَهُ بسابقِ عطيَّتِهِ لهُ بصُنعِهِ علىٰ عينِهِ ومباشرةِ يدِ القدرةِ ؛ لتكونَ إجابتُهُ لهُ بأخيهِ تتمَّةَ تلكَ العطيَّةِ ، واللهُ أعلمُ .

مدحَهُ جماعةٌ مِنَ العلماءِ في حالِ حياتِهِ ، ورثَوْهُ بعدَ موتِهِ ؛ فممَّا قيلَ في حياتِهِ : ما قالَهُ الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ ابنُ يوسفَ الجزريُّ الخطيبُ المُلقَّبُ بـ (ملكِ النحاةِ) :

[من الوافر]

تَبَارَكَ مَنْ أَبَاحَ حِمَى ٱلْمَعَالِي ... لِسِرِّكَ فَهْوَ يَسْرَحُ حَيْثُ شَاءَ
إِذَا لَيْلُ ٱلسُّلُوكِ دَجَا وَلاَحَتْ ... لَوَامِعُ نُورِهِ فِيهِ أَضَاءَ

وُلِدَ الشيخُ صفيُّ الدينِ في منتصفِ ذي القعدةِ سنةَ خمسٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بعدَ عصرِ الجمعةِ ثاني عشرَ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ اثنتينِ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، فجملةُ عمرِهِ ستٌّ وثمانونَ سنةً وأربعةُ أشهرٍ وسبعةٌ وعشرونَ يوماً ، وصُلِّيَ عليهِ مِنَ الغدِ ، ودُفِنَ بزاويتِهِ بالشهميَّةِ ، وخلفَهُ ولدُهُ إبراهيمُ .

أنشدَني الشيخُ الحافظُ تقيُّ الدينِ أبو بكرٍ عتيقُ بنُ الشيخِ وجيهِ الدينِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبي الفتحِ العمريُّ الصوفيُّ أحدُ أصحابِ الشيخِ صفيِّ الدينِ قالَ : أنشدَني بعضُ الفقراءِ للشيخِ صفيِّ الدينِ ولم أسمعْهُ منهُ ، فما أدري نظمَهُ أو تمثَّلَ [بهِ] : [من الكامل]

لَجَّجْـتُ بَحْـرَ هَـوَاكُـمُ بِسَفِينَتِـي ... وَٱلْعَاشِقُونَ تَوَقَّفُوا فِي ٱلسَّاحِلِ

فَلَئِنْ هَلَكْتُ فَفِي سَبِيلِ هَوَاكُمُ ... وَلَئِنْ نَجَوْتُ لَقَدْ ظَفِرْتُ بِطَائِلِ

* * *

ومنهُمْ :

[الإمامُ الفقيهُ ظهيرُ الدينِ جعفرُ بنُ يحيى التِّزْمَنتيُّ الشافعيُّ]

الفروعيُّ الفارعُ ، والفقيهُ البارعُ ، المُتخلِّلُ بأحسنِ خَلَّةٍ ، والمُتجلِّلُ بثوبَيِ العلمِ والدينِ فجمُلَتْ حُلَّةً ، قد ضمَّ إلى الورعِ عزماً وحزماً ، وأُوتِيَ بسطةً في العلمِ خاصةً فهوَ كُنَيفٌ مُلِئَ علماً[1] ، قدْ رفعَهُ علمُهُ فطرْفُهُ قريرٌ ، وظهرَ وظاهرَ فهوَ بالحقِّ ظاهرٌ وللحقِّ ظهيرٌ : الفقيهُ الإمامُ العالمُ ظهيرُ الدينِ جعفرُ بنُ يحيى بنِ جعفرٍ ، [المخزوميُّ] التِّزْمَنتيُّ بلداً المصريُّ داراً ووفاةً .

اشتغلَ : على الفقيهِ أبي الطاهرِ المحلِّيِّ ، وأدركَ أواخرَ أيامِ قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ[2] ، واشتغلَ بمدرسةِ الفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، وكانَ إماماً في مذهبِ الشافعيِّ ، واستفادَ مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وكانَ الشيخُ يستحسنُ ذهنَهُ كما قدَّمْنا[3] ، وسمعَ شهادتَهُ قاضي القضاةِ بدرُ الدينِ السِّنجاريُّ[4] ، ولم يَزَلْ ذا مكانةٍ عندَ الأكابرِ ، وكلمةٍ نافذةٍ عندَ الحكامِ ؛ لاستحقاقِهِ مناصبَهُم ، وعدمِ إرادتِهِ لذلكَ .

---

(١) الكُنيف : الوعاء ، وهٰذا التركيب في الأصل قاله سيدنا عمر بن الخطاب في حق سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، كما أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٨١٨٧) ، والطبراني في « الكبير » (٩/٤٠٨) .

(٢) أي : ابن السكري . انظر ترجمته في (١/ ٥٨٣ـ ٥٨٤) .

(٣) وسبقت ترجمته في (٢/ ٩٧ـ٩٨) .

(٤) وأخذ عنه العلمَ فقيه زمانه أبو العباس ابن الرفعة شيخ التقي السبكي ومن دونه رحمهم الله تعالىٰ .

وكانَ علىٰ ذهنِهِ وقائعُ في العلمِ ، وفوائدُ كثيرةٌ ومباحثُ جمَّةٌ ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ العلماءِ والفقهاءِ .

وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، وهوَ وإنْ لم يَكُنْ أصوليّاً ولا مُتوغِّلاً في علمِ الكلامِ لـٰكنَّهُ كانَ أكثرُ ما يُحتاجُ إليهِ مِنْ مباحثِها علىٰ خاطرِهِ ؛ لكثرةِ الوقائعِ وحضورِ المحافلِ .

وكانَ مُعِيداً بمدرسةِ الإمامِ الشافعيِّ بالقرافةِ ، ومُدرِّساً بالمدرسةِ القطبيَّةِ بالقاهرةِ المعزيةِ ، ونابَ عنِ البرهانِ السِّنجاريِّ في زمنِ وزارتِهِ في التدريسِ بزاويةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بجامعِ مصرَ .

وكانَ ذا عبارةٍ فصيحةٍ ، ووجهٍ طلقٍ مُتهلِّلٍ ، وورعٍ ، وكانَ يُفتي لفظاً ويأبىٰ أنْ يكتبَ ، وتُوفِّيَ مِنْ طلوعٍ طلعَ لهُ في ظهرِهِ يُسمَّىٰ شقفةً .

تُوفِّيَ في جمادى الآخرةِ سنةَ اثنتينِ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/١٣٩) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (١/١٥٣) ، و« المقفى الكبير » (٣/٦٦) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ موسى بنِ النعمانِ الهِنْتاتيُّ التِّلِمْسانيُّ المالكيُّ]

الأسدُ الصائلُ ، على المبتدعةِ بالغدوِّ والأصائلِ ، والعالمُ المتقنُ ، والفاضلُ المُتفنِّنُ ، والعارفُ المُتكلِّمُ ، والمُربِّي المُعلِّمُ ، والمُحدِّثُ الصادقُ ، والمُحدِّثُ الناطقُ ، المُجاهدُ في اللهِ حقَّ جهادِهِ ، والمُكايِدُ لمَنِ استرسلَ في عنادِهِ .

سلَّهُ اللهُ سيفاً على المبتدعةِ فقهرَهُم ، وأذهبَ عينَهُم ومحا أثرَهُم ، سعياً علىٰ أقدامِهِ ، ومكافحةً لهُم بمُؤيِّدِ إقدامِهِ ، فنكَّسَ منهُمُ الرأسَ وأغضَّ الطرفَ ، وأخرسَ منهُمُ الصوتَ والحرفَ ، ثمَّ سعىٰ في كشفِ مساجدَ دائرةٍ ، قدِ استولَتْ عليها الفئةُ الكافرةُ ، قِبْليَّ البلادِ وبحريَّها ، فعمَرَها بعدَما أظهرَها وأعلىٰ منارَها ، وعمَرَ بذكرِ اللهِ تعالىٰ والصلاةِ أفناءَها وأقطارَها ؛ حتىٰ إنَّ لهُ بالديارِ المصريَّةِ قريباً مِنَ السبعينَ مسجداً ـ مُنشَأً أو مُجدَّداً ـ عامرةً آهلةً بأئمَّتِها ومُؤذِّنيها دارَّةً أرزاقُهُم .

وأولُ مساجدِهِ : مسجدُ البهنسا ، وثانيها : مسجدُ الفتحِ بقصرِ الشمعِ بمصرَ ، كانَ مكانُهُ ثلاثةَ مساجدَ قد دثرَتْ في الغلاءِ الكبيرِ ، فاستولىٰ عليها النصارىٰ وأضافُوها إلى الكنيسةِ ، فأظهرَها اللهُ علىٰ يديهِ ، وفي ذلكَ يقولُ المُخلِّصُ الكنانيُّ المُوقِّعُ : [من البسيط]

يَا مَسْجِدَ ٱلْفَتْحِ قَدْ شَابَهْتَ كَعْبَتَنَا ... فَحَظُّكَ ٱلآنَ تَهْلِيلٌ وَتَقْدِيسُ
وَكُنْتَ فِيمَا مَضَىٰ يَحْوِيكَ كُلُّ أَذىً ... مِنَ ٱلنَّصَارَىٰ وَتَلْوِيثٌ وَتَنْجِيسُ

وقد عدَّ المساجدَ وذكرَها بأسمائِها وأصقاعِها أخونا وصاحبُنا في اللهِ ، المُحدِّثُ الضابطُ المُتقِنُ المُفيدُ المُحصِّلُ ، الشيخُ نجمُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ اللهِ القرشيُّ . . في كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « المواهبِ الرحمانيَّةِ في المناقبِ النُّعمانيَّةِ »[1] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ الإمامُ ، مُحيي السنَّةِ ، مُميتُ البدعةِ ، خادمُ الحديثِ النبويِّ : شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ موسى بنِ النعمانِ ، الهنتاتيُّ المزاليُّ ، التِّلِمْسانيُّ المولدِ ، الفاسيُّ المنشأِ والأصلِ .

كانَ أوحدَ أهلِ زمانِهِ ، أيَّدَهُ اللهُ في عَزَماتِهِ .

اشتغلَ بالقرآنِ الكريمِ بمدينةِ فاس[2] : على الشيخ أبي العباس الضرير ، وأبي القاسمِ الصفَّار ، **وقرأَ العربيةَ** : على الأستاذ عبادٍ ، والأستاذِ أبي عبد الله محمدِ بنِ يعيشَ ، وأبي محمدٍ عبدِ العزيزِ ابنِ زيدانَ الفاسيِّ ، **وقرأَ بها الحديثَ** : علىٰ أبي القاسمِ بنِ القطانِ ، وأبي العباسِ بنِ أبي الربيعِ .

واشتغلَ بالأصولِ وعلمِ الكلامِ : علىٰ أبي العباسِ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ البقّال في آخرِ عمرِه ، ثمَّ انتقلَ رحمهُ اللهُ فقرأَ علىٰ جماعةٍ منْ أصحابِهِ ، ولازم مجلسَ الإمامِ أبي الحسنِ بنِ المصاليِّ ، وأخذَ عنهُ « العقيدةَ البرهانيةَ » للإمامِ أبي عمرٍو الفاسيِّ روايةً ودرايةً[3] ، وكانَ يرويها عنهُ وعنِ الإمامِ أبي العباسِ بنِ ناهضٍ ؛ كلاهُما عنِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ الفِنْدلاويِّ ـ عُرِفَ بابنِ الكتانيِّ ـ عن مُؤلِّفِها .

---

(١) **وأفرد ترجمته أيضاً** : المحدث أبو حفص عمر بن أيوب الحنفي ، وسماه : « تحفة الإخوان » ، وأبو بكر عبد الله بن أبي البركات الأكرم ، وسماه : « الترجمان عن نقلة ابن النعمان » انظر « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (٣/ ١٢٧٥) .

(٢) أغلب شيوخه الآتين لم أتحقق من ضبطهم ؛ إذ لم أعثر على ترجمتهم .

(٣) **وأبو عمرو الفاسي** : هو عثمان بن عبد الله السلالجي (ت ٥٧٤هـ) .

ثمَّ خرجَ إلىٰ تونسَ ، فاجتمعَ بالحصريِّ أبي موسىٰ عيسىٰ ، وأبي عبدِ اللهِ السوسيِّ ، وسمعَ منهُم .

ثمَّ رحلَ إلى الديارِ المصريَّةِ ، فبلغَ الإسكندريةَ ، فلَقِيَ بها : أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عمادٍ الحرَّانيَّ ، وأبا القاسمِ عبدَ الرحمـٰنِ بنَ عبدِ الحميدِ بنِ الصفراويِّ[1] ، وأبا الفضلِ جعفرَ بنَ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ الهمْدانيَّ ، وأبا إبراهيمَ محمدَ بنَ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الجبَّابِ ، وأبا البركاتِ محمدَ بنَ عليِّ بنِ محمودٍ يُعرَفُ بـ (ابنِ تاجرِ عينةَ) ، وأبا الندىٰ حسانَ بنَ أبي القاسمِ بنِ حسانَ المهدويَّ ، وأبا الفضلِ عبدَ العزيزِ بنَ عبدِ الوهابِ بنِ أبي الطاهرِ بنِ عوفٍ ، وأبا محمدٍ عبدَ الوهابِ بنَ رواجٍ ، وأبا الفضلِ يوسفَ بنَ عبدِ المعطي بنِ المَخِيليِّ ، وجماعةً غيرَهُم ، فأخذَ عنهُم .

ثمَّ دخلَ إلىٰ مصرَ ، فسمعَ : مِنْ أبي الحسنِ بنِ المُقيَّرِ ، وأبي الحسنِ عليِّ ابنِ بنتِ الجُمَّيزيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ محمودِ ابنِ الصابونيِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي عليٍّ النُّوقانيِّ ، والشريفِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الهاشميِّ المأمونيِّ ، وأبي القاسمِ عبدِ الرحيمِ بنِ يوسفَ ابنِ الطفيلِ الدمشقيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ إسماعيلَ ابنِ جبارةَ الكنديِّ ، وفخرِ القضاةِ ابنِ الجبَّابِ ، وأبي العباسِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ صباحٍ ، وأبي عليٍّ الحسنِ ابنِ دينارٍ السمسارِ المقرئِ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ عبدِ الصمدِ المعروفِ بـ (ابنِ الرمَّاحِ) المقرئِ ، وغيرِهِم .

ثمَّ انتقلَ في الديارِ المصريَّةِ قِبْليِّها وبحريِّها ، فسمعَ : مِنَ الأميرِ مكرمِ

---

(١) قوله : (عبد الحميد) : كذا في الأصل و« طبقات الحفاظ » (٤/ ١٤٢٤) ، وجاء في كثير من المصادر والمراجع : (عبد المجيد) . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٤١) ، و« الوافي بالوفيات » (١٨/ ١٠٣) .

الدينِ بنِ اللمطيِّ، وأبي القاسمِ عبيدِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ خلفٍ الكوميِّ التِّلِمْسانيِّ، وسمعَ مِنْ شيخِهِ أبي الحسنِ ابنِ قفلٍ .

وروىٰ عن جماعةٍ بالإجازةِ يطولُ تعدادُهُم .

وأخذَ عنهُ جماعةٌ مِنْ علماءِ الحديثِ ، ويكفي عن جميعِهِم شيخُ الوقتِ ، ورُحلةُ الزمانِ ، وعينُ الأعيانِ ، الإمامُ الحافظُ ، بقيةُ المجتهدينَ : تقيُّ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ ابنُ دقيقِ العيدِ الآتي ذكرُهُ[1] ، والشيخُ الإمامُ الحافظُ رُحلةُ وقتِهِ ، المُنفرِدُ بفنِّهِ في زمانِهِ : شرفُ الدينِ عبدُ المؤمنِ بنُ خلفٍ الدمياطيُّ ؛ فإنَّهُما صحباهُ وأخذا عنهُ .

وممَّنْ صحبَهُ وأخذَ عنهُ ، وكانَ يستنصرُ بهِ ، وشاهدتُ ذلكَ غيرَ مرَّةٍ : الشيخُ الإمامُ العالمُ ، لسانُ المُتكلِّمينَ ، سيفُ المُناظِرينَ : أبو العباسِ أحمدُ بنُ إدريسَ الصِّنْهاجيُّ المالكيُّ المعروفُ بـ (القَرافيِّ)[2] ، وجماعةٌ يطولُ ذكرُهُم .

وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ المريدينَ والصوفيَّةِ ، ومَنْ سلكَ طريقَهُ في الإرادةِ ولبسَ منهُ الخرقةَ .

وكانَ الشيخُ قد لبسَ خرقةَ التصوفِ مِنْ ثلاثةٍ : مِنَ الشيخِ أبي الحسنِ ابنِ قفلٍ ، ومِنَ الشيخِ الإمامِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ بنِ سلامةَ المعروفِ بـ (ابنِ بنتِ الجُمَّيزيِّ) ، ومِنْ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمودِ ابنِ الصابونيِّ بأسانيدِهِمُ المعروفةِ بهم ، والمذكورةِ في كتبِهِم .

ورأى الشيخُ أبو عبدِ اللهِ جماعةً مِنَ الأولياءِ والصلحاءِ ، وظهرَ علىٰ يديهِ كراماتٌ كثيرةٌ لا يُحصيها العدُّ ، ولا يحصُرُها الحدُّ ، وأسلمَ علىٰ يديهِ خلقٌ

---

(١) انظر (٢/ ٢٥٣ـ ٢٧٢) .

(٢) صاحب « الفروق » وغيره من المؤلفات النفيسة ، وستأتي ترجمته في (٢/ ١٩٨ـ ٢٠٠) .

كثيرٌ مِنَ النصارىٰ واليهودِ ، وتابَ علىٰ يديهِ جماعةٌ مِنَ المبتدعةِ ، وانخزلَ علىٰ يديهِ كبارُ المبتدعةِ بالشامِ وبالديارِ المصريَّةِ ، وذلُّوا وقُهِروا ، ووقائعُهُ معَهُم مشهورةٌ ، وطائفةُ أهلِ السنَّةِ لم تزَلْ بعزَماتِهِ منصورةً .

وكلُّ مَنْ نهضَ علىٰ مُبتدِعٍ ، أو سعىٰ في إخمادِ أمرِهِ ، وتنكيسِ رأسِهِ . . فبلسانِهِ يُناضِلُ ، وبسيفِهِ يُقاتِلُ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ ، العارفَ القدوةَ ، سيفَ المِلَّةِ ، ناصرَ الحقِّ ، مُفتِيَ المسلمينَ ، بقيَّةَ السلفِ ، عمدةَ الخلفِ : أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عبدِ الجبارِ القَيْروانيَّ نفعَ اللهُ ببركتِهِ . . يقولُ وقد حضرتُ إليهِ في جماعةٍ مِنْ طلبةِ العلمِ الشريفِ الشافعيَّةِ والمالكيَّةِ نُهنِّئُهُ بما يسَّرَ اللهُ علىٰ يديهِ مِنَ الفتحِ في كسرِ شوكةِ ابنِ تيميَّةَ وأصحابِهِ ، وكانَ أمراً عظيماً أنهضَهُ اللهُ فيهِ وأعانَهُ عليهِ ، فدعَونا لهُ ، فكانَ جوابُهُ : هـٰذا أمرٌ ليسَ لي فيهِ شيءٌ ، إنَّما حسناتُهُ في صحائفِ سيِّدي أبي عبدِ اللهِ ابنِ النعمانِ ، وما تكلَّمتُ إلا بلسانِهِ ، ولا نهضتُ إلا بحالِهِ ، وأرادَ ـ تولَّى اللهُ جزاءَهُ ـ بذلكَ سترَ ما يسَّرَهُ اللهُ علىٰ يديهِ مِنْ ذلكَ ، فأجبْناهُ ممتثلينَ بقولِهِ [. . .][1] .

ولم يَزَلِ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ علىٰ مُواظَبةِ الاشتغالِ ، وإكثارٍ مِنَ المجاهداتِ والأورادِ ، ولهُ في ذلكَ أحوالٌ مشهورةٌ ، ونسبةٌ مسطورةٌ في الكتبِ ، يعلمُها المُخالِفُ والمُوالِفُ ، ويشهدُ لهُ بها العدوُّ والصديقُ .

وصنَّفَ رضيَ اللهُ عنهُ كتباً كثيرةً ؛ فمنها : كتابُ « مصباحِ الظلامِ في المُستغيثينَ بخيرِ الأنامِ في اليقظةِ والمنامِ » ، وهوَ سماعي عليهِ سنةَ [. . .][2] .

---

(١) بياض بمقدار سطر في (أ ، ب) .
(٢) بياض بمقدار كلمتين في (أ ، ب) .

وفيهِ يقولُ الأديبُ الفاضلُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ دانيالَ بنِ يوسفَ الخزاعيُّ الجزريُّ : [من الوافر]

لِشَمْسِ ٱلدِّينِ صَدْرٌ أَيُّ صَدْرٍ يُرِينَا نَحْرُهُ دُرَّ ٱلْكَلامِ
بِهِ ظُلَمُ ٱلشُّكُوكِ لَنا أَضاءَتْ لأَنَّ ٱلشَّمْسَ مِصْبَاحُ ٱلظَّلامِ

وقُعِلَ في وصفِ هٰذا الكتابِ مِنَ الأشعارِ كثيرٌ ، وليسَ هٰذا موضعَ ذكرِها .

ومنها : كتابُ « ذخيرةِ أهلِ الإيمانِ في حفظِ جوارحِ الإنسانِ » ، وكتابُ « الإيضاحِ والبيانِ في ذكرِ مَنْ أسلمَ مِنَ النصارىٰ والرُّهبانِ علىٰ يَدَي الشيوخِ أهلِ الإتقانِ » ، وكتابُ « النصيحةِ والبيانِ في تركِ معاشرةِ الأحداثِ والنسوانِ » ، وكتابُ « الأنوارِ البهيَّةِ في أحكامِ خرقةِ الفقراءِ والصوفيَّةِ » ، وكتابُ « مَحَجَّةِ القاصدينَ إلىٰ منهجِ الصادقينَ » ، وكتابُ « تنبيهِ الأبرارِ علىٰ سننِ المهاجرينَ والأنصارِ » ، وكتابُ « النهيِ عن معاشرةِ النسوانِ والأحداثِ والرَّدِّ على المُبتدِعةِ أهلِ الأحداثِ »[1] ، وكتابُ « الجوهرِ المكنونِ في كراماتِ ذي النونِ » ، وكتابُ « فضلِ الحجِّ وثوابِ الحاجِّ » ، وكتابُ « فرائدِ الفوائدِ الإسكندريَّةِ في شيوخِ الحافظِ السِّلَفيِّ مِنَ الصوفيَّةِ » ، وكتابُ « الفوائدِ السِّلَفيَّةِ » ، وكتابُ « القوانينِ الشرعيَّةِ في وصيَّةِ الراعي بالرعيَّةِ » ، وكتابُ « الدُّرِّ المكنونِ في كراماتِ الشيخِ أبي الحسنِ المدفونِ بجهةِ مكنونٍ »[2] ، وكتابُ « الإعلامِ بالأعلامِ مِنَ الحُكَّامِ » ، وكتابُ « الفوائدِ السفريةِ في ذكرِ مَنْ تطهَّرَتْ نفسُهُ الزكيَّةُ » ، وكتابُ « ملحةِ اللَّحَنِ وعقلةِ اللَّسَنِ » ، وكتابُ « شاهدِ أولياءِ اللهِ في الأعيادِ » ، وكتابُ « الجوابِ المُغني عن كلامِ المرءِ فيما

(١) ضبطها في (أ) بفتح الهمزة وكسرها .
(٢) هو شيخه المربي أبو الحسن ابن قفل رحمه الله تعالى السابق في (٢/ ٢٢ـ٢٣) .

لا يعني » ، وكتابُ « خمودِ النارِ لأجلِ الأنوارِ » ، وكتابُ « الردِّ على المُعانِدِ الجاحدِ في إثباتِ مشيئةِ الواحدِ » ، وكتابُ « اللُّمَعِ في أحكامِ الكنائسِ والبِيَعِ » ، وكتابُ « التنبيهِ على الأسبابِ والقناعةِ في الاكتسابِ » ، وكتابُ « عمدةِ المسافرِ وعدةِ الحاضرِ » ، وكتابُ « تمهيدِ الأصولِ في تهذيبِ العدولِ » ، وكتابُ « الإبانةِ في المُتشبِّهينَ بأهلِ الكفرِ والخيانةِ » ، وكتابُ « الإذكارِ بفضلِ الأذكارِ » ، وكتابُ « معرفةِ الأشراطِ لمَنْ يسكنُ الرِّباطَ » ، وكتابُ « عمدةِ المجاهدينَ عندَ قتالِ الكفرةِ الجاحدينَ » ، وكتابُ « الفوزِ والرِّضوانِ فيمَنْ باعَ نفسَهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ بالجنانِ » ، وكتابُ « النصيحةِ والإرشادِ في وصيَّةِ الأمراءِ والأجنادِ » ، وكتابُ « تحفةِ الإخوانِ فيما استقرَّ علىٰ أهلِ الإيمانِ » ، وكتابُ « نظمِ الدررِ واللآلي بجِيدِ الأجوادِ أهلِ الفتوَّةِ ذوي المعالي » ، وكتابُ « طبِّ الجَنانِ والأركانِ » ، وكتابُ « إرشادِ المريدِ السالكِ » ، وكتابُ « التمهيدِ في معرفةِ الشيخِ والمريدِ » ، وكتابُ « رياضةِ المُوحِّدينَ ونزهةِ المؤمنينَ » ، وكتابُ « الردِّ على الحُروفيَّةِ » ، وكتابُ « موافقةِ المعبودِ في تركِ مُغالاةِ النصارىٰ واليهودِ » .

وغيرُ ذلكَ مِنَ المُصنَّفاتِ والتعاليقِ والإملاءاتِ ، لا يَسَعُ الحالُ إحصاءَها ، ولا يتمكَّنُ مَنْ يرومُ استقصاءَها ، ولقد عدَّ لهُ نجمُ الدينِ بنُ عبدِ الحميدِ قريباً مِنْ مئتي مُصنَّفٍ بأسمائِها ، وذكرَ أنَّها فوقَ المئتينِ والستينَ تصنيفاً .

لهُ كلامٌ في المعارفِ ؛ فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : الإنسانُ تارةً يتكلَّمُ باللسانِ ، وتارةً يتكلَّمُ بالجَنانِ ، واللحنُ عندَ العلماءِ باللسانِ معروفٌ[1] .

كَرْمٌ لا يمتدُّ إلىٰ ما حوتْهُ مِنَ الطعامِ أيدي الطَّغامِ ، نوَّهَ بذكرِهِ فنامَ

---

(1) هنا انتهت الورقة (٢٠٠/أ) ، ويظهر أن ما بعدها ساقط أو مبتور ، والله تعالىٰ أعلم .

الغافلونَ ، وسَهِرَ في خدمةِ الرحمـٰنِ ، وارتضاهُ لذاتِهِ فشهرَ عليهِ ألويةَ الرضا والأمانِ ، ونصبَهُ حرماً آمناً يلجأُ إليهِ أبناءُ الزمانِ ، وبيتاً مُقدَّساً يطوفُ بصخرتِهِ آمالُ الإخوانِ .

مُنَـاوِيـهِ مَـذْمُـومٌ بِكُـلِّ لِسَـانِ ... وَإِنْ كَـانَ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ ٱلْقَمَـرَانِ

وَللهِ سِـرٌّ فِـي عُـلاهُ وَإِنَّمَـا ... كَلامُ ٱلْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلْهَذَيَانِ[١]

ومِمَّنْ مدحَهُ نثراً : الشيخُ الإمامُ المُحدِّثُ العالمُ ، الضابطُ المُسنِدُ البارعُ ؛ جمالُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ الشيخِ علمِ الدينِ عليِّ بنِ محمودٍ المحموديُّ الصابونيُّ ؛ فإنَّهُ كتبَ على كتابِهِ المُقدَّمِ ذكرُهُ المُسمَّىٰ بـ « الأنوارِ البهائيَّةِ البهيَّةِ »[٢] : (وقفَ العبدُ الفقيرُ ، إلىٰ رحمةِ ربِّهِ القديرِ ؛ محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمودٍ المحموديُّ أصلحَ اللهُ شانَـهُ ، ولا ألحقَ بهِ ما شانَـهُ ، علىٰ هـٰذهِ الأنوارِ ، التي هيَ أزهىٰ مِنَ النُّوَّارِ ، وأرقُّ مِنْ نسيمِ الأسحارِ ، فجلا بصرَهُ بنظرِهِ إليها ، وشرحَ صدرَهُ وقوفُهُ عليها ، وتحقَّقَ أنَّ اللهَ سبحانَـهُ جمعَ لمُؤلِّفِها بينَ عِلْمَيِ الباطنِ والظاهرِ ، وخصَّهُ بصحبةِ المشايخِ والساداتِ الأكابرِ ، وميَّزَهُ برؤيةِ العلماءِ وتلكَ أعظمُ المفاخرِ ، فهيَ الأنوارُ المنسوبةُ إلىٰ جمعِ الشيخِ الزاهدِ العارفِ ، حُجَّةِ العارفينَ ، ومُرشِدِ السالكينَ ؛ أبي عبدِ اللهِ محمدِ ابنِ النعمانِ ، أبهىٰ مِنَ الأزهارِ وأبهجَ مِنْ شقائقِ النعمانِ ؛ فلقد أحسنَ فيما قصدَ ووُفِّقَ فيما اعتمدَ وأبانَ ، نفعَ اللهُ المسلمينَ ببركاتِهِ ، ولا أخلاهُم مِنْ صالحِ دعواتِهِ ؛ إنَّهُ كريمٌ منَّانٌ ، وعليهِ التُّكلانُ ، وصلواتُهُ علىٰ خيرِ خلقِهِ محمدٍ النبيِّ وآلِهِ وصحبِهِ والتابعينَ لهُم بإحسانٍ ، ما تناوحَ ضِدَّانِ[٣] ، وما اختلفَ الجديدانِ) .

---

(١) البيتان للمتنبي في « ديوانه » (٤/ ٢٤٢) ، وهما من الطويل .

(٢) الذي سبق أثناء سرد مؤلفاته : (الأنوار البهية) دون كلمة (البهائية) .

(٣) تناوح : تقابل .

وممَّنْ نَظَمَ فيهِ : سيدُنا قاضي القضاةِ زينُ الدينِ مُفتي المسلمينَ : أبو القاسمِ محمدُ بنُ شيخِنا الإمامِ العالمِ العاملِ مُفتي المسلمينَ أبي الحسنِ محمدِ بنِ الحسينِ بن عتيقِ بنِ رشيقٍ الرَّبَعيُّ المالكيُّ ، أدامَ اللهُ إقبالَهُ ، وختمَ بالصالحاتِ أعمالَهُ ، يمدحُ بهِ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ويُهنِّئُهُ بقدومِهِ مِنَ الحجازِ الشريفِ سنةَ اثنتينِ وستينَ وستِّ مئةٍ : [من الوافر]

لِيَهْنِـكَ حَجُّـكَ ٱلْمَبْـرُورُ أَبْشِـرْ ... فَقَـدْ نِلْـتَ ٱلْمَعَـالِـيَ وَٱلأَمَـانِـي

فَطَبَّـقَ ذِكْـرُكَ ٱلآفَـاقَ حَتَّـى ... نَـرَاهُ لَيْـسَ يَخْلُـو مِـنْ مَكَـانِ

وَمَـا هَـٰذَا سُـدىً لَـٰكِـنْ لِمَعْنـىً ... خُصِصْتَ بِهِ وَ[كَانَ]ٱلْغَيْرُ عَانِي

وَسَوْفَ تَنَالُ فِي ٱلْفِرْدَوْسِ قَصْراً ... مُنِيفـاً قَـدْ بَنَـاهُ أَجَـلُّ بَـانِـي

مِـنَ ٱلْعِقْيَـانِ رُصِّـعَ بِـٱلـلآلِـي ... بَـلِ ٱلْمَـرْجَـانِ صُفِّـحَ بِـٱلْجُمَـانِ

فَمَـنْ تَعِـبَ ٱسْتَـرَاحَ وَفَـازَ حَقّـاً ... مِـنَ ٱلْمَـوْلَـىٰ بِخَيْـرَاتٍ حِسَـانِ

كَوَاعِبَ قَاصِرَاتِ ٱلطَّرْفِ عِينٍ ... مَصُـونَـاتٍ لِأَرْبَـابِ ٱلْمَعَـانِـي

وللشيخِ الإمامِ [. . .][1] أبي العباسِ أحمدَ بنِ موسى بنِ مُرهَفٍ الأنصاريِّ الشافعيِّ لمَّا اجتمعَ بهِ بمدينةِ الفَيُّوم : [من الطويل]

رَأَيْنَا بِكَ ٱلأُنْسَ ٱلَّذِي عَمَّ نَفْعُهُ ... مِنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلآدَابِ فِي ٱلنَّفْسِ وَٱلدَّرْسِ

وَعِشْنَا بِأُنْسٍ مِنْ عُلُومِكَ بُرْهَةً ... فَيَا حَبَّذَا أُنْسُ ٱلْعُلُومِ إِلَى ٱلنَّفْسِ

تَبَدَّيْتَ شَمْساً كَاشِفاً كُلَّ شُبْهَةٍ ... مِنَ ٱلشَّكِّ وَٱلإِشْكَالِ وَٱلرَّيْبِ وَٱللَّبْسِ

إِذَا غِبْتَ أَمْسَى ٱلْوَقْتُ بَعْدَكَ مُظْلِماً ... وَلا يُنْكَرُ ٱلإِظْلامُ فِي غَيْبَةِ ٱلشَّمْسِ

وللشيخِ الأديبِ الفاضلِ البارعِ شرفِ الدينِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ

(١) بياض بمقدار كلمتين في (أ ، ب) .

حمَّادِ البُوصيريِّ يمدحُهُ ، وأنشدَها لهُ بمدينةِ بلبيسَ : [من البسيط]

اَلْحَمْـدُ للهِ فِـي سِـرٍّ وَفِـي عَلَـنِ ... حَمْداً يَقُومُ بِحَقِّ ٱلْفَضْلِ وَٱلْمِنَنِ

وَجَـلَّ مَـنْ شُكْـرُهُ أَثْمَـانُ نِعْمَتِـهِ ... وَيَـا لَهَـا نِعَمـاً جَـاءَتْ بِـلا ثَمَـنِ

أَعْيَا ٱلْخَلائِقَ أَنْ يُحْصُوا لَهَا عَدَداً ... سِيَّـانِ ذُو لَكَـنٍ فِيهَـا وَذُو لَسَـنِ

فَٱفْطَنْ لِأَلْطَافِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فَمَا ... تَكَـادُ أَلْطَافُهُ تَخْفَـىٰ عَلَـىٰ فَطِـنِ

كَمْ أَوْجَبَتْ كُرَبٌ مِنْهُ لَنَا كَرَماً ... كَٱلْفَرْثِ وَٱلدَّمِ سَاقَا خَالِصَ ٱللَّبَنِ

وَطَالَمَا جَعَلَ ٱلْمَكْرُوهَ فِي مِنَحٍ ... لَنَا كَمَا جَعَلَ ٱلْمَحْبُوبَ فِي مِحَنِ

فَلا تَكُنْ بِٱلَّذِي أُوتِيتَ ذَا فَرَحٍ ... وَلا تَكُنْ بِٱلَّذِي أَخْطَأْتَ ذَا حَزَنِ

وَلا تُعَـاتِـبْ زَمَـانـاً فِـي تَصَـرُّفِـهِ ... فَٱلْحُكْمُ للهِ فِي ٱلتَّصْرِيفِ لا ٱلزَّمَنِ

وَٱلْمَرْءُ رَهْنُ مُجَازَاةٍ بِمَا صَنَعَتْ ... مِنَ ٱلْقَبِيحِ يَدَاهُ أَوْ مِنَ ٱلْحَسَنِ

فَٱجْهَدْ لِنَفْسِكَ فِي تَخْلِيصِ مَا ضَمِنَتْ ... لَكَ ٱلصَّحَائِفُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ رُهُنِ

وَأَزْهَدُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا ٱمْرُؤٌ عَزَفَتْ ... عَنْ لَيِّنٍ نَفْسُهُ فِيهَا وَعَنْ خَشِنِ

مُحَمَّـدٌ وَإِلَـى ٱلنُّعْمَـانِ نِسْبَتُـهُ ... نِعْمَ ٱلإِمَامَانِ مِنْ أَصْلٍ وَمِنْ فَنَنِ

أَخْبَارُهُ فِي ٱلْوَرَىٰ طَابَتْ وَمَخْبَرُهُ ... فَفَضْلُهُ مِلْءُ عَيْنِ ٱلدَّهْرِ وَٱلأُذُنِ

وَذِكْرُهُ عِطْرٌ فِي ٱلأَرْضِ مُنْتَشِرٌ ... وَفِي ٱلسَّمَاءِ ٱنْتِشَارَ ٱلرُّوحِ فِي ٱلْبَدَنِ

يَجْنِي ٱلرُّوَاةُ ثِمَارَ ٱلْعِلْمِ يَانِعَةً ... مِنْهُ كَمَا تُجْتَنَى ٱلأَزْهَارُ مِنْ غُصُنِ

كَـأَنَّـهُ كَعْبَـةٌ تَـأْتِـي ٱلْـوُفُـودُ لَـهُ ... سَعْياً وَفَوْقَ عِتَاقِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْبُدُنِ

أَبْدَىٰ لَنَا ٱلْغَرْبُ شَمْساً مِنْ فَضَائِلِهِ ... فَكَانَ فِينَا غَرِيبَ ٱلْفَضْلِ وَٱلْوَطَنِ

يُرِيكَ وَجْهاً نَضِيراً مِنْ تَقَشُّفِهِ ... فَٱزْهَدْ بِرُؤْيَتِهِ عَنْ خُضْرَةِ ٱلدِّمَنِ

وَدُونَكَ ٱلضَّامِرَ ٱلْمَهْزُولَ فَٱنْجُ بِهِ ... فَمَا حَوَىٰ قَصَبَاتِ ٱلسَّبْقِ ذُو سِمَنِ

فَٱلنَّاسُ قَدْ أَخَذُوا عَنْهُ مَنَاسِكَهُمْ ... وَحَظَّهُمْ مِنْ فُرُوضِ ٱلدِّينِ وَٱلسُّنَنِ

يَـدْعُـو ٱلأَنَـامَ عَلَـىٰ عِلْـمٍ وَبَيِّنَـةٍ ... إِلَى ٱلْهُدَىٰ إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى ٱلْفِتَنِ

إِذَا نَظَـرْتَ إِلَـى ٱلـدُّنْيَـا بِنَـاظِـرِهِ ... عَدَدْتَ طَالِبَهَا مِنْ عَابِدِي ٱلْوَثَنِ

مَا فَاقَ وَالِدَهُ ٱلنُّعْمَانَ فِي شَرَفٍ ... مَاءُ ٱلسَّمَاءِ وَلا سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنِ

وَلا ٱبْنُ أَدْهَمَ فِي زُهْدٍ يُسَابِقُهُ ... إِلا سِبَاقَ ٱلصَّبَاحِ ٱلشَّمْسَ فِي ٱلزَّمَنِ

ضَفَتْ مِنَ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا مَلابِسُهُ ... فَمَا رَأَى ٱلنَّاسُ فِي ثَوْبَيْهِ مِنْ دَرَنِ[1]

وَأَنْهَجَ ٱلْجُودُ وَٱلتَّقْوَىٰ لَهُ سَنَناً ... أَصْلُ ٱلْهُدَىٰ وَٱلتُّقَى مِنْ ذَلِكَ ٱلسَّنَنِ

فَٱخْتَالَ مِنْ كَرَمِ ٱلنُّعْمَانِ فِي حُلَلٍ ... مِنَ ٱلثَّنَاءِ وَمِنْ تَقْوَىٰ أَبِي ٱلْحَسَنِ

مَوْلىً حَقَائِقُهُ فِي ٱلنَّاسِ ظَاهِرَةٌ ... كَٱلشَّمْسِ لَيْسَ بِهَا رَيْبٌ لِمُمْتَحِنِ

غَنِيَّـةٌ نَفْسُـهُ بِـٱلْفَقْـرِ وَا عَجَبـاً ... مِنِ ٱجْتِمَاعِ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرِ فِي قَرَنِ

رَحْبُ ٱلْفِنَاءِ لَنَا وَٱلصَّدْرِ لَمْ نَرَهُ ... كَغَيْـرِهِ ضَيِّـقَ ٱلأَكْنَـافِ وَٱلْعَطَـنِ

يَا نَازِعاً ثَوْبَ مُلْكٍ وَهْوَ مُقْتَدِرٌ ... وَلابِسـاً ثَـوْبَ فَقْـرٍ غَيْـرَ مُمْتَهَـنِ

بِمَنْ تَشَبَّهُ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ ... لَمْ أَدْرِ ذَاكَ فَهَلْ يَدْرِي ٱلْوَرَىٰ بِمَنِ

لَمَّا عَزَفْتَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... جَاءَتْكَ عَدْواً بِلا سَوْطٍ وَلا رَسَنِ

وَمَـا تُلِـمُّ بِهَـا إِلا لِمَصْلَحَـةٍ ... مَتَى ٱسْتَعَنْتَ بِهَا فِي طَاعَةٍ تُعِنِ[2]

كُلٌّ لَهُ سَكَنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ مِنَ ٱلدُّ ... نْيَا وَمَا لَكَ غَيْرَ ٱلْحَقِّ مِنْ سَكَنِ

وَلَسْتَ مَنْ شَاقَهُ مَالٌ وَلا وَلَدٌ ... فَقَدْ نَأَىٰ قَلْبُهُ بِٱلْبُخْلِ وَٱلْجُبُنِ

كَمِ ٱدَّعَى ٱلزُّهْدَ فِي ٱلدُّنْيَا سِوَاكَ وَلَمْ ... يَكُنْ عَلَىٰ مَا ٱدَّعَىٰ فِيهِ بِمُؤْتَمَنِ

يَبْنِي وَيَبْنِي وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ ... مَا شِيدَ للهِ مِنْ طِينٍ وَمِنْ لَبِنِ

للهِ دَرُّكَ مَـوْلـىً فِـي إِقَـامَتِـهِ ... يُقِيمُ فِينَا حُدُودَ ٱللهِ وَٱلظَّعَنِ[3]

---

(١) يقال : ضفا الثوب فهو ضافٍ ؛ أي : تام سابغ .

(٢) تعِن : ضبطت في (أ) بكسر العين ، وفي (ب) بفتحها .

(٣) قوله : (والظَّعَن) معطوف على (إقامته) .

سَلِ ٱلْمَسَاجِدَ عَنْهُ وَٱلْكَنَائِسَ مَا	ذَا هُدَّ للهِ مِنْ جُدْرَانِهَا وَبُنِي[1]
بِبَيِّنَـاتٍ عَلَـى ٱلْكُفَّـارِ قَـاطِعَـةٍ	مِثْلِ ٱلسُّيُوفِ وَلِلإِسْلامِ كَٱلْجُنَنِ[2]
مَوْلىً يَرَىٰ ضُرَّهُ فِي ٱللهِ عَافِيَةً	وَكُلُّ عَيْشٍ مِنَ ٱلْبَلْوَىٰ لَدَيْهِ هَنِي
مُطَهَّرُ ٱلنَّفْسِ مِنْ شَوْبِ ٱلْحُظُوظِ وَمَا	أَزْكَى ٱلنُّفُوسَ إِذَا حَظُّ ٱلنُّفُوسِ فَنِي
فَـإِنْ تَجِـدْ هِمَّـةٌ ضَعْفـاً فَهِمَّتُـهُ	فِي طَاعَةِ ٱللهِ لَمْ تَضْعُفْ وَلَمْ تَهِنِ
تَقَـرُّ عَيْنِـي بِـرُؤْيَـاهُ وَرُؤْيَتِـهِ	إِنْ زُرْتُ فِي يَقْظَةٍ أَوْ زَارَ فِي وَسَنِ[3]

وللأديبِ أبي محمدٍ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الرزاقِ بنِ عبدِ الخالقِ بنِ موسى الجُهَنيِّ المصريِّ الدارِ البِلِفْيائيِّ الأصلِ ، المعروفِ بمدحِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . يمدحُهُ : [من الكامل]

اَلنَّفْـسُ جَـامِحَـةٌ إِلَـى ٱلْعِصْيَـانِ	مَحْفُـوفَـةٌ بِـٱلْخِـزْيِ وَٱلْخُسْـرَانِ
تَطْغَىٰ وَتَطْعُنُ فِي ٱلْهَوَىٰ لِهَوَانِهَا	إِنَّ ٱلْهَـوَىٰ دَاعٍ إِلَـى ٱلطُّغْيَـانِ

منها :

وَأَرَى ٱلشُّيُوخَ ٱلزَّاهِدِينَ وَلا أَرَىٰ	كَمُحَمَّـدٍ وَلَـدِ ٱلْفَتَـى ٱلنُّعْمَـانِ
ٱلْبَـاذِلُ ٱلنُّعْمَـىٰ وَلا مَنْـعٌ وَمَـنْ	فِي ٱلْمُعْضِلاتِ بِهِ فَكَاكُ ٱلْعَانِي

منها :

وَمُـرَاغِـمٌ فِـي ٱللهِ أَعْـدَاءَ لَـهُ	تَقْـوَىٰ وَتَمْكِينـاً بِكُـلِّ مَكَـانِ
زُهْدُ ٱبْنِ أَدْهَمَ وَٱلْجُنَيْدِ طَرِيقُهُ	وَفَـرَاغُـهُ مِـنْ سَـائِـرِ ٱلأَكْـوَانِ

---

(١) في كلامه لفٌّ ونشر غير مرتب ؛ فالهدُّ للكنائس ، والبناء للمساجد .

(٢) الجُنَن : جمع جُنَّة ؛ وهي في الأصل : الدروع وكلُّ ما وقىٰ من السلاح .

(٣) في كلامه لف ونشر مشوش ؛ لأن الرؤيا في المنام ، والرؤية في اليقظة ، علىٰ ما هو المشهور .

نِعْمَ ٱلصَّمِيمُ وَخَيْرُ عَبْدٍ مُخْلِصٍ … وَمُشَمِّـرٍ لِعِبَـادَةِ ٱلـرَّحْمَـٰنِ
وَلَهُ ٱلْحَقَائِقُ وَٱلدَّقَائِقُ وَٱلنُّهَىٰ … مُتَفَـرِّدٌ بِمَعَـالِـمٍ وَمَعَـانِـي
مَا زَالَ يَسْعَىٰ فِي تَمَامِ شَرِيعَةٍ … حَتَّـىٰ أَقَـامَ دَعَـائِـمَ ٱلإِيمَـانِ
عَمَرَ ٱلْمَسَـاجِدَ وَٱلْبُيُوتَ لِرَبِّـهِ … بَـرٌّ تَقِـيٌّ بِـٱلْمَسَـاجِـدِ عَـانِ
وَصَـلاتُـهُ وَصِيَـامُـهُ وَوِصَـالُـهُ … وَقِيَـامُـهُ للهِ لا بِتَـوَانِـي

وهـٰذهِ قصيدةٌ طويلةٌ كتبتُ منها هـٰذهِ الأبياتَ .

وممَّا أنشدَنيهِ الفقيهُ الأجلُّ الفاضلُ المقرئُ ، النحويُّ الأديبُ ؛ نفيسُ الدينِ أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الأشعريُّ الشافعيُّ مدَّ اللهُ في عمرِهِ : [من الوافر]

سَـلامٌ رَائِـحٌ أَبَـداً وَغَـادِي … عَلَـىٰ عَلَـمِ ٱلْهِـدَايَـةِ وَٱلـرَّشَـادِ
عَلَى ٱلْمَوْلَىٰ فَتَى ٱلنُّعْمَانِ حَقّاً … وَشَمْسِ ٱلـدِّينِ وَٱلْبَـدْرِ ٱلْجَـوَادِ
عَلَـىٰ بَـدْرٍ تَجَلَّـىٰ فَـٱسْتَنَـارَتْ … بِضَـوْءِ سَنَـاهُ أَقْطَـارُ ٱلْبِـلادِ
عَلَىٰ فَجْرٍ بَدَا فَمَحَا ٱلدَّيَاجِي … وَنَـادَىٰ بِـٱلْفَـلاحِ لَـهُ ٱلْمُنَـادِي
عَلَىٰ مَنْ إِنْ عَرَا خَطْبٌ دَعَوْنَا … بِـهِ فَـأَجَـابَنَـا رَبُّ ٱلْعِبَـادِ
وَإِنْ مُنِـعَ ٱلْحَيَـا وَٱلْقَطْـرُ دَرَّتْ … بِيُمْـنِ دُعَـائِـهِ مُـزْنُ ٱلْعِهَـادِ[1]
فَنِعْـمَ ٱلـذُّخْـرُ وَٱلْـوَزَرُ ٱلْمُـرَجَّـىٰ … لِيَـوْمِ كَـرِيهَـةٍ وَلِيَـوْمِ نَـادِ[2]
عَلَـىٰ مَـنْ قَـادَ أَفْئِـدَةً فَـلانَـتْ … وَقَـدْ كَـانَـتْ مَنِيعَـاتِ ٱلْقِيَـادِ
عَلَىٰ مَنْ حَلَّ فِي مِصْرٍ فَتَاهَتْ … بِـرُؤْيَتِـهِ عَلَـىٰ كُـلِّ ٱلْبِـلادِ
يُنَـادِي ٱلْحَـائِـرِيـنَ أَلا هَلُمُّـوا … وَيُـوضِـحُ لِلْـوَرَىٰ طُـرُقَ ٱلسَّـدَادِ
وَأَسْمَـعَ مَعْشَـراً صُمّـاً وَكَـادَتْ … بِـهِ ٱلأَرْوَاحُ تَجْـرِي فِـي ٱلْجَمَـادِ

(١) العِهاد : الأمطار الحديثة الهطول .
(٢) الوَزَر في الأصل : الجبل الذي يُعتصم به ويُلجأ إليه .

تَمُـرُّ فَـلا تَـرَىٰ إلا صَـلاحـاً وَدِينـاً بَعْـدَ كُفْـرٍ وَٱرْتِـدَادِ

وَبَيْتـاً مِـنْ بُيُـوتِ ٱللهِ يُبْنَـىٰ وَيُعْلَـىٰ بَعْـدَ وَهْـنٍ وَٱنْهِـدَادِ

وَقَلْبـاً عَـامِـراً أَضْحَـىٰ مُنِيـراً مَنِيعـاً فِـي تَـوَقٍّ وَٱزْدِيَـادِ

تَمَسَّـكْ وَٱعْتَصِـمْ مِنْـهُ بِحَبْـلٍ فَـأَوْثَـقُ عُـرْوَةٍ حَبْـلُ ٱلْـوِدَادِ

مَعَـاذَ ٱللهِ لا تَنْفَـكُّ عَنْـهُ وَأَنْـتَ مُـرِيـدُهُ يَـوْمَ ٱلتَّنَـادِ

وكَيْـفَ تُحِبُّـهُ وَٱلْحُـبُّ قُـرْبٌ وَتَخْشَـىٰ أَنْ تُعَـذَّبَ بِـٱلْبِعَـادِ

أُحِبُّـكَ سَيِّـدِي حُبّـاً عجيبـاً تَمَكَّـنَ فِـي سُـوَيْـدَاءِ ٱلْفُـؤَادِ

وَأَسْأَلُـكَ ٱلـدُّعَـا فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ عَلَيْـكَ رَجَـاءُ مِثْلِـي وَٱعْتِمَـادِي

فَعِشْـتَ مُسَلَّمـاً فِـي ظِـلِّ أَمْـنٍ وَإِسْعَـادٍ عَلَـىٰ رَغْـمِ ٱلأَعَـادِي

ولقد وقفتُ علىٰ مدائحَ للناسِ فيهِ ما بينَ قصائدَ ومقاطيعَ تُربي علىٰ مُجلَّدٍ كبيرٍ ليسَ هـٰذا موضعَ استيعابِها .

تُوفِّيَ الشيخُ شمسُ الدينِ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ عَقِيبَ أذانِ العصرِ يومَ السبتِ لثمانٍ خلونَ مِنْ شهرِ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ ثانيَ ذلكَ اليومِ بتربتِهِ فيما بينَ الشهميَّةِ وضريحِ شيخِهِ أبي الحسنِ ابنِ قفلٍ ، رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ .

وأنشدَ كلٌّ مِنْ أصحابِهِ وغيرِ أصحابِهِ فيهِ قصائدَ يرثيهِ بها ؛ **فمِنْ ذلكَ** : ما نظمَهُ قاضي القضاةِ زينُ الدينِ مفتي المسلمينَ أبو القاسمِ **محمدُ** بنُ شيخِنا الإمامِ العالمِ الورعِ الزاهدِ علمِ الدينِ أبي الحسنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عتيقِ بنِ رشيقٍ الرَّبَعيُّ المالكيُّ حالةَ غسلِ الشيخِ وتكفينِهِ ارتجالاً : [من الخفيف]

هَـٰذِهِ ٱلـدَّارُ مَـوْطِـنُ ٱلأَحْـزَانِ لَيْسَ تَصْفُـو يَـوْمـاً لِـذِي جُثْمَـانِ

كُـلَّ يَـوْمٍ تَـزْدَادُ فِـي ٱلنُّقْصَـانِ وَنَـرَى ٱلـدِّيـنَ وَاهِـيَ ٱلأَرْكَـانِ

يَذْهَبُ ٱلصَّالِحُونَ قُطْباً فَقُطْباً ... إِنَّ هَـٰذَا عَـلامَـةُ ٱلْخُسْـرَانِ

عَيْـنُ جُـودِي بِـدَمْعِـكِ ٱلْهَتَّـانِ ... وَٱبْكِ نَجْلَ ٱلنُّعْمَانِ قُطْبَ ٱلزَّمَانِ[1]

أَسْبِلِـي دَمْعَـكِ ٱلْمَصُـونَ عَلَيْـهِ ... بِشَبِيـهِ شَقَـائِـقِ ٱلنُّعْمَـانِ

وَٱسْقِ تُرْباً قَدْ ضَمَّ أَعْضَاءَ شَيْخٍ ... كَـانَ فَـرْداً فَمَـا لَـهُ مِـنْ ثَـانِـي

كَـمْ بَنَـىٰ مَسْجِـداً وَهَـدَّ كَنِيساً ... وَهَـدَىٰ كَـافِـراً إِلَـى ٱلإِيمَـانِ

مَسْجِـدَ ٱلْفَتْـحِ بُلَّـهُ بِـدُمُـوعٍ ... كَدُمُوعِي وَٱنْطِقْ كَنُطْقِ لِسَانِي

وَٱسْـأَلِ ٱللهَ أَنْ يُبَـوِّئَـهُ فِـي ... وَاسِعِ ٱلرَّحْبِ مِنْ أَعَالِي ٱلْجِنَانِ

فِي جِوَارِ ٱلرَّحْمَـٰنِ فِي حَضْرَةِ ٱلْقُدْ ... سِ مُهَنّـاً بِـٱلْحُـورِ وَٱلْـوِلْـدَانِ

وأنشدَنيهِ الأديبُ الفاضلُ سراجُ الدينِ عمرُ المعروفُ بـ (الورَّاقِ) ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ : [من الطويل]

عَلَيْكَ فَتَى ٱلنُّعْمَانِ دَمْعِي شَقَائِقُ ... وَعِنْـدَكَ أَنْهَـارٌ جَـرَتْ وَحَـدَائِـقُ

وَعِنْدَكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ ... فَيَا سَابِقاً لِلْخَيْرِ خَيْرُكَ سَابِقُ

أَبَـى ٱللهُ أَنْ يُنْسَـىٰ وَأَنْـتَ مُـلازِمٌ ... لِنُصْرَةِ دِينِ ٱللهِ لَسْتَ تُفَارِقُ[2]

تُرِيكَ خَفِيَّ ٱلأَمْرِ عَيْنُ بَصِيرَةٍ ... تَجَلَّتْ لَهَا عِنْدَ ٱلْخَفَاءِ حَقَائِقُ[3]

فَشَيَّدْتَ فِينَا مَسْجِدَ ٱلْفَتْحِ مُعْلِياً ... مَنَـاراً لَـهُ يَـأْوِي سَمَـاءٌ وَطَـارِقُ

وَأَعْلَنْتَ ذِكْرَ ٱللهِ فِيهِ فَأُخْرِسَتْ ... نَوَاقِيسُ أَخْزَاهَا مِنَ ٱلْحَقِّ نَاطِقُ

إِذَا زَأَرَ ٱلإِيمَـانُ فِيـهِ تَفَـرَّقَـتْ ... مِنَ ٱلشِّرْكِ عَانَاتٌ وَأُلْجِمَ نَاهِقُ[4]

وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مَسْجِدٌ تَسْتَجِدُّهُ ... وَمَا لَكَ مِمَّا عَاقَ غَيْرَكَ عَائِقُ

---

(١) قوله : (وابكِ) حذفت الياء للضرورة ، ومثل ذلك يقال في (واسقِ) الآتي .

(٢) قوله : (أن ينسىٰ) أي : خيرك ، ويحتمل أن تكون (أن تُنسىٰ) .

(٣) ويجوز أيضاً : (عينٌ بصيرةٌ) دون إضافة .

(٤) العانات : جمع عانة ؛ وهي الأتان .

تَوَدُّ بِذِكْرِ ٱللهِ لَوْ أَنَّ أَرْضَهُ   مَغَارِبُهَا مَعْمُورَةٌ وَٱلْمَشَارِقُ
وَأَلا يَمَسَّ ٱلأَرْضَ إِلا مُوَحِّدٌ   يَكُونُ فِدَاهُ كَافِرٌ وَمُنَافِقُ
وَلَمَّا أَرَدْتَ ٱلْخَيْرَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ   سَعَتْ لَكَ مِنْ كُلِّ ٱلْجِهَاتِ ٱلْخَلائِقُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ مِثْلَ يَوْمِكَ مَشْهَداً   تَكَادُ لَهُ تَهْوِي ٱلْجِبَالُ ٱلشَّوَاهِقُ
وَغصَّ بِهِ وُسْعُ ٱلْفَضَاءِ فَذَا شَجٍ   كَئِيبٌ وَذَا بَاكٍ وَذَلِكَ شَاهِقُ
فيبكي أَخَاهُ مِنْكَ شَيْخٌ وَشَائِبٌ   وَيَبْكِي أَبَاهُ بَالِغٌ وَمُرَاهِقُ
وَنَعْشُكَ يَعْلُوهُ وَقَارُ سَكِينَةٍ   وَكُلُّ فُؤَادٍ مِنْ مُصَابِكَ خَافِقُ
وَقَامُوا صُفُوفاً لِلصَّلاةِ كَأَنَّهُمْ   سُطُورٌ وَهَاتِيكَ ٱلْبِقَاعُ مَهَارِقُ[1]
تَحُفُّهُمُ ثمَّ ٱلْمَلائِكُ خُشَّعاً   وَحَوْلَكَ وِلْدَانٌ وَحُورٌ عَوَاتِقُ
وَقَدْ حَسَدَ ٱلْمِسْكُ ٱلتُّرَابَ بِطِيبِهِ   بِقَبْرِكَ حَتَّىٰ لَيْسَ لِلْمِسْكِ نَاشِقُ
وَفُتِّحَتِ ٱلْجَنَّاتُ مِنْكَ لِقَادِمٍ   يُقَبِّلُهُ رِضْوَانُهَا وَيُعَانِقُ
وَفَارَقَ شَهْرُ ٱلصَّوْمِ مُحْيِيَ لَيْلِهِ   قِيَاماً إِلَىٰ أَنْ قِيلَ قَدْ ذَرَّ شَارِقُ
وَصَائِمَهُ فِي صَيْفِهِ وَشِتَائِهِ   يُوَافِقُ حَالَيْهِ وَنِعْمَ ٱلْمُوَافِقُ
لَقَدْ كُنْتَ شَمْسَ ٱلدِّينِ شَمْساً لِسُنَّةٍ   بِهَدْيِكَ فِيهَا لَيْسَ تَخْفَى ٱلطَّرَائِقُ
لَكَ ٱلسَّنَدُ ٱلْعَالِي بِهَا وَعَدَالَةٌ   يَصُونُ حِمَاهَا حَافِظٌ مِنْكَ صَادِقُ
وَشَيْخُ تَصَانِيفٍ جَزَالَةُ لَفْظِهَا   تُرَقِّقُ قَلْبَ ٱلصَّخْرِ وَهْيَ رَقَائِقُ
فَيَا وَحْشَةَ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ وَيَثْرِبٍ   لِرُفْقَةِ مَنْ لَمْ يَسْلُ عَنْهُ ٱلْمُرَافِقُ
وَكَمْ لَكَ تَسْمِيعٌ لَدَىٰ حَرَمَيْهِمَا   تُشَدُّ إِلَىٰ مَغْنَاكَ فِيهِ ٱلأَيَانِقُ
تُحَدِّثُ عَنْ خَيْرِ ٱلْوَرَىٰ عِنْدَ قَبْرِهِ   وَأَنْتَ بِمَنْ أَسْنَدْتَهُ عَنْهُ وَاثِقُ
فَتَرْوِي مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي قَدْ وَرَدْتَهُ   عَلَىٰ شَاطِئَيْهِ وَهْوَ صَافٍ وَرَائِقُ

(١) المهارق : جمع مُهْرَق ؛ وهي الصحيفة .

مُحَمَّدُ قَدْ جَاوَزْتَ شَيْخَكَ حَبَّذَا دُنُــوُّكَ مِنْــهُ إِنَّ ذَا بِــكَ لائِــقُ
وَلا حَسَنٌ إِلا أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلَّذِي غَدَا سَابِقاً فِيهِ وَهَا أَنْتَ لاحِقُ
وَأَنْتَ فَنِعْمَ ٱلأَصْلُ طَابَتْ فُرُوعُهُ فَكُلُّهُــمُ وَٱلْحَمْــدُ للهِ بَــاسِــقُ
وَنَجْلُكَ زَيْنُ ٱلدِّينِ جَامِعُ شَمْلِهِمْ فَعَـاشَ وَعَـاشُـوا مَـا تَـأَلَّـقَ بَـارِقُ
وَجَادَتْ ثَرَاكَ ٱلْهَاطِلاتُ وَلا تَزَلْ يَجُـدُّ بِهَـا حَـادٍ إِلَيْـكَ وَسَـائِـقُ

ولقد رُثِيَ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ بأكثرَ مِنْ ثلاثينَ قصيدةً أصغرُها عشرةُ أبياتٍ ، وأُنشِدَتْ فيهِ مراثٍ قبلَ دفنِهِ وبعدَ دفنِهِ ، ولو لم تكنْ مسطورةً لأوردتُها في هـٰذا الموضعِ ، لـٰكنَّها مُدوَّنةٌ في الكتبِ ، وفيما ذكرتُهُ مقنعٌ وعنوانٌ علىٰ ما لم أذكرْهُ .

وفضائلُ الشيخِ تفوقُ العدَّ ، **وكراماتُهُ لا تُحصَرُ** ، رضيَ اللهُ عنهُ ورضيَ عنَّا بهِ[1] .

* * *

---

(١) وهـٰذه الترجمة من أنفس التراجم التي وقفت عليها لهـٰذا الإمام العظيم ، وفيها كثير مما لم يذكره غيره ، وخصوصاً ما قيل فيه من أشعار ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥١/ ١٧٠ـ١٧١) ، و« الوافي بالوفيات » (٥/ ٦٠) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ٢٠٠) ، وقال الذهبي في « العبر » (٣/ ٣٥٤) : (وكان أشعرياً منحرفاً على الحنابلة) ، وقال اليافعي تعقيباً علىٰ هـٰذه العبارة : (هـٰذه عبارة فيها من الغضِّ له ما فيها كما عُرف من عادته من التنقيص من أئمة منهج الحق وسادته) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ أبو القاسمِ بنُ أحمدَ ابنِ طولونَ المرايغيُّ القَرافيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ العارفُ ، والوليُّ المُكاشِفُ ، والساعي في الخيراتِ ومعَ الحقِّ واقفٌ ، حِليةُ الزمانِ ، ومُنيةُ كلِّ عصرٍ وأوانٍ ، وبُغيةُ كلِّ مصرٍ ومكانٍ ، وبركةُ المُتملِّيينِ بهِ والمُمتلِئَينِ منهُ المسمعِ والعِيانِ .

كمْ لمسَتْ يداهُ مُدنِفاً فعُوفيَ !! وكمْ نظرتْ عينُهُ صوفيّاً فصُوفِيَ !! أيّامُهُ في أوجهِ الدهرِ غررٌ ومواسمُ ، قد قسَمَها على وظائفِ الأعمالِ فهوَ أبو القاسمِ ، وقطعَ عمرَهُ الشريفَ مُترقِّياً في معارجِ الولايةِ ، ودارجاً في مدارجِ الهدايةِ ، إلى أنِ انتقلَ إلى الجِنانِ ، مُجتنِياً ثمراتِ ما قدَّمَ مِنَ الإحسانِ ، وقد أبقى لنا أولادَهُ ولا غروَ أنْ يُبقِيَ النفيسُ نفيساً ، وبوَّأَهُم رتبتَهُ ولا عجبَ أنْ يرثَ الأشبالُ مِنَ الأسدِ عِرِّيساً[1] .

وأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ أبو القاسمِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ نجمِ بنِ طولونَ المالكيُّ ، المَرَايِغيُّ المولدِ المصريُّ الدارِ القَرافيُّ[2] .

وُلِدَ بالمرايغِ مِنْ صعيدِ مصرَ ، وشبَّ بها وقرأَ القرآنَ ، وحضرَ إلى الشيخِ أبي الحسنِ ابنِ الصبَّاغِ ، فلبسَ منهُ سنةَ إحدى وستِّ مئةٍ ، وأقامَ في صحبتِهِ إحدى عشرةَ سنةً إلى أنْ تُوفِّيَ الشيخُ أبو الحسنِ ، وكانَ أبو القاسمِ قد وَرِثَ مِنْ أبيهِ مالاً كثيراً فأنفقَهُ على الشيخِ .

---

(١) العِرِّيس : الشجر الملتف الذي يكون فيه مقام الأسد .

(٢) وينعت بـ(وقار الدين) .

ثمَّ حضرَ إلىٰ مصرَ ، فأدركَ بها جماعةً مِنْ علماءِ المالكيَّةِ ؛ كأبي العباسِ ابن القسطلانيِّ ، والشيخِ جمالِ الدينِ ابن رشيقٍ ، فاشتغلَ عليهِم ، وحفظَ « التلقينَ » للقاضي عبدِ الوهابِ ، وفاقَ نُظَراءَهُ ، ولم يَزَلْ مُشتهِراً بالعلمِ والمعرفةِ والدينِ وكمالِ الرتبةِ .

وكانَتْ لهُ أحوالٌ وكشوفٌ ، واطِّلاعاتٌ ومُشاهداتٌ ، وكانَ معَ ذلكَ عديمَ الدعاوي كثيرَ التواضعِ ، وكانَتْ لهُ حالٌ عظيمةٌ في السماعِ ، وكانَ يُؤثِرُ التخلِّيَ عنِ الناسِ والخمولَ .

وذكرَ لي ولدُهُ الشيخُ عمرُ : (أنَّ الشيخينِ العالمينِ علمَ الدينِ ابنَ رشيقٍ وجمالَ الدينِ بنَ اللهيبِ حضرا إليهِ ؛ ليأخذَ عليهِما العهدَ ، فامتنعَ مِنْ ذلكَ وتلا : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ١٣]) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ مُواظِبَ العملِ ، مُلازِمَ الأورادِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ .

ورثاهُ بعدَ موتِهِ جماعةٌ ؛ منهُم سراجُ الدينِ الورَّاقُ ؛ فمِنْ مرثيَّتِهِ فيهِ : [من الخفيف]

مَا لَقِينَا مِنَ ٱلْمَنُونِ قَلِيلا ... يَذْهَبُ ٱلصَّالِحُونَ جِيلاً فَجِيلا
بَعْدَ نَزْعِ ٱلأَوْتَادِ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلدَّا ... رِ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ ٱلرَّحِيلا
يَا ضُلُوعِي هَلا بَرَدْتِ قَلِيلاً ... يَا دُمُوعِي هَلا شَفَيْتِ غَلِيلا
لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ فِي هُدَاةٍ ... طَلَعُوا أَنْجُماً وَغَابُوا أُفُولا
طَالَ بَطْنُ ٱلثَّرَىٰ عَلَى ٱلظَّهْرِ لَمَّا ... نَزَلُوهُ فَخْراً وَمَجْداً أَثِيلا
هُمْ جَمَالُ ٱلدُّنْيَا وَقَدْ سَلَبَتْهُمْ ... وَسُلِبْنَاهُمُ فَصَبْراً جَمِيلا

منها :

يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ ٱقْتَسَمْنَا ٱلأَسَىٰ فِيـ ـكَ وَكُلٌّ حَوَىٰ نَصِيباً جَزِيلا[1]
وَإِذَا مَـا ٱلْفَقِيـدُ كَـانَ جَلِيـلاً كَـانَ حُزْنُ ٱلْبَـاكِي عَلَيْهِ جَلِيـلا
كُنْتَ غَوْثَ ٱلْمَلْهُوفِ يَشْكُو فَتَدْعُو فَيَـرَىٰ لِلْعِثَـارِ مِنْـكَ مُقِيـلا
اِجْنِ مَا قَدْ غَرَسْتَ هَنَّأَكَ ٱللهُ وَلِيّـاً وَبَـرّاً وَصُـولا[2]

* * *

(١) زاد في (أ، ب) بعد (وكلٌّ) كلمة (قد) ، وهي مخلة بوزن البيت .

(٢) كذا في (أ، ب) ، والشطر الثاني مختل الوزن ، وانظر « نهاية الأرب » (٣١/ ١٢٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٥١/ ١٧٤ـ١٧٥) ، وقد جاءت ترجمته بعد ترجمة ابن المنير الآتية ، وأشير في الهامش إلىٰ تقديمها عليها .

ومنهُمُ :

[الإمامُ ناصرُ الدينِ أحمدُ ابنُ وجيهِ الدينِ منصورِ بنِ المُنيِّرِ السكندريُّ]

الشيخُ الإمامُ الكريمُ الأخلاقِ ، والفاضلُ على الإطلاقِ ، والناضلُ بالإصابةِ السبَّاقُ ، فهوَ الدُّرَّةُ التي افترَّ عنها مِنَ الثغرِ باسمُهُ ، وأضاءَ مِنْ جوهرِها دُجا الليلِ حتىٰ نظمَ العِقدَ ناظمُهُ ، والعالمُ الذي وردَ بحارَ العلومِ فارتوىٰ ، وسلكَ في التحصيلِ نهجَ مشايخِهِ حتىٰ قيلَ : سبقَهُم أو بهِمُ استوىٰ .

زادَهُ اللهُ بسطةً في العلمِ والجسمِ ، وآتاهُ مِنْ كلِّ فنٍّ أوفرَ قسمٍ ، فهوَ يتردَّدُ بينَ مراتبِ خطابةٍ وقضاءٍ وتدريسٍ ، آخذاً بزِمامِ فصاحةٍ قُسٌّ عندَها كالذَّرَّةِ إذا قيسَ ، ارتفعَ بهِ منارُ الثغرِ علىٰ سائرِ الثغورِ ، وانتفعَ بهِ أهلُ العصرِ بل وما بعدَهُ مِنَ العصورِ ، وانتصرَ بمناظرتِهِ الحقُّ وكيفَ لا وهوَ ناصرُ الدينِ وأبوهُ منصورٌ ؟!

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ ناصرُ الدينِ[1] أحمدُ ابنُ وجيهِ الدينِ منصورِ بنِ المُنيِّرِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[2] .

وُلِدَ بثغرِ الإسكندريةِ المحروسِ ونشأَ بهِ ، وقرأَ القرآنَ ، واشتغلَ بمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ علىٰ علماءِ الثغرِ والواردينَ عليهِ مِنْ بلادِ المغربِ ، واشتغلَ بالعربيَّةِ والحديثِ والتفسيرِ والأصولَينِ، ومهرَ وبرعَ ، وأُوتِيَ مِنْ

---

(١) ويكنىٰ بـ (أبي العباس) .

(٢) لم يتقدَّم ، ولعله من جملة التراجم الساقطة .

فصاحةِ المنطقِ ما يسحرُ بهِ أولي الألبابِ ، ويحكمُ لهُ بتفرُّدِهِ بالحكمةِ وفصلِ الخطابِ ، قلَّ أنْ رأيتَهُ يتكلَّمُ إلا مسجوعاً ، قد حلاهُ مِنْ أنواعِ البديعِ رونقاً بديعاً لا يُمَلُّ سماعُهُ لأنَّهُ أطايبُ ما قيلَ مسموعاً .

سمعَ في ابتداءِ أمرِهِ : أصحابَ السِّلَفيِّ ، وأصحابَ البوصيريِّ ، واجتمعَ : بالشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ[1] ، وبالشيخِ زكيِّ الدينِ ، وبالفقيهِ بهاءِ الدينِ ، والإمامِ أبي عمرٍو ابنِ الحاجبِ[2] ، وصادفَ منهُم حظّاً وافراً ، وقد عدَّ مشايخَهُ في مقدمةِ كتابِهِ ، فلا حاجةَ إلىٰ تَعدادِهِم هنا .

وصنَّفَ كتباً كثيرةً ؛ فممَّا صنَّفَهُ : كتابُهُ في التفسيرِ المُسمَّىٰ بـ « البحرِ الكبيرِ » ، وكتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « المقتفىٰ في شرفِ المصطفىٰ » وهوَ سماعي عليهِ ، وأرجوزةٌ في التفسيرِ نَظَمَ فيها « العُزيزيَّ »[3] ، وخُطَباً أبدعَ فيها ؛ لم يأتِ فيها بلفظٍ مِنْ حُوشيِّ اللغةِ ، ولا ممَّا يُشكِلُ على العامَّةِ تفسيرُهُ[4] ، وصنَّفَ كتاباً يرُدُّ فيهِ على الزمخشريِّ في « كشَّافِهِ »[5] .

ولهُ نظمٌ ونثرٌ وإنشاءٌ ؛ فمِنْ نثرِهِ : ما بعثَ بهِ إلى السراجِ الورَّاقِ رحمَهُما اللهُ حينَ سيَّرَ مقدمةَ كتابِهِ « البحرِ » في التفسيرِ ؛ ليُوقِفَ المُعزَّ الصاحبيَّ التاجيَّ عليها ، ومعَها أبياتٌ للسراجِ عقيبَ حجِّهِ ورسالةٌ .

---

(١) وقال ابن عبد السلام مادحاً له : (الديار المصرية تفتخر برجلين في طرَفَيها : ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المنير بالإسكندرية) .

(٢) وقيل : إن المترجم لم يجتمع به حتىٰ حفظ متنه الفرعي والأصولي .

(٣) واسمها : « التيسير العجيب في تفسير الغريب » ، والعُزيزي : هو أبو بكر محمد بن عُزيز السجستاني صاحب كتاب « غريب القرآن » .

(٤) واسمها : « عقود الجواهر علىٰ أجياد المنابر » .

(٥) وسماه : « الانتصاف من الكشاف » ، وذكرت سابقاً في (١/ ٥٣٢) أن له مؤلفاً في مناقب الشيخ أبي القاسم القباري .

فأمّا الأبياتُ : فهيَ : [من الكامل]

لِلّٰهِ رَكْبٌ هُذِّبَتْ طُرُقَاتُهُ ... حَتَّى ٱسْتَقَامَ لِأَهْلِهِ ٱلْمِنْهَاجُ
لَهُمُ إِذَا عَشَّى ٱلْهَجِيرُ أَدِلَّةٌ ... وَلَهُمْ إِذَا جَنَّ ٱلظَّلامُ سِرَاجُ
يَا طِيبَ نَغْمَتِهِ وَيَا طُوبَىٰ لَهُ ... إِذْ عَجَّ فَٱرْتَاحَتْ لَهُ ٱلْحُجَّاجُ[1]
وَٱلْعَجُّ رُوحُ ٱلْحَجِّ قِيلَ لِأَنَّهُ ... يَرْوِي عَوَالِيَهُ رُباً وَفِجَاجُ
لِيُسَلِّمِ ٱلشُّعَرَاءُ بَعْدُ لِفَضْلِكُمْ ... هَلْ فِيهِمُ أَوْ مِنْهُمُ ٱلْعَجَّاجُ

وأمّا الرسالةُ : فمنها : (مقبولاً منكَ ، ومحفوظاً عليكَ ، ولقد كانَتِ القلوبُ قبلَ العيونِ مُتطلِّعةً إليكَ ، فالحمدُ للهِ علىٰ ما يسَّرَ وسنَّىٰ[2] ، وهيَّأَ وهنَّا ، قد بعثتُ مُقدِّمةَ « البحرِ الكبيرِ في نُخَبِ التفسيرِ » ، واسمُها : « عجبُ البحرِ ودررُ النحرِ » ، وعينُها مزارُها ، وقد جُلِّدَ مِنَ النسخةِ ستُّ مجلداتٍ إلىٰ سورةِ « النساءِ » ، وهيَ إنْ شاءَ اللهُ تُبعَثُ ، وقد وصلتُها إلىٰ نواحي الحرفِ الأخيرِ والحمدُ للهِ ، ونَبَّهْ لها عُمَراً ، وما ثَمَّ نومٌ إلا نومُ العافيةِ إنْ شاءَ اللهُ[3] ، وهيَ مُتَّصِلةٌ علىٰ يدِ السيدِ الشريفِ الفاضلِ الصالحِ شهابِ الدينِ بنِ الشيخِ الكبيرِ الشاذليِّ ، نفعَ اللهُ ببركتِهِ ، وهيَ عاريَّةٌ عندَهُ يقفُ عليها المجلسُ المولويُّ السراجيُّ المُعِزُّ الصاحبيُّ التاجيُّ ، ويُطري ويُطنِبُ ، ولولا حرمةُ العلمِ التي هيَ فيهِ ما استوجبْنا عليهِ ذلكَ ، والسلامُ) .

---

(١) العجُّ : رفع الصوت بالتلبية .
(٢) سنَّىٰ : سهَّل .
(٣) في الكلام إشارة إلىٰ قول بشار بن برد الشاعر : (من المتقارب)

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العدا ... فنبِّهْ لها عُمَراً ثمَّ نَمْ

وعُمرُ : هو ابن العلاء مولىٰ عمرو بن حريث صاحب المهدي ، كان كريماً جواداً شجاعاً مقداماً ، يضرب به المثل في ذلك .

فأجابَهُ سراجُ الدينِ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ أيضاً : [من الكامل]

لَكَ فِي ٱلْكِرَامِ مَوَارِدٌ أَمْوَاهُهَا غَـدِقَـتْ وَأَمْـوَاهُ ٱلأَنَـامِ أُجَـاجُ

وَجَوَاهِرٌ أَصْدَافُهَا ٱلْكُتُبُ ٱلَّتِي صَنَّفْـتَ بَـلْ أَدْرَاجُهَـا ٱلأَدْرَاجُ

أَتَتِ ٱلْمُقَدِّمَةُ ٱلَّتِي أَضْحَتْ لَهَا غُـرَرُ ٱلْمَعَـانِـي ٱلـزَّاهِـرَاتِ نِتَـاجُ

كَٱلرَّوْضَةِ ٱلْغَنَّاءِ ضَاحَكَ زَهْرَهَا مِنْ صَوْبِ جُودِكَ عَارِضٌ ثَجَّاجُ

جُلِيَتْ بِنَادِي ٱلصَّاحِبِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ فَهِيَ ٱلْعَرُوسُ وَمَنْ جَلاهَا ٱلتَّاجُ

بَهَرَتْ أَشِعَّتُهَا فَلا شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ شَمْسُ ٱلضَّحَاءِ وَلا ٱلسِّرَاجُ سِرَاجُ

وأمَّا النثرُ : **فهوَ** : (ويُنهي وصولَ المجلسِ العالي الشهابيِّ نفعَ اللهُ ببركةِ أسلافِهِ ، وأيَّدَهُ بإسعادِهِ وإسعافِهِ ، وعلىٰ يدِهِ المقدمةُ الشريفةُ ، والمُقدمةُ التي تُحمَلُ على الرؤوسِ ، فقبَّلَها المملوكُ بعدَ تقبيلِ المشرفِ العالي ، ونثرهِ في تلكَ الجواهرَ ولا أقولُ هيَ تلكَ اللآلي ، وبادرَ بحملِ المقدمةِ إلى المخدوم ، فاغتبطَ بها اغتباطَ الأنيسِ ، واتَّخذَ كتابَها خيرَ جليسٍ ، وهجرَ لأجلِها سَرْجَ كُلِّ سَابحٍ ، وعلمَ أنَّهُ بهـٰذهِ الصفقةِ أربحُ رابحٍ ، وطالعَها مُطالَعةَ المُغتبِطِ ، والتقطَ مِنْ فرائدِها ما يتكفَّلُ بالمعنىٰ للمُلتقِطِ .

وفي خلالِ ذلكَ وردَ الجزءُ الكبيرُ مِنَ « البحرِ الكبيرِ » وهوَ خمسةُ أجزاءٍ ، وردَّ المخدومُ المقدمةَ والعواري تُستَرَدُّ ، وورد مِنَ « البحرِ الكبيرِ » أعذبَ ما وردَ ، واللهُ يُمتِّعُ الإسلامَ ببقاءِ سيدِنا ناصرِ الدينِ ومؤيِّدِهِ ، ومرسلِ سهمِ الحقِّ بهِ ومُسدِّدِهِ ، وجامعِ الحقِّ بعدَ تشتُّتِهِ وتبدُّدِهِ) .

كانَ لهُ النثرُ والنظمُ ؛ **فمِنْ نثرِهِ** : الخطبُ والترسُّلُ ، **ومِنْ نظمِهِ** : ما كتبَ بِهِ جواباً للأميرِ الأديبِ الفاضلِ ناصرِ الدينِ عن قصيدتِهِ الرائيَّةِ[1] : [من الخفيف]

---

(١) **ناصر الدين** : هو الشاعر الأديب الحسن بن شاور الكناني (ت٦٨٧هـ) انظر « الوافي بالوفيات » (١٢/٢٩ـ٣٦) .

يَـا أَمِيـراً لَـهُ ٱلْكَـلامُ مُطِيـعٌ   طَـاعَـةَ ٱلْحُـبِّ لا ٱنْقِيَـادَ ٱلـرِّيَـاءِ
وَحَبِيبـاً إِلَـى ٱلْقَـوَافِـي جَمِيعـاً   كَيْفَمَـا كَـانَ لا حَبِيـبَ ٱلطَّـائِـي
أَتَـتِ ٱلـرَّاءَاتُ ٱللَّـوَاتِـي تَنَـاهَبْـ   ـنَ عَلَىٰ خَدِّهِنَّ لَحْظَ ٱلرَّائِي
مَنْ رَآهَا ٱشْتَهَىٰ عَلَىٰ حُسْنِهَا ٱلْوَصْـ   ـلَ وَلَـوْ كَـانَ وَاصِـلَ بْـنَ عَطَـاءِ
بَيَّضَتْهَـا يَـدُ ٱلأَمِيـرِ ٱلْكِنَـانِـيِّ   فَقُـلْ فِـي تِلْـكَ ٱلْيَـدِ ٱلْبَيْضَـاءِ
مُفْـرَدٌ فِـي كِنَـانِـهِ صَـانَـهُ ٱللهُ   عَنِ ٱلرَّمْيِ يَوْمَ خَصْلِ ٱلرِّمَاءِ
فَلْيَقُـمْ فِي أَوْطَانِهِ يَنْصُرُ ٱلْفَضْـ   ـلَ بِـرَأْيٍ وَحِكْمَـةٍ وَذَكَـاءِ

فأجابَهُ ناصرُ الدينِ على الوزنِ والرويِّ :

يَـا إِمَـامَ ٱلأَنَـامِ فِـي كُـلِّ فَـنٍّ   وَحُسَـامَ ٱلْكَـلامِ عِنْـدَ ٱلْمَضَـاءِ
وَٱلْجَـوَادَ ٱلسَّخِيَّ بِـٱلْعِلْـمِ وَٱلْمَا   لِ وَفَـرْدَ ٱلأَعْـلامِ وَٱلأَسْخِيَـاءِ
أَنْتَ مَنْ فَاقَ فِي ٱلْقَوَافِي وَفِي ٱلْجُو   دِ وَمَـنْ سَـادَ فِيهِمَـا كُـلَّ طَـائِـي
نَشَأَتْ مِنْ سَمَاءِ فَضْلِكَ سُحْبٌ   وَٱسْتَهَلَّـتْ إِذْ قُمْـتُ لاسْتِسْقَـاءِ
كَلِمَـاتٌ مَـا حَـاكَهُـنَّ زِيَـادٌ   شَهِـدَ ٱللهُ فِـي ٱبْـنِ مَـاءِ ٱلسَّمَـاءِ
شَـرَّفَتْنِـي وَشَنَّفَتْنِـي عَلَـى ٱلْبُعْـ   ـدِ وَأَهْـدَتْ إِلَـيَّ رَوْحَ ٱلثَّنَـاءِ
وَٱلْقَلِيـلُ ٱلَّـذِي أَتَـانِـيَ مِنْهَـا   فَهْـوَ وَٱللهِ بُلْغَـةُ ٱلْبُلَغَـاءِ
فَسَقَـى ٱللهُ عَهْـدَ أَحْمَـدَ وَٱلْـوُدَّ   عِهَـاداً مِـنَ ٱلْحَيَـا وَٱلْحَيَـاءِ

وللأديبِ الأميرِ ناصرِ الدينِ ابنِ النقيبِ يمدحُ قاضيَ القضاةِ ناصرَ الدينِ المذكورَ ، وهيَ ممَّا أجازَني : [من الطويل]

أَسَائِلَ دَمْعِي صِرْتَ بِٱلسِّرِّ مُخْبِرَا   وَأَظْهَرْتَ مِنْهُ كُلَّ مَا كُنْتُ مُضْمِرَا
فَهَلْ صِرْتَ نَمَّاماً فَكُفَّ وَلا تَكِفْ   وَحَسْبُكَ يَكْفِي مِنْكَ يَا دَمْعُ مَا جَرَىٰ
فَقَدْ شَاعَ مَا بِي ثُمَّ ذَاعَ حَدِيثُهُ   وَمَنْ كَانَ لا يَدْرِي بِذَلِكَ قَدْ دَرَىٰ

وَكَيْفَ جُحُودِي لَوْعَتِي وَصَبَابَتِي   وَقَدْ صَارَ جِسْمِي بِٱلسَّقَامِ كَمَا تَرَىٰ
وَلَمْ أَنْسَ بَيْناً لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِنَا   وَإِنْ كَانَ فِي أَذْهَانِنَا قَدْ تَقَرَّرَا
فَيَا لَيْتَنِي زَوَّدْتُ أُذْنِيَ مَنْطِقاً   وَيَا لَيْتَنِي زَوَّدْتُ عَيْنِيَ مَنْظَرَا
وَيَا لَيْتَ أَحْبَابِي ٱلَّذِينَ أَلِفْتُهُمْ   يَعُودُ بِهِمْ عَيْشِي كَمَا كَانَ أَخْضَرَا
وَأَسْمَعُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا كُنْتُ سَامِعاً   وَأُبْصِرُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا كُنْتُ مُبْصِرَا
أُنَاسٌ عَرَفْتُ ٱلنَّاسَ مُنْذُ عَرَفْتُهُمْ   تُرَىٰ تَجْمَعُ ٱلأَيَّامُ شَمْلِي بِهِمْ تُرَىٰ
بِهِمْ صُوَرُ ٱلْعَلْيَاءِ قَامَتْ وَسُوقُهَا   وَشَاهَدْتُ مَعْنَى ٱلْحُسْنِ فِيهِمْ مُصَوَّرَا
وَأَهْدَىٰ إِلَيَّ ٱلْفِكْرُ طَيْفَ خَيَالِهِمْ   فَأَهْدَىٰ إِلَىٰ عَيْنِي عَلَى ٱلنَّأْيِ مَنْظَرَا
أَلَذَّ مِنَ ٱلأَنْفَاسِ عِنْدَ ٱتِّصَالِهَا   وَأَلْطَفَ فِي ٱلأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ ٱلْكَرَىٰ
وَكُنْتُ كَثِيرَ ٱلشَّوْقِ بِٱلسَّمْعِ نَحْوَهُمْ   فَشَاهَدْتُهُمْ بِٱلْعَيْنِ فَٱزْدَدْتُ أَكْثَرَا
فَيَا لَيْتَ عَيْنِي لَمْ تُشَاهِدْ كَمَالَهُمْ   فَمَا زَادَنِي مَرْآهُ إِلا تَحَسُّرَا
وَلا زَادَ نَارَ ٱلْقَلْبِ إِلا تَضَرُّماً   وَلا زَادَ مَاءَ ٱلْعَيْنِ إِلا تَفَجُّرَا
وَمُذْ شَاهَدَتْ مَا شَاهَدَتْ عِنْدَ أَحْمَدٍ   رَأَتْ كُلَّ حُسْنٍ عَنْ حِلاهُ مُقَصِّرَا
فَلا تُكْبِرَنَّ ٱلْبَدْرَ وَٱلشَّمْسَ بَعْدَهُ   فَإِنَّكَ مِنْ هَـٰذَيْنِ شَاهَدْتَ أَكْبَرَا
وَلا تُعْظِمَنَّ ٱلْغَيْثَ وَٱلْبَحْرَ عِنْدَهُ   فَكَمْ قَعَدَا عَنْ رَاحَتَيْهِ وَقَصَّرَا
جَوَادٌ رَأَىٰ أَنَّ ٱلثَّنَاءَ أَجَلُّ مَا   يُحَصِّلُ ذُخْراً فَٱقْتَنَى ٱلْحَمْدَ وَٱشْتَرَىٰ
خَطِيبٌ يُرِيكَ ٱبْنَ ٱلْمُقَفَّعِ خَاطِباً   وَإِلا فَقُسّاً قَدْ تَسَنَّمَ مِنْبَرَا
وَقَاضِي قُضَاةٍ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ   تَنَاصَفَ فِي أَحْكَامِهِ سَائِرُ ٱلْوَرَىٰ
وَأَبْلَغُ مُفْتٍ فِي ٱلْمَذَاهِبِ كُلِّهَا   وَأَوْجَزُ أَلْفَاظٍ لِمَنْ خَطَّ أَوْ قَرَا
إِذَا رَقَمَتْ يُمْنَاهُ طِرْزَ صَحِيفَةٍ   أَرَاكَ مِنَ ٱلأَلْفَاظِ فِيهَا مُحَرَّرَا
وَإِنْ شَهَرَتْ أَلْفَاظُهُ سَيْفَ مَنْطِقٍ   فَقَدْ شَهَرَتْ سَيْفاً مُحَلّىً مُجَوْهَرَا
وَإِنْ قَالَ نَثْراً كَانَ أَنْثَرَ نَاثِرٍ   وَإِنْ قَالَ شِعْراً كَانَ فِي ٱلنَّظْمِ أَشْعَرَا

وَمَهْمَا دَجَا لَيْلُ ٱلْكَلامِ أَنَارَهُ ... وَأَقْمَرَهُ حَتَّى يُلَذُّ بِهِ ٱلسُّرَىٰ
فَكَمْ حَلَّلَ ٱلأَلْفَاظَ مِنْ عُقَدٍ بِهَا ... وَفَكَّكَ أَزْرَارَ ٱلْمَعَانِي مِنَ ٱلْعُرَا
كَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ أَمَّ بِٱلنَّاسِ أَوْ قَضَىٰ ... وَمَنْ أَقْرَأَ ٱلطُّلابَ أَوْ مَنْ تَصَدَّرَا
وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُلْقِيَ ٱلدُّرُوسَ وَيَشْرَحَ ٱلطُّـ ... ـرُوسَ وَيَهْدِيْ سَائِلاً مُتَحَيِّرَا
وَإِلا لِيَدْرُجْ لَيْسَ هَـٰذَا بِعُشِّهِ ... وَإِنْ غَرَّهُ مِنْ ذَاكَ أَلا يُنَفَّرَا
وَحَقِّكَ إِنِّي ذَاكِرٌ وَمُرَدِّدٌ ... حَدِيثَ ثَنَاءٍ لَمْ يَكُنْ فِيكَ مُفْتَرَىٰ
أُكَرِّرُ مِنْهُ كُلَّمَا قُلْتُ سُكَّراً ... وَأَنْشَقُ مِنْهُ كُلَّمَا فُهْتُ عَنْبَرَا
وَيَا مُبْسِمَ ٱلثَّغْرِ ٱلَّذِي رَاقَ مَنْظَراً ... وَطَابَ وَلَوْلا أَنْتَ مَا طَابَ مَخْبَرَا
تَجَاوَزْ عَنِ ٱلشِّعْرِ ٱلَّذِي قَدْ بَعَثْتُهُ ... فَلَوْ أَنَّهُ ٱلشِّعْرَىٰ لَكَانَ مُحَقَّرَا
فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُهْدِي إِلَى ٱلْبَحْرِ قَطْرَةً ... وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُهْدِي إِلَى ٱلشَّمْسِ أَكْدَرَا
وَمَا فِيهِ إِلا أَنَّ مَدْحَكَ صُغْتُهُ ... وَذَاكَ ٱلَّذِي مَا فِيهِ مَيْنٌ وَلا مِرَا

ومِنْ نظمِ القاضي ناصرِ الدينِ : [من المتقارب]

إِذَا كُنْتَ مُسْتَبْصِراً فِي ٱلذَّكَاءِ ... فَلا تَكْشِفَنْ عَوَرَاتِ ٱلأَنَامِ
فَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نُعْمَىٰ زَكَاةً ... وَإِنَّ زَكَاةَ ٱلذَّكَاءِ ٱلتَّعَامِي[1]

* * *

(1) وبعد هـٰذين البيتين بياض بمقدار أربعة أسطر ، وكانت ولادته في ثالث ذي القعدة سنة (٦٢٠هـ) ، وتوفي بالإسكندرية ليلة الخميس مستهل ربيع الأول سنة (٦٨٣هـ) ، ودفن بتربة والده عند الجامع الغربي ، وانظر « ذيل مرآة الزمان » (٤/٢٠٦ـ٢١٠) ، و« الديباج المذهب » (ص٧٠ـ٧٤) ، و« حسن المحاضرة » (١/٣١٦ـ٣١٧) .

[ومنهُمْ :

الشيخُ تقيُّ الدينِ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ عبدِ الرحيمِ ابنِ شاسٍ السعديُّ المالكيُّ المصريُّ]

وارثُ السيادةِ ، ونجلُ العلماءِ السادةِ ، والجامعُ بينَ فضيلتَيِ الجودِ والإجادةِ ، الذي بنىٰ كما بنَتْ أوائلُهُ ، حتىٰ شُيِّدَتْ بهِ حصونُ الشرفِ ومعاقلُهُ ، وبانَ أنَّهُ بدرُ المنزلِ الذي بانَ آهلُهُ ، وأنَّهُ الفريدةُ التي أكنَّها صاحبُ الجواهرِ ، والشِّبْلُ الذي أنتجَهُ ذلكَ الأسدُ الخادرُ ، فارتقىٰ في رُتَبٍ لم يستطعْ أقرانُهُ لها رُقيّاً ، واتَّقى اللهَ فورِثَ الجنةَ التي يُورِثُها اللهُ مَنْ كانَ تقيّاً ، وأحسنَ كما أحسنَ اللهُ إليهِ ولم يزلْ صادقَ الوعدِ وفيّاً ، وقلَّدَ أهلَ زمانِهِ مِنَناً أُلبِسُوا جمالَها ، فنطقتِ الألسنُ فيهِ بمحامدَ تبقىٰ ويذهبُ مَنْ قالَها ، واللهُ المسؤولُ أنْ يُعوِّضَهُ عن ذلكَ أجراً ، وأنْ يَسُرَّهُ كما سرَّ الناسَ في الدنيا في الأخرىٰ[1] .

فأمّا نسبُهُ : فهوَ تقيُّ الدينِ الحسينُ بنُ الشيخِ شرفِ الدينِ [أبي الفضلِ عبدِ الرحيمِ] بنِ جلالِ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ نجمِ بنِ شاسٍ السَّعْديُّ المالكيُّ المصريُّ مولداً وداراً ووفاةً .

نشأَ بمصرَ ، واشتغلَ ودرَّسَ وأفتىٰ ، واقتنىٰ مِنَ الكتبِ ما يَعجزُ غيرُهُ مِنْ أبناءِ زمانِهِ عنهُ ، ولم يقتصرْ علىٰ كتبِ مذهبٍ ، بل كانَ يقتني الكتبَ في سائرِ العلومِ ، سمعَ أصحابَ السِّلَفِيِّ وغيرَهُم .

وكانَ مُتواضِعاً ، حسنَ الاعتقادِ ، كثيرَ السكينةِ والوقارِ ، مُحسِناً لطلبةِ

---

(١) قوله : (في الدنيا) متعلق بـ(سرَّ) ، وقوله : (في الأخرىٰ) متعلق بـ(يسره) .

العلمِ خصوصاً أهلَ بلدِهِ ، وكانَ يمشي مِنْ مسجدِهِ إلىٰ درسِهِ بالمدرسةِ الناصريَّةِ المالكيَّةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ ، ويقولُ : لا أركبُ علىٰ رقابِ أهلِ بلدي .

أقامَ ما بينَ نائبِ حكمٍ وحاكمٍ فوقَ الأربعينَ سنةً .

وُلِدَ يومَ الثَّلاثاءِ ثانيَ صفرٍ سنةَ تسعٍ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الجمعةِ مُستهَلَّ ذي الحجَّةِ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بقَرافةِ مصرَ[1] .

* * *

---

(1) وهـٰذه الترجمة جاءت ضمن ورقتين مرفقتين عند ترجمة الفخر الرازي ، كما أشرت إليه في (١/٥٤٣) ، وقد قمت بنقلها إلىٰ ها هنا .

ومنهُمْ :

[الإمامُ عبدُ المؤمنِ بنُ إسماعيلَ الدَّهْروطيُّ البكريُّ المالكيُّ]

العالمُ المتواضعُ ، والناسكُ الخاشعُ ، والوليُّ العارفُ ، والمُربِّي المُلاطِفُ ، الحافظُ لحُرُماتِ ربِّهِ ، والمُساعِدُ في إنكارِ المـُنكَرِ بيدِهِ ولسانِهِ وقلبِهِ ، لا يرضىٰ أنْ يمضيَ وقتُهُ في غيرِ العلمِ والعملِ ، ولا يسأمُ مِنْ كثرةِ الأورادِ ولا يَمَلُّ ، راسخُ القدمِ في العلمِ فجوابُهُ صوابُهُ ، صادقُ الحالِ وكيفَ لا وإلى الصِّدِّيقِ انتسابُهُ ؟!

لا يملُّهُ الرفيقانِ كتابُهُ ومحرابُهُ ، ولم يَزَلْ بينَ ملهوفٍ يَنقعُ غُلَّتَهُ[1] ، وسقيمٍ يُبرِئُ علَّتَهُ ، وعلمٍ ينشرُهُ ، ومنكرٍ ينكرُهُ ، ومعروفٍ يأمرُ بهِ ويُظهِرُهُ ، إلىٰ أنِ ارتحلَ إلىٰ ما أسلفَ في خالي أيامِهِ ، وانتقلَ إلىٰ مَقيلِهِ مِنَ الجِنانِ ومقامِهِ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ عبدُ المؤمنِ بنُ فخرِ الدينِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ رشيدِ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ المحسنِ بنِ تقيِّ الدينِ أبي الحسينِ يحيى بنِ الحسنِ بنِ موسى بنِ يحيى بنِ يعقوبَ بنِ نجمِ بنِ عيسى بنِ شعبانَ بنِ عيسى بنِ داودَ بنِ محمدِ بنِ نوحِ بنِ طلحةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبي بكرٍ الصديقِ ، كذا كتبَ نسبتَهُ بعضُ أصحابِهِ مِنَ البكريِّينَ .

نشأَ بدَهْروطَ ، واشتغلَ بها على ابنِ عمِّهِ الزكيِّ عبدِ العظيمِ البكريِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ ، وكانَ عارفاً بمذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ معرفةً جيدةً ، مُستحضِراً

---

(١) **ينقع** : يُسكِّن ، **والغُلَّة** : حرارة العطش .

لنقلٍ كثيرٍ فيهِ ، ولهُ كتابٌ في علمِ التصوفِ لطيفُ الحجمِ كثيرُ الفوائدِ ، ولهُ ترتيبُ كتابِ « موطَّأِ مالكٍ » رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ حروفِ المعجمِ ، ولهُ « الدرُّ المنظومُ مِنْ مناقبِ العلومِ » .

كانَ مُتبرِّئاً مِنِ اعتقادِ الأصواتيةِ ، مُظهِراً للمُباينةِ لهُم ، ولقد كانَ في غالبِ حالِهِ يُعاضِدُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ابنَ النعمانِ في إنكاءِ هٰؤلاءِ المُبتدعةِ وإخمادِ أمرِهِم .

وكانَ لا يحضرُ السماعَ .

ولهُ كراماتٌ ؛ فمنها : ما ذكرَهُ عنهُ بعضُ أصحابِهِ قالَ : كُنَّا ذاتَ ليلةٍ والمصباحُ يقدُ علينا ، فخمَدَ ضوءُ المصباحِ ، فقمتُ إليهِ ، فوجدتُ الزيتَ الذي فيهِ قد فَنِيَ ، فعدلتُ إلىٰ كوزِ الزيتِ ، فلم أجدْ فيهِ شيئاً ، فعُدتُ ولم أُصلِحِ السراجَ ، فقالَ لي : لمَ لا أصلحتَهُ ؟ فقلتُ : يا سيدي ؛ لم أجدْ زيتاً لا في السراجِ ولا في كوزِ الزيتِ ، فقامَ وأخذَ إبريقاً بينَ يديهِ فيهِ ماءٌ شربْنا منهُ ، فقالَ : هلا سكبتَ هٰكذا ، وسكبَ بيدِهِ مِنَ الإبريقِ الماءَ في السراجِ ، فأُشعِلَ لوقتِهِ وعادَ إليهِ ضوءُهُ ، وبقيَ ذلكَ السراجُ يَقِدُ إلىٰ آخرِ تلكَ الليلةِ .

قالَ الحاكي : فكنتُ بعدَ ذلكَ أُذكِّرُهُ بهٰذهِ الواقعةِ ، فيقولُ : يا ولدي ؛ أبصرتَ صنعَ اللهِ بنا ولطفَهُ تلكَ الليلةَ ، ولا يُسنِدُ إلىٰ نفسِهِ شيئاً مِنْ ذلكَ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ ليلةَ السابعِ والعشرينَ مِنْ محرمٍ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ مِنَ الغدِ ، ودُفِنَ بتربتِهِ المعروفةِ بهِ بالقرافةِ الصغرىٰ .

* * *

ومنهُمْ :

[الإمامُ وجيهُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ سديدِ الدينِ المُهَلَّبيُّ البَهْنسيُّ الشافعيُّ]

قاضي القضاةِ ، ذو الخِلالِ الجميلةِ والصفاتِ ، بحرٌ طفَحَتْ أمواجُهُ ، وعَذُبَ ثَجَّاجُهُ ، ولم تُبَّجْ علىٰ مُستفيدِهِ أثباجُهُ ، شادَ معالمَ الآباءِ والأجدادِ ، وأفادَ مغانمَ فوائدَ هيَ قرةُ العيونِ وبردُ الأكبادِ ، وسادَ مكارمَ حقَّقَتْ أنَّها أرواحٌ لها آلُ المُهلَّبِ أجسادٌ ، همَّةٌ في العلومِ لا تعرفُ الريثَ ، وخُلُقٌ كالنسيمِ في منظرٍ كالليثِ ، وحِدَّةٌ كالرعدِ والبرقِ يأتي بعدَهُ الغيثُ ، فهوَ العالمُ الذي ما رأتِ العيونُ مثلَهُ ولا ترىٰ ، والحاكمُ الذي إذا قالَ قولاً أنبطَ الماءَ في الثرىٰ ، لو رأيتَهُ لرأيتَ مَلَكاً في صورةِ إنسانٍ ، وقاضياً جمعَ المأمورَ بهما العدلَ والإحسانَ ، طالَما أثنتِ العلماءُ الأكابرُ تنبيهاً علىٰ شرفِ منزلتِهِ وتنويهاً ، ورُزِقَ الوجاهةَ عندَهُم إذ كانَ عندَ اللهِ وجيهاً .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ وجيهُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ أقضى القضاةِ سديدِ الدينِ الحسينِ المُهَلَّبيِّ ، المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] .

اشتغلَ بمذهبِ الشافعيِّ بمدرسةِ منازلِ العزِّ علىٰ قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ ابنِ السُّكَّريِّ في أواخرِ أيامِهِ ، وعلىٰ علماءِ مصرَ ؛ كالفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ .

ورحلَ إلى البلادِ الشاميَّةِ ، فاجتمعَ بالشيخِ تقيِّ الدينِ أبي عمرٍو بنِ

(١) انظر (١/ ٥٧٠) .

الصلاحِ ، والشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وتولَّى التدريسَ بالزاويةِ المجديةِ بمصرَ بتفويضٍ مِنْ خالِهِ وابنِ عمِّ أبيهِ مجدِ الدينِ .

وحضرَ إلىٰ مصرَ ، فباشرَ تدريسَ الزاويةِ المجديةِ ونظرَها[1] ، وجلسَ أولَ جلوسِهِ في محفلٍ عظيمٍ ، وكانَ لهُ درسٌ مِنْ أصولِ الدينِ يُؤخَذُ كلَّ يومٍ بعدَ فراغِ الدرسِ العامِّ ، يحضرُهُ جماعةٌ مِنْ كبارِ طلبتِهِ بالزاويةِ المذكورةِ ، محافظةً علىٰ شرطِ واقفِها .

وكانَ اشتغلَ بالأصولَيْنِ : على المصريينَ بالطريقِ الأُولىٰ ، **ثمَّ اشتغلَ** : على السيفِ الآمديِّ حينَ حضورِهِ إلىٰ مصرَ بطريقةِ الإمامِ فخرِ الدينِ ، **وقرأَ** : على الأفضلِ الخُونَجيِّ ، وعلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ ، واستفادَ مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، **وسمعَ** : مِنَ الشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، وكانَ لهُ عندَ هـٰؤلاءِ الثلاثةِ المذكورينَ أخيراً وعندَ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ[2] مِنَ التمكُّنِ وشريفِ المنزلةِ . . ما لا يُدرَكُ بالاجتهادِ .

ولم يَزَلْ بعدَ هـٰؤلاءِ مُترشِّحاً للحكمِ مُؤهَّلاً لهُ مُشاراً إليهِ بهِ ، يشيرُ على الحكامِ ، فيرجعونَ إليهِ ويشاورونَهُ في النقضِ والإبرامِ ، ويعتمدونَ عليهِ ؛ لعلمِهِم باستحقاقِهِ مكانَهُم ومنزلتَهُم .

وكانَ مُتواضِعاً مُتخلِّياً عنِ الناسِ ، مُباشِراً أكثرَ مُهمَّاتِهِ بنفسِهِ ، ولا يتَّكلُ في أكثرِ أمورِهِ علىٰ وكيلٍ ولا غلامٍ ، وهوَ معَ ذلكَ يُكِبُّ على الاشتغالِ والإشغالِ والمباحثةِ والإفادةِ والاستفادةِ .

---

(١) **الزاوية المجدية** : مكان وقفه مجد الدين المهلبي علىٰ من يدرس بمكان معين بجامع عمرو بن العاص ، وكان يعد التدريس فيها من المناصب الجليلة . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/ ٢٢) .

(٢) أي : تاج الدين ابن بنت الأعز ، المار في (٢/ ١٠٠ـ١٠٥) .

ولقد رأيتُهُ في المحافلِ العظيمةِ أوائلَ جلوسِ المدرِّسينَ حينَ يجتمعُ أهلُ الحَلِّ والعقدِ ، وجهابذةُ النظرِ والنقدِ . . لا يُشَقُّ غُبارُهُ ، ولا يُلحَقُ مضمارُهُ ، ولا يُتوقَّعُ عِثارُهُ ، وكانَ مُعتمدُهُ في كلِّ مَحفِلٍ يحضرُ فيهِ الانتصارَ لصاحبِ المحفلِ والقيامَ مقامَهُ في المناظرةِ والمناضلةِ جبراً لهُ(١) .

وتولَّىٰ مشيخةَ الميعادِ المعروفِ بعلاءِ الدينِ الضريرِ بمصرَ المحروسةِ ، ويكفيهِ فضلاً مَنْ تخرَّجَ بهِ مِنَ الأكابرِ وفقهاءِ العصرِ ؛ كعلمِ الدينِ العراقيِّ(٢) ، وعلمِ الدينِ السمنوديِّ(٣) ، وعزِّ الدينِ بنِ السيفِ ، وعلمِ الدينِ بنِ الصفيِّ القِمَّنيِّ(٤) ، وكمالِ الدينِ عبدِ الغنيِّ(٥) ، وظهيرِ الدينِ يحيىٰ(٦) ، وغيرِ هـٰؤلاءِ مِنْ مشايخِ عصرِنا الحلبةِ السابقينَ لنا ، والحلبةِ الذينَ تبعوهُم بإحسانٍ ؛ كالزينِ بنِ البياعِ ، والقاضي فلكِ الدينِ بنِ بنتِ السكريِّ ، والعمادِ المُهلَّبيِّ ، وغيرِهِم ممَّنْ أدركْنا أواخرَ اشتغالِهِم ، والحلبةِ الذينَ كانُوا رفقةً لنا ، وحلبةٍ وردَتْ علىٰ آثارِنا ؛ كلُّهُمْ استفادُوا منهُ واعترفُوا لهُ وتخرَّجُوا بهِ وتهذَّبُوا بتهذيبِهِ ، فلسانُ حالِهِم يُنشِدُ(٧) : [من الطويل]

---

(١) وقال ابن السبكي في « الطبقات » (٨/٣١٨) : (وحضر عنده الشيخ شهاب الدين القرافي ـ أي : صاحب « الفروق » ـ مرَّةً وقت التدريس ، وهو يتكلم في الأصول ، فشرع القرافي يناظره والوجيه يعلو بكلامه عليه ، فقام طالب يتكلم بينهما ، فأسكته الوجيه وقال له : فرُّوج يصيح بين الدِّيَكة !!) .

(٢) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٧٨ـ ٢٨١) .

(٣) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢١٢ـ ٢١٣) .

(٤) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٠١ـ ٢٠٥) .

(٥) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٢٦ـ ٢٢٧) .

(٦) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٢٠ـ ٢٢١) .

(٧) البيت لنُصيب يمدح سليمان بن عبد الملك ، كما في « البيان والتبيُّن » (١/ ٨٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/ ٨٦) .

وَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْهِ الْحَقَائِبُ

وأرجو أنْ ينفعَهُ اللهُ بعلمِ مَنْ علَّمَهُ ، فهم بمنزلةِ أولادِهِ وقد قالَ في الحديثِ : « وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[1] .

وبالجملةِ : فما رأيتُ معَ كِبَرِ سنِّهِ وتقدُّمِهِ في العلومِ أكثرَ اشتغالاً منهُ ؛ قطعَ عمرَهُ بينَ قراءةٍ وإقراءٍ ، ولم يَزَلْ كذلكَ إلىٰ أنْ وَلِيَ الحكمَ بالديارِ المصريَّةِ ، ثمَّ رأىٰ أنَّهُ لا يقدرُ علىٰ براءةِ الذمَّةِ في العملَينِ ، فاستعفىٰ مِنَ القاهرةِ والوجهِ البحريِّ ، وكانَ قد درَّسَ أيضاً بالمدرسةِ الناصريةِ الصلاحيةِ بمصرَ ، فأُقِيلَ منها أيضاً ، واقتصرَ على الزاويةِ .

وكانَ غنيّاً ، ولم يتناولْ على الحكمِ معلوماً ، إلىٰ أنْ تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ وهوَ علىٰ حُسْنِ اعتقادٍ وصلاحٍ وسَدادٍ .

تُوفِّيَ في جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بتربةِ الشيخِ عبدِ المؤمنِ الدَّهْروطيِّ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣١٧ـ٣١٨) ، و« رفع الإصر » (ص٢٥٦ـ٢٥٧) ، ونقل المؤلف عنه في هـٰذا الكتاب نقولاتٍ نفيسةً .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الأصوليُّ شهابُ الدينِ أبو العباسِ
أحمدُ بنُ إدريسَ القَرَافيُّ المالكيُّ]

الطاهرُ القلبِ واللسانِ ، الظاهرُ بمناقبَ أحلَّتْهُ مِنَ العلياءِ كلَّ مكانٍ ، فاقَ بنفسِهِ العصاميةِ مَنْ سادَ ميراثاً ، وبهرَ مَنْ عَدَّ إنِ افتخرَ عظماً رميماً وأجداثاً[1] ، قدِ انتهى الشرفُ إلىٰ حيثُ انتهىٰ ، وشنَّفَ المسامعَ عذبُ ألفاظِهِ التي أصبحَ بسحرِها نفَّاثاً في عُقَدِ النُّهىٰ ، قد طبَّقَ الأقاليمَ بتصانيفِهِ النافعةِ ، وفوائدِهِ التي إذا جمحَتْ عن غيرِهِ أتتْ لهُ طائعةً ، وشواردِهِ التي وردَتْ شِرَعَ الشرعِ شارعةً ، ثاقبُ العقلِ ولا يُنكَرُ أنْ يكونَ الشهابُ ثاقباً ، أظهرَهُ الضياءُ حينَ كانَ غيرُهُ مِنَ الشُّهُبِ غارباً ، فأشرقَ بنورِ علومِهِ كلُّ مدلهمٍّ حالكٍ ، وتبيَّنَ بهِ المذهبُ للمُسترشِدِ السالكِ ، وكانَ مُنتحِلاً مذهبَ مالكٍ ، ولا غروَ أنِ انتهى ابنُ إدريسَ لمالكٍ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ إدريسَ ، البُوشيُّ أصلاً ، القَرَافيُّ منشأً[2] ، المالكيُّ مذهباً ، الأشعريُّ مُعتقَداً ، المصريُّ داراً ووفاةً .

اشتغلَ بمذهبِ الإمامِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : علىٰ علماءِ عصرِهِ مِنَ

---

(١) **الأجداث** : جمع جَدَث ؛ وهو القبر .

(٢) قال الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٥١/ ١٧٦) : (ونُسِب إلى القرافة ولم يسكنها ، وإنما سُئل عنه عند تفرقة الجامكية بمدرسة الصاحب بن شكر ، فقيل : هو بالقرافة ، فقال بعضهم : اكتبوه « القرافي » ، فلزمته هاذه النسبة) .

المالكيةِ ؛ كابنِ رشيقٍ والسبكيِّ وغيرِهم[1] ، وبالنحوِ : على الشيخِ ضياءِ الدينِ بنِ القرطبيِّ ، وكانَ مُلازِماً لهُ ، ثمَّ تردَّدَ إلى الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ واستفادَ منهُ ، وقرأَ الأصولَينِ أيضاً : على الشيخِ شمسِ الخُسْرَوشاهيِّ أيضاً في آخرِ وقتِهِ[2] ، واستفادَ مِنَ الشيخِ شرفِ الدينِ الكركيِّ ، ولم يَزَلْ مُعترِفاً بذلكَ في غَيبةِ الشيخِ شرفِ الدينِ وحضورِهِ ، ووليَ التدريسَ بالمدرسةِ الصالحيةِ بالقاهرةِ للطائفةِ المالكيَّةِ ، وبالمدرسةِ العلائيةِ الطَّيْبرسيَّةِ بمصرَ[3] ، والزاويةِ الصاحبيةِ بجامعِ مصرَ .

وأفتىٰ وصنَّفَ كتباً نافعةً مُفيدةً ؛ منها : « شرحُ المحصولِ » في أربعِ مُجلَّداتٍ مِنْ خطِّهِ[4] ، وكتابُ « تنقيحِ الفصولِ في علمِ الأصولِ » ، و« شرحُهُ » أيضاً ، وكتابُ « الاستثناءِ » ، وكتابُ « الإنقاذِ في الاعتقادِ » ، و« شرحُ الأربعينَ » تعليقاً ، وكتاباً عارضَ بهِ كتابَ إمامِ الحرمينِ « مغيثَ الخلقِ في اختيارِ الأحقِّ » ، يذهبُ إلىٰ أنَّ أحقَّ العلماءِ أنْ يُقلَّدَ دونَ غيرِهِ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ ، كما عيَّنَ إمامُ الحرمينِ في كتابِهِ الإمامَ الشافعيَّ ، وكتابَ « الذخيرةِ » في مذهبِ مالكٍ ، و« مختصرَ شرحِ التِّلِمْسانيِّ » للجلَّابِ ، وكتاباً سمَّاهُ « القواعدَ » نحا فيهِ نحوَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ في كتابِهِ « القواعدِ »[5] ، وغيرَ ذلكَ[6] .

---

(١) والسبكي : هو شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح ، المارُّ في (٢/ ١٢٥ـ١٢٦) .

(٢) كذا في الأصل بزيادة (أيضاً) في الموضعين ، ولعل الصواب حذفها ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) وهـٰذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر ، وهي غَرْبيُّه مما يلي الجهة البحرية ، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/ ٢٣١) .

(٤) و« المحصول » للإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالىٰ .

(٥) وهو كتابه النفيس المسمىٰ : « أنوار البروق في أنواء الفروق » .

(٦) سرد مؤلفاته ابن فرحون في « الديباج المذهب » (ص٦٤ـ٦٥) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ حسنَ الهيئةِ ، رائقَ المنظرِ ، فصيحَ العبارةِ ، حلوَ الكلامِ ، ليِّنَ الجانبِ ، جميلَ الهيئةِ ، يُقرِّبُ للطالبِ البعيدَ ، ويُوضِّحُ لهُ المشكلَ ، ولم يَزَلْ بينَ إفادةٍ وتصنيفٍ ، وجمعٍ وتأليفٍ ، وقراءةٍ وإقراءٍ . . إلىٰ أنِ انتقلَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ .

تُوفِّيَ في سنةِ أربعٍ وثمانينَ وستِّ [مئةٍ][1] .

* * *

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٥١/١٧٦ـ١٧٧) ، و« الوافي بالوفيات » (٦/١٤٦ـ١٤٧) ، و« الديباج المذهب » (ص٦٢ـ٦٧) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ المقرئُ الأصوليُّ النحويُّ علمُ الدينِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ القِمَّنيُّ الشافعيُّ]

العلمُ الفردُ بينَ الأعلامِ ، والحليمُ الرشيدُ الذي تحيَّرَتْ فيهِ النُّهىٰ والأفهامُ ، ولم يقدُرِ المادحونَ قدرَهُ حتىٰ قالوا : قدرُهُ إلهامٌ[1] ، عُوِّضَ عن بصرِهِ ببصيرتِهِ ، وعن سرورِ سرِّهِ بنظرةِ حسنِ سريرتِهِ ، ينظرُ مِنْ ذكائِهِ ببصرٍ حديدٍ ، ويستمدُّ مِنْ إدراكِهِ ببحرٍ مديدٍ ، وينفقُ فوائدَ مِنْ حاصلٍ لا يخلو ساعةً مِنْ محفوظٍ جديدٍ ، طالما حفظَ الكثيرَ مِنْ مرَّةٍ ، وانخذلَ خصمُهُ مِنْ كرَّةٍ .

فللَّهِ درُّهُ مِنْ حافظٍ ذاكرٍ ثقَّفَ الذِّكرُ حفظَهُ تثقيفاً ، ونظَّارٍ بزَّ النُّظَّارَ وإنْ كانَ كفيفاً ، ومُهذِّبٍ جمعَ المهابةَ واللِّيانَ فأصبحَ جليلاً في العيونِ لطيفاً !![2] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ علمُ الدينِ أحمدُ بنُ صفيِّ الدينِ إبراهيمَ بنِ حسنٍ القِمَّنيُّ ، المقرئُ النحويُّ الأصوليُّ .

وُلِدَ بقِمَّنَ ونشأَ بها ، وحضرَ إلىٰ مصرَ ، **وقرأَ القرآنَ الكريمَ** : على الزينِ بنِ دينارٍ ، وعلى الشيخِ كمالِ الدينِ بنِ شجاعٍ ، وعلى الكريمِ المعروفِ

---

(١) أخذ هـٰذا المعنىٰ من قول أبي تمام في مدح المأمون : (من الكامل)

مَنْ لا يحيطُ الواصفونَ بقدرِهِ ... حتىٰ يقولوا قدرُهُ إلهامُ

انظر « ديوانه » (٣/ ١٥٣) .

(٢) في الكلام إشارة إلىٰ بيت أبي تمام : (من الكامل)

قَطَبَ الخشونةَ واللِّيانَ بنفسِهِ ... فغدا جليلاً في العيونِ لطيفا

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٨١) ، و« ديوان المعاني » (١/ ٥٦) .

بـ (عصا عبدِ الظاهرِ) ، **وقرأَ الفقهَ** : على الشيخِ ضياءِ الدينِ بنِ المقسطيِّ ، وحضرَ درسَ الشيخِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، والفقيهِ وجيهِ الدينِ البهنسيِّ وقرأَ عليهِ ، **وقرأَ أصولَ الدينِ والفقهِ** : على أبي الكرمِ بنِ المقسطيِّ ، وعلى الشيخِ ضياءِ الدينِ بنِ المقسطيِّ ، وعلى الشيخِ شرفِ الدينِ بنِ التِّلِمْسانيِّ .

واستفادَ : مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، ومِنَ الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ ، **وسمعَ** : الشيخَ زكيَّ الدينِ وأقرانَهُ ، وسمعَ الكثيرَ ، وأعادَ في المدرسةِ الظاهريةِ في درسِ قاضي القضاةِ تقيِّ الدينِ بنِ رُزينٍ ، وأعادَ في مدارسَ .

وسمعتُ بعضَ الأصحابِ مِنَ المشايخِ يقولُ : (لقَّنتُ علمَ الدينِ بنَ الصفيِّ في صحبتي لهُ اثني عشرَ كتاباً)[1] .

وقد قدَّمتُ عنهُ ما كانَ يتَّفقُ لهُ معي ومعَ والدي ممَّا يُؤذِنُ بذكائِهِ وتفرُّدِهِ في ذُكرِهِ[2] .

وأنا أُردِفُها الآنَ بحكايةٍ أخرىٰ حكاها لي بعضُ العدولِ الأكابرِ عنهُ ، قالَ : (ركبَ العَلَمُ في سفينةٍ مصعداً ، فاتَّفقَ أنَّهُ صادفَ في المركبِ رجلاً نصرانيّاً ، فتولَّعَ بهِ المسلمونَ يُعنِّفونَهُ علىٰ نصرانيَّتِهِ ، ويذكرونَ لهُ أنَّهُ ليسَ علىٰ شيءٍ ، وأنَّ أهلَ دينِهِ تغلبُ عليهِمُ البلادةُ وإظلامُ الذهنِ بالكفرِ ، وأنَّ أهلَ دينِ الإسلامِ يغلبُ عليهِمُ الذكاءُ ؛ لاستضاءتِهِم بنورِ الإيمانِ .

قالَ النصرانيُّ : فأَرُوني مِنْ أذكيائِكُم رجلاً ، فقالُوا : معَنا في السفينةِ

---

(١) **قوله** : (لقَّنت) غير معجمة في الأصل ، فاجتهدت في ضبطها ، **ولعل المراد** : أنه كان قرأ له اثني عشر كتاباً وهو يستمع ؛ لكونه ضريراً ، والله تعالىٰ أعلم ، وفي (ب) : (لقيت) .

(٢) انظر (١/١٢٧) .

الشيخُ علمُ الدينِ مِنْ أذكىٰ خليقةِ اللهِ تعالىٰ ، يحفظُ سبعينَ بيتاً مِنْ مرَّةٍ واحدةٍ ، ويُسلِّمُ عليهِ الشخصُ في عمرِهِ مرَّةً واحدةً ، فلا يعودُ يسألُهُ حينَ يُسلِّمُ عليهِ ثانياً : مَنْ أنتَ ؟ بل يُسمِّيهِ باسمِهِ .

قالَ : اجمعوا بيني وبينَهُ ، فقالَ لهُمُ الشيخُ علمُ الدينِ ـ وطمعَ في إسلامِهِ ـ : اشرطُوا عليهِ أنَّهُ يُسلِمُ متى اتَّفقَ لهُ منِّي هٰذا ، فشرطُوا عليهِ أنْ يحضرَ إلى الشيخِ علمِ الدينِ بعدَ ثلاثِ سنينَ ، ويُسلِّمُ عليهِ مِنْ غيرِ شعورٍ بهِ ، فيُسمِّيهِ باسمِهِ ويرُدُّ عليهِ : وعليكَ السلامُ يا فلانُ ، ومتى اتَّفقَ مِنَ الشيخِ ذلكَ فهوَ مسلمٌ ، فأعطاهُم صفقةَ يدِهِ ، وأشهدَهُم علىٰ نفسِهِ بذلكَ طامعاً أنَّ ذلكَ لا يكونُ أبداً ، ثمَّ حضرَ إلى الشيخِ علمِ الدينِ ، فسلَّمَ عليهِ ، ورافقَهُ في المركبِ إلىٰ أنْ بلغَ كلٌّ منهُم مقصدَهُ وتفرَّقُوا .

ثمَّ بعدَ ثلاثِ سنينَ حضرَ النصرانيُّ إلى القاهرةِ في قضاءِ شغلٍ لهُ ، فصادفَ الشيخَ علمَ الدينِ في الطريقِ ، فقالَ : لأَمتحنَنَّهُ ؛ ظنّاً منهُ أنَّ الذي شرطَهُ علمُ الدينِ لا يكونُ ، فأتىٰ إليهِ وقالَ : السلامُ عليكُم سيِّدَنا علمَ الدينِ ، قالَ : فجذبَ يدَهُ مِنْ يدِ طالبٍ كانَ يقودُهُ ، ووضعَها علىٰ ذقَنِهِ لمحةً لطيفةً مُفكِّراً ، ثمَّ قالَ : وعليكَ السلامُ يا شيخُ فلانُ ـ باسمِهِ ـ هل قلعتَ ثنيَّةً مِنْ ثناياكَ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : لعلَّها اليسرىٰ ؟ قالَ : نعم ، فقالَ لهُ الشيخُ علمُ الدينِ : هل وفَّيتُ بما قلتُ ؟ قالَ : نعم وزِدْتَ أيُّها الشيخُ باركَ اللهُ فيكَ ، فقالَ لهُ الشيخُ : أَوْفِ بشرطِكَ ، فقالَ : نعم ، أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ، وصحبَ الشيخَ علمَ الدينِ وانتفعَ بهِ) .

وحكى الشيخُ الأديبُ سراجُ الدينِ الورَّاقُ قالَ : (حضرتُ في مأتمٍ ، فأنشدتُ قصيدةً ، ولم أكنْ قطُّ رأيتُ العلمَ القِمَّنيَّ قبلَ ذلكَ ، فوقعَتْ مِنَ الحاضرينَ أحسنَ موقعٍ واستُحسِنَتْ .

فلمَّا تفرَّقَ الناسُ اجتمعَ بي جماعةُ الأكابرِ الذينَ حضرُوا المأتمَ ، فجبرُوا وشكرُوا مِنْ حسنِ القصيدةِ ، ومعَهُم رجلٌ ضريرٌ ، فقالُوا لهُ : هـٰذا الأديبُ سراجُ الدينِ ـ وذكرُوا أوصافاً كثيرةً ـ فلمَّا فرغُوا قالَ : أنشدَ الأديبُ سراجُ الدينِ القصيدةَ إنشاداً حسناً ، لـٰكنْ يا مولايَ سراجَ الدينِ ؛ فضائلُكَ مشهورةٌ ، وما كانَ فلانُ الدينِ ـ عنِ الميِّتِ ـ يستحقُّ عليكَ أنْ تنشئَ لهُ قصيدةً ترثيهِ بها حتى انتحلتَ قصائدَ الناسِ ورثيتَهُ بها !!) .

قالَ : (فقلتُ : واللهِ ؛ هـٰذهِ القصيدةُ مِنْ نظمي وأنشأتُها البارحةَ ، ولم يقفْ أحدٌ عليها إلىٰ أنْ أنشدتُها ، فقالَ علمُ الدينِ : واللهِ ؛ هـٰذهِ حفظتُها مِنْ مُدَّةٍ وما رأيتُ قائلَها مِنْ أهلِ عصرِنا ، فأخذَني ما قَدُمَ وما حَدَثَ ، فقالَ : يا جماعةُ ؛ خُذوها عليَّ) ، قالَ[1] : (فأنشدَني إيَّاها لم يُغيِّرْ فيها إلا مواضعَ بأحسنَ مِنْ لفظي) .

قالَ : (فلم أتركِ المِراءَ بل قلتُ : قد يقعُ الخاطرُ على الخاطرِ كما يقعُ الحافرُ على الحافرِ ، قالَ : يا سيِّدي ؛ يقعُ الحافرُ على الحافرِ مِنْ أولِ الميدانِ إلىٰ آخرِهِ ؟! قالَ : فأُسكِتُّ ولم أُحِرْ جواباً .

وكانَ قد وصَّى الحاضرينَ وأنا لا أعرفُ خبرَهُ ، فرجعَ وقالَ لي : يا سيِّدي سراجَ الدينِ ؛ القصيدةُ لكَ لا لغيرِكَ ، لـٰكنِّي حفظتُها مِنْ إنشادِكَ الآنَ ، فقلتُ : واللهِ ؛ شككتَني في نفسي ، كيفَ تحفظُ هـٰذهِ القصيدةَ وهيَ تزيدُ على الستينَ بيتاً مِنْ مرَّةٍ ؟! فأقرَّ الحاضرُونَ لهُ بذلكَ ، وكانَتْ بدايةَ الصحبةِ بيني وبينَهُ) .

واتَّفقَ لشيخِنا محيي الدينِ بنِ الدَّميريِّ قارئِ المصحفِ بجامعِ مصرَ معَهُ

---

(١) زاد في الأصل : (قال) .

نظيرُ ذلكَ ، في تصديقةٍ صنعَها لهُ بعضُ أدباءِ دمشقَ ، وحفظَها ، ولم يكتبْ لغيرِهِ نسخةً منها ، فقالَها محيي الدينِ عقيبَ ختمِ القرآنِ في شهرِ رمضانَ ، وكانَ العلمُ حاضراً فحفظَها وعرضَها ، فأقسمَ عليهِ محيي الدينِ ألا يُمليَها لأحدٍ ، فسمعَ منهُ ، وأبرَّ قسمَهُ .

هـٰذا الذكاءُ الذي يبلغُ عَنانَ السماءِ ، لا ذكاءُ أبي العلاءِ .

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ[1]

هـٰذا معَ أنَّهُ يغتذي ما وجدَ ، وذاكَ يرتاضُ فلا يأكلُ مِنْ ذي روحٍ في جسدٍ[2] ، إنَّما هوَ نورٌ يهبُهُ علامُ الغيوبِ ؛ فإنَّها لا تعمى الأبصارُ ولـٰكنْ تعمى القلوبُ .

وُلِدَ هـٰذا الشيخُ علمُ الدينِ بقِمَّنَ يومَ الأربعاءِ ثامنِ شعبانَ ، سنةَ عشرينَ وستِّ مئةٍ ، [وتُوفِّيَ في جمادى الأولىٰ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستِّ مئةٍ] ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

---

(١) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٨١) ، وهو من البسيط .

(٢) ومعنىٰ هاتين العبارتين : أن العلم القِمَّني لا ينتقي ما يأكله ، بل كان يأكل كل ما وجده وتيسَّر له ، بينما كان أبو العلاء المعري ينتقي ما يأكله ويتخيره ، فما كان يأكل اللحوم وغيرها من كل ما كان فيه روح حالة في جسد مما يؤثر على الحفظ والذكاء . انظر « تاريخ بغداد » (٤/ ٤٦٤) ، و« إنباه الرواة » (١/ ٨٣) .

(٣) انظر « الوافي بالوفيات » (٦/ ١٣٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٥) ، و« نكت الهميان » (ص٦٦ـ٦٧) ، وما بين معقوفين بياض في الأصل .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الشريفُ شرفُ الدينِ
محمدُ بنُ عمرانَ الفاسيُّ المالكيُّ الشافعيُّ]

السيدُ الشريفُ ، والعفيفُ الظريفُ ، والمُنفردُ بخلائقَ لو مازجَتْ خُلُقَ الزمانِ الفَدْمِ غدا وهوَ لطيفٌ[1] ، فهوَ بدرُ هدىً طلعَ ، ونهرُ ندىً نبعَ ، ودوحةُ مجدٍ فاقَ باسقُها المُطاوِلَ وفَرَعَ ، سادَ بعلمِهِ كلَّ مُسوَّدٍ ، ونزعَتْ بهِ أعراقُهُ حتىٰ بلغْنَ إلى النبيِّ محمَّدٍ ، صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قدِ استظلَّ مِنَ الشرعِ بظلٍّ وارفٍ ، ولم يقنعْ بالحسبِ التليدِ حتىٰ ضمَّ إليهِ الطارفَ ، فهوَ المُعلَّمُ الطرفَينِ ، والشرفُ الحائزُ بالعلمِ والأصالةِ الشرفَينِ .

مِنْ مدينةِ فاسٍ منبتُهُ ، ومِنْ محاضرِ حضرتِها لسانُهُ ، ومِنْ بحارِ علمائِها نهرُهُ ، ومِنْ زاهرِ دوحِهِم ثمرُهُ ، أحرزَ بهِم وبها مِنَ العلمِ نصيباً وافراً ، ثمَّ ظعنَ عنها مُسافِراً ، وسارَ عنِ المغربِ مُواصِلاً تأويبَهُ بإدلاجِهِ[2] ، مُنتقِلاً انتقالَ الهلالِ في أبراجِهِ ، وهوَ في ضمنِ ذلكَ يزدادُ في كلِّ قُطْرٍ إضاءةً ، ويُوافقُ التوفيقُ مرامَهُ واقتضاءَهُ ، حتىٰ أدركَ بالمشرقِ شمسَ الدينِ شمسَ علمِ الكلامِ[3] ، وعلمَ الأعلامِ ابنَ عبدِ السلامِ[4] ، فتكفَّلا كمالَهُ ، وكمَّلا جمالَهُ ،

---

(١) أخذه من قول أبي تمام : (من الكامل)

وحلاوةُ الشِّيَمِ التي لو مازجَتْ ... خُلُقَ الزمانِ الفَدْمِ عادَ ظريفا

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٨٧) ، والفَدْم : الرجل البعيد الفهم غير الفطن .

(٢) التأويب : السير نهاراً ، والإدلاج : السير ليلاً .

(٣) وهو الإمام لسان المتكلمين شمس الدين الخسروشاهي المار ترجمته في (٢/ ٣٥) .

(٤) وكان أول شيء سأله عنه ابن عبد السلام أثناء حضوره عنده عن المعتقد ، كما تقدم ذلك=

وأطلعاهُ بدراً مِنَ المشرقِ وهوَ نجلُ الإشراقِ ، وأطلقا في ميدانِ التصويبِ أعنَّةَ جيادِ إجادتِهِ أيَّما إطلاقٍ ، فلم يَزَلْ بينَ الديارِ المصريةِ والشاميةِ يُطيِّبُ واديَيهِما ، ويَعمُرُ ناديَيهِما ، حتى استقرَّ بمصرَ عصا تَسْيارِهِ ، وأضاءَ بها لامعُ أنوارِهِ ، فأقامَ بها ومكثَ ، حتىٰ وارىٰ جسدَهُ الجَدَثُ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شرفُ الدينِ محمدُ بنُ عمرانَ بنِ موسى القاضي الخطيبِ ـ يعني : بفاسٍ ـ ابنِ عبدِ العزيزِ بنِ محمدِ بنِ حزمِ بنِ حميرِ بنِ معدِّ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ إدريسَ بنِ إدريسَ[١] ـ أيضاً ـ ابنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقرِ بنِ عليٍّ زينِ العابدينَ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، رضيَ اللهُ عنهُ وعنهُم .

قرأَ القرآنَ الكريمَ[٢] : علىٰ أبي سالمٍ الغماريِّ بالرواياتِ السبعِ جمعاً وإفراداً ، وأعربَ عليهِ القرآنَ بفاسٍ ، وبها تُوفِّيَ هٰذا الشيخُ المقرئُ سَنةَ أربعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ ، **وقرأَ بالسبعِ أيضاً** : على الشيخِ أبي الحجاجِ بنِ إبراهيمَ الكفيفِ ، كلاهُما عن أبي الجودِ محمدِ بنِ سنانٍ ، عنِ ابنِ الطراوةِ ، عنِ الدانيِّ .

ولبسَ مِنْ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ الفِشْتاليِّ خرقةَ التصوفِ ، عنِ ابنِ

= في (١/ ٢٩٢) ، وأثمر هٰذا اللقاء الأول فوائدَ نفيسة .

(١) في هامش (أ) : (منقول من خطه في مشيخته كذا ، **وهو فيه نظر** ؛ فإن إدريس بن إدريس حسني وليس حسينياً ، ثم وقفت بعد ذلك علىٰ ما أملاه لابن عبد الحميد في نسب إدريس بن إدريس على الصحة ، وانتهىٰ به إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، **فليحرر ذلك**) ، وجاء نسبه في «المقفى الكبير» (٦/ ٢١٥) ، و« بغية الوعاة » (١/ ٢٠٢) على النحو التالي : (محمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز بن محمد بن حزم بن حمير بن معد بن عبيد بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) ، ولعله أقرب إلى الصواب ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) بعض شيوخه الآتين لم أتحقق من ضبطه ؛ إذ لم أعثر على ترجمته .

حمُّويه ، عنِ الأعزبِ ، عنِ الشيخِ أحمدَ الرفاعيِّ .

وروى الحديثَ : عن أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ عبدِ المؤمنِ بنِ موسى الفرُّوجيِّ ، وعن خالِهِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي زكريا يحيى بنِ أبي فيَّاضٍ الهزْميريِّ « مسندَ الشافعيِّ » رضيَ اللهُ عنهُ ، عن أبي القاسمِ الوريكيِّ بسندِهِ إلى الربيعِ ، ولقيَ الشيخَ الصالحَ أبا محمدٍ عبدَ السلامِ بنَ محمدٍ الويرانيَّ ، وكانَ قد زادَ على الثمانينَ سنةً ، وكانَ تاركاً لشربِ الماءِ مِنْ سنينَ ، وروىٰ هـٰذا الشيخُ لهُ عن أبي مدينَ شيئاً مِنْ كلامِهِ .

وصحبَ الشيخَ أبا محمدٍ صالحَ بنَ كَنُّونَ الهَسْكوريَّ الفاسيَّ ، **وروىٰ** : عن أبي محمدٍ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللهِ المعروفِ بـ (الإمام بجامع بوبو) ، يروي عن أبي زيدٍ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ زيدونَ السبتيِّ ، **وروىٰ** : عن أبي محمدٍ عبدِ الجبارِ بنِ أبي الخيرِ الصِّنهاجيِّ الجيليِّ ، سمعَ السُّهَيليَّ وأقرانَهُ .

وروىٰ شرفُ الدينِ أيضاً : عن أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ اللطيفِ النَّقْيُوسيِّ خطيبِ جامعِ أويماسَ مِنْ أغماتَ . . « إحياءَ علومِ الدينِ » وغيرَهُ مِنْ مصنفاتِ الغزاليِّ المُثبتةِ في « مشيختِهِ » التي جمعَها عن صالحِ بنِ سعدونَ السوسيِّ ، عن أبي سعيدٍ يخلفَ بنِ سنانٍ الحاحائيِّ ، عنِ المهديِّ ، عنِ الغزاليِّ ، وكذلكَ روىٰ بهـٰذا الإسنادِ « عقيدةَ المهديِّ »[1] ، وشافهَنا بقراءتِها .

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (وكانَ النَّقْيُوسيُّ يعطي السواكَ لِمَنْ أرادَ أن ينسبَ إليهِ) ، فأعطاهُ سواكاً ، وكانَ عندَهُ [. . .][2] .

شيوخُهُ في الفروعِ : أبو القاسمِ بنُ قطرالَ القرطبيُّ الحاكمُ بمدينةِ فاسٍ ؛

---

(١) انظر ما تقدم تعليقاً (١/ ٤٦٩) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة تقريباً ، ولعلها : (يتبرك به) أو نحو ذلك .

قرأَ عليهِ كتبَ مذهبِ مالكٍ ، واستفادَ منهُ وتخرَّجَ بهِ ، وروىٰ عنهُ « صحيحَ مسلمٍ » بروايتِهِ عنِ ابنِ اللَّوانِ ، عن سفيانَ القاصِّ بسندِهِ إلىٰ مسلمٍ .

وقرأَ الشيخُ أيضاً كتابَ « أمالي السمعانيِّ » : علىٰ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ محمدٍ الريديِّ ، عن أبي عليٍّ الغسَّانيِّ ، عنِ ابنِ رندةَ ، عنِ المُصنِّفِ .

وقرأَ كتبَ الأدبِ : علىٰ أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ أبي خالدٍ الجيَّانيِّ المقيمِ بأغماتَ ، **وقرأَ كتبَ العربيةِ** : على الشيخِ أبي محمدٍ عبدِ الجبارِ بنِ أبي الخيرِ الصِّنهاجيِّ الجيليِّ الأغماتيِّ ، **وقرأَ كتابَ « الجملِ » و« الإيضاحِ » بحثاً** : على الشيخِ الأديبِ أبي القاسمِ الزَّناتيِّ ، **وقرأَ علىٰ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عقزا الغُماريِّ** : كتابَ « الإيضاحِ » و« ديوانَ حبيبِ بنِ أوسٍ الطائيِّ » ، كلُّ ما ذكرَهُ علىٰ ما ذكرَهُ في « مشيختِهِ » التي جمعَها بخطِّهِ ، ونقلتُ ذلكَ منها مُختصراً ، ولهُ مشايخُ آخرُونَ ذكرَهُم في « مشيختِهِ » المذكورةِ لا يسعُ الحالُ استيعابَهُم .

كانَ رحمَهُ اللهُ حسنَ الهيئةِ ، لطيفَ المعنىٰ ، كريمَ الأخلاقِ ، حلوَ العبارةِ ، ثاقبَ الفكرةِ ، مُوضِّحاً للمعاني الخفيَّةِ باللفظِ الجليِّ ، حريصاً علىٰ نفعِ الطلبةِ ، مُؤدِّباً لهُم أحسنَ تأديبٍ بتلطُّفٍ ، باشّاً في الملقىٰ ، كثيرَ الحفظِ سريعَهُ ، قلَّ مَنْ كانَ منَّا يقدرُ على استيعابِ ما يُلقيهِ مِنْ حفظِهِ مِنَ « الوسيطِ » مطالعةً ، وكانَ ماهراً في كلِّ علمٍ على انفرادِهِ ؛ مِنَ الحديثِ ، والتفسيرِ ، والفقهِ ، والعربيةِ ، والنحوِ ، وأصولِ الدينِ ، وأصولِ الفقهِ ، والخلافِ ، والمنطقِ ، وعلمِ المواقيتِ والهيئةِ ، والطبيعياتِ ، والرياضياتِ ، وكانَ مُطَّلِعاً علىٰ مسائلِ الخلافِ وأدلَّتِهِ[1] .

---

(١) بل قال الشهاب القرافي ـ وهو أحد من تخرج عليه وأخذ عنه علماً غزيراً وخصوصاً المذهب المالكي ـ : (إنه تفرَّد بمعرفة ثلاثين علماً وحده ، وشارك الناس في علومهم) انظر « الديباج المذهب » (ص٣٣٢) .

ويكفيهِ علماً أنَّهُ كانَ ينتحلُ مذهبَ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، فلمَّا حضرَ مِنَ الكَرَكِ إلىٰ مصرَ شغرَتِ المدرسةُ التي بإطفيحَ وهيَ شافعيةٌ ، فقالَ الصاحبُ بهاءُ الدينِ : لو أنَّ الشيخَ شرفَ الدينِ شافعيُّ المذهبِ ولَّيناهُ مدرسةَ إطفيحَ ، فقالَ لهُ الصاحبُ زينُ الدينِ عن ذلكَ ، فقالَ : الشافعيُّ ومالكٌ والأئمَّةُ كلُّهُم على الحقِّ ، أُشهِدُكُم أنِّي انتحلتُ مذهبَ الشافعيِّ في الفروعِ وقلَّدتُهُ فيها ، فوقَّعَ لهُ بالمدرسةِ ، وكانَ يُقرِّرُ مذهبَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أحسنَ تقريرٍ ، وطالعَ كتبَ الشافعيةِ ، وحفظَ أكثرَ « الوسيطِ » ، وكانَ يُلقي الدرسَ مِنْ صدرِهِ .

[وليَ] قضاءَ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ وأعمالِهما ، ثمَّ اقتصرَ على الكَرَكِ ، وكانَ معَهُ مشهدُ الإمامِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ المنعوتِ بالطيَّارِ رضيَ اللهُ عنهُ ، ثمَّ حضرَ إلىٰ مصرَ فأقامَ بها مدَّةً لطيفةً ، ثمَّ درَّسَ بإطفيحَ بمدرستِها .

وكانَ يحضرُ في أشهرِ البطالةِ إلىٰ مصرَ ، ويُقرَأُ عليهِ بالجامعِ بعدَ الصبحِ ميعادٌ عامٌّ مِنَ الحديثِ والتفسيرِ والرقائقِ ، ثمَّ تأخذُ عليهِ الطلبةُ دروساً مِنْ أصولِ الفقهِ والدينِ ، والتفسيرِ ، والحديثِ ، ومذهبِ مالكٍ والشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُما ، ثمَّ يحضرُ بعدَ العصرِ بالجامعِ ، وتستمرُّ القراءةُ عليهِ إلى المغربِ ، ثمَّ يجلسُ بينَ العشاءينِ .

وكنتُ آخذُ عليهِ في تلكَ المدَّةِ في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دروسٍ مِنْ أصولِ الفقهِ وأصولِ الدينِ في الثلاثةِ أوقاتٍ اغتناماً لزمنِهِ[1] .

فلمَّا بنى الأميرُ علاءُ الدينِ طَيْبرسُ الوزيريُّ رحمَهُ اللهُ المدرسةَ التي تُعرَفُ بهِ بمصرَ . . خطبَهُ لتدريسِها ، فذكرَ لهُ أنَّهُ ذو عائلةٍ وأنَّ جامكيَّةَ المدرسةِ

---

(١) قوله : (الثلاثة أوقات) كذا في نسختينا ، والقياس : (الثلاثة الأوقات) .

لا تقومُ بهِ ، فتكفَّلَ لهُ بكلٍّ ما يحتاجُ إليهِ ، فباشرَ تدريسَها للطائفةِ الشافعيَّةِ ، ثمَّ أخذَ لهُ الإعادةَ بمدرسةِ الإمامِ الشافعيِّ بجانبِ ضريحِ الإمامِ الشافعيِّ ، وكانَتْ إذْ ذاكَ أعظمَ مِنَ التدريسِ ، ولم يَزَلْ بالمدرسةِ الطَّيْبرسيَّةِ إلى أنْ تُوفِّيَ في الحادي والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ ، سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستٌّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « الديباج المذهب » (ص٣٣٢) ، و« المقفى الكبير » (٦/ ٢١٥) ، و« بغية الوعاة » (١/ ٢٠٢_٢٠٣) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ علمُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ جمالِ الدينِ المُدْلجيُّ]

الشيخُ الإمامُ الصالحُ ، والمبايعُ الرابحُ ، والغادي في رضا مولاهُ والرائحُ ، الورعُ إذا تخيَّلَ الحرجَ ، والشافي بفتاويهِ وأحكامِهِ فكَمْ خناقٍ بهِما انفرجَ !! فهوَ العلمُ المنتصبُ للهدايةِ ، والعالمُ الذي أحكمَتْ مبادئَهُ الدرايةُ ، وحكمَتْ نهايتَهُ العنايةُ ، أوقاتُهُ معمورةٌ بالأذكارِ ، والبحثِ والتَّكرارِ ، لا يصرفُها في شيءٍ غيرِ العبادةِ ، ولا يُضيِّعُها في غيرِ إفادةٍ أوِ استفادةٍ ، شديدُ البأسِ إذا انتُهِكَتِ المحارمُ ، حادُّ النفسِ إلا على الأخيارِ فهوَ متواضعٌ راحمٌ ، لم يَزَلْ على استقامةِ الحالِ ، إلىٰ [أنْ] زُمَّتْ مطاياهُ للارتحالِ ، فتولَّىٰ لمَنْ كانَ يتولاهُ ، وتُوفِّيَ إلىٰ رحمةِ اللهِ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ علمُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ جمالِ الدينِ أبي الحجاجِ يوسفَ بنِ عليِّ بنِ حمودِ بنِ ظاعنِ بنِ سليمانَ المُدْلجيُّ .

وُلِدَ بمِنْيةِ سمنودَ ، ثمَّ حضرَ إلىٰ مصرَ ـ بعدَ أنْ قرأَ القرآنَ ببلدِهِ ، وعلى الفقيهِ لقمانَ بسمنودَ[1] ـ **فاشتغلَ بالعلمِ الشريفِ** : على الشيخِ أبي الطاهرِ وابنِ الجُمَّيزيِّ ، وحضرَ دروساً يسيرةً مِنْ دروسِ القاضي عمادِ الدينِ ابنِ السكَّريِّ ، **ثمَّ أتمَّ اشتغالَهُ بالمدرسةِ المعروفةِ بـ (منازلِ العزِّ)** : على الشيخِ أبي العباسِ الأَهْناسيِّ ، وعلى الشيخِ سيفِ الدينِ منصورٍ ، المُقدَّمِ ذكرُهُما .

---

(١) زاد في (أ، ب) : (ثم حضر إلىٰ مصر) ، ولعل الصواب حذفها ، والله تعالىٰ أعلم .

وقرأ الأصولَين : على القاضي جمالِ الدينِ ابنِ رشيقٍ ، وعلى الشيخِ ضياءِ الدينِ عبدِ الحكمِ بنِ المقسطيِّ ، وسمعَ شهادتَهُ وسجَّلَ عدالتَهُ : قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ بنُ عينِ الدولةِ ، ووليَ العقودَ : لقاضي القضاةِ بدرِ الدينِ السِّنْجاريِّ .

ثمَّ لم يَزَلْ مُتنقِّلاً في المناصبِ الدينيةِ ، ودرَّسَ بالفيومِ وبلبيسَ . . إلىٰ أنْ عادَ إلىٰ مصرَ ، وتولَّىٰ نيابةَ الحكمِ بالحسينيةِ ، وأُذِنَ لهُ في الحكمِ بالقاهرةِ المعزيةِ نائباً ، ثمَّ نابَ في الحكمِ بمصرَ المحروسةِ عن قاضي القضاةِ محيي الدينِ بنِ عينِ الدولةِ في أواخرِ أيامِهِ مِنْ غيرِ أنْ يجلسَ في موضعِ النيابةِ ، ثمَّ استمرَّ على العقودِ والفروضِ والفسوخِ إلىٰ زمنِ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ البَهْنسيِّ ، فولاهُ نيابةَ الحكمِ بمصرَ ، ثمَّ صرفَ نفسَهُ منها سنةَ أربعٍ وثمانينَ .

واستمرَّ علىٰ أخذِ العلمِ وتدريسِهِ ، وملازمةِ جامعِ مصرَ ، وإقراءِ العلومِ وإفادةِ الطلبةِ .

وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، مُتواضِعاً ، طلقَ الوجهِ ، باشّاً للطلبةِ وأهلِ العلمِ ، مُحِبّاً لهُم ، مُشفِقاً عليهِم ، حريصاً علىٰ نفعِهِم ، شديدَ الإنكارِ علىٰ أهلِ البدعِ في المُعتقَداتِ وغيرِها .

تُوفِّيَ ليلةَ الخميسِ الحادي والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ باكرَ النهارِ ، ودُفِنَ بقرافةِ مصرَ ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

ومنهُمْ :

[الإمامُ أمينُ الدينِ عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوهابِ ابنُ عساكرَ الدمشقيُّ المكيُّ]

الذي جمعَ السيادةَ تالداً وطارفاً ، واستظلَّ مِنَ الشرعِ ظلّاً وارفاً ، ولم يَزَلْ طولَ دهرِهِ معكوفاً على الحرمِ وبهِ عاكفاً ، وأحرزَ بأسلافِهِ وإسلافِهِ الشرفَ وحبَّذا المشرَّفانِ سلفاً وسالفاً .

سلِ الحشويةَ عنهُ [تقلْ] : ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ ، والعصابةَ المقيمةَ بالنازحةِ !! طالَما نزلَ بساحتِهِم فساءَ صباحُ المُباكَرِ لا المُباكِرِ ، وهُزِمَ بهِ جمعُ البدعِ كيفَ لا وهوَ ابنُ عساكرَ ؟! وكُسِرَ بهِ مِنْ جوارحِ المُجسِّمةِ كلُّ عُقابٍ كاسرٍ ، ورجعَتْ منهُ الأصواتيَّةُ بصفقةِ المغبونِ الخاسرِ ، وقدحَ في معتقدِهِم بما ورثَهُ مِنَ الكلامِ وبيانِهِ ، وجرحَ شهودَهُم فاستحقَّ أنْ يُنعَتَ بالجرَّاحِ كيفَ لا وهوَ أمينُ أهلِ زمانِهِ ؟!

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أمينُ الدينِ عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوهابِ بنِ [الحسنِ بنِ محمدِ بنِ هبةِ اللهِ] ابنُ عساكرَ[1] ، الدمشقيُّ الأصلِ والمولدِ ، المكيُّ الدارِ والجوارِ .

كانَ ذا حالٍ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، كثيرَ الزهدِ غزيرَ الورعِ ، مشهوراً بإكرامِ الواردينَ على كثرتِهِم ، مذكوراً بالتواضعِ على عظيمِ المنزلةِ ، ولم يَزَلْ على حالٍ مرضيَّةٍ في دينِهِ ودنياهُ إلى أنْ رأى رؤيا أوجبَتِ انتقالَهُ إلى حرمِ سيِّدِنا

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتُوفِّيَ بالمدينةِ ، ولهُ مِنَ الكراماتِ ما لا يسعُ الحالُ ذكرَهُ[1] .

تُوفِّيَ [في المدينةِ في سلخِ جمادى الأولىٰ سنةَ ستٍّ وثمانينَ] وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) وكانت تجمعه بالإمام النووي محبة وصداقة ، قال الشيخ علاء الدين العطار : لما ودَّعت الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد محيي الدين النووي رحمه الله تعالىٰ بنوىٰ حين أردت السفر إلى الحجاز . . حمَّلني رسالة في السلام عنه للإمام جار الله أبي اليمن عبد الصمد ابن عساكر ، فلما بلَّغته سلامه ردَّ عليه السلام ، وسألني عنه : أين تركته ؟ فقلت : ببلده نوىٰ ، فأنشدني بديهاً : [من الكامل]

أَمُخَيِّمِينَ علىٰ نوىٰ أشتاقُكم ... شوقاً يُجدِّدُ لي الصبابةَ والجوىٰ
وَأَرومُ قربَكُمُ لأنِّيَ مُرتجٍ ... يا سادتي قربَ المقيمِ علىٰ نوىٰ

وانظر « فوات الوفيات » (٢/٣٢٨) .

(٢) ومن مؤلفاته الماتعة : « إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥١/٢٦٨-٢٧٠) ، و« فوات الوفيات » (٢/٣٢٨-٣٣٠) ، و« التحفة اللطيفة » (٣/١٨-٢٠) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ الحكمِ السعديُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الماشطةِ)]

الضابطُ المُحصِّلُ ، والمُتوسِّلُ إلىٰ رضا ربِّهِ بخُلُقِهِ الجميلِ والمُتوصِّلُ ، الذي أفنىٰ عمرَهُ بينَ قراءةٍ وإقراءٍ ، وتسبيحٍ وإملاءٍ ، وإفادةٍ واستفادةٍ ، وتجويدٍ وإجادةٍ ، وعمارةِ الأوقاتِ بالذكرِ والعبادةِ ، مُستضيئاً بنورِ السنَّةِ التي اتَّبعَها ، مُتَّبِعاً للتابعينَ الذينَ قطعُوا عنِ النفوسِ طمعَها ، مُحلِّياً نفسَهُ بحليةِ التقوى التي أفادَتْها ورعَها .

لا جرمَ أنَّهُ سُمِّيَ شرفاً ، حينَ سما وحسبُهُ ما حازَ مِنَ المناقبِ فخراً وكفىٰ .

ولم يَزَلْ خادماً سنَّةَ الرسولِ يكتبُ ويُملي ، ويقرأُ ويُقري . . إلىٰ أنِ انتقلَ إلىٰ ما أعدَّ ، ووجدَ الزُّلفىٰ أسوةَ أمثالِهِ ممَّنْ وجدَ مَا لَهُ جَدَّ ، فوافى الرضوانَ ، وجاورَ رضوانَ ، رحمَهُ اللهُ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ[1] محمدُ بنُ عبدِ الحكمِ السعديُّ الشافعيُّ ، يُعرَفُ بـ (ابنِ الماشطةِ) .

سمعَ الكثيرَ مِنَ الحديثِ : علىٰ أبي العباسِ ابنِ تَامتِّيتَ ، والشيخِ رشيدِ الدينِ ، والشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، وأقرانِهِم ، وكتبَ الكثيرَ وقرأَ ، وكانَ لهُ خطٌّ سفرٍ تغلبُ عليهِ الصحةُ .

وكانَ كثيرَ التحصيلِ ، حريصاً على الفوائدِ ، علَّقَ التعاليقَ الكثيرةَ والحواشيَ

---

(١) كنيته في « المقتفي » (٢/ ١٢٢) : (أبو القاسم) .

المستحسنةَ ، ولم يَزَلْ على طريقةٍ حميدةٍ ، وحالٍ مِنَ الورعِ جميلةٍ ، وأقامَ في آخرِ عمرِهِ نحوَ عشرينَ سنةً لم يدخلِ الحمَّامَ خيفةً مِنْ نظرِ العوراتِ ، وكانَ يقرأُ الميعادَ بينَ الصلاتَيْنِ في الجامعِ ، وكانَ شيخاً بالرباطِ الصاحبيِّ بسوقِ وردانَ .

ولم يَزَلْ حسنَ الاعتقادِ ، مُتبرِّئاً مِنِ اعتقادِ الحشويةِ ، مُحِبّاً لأهلِ السنَّةِ ، هاجراً لأهلِ البدعةِ ، مُؤْثِراً للخمولِ على الظهورِ ، مُتواضِعاً ، حسنَ المَلْقىٰ . . حتىٰ قبضَهُ اللهُ إليهِ .

تُوفِّيَ في خامسَ عشرَ رمضانَ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستِّ مئةٍ رحمَهُ اللهُ ، ورثاهُ السراجُ الورَّاقُ بأبياتٍ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ : [من الطويل]

بَكَىٰ جَامِعُ ٱبْنِ ٱلْعَاصِ فَقْدَكَ طَائِعَا ... غَدَا مُسمِعاً قَوْلَ ٱلرَّسُولِ وَسَامِعَا
يُقَضِّي بِهِ حَرَّ ٱلْهَوَاجِرِ رَاغِباً ... إِلَى ٱللهِ فِي طُرْقِ ٱلْجِنَانِ مُسَارِعَا

منها :

أَتَالِيَ ذِكْرِ ٱللهِ فِي غَسَقِ ٱلدُّجَا ... أَنِيساً فَقَدْ أَمْسَىٰ أَنِيساً مُضَاجِعَا
وَفِي ٱلْعِلْمِ قَدْ أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ ... فَمَا كَانَ عِنْدَ ٱللهِ أَجْرُكَ ضَائِعَا
وَمَا زِلْتَ تَسْعَىٰ مُسْتَفِيداً وَبَعْدَ ذَا ... مُفِيداً إِلَىٰ أَنْ نِمْتَ فِي ٱلْخُلْدِ وَادِعَا
حَمِدْتَ ٱلسُّرَىٰ عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ وَقَدْ جَلا ... لَكَ ٱللهُ صُبْحاً مِنْ يَقِينِكَ سَاطِعَا
وَقَدْ كُنْتَ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ قَدَمٍ بِهَا ... تُظَنُّ صَحَابِيّاً وَإِلا فَتَابِعَا
وَكُنْتَ مَلِيئاً مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ ... جَمَعْتَهُمَا هُنِّيتَ لِلْخَيْرِ جَامِعَا
يُقَالُ لَكَ ٱقْرَأْ وَٱرْقَ فِي دَرَجِ ٱلْعُلا ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ يَا لَسَعْدِكَ طَالِعَا

آخرُها :

عَلَيْكَ سَلامُ ٱللهِ مَا لَمَعَ ٱلضُّحَىٰ ... وَمَا أَخَذَتْ شُهْبُ ٱلنُّجُومِ ٱلْمَطَالِعَا[1]

---

(١) انظر « المقتفي » (٢/ ١٢٢ـ١٢٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٥١/ ٢٨٢ـ٢٨٣) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ قطبُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ كمالِ الدينِ أبي العباسِ أحمدَ القسطلانيُّ]

الجامعُ شرفَ العلمِ إلىٰ كرم الأصالةِ ، السالكُ طريقَ الإرادةِ برياضةٍ أدامَتْ وصالَهُ ، الذي فُتِحَ عليهِ في المعارفِ حينَ أمالهُ السلوكُ إليها فيا حسنَهُ مِنْ فتحٍ وإمالَةٍ !!

نشأَ بالحرمِ الآمنِ ، وظهرَ فيهِ سرُّ أبيهِ الكامنُ ، ولاحَتْ عليهِ بشائرُ إشاراتِ القرشيِّ في الظاهرِ والباطنِ ، وعُمِّرتْ بعباداتِهِ تلكَ الأماكنُ الشريفةُ والمواطنُ ، وخدمَ السنَّةَ وحديثَها ، لا وانيَ العزمةِ ولا مُستريثَها ، فدأَبَ في الدرايةِ والروايةِ ، والرحلةِ التي رفعَتْ لهُ أشهرَ رايةٍ ، وبلَّغَتْهُ أبعدَ غايةٍ ، حتىٰ لُحِظَ بالعِيانِ ، وأُشيرَ إليهِ بالبَنانِ ، هـٰذا وهوَ لابسٌ حُلَّةَ التصوفِ المُعلَمةَ ، وغارسٌ مِنْ سلوكِهِ ما يجتني ثمرَهُ ويجتبي مغنمَهُ ، ومُنافِسٌ في جواهرِ معارفِهِ المكرَّمةِ ، مُتواضِعاً للهِ كلَّما ازدادَ رفعةً ، طائعاً لربِّهِ مِنْ غيرِ رياءٍ ولا سمعةٍ ، وطالَما ربَّ المريدينَ وربَّىٰ ، وأَلَبَّ بالبيتِ العتيقِ ولبَّىٰ ، وذبَّ عنِ الحديثِ النبويِّ ذبّاً ، وكانَ عليهِ مدارُ الروايةِ والدرايةِ فلذلكَ استحقَّ أنْ يُسمَّىٰ قُطباً .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ الإمامُ العالمُ قطبُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ العالمِ كمالِ الدينِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ الميمونِ .

وُلِدَ بدارِ القرشيِّ بمصرَ بزقاقِ الطباخِ ، وهوَ مِنْ درجةِ القرشيِّ[1] ، وبشَّرَ

---

(١) قوله : (درجة) كذا في (أ، ب) ، ويحتمل أن تكون (دوحة) .

بهِ القرشيُّ ، وقرأَ العلمَ واشتغلَ بالحديثِ ، ورحلَ وحصَّلَ ، وجاورَ بمكَّةَ .

سمعَ أبا الحسنِ عليَّ ابنَ الخلَّالِ ، وسمعَ « الترمذيَّ » بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ[1] ، وسمعَ جماعةً مِنَ الرواةِ أسماؤُهُم مثبتةٌ في « مشيختِهِ » ، ودرَّسَ بدارِ الحديثِ الكامليةِ ، ولم يَزَلْ مُدرِّساً بها إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وكانَ حسنَ الهيئةِ ، جميلَ الرُّواءِ ، مُتواضِعاً معَ خلقِ اللهِ ، ليِّنَ الجانبِ ، منخفضَ الجناحِ ، مُنافِياً لاعتقادِ هـٰؤلاءِ الأصواتيَّةِ رادّاً عليهِم .

وُلِدَ يومَ الاثنينِ السابعِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ أربعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السابعِ والعشرينَ[2] مِنْ محرمٍ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) سمعه من أبي الحسن ابن الخلال رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في « تاريخ الإسلام » ، و« المقفى الكبير » : (في الثامن والعشرين) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٥١/ ٢٧٧ـ ٢٧٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٤٣ـ٤٤) ، و« المقفى الكبير » (٥/ ١٢٨ـ ١٢٩) ، ووفاته فيها سنة (٦٨٦هـ) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ ظهيرُ الدينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ البَهْنسيُّ الشافعيُّ]

العالمُ العاملُ ، والنبيهُ الخاملُ ، والمُحتملُ الأذىٰ وللأعباءِ حاملٌ ، دأبَ في تحصيلِ العلومِ الشرعيةِ ، والانتظامِ في سلكِ الطائفةِ المعنيةِ بالتوفيقِ المرعيةِ ، حتىٰ أحرزَ البراهينَ العقليةَ والسمعيةَ ، وأبرزَ فوائدَ ليسَتْ في تامورِ غيرِهِ مَوْعِيَّةً[1] .

ولم يَزَلْ بينَ علومٍ يقتبسُها ، ونفسٍ في مرضاةِ اللهِ يحتسبُها ويحتبسُها ، ومكابدةِ عيشٍ لا يغبطُهُ عليها أهلُ الدنيا ولا ينفسُها ، ومَبانٍ للآخرةِ يُشيِّدُها ويُؤسِّسُها . . حتىٰ دنا أَجَلُهُ ، وفنيَ مَهلُهُ ، فركبَ البحرَ حاجّاً ، فأضحىٰ بنفسهِ في أمواجِهِ زاجّاً ، حين أصبحَ بالتلبيةِ عاجّاً ، وما هوَ إلا دُرَّةٌ استقرَّ في البحرِ مغاصُها ، وجوهرةٌ تعذَّرَ مِنَ البحرِ خلاصُها ، ونفسٌ زُكِّيَتْ فكانَ بالشهادةِ اختصاصُها ، فهوَ دفينُ اللُّجَّةِ ، والشهيدُ الذي أوجبَ بتلكَ الخَرْجةِ ، فيا قرَّةَ عينِهِ حينَ يُبعَثُ مُلبِّياً بحَجَّةٍ ! !

فأمّا نسبُهُ : فهوَ ظهيرُ الدينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ ، البَهْنسيُّ مولداً المصريُّ نشأةً وداراً .

قرأَ : علىٰ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ عبدِ الوهابِ البَهْنسيِّ ، وعلىٰ كمالِ الدينِ عبدِ الغنيِّ البَهْنسيِّ معيدِ وجيهِ الدينِ ، وعلى الشيخِ كمالِ الدينِ يحيىٰ وأقرانِهِ ، **وسمعَ قولَه** : قاضي القضاةِ محيي الدينِ بنُ عينِ الدولةِ ،

---

(١) **التامور** : الوعاء .

وأعادَ : للشيخِ وجيهِ الدينِ بالزاويةِ[1] .

ووليَ قضاءَ إخميمَ ، ثمَّ وليَ قضاءَ قوصَ وأعمالِها ، ثمَّ فوَّضَ إليهِ قاضي القضاةِ تقيُّ الدينِ بنُ تاجِ الدينِ نيابةَ الحكمِ بمصرَ وقَلْيوبَ ، ثمَّ عَنَّ لظهيرِ الدينِ السفرُ إلى الحجازِ الشريفِ مِنَ البحرِ ، فتُوفِّيَ في بحرِ عَيْذابَ غريقاً .

وممَّا حكىٰ عنهُ بعضُ مَنْ كانَ رفيقاً لهُ في المركبِ : (أنَّ المركبَ حينَ غرقَتْ وطلعَ إليهِمُ الماءُ سألَ ظهيرُ الدينِ عنِ الرُّبَّانِ ، فقيلَ لهُ : إنَّهُ لمَّا أحسَّ بالغرقِ نزلَ في القاربِ وتركَهُم ومضىٰ ، فقالَ ظهيرُ الدينِ : ذهبَ رُبَّانُكم وبقيَ لكُم ربُّكُم .

ثمَّ أقامَ علىٰ خشبةٍ عائماً إلىٰ نصفِ الليلِ وهوَ يقرأُ القرآنَ ويذكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فاشتكىٰ في أثناءِ ذلكَ مِنْ أكلِ السمكِ مِنْ ساقَيهِ وأفخاذِهِ .

قالَ الذي رافقَهُ في الغرقِ : ثمَّ لم يَزَلْ صوتُهُ يخفىٰ عنِّي حتىٰ لم أسمعْهُ ، فانقطعَ حسُّهُ عنِّي ، فلمَّا أصبحتُ لم أرَ شيئاً مِنْ أثرِهِ ولا الخشبةَ التي كانَ عليها ، فعلمتُ أنَّهُ غُلِبَ عن نفسِهِ فغرقَ) ، رحمَهُ اللهُ .

وردَ الخبرُ بوفاتِهِ في سنةِ ثمانٍ ـ أو سبعٍ ـ وثمانينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

(1) أي : الزاوية المجدية التي كان مدرِّساً فيها الإمامُ وجيه الدين . انظر (٢/ ١٩٥) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ محمودٍ العِجْليُّ الأصفهانيُّ الشافعيُّ]

الإمامُ العالمُ مُتكلِّمُ أهلِ السنَّةِ بهـٰذا المِصْرِ ، والواضعُ عن أهلِها مِنَ المُناضَلةِ أعباءَ الإصْرِ ، والقائمُ بفرضِ التعليمِ والتفهيمِ حينَ تعيَّنَ في هـٰذا العصرِ ، المُجرَّدُ مِنْ عبارتِهِ بَواترَ إذا تكلَّمَتْ ، فبحدِّها جسومُ المجسِّمةِ تكلَّمَتْ[١] ، طالَما أعشَتْ أشعةُ علومِهِ عيونَ البدعِ[٢] ، وسَطَتْ براهينُهُ فلم تَذَرْ شبهةً ولم تَدَعْ ، ودعا إلى التوحيدِ والتنزيهِ فما قلاهُ ربُّهُ ولا ودعَ .

جمعَ علوَّ الهمةِ والمكانةِ ، والتوغُّلَ في العلومِ العقليةِ معَ تمكُّنِ الديانةِ ، والمهابةَ معَ السكينةِ والوقارِ ، والتواضعَ علىٰ شرفِ السابقةِ وكرمِ النُّجارِ[٣] .

أبلغُ مَنْ درَّسَ أو أملىٰ أو كتبَ ، فهوَ ليثُ الشَّرىٰ وهوَ مِنْ عِجْلٍ إذا انتسبَ[٤] ، إنْ هبَّتْ ريحُ المبتدعةِ أرسلَ عليها إعصارَ الكلامِ فوقفَتْ ولم يقفْ ، وإنِ استوكفَتْ كفُّهُ جادَتْ إذا بخلَ الغمامُ ولم يَكِفْ[٥] ، ولِمَ لا يكونُ كذلكَ وجدُّهُ القاسمُ أبو دُلَفَ ؟![٦] .

---

(١) أي : جُرحت .

(٢) أعشَتْ : أعمت .

(٣) النُّجار : الأصل والحسب .

(٤) الشَّرىٰ : طريق في جبل سلمىٰ كثيرة الأسود ، أو جبل بتهامة كثير السباع .

(٥) يَكِفُ : يقطر .

(٦) وهو ابن عيسى بن إدريس (ت٢٢٦هـ) ، من بني عِجْل بن لُجيم ، وكان كريماً سرياً جواداً ممدَّحاً شجاعاً مُقدَّماً ، أخذ عنه الأدباء والفضلاء ، وكان أحد قواد المأمون ثم المعتصم . =

قطعَ عمرَهُ بينَ مناظرةٍ تُوضِّحُ الخفيَّ للأفهامِ ، وتُوضِحُ مِنَ المبتدعةِ عَصِيَّ الهامِ ، وتُفصِحُ بجليِّ الكلامِ عن خفيِّ الإلهامِ ، حتىٰ استوفىٰ عمرَهُ المكتوبَ ، فانقلبَ إلىٰ ربِّهِ غيرَ خَجِلٍ ولا معتوبٍ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عبدِ اللهِ العِجْليُّ الأصفهانيُّ[1] ، ينتهي نسبُهُ إلىٰ أبي دُلَفَ ، علىٰ ما ذكرَهُ أخصُّ أصحابِهِ بهِ .

كانَ والدُهُ نائبَ السلطنةِ بأصفهانَ عن ملكِها في ذلكَ الوقتِ ، فاشتغلَ بأصفهانَ بجملةٍ مِنَ العلومِ في حياةِ أبيهِ بحيثُ إنَّهُ تعيَّنَ وفاقَ نظراءَهُ .

ثمَّ لمَّا استولى العدوُّ علىٰ أصفهانَ رحلَ إلىٰ بغدادَ علىٰ هيئةِ الجندِ بقباءٍ وشَرْبُوشٍ[2] ، وفي يدِهِ خاتَمٌ فيهِ فَصٌّ ياقوتٍ .

قالَ : فجعلتُ أحضرُ حَلْقةً حَلْقةً في بغدادَ في كلِّ نوعٍ مِنَ العلومِ التي كنتُ أشتغلُ بها فلا أعلمُ ما يقولُونَ ، فتحقَّقتُ في نفسي أنِّي لا أعلمُ شيئاً ، وأنَّ تلكَ العلومَ التي كنتُ أعلمُها كالجهلِ بالنسبةِ إلىٰ هـٰؤلاءِ العلماءِ ، وكانَ والدي في البلادِ يدعو إلىٰ مناظرتي العلماءَ فيعترفُونَ بالعجزِ ، فتبيَّنَ لي أنَّ ذلكَ كانَ مراعاةً لي أو لقصورِهِم .

فلمَّا رأيتُ نفسي في بغدادَ علىٰ حالةٍ مِنَ القصورِ والعجزِ . . بعتُ ما كانَ عليَّ ، واشتريتُ كتباً منها « الوجيزُ » ، وانقطعتُ إلى الاشتغالِ : على الشيخِ سراجِ الدينِ الهرقليِّ ، وبالعلومِ العقليةِ : على الشيخِ تاجِ الدينِ الأُرْمَويِّ .

= انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٧٣ـ٧٩) .

(١) في المصادر الآتية آخر ترجمته : (بن عباد) بدل (بن عبد الله) .

(٢) الشَّرْبوش : قلنسوة عالية علىٰ شكل مثلث يُعتمر لها من غير عمامة .

ثمَّ قصدتُ الرومَ إلى الشيخِ أثيرِ الدينِ الأبهريِّ ، فاشتغلتُ عليهِ بالجدلِ والعلومِ البحثيَّةِ والحكميَّةِ ، ثمَّ وصلتُ في صحبتِهِ إلى الموصلِ ، ونزلتُ إلىٰ بغدادَ ، ثمَّ رحلتُ منها إلىٰ حلبَ .

وأقامَ الشيخُ شمسُ الدينِ بالشامِ مدَّةً طويلةً ، ووليَ القضاءَ بقلعةِ جعبرٍ ، وكانَ ينوبُ عن قاضي حلبَ في دروسِهِ .

ثمَّ حضرَ إلى الديارِ المصريةِ ، وتردَّدَ في المناصبِ الدينيةِ بينَ القضاءِ بقوصَ وأعمالِها[1] ، والإعادةِ والتدريسِ بالمدرسةِ الصاحبيةِ البهائيةِ بمصرَ ، والإعادةِ بالشافعيِّ ، ودرَّسَ بمشهدِ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ ، ثمَّ درَّسَ بمدرسةِ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ رحمَهُ اللهُ المجاورةِ للإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

وصنَّفَ التصانيفَ في فنونٍ متعددةٍ[2] .

ولم يَزَلْ بينَ إقراءٍ للعلومِ الشرعيةِ والعقليةِ ، وإفادةٍ وحسنِ اعتقادٍ ، وملازمةٍ للديانةِ والخيرِ . . إلىٰ حينِ انتقالِهِ[3] .

---

(١) وقيل : إن ابن دقيق العيد كان يحضر درسه بقوص .

(٢) ومن تصانيفه القيمة : شرحه لـ« لمحصول » المسمَّىٰ بـ« الكاشف عن المحصول في علم الأصول » ، وهو في مجلدات ، مات ولم يكمله ، وقال التاج السبكي في « الطبقات » (٨/ ١٠١) : (وشرحُهُ لـ« المحصول » حَسَنٌ جداً ، وإن كان قد وقف علىٰ « شرح القرافي » وأودعه الكثيرَ من محاسنه ، لكنه أوردها علىٰ أحسن أسلوب وأجود تقرير ؛ بحيث إنك ترى الفائدة من كلام القرافي ـ وإن كان هو المبتكرَ لها ـ كالعجماء ، وتراها من كلام هٰذا الشيخ الأصبهاني قد تنقَّحت وجرت علىٰ أسلوب التحقيق ، ولٰكن الفضل للقرافي) .

(٣) وقال التاج السبكي في « الطبقات » (٨/ ١٠٢) : (وكان يعتقد كرامات الأولياء ؛ قال له مرةً بعضُ الطلبة : يا سيدي ؛ أيصحُّ أنَّ في هٰذه الأمة من يمشي على الماء ويطير في =

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ ليلةَ الرابعِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

= الهواء ؟ فقال : يا بُني ؛ هـٰذه الأمةُ أكرمها الله بنبيِّها صلى الله عليه وسلم ، فانفِ عن أوليائها مقام النبوة والرسالة ، وأثبتْ ما شئت من الخوارق) .

(1) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٠٠ـ١٠٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٥١/ ٣٤٨ـ٣٤٩) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٣٨) ، و« طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (٢/ ١٩٩ـ٢٠١) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ كمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الغنيِّ بنُ السديدِ جعفرِ بنِ أبي الطاهرِ الأنصاريُّ]

الورعُ عندَ الشُّبَهِ ، والتاركُ لما رابَ واشتبهَ ، الذي قطعَ دهرَهُ تنسُّكاً وزَهادةً ، وتمسُّكاً بالخيرِ وعبادةً ، ومجانبةً لأبناءِ الدنيا في السرِّ والعلنِ ، ونائياً عن رؤوساءِ العصرِ والزمنِ ، خائفاً علىٰ نفسِهِ مِنْ دنسِ الباطنِ والظاهرِ ، مُشفِقاً علىٰ قلبِهِ وقالَبِهِ اللذَينِ كلٌّ منهُما طَهُورٌ طاهرٌ ، وهوَ معَ ذلكَ يُظهِرُ البشاشةَ للواردِ ، ويُريهِ منهُ محبَّةَ الوالدِ لولدِهِ وإكرامَ الولدِ للوالدِ ، ويقومُ بحقوقِهِم أحسنَ قيامٍ ، ويعمُّهُم برِفْدِهِ ولو كانوا ألفاً مِنَ الفِئامِ[1] ، حتى انتقلَ إلى الرِّضوانِ ، وارتحلَ إلىٰ مقرِّهِ مِنَ الجِنانِ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ كمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الغنيِّ بنُ السديدِ أبي الفضلِ جعفرِ بنِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ محمدٍ ، ينتهي نسبُهُ إلىٰ سمرةَ بنِ جندبٍ الأنصاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

كانَ مشهوراً بالصلاحِ الوافرِ والزَّهادةِ الظاهرةِ ، والاحتياطِ في الطهارةِ ؛ بحيثُ لا يُلامِسُ أحداً مِنَ الناسِ إلا جماعةً مخصوصينَ بخدمتِهِ عرفَ منهُمُ التحرُّزَ في ذلكَ ، نشأَ علىٰ ذلكَ مِنْ صغرِهِ .

وقرأَ القرآنَ الكريمَ والقراءاتِ و«الشاطبيةَ» : علىٰ أبي يعقوبَ الهَسْكوريِّ ، وأدركَ جماعةً مِنْ كبارِ المشايخِ الصالحينَ ؛ كأبي معينٍ المغائيِّ[2] ، والشيخِ

---

(١) الفِئام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

(٢) وتحتمل في الأصل : (موسى) بدل (معين) .

أبي الحجاجِ بنِ سليمانَ القُلُوسيِّ ، ولقيَ أبا يحيى بنَ شافعٍ في قدمةٍ قَدِمَها البلادَ لطنبذا وصحبَهُ حينَ ذاكَ[1] ، ثمَّ لزمَ الانقطاعَ بمنزلِهِ بالبهنسا بحيثُ لا يخرجُ منهُ إلا لصلاةِ الجمعةِ أو لصلاةِ جنازةٍ في النادرِ .

وكانَ مشهوراً بالصلاحِ ذا حظٍّ وافرٍ ، وكانَ صاحبَ قبولٍ وإقبالٍ مِنَ العامَّةِ والخاصَّةِ ، مُنيرَ الوجهِ ، بهيَّ المنظرِ ، ذا بشاشةٍ وبِشْرٍ معَ هيبةٍ ووقارٍ ، لا يلتفتُ إلىٰ كبارِ أربابِ الأمورِ وأبناءِ الدنيا .

ولم يَزَلْ مُلازِماً للانقطاعِ والعُكوفِ على الخيرِ ، وإغاثةِ الملهوفِ ، والحديثِ في قضاءِ حوائجِ الناسِ بكتبِهِ ورسلِهِ ، والشفاعةِ في المهماتِ ، وكانَ عامَّ النفعِ بذلكَ لا يخصُّ أحداً بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ولا يمنعُ أحداً ممَّنْ يقصدُهُ . إلىٰ أَنْ تُوفِّيَ إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ .

قالَ نسيبُهُ الشيخُ رشيدُ الدينِ بنُ سمرةَ : وغالبُ ظنِّي أنَّ وفاتَهُ كانَتْ في سنةِ تسعينَ وستِّ مئةٍ ، ولهُ مِنَ العمرِ ما يقاربُ الثمانينَ سنةً ، ودُفِنَ بمدينةِ البهنسا في باطنِها ، وبُنِيَ علىٰ قبرِهِ مشهدٌ يُزارُ .

* * *

---

(١) ويقال أيضاً : (لطنبدا) بالدال المهملة ، وهي قرية بصعيد مصر .

[ومنهُمْ] :

[الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ الدَّميريُّ الدِّيرِينيُّ الرفاعيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ الأديبُ ، والأجنبيُّ الحبيبُ ، الفقيهُ العابدُ ، والورعُ الزاهدُ ، قد ضمَّ إلى العلمِ والصلاحِ ، جميلَ الآثارِ والاطِّراحِ ، وإلى الزهدِ والسماحِ ، حسنَ الإيثارِ والارتياحِ ، وسرىٰ بسرِّهِ لنَيْلِ المعارفِ في ليلِ المخاوفِ فحمدَ السُّرىٰ عندَ الصباحِ .

خَدَمَ الأولياءَ فخُدِمَ ، وهاجرَ إلىٰ ربِّهِ فيا بُشراهُ حينَ قدمَ ، وسبكَتْهُ الخبرةُ [. . .] الإبريزُ[1] ، وأهانَ نفسَهُ في رضا ربِّهِ فعزَّ وعبدُ العزيزِ عزيزٌ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ ، الدَّميريُّ الأصلِ ، المعروفُ بـ (الدِّيرِينيِّ) ، الفقيهُ العالمُ الأديبُ الصوفيُّ الرفاعيُّ .

كانَ مِنْ أصحابِ أبي الفتحِ بنِ أبي الغنائمِ الواسطيِّ ، تخرَّجَ بهِ وتكلَّمَ في الطريقِ ، **وكانَ سابقةُ اشتغالِهِ بالعلوم** : على الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وعلىٰ مَنْ هوَ معاصرٌ لهُ مِنَ العلماءِ ، غيرَ أنَّهُ غلبَ عليهِ الميلُ إلى التصوُّفِ وتركُ ملازمةِ المدارسِ .

ولهُ النظمُ الحسنُ في مدحِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وفي الزهدِ

---

(١) ما بين معقوفين كلمتان غير واضحتين في الأصل ، ولعلهما : (كما يسبك) أو (عن فرائد) ، أو نحوهما ، وفي (ب) : (أفاما نيد) ؟

والرقائقِ ، وصنَّفَ مصنفاتٍ كثيرةً في التفسيرِ وغيرِهِ ؛ منها : « المصباحُ المنيرُ في علمِ التفسيرِ » .

ونظمَ أرجوزةً في التفسيرِ سمَّاها : « التيسيرَ في علمِ التفسيرِ » تزيدُ علىٰ ثلاثةِ آلافٍ ومئتي بيتٍ .

وصنَّفَ في علومِ القومِ كتباً ؛ فمنها : « أنوارُ المعارفِ وأسرارُ العوارفِ » ، و« تفسيرُ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ » ، ومنها : كتابُ « طهارةِ القلوبِ » في الرقائقِ .

و« رجزُ التنبيهِ » ، وحينَ لقيتُهُ ذكرَ لي أنَّهُ شرعَ في ترجيزِ « الوسيطِ » ، ولهُ قصيدةٌ اختصرَ فيها « الوجيزَ » للغزاليِّ تزيدُ علىٰ خمسةِ آلافِ بيتٍ ، ولهُ أرجوزةٌ في نظمِ السيرةِ النبويةِ .

ومِنْ مصنفاتِهِ : كتابُ « الوسائلِ والرسائلِ » في التوحيدِ ومدحِ الرسولِ تقديرُ ألفٍ وخمسِ مئةِ بيتٍ ، ولهُ قصيدةٌ ميميةٌ في المدحِ أيضاً تقديرُ مئةٍ وخمسينَ بيتاً ، وقصيدةٌ أخرىٰ في المدحِ مئةٌ وعشرونَ بيتاً ، وأرجوزةٌ نظمَ فيها « اليواقيتَ في علمِ المواقيتِ » ، و« عمدةَ الطلابِ في علمِ الأصطرلابِ » مئتا بيتٍ لتكملةِ ثمانِ مئةِ بيتٍ .

ولهُ أرجوزةٌ سمَّاها : « الحديقةَ في الحقيقةِ » ، وقصيدةٌ سمَّاها : « الحجة في التوحيدِ » .

ولهُ مِنَ النظمِ والنثرِ ما لا يُحصيهِ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ .

وكانَ قد بُورِكَ لهُ في عمرِهِ ، مُشتغِلاً مُتواضِعاً كريمَ الأخلاقِ ، حسنَ الشِّيَمِ ، مستقيمَ العقيدةِ .

وممَّا قالَهُ في كتابِهِ المسمَّىٰ : « طهارةَ القلوبِ والخضوعَ لعلامِ الغيوبِ » في خطبةِ صدرِ الكتابِ لا في خطبِ الفصولِ :

(رحمتُهُ ورأفتُهُ : إرادتُهُ البِرَّ والإحسانَ والإنعامَ ، ووِدادُهُ ومحبتُهُ : إرادتُهُ التقريبَ والإكرامَ[1] ، وحلمُهُ : إرادةُ تأخيرِ العقوباتِ ، [وجمالُهُ] وبِرُّهُ : إرادةُ جميعِ الخيراتِ .

المُتكلِّمُ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ لا يُشبِهُ كلامَ الخلقِ ، بِهِ يأمرُ وينهىٰ ، ويُنذِرُ ويَعذِرُ[2] ، [ويتوعَّدُ] ويخبرُ) .

فهٰذا مِنَ الشيخِ إشارةٌ إلىٰ أنَّ الكلامَ صفةٌ واحدةٌ ، وأنَّها لا تختلفُ بالأمرِ والنهيِ وغيرِهِ مِنْ صفاتِ الكلامِ كما يزعمُ الأصواتيةُ .

ثمَّ قالَ : (والقرآنُ كلامُهُ القديمُ ، ليسَ بمخلوقٍ فيفنىٰ بتصرُّفِ الأيامِ ، ولا صفةٍ لمخلوقٍ فتثبتَهُ الأقلامُ ، جلَّتْ صفاتُ المهيمنِ العلامِ ، عن إحاطةِ الأوهامِ)[3] .

فهٰذا مِنَ الشيخِ دليلٌ على الفرقِ بينَ الكتابةِ والمكتوبِ .

ثمَّ قالَ في خطبةِ (الفصلِ الأولِ في الإيمانِ) : (صفاتُهُ قديمةٌ ثابتةٌ بالنقلِ والعقلِ ، فمَنْ عطَّلَ فهوَ بتخيُّلاتِهِ يُجادِلُ ، وتنزيهُهُ عن أوصافِ الحدوثِ معلومٌ [بالدليلِ] ، فمَنْ شبَّهَ فهوَ مِنْ أهلِ الباطلِ ، كيفَ يُشبَّهُ القديمُ الأزليُّ بالحادثِ الزائلِ ؟! أم كيفَ تماثلُ الصنعةُ الصانعَ أو تضارعُ الأفعالُ الفاعلَ ؟! لا تُدرِكُهُ الأبصارُ ، ولا تُمثِّلُهُ الأفكارُ ، ولا يُحيطُ بِهِ عقلُ عاقلٍ ، انقطعَتِ الأوهامُ ، وحارَتِ الأفهامُ ، وبحرُ المعرفةِ ليسَ لهُ ساحلٌ)[4] .

---

(١) في « طهارة القلوب » زيادة : (ومغفرته : إرادته الستر على الزلات ، وعفوه : إرادته محو آثار السيئات) .

(٢) في « طهارة القلوب » : (ويعد) .

(٣) طهارة القلوب (ص٦) .

(٤) طهارة القلوب (ص٩) .

وقالَ دعاءً في خطبةِ الثلاثينَ[1] الذي ختمَ بهِ الكتابَ : (. . . الواحدِ الأحدِ فمَنِ ادَّعىٰ معَهُ إلـٰهاً آخرَ فقدِ ادَّعىٰ ما ليسَ لهُ عليهِ برهانٌ ، الحيِّ العليمِ السميعِ البصيرِ فسواءٌ عندَهُ السرُّ والإعلانُ ، المريدِ القديرِ فبقدرتِهِ وإرادتِهِ جميعُ الآثارِ والأعيانِ ، المُتكلمِ بكلامٍ قديمٍ في الأزلِ تكلَّمَ بالقرآنِ[2] ، صفاتُهُ قديمةٌ ثابتةٌ بالأدلَّةِ فمَنْ عطَّلَ فهوَ في بيداءِ الضلالِ حيرانُ ، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ومَنْ شبَّهَ فقد مالَ إلىٰ عَبَدةِ الأوثانِ ، جلَّ العليُّ الأعلىٰ عمَّا يُصوِّرُهُ الوَهْمُ فقد كبُرَتْ كلمةُ المُشبِّهينَ في الوزرِ وخفَّتْ في الميزانِ)[3] .

ثمَّ قالَ في خاتمةِ الكتابِ : (إلـٰهي ؛ إنْ نظرْنا إلىٰ فضلِكَ فالعجبُ ممَّنْ هلكَ كيفَ هلكَ ؟! وإنْ نظرْنا إلىٰ عدلِكَ فالعجبُ ممَّنْ نجا كيفَ نجا ؟!

إلـٰهي ؛ إن حاسبْتَنا بفضلِكَ نِلْنا رضوانَكَ ، وإنْ حاسبْتَنا بعدلِكَ لم نَنَلْ غفرانَكَ .

إلـٰهي ؛ كيفَ أرجوكَ وأنا أنا ؟! وكيفَ لا أرجوكَ وأنتَ أنتَ ؟!

مَا زِلْتُ أَغْرَقُ فِي ٱلإِسَاءَةِ دَائِماً ... وَيَكُونُ مِنْكَ ٱلْعَفْوُ وَٱلْغُفْرَانُ
لَمْ تَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ وَزِدْتَنِي ... حَتَّىٰ كَأَنَّ إِسَاءَتِي إِحْسَانُ
تُولِي ٱلْجَمِيلَ عَلَى ٱلْقَبِيحِ تَكَرُّماً ... فَٱغْفِرْ فَأَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمَنَّانُ[4]

إلـٰهي ؛ إنْ كُنَّا لا نقدرُ علىٰ تركِ ذنبٍ كتبتَهُ علينا . . فأنتَ تقدرُ علىٰ مغفرتِهِ لنا .

---

(١) أي : خطبة الفصل الثلاثين .
(٢) في « طهارة القلوب » : (بكلام قديم أزلي تكلَّم في الأزل بالقرآن) .
(٣) طهارة القلوب (ص٢٧٥) .
(٤) الأبيات من الكامل ، وهي لمحمود الورّاق في « ديوانه » (ص ١٩٠) .

إلـٰهي ؛ إنْ كُنّا عصَيناكَ بجهلٍ ، فقد دعوناكَ بعقلٍ ؛ حيثُ علمْنا أنَّ لنا ربّاً يغفرُ ولا يُبالي .

إلـٰهي ؛ أنتَ أعلمُ بالحالِ مِنْ قبلِ الشكوىٰ ، وأنتَ قادرٌ علىٰ تحقيقِ الآمالِ وكشفِ البلوىٰ .

أُجِلُّكَ أَنْ أَشْكُوْ إِلَيْكَ ٱلَّذِي أَلْقَىٰ ... وَأَنْتَ تَرَىٰ حَالِي وَتَعْلَمُهُ حَقَّا

وَإِنْ رُمْتُ أَحْكِي مَا أُلاقِي مِنَ ٱلأَسَىٰ[1] ... وَشَى ٱلدَّمْعُ بِٱلشَّكْوَىٰ فَيَسْبِقُنِي سَبْقَا[2]

وَتُطْمِعُنِي ٱلأَشْوَاقُ حَتَّىٰ إِذَا بَدَا ... جَمَالُكَ لَمْ أَمْلِكْ لِسَاناً وَلا نُطْقَا

إِذَا مَا تَمَنَّى ٱلنَّاسُ رَوْحاً وَرَاحَةً ... تَمَنَّيْتُ أَنْ أَفْنَىٰ وَسِرُّ ٱلْهَوَىٰ يَبْقَىٰ

بِجُودِكَ فَٱجْبُرْ قَلْبَ عَبْدٍ قَطَعْتَهُ ... إِلَيْكَ وَلا غَرْباً يَرُومُ وَلا شَرْقَا

تَعَطَّفْ وَلا تَقْطَعْهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ ... مُقِيمٌ عَلَىٰ بَابِ ٱلرَّجَا أَبَداً مُلْقَىٰ[3]

إلـٰهي ، يا مَنْ سترَ الزلاتِ ، وغفرَ التَّبِعاتِ ؛ أجِرْنا مِنْ مكرِكَ ، وزيِّنّا بذكرِكَ ، ووفِّقْنا لشكرِكَ ، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ)[4] .

أجازَ لي هـٰذا الشيخُ أنْ أرويَ عنهُ جميعَ ما تجوزُ لهُ روايتُهُ ، وجميعَ ما تجوزُ روايتُهُ عنهُ مِنْ كلامِهِ المنظومِ والمنثورِ ، وشافهَني بذلكَ ، وكتبَ خطَّهُ ، ونقلتُ ما نقلتُهُ مِنْ نسخةٍ بخطِّهِ رحمَهُ اللهُ .

تُوفِّيَ عصرَ يومِ الخميسِ سابعِ رجبٍ ، سنةَ أربعٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورحمَنا بهِ[5] .

* * *

---

(١) في « طهارة القلوب » : (أخفي) بدل (أحكي) .

(٢) عجز البيت في « طهارة القلوب » : (فشاهدُ هـٰذا الدمع يسبقني سبقاً) .

(٣) الأبيات من الطويل .

(٤) طهارة القلوب (ص٢٩٠ـ٢٩١) .

(٥) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/١٩٩ـ ٢٠٨) ، و« الوافي بالوفيات » =

ومنهُمْ :

[الإمامُ تقيُّ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ قاضي القضاةِ عبدِ الوهابِ العَلاميُّ الشافعيُّ]

الوزيرُ القاضي ، والصارمُ الماضي ، والرضيُّ للدينِ والدنيا عندَ كلِّ مسلمٍ بحكمِ الشرعِ راضي ، ورثَ العلومَ والسيادةَ ، وأشبهَ أباهُ إذْ كانَ سيِّدَ السادةِ ، وأحرزَ بطارفِ شرفِهِ تلادَهُ وبلادَهُ ، خطبَتْهُ المنابرُ فهوَ الخطيبُ المخطوبُ ، وندبَهُ تعيُّنُهُ لمناصبِ والدِهِ ندبَ الوجوبِ ، فورثَ القضاءَ والوزارةَ وليسَ الوارثُ كالمحجوبِ ، فهوَ وإنْ غابَ التاجُ خلاصةُ إبريزِهِ ، قدِ اجتمعَ فيهِ جواهرُ تقدُّمِهِ وفرائدُ تبريزِهِ .

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عَنَّ لهُ رأيٌ يُفرِّقُ ويفرِقُ[1] ، ماضي العزائمِ في ذاتِ اللهِ ولا مُضيَّ السيفِ في المفرِقِ ، وبحرٌ يُروي بما يَرْوي ولا يُغرِقُ ، وبدرٌ أطلعَهُ المغربُ وما أرانا مثلَهُ المَشرِقُ[2] ، أبيٌّ يكشفُ البلوىٰ ويُستنزَلُ القطرُ مِنْ ديباجةِ وجهِهِ المُشرِقِ .

وما ضرَّهُ حسدُ حاسدٍ ، ولا كيدُ كائدٍ ، قصَرَ عن أصالتِهِ وفضلِهِ ، وقصُرَ

= (١٨/ ٢٨٤ـ٢٨٥) ، و« المنهل الصافي » (٧/ ٢٦٩ـ٢٧١) ، واختلف في وفاته على أقوال عديدة ، ولعل ما ذكره المؤلف أقرب إلى الصحة ، والله تعالى أعلم .

(١) أخذه من قول المتنبي : (من البسيط)

قـاضٍ إذا التبسَ الأمـرانِ عـنَّ لـه ... رأيٌ يُخلِّـصُ بيـنَ المـاءِ واللبـنِ

انظر « ديوانه » (٤/ ٢١٥) .

(٢) أخذ هـٰذا المعنىٰ من موشح سبق في (١/ ٦١٠) .

عن وجاهتِهِ ونبلِهِ ، لٰكنْ طيَّشَتْهُ رئاسةٌ أتتْ بغتةً ، واستخفَّتْهُ ولايةٌ كانَتْ تبعتُها فلتةً ، فأقدمَ عليهِ مُنتهِكاً لحرمتِهِ ، مُستهلِكاً لنعمتِهِ ، مُسدِّداً سهامَ الاجتياحِ إليهِ وهوَ غيرُ مُسدَّدٍ ، هادماً لما شادَهُ أوائلُهُ مِنْ عرشِ عزِّهِ المُشيَّدِ ، فأطاشَ القَدَرُ سهامَهُ ، وخيَّبَ أملَهُ ومرامَهُ ، وأجراهُ على عادتِهِ في لطفِهِ ، وشلَّ يدَهُ عندَهُ فأنقذَهُ مِنْ كفِّهِ[1] ، ورجعَ إليهِ مَناصبَهُ ، وخذلَ مُناوئَهُ ومُناصبَهُ ، وأذاقَهُ وبالَ أمرِهِ ، وألبسَهُ ما لَبَّسَهُ مِنْ كيدِهِ ومكرِهِ ، وأراهُ في نفسِهِ أنواعَ النَّكالِ ، وأحلَّ بهِ ما أضمرَهُ لغيرِهِ مِنَ الإخراقِ والوبالِ ، فوقعَ في البئرِ التي حفرَها ، وأُخفِرَتِ الذمَّةُ التي أَخْفَرَها[2] .

فأمّا نسبُهُ : فهوَ تقيُّ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[3] .

اشتغلَ بالفقهِ : علىٰ أخيهِ الصدرِ عمرَ المُقدَّمِ ذكرُهُ[4] ، وعلى السديدِ التِّزْمَنتيِّ[5] ، **وبالنحو** : على الخفَّافِ ، **وبالأصولين** : على القَرافيِّ ، والعلمِ العراقيِّ .

ودرَّسَ بالمدرسةِ الشَّريفيةِ والمنصوريةِ والصالحيةِ ، ثمَّ وَلِيَ النظرَ على الخزائنِ السلطانيَّةِ ، ثمَّ وليَ قضاءَ القاهرةِ وأعمالِها ، ثمَّ كملَ لهُ العملانِ بموتِ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ البَهْنسيِّ ، ثمَّ وليَ الوزارةَ للمنصورِ مدَّةً ، ثمَّ انقطعَ عنها وبقيَ معَهُ القضاءُ بالعملَينِ ، ثمَّ صُرِفَ منهُ في محنتِهِ على يدِ ابنِ

---

(١) **الأفصح** : أن يقال : (وأشلَّ) بدل (وشلَّ) .

(٢) يقال : أخفر بالعهد ؛ إذا نقضه ، **والمقصود من هـٰذا الكلام** : ابن سلعوس ، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل .

(٣) انظر (٢/ ١٠٠ـ١٠٥) .

(٤) انظر (٢/ ١٤٦ـ١٤٧) .

(٥) **وتفقه أيضاً** : علىٰ والده وعلى العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالىٰ .

سَلْعوسٍ[1] ، ثمَّ عادَ إلىٰ قضاءِ القضاةِ بالعملَين ، ولم يَزَلْ مُتولِّياً إلىٰ أنْ ماتَ .

وكانَ إماماً بارعاً جمعَ حِدَّةَ الذهنِ والتحصيلَ ، وكانَ عزيزَ الدينِ ، مهيبَ المنظرِ ، لطيفَ المخبرِ ، لهُ النثرُ والنظمُ ، وكانَ حافظاً لحرمةِ الشرعِ والناموسِ ، وكانَ إماماً في التفسيرِ وفي كلِّ علمٍ .

وكانَ يُعجِبُهُ الشعرُ الحسنُ ، وقلَّ أنْ رأيتَهُ يُمكِّنُ أحداً مِنَ الإنشادِ بينَ يديهِ ، بل يتناولُ القصيدةَ منهُ ويقرؤُها إلىٰ آخرِها ، ويُعِيدُ تأمُّلَها ، ويستحسنُ ما يُعجِبُهُ منها .

مدحَهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ بقصائدَ كثيرةٍ ؛ فممَّنْ مدحَهُ : سراجُ الدينِ الورَّاقُ بقصائدَ ؛ منها : قصيدتُهُ فيهِ حينَ وَلِيَ الوزارةَ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ : [من الكامل]

اَلآنَ قَدْ ثَبَتَتْ وَقَرَّ قَرَارُهَا	وَعَلا عَلَى ٱلْفَلَكِ ٱلأَثِيرِ مَنَارُهَا
وَبِكَ ٱطْمَأَنَّتْ دَارُهَا وَلَدَيْكَ عَزَّ	جِوَارُهَا وَعَلَيْكَ كَانَ مَدَارُهَا
خَطَبَتْكَ كُفْئاً وَٱلْكَفَاءَةُ مِنْكُمُ	صَدَرَتْ وَمِلْءُ صُدُورِكُمْ أَسْرَارُهَا
وَهِيَ ٱلَّتِي خُطَّابُهَا عَنْ بَابِهَا	دُفِعَتْ وَمَا رُفِعَتْ لِغَيْرِكَ نَارُهَا
كَانَتْ تُسِرُّ لَكَ ٱلْهَوَىٰ وَيَصُدُّهَا	عَنْهُ وَقَارُكَ فِي ٱلْوَرَىٰ وَوَقَارُهَا
حَتَّىٰ إِذَا بَرِحَ ٱلْخَفَا وَبَدَا لَهَا	يُمْنُ ٱلْغَرَامِ بَدَتْ لَهَا أَعْذَارُهَا
عَرَفَتْ أَبَاكَ فَمَا أَبَاكَ لَهَا ٱلْحِجَا	وَعَلَىٰ فُرُوعِ ٱلْمَجْدِ دَلَّ نُجَارُهَا
وَإِذِ ٱلأُصُولُ زَكَتْ بِهَا أَغْصَانُهَا	وَأَقَرَّ عَيْنَكَ مَاؤُهَا وَثِمَارُهَا

منها :

أَوَلَسْتَ جَوْهَرَةً لِتَاجِ مُلُوكِنَا	جَادَتْ ثَرَاهُ مِنَ ٱلسَّحَابِ غِزَارُهَا

(١) انظر هٰذه المحنة في « رفع الإصر » (ص٢٢٣) .

مَـنْ صِيغَ مِـنْ كَـرَمٍ فَعَـزَّ نَظِيـرُهُ ... وَلِفَقْـدِهِ ٱلتِّيجَـانُ غَـابَ نُضَـارُهَـا

هَـٰذَا وَذَاتُكَ أَسْعَدَتْ أَحْسَابَهَا ... بِمَنَاقِبٍ يَمْحُو ٱلدُّجَا أَنْوَارُهَا

وَمَـآثِـرٍ فِـي ٱلْجُـودِ لا آثَـارُهَـا ... تَخْفَـىٰ عَلَـىٰ أَحَـدٍ وَلا إِيثَـارُهَـا

وَمَكَانَةٍ فِي ٱلْعِلْمِ سَلْ أَحْبَارَهَا ... عَنْهَـا فَكُـلٌّ عِنْـدَهُ أَخْبَـارُهَـا

تُصْغِي ٱلْمَحَافِلُ مِنْهُ نَحْوَ عِبَارَةٍ ... يُلْقِي ٱلْجَوَاهِرَ فِي ٱلدُّرُوسِ نِثَارُهَا

وَلَكَمْ جَلا عَنَّا ٱلشُّكُوكَ كَمَا جَلا ... سُودَ ٱللَّيَالِي ٱلْمُظْلِمَاتِ نَهَارُهَا

وَحَمَىٰ حِمَى ٱلشَّرْعِ ٱلشَّرِيفِ بِعَزْمِهِ ... مَا لِلصَّوَارِمِ فِي ٱلطُّلَىٰ آثَارُهَا[1]

فَٱلشَّاةُ لَيْسَ تَخَافُ ذُؤْبَانَ ٱلْفَلا ... وَٱلْعَـدْلُ آنَسَهَـا فَـزَالَ نِفَـارُهَـا

فَلْتَهْـنَ مَـرْتَبَـةُ ٱلْـوِزَارَةِ إِنَّهَـا ... قُـرِنَـتْ بِمَـرْتَبَـةٍ يَعِـزُّ جِـوَارُهَـا

وَحَـوَاهُمَـا ذُو هِمَّـةٍ فِـي جَنْبِهَـا ... أَعْلَى ٱلْكِبَارِ مِنَ ٱلأُمُورِ صِغَارُهَا

اَلصَّاحِبُ ٱبْنُ ٱلصَّاحِبِ ٱلذَّرِبُ ٱلَّذِي ... شَرُفَتْ بِهِ لَخْمٌ وَتَمَّ فَخَارُهَا[2]

وَحَـوَتْ بِـهِ آلُ ٱلْعَـلامِـيِّ ٱلْعُـلا ... وَبِبَيْتِـهِ عَلَـتِ ٱلْكَـوَاكِـبَ دَارُهَـا

فَلْيَفْخَرِ ٱلْمَنْصُورُ مِنْهُ بِصَاحِبٍ ... فِـي دَوْلَـةٍ كَثُـرَتْ بِـهِ أَنْصَـارُهَـا

اِخْتَـارَ فِيـهِ مَحَـاسِنـاً وَمُحَمَّـدِ ٱلْـ ... ـمُخْتَارِ مَا ضَلَّ ٱمْرُؤٌ يَخْتَارُهَا

وَلَقَدْ أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَعِ ٱلرِّضَا ... لَـوْنـاً تَـزِيـدُ سَنـاً بِـهِ أَقْمَـارُهَـا

فَٱسْلَمْ تَقِيَّ ٱلدِّينِ وَٱبْقَ لِدَوْلَةٍ ... تَبْقَىٰ وَبَابُكَ سُورُهَا وَسِوَارُهَا

ولهُ فيهِ قصائدُ ، ولغيرِهِ مِنَ الشعراءِ نظمٌ كثيرٌ ، لو ذكرتُهُ لطالَ ، وكنتُ تشرَّفْتُ بمدحِهِ بقصيدةٍ ؛ **منها** : [من الكامل]

قَصَـدَتْ حِمَـاكَ نَجَـائِبُ ٱلآمَـالِ ... لِتَـؤُولَ مِـنْ نُعْمَـاكَ خَيْـرَ مَـآلِ

---

(١) **الطُّلى** : جمع طُلاة أو طُلْية ؛ وهو العنق .

(٢) **الذَّرِب** : الفصيح ، أو هو الذي صار حديداً ماضياً .

مَا زِلْتُ أُنْضِيهَا وَأَمْنَحُهَا ٱلْمُنَىٰ وَأَحُثُّهَا بِـالشَّـدِّ وَالتَّـرْحَـالِ[1]

وَأَذُودُهَا عَنْ وِرْدِهَا بَعْدَ ٱلظَّمَا صَافِي ٱلْعُيُونِ وَآسِنَ ٱلأَوْشَالِ[2]

أَخْطُو بِهَا لَيْلَ ٱلْخُمُولِ مُكَابِداً لِمَهَـامِـهِ ٱلإِقْتَـارِ وَٱلإِقْـلالِ

حَتَّىٰ إِذَا يَئِسَـتْ وَطَـالَ عَنَـاؤُهَـا سَمَحَـتْ لَهَـا ٱلأَيَّامُ بَعْدَ مِطَالِ

حَمِدَتْ سُرَاهَا حِينَ أَدَّاهَا إِلَىٰ خَضِلِ ٱلرِّيَاضِ وَسَابِغِ ٱلأَظْلالِ[3]

أَرْسَلْتُهَا تَرْعَى ٱلْمَرِيعَ وَطَالَمَا أَمْسَكْتُهَـا لِتَعَفُّفِـي بِعِقَـالِ

وَنَقَعْـتُ غُلَّتَهَـا بِبَحْـرٍ مُعْـذِبٍ سَـاغَـتْ مَشَـارِبُـهُ لِـذِي بَلْبَـالِ

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ ٱلْوَزِيرَ وَجُودَهُ حَسْبِي بَلَغْـتُ نِهَـايَـةَ ٱلآمَـالِ

هَـٰذَا ٱلْوَزِيرُ ٱبْنُ ٱلْوَزِيرِ ٱلْحَاكِمُ ٱبْـ ـنُ ٱلْحَاكِمِ ٱلنَّدْبُ ٱلْكَرِيمُ ٱلآلِ

جَمَعَ ٱلْمَهَابَةَ وَٱلسَّكِينَةَ وَٱرْتَدَىٰ بُـرْدَيْ جَـلالٍ بَـاهِـرٍ وَجَمَـالِ

قَاضٍ يُوَافِقُ حُكْمُهُ حُكْمَ ٱلإِلَـٰـ ـهِ فَـلا يَخَـافُ مَـلامَـةَ ٱلْعُـذَّالِ

ثَبْتُ ٱلْجَنَانِ فَلا تَطِيشُ سِهَامُهُ فِـي يَـوْمِ آرَاءٍ وَيَـوْمِ جِـدَالِ

وَتَـرَى ٱلصَّـوَابَ مُـوَكَّـلاً بِمَقَـالِـهِ أَكْـرِمْ بِـهِ مِـنْ مَنْطِـقٍ وَمَقَـالِ

يَـا رَاقِيـاً دَرَجَ ٱلْمَكَـارِمِ سَـاحِبـاً فَـوْقَ ٱلسِّمَـاكِ سَـوَابِغَ ٱلأَذْيَـالِ

حَقّـاً بِـكَ ٱلتَّـدْرِيـسُ تَـاهَ وَمِنْبَـرٌ يَهْتَـزُّ مِـنْ طَـرَبٍ وَمِـنْ أَحْـوَالِ

شَرَّفْتَ ذَا بِغَزِيرِ عِلْمِكَ مِثْلَمَا شَنَّفْـتَ ذَا بِجَـوَاهِـرٍ وَلآلِـي

خُطَبٌ هِيَ ٱلرَّوْضُ ٱلأَرِيضُ يَجُودُهَا غَيْـثُ ٱلْعُلُـومِ بِمُغْـدِقٍ سَلْسَـالِ

سَحَبَتْ قُوَىٰ سَحْبَانَ عَجْزاً بَعْدَمَا جَرَّتْ جَـرِيـراً نَحْـوَ عِـيٍّ كَـلالِ

وَعْـظٌ هُـوَ ٱلـدُّرُّ ٱلنَّظِيـمُ مُفَـوَّفٌ بِبَـدَائِـعِ ٱلأَخْبَـارِ وَٱلأَمْثَـالِ

---

(١) أنضيها : أهزلها حتى يذهب لحمها .

(٢) الأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

(٣) الخَضِل : كل شيء نديٍّ يترشّف .

وَكَسَوْتَ مِنْبَرَكَ ٱلْعَلِيَّ إِضَاءَةً ... مَلأَتْ قُلُوبَ ٱلْخَلْقِ بِٱلإِجْلالِ
عَجَباً لِسَاعِدَةٍ بِكَفِّكَ كَيْفَ لَمْ ... تُورِقْ بِقَبْضِ بَنَانِكَ ٱلْهَطَّالِ

منها :

أَإِمَامَنَا كُلُّ ٱلْمَنَاصِبِ أَظْهَرَتْ ... شَوْقاً إِلَيْكَ وُقِيتَ عَيْنَ كَمَالِ[1]
وَٱلشَّافِعِيُّ ٱشْتَاقَ قُرْبَكَ حَيْثُ لَمْ ... يَسْمَحْ لِغَيْرِكَ مَرَّةً بِوِصَالِ
أَحْيَيْتَ مَذْهَبَهُ فَحُقَّ لَهُ إِذَا ... وَافَاكَ مَنْصِبُهُ بِغَيْرِ سُؤَالِ
فَلَكَ ٱلْهَنَاءُ بِهِ وَحُقَّ لَهُ ٱلْهَنَا ... يَا غُنْيَةَ ٱلإِعْدَامِ وَٱلإِقْلالِ
يَا مَنْ بِهِ عَمَرَتْ مَعَالِمُ لِلْهُدَىٰ ... لَوْلاكَ أَضْحَىٰ دَارِسَ ٱلأَطْلالِ

ولي فيهِ قصائدُ غيرُ هٰذهِ .

وُلِدَ قاضي القضاةِ تقيُّ الدينِ [في ثاني عشرَ رمضانَ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ][2] ، وتُوفِّيَ يومَ الخميسِ سادسِ جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

---

(١) قوله : (عين كمال) قال الثعالبي في « ثمار القلوب » (١/ ٤٩٩) : (إذا انتهى الشيء إلىٰ منتهاه وبلغ غايته ، ووافق ذلك إعجاب من يراه ، ثم عرض له بعض أعراض الدنيا . . قيل : قد أصابته عين الكمال ، وفي الدعاء : صرف الله عنك عين الكمال) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وقد استدركناه من « تاريخ الإسلام » (٥٢/ ٢٦٢) ، وقال الذهبي : (نقلته من خط الحافظ سعد الدين الحارثي رحمه الله ، وهو عزيز الوجود ؛ أعني : ذكر مولده ؛ فإنه كان لا يخبر به أحداً) ، وبذلك يتبين سبب البياض الذي في (أ ، ب) ، وخصوصاً أن (أ) لم يتح للمؤلف تبييضها تبييضاً تاماً .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٧٢ـ١٧٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٢/ ٢٦١ـ٢٦٢) ، و« رفع الإصر » (ص٢٢٢ـ٢٢٤) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الشريفُ ضياءُ الدينِ جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ بنِ حجُّونَ الحسينيُّ القِنائيُّ الشافعيُّ]

العالمُ الذي تفرَّعَ عن أصلٍ انتمى الأمجادُ إلىٰ دوحةِ مجدِهِ[1] ، وتدرَّجَ حللَ الفخرِ التي وَرِثَها عن أبيهِ وجدِّهِ ، وتفرَّدَ في زمانِهِ فهوَ نسيجُ وحدِهِ ، يسرُّكَ منهُ المنظرُ والمخبرُ ، ويسري إليكَ اليمنُ مِنْ مُحيَّاهُ المشرقِ الأنورِ ، وتتحلَّىٰ مِنْ فرائدِ فوائدِهِ بما يفضحُ الجوهرَ ، وتتملَّىٰ بعذوبةِ إيرادِهِ حتىٰ تقولُ : هـٰذا بحرٌ لا جعفرٌ[2] ، تولَّى المجدَ بدربتِهِ فأسعدَ جَدَّهُ[3] ، فهوَ عالمٌ عارفٌ ما ظلمَ حينَ أشبهَ أباهُ وجَدَّهُ[4] .

وبالجملةِ : فهوَ ضياءٌ طلعَ بينَ شموسٍ وبدورٍ ، وقمرٌ سطعَ قبلَ الغروبِ فهوَ نورٌ علىٰ نورٍ ، فهوَ السيِّدُ الشريفُ ضياءُ الدينِ[5] جعفرُ ابنُ السيِّدِ الشريفِ كمالِ الدينِ محمدِ ابنِ السيِّدِ الشريفِ الوليِّ العارفِ عبدِ الرحيمِ بنِ حجُّونَ الحسينيِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ[6] .

---

(١) في (ب) : (انتهىٰ) ، وتحتمله في (أ) ، وتحتمل أيضاً : (أنهىٰ) ، والمثبت أقرب رسماً ومعنىً .

(٢) الجعفر : النهر الصغير ، وفي كلامه تورية ظاهرة لا تخفىٰ .

(٣) أي : أنمىٰ حظَّه .

(٤) أخذ هـٰذا المعنىٰ من بيت رؤبة الشهير : (من الرجز)

بِـأَبِـهِ اقتـدىٰ عَـدِيٌّ فـي الكَـرَمْ ... ومَـنْ يشـابِـهْ أَبَـهُ فمـا ظَلَـمْ

(٥) ويكنىٰ : أبا الفضل .

(٦) انظر (١/ ٥١٥ـ٥١٧) .

اشتغلَ : على الشيخِ مجدِ الدينِ ابنِ دقيقِ العيدِ ، **وسمعَ** : الشيخَ زكيَّ الدينِ ، والبهاءَ ابنَ الجُمَّيزيِّ ، والشيخَ عزَّ الدينِ بنَ عبدِ السلامِ ، واستفادَ منهُم .

أعادَ بالشافعيِّ بالمدرسةِ الناصريةِ ، ودرَّسَ بمشهدِ الإمامِ الحسينِ بالقاهرةِ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ الناصريةِ الصلاحيةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ ، وتُوفِّيَ مُدرِّساً بها .

وكانَ حسنَ العبارةِ والصورةِ ، خطيباً عَلِيَّ المعاني ، طالعَ الكثيرَ ، **واشتغلَ بالأصولَين** : على الشيخِ مجدِ الدينِ ، وعلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ أيضاً[1] .

وكانَ لهُ النظمُ الحسنُ ، ونظمَ أرجوزةً في أصولِ الفقهِ وأصولِ الدينِ نظماً للمَعالِمَينِ[2] .

وكانَ كثيرَ البِشْرِ طلقَ المُحيَّا ، مليحَ الدُّعابةِ ، مُتوسِّعَ العبارةِ في الفُتيا[3] .

وُلِدَ في مدينةِ قِنا في أواخرِ سنةِ ثمانِ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ فِي [ثاني عشرَ ربيعِ الآخرِ سنةَ] ستٍّ وتسعينَ وستِّ مئةٍ رحمَهُ اللهُ[4] .

* * *

---

(١) **ومن جملة من تخرّج عليه** : أبو العباس ابن الرفعة صاحبُ « المطلب العالي » رحمه الله تعالى .

(٢) أي : « معالم أصول الفقه » و« معالم أصول الدين » ، وكلاهما للإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى .

(٣) وأفتىٰ بضعاً وأربعين سنة على السداد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « الطالع السعيد » (ص٩٤ـ٩٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/١٣٧ـ١٣٨) ، و« المقفى الكبير » (٣/٣٨) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ بهاءُ الدينِ هبةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سيِّدِ الكلِّ العذريُّ القِفْطيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ بهاءُ الدينِ الذي بهِ استبانَ بهاؤُهُ ، والنبيهُ إذا عُدَّ فضلاءُ الصعيدِ ونبهاؤُهُ ، والمهاجرُ في طلبِ العلومِ ، والهاجرُ للدَّعَةِ في رضا الحيِّ القيومِ ، إذا تأمَّلتَ كلامَهُ في صوابِهِ وسدادِهِ ، تيقَّنتَ أنَّهُ هبةُ اللهِ لعبادِهِ .

فهوَ بهاءُ الدينِ[١] هبةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سيِّدِ الكلِّ ، العذريُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ(القِفْطيِّ) .

نشأَ بالصعيدِ ، واشتغلَ بالأصولَين : على الشيخِ مجدِ الدينِ ابنِ دقيقِ العيدِ ، ورحلَ إلى مصرَ واجتمعَ بالشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، والشيخِ زكيِّ الدينِ ، واستفادَ منهُما ، ثمَّ عادَ إلى الصعيدِ ، ودرَّسَ وأفتىٰ بقوصَ وإسْنا .

وشرحَ « تنقيحَ الشيخِ مجدِ الدينِ » في الأصولِ ، وشرحَ « مقدمةَ المطرِّزِ » في النحوِ ، وشرحَ « الهاديَ »[٢] ، وشرحَ « عمدةَ الطبريِّ » ، وصنَّفَ كتاباً في مناقبِ الصحابةِ[٣] ، وصنَّفَ كتاباً في ثناءِ القرابةِ على

---

(١) ويكنى : (أبا القاسم) .

(٢) وهو مختصر نفيس في الفقه ، تأليف الإمام الكبير قطب الدين أبي المعالي الطُّرَيْثِيثي النيسابوري .

(٣) وسمَّاه : « الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة » ، وحكى الفقيه فخر الدين عبد الرحيم بن حريز الإسنائي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم والشيخُ بهاء الدين بين يديه =

الصحابةِ وثناءِ الصحابةِ على القرابةِ[1] .

وكانَ مُتفنِّناً في العلمِ ، وليَ نيابةَ الحكمِ بقوصَ عنِ ابنِ عتيقٍ ، ثمَّ استقالَ مِنْ ذلكَ .

ولم يَزَلْ عاكفاً على الاشتغالِ والإشغالِ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ [بإسنا سنةَ سبعٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ][2] .

* * *

= يقرأ عليه هٰذا الكتاب والنبي يقول له : « أحسنت أحسنت » انظر « الطالع السعيد » (ص٣٩٨) .

(١) والهدف من هٰذا المؤلف والذي قبله : الردُّ علىٰ بقايا الرافضة والشيعة المقيمين بإسنا الذين لم يعتقدوا اعتقاد المصريين ، وانظر مؤلفاته في « الطالع السعيد » (ص٣٩٨) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « البدر الطالع » (ص٣٩٦ـ٤٠١) وترجمه ترجمةً حافلة ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٩٠ـ٣٩٢)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٣٢٥)، وقال ابن السبكي في « الطبقات » : (اختلف في مولده ؛ فقيل : سنة سبع وتسعين وخمس مئة ، وقيل : سنة ست مئة ، وقيل : سنة إحدىٰ وست مئة ، ولعله الأقرب) ، ورأىٰ راءٍ في المنام أن الإمام الشافعي قد مات ، فانتبه فإذا المنادي ينادي : مات البهاء القفطي ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه .

ومنهُمُ :

[الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ المَرْجانيُّ القرشيُّ التونسيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ القدوةُ ، المستمسكُ مِنَ التُّقىٰ بأوثقِ عروةٍ ، العارفُ الذي سُلِبَ لديهِ كلُّ عارفٍ ، والمستملي مِنَ الغيبِ ما ينطقُ بهِ مِنَ المعارفِ ، الراسخُ في العلمِ والحكمةِ ، والناسخُ بضياءِ معارفِهِ دياجيَ المشكلاتِ المُدلهمَّةِ ، والسافرُ لِثامَ الإبهامِ عن وجوهِ التفسيرِ ، والمقولُ للمسترشدِ بهِ : سقطتَ على الخبيرِ ، والحبرُ الذي لا يحسنُ إلا عن مثلِهِ التحبيرُ ، والآتي بما في النفسِ والمكاشفُ بما في الضميرِ ، قدِ افترعَ أبكارَ المعاني التي لم يطمثْها إنسٌ قبلَهُ ولا جانٌّ[1] ، وأنبعَ مِنْ علومِهِ بحاراً كلُّ البحارِ لديها خُلجانٌ ، وأطلعَ مِنْ تلكَ البحارِ جواهرَ ألفاظِهِ فهوَ جوهريٌّ انتسبَ إلى المَرْجانِ .

دخلَ مصرَ علىٰ حينِ غفلةٍ مِنْ أهلِها ، وحَيْنِ نُقْلةٍ ذهبَتْ بأكابرِ علمائِها وجُلِّها ، فجلا صدأَ القلوبِ بما أظهرَهُ مِنْ معارفِهِ وجلَّاهُ ، وأخرجَ أهلَها مِنَ الظلماتِ إلى النورِ حينَ ذكَّرَهُم بأيامِ اللهِ ، وأحيا قلوبَهُم بما يُلقيهِ مِنَ التذكيرِ ، وعرَّفَ جاهلَهُم بعدَ التنكيرِ ، وحجَّ مرَّتينِ ، وزارَ كرَّتينِ .

ثُمَّ أقامَ بمصرَ يسيراً ، وأزمعَ عنها إلىٰ بلادِهِ رحيلاً ومسيراً ، فاستوحشَتْ مصرُ لفراقِهِ ، وانتقلَ إلى الغربِ منيرُ إشراقِهِ ، وكانَ بها أفولُ شمسِهِ ، ومنها قفولُ ناعي نفسِهِ ، فوردَ الخبرُ بانتقالِهِ ، فأحرقَ القلوبَ وأصمَّ الآذانَ مسمعُ مقالِهِ .

---

(١) الافتراع في الأصل : الافتضاض .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ القرشيُّ .

وُلِدَ بتونسَ ونشأَ بها ، وقرأَ العلمَ : على أبي فارسٍ عبدِ العزيزِ بنِ بَزيزةَ ، وعلى أبي عليٍّ بنِ رُشيدٍ ، وقرأَ النحوَ : على أبي عليٍّ الحسنِ الزبيديِّ أحدِ الإخوةِ الثلاثةِ الزبيديينَ ، وصحبَ في التصوفِ : أبا عليٍّ ابنَ السمَّاطِ ، وأخذَ عنهُ طريقَ القومِ .

وجعلَ لهُ اللهُ وُدّاً في قلوبِ أهلِ المشرقِ والمغربِ ، وألقى عليهِ محبَّةً منهُ ، وأجمعَ عليهِ العامَّةُ والخاصَّةُ مُحِبِّينَ لهُ ومُعظِّمَينَ لهُ بما يجبُ مِنْ تعظيمِهِ .

وكانَتْ لهُ اليدُ الطُّولى في الفقهِ ، وأصولِ الدينِ ، والتفسيرِ ، والمعارفِ ، وإيضاحِ المعاني الخفيَّةِ باللفظِ الجليِّ الواضحِ ، الذي يفهمُهُ العاميُّ كما يفهمُهُ العالمُ .

وكانَ يُقالُ لهُ : مِنْ أينَ لسيِّدي هـٰذا كلُّهُ ؟! فيقولُ : أسمعُ كما تسمعونَ ، وصدقَ في ذلكَ رضيَ اللهُ عنهُ ، لم يكنْ ذلكَ في قوَّةِ بشرٍ[1] .

ومِنْ كلامِهِ : ما استملاهُ سيِّدُنا الإمامُ العالمُ الأصيلُ ، عمادُ الدينِ شرفُ العلماءِ ، فخرُ المدرِّسينَ أبو الحسنِ عليُّ بنُ السكَّريِّ نفعَهُ اللهُ ونفعَ بهِ ، ثمَّ عرضَهُ عليهِ فقبلَهُ منهُ ، واستصوبَ فعلَهُ ، ونقلتُهُ عنهُ مُتذكِّراً بهِ ما سمعتُهُ مِنَ الشيخِ .

---

(١) وقال الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٧/ ٣٢٠) : (ولا كان أحد يقدر يعيد ما يقوله ؛ لكثرة ما يقول على الآية ، ولربما فسّر الآية الواحدة على لسان القوم ثلاثة أشهر) ، وقال اليافعي في « مرآة الجنان » (٤/ ٢٣٢) : (ومما بلغني عنه : أنه قيل له : قال فلان : رأيت عمود نور ممتداً من السماء إلى فم الشيخ أبي محمد المرجاني في حال كلامه ، فلما سكت ارتفع ذلك العمود ، فتبسَّم الشيخ ، وقال : ما عرف يعبر ، بل لما ارتفع العمود سكتُّ) .

فمِنْ ذلكَ : قولُهُ في تفسيرِ سورةِ (البروجِ) في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] في آخرِ كلامِهِ في ذلكَ : (﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أي : لا يُنكَرُ فعلُهُ ؛ فتارةً يُرقِّي العبدَ إلى الملأِ الأعلىٰ ، وتارةً يُنزِلُهُ إلىٰ قعرِ البَهْموتِ[1] ، ولا يُقالُ : « كيفَ ؟ » ولا « لِمَ ؟ » إذ هوَ المُتفرِّدُ بالجلالِ لا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ ، ومِنْ ها هنا يظهرُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ »[2] .

قيلَ : إنَّ بعضَ العلماءِ سُئِلَ عن هٰذهِ المسألةِ ، فقالَ ما معناهُ : إنَّ بذلَ جميعِ ما يُقدَرُ عليهِ مِنَ المالِ قليلٌ في إفادةِ الجوابِ ، والجوابُ عن ذلكَ أنَّهُ : كأنَّهُ يقولُ صلواتُ اللهِ عليهِ وسلامُهُ : الباريُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لا يتحيَّزُ ، ولا يختصُّ بجهةٍ ولا مكانٍ ، فلا فرقَ بينَ معنىٰ إسرائي ومُجاوزتي لسدرةِ المنتهىٰ ، وبينَ يونسَ بنِ متَّىٰ وهوَ في بطنِ الحوتِ ، الحكمُ في الاتِّصالِ واحدٌ ؛ إذِ التجلِّي لمَنْ هوَ في بطنِ الحوتِ وفي مقامِ مجاوزةِ السماواتِ والمرورِ على سدرةِ المنتهىٰ . . واحدٌ ، وذلكَ أفعالُ الباريْ ، يُظهِرُ عبدَهُ في صورةٍ وينقلُهُ إلى الضدِّ ، والقدرةُ صالحةٌ للضدِّ والنقيضِ) .

انظرْ وفَّقَكَ اللهُ كيفَ صرَّحَ بنفيِ الجهةِ ، رضيَ اللهُ عنهُ وعنَّا بهِ .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : ما استطردَ بهِ في تفسيرِ سورةِ (سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلىٰ) فقالَ بعدَ ذكرِهِ مقامَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (وإذا تُحقِّقَ ذلكَ ، وأُلهِمَ العبدُ ما وقعَتِ الإشارةُ بطلبِهِ مِنَ العبدِ أولَ ما يفتحُ بصرَهُ على تسبيحِ المولىٰ سبحانَهُ وتعالىٰ وإجلالِهِ في كبريائِهِ ، وعظمتِهِ وجلالِهِ ، ثمَّ يعودُ بعدَ ذلكَ . . يُلاحِظُ جميلَ مخلوقاتِهِ ، وبدائعَ مصنوعاتِهِ .

---

(١) البهموت : الحوت الذي يُزعم أنه يحمل الثور الحاملَ للأرض .

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤١٦) ، ومسلم (٢٣٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فإذا تفهَّمَ معنىٰ قولِهِ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . . فحقيقٌ بالعبدِ ألا يركنَ بسرِّهِ إلىٰ زخارفِ المخلوقاتِ، ولا إلى الرتبِ الدنيويةِ والولاياتِ .

وإنَّ كلَّ مَنْ وجدَ لهُ رسماً أُقِيمَ فيهِ ، ويداً قَوِيَ بها علىٰ أبناءِ جنسِهِ . . يُلاحِظُ في ذلكَ جلالَ مَنْ أقامَهُ وقوَّىٰ يدَهُ ، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ليسَتْ يدَ الجارحةِ ، وإنَّما هيَ يدُ القوَّةِ ؛ إذِ البارئُ سبحانَهُ مُنزَّهٌ عن ذلكَ ، وإنَّما لمَّا كانَتِ اليدُ محلّاً للبطشِ والقوَّةِ كانَ مرادُهُ لمعناها لا لذاتِها ؛ إذِ اليدُ الشلاءُ لا منفعةَ فيها ، فلمَّا تقرَّرَ ذلكَ خاطبَ عبيدَهُ بما يفهمونَهُ مِنَ القوَّةِ والمنَعةِ) .

قالَ الشيخُ رحمَهُ اللهُ : (فإنْ قيلَ : فقد ثنَّى اليدَ في موضعٍ آخرَ ؛ فقالَ : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [ص : ٧٥] ، وقالَ في الجمعِ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ * وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس : ٧١-٧٣] وأنتُم قلتُم : إنَّ المرادَ باليدِ القوَّةُ ، والقوةُ شيءٌ واحدٌ ، فكيفَ تُثنَّىٰ وتُجمَعُ ؟

فالجوابُ عن ذلكَ : أنَّهُ حيثُ أفردَ أرادَ الاتِّصافَ بالقوَّةِ علىٰ كلِّ ذي قوَّةٍ مِنْ سائرِ المخلوقاتِ كما بُيِّنَ ، وحيثُ ثنَّىٰ في آيةِ آدمَ عليهِ السلامُ فقالَ : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ . . وكذلكَ أنَّهُ لمَّا قسمَ ذريةَ آدمَ عليهِ السلامُ إلىٰ قسمينِ في السعادةِ والشقاوةِ . . أنَّ كلّاً منهُما بتقديرِهِ ، فأطلقَ التثنيةَ باعتبارِ القسمينِ المخلوقينِ ، فثنَّىٰ باعتبارِ المخلوقيةِ لا باعتبارِ أصلِ الخلقِ .

وكذلكَ يُفهَمُ مِنَ الجمعِ في الآيةِ الأخرىٰ ؛ حيثُ تعدَّدَتِ المخلوقاتُ مِنْ سائرِ الانتفاعاتِ ؛ كما قالَ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ . . . ﴾ [النحل : ٥-٧] **لما فيهِ**

مِنَ المِنَّةِ بخلقِ الأنعامِ ، وها هنا عدَّدَ المنافعَ ؛ التذلُّلَ والركوبَ والأكلَ والشربَ وغيرَ ذلكَ ، وجمعَ باعتبارِ المنافعِ المخلوقاتِ كأنَّها مِنْ أيدٍ عملَتْ ذلكَ لا باعتبارِ أصلِ الخلقِ) .

انظرْ أرشدَكَ اللهُ إلى الشيخِ : كيفَ أوَّلَ اليدَ بالقوةِ ، وقوّىٰ ذلكَ وناظرَ عليهِ وناضلَ عنهُ بردِّ الأسولةِ ، ولو تصدَّيتُ لما في كلامِهِ ممَّا يدُلُّ علىٰ حسنِ اعتقادِهِ ، وموافقتِهِ لأهلِ الحقِّ . . لطالَ ذلكَ .

عقيدة الإمام المرجاني

وممَّا يُناسِبُ ما نحنُ فيهِ : أنْ نذكرَ عنهُ « عقيدتَهُ » التي كانَ يقرؤُها معَ حزبِهِ في صبيحةِ كلِّ يومٍ ، ويأمرُ أصحابَهُ ومَنْ حضرَ عندَهُ بقراءتِها معَ الحزبِ ، ويحثُّ علىٰ حفظِها ؛ وهيَ :

(اعلموا وفَّقَنا اللهُ وإيَّاكُم لتوحيدِهِ ، وأعانَنا علىٰ لزومِ تمجيدِهِ : أنَّهُ يجبُ علىٰ كلِّ بالغٍ عاقلٍ أنْ يعلمَ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وأنَّهُ واحدٌ لا شريكَ لهُ ، قديمٌ لا أولَ لهُ ، دائمٌ لا آخرَ لهُ ، ليسَ لهُ ضدٌّ ولا نظيرٌ ، ولا مُعينٌ ولا وزيرٌ ، ولا تُماثِلُهُ الموجوداتُ ولا يماثلُها ، ولا تحويهِ الأزمانُ ولا الجهاتُ ولا يَحُلُّ فيها ، ولا يحتاجُ إلىٰ مكانٍ ، ولا يفتقرُ إلىٰ زمانٍ ، هوَ اللهُ سبحانَهُ الآنَ مِنَ التنزيهِ والتمجيدِ والتقديسِ والتعظيمِ علىٰ ما كانَ ، موصوفٌ بصفاتِهِ الأزليَّةِ ، ونعوتِهِ الجليلةِ الأبديَّةِ .

فهوَ سبحانَهُ حيٌّ عالمٌ بجميعِ المعلوماتِ ، قادرٌ علىٰ جميعِ الممكناتِ ، مريدٌ لجميعِ الكائناتِ ، سميعٌ لجميعِ المسموعاتِ ، مُبصِرٌ لجميعِ المرئيَّاتِ ، مُدرِكٌ لجميعِ المُدرَكاتِ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ أزليٍّ ليسَ بحروفٍ ولا أصواتٍ ، لا تتحرَّكُ ذرَّةٌ إلا بإذنِهِ ، ولا يتكوَّنُ موجودٌ إلا بمشيئتِهِ وقدرتِهِ ، فلا يقعُ في

ملكِهِ إلا ما أرادَ ، ولا يجري في خلقِهِ إلا ما قدَّرَ ، لا يشُذُّ عن قدرتِهِ مقدورٌ ، ولا يعزُبُ عن علمِهِ خفيَّاتُ الأمورِ ، لا تُحصىٰ مقدوراتُهُ ، ولا تتناهىٰ معلوماتُهُ ولا مراداتُهُ .

أنشأَ الموجوداتِ كلَّها ، وخلقَ أفعالَهُم بأسرِها ، وقدَّرَ أقواتَهُم وآجالَهُم بجملتِها ؛ فلا يزيدُ ولا ينقصُ ولا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ شيءٌ عن شيءٍ منها ، وهيَ جاريةٌ علىٰ ما رتَّبَها وقدَّرَها في سابقِ علمِهِ ووَفْقِ إرادتِهِ .

مُنزَّهٌ عن صفاتِ الخلقِ ، مُبرَّأٌ عن سماتِ الحدوثِ والنقصِ ؛ فلا تُشبِهُ صفاتُهُ العليَّةُ صفاتِهِم ، كما لا تُشبِهُ ذاتُهُ القدسيةُ ذواتِهِم ؛ فلا يتجدَّدُ عليهِ علمُ معلومٍ ، ولا تحدثُ لهُ إرادةٌ لم تكنْ ، ولا يعتريهِ عجزٌ ولا قصورٌ ، ولا يلحقُهُ سهوٌ ولا فتورٌ ، ولا يغفلُ سبحانَهُ عن أمرٍ مِنَ الأمورِ ، ولا يفعلُ بآلةٍ ، ولا يستعينُ بجارحةٍ ، ولا يسمعُ بأذنٍ ، ولا يبصرُ بحدقةٍ وجفنٍ ، ولا يبطشُ بيدٍ ، ولا يُوصَفُ بلونٍ ، ولا يعلمُ بقلبٍ ، ولا يُدبِّرُ بفكرٍ ، ولا يتكلَّمُ بلسانٍ ، ولا هوَ عرضٌ ولا جوهرٌ ولا جُثْمانٌ ، سبحانَهُ العظيمِ الشانِ !! فلهُ الصفاتُ العلا والأسماءُ الحسنىٰ .

أرسلَ الرسلَ بالبيناتِ ، وأيَّدَهُم وقوَّاهُم بالمعجزاتِ ، وجعلَ آخرَهُم وخاتَمَهُم خيرَ أهلِ الأرضِ والسماواتِ ؛ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ النبيَّ الأميَّ العربيَّ القرشيَّ المكيَّ المدنيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وشرَّفَ وكرَّمَ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، إلىٰ جميعِ الخلقِ كافَّةً ؛ أسودِهِم وأحمرِهِم ، عربيِّهِم وعجميِّهِم ، إنسِهِم وجنِّهِم ، فبلَّغَ الرسالةَ ، وأدَّىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأمانةَ ، ونصبَ الأدلَّةَ علىٰ صدقِهِ ، والبراهينَ الساطعةَ علىٰ صحَّةِ قولِهِ ، فكلُّ ما أخبرَ بهِ عنِ اللهِ سبحانَهُ فهوَ حقٌّ ، وجميعُ ما قالَهُ فهو لا محالةَ صدقٌ .

فممَّا أخبرَ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ المؤمنينَ يرونَ ربَّهُم في الآخرةِ بأبصارِهِم ، وأنَّهُ يبعثُهُم وجميعَ الخلقِ بعدَ الموتِ ، ويحشرُهُم للحسابِ والثوابِ والعقابِ ، وأنَّ الجنةَ والنارَ ، والحوضَ والميزانَ ، والصراطَ والشفاعةَ ، وسؤالَ الملكَينِ المُلقَّبينِ بمنكرٍ ونكيرٍ الميِّتَ في قبرِهِ عن معبودِهِ ونبيِّهِ ودينِهِ . . كلُّ هـٰذا حقٌّ صحيحٌ ثابتٌ ، جاءَتْ بهِ الآثارُ ، والصحيحُ مِنَ الأخبارِ .

كلُّ هـٰذا حقٌّ صحيحٌ ثابتٌ[1] .

هـٰذا اعتقادُ أهلِ السنَّةِ ، وعلماءِ الأمَّةِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ)[2] .

وقد كانَ الشيخُ أبو محمدٍ رحمَهُ اللهُ قد عزمَ على التوجُّهِ إلىٰ بلادِ المغربِ ، فأرسلَ المنصورُ علىٰ يدِ بعضِ الأمراءِ كتاباً إلىٰ مجدِ الدينِ معالي بنِ معالي بنِ قرطاسٍ الجزريِّ ، يسألُهُ أنْ يتلطَّفَ في سؤالِ الشيخِ أبي محمدٍ أنْ يُقيمَ في مصرَ ؛ إنشاءَ البرهانِ بنِ الطرائفيِّ أبدعَ فيهِ كلَّ الإبداعِ .

ومُدِحَ الشيخُ في سائرِ الآفاقِ بالنظمِ والنثرِ ، فممَّنْ مدحَهُ : الأديبُ الفاضلُ كمالُ الدينِ محمدُ بنُ علمِ الدينِ بنِ بشائرَ بأبياتٍ ؛ منها : [من الكامل]

يَا مَنْ مُرُوجُ ٱلْعِلْمِ مَوْطِنُ نَفْسِهِ ... مَا بَالُهُمْ سَمَّوْكَ بِٱلْمَرْجَانِي

إِنْ كَانَ قَصْدُهُمُ ٱلنَّفَاسَةَ وَٱلْعُلَا ... فَلأَنْتَ فَوْقَ ٱلدُّرِّ وَٱلْمَرْجَانِ

وللأديبِ الفاضلِ سراجِ الدينِ عمرَ الورَّاقِ ، وبعثَ بها[3] إلى الشيخِ وهوَ بالإسكندريةِ حينَ توجَّهَ إلى المغربِ : [من الطويل]

---

(١) هـٰذه الجملة ليست في « فتاوى البرزلي » ، ويحتمل أنها زائدة ، أو راجعة إلىٰ جميع العقيدة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) عزا الإمام البرزلي هـٰذه العقيدة في « فتاويه » (٦/ ٣٦١ـ٣٦٢) إلى الإمام أبي جعفر أحمد بن يوسف بن علي الفهري اللَّبْلي صاحب « الفهرس » المشهور ، واللبلي توفي سنة (٦٩١هـ) أي : قبل وفاة المرجاني بثماني سنوات تقريباً .

(٣) قوله : (وبعث بها) أي : بالقصيدة ، وهي مفهومة من السياق .

شَكَا ٱلْمَغْرِبُ ٱلأَقْصَىٰ لَكُمْ مَا شَكَتْ مِصْرُ ... مِنَ ٱلشَّوْقِ لا حَدٌّ لَدَيْهِ وَلا حَصْرُ

وَحُقَّ لِأَقْطَارِ ٱلْبِلادِ ٱشْتِيَاقُهَا ... لَكُمْ وَبِكُمْ فِي ٱلْجَدْبِ يُسْتَنْزَلُ ٱلْقَطْرُ

وَحُبُّكُمُ قَدْ طَارَ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... وَفِي كُلِّ قَلْبِ مُؤْمِنٍ فَلَهُ وَكْرُ

وَحَيْثُ حَلَلْتُمْ حَلَّتِ ٱلرَّحْمَةُ ٱلَّتِي ... بِهَا تُرْفَعُ ٱلْبَلْوَىٰ وَيُسْتَدْفَعُ ٱلضُّرُّ

وَمَنْ لا يَرَاكُمْ قَائِلٌ إِذْ يَرَاكُمُ ... فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا صَغَّرَ ٱلْخَبَرَ ٱلْخُبْرُ

أَأَحْبَابَنَا كَمْ شِمْتُ فِي ٱلْجَوِّ بَارِقاً ... كَأَنَّ سَنَاهُ مِنْ أَسِرَّتِكُمْ بِشْرُ

وَأَخْفَيْتُ فِي طَيِّ ٱلنَّسِيمِ رَسَائِلِي ... فَنَمَّ عَلَىٰ سِرِّي لَكُمْ ذَلِكَ ٱلنَّشْرُ

وَكَمْ جَهْدَ مَا أُخْفِي ٱلْهَوَىٰ فَتُذِيعُهُ ... دُمُوعِي وَهَلْ لِلصَّبِّ مَعْ دَمْعِهِ سِرُّ

وَكُنْتُ أُرَجِّي ٱلطَّيْفَ فِي سِنَةِ ٱلْكَرَىٰ ... فَبَانَا كَمَا بَانَ ٱلتَّجَلُّدُ وَٱلصَّبْرُ

وَأَرَّقَ جَفْنِي نَوْحُ وَرْقَاءَ سُحْرَةً ... يُؤَثِّرُ فِي ٱلأَلْبَابِ مَا أَثَّرَ ٱلسِّحْرُ

شَكَتْ وَشَكَوْتُ ٱلْحُبَّ لَكِنْ أَشَدُّنَا ... هَوىً وَٱشْتِيَاقاً مَنْ مَدَامِعُهُ غُزْرُ

وَأَحْسَبُهَا بَاتَتْ تُكَفْكِفُ أَدْمُعِي ... فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا أَنَامِلُهَا ٱلْحُمْرُ

فَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ لَوْ أَعَارَتْ جَنَاحَهَا ... مَشُوقاً إِلَىٰ أَحْبَابِهِ شَفَّهُ ٱلْهَجْرُ

أَمَا وَٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ وَهْيَ أَلِيَّةٌ ... يَقُومُ بِها لِي بَيْنَ أَهْلِ ٱلْهَوَىٰ عُذْرُ

لَقَدْ شَرُفَ ٱلْمَرْجَانُ مِنْكُمْ بِنِسْبَةٍ ... بِصِحَّتِهَا مِنْ لَفْظِكُمْ شَهِدَ ٱلدُّرُّ

وَقَدْ سَعِدَ ٱلثَّغْرُ ٱلَّذِي قَدْ حَلَلْتُمُ ... بِهِ فَلْيُقَبِّلْ كَفَّكُمْ عَنِّيَ ٱلثَّغْرُ

تَبَسَّمَ عَنْ شَذْرٍ تَنَسَّمَ عَنْ شَذىً ... تَضَوَّعُ مِنْ رَيَّاهُ دَارِينُ وَٱلشِّحْرُ(١)

وَأَصْبَحَ مَحْسُوداً مِنَ ٱلْمُدْنِ كُلِّهَا ... وَذُو ٱلْفَضْلِ مَحْسُودٌ عَلَىٰ ذَا مَضَى ٱلدَّهْرُ

وَمَجْدُكُمُ أَسْمَىٰ وَأَعْلَىٰ مَنَارَهَا ... فَطَالَ إِلَىٰ أَنْ طَارَ مِنْ دُونِهِ ٱلنَّسْرُ(٢)

كَمَا سَعِدَ ٱلْفُسْطَاطُ مِنْكُمْ بِزَوْرَةٍ ... قَدِ ٱشْتَدَّ لِلدِّينِ ٱلْحَنِيفِ بِهَا أَزْرُ

---

(١) الشَّذْر : صغار اللؤلؤ .

(٢) في (ب) : (أمسى) بدل (أسمى) .

وَطَالَ بِهِ ٱلإِيمَانُ شَأْواً فَنُكِّسَتْ   مِنَ ٱلذُّلِّ هَامٌ كَانَ شَمَّخَهَا ٱلْكُفْرُ

وَصُمَّتْ لِذِكْرِ ٱللهِ فِيهِ مَحَافِلٌ   عَلا بَيْنَ أَمْلاكِ ٱلسَّمَاءِ لَهَا ذِكْرُ

وَزَادَ بِهِ ٱلنِّيلُ ٱلْوَفِيُّ بِنُبْلِكُمْ   وَفَاءً فَمَا لِلْبَيْنِ شِيمَتُهُ ٱلْغَدْرُ

وَفَاضَ وَفِضْتُمْ بِٱلْفَوَائِدِ لِلْوَرَىٰ   فَقَالَ ٱلْوَرَىٰ يَا مِصْرُ أَيُّهُمَا ٱلْبَحْرُ

وَجَامِعَ عَمْرٍو كُنْتَ جَامِعَ شَمْلِنَا   بِهِ حَيْثُ لا زَيْدٌ يُفَارِقُهُ عَمْرُو

وَكَمْ طَيَّبَتْ أَسْحَارَهُ مِنْكَ رَوْضَةٌ   تَفَتَّحَ لِلْعِلْمِ ٱلشَّرِيفِ بِهَا زَهْرُ

وَهَذَّبَهُ عِلْمُ ٱلأُصُولِ مِنَ ٱلْوَرَىٰ   فُرُوعاً بِهَا لِلدِّينِ كَمْ أَيْنَعَتْ ثُمْرُ

وَأَظْهَرْتَ فِي ٱلْقُرْآنِ بَعْدَ خَفَائِهَا   كُنُوزاً فَلا وَٱللهِ مَا بَعْدَهَا فَقْرُ

وَبَيَّنْتَ فِيهِ مُشْكِلاتٍ كَأَنَّمَا   بَدَا فِي دُجَاهَا مِنْ عِبَارَتِكَ ٱلْفَجْرُ

فَكُلُّ تَصَانِيفِ ٱلتَّفَاسِيرِ قَطْرَةٌ   إِذَا جَاشَ مِنَّا ٱلْبَحْرُ وَٱلْحَبْرُ وَٱلْبَرُّ

وَأَيَّدْتَ أَحْكَامَ ٱلْكِتَابِ بِسُنَّةٍ   فَأَشْرَقَ مِنْ نُورَيْهِمَا ٱلشَّمْسُ وَٱلْبَدْرُ

وَأَوْضَحْتَ أَنْوَارَ ٱلْمَذَاهِبِ مِنْهُمَا   فَلاحَتْ وَهَلْ تَحْكِي كَوَاكِبَهَا ٱلزُّهْرُ

وَأَوْضَحَ شَيْخُ ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ سُبْلَهَا   فَأَصْبَحَ سَهْلاً مِنْ مَسَالِكِهَا ٱلْوَعْرُ

وَزَادَ أَحَادِيثَ ٱلصَّحِيحَيْنِ صِحَّةً   طَبِيبُ عُلُومٍ مِنْكَ أَفْرَدَهُ ٱلْعَصْرُ

وَمَنْ هُوَ فِي عِلْمِ ٱلطَّرِيقَةِ تُعْتَلَىٰ   طَرِيقَتُهُ ٱلْمُثْلَىٰ إِذَا أَبْهَمَ ٱلأَمْرُ

وَمَا ضَمَّتِ ٱلدَّهْنَاءُ مَا ضَمَّ صَدْرُهُ   فَلَوْ جَالَسَ ٱلأَفْلاكَ كَانَ لَهُ ٱلصَّدْرُ

وَذَلِكَ سِرُّ ٱللهِ فِي كُلِّ عَارِفٍ   بِهِ عَامِلٍ مِنْهُ ٱسْتَوَى ٱلسِّرُّ وَٱلْجَهْرُ

إِلَيْكَ إِمَامَ ٱلْعَصْرِ مِنَّا تَحِيَّةً   لِكُلِّ نَسِيمٍ هَبَّ مِنْ نَشْرِهَا عِطْرُ

وَمِمَّا ٱزْدَهَانَا كُتْبُ قَوْمٍ أَفَاضِلٍ   بِذِكْرِكَ فِيهَا شُرِّفَ ٱلنَّظْمُ وَٱلنَّثْرُ

وَعُذْرِيَ فِي ٱلتَّقْصِيرِ بَادٍ كَعُذْرِهِمْ   وَمَدْحُهُمُ جَهْدُ ٱلْمُقِلِّ وَهُمْ كُثْرُ

وَعَلْيَاكَ قَدْ طَالَتْ إِلَيْهَا مَسَافَةٌ   وَنَحْنُ بِهَا سَفْرٌ يُبَاحُ لَنَا ٱلْقَصْرُ

فَهَبْنَا إِذَا نَاجَيْتَ رَبَّكَ دَعْوَةً   تَكُونُ لَنَا ذُخْراً وَيَا حَبَّذَا ٱلذُّخْرُ

ولو تصدَّيتُ لذكرِ مدائحِهِ لأفنيتُ الأوراقَ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ [سنةَ تسعٍ] وتسعينَ وستِّ مئةٍ بتونسَ [1] .

* * *

(1) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « مرآة الجنان » (٤/ ٢٣٢ـ٢٣٣) ، و« الوافي بالوفيات » (١٧/ ٣٢٠) ، وفي (ب) : (تم الجزء الأول من كتاب « نجم المهتدي ورجم المعتدي » بحمد الله وعونه ، ويليه الجزء الثاني منه ، وأوله : « ومنهم : الشيخ العالم الذي توحَّد في العلوم ، فهو لِعَينِ الزمان إنسانُها » ، والحمد لله أولاً وآخراً) ، وهٰذا التقسيم من الناسخ ، ولم يرد في نسخة المؤلف .

ومنهُمُ[1] :

[الإمامُ المجتهدُ المُجدِّدُ تقيُّ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ بنُ عليٍّ ابنُ دقيقِ العيدِ[2] القشيريُّ القوصيُّ المنفلوطيُّ المالكيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ العالمُ الذي توحَّدَ في العلومِ فهوَ لِعَيْنِ الزمانِ إنسانُها ، وتفرَّدَ في المكارمِ فعنهُ تُسنَدُ أحاديثُها صِحاحُها وحِسانُها ، طالَما وصلَ المنقطعَ وأسندَ الغريبَ ، وتسلسلَ موردُ فضلِهِ وحلا فما الضَّرَبُ لهُ بضريبٍ[3] ، وأحيا قديمَ مآثرِ السلفِ بفضلِهِ الحديثِ ، ونشرَ العلومَ لما عُلِّمَ مِنْ تأويلِ الأحاديثِ ، ورُفِعَتْ رايةُ الروايةِ فتلقَّاها باليمينِ ورفعَها[4] ، وجمعَ أشتاتَ الفضائلِ حتىٰ سمعَ المقالةَ فأدَّاها كما سمعَها ، فهوَ اللافظُ إذا اجتهدَ بالصوابِ ، والحافظُ الذي عندَهُ علمٌ مِنَ الكتابِ ، جوهرةُ ذلكَ البحرِ الذي أبرزَتِ العنايةُ مكنونَهُ ، وسليلُ المجدِ فلأجلِ ذلكَ ما جازَهُ مجدٌ ولا حلَّ دونَهُ[5] .

---

(١) زاد قبلها في (ب) : (بسم الله الرحمٰن الرحيم ، وبه نستعين) .

(٢) وسبب شهرته بـ (ابن دقيق العيد) : أن جده لبس في يوم عيد ثياباً بيضاً ، فرآه جماعة من أهل الريف ، فقال قائل منهم : كأن ثيابه دقيق العيد ، فلزمه هـٰذا اللقب واشتهر به . انظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ٢٢) .

(٣) الضَّرَب : العسل الأبيض الغليظ .

(٤) لا يخفىٰ على القارئ النبيه أخذُه هـٰذا المعنىٰ من قول الشمَّاخ : (من الوافر)

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لمجـدٍ … تلقَّـاهـا عَـرابـةُ بـاليميـنِ

(٥) أشار به : إلىٰ قول أبي نواس يمدح الخصيب ملك مصر : (من الطويل)

فمـا جـازَهُ جـودٌ ولا حـلَّ دونَـهُ … ولـٰكنْ يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ

انظر « ديوانه » (ص٩٩) .

اشتغلَ على والدِهِ ، تابعاً لهُ في مصادرِهِ ومواردِهِ ، ورحلَ في طلبِ الحديثِ ، غيرَ وانٍ ولا مستريثٍ ، وقدمَ مصرَ فزكَّاهُ زكيُّها[1] ، وأعلىٰ بهاهُ بهاؤُها وعليُّها[2] ، وعزَّزَهُما بعزِّ الإسلامِ ، ابنِ عبدِ السلامِ .

واجتهدَ فأصابَ ، وغنيَ بما جمعَهُ مِنَ المسائلِ وغيرُهُ لم يُكمِلِ النصابَ ، وألحقَهُ الجدُّ بالأبِ فما فترَ ولا ونىٰ ، وسبقَ أقرانَهُ مِنْ طلبةِ أبيهِ فنالَ المُنىٰ ، ولقد مدُّوا بأيديهِمُ المجدَ فنالَ فوقَ أيديهِم ثمَّ ثَنَىٰ[3] .

ولم يَزَلْ بينَ تصنيفٍ ، ومطالعةٍ وتأليفٍ ، وإفادةٍ واستفادةٍ ، واستيلاءٍ على الحشويةِ والمبتدعةِ والأصواتيةِ وغيرِهِم مِنْ طوائفِ البدعِ .

هـٰذا ؛ ولهُ التصانيفُ التي أحرزَ علومَها ميراثاً ، والتواليفُ التي أصبحَ الحقُّ بها مُعاناً ومُغاثاً ، والنظمُ الذي غدا سحرُهُ في عُقَدِ النُّهىٰ نفَّاثاً ، ويغدو لدَيها أحذقُ الشعراءِ في بلدِ بَلادتِهِ حَرَّاثاً .

وَلِيَ القضاءَ بالديارِ المصريةِ حينَ تعيَّنَ عليهِ مسؤولاً ، وانتُدِبَ لنصرةِ الشرعِ صارماً مسلولاً ، ثمَّ حدثَ ما أوجبَ تغيُّرَ خاطرِهِ مرَّتينِ ، فصرفَ نفسَهُ كرَّتينِ ، وفي كلتيهِما يُسألُ ويُسترضىٰ ، وتُستأنَفُ لهُ الولايةُ ويُستقضىٰ ، ولم يَزَلْ مُدرِّساً قاضياً ، إلىٰ أنِ انتقلَ إلى اللهِ مَرْضِيّاً راضياً ، جادَ قبرَهُ الغمامُ ، ورحمَهُ الملكُ العلامُ .

---

(١) أي : حافظ عصره الإمام عبد العظيم المنذري زكي الدين .

(٢) أي : الإمام القاضي الفقيه بهاء الدين ابن الجمَّيزي .

(٣) قوله : (المجدَ) كذا في (أ ، ب) ، وهو منصوب علىٰ نزع الخافض ، والعبارة مأخوذة من قول الخنساء : (من المتقارب)

إذا القومُ مدُّوا بأيديهِمُ ... إلى المجدِ مدَّ إليهِ يدا

فنالَ الذي فوقَ أيديهِمُ ... مِنَ المجدِ ثم مضىٰ مُصعِدا

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ تقيُّ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ مجدِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ وهبِ بنِ مطيعِ بنِ أبي الطاعةِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] .

اشتغلَ : علىٰ أبيهِ الشيخِ مجدِ الدينِ[2] ، ثمَّ رحلَ إلىٰ مصرَ[3] ، **فسمعَ** : الشيخَ زكيَّ الدينِ والفقيهَ بهاءَ الدينِ ، وأصحابَ أصحابِ السِّلَفيِّ ، **ثمَّ سمعَ** : ابنَ الجبَّابِ ، وابنَ رواحٍ ، وسبطَ السِّلَفيِّ ، وابنَ المُقيَّرِ ، وجماعةً مِنْ أصحابِ البوصيريِّ ، وجماعةً مِنْ أصحابِ أصحابِ أبي الوقتِ[4] ، ورحلَ إلى الإسكندريَّةِ وإلىٰ دمشقَ ، وكتبَ الكثيرَ وطالعَ وأفتىٰ ، ودرَّسَ ووليَ حكمَ قوصَ مِنْ جهةِ المالكيةِ ، ودرَّسَ بالبلادِ وخطبَ .

ثمَّ دخلَ إلى القاهرةِ ، فوليَ تدريسَ المدرسةِ الفاضليةِ ، ثمَّ دارِ الحديثِ الكامليةِ ، ثمَّ مدرسةِ الإمامِ الشافعيِّ التي أنشأَها الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ المجاورةِ لضريحِ الإمامِ الشافعيِّ ، ثمَّ تولَّى القضاءَ بالديارِ المصريةِ ، وتدريسَ المدارسِ التي جرتْ عادةُ القضاةِ بولايتِها معَ القضاءِ .

وكانَ كريمَ النفسِ ، حسنَ المحاضرةِ ، قويَّ الحفظِ ، كثيرَ الصفحِ والحلمِ علىٰ قدرةٍ ، لا يجزي بالسيئةِ سيئةً ، مُتقشِّفاً مُتحرِّزاً علىٰ دينِهِ في أمرِ الطهارةِ[5] ، وربَّما عرضَ لهُ في ليلةِ النزولُ في البحرِ بثيابِهِ في الليلةِ الباردةِ

---

(١) انظر (٢/ ١٢٠ـ ١٢١) ، وذكر في « الديباج المذهب » (ص٣٢٤) أنه من ذرية بهز بن حكيم القشيري .

(٢) بمدينة قوص ، وعليه تخرَّج في دراية الفقه المالكي ، هـٰذا وقد ذكرت في (١/ ٥٥٤) أن والدته هي بنت الإمام الكبير الشيخ المقترح ، فأصلاه كريمان من بيوت علم وورع وفضل .

(٣) وفيها تحوَّل إلىٰ مذهب الإمام الشافعي ، وحصَّل فيه الغاية روايةً ودرايةً وتوجيهاً واستدلالاً حتىٰ قيل : إنه آخر المجتهدين .

(٤) أي : أبي الوقت السجزي الزاهد الصوفي المسند المعمر المتوفىٰ سنة (٥٥٣هـ) .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في « رفع الإصر » (ص٣٩٤) : (ومن أعظم ما حكي عنه : أنه كان يقول : ما تكلَّمت بكلمة ، ولا فعلت فعلاً . . إلا أعددت له جواباً بين يدي الله تعالى) .

مراراً [. . .][1] ، مُبارِزاً لأهلِ البدعِ مِنَ الحشويَّةِ والأصواتيةِ والقائلينَ بالجهةِ وسائرِ الطوائفِ مِنَ المبتدعةِ ، مُنكِراً عليهم بيدِهِ ولسانِهِ ، ولفظِهِ وجَنانِهِ ، يُغري ويُؤلِّبُ عليهِم ، ولا يدعُ لهُم رأساً قائمةً إلا اقتطعَها[2] ، ولا شجرةً يُخشىٰ شرُّها إلا اقتلعَها .

وكانَ رحمَهُ اللهُ لا يحتقرُ فائدةً ولو مِنْ صغيرٍ[3] ، كثيرَ المطالعةِ ، قليلَ النومِ ، كثيرَ السهرِ ، يستعملُ الأدويةَ المُعِينةَ عليهِ ، وربَّما أتىٰ في الليلةِ الواحدةِ على المجلدِ مِنْ مطالعةٍ وانتقادٍ .

ومِنْ تصانيفِهِ : « شرحُ العمدةِ في الأحكامِ » لعبدِ الغنيِّ[4] ، وكتابُهُ في الأحكامِ المُسمَّىٰ بـ « الإمامِ » ، والمختصرُ المُسمَّىٰ بـ « الإلمامِ »[5] ، و« الاقتراحُ في اختصار علوم ابنِ الصلاحِ » ، و« فوائدُ حديث بريرة » قرّبَها

---

(١) ما بين معقوفين بياض بمقدار ثلاث كلمات في (أ ، ب) .

(٢) كذا في الأصل بالتأنيث في (قائمة) و(اقتطعها) ، والأولىٰ : أن يكون بالتذكير ؛ لأن الرأس أجمعوا علىٰ أنه مذكر ، والمثبت علىٰ تأويل .

(٣) وكان رحمه الله له اعتقاد حسن في المشايخ وأهل الصلاح ؛ حتىٰ إنه كان يزور بعض المشايخ ، فإذا بلغ إلىٰ بابه نزل عن البغلة ونزع الطيلسان والعمامة ، ودخل عليه بطاقية علىٰ رأسه ، وشكا إلىٰ بعض الفقراء من أرباب القلوب وسوسةً يجدها في الصلاة ، فقال له : أفٌّ لقلب يكون فيه غيرُ الله ، فقال ابن دقيق العيد وقد ذكر هـٰذا الفقير المذكور : هو عندي خيرٌ من ألف فقيه . انظر « مرآة الجنان » (٤/ ٢٣٦ـ٢٣٧) .

(٤) أي : المقدسي الحنبلي .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في « رفع الإصر » (ص٣٩٥) : (وقد كنتُ أسمع شيخنا حافظ العصر أبا الفضل بن الحسين ـ أي : الحافظ العراقي صاحب « الألفية » في السيرة والمصطلح ـ يحكي : أن الشيخ أكملَ « الإمام » فجاء في عشرين مجلداً ، وأن بعض المحدثين حسده عليه ، فترقَّب وفاته ، فأخذ الكتاب فأعدمه ، وكان شيخُنا في بعض الأحيان يُسمي الذي أخذ الكتاب ، وهو من الحنابلة ، فلا أوثر تسميته ؛ لأن شيخنا كان يجزم بذلك) .

مِنْ مئتي فائدةٍ ، ولهُ خطبٌ جمعيةٌ[1] ، وخرَّجَ العواليَ ، وعلَّقَ تعاليقَ كثيرةً ، وكانَتْ لهُ اليدُ الطُّولىٰ في الأصولَينِ والخلافِ والمنطقِ .

وصنَّفَ عقيدةً علىٰ طريقةِ أهلِ السنَّةِ ؛ وهيَ :

عقيدة الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد

(الحمدُ للهِ إلـٰهِ العالمِ ، والصلاةُ علىٰ نبيِّهِ محمدٍ سيِّدِ ولدِ آدمَ .

نؤمنُ بأنَّ اللهَ تعالىٰ موجودٌ حيٌّ حقٌّ ، لا أوَّلَ لوجودِهِ ولا انتهاءَ ، وكلُّ ما عداهُ مِنْ مَلَكٍ وفلكٍ ونفسٍ وإنسٍ وجنٍّ . . فوجودُهُ مِنْ صنعِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، لا يستحقُّ الوجودَ الواجبَ شيءٌ سواهُ .

وأنَّ السماواتِ والأرضَ مُحدَثةٌ مُبدَعةٌ بعدَ العدمِ ، كانَتْ بعدَ أنْ لم تكنْ ، ومَنِ اعتقدَ قِدَمَها فقد كفرَ .

ونؤمنُ بأنَّهُ تعالىٰ عالمٌ بجميعِ المعلوماتِ ، مُحيطٌ علمُهُ بالكليَّاتِ والجزئيَّاتِ ، سميعٌ يُدرِكُ المسموعاتِ ، بصيرٌ يُدرِكُ المـُبصَراتِ ، سواءٌ في علمِهِ أجلى الجليَّاتِ وأخفى الخفيَّاتِ ، لا يعزُبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ .

وبأنَّهُ قادرٌ علىٰ جميعِ الممكناتِ ، لا يمنعُ قدرتَهُ مانعٌ ، ولا يدفعُ مشيئتَهُ دافعٌ ، قدرتُهُ علىٰ الأشياءِ بلا مزاجٍ ، وصنعُهُ لها بلا علاجٍ ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ .

وبأنَّهُ مريدٌ مُخصِّصٌ بعضَ الجائزاتِ بالوجودِ دونَ بعضٍ علىٰ حسَبِ

(١) وذكر له ابن السبكي في « طبقاته » (٩/ ٢٣٠-٢٤٤) خطباً بالغة في الإجادة مما أورده في مقدمات كتبه .

مشيئتِهِ ، ويَميزُ صفاتِ بعضِها عن بعضٍ علىٰ حسَبِ إرادتِهِ ، وصدورُ العالَمِ عنهُ بالمشيئةِ والقدرةِ ؛ ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وأنَّهُ مُتكلِّمٌ آمرٌ ناهٍ ، أنزلَ القرآنَ المجيدَ علىٰ نبيِّهِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هدىً للناسِ وبيِّناتٍ مِنَ الهدىٰ والفرقانِ .

وأنَّهُ لا يُشبِهُهُ شيءٌ مِنَ المحدثاتِ ، ولا يُشبِهُ صفاتِهِ صفاتُ المخلوقاتِ ، كما لا يُشبِهُ ذاتَهُ شيءٌ مِنَ الذواتِ ، ولا تَحُلُّ ذاتُهُ ولا صفاتُهُ في شيءٍ ، وكلُّ صفةٍ لا تكونُ إلا للمحدَثاتِ فهيَ مُحالٌ عليهِ تعالىٰ وتقدَّسَ ؛ لوجوبِ قدمِهِ .

مُتقدِّسٌ عن تخييلاتِ الأوهامِ[1] ، مُتعالٍ عن إحاطةِ الأوهامِ[2] ، مُتعالٍ عن إحاطةِ الأفهامِ ، مُتكبِّرٌ عن نقصِ الأجسامِ ؛ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ : ١١] .

مُتَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ ، مُبرَّأٌ مِنْ كلِّ نقصٍ ، مُنتهى الحاجاتِ ، إليهِ يرجعُ الأمرُ كلُّهُ ، مُنفردٌ بالإلهيَّةِ ؛ فلا شريكَ لهُ ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا ولدَ ؛ ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

ونؤمنُ بالقدرِ كلِّهِ خيرِهِ وشرِّهِ ؛ فكلُّ مُتحرِّكٍ مِنْ ذاتٍ وصفةٍ وحركةٍ وسكونٍ . . فمُستنِدٌ إلىٰ قدرتِهِ وإرادتِهِ ؛ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

قدرتُهُ العُظمىٰ حاكمةٌ علىٰ جميعِ القُدَرِ ، ومشيئتُهُ العُليا قاهرةٌ لجميعِ المشيئاتِ ، يحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ ، ويمنعُ إراداتِ المخلوقاتِ أنْ تقعَ إذا

---

(١) في (ب) : (تخيلات) .

(٢) قوله : (متعال عن إحاطة الأوهام) كذا في (أ، ب) ، ولعلها زائدة .

شاءَ ، ويُوقِعُها في نفسِ مَنْ شاءَ ، مِنْ غيرِ سببٍ إذا أرادَ ، ويمنعُ الأسبابَ عن مُسبَّباتِها ، ويقتطعُ المُسبَّباتِ عن أسبابِها ؛ ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

وأنَّهُ تعالىٰ تجوزُ رؤيتُهُ ، وتقعُ في الآخرةِ كما أخبرَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . بالمعنى الذي أرادَهُ ، والوجهِ الذي قصدَهُ ، معَ التنزيهِ عمَّا لا يجوزُ على اللهِ تعالىٰ .

وكذلكَ نقولُ في الألفاظِ المُشكِلةِ الواردةِ في الكتابِ والسنَّةِ : نُنزِّهُ اللهَ تعالىٰ عمَّا لا يليقُ بجلالِهِ ، ونؤمنُ بأنَّها حقٌّ وصدقٌ على الوجهِ الذي أرادَهُ ورسولُهُ[1] .

مَنْ أوَّلَ شيئاً منها : فإنْ كانَ تأويلُهُ قريباً علىٰ ما يقتضيهِ لسانُ العربِ وتفهمُهُ في مُخاطَباتِها . . لم نُنكِرْهُ عليهِ ولم نُبدِّعْهُ ، وإنْ كانَ تأويلُهُ بعيداً توقَّفْنا عن قبولِهِ واستبعدْناهُ ، ورجعْنا إلى القاعدةِ في الإيمانِ بمعناهُ والتصديقِ بهِ على الوجهِ الذي أُرِيدَ بهِ ، معَ التنزيهِ .

وما كانَ معناهُ مِنْ صفةِ الألفاظِ ظاهراً مفهوماً في تخاطُبِ العربِ . . قُلْنا بهِ مِنْ غيرِ توقُّفٍ ؛ كما في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] ، فنحملُهُ علىٰ « حقِّ اللهِ » وما يجبُ لهُ ، أو علىٰ قريبٍ مِنْ هٰذا المعنىٰ ، ولا نتوقَّفُ فيهِ .

وكذلكَ قولُهُ عليهِ السلامُ : « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَٰنِ »[2] ؛ فنحملُهُ علىٰ أنَّ إراداتِ القلبِ واعتقاداتِهِ مُتصرِّفةٌ بقدرةِ اللهِ تعالىٰ وما يُوقِعُهُ في القلوبِ .

---

(١) في (ب) : (أراد حصوله ورسوله) .
(٢) سبق تخريجه (١/ ١٦٥) .

وهكذا سائرُ الأمورِ الظاهرةِ المعنى المفهومِ عندَ سامعيها ممَّنْ يعرفُ كلامَ العربِ[1] .

ونؤمنُ بجميعِ ملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ إيماناً كليّاً ، فمَنْ ثبتَ نعتُهُ ؛ كجبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ وملكِ الموتِ وجبَ الإيمانُ بهِ عيناً ، ومَنْ لم يُعرَفِ اسمُهُ آمنَّا بهِ إجمالاً ، وكذلكَ الكتبُ المنزلةُ .

والأنبياءُ المرسلونَ ؛ مَنْ علمْنا اسمَهُ وجبَ الإيمانُ بعينِهِ ، ومَنْ لم نعلمِ اسمَهُ آمنَّا بهِ إجمالاً .

وما كانَ مِنْ ذلكَ ثابتاً بالنصِّ والتواترِ كفرَ مَنْ يكفرُ بهِ .

ونؤمنُ بأنَّهُ أرسلَ محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ كافَّةِ خلقِهِ بالحقِّ ، وأيَّدَهُ بالمعجزاتِ الباهرةِ ، التي منها القرآنُ المجيدُ ، الذي لا يأتيهِ الباطلُ مِنْ بينِ يديهِ ولا مِنْ خلفِهِ تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ ، أعجزَ البلغاءَ ، وأفحمَ الفصحاءَ ، بعدَ أنْ تحدَّاهُم أنْ يأتوا بمثلِهِ ؛ فقالَ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٨٨] ، ثمَّ تحدَّاهُم بسورةٍ منهُ ؛ فقالَ : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٣] ، فقهرَهُمُ العجزُ أجمعينَ ، وأجابَ مَنْ سبقَتْ لهُ الحسنىٰ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

ثمَّ أيَّدَهُ معَ ذلكَ بالآياتِ المُتعدِّدةِ التي ظهرَتْ علىٰ يديهِ ؛ كالإخبارِ عنِ الغيوبِ ، وتكثيرِ الطعامِ والماءِ ، وانقيادِ الشجرِ ، وحنينِ الجذعِ ، وانشقاقِ القمرِ ، وغيرِ ذلكَ ممَّا صحَّ بهِ الخبرُ ، ونقلَهُ أهلُ العدالةِ ومَنْ يُقطَعُ بصحَّةِ اعتقادِهِم وتديُّنِهِم بتحريمِ الكذبِ .

---

(١) في (ب) : (يفهم) بدل (يعرف) .

معَ ما كانَ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الزَّهادةِ في الدنيا ، والرغبةِ في الآخرةِ وما عندَ اللهِ تعالىٰ ، والاعتمادِ عليهِ في الأمورِ كلِّها ، واطِّراحِ الأسبابِ في الاعتقادِ ، والاعتمادِ علىٰ ربِّ الأربابِ ، وكثرةِ الذكرِ والعبادةِ والتذكيرِ والتبتُّلِ الذي اقتضىٰ تفطيرَ قدمَيهِ مِنَ القيامِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ أحوالِهِ الشريفةِ ، التي لا تُحصىٰ كثرةً ، ولا يحتاجُ مُوفَّقٌ معَها إلىٰ سواها دليلاً ولا غيرَهُ .

ونؤمنُ بأنَّ كلَّ ما جاءَ بهِ مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ حقٌّ وصدقٌ ؛ مِنِ انفطارِ السماءِ ، وانكدارِ النجومِ ، وتكويرِ الشمسِ ، وزوالِ هيئةِ العالَمِ ، وانتقالِ الخليقةِ بأجسامِهِم إلىٰ دارِ الآخرةِ ليُرَوا أعمالَهُم ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ـ ٨] ، ووقوفِهِم للحسابِ ، ووزنِ أعمالِهِم ، وجوازِهِم على الصراطِ ، واستقرارِهِم في دارِ النعيمِ وهيَ الجنةُ ، أو دارِ العذابِ وهيَ النارُ ، كلُّ ذلكَ راجعٌ إلىٰ أمورٍ محسوسةٍ في الجنةِ والنارِ مِنَ النعيمِ والعذابِ .

وكلُّ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ وصحَّتْ بهِ الروايةُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . آمنَّا بهِ علىٰ ظاهرِهِ إذا كانَ ظاهراً جائزاً في العقلِ .

ونؤمنُ بعذابِ القبرِ ونعيمِهِ ، ومُساءلةِ المَلَكَينِ عنِ الإيمانِ ، والصُّورِ والنفخِ فيهِ لردِّ الأرواحِ إلى الأجسادِ ، وبجميعِ ما صحَّ مِنْ أشراطِ الساعةِ علىٰ وجهِهِ وحقيقتِهِ ؛ كنزولِ عيسى ابنِ مريمَ صلَّى اللهُ عليهِ ، وقتلِهِ الدجَّالَ ، وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ ، ودابَّةِ الأرضِ .

ونتولَّىٰ جميعَ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فلا نسبُّ أحداً منهُم ، ولا نُضمِرُ لهم كراهةً ولا نقصاً ليسَ فيهِم ، ونعرفُ لهُم سوابقَهُم وفضائلَهُم ونصرَهُم لدينِ اللهِ تعالىٰ وتمهيدَهُمُ الإسلامَ إلىٰ يومِ الدينِ ؛ فلا

لسانَ ينطقُ بالشهادتينِ بعدَهُم ، ولا ضميرَ يشتملُ علىٰ خصلةٍ مِنْ خصالِ الإيمانِ . . إلا وهوَ في جملةِ حسناتِهم ؛ لتأسيسِ القواعدِ بهم ، ولأنَّهُ مَنْ سنَّ سُنَّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها إلىٰ يومِ القيامةِ ، والإيمانُ أفضلُ الحسناتِ وأعظمُ السننِ ، ولا بلدَ ولا مسجدَ يُذكَرُ فيهِ اسمُ اللهِ تعالىٰ إلا ولهُم في ذلكَ نصيبٌ مِنَ الأجرِ .

وما نُقِلَ فيما شَجَرَ بينَهُم واختلفوا فيهِ فمنهُ ما هوَ باطلٌ وكذبٌ فلا التفاتَ إليهِ ، وما كانَ منهُ صحيحاً أوَّلناهُ علىٰ أحسنِ التأويلاتِ ، وطلبْنا لهُ أجودَ المخارجِ ؛ لأنَّ الثناءَ عليهِم مِنَ اللهِ تعالىٰ سابقٌ ، وما يُنقَلُ يحتملُ التأويلَ ، والمشكوكُ لا يُبطِلُ المعلومَ .

ونعتقدُ صحةَ إمامةِ أبي بكرٍ الصديقِ وعمرَ الفاروقِ وعثمانَ وعليٍّ رضوانُ اللهِ عليهِم أجمعينَ ، لم يَقُمْ منهُم أحدٌ في مقامِ الخلافةِ إلا بحقٍّ ووجهٍ شرعيٍّ ، لا ظلمَ فيهِ ولا حيدَ ولا حيفَ ولا غصبَ .

وسُئِلَ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن أفضلِ الناسِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : أبو بكرٍ وعمرُ ، أَوَفي ذلكَ شكٌّ ؟![1] .

وعلىٰ هـٰذا أئمَّةُ الفتوىٰ وأكابرُ أصحابِ الحديثِ المُتَّسِمينَ بالسنَّةِ .

ونعتقدُ أنَّ الآجالَ التي علمَ اللهُ بوقتِها لا تتقدَّمُ ولا تتأخَّرُ عمَّا علمَهُ ؛ فلا ينقطعُ أجلُ أحدٍ عنِ الوقتِ الذي علمَ اللهُ تعالىٰ وقوعَهُ فيهِ .

ونرىٰ وجوبَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ علىٰ مَنْ قَدَرَ عليهِ وعلمَ المعروفَ والمنكرَ ولم يَخَفْ علىٰ نفسِهِ ضرراً شديداً يشقُّ عليهِ احتمالُهُ ، واللهُ المُوفِّقُ للعصمةِ ، ولا ربَّ غيرُهُ) .

---

(١) المدونة (٤/ ٦٧١) ، وانظر « التهذيب في اختصار المدونة » (٤/ ٦٠٨) .

كانَ للشيخِ تقيِّ الدينِ نثرٌ يفضَحُ الزهرَ ، ونظمٌ يفوقُ نظمَ الدُّرِّ ، استوتْ بديهتُهُ ورويَّتُهُ في ذلكَ .

رسالة الإمام ابن دقيق العيد إلى نوابه في القضاء

فمِنْ منثورِهِ : كتابُ وصيةٍ كَتَبَهُ ، وكتبَ بهِ نُسَخاً ، وبعثَ إلىٰ كلِّ نائبٍ عنهُ في كلِّ إقليمٍ مِنْ أعمالِ الديارِ المصريةِ بنسخةٍ منهُ ؛ وهوَ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

هٰذهِ المكاتبةُ إلىٰ مجلسِ فلانٍ حاكمِ المسلمينَ ، وفَّقَهُ اللهُ لقبولِ النصيحةِ ، وآتاهُ لما يُقرِّبُهُ إليهِ قصداً صالحاً ونيةً صحيحةً .

أصدرْنا إليهِ[1] بعدَ حمدِ اللهِ الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدورُ ، ويُمهِلُ حتىٰ يلتبسَ الإمهالُ بالإهمالِ على المغرورِ ، نُذكِّرُهُ بأيَّامِ اللهِ تعالىٰ وإنَّ يوماً عندَ ربِّكَ كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّونَ ، ونُحذِّرُهُ صفقةَ مَنْ باعَ الدنيا بالآخرةِ فما أحدٌ سواهُ مغبونٌ ، عسى اللهُ أنْ يُرشِدَهُ بهٰذا التَّذكارِ وينفعَهُ ، وتأخذَ هٰذهِ النصائحُ بحُجَزِهِ عنِ النارِ فإنِّي أخشىٰ أنْ يتردَّىٰ فيجرَّ والعياذُ باللهِ مَنْ ولاهُ معَهُ .

والمقتضي لإصدارِها : ما لمحناهُ مِنَ الغفلةِ المُستحكِمةِ على القلوبِ ، ومِنْ تقاعُدِ الهممِ عنِ القيامِ بما يجبُ للربِّ على المربوبِ ، ومِنْ أُنسِهِم بهٰذهِ الدارِ وهم يُزعَجُونَ عنها ، وعلمِهِم بما بينَ أيديهِم مِنْ عقبةٍ كَؤودٍ وهم

(١) في « نهاية الأرب » : (أصدرناها) بدل (أصدرنا) .

لا يتخلَّصُونَ منها ، ولا سيَّما القضاةِ الذينَ تحمَّلُوا عبءَ الأمانةِ علىٰ كواهلَ ضعيفةٍ ، وظهرُوا بصُوَرٍ كبارٍ وهِمَمٍ نحيفةٍ .

ووالله ؛ إنَّ الأمرَ لعظيمٌ ، وإنَّ الخطبَ لجسيمٌ ، ولا أرىٰ معَ ذلك أمناً ولا قراراً ولا راحةً ، اللهمَّ إلا رجلٌ نبذَ الآخرةَ وراءهُ ، واتَّخذَ إلـٰهَهُ هواهُ ، وقصرَ همَّهُ وهمتَهُ علىٰ حظِّ نفسِهِ ودنياهُ ، فغايةُ مطلبِهِ حبُّ الجاهِ ، والمنزلةُ في قلوبِ الناسِ ، وتخيُّرُ الزيِّ والملبسِ ، والرِّكْبةِ والمجلسِ ، غيرَ مُستشعرٍ خُسْرَ حالِهِ ولا ركاكةَ مقصدِهِ ، وهـٰذا لا كلامَ معَهُ ؛ فإنَّكَ لا تُسمِعُ الموتىٰ ، وما أنتَ بمُسمِعٍ مَنْ في القبورِ ، فاتَّقِ اللهَ الذي يراكَ حينَ تقومُ ، واقصرْ أملَكَ عليهِ ؛ فإنَّ المحرومَ مِنْ فضلِهِ غيرُ مرحومٍ .

وما أنا وأنتُم أيُّها النفرُ إلا كما قالَ حبيبٌ العجميُّ وقد قالَ لهُ قائلٌ : ليتَنا لم نُخلَقْ ، فقالَ : قد وقعتُم فاحتالُوا .

وإنْ خفيَ عليكَ بعضُ هـٰذا الخطرِ ، وشغلَتْكَ الدنيا أنْ تقضيَ مِنْ معرفتِهِ الوطرَ . . فتأمَّلْ مِنْ كلامِ النبوَّةِ : « اَلْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ »[1] ، وقولَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبعضِ أصحابِهِ مُشفِقاً عليهِ[2] : « لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى ٱثْنَيْنِ ، وَلا تَلِيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ »[3] .

لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ[4] ، هيهاتَ !! جفَّ القلمُ ، ونفذَ أمرُ اللهِ ، ولا رادَّ لما حكمَ .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣) ، والترمذي (١٣٢٢) ، والحاكم (٤/ ٩٠) عن سيدنا بريدة بن الخصيب رضي الله عنه .

(٢) هو سيدنا أبو ذر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٦) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) زاد النويري في « نهاية الأرب » (٢١/ ٣٠٢) بيتاً شعرياً ؛ وهو : (من المتقارب)

وما أنا والسيرَ في مَتْلَفٍ ... يُبرِّحُ بالذَّكَرِ الضابطِ

ومِنْ هنالكَ شمَّ الناسُ مِنْ فمِ الصدِّيقِ رائحةَ الكبدِ المشويِّ[1] ، وقالَ الفاروقُ : (ليتَ أمَّ عمرَ لم تلدْهُ)[2] ، واستسلمَ عثمانُ وقالَ : (مَنْ أغمدَ سيفَهُ فهوَ حرٌّ)[3] ، وقالَ عليٌّ والخزائنُ بينَ يديهِ مملوءةٌ : (مَنْ يشتري منِّي سيفي هـٰذا ؟ فلو وجدتُ ما أشتري بهِ رداءً ما بعتُهُ)[4] ، وقطَّعَ الخوفُ نِياطَ قلبِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِنْ خشيةِ العرضِ[5] ، وعلَّقَ بعضُ السلفِ سوطاً يُؤدِّبُ بهِ نفسَهُ إذا فترَ[6] .

أفترىٰ ذلكَ سدىً ؟! أم صحَّ أنَّا المُقرَّبونَ وهمُ البُعَداءُ ؟!

وهـٰذهِ أحوالٌ لا تُؤخَذُ مِنْ (كتابِ السَّلَمِ) و(الإجارةِ) و(الجناياتِ) .

نعم ؛ كلُّها يُنالُ بالخضوعِ والخشوعِ ، وبأنْ تظمأَ وتجوعَ ، وتحميَ عينيكَ الهجوعَ .

وممَّا يُعِينُكَ علىٰ هـٰذا الأمرِ الذي دعوتُكَ إليهِ ، ويُزوِّدُكَ في سفرِكَ إلى العرضِ عليهِ : أنْ تجعلَ لكَ وقتاً تعمرُهُ بالتذكُّرِ والتفكُّرِ ، وآناءً تجعلُها مُعدَّةً لجلاءِ قلبِكَ ؛ فإنَّهُ إنِ استحكَمَ صدؤُهُ صعُبَ تلافيهِ ، وأعرضَ عنهُ مَنْ هوَ أعلمُ

---

(١) انظر « مرآة الجنان » (١/ ٦٨) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢٣٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٦٩) .

(٣) أورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ١٨١) ، وقاله سيدنا عثمان لأرقَّائه عندما كان محاصراً ، وكانوا مئة عبد ، وقيل : أربع مئة ، وكانوا يريدون حمايته والمدافعة عنه . انظر « مرآة الجنان » (١/ ٩١) .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧١٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٨٢) .

(٥) انظر « سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي (ص٢٢١) وما بعدها ؛ فإنه عقد باباً ذكر فيه خوفه من الله تعالىٰ .

(٦) ومنهم التابعي الجليل الزاهد القدوة حكيم هـٰذه الأمة أبو مسلم الخولاني ، كما أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٢٧) .

بما فيهِ ، واجعلْ أكبرَ همومِكَ الاستعدادَ للمَعادِ ، والتأهُّبَ لجوابِ الملكِ الجوادِ ؛ فإنَّهُ يقولُ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ـ٩٣] .

وربَّما وجدتَ مِنْ همَّتِكَ قصوراً ، واستشعرتَ مِنْ نفسِكَ عمَّا يُذلِّلُها نفوراً ، فاجْأَرْ إليهِ ، وقِفْ ببابِهِ ؛ فإنَّهُ لا يُعرِضُ عمَّنْ صدقَ ، ولا يعزُبُ عن علمِهِ خفايا الضميرِ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك : ١٤] .

هـٰذهِ نصيحتي إليكَ ، بينَ يدي اللهِ إذا سُئِلتُ عليكَ .

أسألُ اللهَ لي ولكَ قلباً واعياً ونفساً مطمئنةً ؛ بمنِّهِ وكرمِهِ ، والحمدُ للهِ وصلواتُهُ علىٰ سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ[١] .

ومِنْ نظمِهِ الفائقِ : ما قالَهُ علىٰ رأيِ أهلِ التصوفِ : [من الخفيف]

بِـتُّ شَـوْقـاً إِلَـى ٱلْحِمَـىٰ أَتَمَنَّـىٰ ... أَنْ أَرَىٰ بَـرْقَـهُ مِـنَ ٱللَّيْـلِ وَهْنَـا

وَلِعـاً أَرْقُـبُ ٱلنُّجُـومَ فَـلا أَدْ ... رِي هُـدُوّاً وَلا أُغَمِّـضُ جَفْنَـا

فَـإِذَا لاحَ بَعْـدَ طُـولِ عَنَـاءٍ ... رَاحَ مِـنْ حِينِـهِ فَمَـا أَتَهَنَّـىٰ

إِنَّمَـا ٱلْبَـرْقُ حِيـنَ يَبْـدُو سَنَـاهُ ... سَبَبٌ فِي عَذَابِ قَلْبِي ٱلْمُعَنَّىٰ

آهِ مِـنْ وَحْشَـةِ ٱلْفِـرَاقِ وَيَـا حَسْـ ... ـرَةَ مَنْ خَابَ بَعْدَمَا قَدْ تَعَنَّىٰ

لَيْتَ شِعْرِي أَكَانَ هَجْرِي لِمَعْنىً ... عِنْـدَ أَهْـلِ ٱلْعَقِيـقِ أَوْ لا لِمَعْنَـىٰ

ولهُ رادّاً على ابنِ الجوزيِّ حينَ سمعَ قصيدتَهُ في الصفاتِ التي مِنْ جملتِها[٢] : [من الرجز]

---

(١) أورد هـٰذه الرسالة كاملة تلميذُ المترجَمِ الإمامُ النويري في « نهاية الأرب » (٣١/ ٣٠٠ـ٣٠٤) ، والأدفوي في « الطالع السعيد » (ص٣٣٦ـ٣٣٧) ، وذكر أنه كتبها إلى المخلص البهنسي قاضي إخميم .

(٢) القصيدة الدالية في السنة (ق/ ٧٠) ضمن مجموع ، وفيها : (ناجىٰ) بدل (نادىٰ) .

كَـلامُـهُ حَـرْفٌ وَصَـوْتٌ وَبِـهِ نَـادَى ٱلْكَلِيـمَ جَـلَّ مِـنْ مُنَـادِ

فقالَ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] : [من السريع]

دَقَّقْتَ فِي [ٱلْفِطْنَةِ] حَتَّىٰ لَقَدْ جِئْتَ بِمَـا يَسْحَـرُ أَوْ يَسْبِـي[2]
وَصِرْتَ فِي أَعْلَىٰ سَمَـاءِ ٱلْعُـلا حَيْثُ يَرَاكَ ٱلنَّاسُ كَٱلشُّهْبِ[3]
ثُـمَّ تَنَـازَلْـتَ إِلَـىٰ حَيْـثُ لا يَنْـزِلُ ذُو عَقْـلٍ وَلا لُـبُّ
تُثْبِـتُ مَـا تَجْحَـدُهُ فِطْـرَةُ ٱلْـ ـعَقْـلِ وَلا تَشْعُـرُ بِـٱلْخَطْـبِ
أَنْـتَ دَلِيـلٌ [لِـي] عَلَـىٰ أَنَّـهُ يَحُـولُ بَيْـنَ ٱلْمَـرْءِ وَٱلْقَلْـبِ[4]

ولهُ أيضاً : [من المتقارب]

تَخَــوَّنَ مَــالِــي وَأَوْدَىٰ بِــهِ وَلَيْـسَ غِنَـايَ ضَعِيـفَ ٱلسَّبَـبْ
جَفَـاءُ ٱلصُّـدُورِ وَطَبْـعٌ يَجُـورُ فَـلا يَـرْعَـوِي وَشِـرَاءُ ٱلْكُتُـبْ

مدحَهُ جماعةٌ مِنْ شعراءِ الزمانِ بقصائدَ وأبياتٍ ؛ فممَّنْ مدحَهُ : صاحبُنا الفقيهُ العالمُ الفاضلُ الأديبُ البارعُ العدلُ جمالُ الدينِ أبو الحجاجِ يوسفُ بـنُ الأديبِ الفاضلِ البارعِ النحويِّ زينِ الدينِ أحمـدَ بنِ قطنةَ حينَ فرغَ الشيخُ مِنْ « شرحِ العمدةِ » : [من البسيط]

يَا مُنْسِيَ ٱلنَّاسِ حِفْظَ ٱلْحَافِظِ ٱلسِّلَفِي وَيَـا بَقِيَّـةَ مُخْتَـارٍ مِـنَ ٱلسَّلَـفِ
لَمَّا شَرَحْتَ مَعَانِي «ٱلْعُمْدَةِ» ٱنْشَرَحَتْ صُدُورُنَا إِذْ رَأَيْنَا عُمْدَةَ ٱلْخَلَفِ

---

(١) أوردها الأدفوي في « الطالع السعيد » (ص٣٣٣) ، والصفدي في « أعيان العصر » (٤/ ٥٩٥) ، و« الوافي بالوفيات » (٤/ ١٤٥) .

(٢) في (أ) : (الفكر) وهو غير ملائم للوزن ، والمثبت من المصادر السابقة ، ويحتمل أنها في (أ) : (الفكرة) ، وعليه فلا إشكال .

(٣) في المصادر السابقة : (مقاماتها) بدل (سماء العلا) .

(٤) في المصادر السابقة : (يُحال) بدل (يحول) .

وَكَيْفَ لَمْ تَنْشَرِحْ مِنَّا ٱلصُّدُورُ وَقَدْ ... بَدَا ٱلسَّمَاعُ عَلَىٰ رَوْضٍ لَهَا أُنُفِ
كَأَنَّمَا فِكْرُكَ ٱلْغَوَّاصُ يُخْرِجُ مِنْ ... بَحْرٍ بِلا سَاحِلٍ دُرّاً بِلا صَدَفِ

ولجمالِ الدينِ أيضاً في الشيخِ وفي كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « الإمام » : [من الكامل]

وَضعَ « ٱلإِمَامَ » لَنَا ٱلإِمَامُ مُحَمَّدٌ ... فَلَكَمْ أَقَرَّ بِهِ ٱلْعُيُونَ لِمُسْلِمِ
فَإِذَا بَدَتْ كُتُبُ ٱلْجَمَاعَةِ كُلُّهَا ... كَانَ « ٱلإِمَامُ » أَحَقَّهُمْ بِتَقَدُّمِ
فَهُوَ ٱلْمُصَلِّي وَٱلْمُجَلِّي عِلْمُهُ ... حَتَّىٰ يُفَهِّمَ كُلَّ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ[1]
لَوْ أَنْصَفُوا هَـٰذَا ٱلإِمَامَ لَمَا سُمِي ... أَحَدٌ سِوَاهُ بِٱلإِمَامِ ٱلأَعْظَمِ

ولهُ فيهِ أيضاً مِنْ قصيدةٍ : [من البسيط]

حُزْتَ ٱلْبَلاغَةَ إِسْهَاباً وَإِيجَازَا ... حَتَّىٰ ظَنَنَّا ٱلَّذِي تُبْدِيهِ إِعْجَازَا
عِبَارَةٌ لَكَ تُسْتَحْلَىٰ عُذُوبَتُهَا ... فَكَمْ تُقَيِّدُ مَنْ يَأْتِيكَ مُجْتَازَا
نَسِيمُ لَفْظِكَ يَسْرِي فِي ٱلْقُلُوبِ وَمَا ... يَحْتَاجُ لِلإِذْنِ فِي أُذْنٍ إِذَا جَازَا
حَامَتْ خَوَاطِرُ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ طَالِبَةً ... صَيْدَ ٱلْمَعَانِي فَكُنْتَ ٱلأَشْهَبَ ٱلْبَازَا

منها :

كَمْ حَازَ غَيْرُكَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ ... لَـٰكِنَّ شِبْهَ ٱلَّذِي قَدْ حُزْتَ مَا حَازَا
لَمَّا رَأَى ٱللهُ شُكْرَ ٱلْعَالَمِينَ لَهُ ... جَازَاهُمُ بِكَ فِي ٱلنُّعْمَى ٱلَّتِي جَازَىٰ
فَأَنْتَ سَيِّدُ سَادَاتٍ إِذَا جَلَسُوا ... كَانُوا صُدُوراً وَبَاقِي ٱلْقَوْمِ أَعْجَازَا

آخرُها :

خُلِقْتَ سَيْفَ جِدَالٍ قَاطِعاً شُبَهاً ... فَٱسْمَعْ مَدِيحاً لِهَـٰذَا ٱلسَّيْفِ هَزَّازَا

وُلِدَ رحمَهُ اللهُ علىٰ ظهرِ البحرِ حينَ توجَّهَ والدُهُ إلى الحجازِ الشريفِ في

---

(١) المُصلِّي : هو الذي يأتي ثانياً في السباق ، والمُجلِّي : الذي يأتي أولاً .

رجبِ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وستٍّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ثاني عشرَ صفرٍ سنةَ اثنتينِ وسبعِ مئةٍ ، وهوَ الذي يسَّرَهُ اللهُ للأمَّةِ على رأسِ المئةِ الثامنةِ ؛ لأنَّهُ لم يجتمعْ في أحدٍ ما اجتمعَ فيهِ مِنَ العلومِ والديانةِ .

رثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ بعدَ موتِهِ ؛ فممَّنْ رثاهُ : صاحبُنا جمالُ الدينِ ابنُ قطنةَ المذكورُ بأبياتٍ ؛ وهيَ : [من الكامل]

مَـنْ مَـاتَ خَلَّـىٰ مُشْبِهِيـهِ كَثِيـرَا ... وَٱلشَّيْـخُ مَـاتَ وَلَـمْ يُخَـلِّ نَظِيـرَا

أَحْيَا ٱلْعُلُـومَ وَمُتْـنَ يَـوْمَ مَمَـاتِـهِ ... هَيْهَـاتَ لا يَلْقَـىٰ لَهُـنَّ نُشُـورَا

كَمْ مِنْ أَحَادِيثٍ وَأَخْبَارٍ مَضَتْ ... لا تَلْتَقِـي أَحَـداً بِهِـنَّ خَبِيـرَا

مَـنْ لِلْقَـدِيمِ وَلِلْحَـدِيـثِ مُفَسِّـراً ... يَدَعُ ٱلْعَسِيرَ عَلَى ٱللَّبِيبِ يَسِيرَا

مَـنْ لِلـدَّلائِـلِ مُظْهِـراً تَحْقِيقَهَـا ... مَـنْ لِلْمَعَـانِـي مُبْـرِزاً وَمُشِيـرَا

مَنْ يُذْهِبُ ٱلشُّبُهَاتِ وَٱلإِشْكَالَ عَنْ ... أَعْمَى ٱلْهُدَىٰ حَتَّىٰ يَعُودَ بَصِيرَا

مَنْ لِلْفَصَاحَةِ بَعْدَ عَذْبِ عِبَارَةٍ ... مِـنْ طِيـبِ أَنْفَـاسٍ تَفُـوحُ عَبِيـرَا

كُنَّـا إِذَا ضَلَّـتْ أَدِلَّـةُ فَهْمِنَـا ... نَلْقَـاهُ فِـي ظُلَـمِ ٱلْمَسَـائِـلِ نُـورَا

مَا مَلَّتِ ٱلأَسْمَاعُ طُولَ حَدِيثِهِ ... بَلْ كَانَ عُمْرُ ٱلدَّهْرِ مِنْهُ قَصِيرَا

قَدْ كَانَ خَاتَمَ كُلِّ مُجْتَهِدٍ مَضَىٰ ... وَهُـوَ ٱلْمُقَـدَّمُ قَـدْ أَتَـاكَ أَخِيـرَا

مَـنْ مُبْلِـغُ ٱلسَّـارِي إِلَيْـهِ وَفَـاتَـهُ ... كَيْمَـا يُعَطِّـلَ رِحْلَـةً وَمَسِيـرَا

لَـوْ كُنْـتَ تَخْبُـرُ قَلْبَـهُ وَلِسَـانَـهُ ... لَوَجَدْتَ فَضْلَ ٱلأَصْغَرَيْنِ كَبِيرَا

مَا كَانَ أَصْبَرَهُ عَلَىٰ حَمْلِ ٱلأَذَىٰ ... حِلْماً وَكَانَ عَلَى ٱلْجَزَاءِ قَدِيرَا

بِخَـلائِـقٍ مَـرْضِيَّـةٍ وَمَكَـارِمٍ ... تُنْسِي ٱلْمَحَاضِرَ رَوْضَةً وَغَدِيرَا

بَحْـرٌ وَمَـوْلِـدُهُ بِبَحْـرٍ زَاخِـرٍ ... فَلَنَـا سَحَـابُ نَـدَاهُ كَـانَ مَطِيـرَا

قَدْ جَاءَنَا ٱلنَّاعِي نَذِيرَ وَفَاتِهِ ... لَـٰكِـنْ إِلَـىٰ أَهْلِ ٱلْقُبُـورِ بَشِيـرَا

كَمْ عَالِماً أَجْرَىٰ مَدَامِعَهُ وَكَمْ أَبْكَىٰ وَزِيراً قَدْ مَشَىٰ وَأَمِيرَا[1]
كَمْ أَنْزَلَ ٱلْفُرْسَانَ عَنْ مَرْكُوبِهِمْ بِرُكُوبِهِ نَحْوَ ٱلضَّرِيحِ سَرِيرَا
مَاتَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعِيشُ بِفَضْلِهِ وَأَضَاعَ مِنْ هَـٰذَا ٱلأَنَامِ كَثِيرَا
فَٱلطَّرْفُ يُورِدُنَا بِحَارَ مَدَامِعٍ وَٱلْقَلْبُ يُصْلِينَا عَلَيْهِ سَعِيرَا
إِنْ أَخْرَبَ ٱلْمَوْتُ ٱلْمَنَازِلَ بَعْدَهُ فَلَقَدْ بَنَىٰ وَسْطَ ٱلْقُبُورِ قُصُورَا
كَمْ كَانَ يَنْصُرُ فِي ٱلْقَضَاءِ مُحِقَّهُ وَأَتَى ٱلْقَضَاءُ فَمَا ٱسْتَطَاعَ نَصِيرَا
فَٱلنَّاسُ مُشْتَرِكُونَ فِي هَـٰذَا ٱلْعَزَا إِذْ كَانَ أَمْراً فِي ٱلنُّفُوسِ خَطِيرَا
وَٱللهُ يَجْبُرُ فِي مُصَابِ مُحَمَّدٍ قَلْباً لِأَهْلِ ٱلْعِلْمِ بَاتَ كَسِيرَا
وَسُقِي نَدىً يَحْكِي غَزَارَةَ عِلْمِهِ فَلَقَدْ عَهِدْتُ ٱلْعِلْمَ مِنْهُ غَزِيرَا

كانَتِ القصيدةُ أطولَ مِنْ هـٰذا ، لـٰكنَّني اختصرتُها خشيةَ الإطالةِ .

ورثيتُهُ بأبياتٍ ؛ وهيَ : [من الكامل]

أَسَفِي وَهَلْ يُجْدِي طَوِيلُ تَأَسُّفِي أَوْ يَدْفَعُ ٱلأَقْدَارَ فَرْطُ تَلَهُّفِي
هَيْهَاتَ لا يَثْنِي ٱلْحِمَامَ عَنِ ٱلْفَتَىٰ نَوْحُ ٱلْحَزِينِ وَلَوْعَةُ ٱلْمُتَأَسِّفِ
أَمْضَىٰ مِنَ ٱلسَّهْمِ ٱلْمُصِيبِ إِصَابَةً ٱلْـ ـحَتْفِ ٱلسَّرِيعِ إِلَى ٱلنُّفُوسِ ٱلْمُوجِفِ
هَوَتِ ٱلنُّجُومُ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ فَٱلآنَ نَحْنُ بِجُنْحِ لَيْلٍ مُسْدِفِ
وَأَرَى ٱلْبِحَارَ أَوَاجِناً وَنَوَاضِباً وَٱلنَّاسُ سَكْرَىٰ مِنْ مُصَابٍ مُرْجِفِ[2]
وَٱغْبَرَّتِ ٱلدُّنْيَا وَزُلْزِلَ أَهْلُهَا وَبَدَا لَهُمْ عُنْوَانُ هَوْلِ ٱلْمَوْقِفِ
عَظُمَ ٱلْمُصَابُ فَلا مُصَابٌ مِثْلُهُ فِيمَا مَضَىٰ كَلا وَلا ٱلْمُسْتَأْنِفِ

---

(١) قوله : (عالماً) القياس : (عالمٍ) بالجر ، والمثبت على لغة قليلة . انظر « همع الهوامع » (٢/ ٢٧٥) .

(٢) أواجن : جمع آجن ؛ وهو الماء المُتغيِّر .

يَا نَفْسِ ذُوبِي حَسْرَةً لِمُصَابِ مَنْ عَظُمَتْ رَزِيَّتُهُ وَيَا عَيْنِي ٱذْرِفِي
يَا مَعْشَرَ ٱلأَصْحَابِ وَٱلأَحْبَابِ وَٱلْـ إِخْوَانِ هَلْ مِنْ مُسْعِدٍ أَوْ مُسْعِفِ
مَاتَ ٱلتَّقِيُّ ٱلصَّالِحُ ٱلْحَبْرُ ٱلإِمَا مُ ٱلْعَالِمُ ٱلْعَلَّامَةُ ٱلْحَبْرُ ٱلْوَفِي
ٱلطَّائِعُ ٱلرَّاضِي ٱلأَمِينُ عَلَى ٱلْوَرَىٰ وَٱلْمُكْتَفِي بِٱلْحُزْنِ فَهْوَ ٱلْمُقْتَفِي
نَـالَ ٱلشَّهَـادَةَ وَٱلْجِنَـانُ مَقَـرُّهُ فِـي حَـالِ نُقْلَتِـهِ لِأَكْـرَمِ مَـأْلَـفِ
وَا وَحْشَـةَ ٱلأَذْكَـارِ وَٱلأَوْرَادِ مِنْـ ـكَ وَوَحْشَةَ ٱلْمِحْرَابِ ثُمَّ ٱلْمُصْحَفِ
وَا وَحْشَةَ ٱلتَّدْرِيسِ وَٱلْفُتْيَا وَذِرْ وَةِ مِنْبَـرٍ بِـكَ مُشْـرِفٍ وَمُشَـرَّفِ
حَنَّتْ إِلَيْكَ مَنَـاصِبٌ وَمَـرَاتِبٌ بِسِـوَاكَ لَـمْ تَـأْنَسْ وَلَـمْ تَتَـأَلَّـفِ
مَـنْ لِلْيَتَـامَـىٰ وَٱلأَرَامِـلِ بَعْـدَهُ مَنْ لِلْفَقِيرِ ٱلْبَائِسِ ٱلْمُسْتَضْعَفِ
تَلْقَـاهُـمُ طَلْـقَ ٱلْمُحَيَّـا بَـاسِمـاً بِتَـرَحُّـمٍ وَتَحَنُّـنٍ وَتَعَطُّـفِ[1]
مَنْ لِلْحَدِيثِ سَقِيمِهِ وَصَحِيحِهِ مَـنْ لِلـرُّوَاةِ مُـوَثَّـقٍ وَمُضَعَّـفِ
مَـنْ لِلْمُنَـاظِـرِ إِذْ يُصَـوِّرُ شُبْهَـةً لَـوْ رَامَ غَيْـرُكَ حَلَّهَـا لَـمْ يَعْـرِفِ
وَمَسَـائِـلٍ عَــنْ دِينِـهِ بِتَلَهُّـفِ فَتُجِيبُـهُ عَجِـلاً بِغَيْـرِ تَـوَقُّـفِ
يَا رُحْلَةَ ٱلطُّلَّابِ يَطْوُونَ ٱلْفَلَا طَـيَّ ٱلسِّجِـلِّ وَكُـلَّ قَفْـرٍ نَفْنَـفِ
تُثْنِي عَلَيْكَ صَحَائِفٌ أَسْفَارُهَا مَـا بَيْـنَ مُنْتَسَـخٍ وَبَيْـنَ مُصَنَّـفِ
وَحَدِيثُ خَيْرِ ٱلرُّسْلِ كُنْتَ تَصُونُهُ عَنْ وَضْعِ وَضَّـاعٍ وَقَوْلِ مُحَرِّفِ
يَـا سَيِّـدَ ٱلْفُقَهَـاءِ وَٱلْعُلَمَـاءِ بَيْـ ـنَ مُهَـذَّبٍ وَمُفَهِّـمٍ وَمُصَنِّـفِ
يَـا سَيِّـدَ ٱلْخُطَبَـاءِ وَٱلْبُلَغَـاءِ وَٱلْـ ـفُصَحَاءِ بَيْنَ مُدَبَّجٍ وَمُفَوَّفِ[2]
يَا سَيِّدَ ٱلصُّلَحَاءِ وَٱلأَقْطَابِ بَلْ وَٱلنَّاسِ مُنْصِفِهِمْ وَغَيْرِ ٱلْمُنْصِفِ

---

(١) قوله : (بترحم) كُتب فوقها في (أ ، ب) : (ببشاشة) .

(٢) المدبَّج في الأصل : المزين أطراف الثوب بالديباج ، والبرد المفوَّف : الرقيق ، أو الذي فيه خطوط بيض .

أَبْكِيكَ بِٱلدَّمْعِ ٱلْغَزِيرِ فَإِنْ يَغِضْ	أَبْكِي دَماً بَدَلَ ٱلدُّمُوعِ ٱلذُّرَّفِ
وَلَقَدْ وَدِدْتُ بِأَنْ أَكُونَ لَكَ ٱلْفِدَا	وَمَعَ ٱلْفِدَاءِ بِبَعْضِ حَقِّكَ لَمْ أَفِ
بِٱلرَّغْمِ مِنِّي إِذْ أُنَادِي مُسْعِفاً	أَلا تُجِيبَ إِجَابَةَ ٱلْمُتَعَطِّفِ
يَا قَبْرُ قَدْ غَيَّبْتَ عَنْ أَبْصَارِنَا	شَمْسَ ٱلْعُلُومِ فَلَيْتَهَا لَمْ تُكْسَفِ
يَا رَوْضَةً أَزْهَارُهَا وَثِمَارُهَا	لِسِوَاهُ لَمْ تُجْنَىٰ وَلَمَّا تُقْطَفِ[1]
جَادَتْ عَلَيْكَ سَحَائِبٌ مِنْ رَحْمَةٍ	يُزْرِي حَيَاهَا بِٱلْغَمَامِ ٱلْوُكَّفِ[2]

* * *

---

(١) قوله : (لم تجنىٰ) كذا في (أ) بإثبات الألف ، وهو إما ضرورة ، وإما بسبب إشباع الفتحة ، فنشأ بسبب ذلك حرف الألف .

(٢) انظر « الطالع السعيد » (ص٣١٧ـ٣٣٨) ، « وطبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/٢٠٧ـ٢٤٩) ، و« الوافي بالوفيات » (٤/١٣٧ـ ١٤٨) ، و« رفع الإصر » (ص٣٩٤ـ٤٠٣) ، والترجمة في هـٰذه المصادر حافلة .

هـٰذا ولا بد من التنبيه : إلىٰ أنه نُقِلَ عن الإمام ابن دقيق العيد ـ كما في بعض المصادر ـ مدحُهُ لابن تيمية ، وجعلَ أتباعُه هـٰذا المدحَ والإطراء كالحجة لهم في تصحيح طريقة شيخهم وقدوتهم ، وقد بين في « براءة الأشعريين » بطلان هـٰذا النقل وعدم صحته ، وعلىٰ تسليم صحته : فإنه يحمل إطراؤه ومدحه علىٰ أول أمر ابن تيمية لمَّا كان مُتستِّراً بالسلف متظاهراً بالتنسك والعفة ، وقبل أن تشيع مقالاته في أصول الدين وغيره . انظر « براءة الأشعريين » (٢/ ٦١) وما بعدها .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الصالحُ عبدُ العليِّ المغربيُّ المالكيُّ]

الفقيهُ الوليُّ ، والعارفُ الزكيُّ ، والعازفُ عنِ الدنيا الأبيُّ ، الذي كانَ معَ الناسِ كائناً بائناً ، مُصاحِبَهُم مُجانبَهم فيا حسنَهُ مفارِقاً مقارِناً !! لم تُبقِ منهُ العبادةُ إلا الرسمَ الروحانيَّ ، والشبحَ النورانيَّ ، بدتْ عليهِ سيما القومِ وظهَرَتْ ، لمَّا زكتْ سريرتُهُ وطهَرَتْ ، وهوَ معَ ذلكَ يتكتَّمُ حالَهُ والمسكُ يُظهِرُ نشرَهُ الكتمانُ ، ويُخفي نفسَهُ وهيهاتَ تخفى الشمسُ عندَ العيانِ !!

فأمَّا اسمُهُ : فهوَ عبدُ العليِّ بنُ [. . .] بنِ [. . .] المغربيُّ المالكيُّ[1] ، أخونا في اللهِ ، ورفيقُنا في الاشتغالِ على المشايخِ العلماءِ ؛ كالسيدِ الشريفِ شرفِ الدينِ الكركيِّ ، والعلمِ العراقيِّ ، والسراجِ عمرَ الضريرِ المقرئِ .

وكانَ مِنَ العلماءِ العاملينَ المُتورِّعينَ المنقطعينَ إلى اللهِ تعالىٰ ، يُؤْثِرُ الخمولَ وعدمَ الظهورِ ، علىٰ مكانةٍ في العلمِ ، وبسطةٍ في الفهمِ ، وانجماعٍ عنِ الناسِ ، واشتغالٍ بالعملِ وإضناءِ البدنِ ، وإنصابِهِ في السيرِ إلى اللهِ تعالىٰ ، وتشميرٍ في الاجتهادِ ، وتصحيحٍ في الاعتقادِ ، وإظهارٍ للسنَّةِ وموالاةِ أهلِها ، ونفورٍ عنِ البدعةِ وقطعٍ لحبلِها ، وإخلاصٍ في الأعمالِ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يُصرِّحُ بلعنِ المُجسِّمةِ والمُشبِّهةِ ، والقائلينَ بقدمِ الحروفِ ، والقائلينَ بالجهةِ .

حجَّ قبلَ موتِهِ ، وظهرَتْ لهُ كراماتٌ قبلَ موتِهِ وبعدَ موتِهِ .

---

(١) ما بين معقوفين في كلا الموضعين بياض بمقدار كلمة في (أ ، ب) .

أمَّا قبلَ موتِهِ فمنها : ما ذكرَتْهُ حَماتُهُ أمُّ [. . .][1] وهيَ مِنَ الخيِّراتِ ، قالَتْ : (كانَ قد وضعَ عندَنا نفقةً لمَّا سافرَ إلى الحجازِ ، فعرضَ لنا عارضٌ اقتضىٰ أنْ أنفقْناها كلَّها ولم يبقَ عندَنا شيءٌ ، فطرقَ علينا البابَ طارقٌ في شهرِ ذي الحجةِ ، فخرجتُ فعرَّفَني بهِ ، فأردتُ أنْ أصيحَ ، فمنعَني وقالَ : خذي هـٰذهِ النفقةَ فأنفقِيها إلىٰ أنْ أحضرَ مِنَ السفرِ ، وإيَّاكِ أنْ تُخبري بهـٰذا الأمرِ في حياتي أحداً فتُعاقَبي في جسمِكِ ، قالَتْ : فعرفتُ صدقَ قولِهِ ، وامتنعتُ مِنَ الإخبارِ بها إلا بعدَ موتِهِ) ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

وفي ثاني يومِ وفاتِهِ كانَتِ الزلزلةُ العظيمةُ التي بالديارِ المصريةِ ، وحقَّقَ ذلكَ عندَ أهلِها أنَّهُ كانَ عندَما يُظَنُّ بهِ مِنَ الولايةِ ، وأنَّهُ مِنَ الشيوخِ الرُّكَّعِ الذينَ يمسكُ اللهُ بهِمُ العذابَ عنِ البلادِ .

وكانَ خلَّفَ عليهِ دَيناً وصداقاً لزوجتِهِ ، وخلَّفَ موجوداً لا يفي بعُشرِ ما عليهِ ، فوقعَتِ المزايدةُ في تلكَ الآثارِ المباركةِ إلىٰ أنْ وفَّتْ بعونِ اللهِ بما عليهِ ، وذلكَ مِنْ كراماتِهِ رضيَ اللهُ عنهُ وعنَّا بهِ .

تُوفِّيَ في الثاني والعشرينَ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ اثنتينِ وسبعِ مئةٍ .

* * *

---

(١) بياض بمقدار كلمة في (أ ، ب) .

ومنهُمْ :

[الشريفُ علاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الرحمـٰنِ الحسينيُّ الحنفيُّ]

الشريفُ السَّيِّدُ ، والقويُّ على الطاعةِ الأَيِّدُ ، والزكيُّ الأعراقِ والمولدِ ، ضربَ في كلِّ العلومِ بنصيبٍ ، وأصابَ في اجتهادِهِ لمَّا تحقَّقَ أنَّ كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ ، وقرَّبَهُ مِنَ الأكابرِ خُلُقُهُ الجميلُ ، فهوَ الغريبُ القريبُ ، يُستنزَلُ بغُرَّتِهِ الواضحةِ الغمامُ ، ويُشاهَدُ مِنْ ميمونِ نقيبتِهِ بدرُ التمامِ ، ويهتدي بإمامتِهِ آمُّهُ فهوَ المأمومُ الإمامُ ، قد تشرَّفَ بهِ ذَرا محرابٍ وذُرا منبرٍ ، ورُفِعَ أعلى المراتبِ فتواضعَ وما استكبرَ ، وجُمِعَتْ فيهِ محاسنُ الأخلاقِ وليسَ للهِ بمُستنكَرٍ .

غيرَ أنَّهُ أجرتْهُ الأيامُ علىٰ ما لها مِنَ العاداتِ ، وأجَرَّتْهُ أذيالَ الخمولِ أسوةَ أمثالِهِ مِنَ الساداتِ ، فأُتيحَ لهُ اجتباءُ الوزيرينِ ، فأصبحا لهُ على الأيامِ ظهيرينِ ؛ الحبابِ التاجيِّ ، والحبابِ الزينيِّ ، فأمدَّاهُ بما شاءَ مِنْ سرورٍ واغتباطٍ ، وساعدا بما شاءَ مِنَ المالِ والقوةِ والرباطِ ، واصطفياهُ معاملةً لجدِّهِ المصطفىٰ ، وشفيا ببلوغِ المنىٰ أملَهُ بعدَ أنْ كانَ مِنَ اليأسِ علىٰ شَفاً ، وأظلَّاهُ غمامتينِ تجودانِ إنْ بَخِلَ الغمامُ ، وتذودانِ بإبراقِهِما وإرعادِهِما عنهُ نوائبَ الأيامِ ، وسنَّيا مآربَهُ فالنجحُ لهُ عبدٌ والزمانُ غلامٌ ، وآواهُ حماهُما الذي لم يُرَ عافياً مِنْ عَافٍ[1] ، وأورداهُ برَّهُما الذي أغدقَتْ عليهِ بهِ سحائبُ الألطافِ ،

---

(١) أي : خالياً من سائل ، وأشار به : إلىٰ قول أبي تمام : (من الكامل)

حتمٌ عليكَ إذا حللتَ مَعانَهُم ألا تـراهُ عـافيـاً مِـنْ عـافِ

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٩٣) .

فأخصبَ مرعاهُ فتخيَّرَ وما انتجعَ ، ولم يخترِ الخروجَ مِنْ تلكَ الروحِ التي لهُ بها مصطافٌ ومُرتبَعٌ ، لا جرمَ أثنتْ عليهِما حقائبُهُ ولسانُهُ ، ودعا لهُما بيانُهُ وجَنانُهُ .

غَدَا يَجْتَنِي نَوْرَ ٱلْوِدَادِ وَيَكْتَسِي ... مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلْغَضِّ ٱلَّذِي يُلْبِسَانِهِ

وَيَأْخُذُ مِنْ أَيْدِيهِمَا وَهَوَاهُمَا ... فَلا عَجَبٌ أَنْ يَأْخُذَا مِنْ لِسَانِهِ[1]

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشريفُ علاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أحمدَ بنِ مُجلِّي بنِ حسينِ بنِ أبي الصقرِ بنِ سليمانَ بنِ إبراهيمَ بنِ عليِّ بنِ أبي القاسمِ محمدِ بنِ أبي الروحِ عيسى بنِ الحسينِ بنِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ زيدِ بنِ عليٍّ زينِ العابدينَ ابنِ الإمامِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ .

صحبَ الشيخَ : كمالَ الدينِ أبا العباسِ أحمدَ العلويَّ التاجوريَّ ، وبعثَ إليهِ الشيخُ شهابُ الدينِ السُّهرَورديُّ بخرقةٍ على يدِ والدِهِ الشريفِ أبي القاسمِ ، وصحبَ الشيخَ : شمسَ الدينِ بنَ سودكينَ أيضاً عنِ الشيخِ شهابِ الدينِ ، ولبسَ خرقةَ التصوفِ أيضاً : مِنَ الشيخِ ابنِ نعيمٍ ، وهيَ خرقةُ سيدي أحمدَ بنِ الرفاعيِّ ، وصحبَ : شرفَ الدينِ عبدَ العزيزِ شيخَ شيوخِ حماةَ ، وأفادَ واستفادَ ، وقرأَ القرآنَ على جماعةٍ مِنَ المشايخِ ذكرَهُم في « مشيختِهِ » .

واشتغلَ بمذهبِ الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، ومهرَ فيهِ وفي علمِ النحوِ والتفسيرِ ، ووليَ تدريسَ المدرسةِ المعروفةِ بـ (الملكِ الناصرِ) ببيتِ المقدسِ ، ثمَّ أُحضِرَ إلى مصرَ ووليَ الخطابةَ بالجامعِ الحاكميِّ مدَّةً ، ثمَّ

---

(١) البيتان لأبي تمام في « ديوانه » (ص٣٠٣) طبعة المكتبة العلمية ، وسقط الأول من طبعة المعارف (٣/٢٩٦) ، وهما من الطويل .

خطبَ بجامعِ قلعةِ الجبلِ مدَّةً ، ثمَّ تركَهُ وانقطعَ مُقبِلاً على الزَّهادةِ والعبادةِ والورعِ التامِّ .

وكانَ جمعَ حسنَ المنظرِ ، وجميلَ المخبَرِ .

وصحبَ الشيخَ : أبا محمدٍ المرجانيَّ لمَّا قدمَ مصرَ مدَّةَ إقامتِهِ بمصرَ ، وكانَ يحضرُ مجلسَ تذكيرِهِ قائماً على قدميهِ إلىٰ حينِ فراغِهِ ، وكانَ حلوَ العبارةِ ، حسنَ التأنِّي ، غزيرَ الحلمِ ، وافرَ الأناةِ ، رفيقاً رقيقَ القلبِ ، بهيَّ السمتِ ، كثيرَ التواضعِ .

وبالجملةِ : فقلَّ أنْ رأيتُ شريفاً مثلَهُ .

وصنَّفَ تصانيفَ وعلَّقَ تعاليقَ غسلَ أكثرَها ؛ لأنَّهُ عارضَهُ في الإخلاصِ معارضٌ ، وقالَ : (في تصانيفِ العلماءِ المُتقدِّمينَ كفايةٌ ، وأنا لا آمنُ الخطأَ ؛ فربَّما أُخطئُ فأُضِلُّ أحداً بذلكَ ، فلا أتركُ شيئاً منها) .

تُوفِّيَ في خامسِ المحرمِ سنةَ ثلاثٍ وسبعِ مئةٍ .

* * *

ومنهُم :

[الإمامُ الفقيهُ الأصوليُّ المناظرُ علمُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ عليٍّ الأنصاريُّ الأوسيُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ(ابنِ بنتِ العراقيِّ)]

الفاضلُ المُتفنِّنُ ، والمُتحلِّي بالعلومِ المُتزيِّنُ ، والمُوضِّحُ المشكلاتِ المُبيِّنُ ، لو رأيتَهُ لرأيتَ العالَمَ في صورةِ إنسانٍ ، والعالِمَ الذي تحلَّىٰ بحُلِيِّ الإجادةِ والإحسانِ ، يضربُ في كلِّ فنٍّ بسهمٍ ، ويُقدِمُ في المناظرةِ إقدامَ البطلِ الشَّهمِ .

همَّةٌ تعلَّقَتْ بمناطِ الفرقدِ ، وفطنةٌ تألَّقَتْ كأنَّها دُرِّيٌّ يُوقَدُ ، وعلمٌ يتلألأُ في رأسِهِ نورُ الهدايةِ ، ويُدركُ بلقائِهِ غايةُ النهايةِ ، حفيدُ خطابةٍ ، ومُقدَّمُ عصابةِ الإصابةِ .

لم يَزَلْ بينَ اشتغالٍ وإشغالٍ ، وإدآبِ نفسٍ في الحفظِ وإعمالٍ ، لا يقتصرُ علىٰ فنٍّ ، ولا يقنعُ في علمٍ بظنٍّ ، قطعَ عمرَهُ بين تدريسٍ وتصدُّرٍ ، وتفسيرٍ وتدبُّرٍ ، وشرحِ مسائلَ ، وشفاءِ غليلِ السائلِ ، وفتيا وإملاءٍ ، وتصنيفٍ وإقراءٍ . . إلىٰ أنِ استوفىٰ أجلَهُ ، فانتقلَ مُوفَّىً عملَهُ ، أحلَّهُ اللهُ دارَ الرُّضوانِ ، ومنحَهُ العفوَ والغُفرانَ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ علمُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ عليِّ بنِ عمرَ ، المعروفُ بـ(ابنِ بنتِ العراقيِّ)[1] الأنصاريُّ الأوسيُّ الشافعيُّ .

---

(١) أي : أبي إسحاق شارح « المهذَّب » فعلم الدين يكون سبطاً له ، ومرَّ سابقاً في (١/ ٥١٩) أن أبا إسحاق لم يكن عراقياً ، وإنما رحل إلى العراق لطلب العلم ثم قدم مصر ، فلُقِّب بالعراقي .

وُلِدَ بقرافةِ مصرَ الصُّغرىٰ بتربةِ أمِّ الأشرفِ ، ونشأَ بمصرَ ، وقرأَ القرآنَ بالرواياتِ السبعِ : على الشيخِ كمالِ الدينِ الضريرِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] ، وأُجِيزَ منهُ بها ، واشتغلَ بالفقهِ بزاويةِ ابنِ الجُمَّيزيِّ : علىٰ ضياءِ الدينِ عبدِ الحكمِ بنِ المقسطيِّ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، وعلى الشيخِ شرفِ الدينِ بنِ التِّلِمْسانيِّ بالفقهِ والأصولَينِ ، وعلى الشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ بفنِّ الحديثِ قراءةً وسماعاً ، وعلى الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وعلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ .

ومهرَ وبرعَ ، وتصدَّرَ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ المحروسةِ مكانَ ابنِ عينِ الدولةِ ، ووليَ الإعادةَ بالمدرسةِ الصالحيةِ بالقاهرةِ المعزيةِ في أواخرِ زمنِ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ وصدراً مِنْ ولايةِ صدرِ الدينِ ولدِهِ ، ثمَّ أعادَ بالشريفيةِ بالقاهرةِ بالملحيينَ ، ثمَّ درَّسَ بمشهدِ السيدِ الحسينِ بعدَ أقضى القضاةِ جمالِ الدينِ يحيىٰ ، ثمَّ انتقلَ عنهُ ، ثمَّ تولَّىٰ تدريسَ الشريفيةِ التي كانَ مُعيداً بها ، ثمَّ تولَّىٰ تدريسَ التفسيرِ بالقبَّةِ المنصوريةِ ، ومشيخةَ ميعادِ علاءِ الدينِ بالجامعِ العتيقِ[2] .

وصنَّفَ كتباً وعلَّقَ تعاليقَ ، وأفردَ الاعتزالَ عنِ « الكشافِ » ونبَّهَ عليهِ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ حسنَ المعاشرةِ ، حلوَ الفكاهةِ ، مليحَ التندُّرِ ، حادَّ الجوابِ ، كثيرَ الحفظِ ، فكهَ المحاضرةِ ، ذا فنونٍ عديدةٍ ، وأجوبةٍ بالصوابِ عتيدةٍ .

---

(١) انظر (٢/ ٨٤ـ ٨٥) .

(٢) ومن جلة تلاميذه الذين تخرَّجوا عليه في التفسير : الإمام الكبير المجتهد تقي الدين السبكي رحمه الله تعالىٰ .

كتبَ إليهِ الأميرُ الأديبُ ناصرُ الدينِ حسنُ بنُ النقيبِ : [من المنسرح]

يَا عَلَماً يَهْتَدِي بِهِ أَبَداً ... فِي طُرُقِ ٱلْعِلْمِ قَادَةُ ٱلْعُلَمَا

وَمَنْ يُجَلِّي صُبْحَ ٱلْبَيَانِ لَنَا ... وَمَنْ يُحَلِّي بِلَفْظِهِ ٱلْكَلِمَا

أَنْتَ ٱلَّذِي كُلَّمَا دَجَتْ ظُلَمٌ ... مِنْ مُشْكِلِ ٱلْبَحْثِ كَشَّفَ ٱلظُّلَمَا

وَمَنْ إِذَا نُسْخَةٌ شَكَتْ سَقَماً ... طَالَعَ فِيهَا فَأَذْهَبَ ٱلسَّقَمَا

يَا سِبْطَ ذَاكَ ٱلإِمَامِ نَجْلَ أَبِي ... إِسْحَاقَ ذَاكَ ٱلَّذِي غَدَا عَلَمَا

جُدْ لِي بِشِعْرٍ كَخَمْرَةٍ مُزِجَتْ ... بِلَفْظِكَ ٱلْعَذْبِ لا بِعَذْبِ لَمَىٰ

تَفْتِنُ مُسْتَيْقِظاً مَحَاسِنُهُ ... وَنَائِماً فِي ٱلْكَرَىٰ بِهِ ٱحْتَلَمَا

يُشَرِّفُ ٱلطِّرْسَ إِذْ يُخَطُّ بِهِ ... وَٱلْكَفَّ إِنْ سَطَّرَتْهُ وَٱلْقَلَمَا

نَظْمٌ إِذَا مَا ٱلْحَسُودُ فَضَّلَهُ ... أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ وَمَا ظَلَمَا

لا دَنَسٌ مَا تَضِنُّ بِهِ ... مِنْ عِرْضِكَ ٱلْمُنْتَقَىٰ ولا ثُلِمَا[1]

فأجابَهُ الشيخُ علمُ الدينِ :

يَا أَوْحَدَ ٱلأَكْرَمِينَ وَٱلْعُلَمَا ... وَمَنْ غَدَا فِي فُنُونِهِ عَلَمَا

يَا كَعْبَةً أَمَّهَا مُؤَمِّلُهَا ... مُقَبِّلاً رُكْنَهَا وَمُسْتَلِمَا

فَحَقَّقَتْ مِنْ رَجَائِهِ أَمَلاً ... وَبَاعَدَتْ عَنْ ضَمِيرِهِ أَلَمَا

يَا نَاصِرَ ٱلدِّينِ ثُمَّ يَا حَسَناً ... قَدْ هَدَّ رُكْنَ ٱلضَّلالِ وَٱصْطَلَمَا

كَمْ مُشْكِلاتٍ قَدْ أَعْضَلَتْ أُمَماً ... جَلَوْتَ عَنْهَا بِعِلْمِكَ ٱلظُّلَمَا

قَدْ سَادَ كُلَّ ٱلْوَرَىٰ بِمَحْتِدِهِ ... وَحِلْمِهِ مُنْذُ نَاهَزَ ٱلْحُلُمَا

وَلَمْ تَشُقْهُ وُرْدُ ٱلْخُدُودِ وَلا ... وِرْدُ عُذَيْبٍ وَلا عُذَيْبُ لَمَىٰ

(١) كذا البيت في (أ، ب) ، والشطر الأول غير موزون ، ويستقيم إذا أضفنا كلمة (منك) أو نحوها بعد (دنس) ، والله تعالى أعلم .

بَـلْ يَقْظَـةٌ [لِلْعُلُـومِ] هِمَّتُـهُ ٱلْـ ـعُلْيَا وَنَامَ ٱلْجَهُولُ فَٱحْتَلَمَا[1]

فَـأَسَّـسَ ٱلْمَجْـدَ مِـنْ قَـوَاعِـدِهِ وَشَـادَ مَـا قَـدْ وَهَـىٰ وَمَـا ٱنْثَلَمَـا

أَمَـرْتَنِـي أَنْ أُجِيـزَ مَـا بَهَـرَ ٱلْـ ـعَقْـلَ وَأَعْيَـا ٱللِّسَـانَ وَٱلْقَلَمَـا

وَإِنَّ سَحْبَـانَ لا يُقَـابِلُـهُ بَـاقِـلُ عِـيٌّ مَجْمَـجَ ٱلْكَلِمَـا[2]

وَدَافِـعُ ٱلسَّيْـلِ بِـٱلْغُثَـاءِ غَـوٍ كَـدَابِـغٍ وَٱلأَدِيـمُ قَـدْ حَلِمَـا

وَمَنْ يُصَوِّرْ مِنْ عِرْضِهِ غَرَضاً بِمِثْـلِ ذَا ٱلنَّظْـمِ قَلَّمَـا سَلِمَـا

فَـامْنُـنْ بِعَفْـوٍ عَمَّـا جَنَتْـهُ يَـدِي مِثْلُكَ يَا بْنَ ٱلنَّقِيبِ مَنْ حَلُمَا

لا زِلْـتَ كَهْفـاً وَمَلْجَـأً أَبَـداً تَأْسُو مِنَ ٱلدَّهْرِ كُلَّمَا كَلَمَا[3]

وُلِدَ علمُ الدينِ يومَ السبتِ تاسعَ جمادى الأولىٰ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في سادسِ صفرٍ سنةَ أربعٍ وسبعِ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ بالمُصلَّىٰ ظاهرِ القاهرةِ ، ودُفِنَ بقرافةِ مصرَ الصُّغرىٰ بالقربِ مِنْ تربةِ الكِيزانيِّ[4] .

* * *

(١) في الأصل : (للعلم) بدل (للعلوم) ، والمثبت أنسب بالوزن .

(٢) يقال : مجمج الكتاب : خلطه ولم يبين حروفه .

(٣) ويحتمل أن يكون في (أ) : (يأسو) بدل (تأسو) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٠/ ٩٥ـ ٩٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٩/ ٦٥) ، و« الدرر الكامنة » (٣/ ٢٠٠ـ ٢٠١) ، وفي هـٰذه المصادر ولادته سنة (٦٢٣هـ) ، والمثبت ذكره في « الدرر الكامنة » قولاً ثانياً .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الوزيرُ الصاحبُ زينُ الدينِ أبو العباسِ
أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ابنُ حنَّا الشافعيُّ]

الصاحبُ الوزيرُ ، والعالمُ الخبيرُ ، والفتى المشيرُ ، الذي هوَ تليدُ وزارةٍ أعرقَ انتسابُها ، ونصبَتْ على مشرعِهِ المكارمَ قبابُها ، وألفَ وألَّفَ الواردينَ رحابُها وترحابُها ، رُبِّيَ ما بينَ بطنِ مهادٍ مُدبَّجٍ ، وظهرِ جوادٍ مُسْرَجٍ ، يقصُرُ عن لَحاقِهِ لاحقٌ ويَعوجُّ لديهِ أعوجُ ، يرتضعُ أفاويقَ التوفيقِ ، مُراضعاً للجَدِّ والسعدِ اللذينِ تحالفا أنْ لا تفريقَ ، إلىٰ أنِ استحقَّ أنْ تُفارِقَهُ تمائمُهُ ، ويُعوَّضَ عنها ما يُناسِبُهُ مِنْ ملابسِ السيادةِ ويلائمُهُ ، فدأبَ في تحصيلِ الفضائلِ ، وتلقِّيها مِنَ العلماءِ الأفاضلِ ، حتىٰ أحرزَ منها الحظَّ المكينَ ، ووفاهُ نُجحُهُ ما الطلبُ بهِ كفيلٌ ، والاجتهادُ بهِ ضمينٌ ، وحقَّقَ لهُ تفردُهُ أنَّهُ الذي نفرَ عن أهلِهِ ليتفقَّهَ في الدينِ ، فحينَئذٍ سادَ عشيرتَهُ أمردا ، وحازَ حلَّةَ الفخرِ حينَ ائتزرَ بالمكارمِ وبالتقوى ارتدىٰ[1] ، فأدركَتْ عشيرتُهُ بهِ سرورَ الصديقِ وكبتَ العدا .

تولَّى التدريسَ بمدرسةِ جدِّهِ سنينَ ، يُلتقَطُ مِنْ فوائدِهِ الجوهرُ الثمينُ ، ولم تَزَلْ تلكَ المدرسةُ محطَّ رحالِ العلماءِ ، ومنتهىٰ رغبةِ الفضلاءِ ؛ يُقصَدُ مِنَ الشامِ والعراقِ ، وتُرسَلُ أعنَّةُ جيادِ الإجادةِ بها في طَلَقِ الاستباقِ ، فمَنْ رجحَ

---

(١) لا يخفىٰ أخذه هاذه المعاني من بيتي الخنساء : (من المتقارب)

طـويـلُ النجـادِ رفيـعُ العمـادِ ... ســادَ عشيــرتَــهُ أمــردا
وإنْ ذُكِـرَ المجـدُ ألفيتَـهُ ... تـأزَّرَ بـالمجـدِ ثـمَّ ارتـدىٰ

دليلُهُ ، أنجحَ تأميلُهُ ، ومَنْ قَصُرَ في معرفتِهِ ساعدُهُ ، فغيرُهُ مُساعدُهُ ، قد ترتَّبُوا كما رتَّبَ العقدَ ناظمُهُ ، وتهذَّبُوا فيحاربُ القِرْنُ قِرْنَهُ وهوَ ثَمَّ مُسالمُهُ ، فهم في مصافِّ الاجتهادِ لا الجهادِ ، ومُعترَكِ فوارسِ الجدالِ لا الجِلادِ .

وبالجملةِ : فما زالَ حمىٰ مقرِّهِ العالي ، مرتقىٰ مَنْ عرجَ في درجِ المعالي ، وملتقىٰ مَنْ خرجَ مِنْ حَرَجِ الأيامِ والليالي ، ومزارَ الصلحاءِ الأولياءِ ، وقرارَ الورعينَ الأزكياءِ ، ومُودَعَ أسرارِ المعارفِ ، ومجمعَ الأبرارِ ما بينَ سالكٍ وعارفٍ ، إلىٰ أنْ ظهرَ كامنُ الإرادةِ ، وانتهىٰ عمرُهُ معَ ما كانَ فيهِ لصلةِ رحمِهِ مِنَ الزيادةِ ، فانتقلَ حميداً ، وارتحلَ مُفيداً ، وجديرٌ بمَنْ عاشَ سعيداً ، أنْ يموتَ مثلَهُ شهيداً [1] .

وقد مدحَهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ فممَّنْ مدحَهُ : الأديبُ سراجُ الدينِ الورَّاقُ بأبياتٍ وقصائدَ ؛ فمنها : قصيدتُهُ التي يقولُ فيها : [من الطويل]

بَدَا طَالِعٌ يَهْدِيكَ مِنْ بَعْدِ غَارِبٍ ... فَمَا غَائِبٌ عَنْ نَاظِرَيْكَ بِغَائِبِ
وَلا عُطِّلَتْ مِنْهُمْ سَمَاءُ سَعَادَةٍ ... تُزَانُ بِأَقْمَارٍ لَهُمْ وَكَوَاكِبِ
إِذَا خَلَفَتْ أَصْلاً كَرِيماً فُرُوعُهُ ... أَرَتْكَ ٱلْمَبَادِي حُسْنَهَا فِي ٱلْعَوَاقِبِ
وَإِنْ تَلَتِ ٱلأَشْبَالُ تِلْوَ أُسُودِهَا ... حَمَتْ بِنُيُوبٍ غِيْلَهَا وَمَخَالِبِ
أَآلَ عَلِيٍّ أَسْعَدَ ٱللهُ جَدَّكُمْ ... وَجَدَّكُمُ مَا ٱعْتَزَّ عَوْدٌ بِرَاكِبِ
حَمَىٰ مِسْنَدَيْ عِلْمٍ لَكُمْ وَوَزَارَةٍ ... كَرِيمَانِ حَازَا ٱلْمَجْدَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَحَاطَا ٱلْفَتَاوَىٰ وَٱلْفُتُوَّةَ فَٱلْتَقَىٰ ... جَدِيدَا شَبَابٍ هَذَّبَا كُلَّ شَائِبِ
وَقَدْ جَمَعَا ٱلتَّدْرِيسَ وَٱلْجُودَ رَغْبَةً ... لِأَنْ يُسْأَلَا مِنْ كُلِّ رَاجٍ وَطَالِبِ
وَأَلا يَرُدَّا سَائِلاً أَمْرَ دِينِهِ ... وَدُنْيَاهُ فِي عِلْمٍ وَفَيْضِ مَوَاهِبِ

(١) ويجوز أيضاً أن يقرأ (مثله) بالرفع .

وَلَمْ يَأْتِ نَسْلُ ٱلصَّاحِبِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ بِغَيْرِ إِمَامٍ فِي ٱلشَّرِيعَةِ صَاحِبِ
وَمَا لِلْعَوَالِي فِي ٱطِّرَادِ مُنَاسِبٍ كَمَا لِعَلِيٍّ فِي ٱطِّرَادِ ٱلْمُنَاسِبِ
وَمَنْ ظَهَرَتْ آثَارُهُ فِي أَجَانِبٍ فَأَوْلَىٰ لَهَا أَوْلَىٰ لَهَا فِي ٱلأَقَارِبِ
وَيَوْمٍ بِـزَيْـنِ ٱلـدِّيـنِ أَحْمَـدَ زَانَـهُ ثَنَاءٌ كَمَا فَاحَتْ لَطِيمَةُ جَالِبِ[1]
بَدَا صَدْرَ حَفْلٍ وَهْوَ دُونَ مَحَلِّهِ وَفَاضَ لَنَا بَحْراً أَتَىٰ بِعَجَائِبِ
فَلَوْ مَلَكَ ٱلْبِيضُ ٱلْحِسَانُ كَلامَهُ لَنَظَّمْـنَ مِنْـهُ حِلْيَـةً لِلتَّـرَائِـبِ
وَلَوْ سَمِعَتْ بِيضُ ٱلْقَوَاضِبِ مِقْوَلاً لَهُ فُلَّ حَدُّ ٱلْمُرْهَفَاتِ ٱلْقَوَاضِبِ
أَوِ ٱبْنُ خَطِيبِ ٱلرَّيِّ حَلَّ بِدَرْسِهِ غَدَا ٱلْفَخْرُ لابْنِ ٱلْفَخْرِ أَوَّلَ خَاطِبِ
وَمَنْ مِثْلُ زَيْنِ ٱلدِّينِ أَوْ مِثْلُ صِنْوِهِ وَصِنْوِ أَبِيهِ فِي ٱتِّسَاقِ ٱلْمَنَاسِبِ
تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى ٱلْوَزِيرَ سَعَادَةً أَحَلَّتْهُ مِنْهَا فِي ٱلذُّرَا وَٱلْغَوَارِبِ
وَأَسْعَـدَهَـا ذُرِّيَّـةٌ أَحْـدَقَـتْ بِـهِ فَلاحَ كَبَدْرِ ٱلتِّمِّ بَيْنَ ٱلْكَوَاكِبِ

وهيَ قصيدةٌ طويلةٌ اقتصرتُ منها علىٰ هٰذهِ الأبياتِ .

[وقالَ الشاعرُ][2] سراجُ الدينِ أيضاً في الصاحبِ حينَ جلسَ بعدَ انقطاعِهِ عنِ الدرسِ لأمرٍ اقتضاهُ[3] : [من الطويل]

يَمِيناً لَقَدْ سَرَّ ٱلإِمَامَ ٱبْنَ إِدْرِيسِ جُلُوسُكَ فِي يَوْمِ ٱلْخَمِيسِ لِتَدْرِيسِ
وَتَشْيِيدُ مَا قَدْ كَانَ جَدُّكَ بَانِياً بُنَاكَ مِنَ ٱلتَّقْوَىٰ عَلَىٰ حَدِّ تَأْسِيسِ
وَهَلْ صَائِبٌ أَوْلَىٰ مِنَ ٱلْغَيْثِ بِٱلرُّبَا وَهَلْ صَائِلٌ أَوْلَىٰ مِنَ ٱللَّيْثِ بِٱلْخِيسِ[4]

---

(١) اللطيمة : المسك .
(٢) ما بين معقوفين في الأصل بياض بمقدار كلمتين .
(٣) أوردها ابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » (١٩/ ١٢٥ـ١٢٨) .
(٤) الخِيس : بيت الأسد .

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ مَنَازِلَ عِزِّكُمْ لَمَا عَدِمَتْ وَٱللهِ مِنْ عِلْمِكَ ٱلطُّوسِي
رَكِبْتَ إِلَيْهَا فِي خَمِيسٍ مُبَارَكٍ وَلِلْعِلْمِ أَعْلامٌ رُفِعْنَ عَلَى ٱلرُّؤسِ
وَصُلْتَ بِسَيْفِ ٱلْحَقِّ فِي كُلِّ بِدْعَةٍ فَمَكَّنْتَ جُنْدَ ٱللهِ مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسِ
فَيَا حُسْنَ مَنْقُولٍ هُنَاكَ نَقَلْتَهُ وَيَا حُسْنَ مَعْقُولٍ وَيَا حُسْنَ مَحْسُوسِ
سَعَيْتَ بِحُبِّ ٱلْعِلْمِ مُذْ كُنْتَ يَافِعاً وَغَلَّسْتَ فِي لَيْلِ ٱلصِّبَا خَيْرَ تَغْلِيسِ
وَلَمْ تَبْغِ مِنْ دُنْيَاكَ حَظّاً تَنَالُهُ وَحَظُّكَ مِنْ أُخْرَاكَ لَيْسَ بِمَبْخُوسِ
وَكَمْ زُفَّتِ ٱلدُّنْيَا إِلَيْكَ وَأَقْبَلَتْ عَرُوساً فَمَا هَنَّأْتَهَا يَوْمَ تَعْرِيسِ
سَتَجْنِي ٱلَّذِي أَصْبَحْتَ للهِ غَارِساً أَلَذَّ جَنَاءٍ طَابَ مِنْ خَيْرِ مَغْرُوسِ[1]
فَبَلَّغَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي أَنْتَ آمِلٌ لَهُ مِنْ نَعِيمٍ لا يُكَدَّرُ بِٱلْبُوسِ

وأنشدَني الأديبُ جمالُ الدينِ أبو الحسينِ الجزَّارُ فيهِ وقد تقطَّرَ مِنْ على فرسِهِ[2] : [من الطويل]

يَقُولُونَ إِنَّ ٱلصَّاحِبَ ٱبْنَ مُحَمَّدٍ تَقَطَّرَ عَنْ مَرْكُوبِهِ فَتَأَثَّرَا
فَقُلْتُ هُوَ ٱلْغَيْثُ ٱلَّذِي عَمَّ نَفْعُهُ فَلا تَعْجَبُوا لِلْغَيْثِ أَنْ يَتَقَطَّرَا

وُلِدَ في [. . .] وستِّ مئةٍ[3] ، وتُوفِّيَ في ثامنِ صفرٍ سنةَ أربعٍ وسبعِ مئةٍ[4] .

* * *

(١) ويحتمل في (أ) : (جَنِيٍّ) بدل (جناء) .
(٢) تقطَّر : سقط .
(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) وكذلك في « المقفى الكبير » .
(٤) انظر « المقتفي » (٢/٢٦٦) ، و« المقفى الكبير » (١/٣٨٠) ، وفيه وفاته في سابع صفر .

ومنهُمْ :

[الإمامُ العارفُ الشريفُ أبو فارسٍ عبدُ العزيزِ ابنُ أبي محمدٍ عبدِ الغنيِّ ابنِ أبي الأفراحِ سرورٍ الإسكندرانيُّ الينبعيُّ المنوفيُّ]

الشريفُ نفساً ونسباً ، والظريفُ خلقاً وأدباً ، والنجيبُ وحُقَّ لهُ أنْ أشبهَ آباءَهُ النُّجَبا ، المفتوحُ عليهِ في أحوالِهِ ، والممنوحُ صيِّبَ المعارفِ المُتخيَّرِ جواهرُها مِنْ دررِ مقالِهِ ، طالَما وعظَ وذكَّرَ ، وأخبرَ عن مقامٍ ومظهرٍ ، وترجمَ معانيَ أسرارِ الملكوتِ بأجلىٰ لفظٍ وأظهرَ ، وعمَرَ أوقاتَهُ فعُمِّرَ ، فيا لَهُ مِنْ مُعمِرٍ مُعمَّرٍ !!

خدمَ الأكابرَ في صغرِهِ فخُدِمَ كبيراً ، وأهانَ نفسَهُ في رضاهُم فعزَّ كثيراً ، وخصَّصَهُم بإيثارِهِ فأضحىٰ حميدُ آثارِهِ مأثوراً ، فتباركَ مَنْ جعلَ معارفَهُ لمعارفِهِ هدىً ونوراً ، وأطلعَهُ لأهلِ زمانِهِ في سماءِ الفضائلِ قمراً منيراً .

فأمّا نسبُهُ : فهوَ أبو فارسٍ عبدُ العزيزِ بنُ أبي محمدٍ عبدِ الغنيِّ بنِ أبي الأفراحِ سرورِ بنِ أبي الرجاءِ سلامةَ بنِ أبي اليمنِ بركاتِ بنِ أبي الحمدِ داودَ بنِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ الهادي يحيى بنِ زكريا بنِ القاسمِ بنِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ إبراهيمَ طباطبا بنِ إسماعيلَ الديباجِ ابنِ إبراهيمَ الغَمْرِ بنِ الحسنِ المُثنَّى بنِ أبي محمدٍ الحسنِ بنِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، المعروفُ بـ (المنوفيِّ) .

صحبَ الشيخَ : أبا الفتحِ الواسطيَّ وتخرَّجَ بهِ ، وسلكَ طريقَ الإرادةِ ، وظهرَتْ لهُ كراماتٌ ؛ منها : نطقُهُ بالشعرِ علىٰ طريقِ القومِ بأحسنِ عبارةٍ وأوضحِ إشارةٍ ، لهُ قصائدُ في مدحِ سيِّدنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولهُ

قصيدةٌ سمَّاها « اليعسوبةَ » ذكرَ فيها مراتبَ القومِ مِنَ الغوثِ والقطبِ والبدلِ والعينِ والوتدِ[1] .

وكانَ يرىٰ أنَّ لكلِّ وقتٍ خَضِراً ، وأنَّ خَضِرَ زمانِنا اسمُهُ حسينُ بنُ يوسفَ الزُّبَيديُّ[2] ، وأنَّ الخَضِريةَ اسمٌ للمنزلةِ .

وكانَ كثيراً ما يُثني على الشيخِ نجيبِ الدينِ فتحِ ابنِ خلفٍ السعديِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ[3] ، ويقولُ : (كان عارفاً عالماً) .

وكانَ عبدُ العزيزِ كثيراً ما يتمثَّلُ مِنْ شعرِ فتحِ ابنِ خلفٍ الدمياطيِّ بقولِهِ وشعرِهِ ، وكانَ كثيراً ما يتمثَّلُ ببيتينِ مِنَ الأبياتِ التي أوردَها الحافظُ ابنُ عساكرَ ؛ وهما[4] :

[من الكامل]

قُـلْ لِلْمُشَبِّهَـةِ ٱلَّـذِيـنَ تَجَـاوَزُوا ... حُجَجَ ٱلْعُقُولِ بِكُلِّ قَوْلٍ مُنْكَرِ

يَا وَيْحَكُمْ قِسْتُمْ صِفَاتِ إِلَـٰهِكُمْ ... بِصِفَـاتِكُـمْ هَـٰذَا قِيَاسُ ٱلأَخْسَـرِ

ومِنْ غرِّ قصائدِهِ :

[من الكامل]

مَـلأَ ٱلْـوُجُـودَ بِجُـودِهِ فَتَعَمَّـرَا ... وَبَـدَتْ حَقَـائِقُـهُ لَـهُ فَتَنَـوَّرَا

وَأَلاحَ مِنْ شَرْقِ ٱلْمَعَارِفِ لِلْحِجَا ... فَجْرُ ٱلْمَعَارِفِ فَٱسْتَطَالَ وَأَسْفَرَا

جَـذَبَ ٱلْقُلُـوبَ بِسِـرِّ مِغْنَـاطِيسِـهِ ... فَغَـدَتْ مُعَـرَّفَـةً وَرَاحَ مُنَكَّـرَا

وَسَقَىٰ بِكَأْسِ ٱلأُنْسِ صِرْفَ شَرَابِهِ ... كَرَماً فَأَصْحَىٰ مَنْ أَرَادَ وَأَسْكَرَا

أَفْنَـىٰ وَأَبْقَـىٰ بِـٱلْبَقَـاءِ مُـؤَيَّـداً ... وَحَبَا وَخَصَّصَ عَالِماً وَٱسْتَأْثَرَا

---

(١) وذكر فيها أيضاً أماكن وجودهم ، وهي من محفوظات المكتبة الأزهرية برقم : (٨٣٠٦٨) .

(٢) في « الدرر الكامنة » (٣/ ١٧١) : (حسن) بدل (حسين) .

(٣) انظر (١/ ٥٣٥ـ٥٣٦) .

(٤) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٧٤٦) .

وَمَحَا وَأَثْبَتَ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ ... خَفِيَتْ وَأَخْلَبَ فِي ٱلْبُرُوقِ وَأَمْطَرَا

أَوْرَىٰ عَلَىٰ طُورِ ٱلتَّنَاجِي مِنْحَةً ... نَاراً لِمُوسَى ٱلْقَصْدَ تَهْدِي لِلْقُرَىٰ

أَبْدَىٰ فَمَنْ فِي ٱلْفَرْقِ يَشْهَدُ مُظْهِراً ... وَبَدَا فَمَنْ فِي ٱلْجَمْعِ يَشْهَدُ مَظْهَرَا

فَـٱلْكُـلُّ عَـنْ عِلْـمٍ وَعَيْـنٍ آخِـذٌ ... وَبِفَتْقِ رَتْقِ ٱلْقَلْبِ يَفْقَهُ مَا جَرَىٰ

إِعْلَـمْ رَعَـاكَ ٱللهُ مَـا سَتَـرَ ٱلأُلَـىٰ ... حَـذَراً مِـنَ ٱلأَغْيَـارِ أَنْ تَتَغَيَّـرَا

رَمَزُوا وَمَا كَشَفُوا وَيَكْفِي ضَرْبُهُمْ ... مَثَلاً بِأَنَّ ٱلصَّيْدَ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا

فَـإِذَا رَأَيْـتَ مِـنَ ٱلأُمُـورِ وَقَـائِعـاً ... لا تُفْشِهَـا حَتَّـىٰ تَمُـوتَ وَتُنْشَـرَا

كَـيْ لا يَظُـنَّ ٱلأَجْنَبِـيُّ جَهَـالَـةً ... بِكَ ظَنَّ سَوْءٍ فِي ٱلْمَآلِ مُحَسَّرَا

يَـا لَلْعَجَـائِـبِ هَـلْ يَكُـونُ تَبَصُّـرٌ ... مَعَ قَوْلِ سُلْطَانِ ٱلْحَقِيقَةِ لا مِرَا

لَوْلاهُ قُلْتُ وَلَمْ أَقُلْ لَوْلا عَلَىٰ ... حُكْـمِ ٱلتَّهَجُّـمِ بَـلْ أَرُومُ تَسَتُّـرَا

مَا يَقْطَعُ ٱلأَهْوَالَ إِلا طَالِبُ ٱلْـ ... ـعَلْيَـاءِ وَٱلْبَيْـدَاءَ إِلا مَـنْ سَـرَىٰ

ولهُ أيضاً رحمَهُ اللهُ[1] : [من الطويل]

إِذَا فُتِقَـتْ بِـٱلسَّلْـبِ فِيـكَ رُتُـوقُ ... وَسُدَّتْ عَلَى ٱلأَفْهَامِ مِنْكَ طَرِيقُ

بَدَا مِنْ شُمُوسِ ٱلْقُرْبِ نُورٌ مُبَشِّرٌ ... لَهُ فِي وُجُودِ ٱلْعَالِمِينَ شُرُوقُ[2]

إِذَا نَهَضَـتْ لِلْكُـلِّ بِـٱلْكُـلِّ هِمَّـةٌ ... أَضَـاءَ لَهَـا عِنْـدَ ٱلنُّهُـوضِ بُـرُوقُ

تُبَـايِنُـكَ ٱلأَغْيَـارُ مِـنْ كُـلِّ وِجْهَـةٍ ... فَأَيُّ بَقَايَا فِي ٱلْوُجُودِ تَعُوقُ[3]

فَيُصْبِـحُ لا وَصْـلٌ يَسُـرُّ وَلا نَـوىً ... يَضُـرُّ وَلا رَحْـبٌ عَلَيْـهِ يَضِيـقُ

هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْعَبْدُ عَبْداً مُخَلَّصاً ... وَيَحْسُـنُ أَنْ يُـدْعَـىٰ بِـهِ وَيَلِيـقُ

---

(١) أورد الأبيات العز ابن جماعة في « منتخب نزهة الألباء » (ص٢٨٠) ، وحُرِّف فيه كثير من العبارات ، واختل وزن بعض الأبيات .

(٢) كتب فوق (العالمين) في (أ) : (العارفين) .

(٣) ويحتمل في (أ) : (تعاينك) بدل (تباينك) .

فَمَا كُلُّ كَأْسٍ سَائِغٌ عِنْدَ شُرْبِهِ ... وَلا كُــلُّ مَخْتُــومٍ يُقَــالُ رَحِيــقُ

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ عشيَّةَ الأحدِ خامسَ عشرَ جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وسبعِ مئةٍ[1] .

* * *

(١) عن مئة وعشرين سنة . انظر « أعيان العصر » (٣/ ٩٩ـ١٠١) ، و« الدرر الكامنة » (٣/ ١٧٠ـ١٧٢) ، و« المنهل الصافي » (٧/ ٢٨٠ـ٢٨١) ، و« النجوم الزاهرة » (٨/ ٢١٤) ، وفيها وفاته سنة : (٧٠٣هـ) ، وعليه : فيجب أن تكون الترجمة مقدمة علىٰ هـٰذا المحل .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الفقيهُ الأصوليُّ أبو عليٍّ عمرُ بنُ عبدِ الحميدِ القيروانيُّ المالكيُّ]

الزائرُ الذي نَمَّ عليهِ عَرْفُهُ ، والحاضرُ الذي أشبهَ الصحابةَ وصفُهُ ، والهادي الذي أضاءَ بنورِ معرفتِهِ السبيلُ ، والمُتجرِّدُ عن ملابسِ التصنُّعِ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ[1] ، وَرَعٌ لم يتَّصفْ أحدٌ ممَّنْ رأَينا بمثلِهِ ، ومراقبةٌ للهِ في قولِهِ وفعلِهِ ، ومحاسبةٌ على النفْسِ بماذا شغلَهُ فهوَ قلقٌ لأجلِهِ .

علومٌ جمَّةٌ ، ومباحثُ مؤيدةٌ بما يُتلىٰ مِنَ الآياتِ والحكمةِ ، وإنصافٌ في الإفادةِ والاستفادةِ حُفَّ بالسلامةِ مِنَ الخطأِ والعصمةِ .

مجاهدةٌ حرَّمَتْ عليهِ لذيذَ العيشِ ، وجهادٌ في سبيلِ اللهِ لا يقفُ لديهِ الكميُّ ولا الجيشُ ، يحاسبُ نفسَهُ علىٰ ما يَعُدُّهُ الغيرُ حسنةً ، ويتيقَّظُ لأفعالِهِ وحاشاهُ أنْ يستحكمَ عليهِ فيها غفلةٌ أو سِنَةٌ[2] .

أظلَّ علىٰ مصرَ إظلالَ المزنةِ الماطرةِ ، وأطلَّ إطلالَ السحابةِ العابرةِ ، ثمَّ لم يقمْ بها إلا ريثَما تزوَّدَ وتحوَّلَ ، إلىٰ أشرفِ بيتٍ وُضِعَ أوَّلُ ، يقضي المناسكَ مُتقرِّباً ، وبادرَ إلىٰ زيارةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُقرَّباً ، ثمَّ عادَ إلىٰ وطنِهِ والنفوسُ مُستوحِشةٌ لغيابِهِ ، مُتعطِّشةٌ لإيابِهِ ، فكانَ كالقمرِ طلعَ بعدَ

---

(١) ضمَّن كلامه شطر بيت السموءل الشهير : (من الطويل)

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرْضُهُ ... فكـلُّ رداءٍ يـرتـديـهِ جميـلُ

انظر « ديوانه » (ص٦٦) .

(٢) ويحتمل في (أ) : (عُقْلة) بدل (غفلة) .

المُحاقِ ، وسطعَ نورُهُ على الآفاقِ ، فأضاءَ على أهلِها تألُّقُهُ ، وروَّى ثراهُم مُغدِقُهُ ، ثمَّ أقلعَ غمامُهُ ، وقُوِّضَتْ إلى الآخرةِ خيامُهُ ، فللّهِ درُّهُ مِنْ جوهرةٍ لم يُعرَفْ قدرُها فرُدَّتْ إلى الصُّوانِ ، وثمرةٍ اقتُطِفَتْ مِنْ جنةٍ فغُرِسَتْ في الجِنانِ ، وغيثٍ ما أمطرَ حتى أقلعَ ، وغوثٍ ما سلَّمَ حتى وَدَّعَ !!

كانَ قد رمزَ إلى وفاتِهِ ، وأرسلَ إلى بعضِ أخصَّائِهِ أنْ يحضرَ للصلاةِ عليهِ ومواراتِهِ ، فحضرَ الجمُّ الغفيرُ ، والمأمورُ والأميرُ ، وكانَ وقتاً يُعجَزُ عن وصفِهِ ، كموقفِ الحجيجِ بل ضِعفِ ضِعفِهِ ، فصُلِّيَ عليهِ بالمصلَّى خارجَ السورِ ، ودُفِنَ بتربةِ الشيخِ ابنِ أبي جمرَةَ في أحدِ القصورِ ، ولا أقولُ : القبورِ .

فأمّا نسبُهُ : فهوَ أبو عليٍّ عمرُ بنُ عبدِ الحميدِ القيروانيُّ .

صحبَ جماعةً ؛ منهُمُ : الشيخُ أبو محمدٍ المرجانيُّ[1] .

كانَ مِنَ العارفينَ بالفروعِ والأصولِ ، وكانَتْ مدةُ إقامتِهِ بمصرَ زمناً لطيفاً لم يسعْ تتبعَ أحوالِهِ ، قدمَ مصرَ في سنةِ خمسٍ وسبعِ مئةٍ ، فحجَّ ثمَّ زارَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ قدمَ مصرَ فأقامَ بها إلى أنْ تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ ليلةَ السادسَ عشرَ مِنْ شوالٍ سنةَ ستٍّ وسبعِ مئةٍ .

* * *

ومنهُمُ : الوليُّ الصالحُ ، والحفيُّ الناصحُ ، والوفيُّ المانحُ ، الوافدُ بعميمِ الفوائدِ ، والرافدُ بكريمِ الفرائدِ ، والواحدُ الذي قابلَ الحشويةَ ففازَ بالنصرِ وانثنى راشد ، والواردُ كالنجمِ أحرقَ بأشعَّةِ براهينِهِ شيطانَهُمُ الماردَ ، فأصبحَ المبتدعُ وهوَ في كلِّ نادٍ نادمٌ ، قد أُلبِسَ بإذلالِهِ حلةَ عادٍ عادمٍ ، حينَ أُتيحَ لبنائِهِ يدُ هادٍّ هادمٍ ، وقصَّ مِنْ جناحِهِ الخوافيَ والقوادمَ ، وعصى

(١) سبقت ترجمته في (٢/٢٤٣ـ٢٥٢) .

أطرافَ الزِّجاجِ فقهرَتْهُ العوالي باللَّهاذمِ[1] .

فجزاهُ اللهُ خيراً عن أهلِ السنَّةِ ، وسرَّهُ كما سرَّهُم بالجنَّةِ ؛ فلقد كانَ للمؤمنينَ إماماً ، وللموفقينَ هادياً وزِماماً ، طالَما أفرقَ المبتدعَ ، وأرفقَ المتَّبعَ ، خُلُقٌ كالعذبِ الباردِ مازجَ المدامَ ، ووجهٌ تنكشفُ بهِ البلوىٰ ويُستنزَلُ الغمامُ ، [. . .][2] ، ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ فمنهُم [. . .][3] .

* * *

(1) أشار به : إلىٰ بيت زهير في « معلقته » : (من الطويل)

ومن يعصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنَّهُ يُطِيعُ العوالي رُكِّبتْ كلَّ لَهْذَمِ

انظر « ديوانه » (ص١١١) .

(2) بياض في (أ ، ب) بمقدار نصف لوحة .

(3) بياض في (أ ، ب) بمقدار (٦) أسطر تقريباً .

فصل
في ذكر بعض الأساطين الذين قاموا على ابن تيمية بسبب فتياه الفاتنة

[الإمامُ القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ مخلوفِ بنِ ناهضٍ النُّويريُّ المالكيُّ]

ولقائلٍ أنْ يقولَ لكَ : خذْ ما تراهُ ودعْ شيئاً سمعتَ بهِ[1] ، قد أقبلَ كلُّ عالمٍ مِنْ علماءِ مصرَ في موكبِهِ ؛ لنصرةِ الحقِّ مِنْ معتقدِهِ ومذهبِهِ ، فتقدَّمَ عليٌّ لمحاربتِكَ مُؤيَّداً ، وكذلكَ مضتِ العادةُ في الحروبِ أنْ يتقدَّمَ عليٌّ محمداً[2] ، فقلتَ : مَنْ هـٰذا الفارسُ ؟ فقيلَ : هـٰذا الأسدُ العابسُ ، القائمُ في ذاتِ اللهِ حقَّ القيامِ ، والهاجمُ على مُسْتأسدي البدعِ الإجامَ[3] .

كم قتلَ بسيفِ الحقِّ مرحبَ نفاقٍ[4] !! وكم ضربَ أعناقَ ذوي زندقةٍ

---

(١) أشار به : إلىٰ بيت المتنبي الشهير : (من البسيط)

خُذْ ما تراهُ ودَعْ شيئاً سمعتَ بهِ ... في طلعةِ الشمسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ

انظر « ديوانه » (٣/ ٨١) .

(٢) لعله يشير : إلىٰ تقدُّم سيدنا علي لمبارزة العدو اللدود عمرو بن عبد وَدٍّ العامري في غزوة الخندق بعد الاستئذان من سيد السادات محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد بـ (علي) على المعنى القريب : المُترجَم ، وبـ (محمد) : بدر الدين ابن جماعة الآتي بعد قليل ، ففي كلامه تورية بديعة .

(٣) الإجام : جمع أَجَمة ؛ وهي الشجر الملتف الذي تبيت به الأسود .

(٤) أشار بمرحب : إلىٰ مرحب اليهودي الذي قتله سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه مبارزةً في غزوة خيبر . انظر « الكامل في التاريخ » (٢/ ٩٨) .

وشقاقٍ !! لا يتبعُ فارّاً إلا كشفَ سوءتَهُ ، وقتلَهُ إنْ لم يُسرِعْ فيئتَهُ ، زادَهُ اللهُ بسطةً مِنَ العلمِ ، وزيَّنَه بالتقوىٰ والحلمِ ، قد أخلصَ نُضارَهُ سبكُ السُّبْكيِّ[1] ، وصاغَهُ مِنَ الكرمِ الاعتناءُ الربانيُّ المُلْكيُّ ، فأصبحَ زينَ الدُّوَلِ ، وعالماً أشبهَ العلماءَ الأُوَلَ ، آمراً بالمعروفِ ناهياً عنِ المنكرِ ، حافظاً لحدودِ اللهِ الأكبرِ .

هـٰذا قاضي القضاةِ زينُ الدنيا والدينِ ، أبو الحسنِ [عليُّ] بنُ أبي العطايا مخلوفِ ابنِ تاجِ الدينِ أبي المعالي ناهضٍ المالكيُّ ، ثبَّتَ اللهُ عَزَماتِهِ ، ورفعَ بهِ شدائدَ الابتداعِ وأَزَماتِهِ ، وهزمَ بهِ داعيَهُ علىٰ عادةِ مَنْ تقدَّمَهُ في هَزَماتِهِ ، فليسَ قولُكَ : (مَنْ هـٰذا ؟!) بضائرِهِ[2] ، وهل يخفى القمرُ إلا علىٰ مفجوعٍ ببصرِهِ وبصائرِهِ ؟!

فصرعَكَ عن مركبِكَ الصعبِ حينَ دخلتَ الضِّيقَ ، وألقاكَ في غَيابةِ الجبِّ ولستَ الصدِّيقَ[3] ، شكرَ اللهُ سعيَهُ ، ولا أسمعَ نعيَهُ ، وحرسَهُ في نفسِهِ وولدِهِ ، وحفظَهُ في يومِهِ وغدِهِ[4] .

---

(١) لعله يقصد التورية بالإمام شرف الدين السبكي المالكي المتقدم في (٢/ ١٢٥ـ١٢٦) .

(٢) أشار به : إلىٰ بيت الفرزدق الشهير في قصيدته التي يمدح بها علياً زين العابدين رحمه الله تعالىٰ : (من البسيط)

وليسَ قولُكَ مَنْ هـٰذا بضائرِهِ ... العُرْبُ تعرفُ مَنْ أنكرتَ والعجمُ

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٥٣) .

(٣) أي : لم يكن إلقاؤك به كإلقاء سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام ؛ فإلقاء ابن تيمية أعقبه الإهانة والتعنيف ، وإلقاء سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أعقبه التكريم والتشريف .

(٤) وكانت وفاته سنة (٧١٨هـ) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٢٢/ ١١٨) ، و« رفع الإصر » (ص٢٨٠ـ٢٨١) .

[الإمامُ قاضي القضاةِ بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ
محمدُ بنُ إبراهيمَ ابنُ جَماعةَ الكِنانيُّ الحمويُّ الشافعيُّ]

ثمَّ علىٰ أثرِهِ : أقبلَ ملكُ العلماءِ في جيشٍ تضيقُ بهِ الأرضُ بما رحُبَتْ ، والصدورُ التي مِنْ بعضِ ذلكَ قد وجبَتْ ، فقد تقدَّمَ ميمنتَهُ يُمْنُ صحةِ الاعتقادِ ، وميسرتَهُ يُسْرُ التوفيقِ والسدادِ ، والشموسُ في مُجنِّبَتَيْهِ مُشرِقةٌ[1] ، والأنجمُ المُعدَّةُ للرجمِ والهدايةِ بهِ مُحدِقةٌ ، والقلبُ ببدرِها قويٌّ ، فهوَ في صعودِ السعودِ والمبتدعةُ منهُ في هُويِّ الغويِّ ، قد حملَتْ لهُ عصابةُ الإصابةِ ، رفعاً خفضَتْ أعلامَ المبتدعةِ المصابةِ ، وكيفَ لا وقد أخذَ عنِ العلماءِ الأعلامِ ، جماهيرِ أئمَّةِ الإسلامِ ، فرُفِعَتْ لهُ رايةُ روايةِ الحديثِ المرفوعِ ، ووُضِعَتْ عندَهُ منزلةُ المتروكِ والموضوعِ ، وثُنِيَتْ لهُ الوسادةُ فملأَها علماً مِنْ أطايبِ المسموعِ ، ووليَ مناصبَ استحقاقُهُ لها غيرُ مدفوعٍ ، وسلَّمَ لهُ في الفضلِ كلُّ قابلٍ مسلَّمٌ أو ممنوعٌ .

بحرٌ عذُبَتْ لناهلِهِ مناهلُهُ ، وعمَّتْ فواضلُهُ وتمَّتْ فضائلُهُ ، ومعتصمٌ باللهِ قد عُصِمَتْ بهِ عُرا الدينِ والتفَّتْ عليهِ وسائلُهُ .

رَعَىٰ ٱللهُ فِيهِ لِلرَّعِيَّةِ رَأْفَةً تُزَايِلُهُ ٱلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ تُزَايِلُهْ[2]

أكرمْ بهِ مِنْ غيثٍ تُحمَدُ منهُ الآثارُ ، وليثٍ لا يُجاوِرُهُ مبتدعٌ إلا ولهُ مِنْ جوارِهِ جُؤارٌ ، وبدرٍ أخجلَ بضيائِهِ شمسَ النهارِ ، يسري بمسرةِ الشرعِ وكالنجمِ يغيرُ حينَ يَغارُ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ قاضي القضاةِ بدرُ الدنيا والدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ

---

(١) المُجنِّبتان في الأصل : الميمنة والميسرة من الجيش .

(٢) البيت لأبي تمام في « ديوانه » (٣/٢٦) ، وهو من الطويل .

الشيخِ العالمِ برهانِ الدينِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ سعدِ اللهِ بنِ جَماعةَ الكنانيُّ الحمويُّ الشافعيُّ [. . .][1] .

فرمقَكَ ببصرِ العاتبِ ، وأعرضَ عنكَ إعراضَ الكارهِ لحالِكَ العائبِ ، وناداكَ بلسانِ التوبيخِ والتقريعِ ، وقد كادَ يقدُّ بيتَ بُنيتِكَ بالتصريعِ : أنا الذي تعرفُهُ ، أُوَجِّهُ إليكَ وجهَ الملامِ ولا أصرفُهُ ، سلْ عنِّي نفسَكَ ، ولا تُكابِرْ فيَّ حسَّكَ ، ألم أستتبْكَ مراراً ؟! ألم أُعنِّفْكَ جهاراً ؟! ألم أروِ لكَ الخبرَ : « لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً » ؟![2] ، انتهزتَ الفرصةَ بعدَ بُعْدي ، ولبئسَما خلفتَني مِنْ بَعْدي ، لٰكنَّ قبولَ التوبةِ مِنْ مذهبي المذهبِ ، فبادِرْ قبلَ أنْ تطلعَ عليكَ شمسٌ مِنَ المغربِ ، فتُمزِّقَ إهابَكَ ، ولا تقبلَ متابكَ[3] .

[الإمامُ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ السروجيُّ الحنفيُّ]

فحينَ بخلتَ بتعجيلِها ، ومالَتْ نفسُكَ إلىٰ تحجيلِها عن تنحيلِها بأداةِ سيِّدِنا قاضي القضاةِ العالمِ الحبرِ ، والمنهلِ الغَمرِ ، الجامعِ بينَ علمي المعقولِ والمنقولِ ، والمانعِ لسانَ الابتداعِ مِنْ أنْ ينطقَ أو يقولَ ، ملجمِ الأجاوِدِ عنِ المجاراةِ في ميدانِ المماراةِ والإقدامِ ، ومفحمِ المعانِدِ عنِ المحاورة في مجلسِ المناظرةِ والكلامِ ، قد كملَتْ خصالُهُ ، وسُدِّدَتْ نحو المبتدعةِ نصالُهُ ، واستوَتْ في الإضاءةِ بُكَرُهُ وآصالُهُ ، فلا ناهلٌ إلا وهوَ مِنْ

---

(١) بياض في (أ ، ب) بمقدار نصف لوحة .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٧) ، ومسلم (٦٦/ ١٢٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) وكانت وفاته سنة (٧٣٣هـ) ، وانظر ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/ ١٣٩ـ١٤٧) ، و« أعيان العصر » (٤/ ٢٠٨ـ٢١٣) ، و« الدرر الكامنة » (٥/ ٤ـ٧) .

فضلِهِ مغترفٌ ، ولا فاضلٌ إلا وهوَ بفضلِهِ معترفٌ ، فللّهِ درُّهُ سميّاً قارنَ بدراً ، وبحراً مازجَ بحراً !![1] .

فأمّا نسبُهُ : فهوَ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ [. . .][2] .

تفدِ نفسَكَ كلُّ النفوسِ ، أنا مكانُ النعمانِ وهاذا اليومُ على المبتدعِ يومُ البوسِ ، وناداكَ بلسانِ حالِهِ : أراغبٌ عنِ الحقِّ أنتَ ، ومُنحرِفٌ في الاستقبالِ عنِ السمتِ ؟! لئنْ لم تنتهِ لتعودَنَّ عيرةً ، ولتجودَنَّ بدمائِكَ لنفادِ ذَمائِكَ عَبرةً ، ولتذهبَنَّ نفسُكَ خسراناً وحسرةً[3] .

[الإمامُ أقضى القضاةِ نجمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ابنُ الرفعةِ الشافعيُّ]

ولئنْ كنتُ غائباً فالنجمُ طالعٌ قد أضاءَ ، ووافقَتْ فتياهُ فيكَ القضاءَ[4] ، وماذا يعوقُهُ عنكَ ويمنعُهُ منكَ ، وهوَ عالمُ المذهبِ ، وشافعيُّ هاذا العصرِ المُذهَبِ ؟! قدِ ارتضعَ بلبانِ « الأمِّ » ، مِنْ لدنِ فطامِهِ عنِ الأمِّ ، وأقبلَ على الإملاءِ والتصنيفِ ، إذْ صِينَ بهِ « الإملاءُ » مِنَ التحريفِ ، والإفادةِ والتأليفِ ، حينَ جذبَ القلوبَ بأحسنِ التأليفِ ، وهوَ أشرفُ مَنِ انتصرَ لـ « البويطيِّ »

---

(١) في (ب) : (فراتاً بحراً) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار صفحة إلا ربعاً ، ولعل المترجَم هو شمس الدين السروجي الحنفي ، ويستأنس له بقوله الآتي : (أنا مكان النعمان) أي : الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) وكانت وفاة السروجي سنة (٧١٠هـ) ، وهو من الذين ردوا على ابن تيمية . انظر « أعيان العصر » (١/ ١٥٩ـ١٦١) ، و« الجواهر المضية » (١/ ٥٣ـ٥٥) ، و« رفع الإصر » (ص ٤١ـ٤٢) .

(٤) وكان ممن شهد على توبة ابن تيمية كما سيأتي في (٢/ ٥٤١) .

و« المختصرِ » ، زادَهُ اللهُ بسطةً في العلمِ والجسمِ والبصيرةِ والنظرِ ، وسعةً مِنَ المالِ فشكرَ ، وقُلِّدَ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ فنهىٰ وأمرَ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أقضى القضاةِ نجمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ القاضي زينِ النجارِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ زينِ الدينِ أبي الحسنِ عليٍّ ابنِ مرتفعٍ الأنصاريُّ .

وُلِدَ بمصرَ ونشأَ بها ، واشتغلَ بالعلمِ الشريفِ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : علىٰ علماءِ عصرِهِ ؛ كالشريفِ عمادِ الدينِ العباسيِّ ، وظهيرِ الدينِ التِّزْمَنتيِّ ، ووجيهِ الدينِ البهنسيِّ ، ودأبَ في الاشتغالِ والمطالعةِ ، وفاقَ الأقرانَ ، وتوحَّدَ في هٰذا الأوانِ .

وصنَّفَ كتباً في العلمِ الشريفِ ؛ فمنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « كفايةَ النبيهِ في شرحِ التنبيهِ » في ستةَ عشرَ مجلداً ، وكتابُهُ « المطلبُ العالي في شرحِ وسيطِ الغزالي » ، وكتاباً مفرداً في مسألةِ إباحةِ لحومِ الخيلِ ، وكتاباً مفرداً سمَّاهُ : « النفائسَ في هدمِ البِيَعِ والكنائسِ » [. . .][1] .

وبالجملةِ : فلو عاشَ أبو إسحاقَ لسُرَّ بهِ ، أو أبو حامدٍ لاستفادَ مِنْ « مطلبِهِ » ، أوِ الطوسيُّ لقالَ : أنا شهابٌ مِنْ كوكبِهِ[2] .

يُخاطِبُكَ خطابَ مُتشرِّعٍ مُتدرِّعٍ ، لزجرِكَ متسرِّعٌ ، ألم يَأْنِ أنْ يُقلِعَ أمرُهُ عمَّا امترىٰ ، وينزِعَ يدَهُ مِنْ أوهى العُرا ؟! فقد صرفَ النجمُ لأجلِكَ العنانَ عنِ السُّرىٰ ، ووقفَ واكفُ الغمامِ لقولِكَ عمَّا يبلُّ الثرىٰ[3] ، ﴿ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار ثلاثة أسطر .

(٢) المراد بالطوسي : الإمام الفقيه شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي أبو الفتح السابقة ترجمته في (١/ ٥٢١ـ٥٢٢) .

(٣) يقال : وكف البيت بالمطر ، والعين بالدمع ؛ إذا سال قليلاً قليلاً .

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه : ٦١] ، هـٰذهِ نصوصُ محمدِ بنِ إدريسَ ، وقد بيَّنَ الصبحُ لذي عينينِ بغيرِ تغليسٍ[١] .

فحينَ أخبرَكَ عنِ النصوصِ ، جنحتَ إلى النكوصِ ، وتبرَّأتَ مِنْ ذلكَ القولِ الذي بهِ تجرَّأتَ ، وابتعدتَ عمَّا كنتَ اعتقدتَ ، ورجعتَ إلىٰ ما بهِ انتفعتَ ، فاللهُ يُدِيمُ عليك منَنَهُ ، ويدُلُّكَ على المناهجِ الحسنةِ ، ويُعظِّمُكَ ما دمتَ سالكاً مِنْ صحَّةِ الاعتقادِ سننَهُ[٢] .

وما ضاعَ حقٌّ علىٰ صحَّةِ الاعتقادِ يدورُ ، ولا يبقىٰ ظلامٌ بينَ شموسٍ ونجومٍ وبدورٍ ، سيَّما الشمسينِ المتقاربينِ سنّاً وسناءً ، المتفقينِ آباءً وأسماءً ، المتحدينِ بلداً ، المُوحِّدينِ قولاً ومعتقَداً ، رضيعا لبانِ علمٍ عليهِ تحالفا ، ورفيقا حبٍّ في اللهِ إنْ توافقا أو تخالفا .

أنجدَ اشتغالُهُما على المشايخِ ، واشتمالُهُما علىٰ طولِ باعٍ في الاتِّباعِ وقدمٍ في العلمِ راسخٍ ، وانتقالُهُما في طلبِ العلمِ وتنقُّلُهُما للجدِّ الباذخِ .

فلمَّا استكملا الرحلةَ ، وأحرزَ كلٌّ منهُما علماً أحرزَ بهِ قصبَ السبقِ وحصَّلَهُ ، تبوَّأا مِنْ مصرَ بيوتاً وجعلا بيوتَهُما للتعبدِ قبلةً ، فخطبَتْهُما المناصبُ الدينيةُ مِنَ الفتاوىٰ والتدريسِ ، لما استقرَّ في صدورِهِما الرحيبةِ مِنْ قواعدِ العقائدِ وتأسيسِ التقديسِ[٣] ، فهما غَرْبا حسامٍ[٤] ، وقُطبا سماءِ

---

(١) قوله : (بيَّن) بمعنىٰ : تبيَّن ، وفي كلامه إشارة إلىٰ مثل شهير يُضرب للأمر ينكشف ويظهر . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ١٢٦) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٩٩) .

(٢) وكانت وفاته سنة (٧١٠هـ) ، وانظر ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/ ٢٤ـ٢٧) ، و« أعيان العصر » (١/ ٣٢٤ـ٣٢٦) ، و« الدرر الكامنة » (١/ ٣٣٦ـ٣٣٩) .

(٣) لا تخفى التورية على القارئ النبيه بكتابي الإمام الغزالي والفخر الرازي .

(٤) الغَرْب : الحَدُّ من كل شيء .

الإسلامِ ، مدَّ اللهُ عمرَهُما ، وأيَّدَ بالنصرِ نهيَهُما وأمرَهُما .

فأمَّا نسبُهُما : فكلٌّ منهما محمدُ بنُ يوسفُ .

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ أبي بكرٍ الجزريُّ المقرئُ الشافعيُّ]

فأحدُهُما : لقبُ والدِهِ قوامُ الدينِ وجدُّهُ أبو بكرِ بنُ هبةِ اللهِ .

وُلِدَ بجزيرةِ ابنِ عمرَ ونشأَ بها وقرأَ القرآنَ[1] ، ثمَّ رحلَ إلى الشامِ المحروسِ وقرأَ بها القرآنَ العظيمَ بالسبعِ : على الشيخِ علمِ الدينِ الأرقيِّ ، وسمعَ بسنجارَ : على الشيخِ جمالِ الدينِ محمدِ بنِ الصفارِ المحدثِ أجزاءً مِنْ جملتِها جزءُ المحمدينَ ، وأجازَهُ الشيخُ علمُ الدينِ الأرقيُّ : بـ « كتابِ سيبويهِ » و« الحماسةِ التمَّاميةِ » و« الخطبِ النُّباتيةِ » و« المقاماتِ » و« أدبِ الكاتبِ » ، كلُّ ذلكَ عنِ الشيخِ تاجِ الدينِ الكنديِّ ، واشتغلَ بدمشقَ : على الشيخِ شرفِ الدينِ بنِ المقدسيِّ بالنحوِ .

ثمَّ رحلَ إلى الديارِ المصريةِ ، فسمعَ بها : على الشيخِ كمالِ الدينِ الضريرِ الشاطبيةَ وأجازَهُ بها وبغيرِها ، ثمَّ سافرَ إلىٰ قوصَ ، فاشتغلَ بها بالفقهِ : على الشيخِ تقيِّ الدينِ وعلى الجلالِ الدِّشنائيِّ المقدَّمِ ذكرُهُ[2] ، وقرأَ الأصولَينِ : على الشيخِ شمسِ الدينِ الأصفهانيِّ المقدَّمِ ذكرُهُ[3] ، وحصَّلَ جانباً جيِّداً مِنْ ذلكَ ، وسمعَ : على الشيخِ تقيِّ الدينِ الكبيرِ ، ثمَّ عادَ إلىٰ مصرَ ، فاشتغلَ بها : على الشيخِ شهابِ الدينِ القرافيِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ[4] .

---

(١) في (أ) : (ابني) بدل (ابن) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٣٤٩) .

(٢) انظر (٢/ ١٣٥ـ ١٣٧) .

(٣) انظر (٢/ ٢٢٢ـ ٢٢٥) .

(٤) انظر (٢/ ١٩٨ـ ٢٠٠) .

وسمعَ قولَهُ قاضي القضاةِ تقيُّ الدينِ بنُ رزينٍ في مصرٍ قاضي القضاةِ[1] ، وأعادَ للصاحبِ برهانِ الدينِ السنجاريِّ ، ووليَ تدريسَ مدرسةِ منازلِ العزِّ بمصرَ ، وأعادَ بمدرسةِ الشافعيِّ وميعادِ علاءِ الدينِ الضريرِ ، وأفتىٰ وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنْ أقرانِنا ، وهوَ شيخُنا وأستاذُنا مدَّ اللهُ في عمرِهِ .

وصنَّفَ كتاباً في الردِّ على المشبِّهةِ .

وُلِدَ بالجزيرةِ ليلةَ الأحدِ رابعَ عشرَ ذي الحجةِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[2] .

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ الجزريُّ الشافعيُّ]

وأمَّا الشيخُ شمسُ الدينِ : فهوَ [. . .][3] .

[الإمامُ القاضي بهاءُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ العباسِ بنِ صفيِّ الدينِ بنِ أبي المنصورِ المالكيُّ]

ومِنَ العلماءِ الأحياءِ ، الذينَ تداركَ فضلُهُم ما ماتَ مِنَ السننِ بالإحياءِ ، وسارَتْ سيرتُهُمُ الجميلةُ في الأحياءِ . . العالمُ الأصيلُ ، والحاكمُ ذو البيانِ والتحصيلِ ، الذي ورثَ الردَّ على المبتدعةِ مِنَ الآباءِ والأجدادِ ، وجَدَّ طَلْعَ

---

(١) قوله : (في مصر) كذا في (ب) ، وهي غير واضحة وضوحاً تاماً في (أ) .

(٢) وكانت وفاته في مصر ليلة الاثنين سنة (٧١١هـ) ، ودفن بسفح المقطم ، وانظر « الدرر الكامنة » (٦/ ٧١-٧٢) ، و« المقفى الكبير » (٧/ ٢٦٦) .

(٣) وهو غير السابق كما صرح المؤلف بذلك في (٢/ ٢٩٩) ، وتوفي يوم الخميس سادس ذي القعدة سنة (٧١١هـ) ، وما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار ربع صفحة ، وانظر ترجمته في « المقفى الكبير » (٧/ ٢٦٨) ، و« الدرر الكامنة » (٦/ ٥٤-٥٥) .

شجرتِهِمُ النابتةِ في أصلِ الجحيمِ قبلَ أوانِ الجدادِ ، فهوَ حادٌّ على مَنْ حادَّ اللهَ تبينًا بهِ أنَّ خيارَ هـٰذهِ الأمةِ الحِدادُ .

قد تناسبَتْ أحوالُهُ ابتداءً وانتهاءً ، وسمتْ بهِ همَّةٌ أشبهَ بها سلفَهُ وازدادَ بها بهاءً ، ولم يَزَلْ في النصرةِ يميناً لعليٍّ ، ويميناً برَّةً لكلِّ وليٍّ ، سهمٌ مُؤيَّدٌ بالسدادِ والإصابةِ ، وشهمٌ مُؤيِّدٌ لعصابةِ الحقِّ أكرمْ بها مِنْ عصابةٍ ، ماضي العزائمِ ، تجنحُ منهُ أبطالُ الباطلِ إلى الهزائمِ ، يجاهدُ في سبيلِ اللهِ لا يخافُ لومةَ لائمٍ ، أصبحَ بهِ كلُّ ممدودٍ في الغيِّ مقصوراً ، وكلُّ حاجٍّ حجَّاجٍ بحُبْسةِ العِيِّ محصوراً ، لا جرمَ أظهرَ اللهُ بهِ الحقَّ الذي لم يَزَلْ بأبناءِ أبي المنصورِ منصوراً .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ بهاءُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الإمامِ العالمِ المدرسِ جمالِ الدينِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ شيخِ المشايخِ صفيِّ الدينِ بنِ أبي المنصورِ المقدَّمِ ذكرُهُ[(١)] .

نشأَ بمصرَ واشتغلَ بها على علماءِ عصرِهِ المقدَّمِ ذكرُهُم مِنَ المالكيةِ ، وقرأَ الأصولَ واشتغلَ ، وسلكَ طريقَ الإرادةِ ، وتجرَّدَ عنِ الدنيا ولزمَ الرحلةَ والحجَّ مراراً ، وأُجيزَ مِنْ جدِّهِ الشيخِ صفيِّ الدينِ بإلباسِ خرقةِ التصوفِ ، وصحبَ جدَّهُ وخدمَهُ سفراً وحضراً ، واستفادَ منهُ معارفَ وأموراً وأحوالاً ، فأطلعَهُ على أسرارٍ لا يعرفُها غيرُهُ ، ورزقَهُ اللهُ جودةَ الذهنِ وصحةَ الاعتقادِ ، وحلاوةَ العبارةِ في كلِّ ما يتكلَّمُ فيهِ مِنَ الفقهِ والأصولِ والخلافِ والمعارفِ والآدابِ .

ودرَّسَ وأفتى ، ووليَ النيابةَ في القضاءِ بمصرَ وما أُضيفَ إليهِ ، وتخرَّجَ بهِ جماعةٌ مِنَ الصوفيةِ ، واستفادَ منهُ جماعةٌ مِنَ الطلبةِ ، وهوَ على تمكنِهِ مِنَ

---

(١) انظر (٢/ ١٥٢ـ ١٦٠) .

العلمِ ووجاهتِهِ وأصالتِهِ . كثيرُ التواضعِ ، حسنُ المَلْقى ، طَلْقُ المُحيَّا ، يؤثرُ الانقطاعَ عن أربابِ الدنيا .

وقد رأيتُ أنْ أجعلَ أوصافَهُ الشريفةَ مسكَ رحيقِ هـٰذا البابِ ، ومناقبَهُ خاتمةً لعقدِ جواهرِ ذوي الألبابِ ، فأصبتُ الغرضَ ، وإنْ لم أبلغْ مِن استيعابِ مناقبِهِ بعضَ المفترضِ ، نفعَ اللهُ بهِ وبآبائِهِ ، وحرسَ الكافَّةَ ببقاءِ وجهِهِ الجميلِ وحَوْبائِهِ ؛ بمحمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ[1] .

* * *

(١) وتُوفي بهاء الدين سنة (٧٢٤هـ) ، وانظر « الدرر الكامنة » (١/ ١١٢) .

خاتمة

فيها وصف عام بين الأئمة السابقين

فهؤلاءِ أصلحَكُمُ اللهُ أئمَّةُ الهدى ، المُنقِذونَ مِنَ الردى ، الجماهيرُ المشاهيرُ نجومُ سماءِ الإيمانِ ، ورجومُ المبتدعةِ أهلِ الخذلانِ ، وكاشفو الغَمَّاءِ ، وصارفو الفتنةِ الصمَّاءِ ، لا يُقِرُّونَ على بِدْعةٍ ، ولا يَقَرُّونَ أو يُحسَمَ ثُؤلُولُها خشيةَ أنْ يبقى سِلعة[1] ، فهم أبداً على الحقِّ متظافرُونَ ، وبتأييدِ الحقِّ إيَّاهُم على الأعداءِ ظاهرُونَ ، وبِهِم ظافرُونَ .

سلُوا عنهُم أوائلَكُم ، كيفَ كَفَوُا المسلمينَ غوائلَهُم كما كُفينا بهِم غوائلَكُم ، قد طلعَتْ كتيبتُهُمُ الخضراءُ ، وقدِ امتلأَتْ منها الغبراءُ ، خافقةً أعلامُها في كل أفقٍ ، خافقةً قلوبُ مُناوِئِها مِنَ الفرقِ ، راشقةً سهامَها في نحورِ مَنْ ناصبَها مِنَ الفِرَقِ ، مُشرعةً أدلَّتَها التي هيَ أقومُ مِنَ الصِّعادِ[2] ، وأنفذُ في أكبادِ الأضدادِ مِنَ الأسنَّةِ الحِدادِ ، شاهرةً مَشْرَفياتِ براهينِها القاطعةِ ، باهرةً بشموسِ حُجَجِها الساطعةِ ، قد أخذَتْ عليكُمُ الطرقَ ، وغصَّ منها سَعَةُ الأفقِ ، وسدَّتْ عليكُم سعةَ المذاهبِ ، وأبطلَتْ منكُم سخيفَ المذاهبِ .

فليسَ إلا الاستسلامُ ، وتجديدُ التوبةِ التي هيَ ركنُ الإسلامِ ، والرجوعُ إلى عقائدِهِمُ التي سردتْها ، والاغترافُ مِنْ مناهلِهِمُ التي أوردتْها ،

---

(١) الثؤلول : خراج صغير صلب مستدير على صور شتى ، والسِّلْعة : خراج كهيئة الغدة يتحرك بالتحريك .

(٢) الصِّعاد : جمع صَعْدة ؛ وهي الرمح المستوية التي لا تحتاج إلى تثقيف .

والاعترافُ بفضائلِهِمُ التي خصَّهُمُ اللهُ بها فعددتُها .

أشهدُ أنَّ اللهَ لم يجمعْهُم على ضلالةٍ ، ولا أقرَّهُم معَ تواترِ الأعصارِ مِنْ غيرِ إنكارٍ على خطأٍ في فعلٍ ولا مقالةٍ ، وأنَّ الهدايةَ معَهُم وإنْ رغمَ أنفُ المبتدعِ لا أبا لهُ .

همُ القومُ كلُّ القومِ ، لم يزالوا ظاهرينَ على الحقِّ مِنْ لدنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى اليومِ .

لا يضرُّهُم مَنْ خذلَهُم ، إنْ عُدَّتْ مَكرُمةٌ أو أُعِدَّتْ كرامةٌ فمنهُم ولهُم ، أو منقبةٌ تبعَ آخرُهُم فيها أوَّلَهُم ، لا يقومُ لواحدِهِمُ الألوفُ فكيفَ إذا اجتمعُوا ؟! ولا يهابُونَ الحُتوفَ إذا أخذُوا في ردعِ المبتدعةِ وشرعُوا ، ولا يغيِّرُ أحدٌ ما قرَّرُوا مِنْ صحَّةِ الاعتقادِ وشرعُوا ، همُ القومُ إنْ حاربُوا وضعُوا ، أو سالمُوا رفعُوا[1] .

جَمَالَ ذِي ٱلْأَرْضِ كَانُوا فِي ٱلْحَيَاةِ وَهُمْ ... بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ جَمَالُ ٱلْكُتْبِ وَٱلسِّيَرِ
مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ لَمْ تَأْشَرْ ضَمَائِرُهُ ... لِلَثْمِ خَدٍّ وَلا تَقْبِيلِ ذِي أُشُرِ
لَكِنْ يُقَبِّلُ فُوهُ مَسْمَعَيْ رَجُلٍ ... ذِي فِطْنَةٍ كَضِيَاءِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ
خَفَّ ٱلْوَرَىٰ وَأَقَرَّتْهُمْ حُلُومُهُمُ ... وَٱلْجَمْرُ تُعْدَمُ فِيهِ خِفَّةُ ٱلشَّرَرِ
قَالَتْ عُدَاتُهُمُ مَا ٱلْمَجْدُ مُكْتَسَبٌ ... مَقَالَةَ ٱلْهُجْنِ لَيْسَ ٱلسَّبْقُ بِٱلْحُضُرِ
أُعِيذُ مَجْدَهُمُ بِٱللهِ خَالِقِهِمْ ... مِنْ أَعْيُنِ ٱلشُّهْبِ لا مِنْ أَعْيُنِ ٱلْبَشَرِ[2]

---

(١) أخذ هـٰذا المعنىٰ من قول ابن هرمة : (من البسيط)

إنْ حاربُوا وضعُوا أو سالمُوا رفعُوا ... أو عاقدُوا ضَمِنُوا أو حدَّثُوا صدقُوا

انظر « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٢١ـ٢٢) .

(٢) الأبيات لأبي العلاء المعري في ديوانه « سقط الزند » (ص٥٩ـ٦٢) ، وهي من البسيط ، وغيَّر المؤلف بعض الألفاظ حتىٰ تتناسب مع المقام والسياق .

هـٰذا ؛ وهم بعضٌ مِنْ كلٍّ ، وقطرةٌ مِنْ بحرٍ ، ويسيرٌ مِنْ كثيرٍ ، ولم أقدرْ علىٰ حصرِهِم ، ولا على استيعابِ ذكرِهِم ، وكيفَ يُحصىٰ رملُ عالجٍ ، أو تُحصرُ أمواجُ البحرِ[1] ، أو تُكاثَرُ نجومُ السماءِ ؟! إنَّما هـٰذهِ سَرِيَّةٌ مِنْ تلكَ الجيوشِ السَّرِيَّةِ ، وبقيةُ قائِلِنا تلكَ الجُنوسَ الشقيَّةَ[2] .

ولم نذكرْ إلا مَنْ لهُ على المبتدعةِ استطالةٌ ، وإنكارُ فعلٍ أو مقالةٍ ، أو نُقِلَ عنهُ كلامٌ يُوافِقُ أهلَ السنَّةِ ، ويُفارِقُ بهِ المبتدعةَ أهلَ المحنةِ ، أو نكايةٌ في داعيةٍ مِنْ دُعاتِهِم ، أو حكايةٌ ظهرَ فيها علىٰ رَعاعِهِم أو رُعاتِهِم ، أو سدَّدَ إليهم أسهُمَ المناضلةِ ، أو روَّىٰ مِنْ دمائِهِم رماحَ الإنكارِ ومناصلَهُ ، أو برىٰ لمَنْ يُراميهم سهماً ، أوِ انبرىٰ لمحاربتِهِم يوماً ما ، أو أعانَ عليهم بكلمةٍ تُؤثِّرُ فيهم كَلْماً .

هـٰذا ؛ ولم أستنجدْ إخوانَنا مِنَ المغربِ الأقصىٰ ، ولم أسترفِدْ جيرانَهُم مِنَ المشرقِ الذينَ هم لمَساوِيهِم أجمعُ وأحصىٰ ، ولم أستدعِ علماءَ الحجازِ واليمنِ ، الذينَ يشرونَ نفوسَهُم ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ بغيرِ عرضٍ مِنَ الدنيا ولا ثمنٍ ، ولم أستنهضْ بقيَّةَ علماءِ هـٰذا العصرِ ، ولم أستوعبْ مَنْ مضىٰ مِنْ أحبارِ هـٰذا المِصْرِ ، الذي لا تظهرُ فيهِ بدعةٌ إلا نُكِّسَتْ رايتُها ، وكانَ إلى الخمولِ مآلُها وغايتُها .

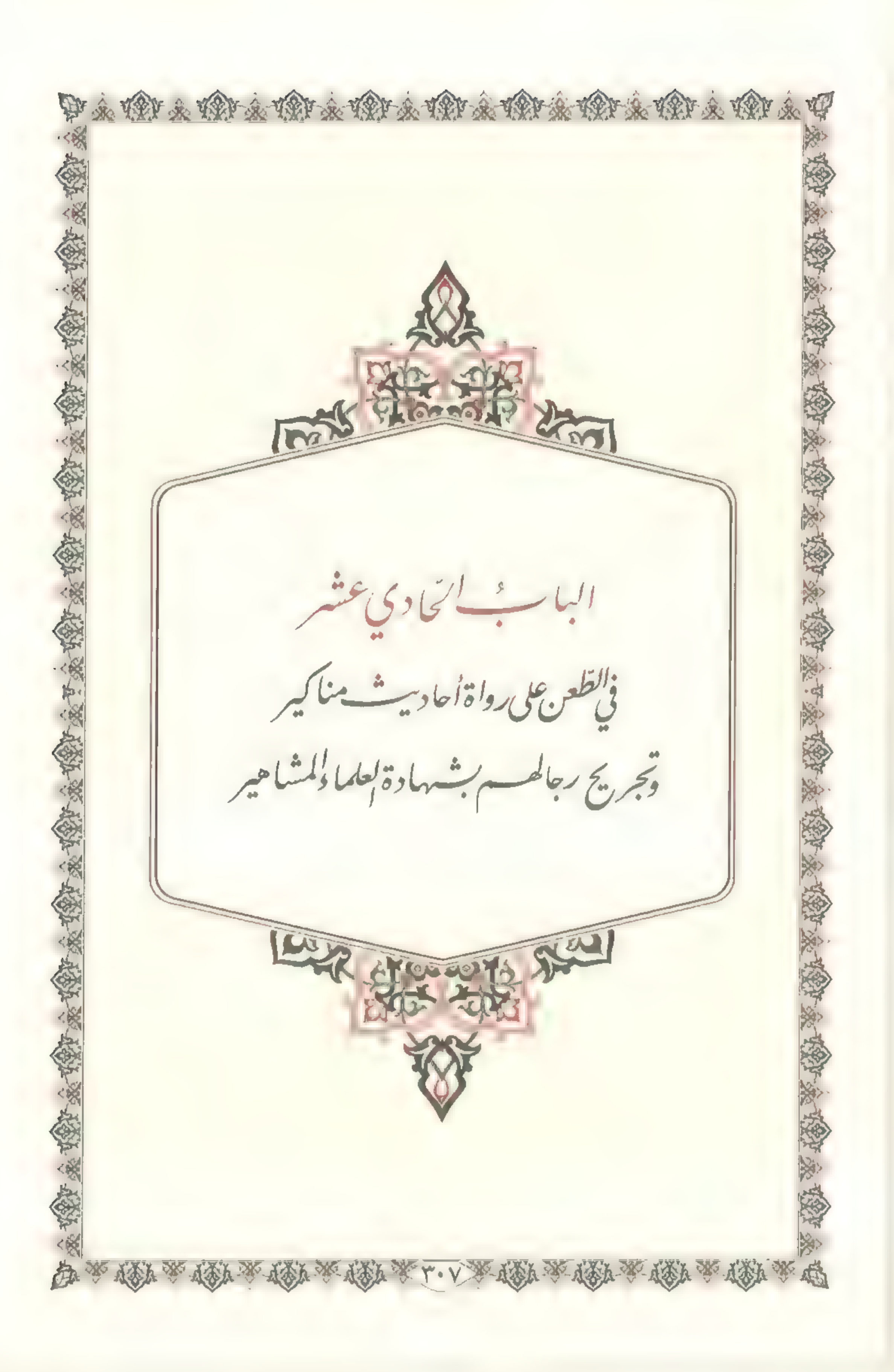
فالحمدُ للهِ الذي أهَّلَ أهلَهُ لذلكَ ، ولهُ الشكرُ علىٰ فضلِهِ المتواترِ ولطفِهِ المُتدارِكِ ، وهوَ المسؤولُ أنْ يُوفِّقَنا كما وفَّقَ مَنْ قبلَنا ، وأنْ يحميَ مِنَ الابتداعِ قولَنا وفعلَنا .

* * *

---

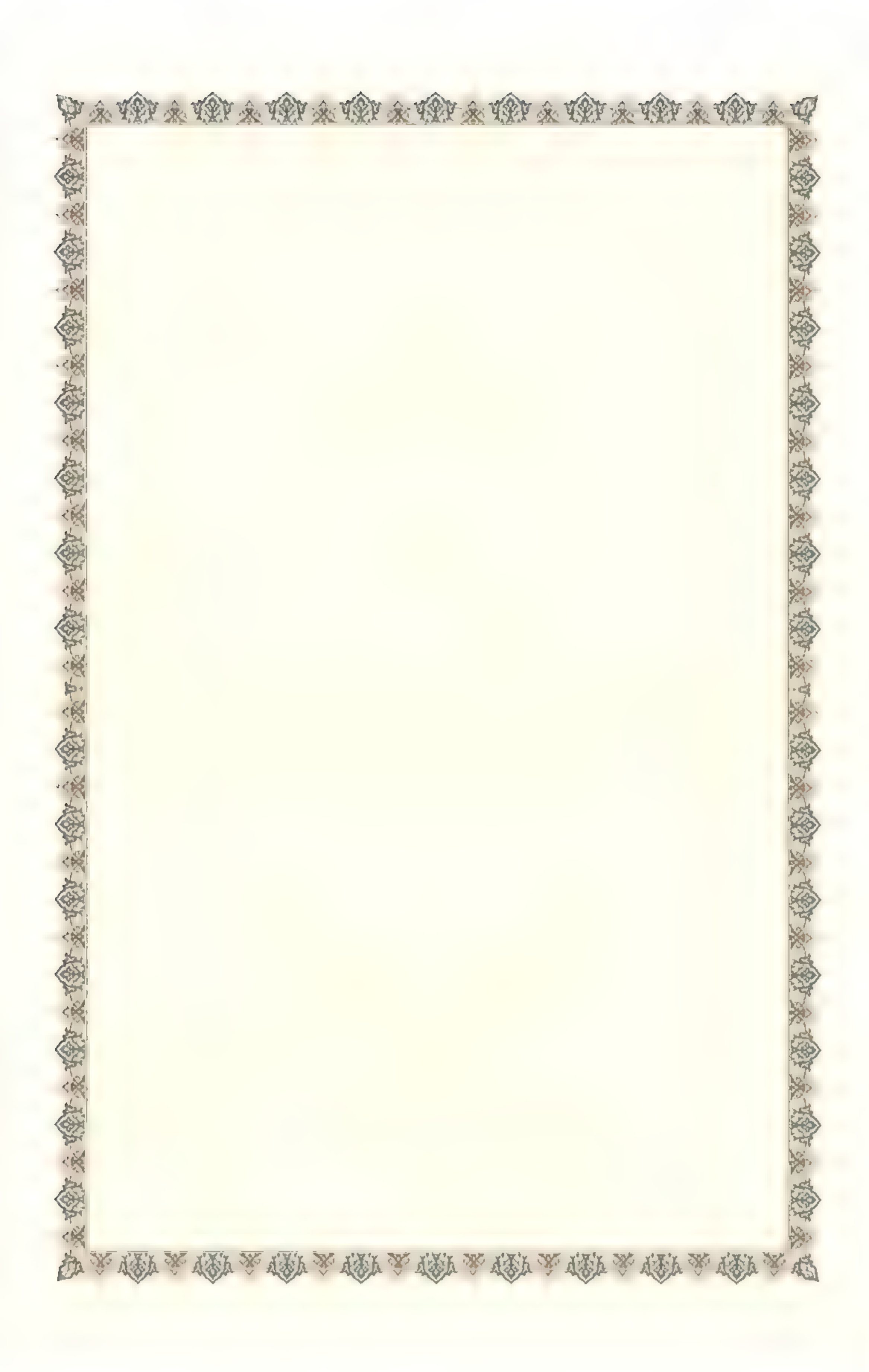
(١) زاد في (ب) : (الهائج) .

(٢) قوله : (قائلنا) هو بمعنىٰ : رافع عنا ومزيل ؛ أي : رافعٌ عنَّا ومزيلٌ عثرات المبتدعة الأشقياء .



الباب الحادي عشر

في الطعن على رواة أحاديث مناكير
وتجريح رجالهم بشهادة العلماء المشاهير



بابُ
الطّعن على رواة أحاديث مناكير
وتجريح رجالهم بشهادة العلماء المشاهير

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ إنْ شاءَ اللهُ ما أوردَهُ المُشبِّهةُ مِنْ أحاديثَ لفَّقُوها ، وزياداتٍ علىٰ ما في الصحيحِ زعمُوا أنَّهُم عنِ الرواةِ تلقَّفُوها ، مُستدلِّينَ بذلكَ علىٰ مذاهبِهِمُ الفاسدةِ ، سالكينَ في ذلكَ طريقَهُمُ التي لم تَزَلْ عنِ الحقِّ حائدةً .

[اعلَمْ ـ أرشدَنا اللهُ] وإيَّاكَ ـ[1] : أنَّ بعضَ المبتدعةِ أوردُوا أحاديثَ مُلفَّقةً ، برواياتٍ غيرِ مُتقنةٍ ولا مُحقَّقةٍ ، مُروِّجينَ لبَهْرَجِها على الأغبياءِ لا على النُّقَّادِ ، مُخرجينَ لها وهيَ معلولةُ المتنِ والإسنادِ ، تقشعرُّ الجلودُ مِنْ سماعِها ، ويُتحقَّقُ وضعُها مِنْ فسادِ أوضاعِها ، والعبدُ بعونِ اللهِ ومشيئتِهِ يُبيِّنُ بَهْرَجَها ، ويفضحُ بها مَنْ خرَّجَها .

فاعلمْ : أنَّها منقسمةٌ إلىٰ قسمينِ : قسمٍ وقعَتِ العلةُ في متنِهِ ، وقسمٍ وقعَتْ في سندِهِ .

[حكمُ الأحاديثِ الواقعِ في سندِها رجالٌ متَّفَقٌ علىٰ تضعيفِهم أو مختلَفٌ فيهِ]

فأمَّا ما وقعَتِ العلةُ في سندِهِ . . فهوَ علىٰ قسمينِ : قسمٍ متفقٍ علىٰ تضعيفِ بعضِ رواتِهِ ، وقسمٍ مختلفٍ فيهِ .

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار ثلاث كلمات .

فأمّا المتفقُ عليهِ فيردُ لكَ علىٰ حالتينِ : حالةٍ يُصرِّحُ فيها بأسمائِهم أو كُناهُم أو ما يُعرفونَ بهِ ، والحالةُ الثانيةُ : يُدلِّسونَ بهِم ؛ فيذكرونَ كُناهُم دونَ أسمائِهم ، أو أسماءَهُم دونَ كُناهُم ، أوِ اسماً هم غيرُ مُشتهرينَ بهِ ويُعرَفونَ بغيرِهِ ، أو صنعةً ، أو غيرَ ذلكَ مِنْ أنواعِ التدليساتِ التي يُعاينُها أهلُ هٰذهِ الصناعةِ .

وهاتانِ الحالتانِ مِنْ نوعِ التدليسِ المذموم ، قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ بسندِهِ إلىٰ حمَّادِ بنِ زيدٍ قالَ : (المُدلِّسُ مُتشبِّعٌ بما لَم يُعطَ)[1] .

وبسندِهِ إلىٰ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ عن أبيهِ قالَ : (التدليسُ ذلٌّ)[2] .

وقالَ سليمانُ بنُ داودَ المنقريُّ : (التدليسُ والغشُّ والغرورُ والخداعُ والكذبُ تُحشَرُ يومَ تُبلى السرائرُ في نفاذٍ واحدٍ)[3] .

وذُكِرَ لعبدِ اللهِ بنِ المباركِ رجلٌ ممَّنْ كانَ يُدلِّسُ ، فقالَ فيهِ قولاً شديداً ثمَّ أنشدَ : [من السريع]

دَلَّسَ لِلنَّاسِ أَحَادِيثَهُ   وَٱللهُ لا يَقْبَلُ تَدْلِيسَا[4]

والعجبُ منهُم أنَّهُم ظنُّوا أنَّ ذلكَ عوارٌ قد سُتِرَ ، وقتيلٌ قد قُبِرَ ، لا يعثرُ علىٰ ذلكَ عاثرٌ ، ولا يهتدي لهُ ذاكرٌ ولا آثِرٌ !! ويأبى اللهُ والمسلمونَ ذلكَ ، والحمدُ للهِ قد ضُبِطَتِ الشريعةُ واستقرَّتْ قواعدُ الدينِ ، وحُرِسَتْ سماءُ النقلِ بنجومِ العلماءِ مِنْ شياطينِ الغوايةِ في الروايةِ .

---

(١) معرفة علوم الحديث (ص١٠٣) .
(٢) معرفة علوم الحديث (ص١٠٣) .
(٣) معرفة علوم الحديث (ص١٠٣) .
(٤) أخرجه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص١٠٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٤٣) .

فهٰذهِ الأقسامُ ساقطةٌ بالكليةِ .

فأمَّا القسمُ المختلفُ فيهِ : فأسانيدُ بعضِ رواتِها مختلفٌ فيهِ ؛ فقائلٌ بتجريحِهِ ، وقائلٌ بتعديلِهِ والأخذِ عنهُ .

فنقولُ : قد تقرَّرَ عندَ علماءِ الفروعِ : أنَّهُ إذا تعارضَ الجرحُ والتعديلُ قُدِّمَ الجرحُ على التعديلِ ، وقالَ علماءُ الحديثِ : إنَّ المثبتَ مُقدَّمٌ على النافي ، والذي يُجرِّحُ يذكرُ أمراً زائداً على المُعدِّلِ ، فوجبَ الرجوعُ إليهِ وتقديمُ الجرحِ على التعديلِ ، سيَّما إذا عَضَدَ الجرحَ كونُ الحديثِ متنُهُ مخالفٌ لأصلٍ مِنْ أصولِ الشريعةِ ، أو يقتضي نقضَ قاعدةٍ مِنَ القواعدِ العقليةِ والنقليةِ .

فهٰذا القسمُ أيضاً ساقطُ الاعتبارِ لا يُشتغَلُ بتأويلِهِ .

[حكمُ الأحاديثِ التي خالفَتِ العقلَ والتنزيهَ مِنْ جميعِ وجوهِهِ]

والقسمُ الثاني مِنَ القسمينِ الأوَّلينِ : ما ليسَ في سندِهِ مُضعَّفٌ ، ولا في رواتِهِ قدحٌ .

وهٰذا أيضاً على قسمينِ : قسمٍ خالفَ العقلَ والتنزيهَ مِنْ جميعِ وجوهِهِ ؛ بحيثُ لا يحتملُ تأويلاً ما ألبتةَ ، فحينئذٍ يُعلَمُ أنَّ الحديثَ موضوعٌ ، قالَ الإمامُ أبو الفرجِ عبدُ الرحمٰنِ ابنُ الجوزيِّ : (وقد يتَّفقُ أنْ يكونَ رجالُ الحديثِ كلُّهُم ثقاتٍ والحديثُ موضوعٌ أو مقلوبٌ ، وهٰذا مِنْ أشكلِ الأمورِ)[1] .

وقد روىٰ محمدُ بنُ جبيرِ بنِ مطعمٍ عن أبيهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا حَدَّثْتُمْ عَنِّي مِمَّا تُنْكِرُونَهُ فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ ؛ فَإِنِّي لَا أَقُولُ ٱلْمُنْكَرَ وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ »[2] .

---

(١) الموضوعات (١/١٥١) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص٤٣٠) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » =

وقالَ الأوزاعيُّ : (كنَّا نسمعُ الحديثَ فنَعرِضُهُ علىٰ أصحابِنا كما يُعرَضُ الدرهمُ الزائفُ ؛ فما عرفوا منهُ أخذْنا ، وما أنكروا منهُ تركْنا)[١] .

وقالَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ : (إنَّ للحديثِ ضوءاً كضوءِ النهارِ تعرفُهُ ، وظلمةً كظلمةِ الليلِ تُنكِرُها)[٢] .

وقالَ أبو الفرجِ أيضاً في (كتابِ التوحيدِ) مِنْ « كتابِهِ في الموضوعاتِ » بعدَ أنْ تكلَّمَ علىٰ رواةِ حديثٍ موضوعٍ : (واعلمْ : أنَّا إنَّما جرَّحْنا رواةَ هـٰذا الحديثِ علىٰ عادةِ المُحدِّثينَ ؛ لنُبيِّنَ أنَّهُم وضعوا هـٰذا الحديثَ ، وإلا فمثلُ هـٰذا الحديثِ لا يُحتاجُ إلى اعتبارِ رواتِهِ ؛ لأنَّ المستحيلَ لو وردَ عنِ الثقاتِ رُدَّ ونُسِبَ إليهِمُ الخطأُ ، فكلُّ حديثٍ يُخالِفُ المعقولَ ، أو يُناقِضُ الأصولَ . . فاعلمْ أنَّهُ موضوعٌ ، فلا تتكلَّفِ اعتبارَهُ)[٣] .

ومِنْ مختصرِ كلامِ إمامِ الحرمينِ في « الشاملِ » حينَ تكلَّمَ على السمعيَّاتِ قالَ : (الأصلُ في جميعِ السمعيَّاتِ : أنَّ ما ثبتَ النقلُ فيهِ بروايةِ الثقاتِ ، ولم يكنْ خلافَ المعقولِ ، ولم يتضمَّنْ قلبَ الحقيقةِ . . فيجبُ أنْ يُتلقَّىٰ بالقبولِ)[٤] ، فهـٰذا يقتضي : أنَّ ما كانَ على الضدِّ مِنْ جميعِ ذلكَ لا يُتلقَّىٰ بالقبولِ ؛ عملاً بمفهومِ الشرطِ .

= (١٤٦/١) ، وأخرجه البيهقي في « المدخل » (٢٥١) مرسلاً عن محمد بن جبير بن مطعم رحمه الله تعالىٰ .

(١) أخرجه أبو نعيم في « المستخرج علىٰ صحيح مسلم » (٤١) ، والبيهقي في « المدخل » (٥٨١) .

(٢) أخرجه البيهقي في « المدخل » (٥٦٨) ، والخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص٤٣١) ، ولفظه فيهما : (إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار تعرفه ، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل تنكره) .

(٣) الموضوعات (١/ ١٥٠ـ١٥١) .

(٤) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٨٠٦) .

وقالَ الإمامُ فخرُ الدينِ في المسألةِ الثامنةِ والثلاثينَ مِنْ كتابِ « الأربعينَ » : (إنَّ التمسُّكَ بالدلائلِ النقليَّةِ موقوفٌ علىٰ مُقدِّماتٍ عشرٍ . . .) ، ثمَّ عدَّها إلىٰ أنْ قالَ : (العاشرةُ : شرطُهُ أيضاً : عدمُ المعارضِ العقليِّ القاطعِ ؛ لأنَّهُ بتقديرِ وجودِهِ يفتقرُ الظاهرُ السمعيُّ إلىٰ تأويلٍ)(1) .

قلتُ : كلامُ الإمامِ فخرِ الدينِ فيما يحتملُ التأويلَ ، والفَرْضُ أنَّهُ لا يحتملُ التأويلَ ألبتةَ .

فهٰذهِ الأحاديثُ أيضاً ساقطةٌ .

[كيفَ أسقطتُمُ الأحاديثَ التي رواها الثقاتُ لمجرَّدِ مخالفتِها العقلَ ؟!]

فإنْ قيلَ : قد فرضتُم أنَّ رواتَها ثقاتٌ ، فكيفَ أسقطتُم حديثَهُم لمخالفةِ العقلِ ؟!

فالجوابُ : أنَّهُ قد يكونُ علىٰ وجهينِ :

أحدُهُما : أنْ يكونَ الراوي ثقةً ، ويُدخَلَ في حديثِهِ ما ليسَ منهُ ، فيُحدِّثَ بِهِ وهوَ لا يشعرُ ، ولا يُخرِجُهُ ذلكَ عن أهليةِ الروايةِ ، ولا يحطُّهُ عن درجةِ التوثيقِ ، وقدِ ابتُلِيَ جماعةٌ مِنَ السلفِ بذلكَ .

قالَ ابنُ عديٍّ الحافظُ : (كانَ ابنُ أبي العوجاءِ ربيبَ حمادِ بنِ سلمةَ ، فكانَ يدُسُّ في كتبِهِ أحاديثَ)(2) .

وقالَ أبو حاتمِ بنُ حبانَ الحافظُ : (امتُحِنَ جماعةٌ مِنْ أهلِ المدينةِ

---

(1) الأربعين في أصول الدين (ص٤١٦ـ٤١٨) ، وفيه : (يجب صرف الظاهر) بدل (يفتقر الظاهر) .

(2) الكامل في ضعفاء الرجال (٣/٤٧) ، وأورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/١٤٢) ، و« العلل المتناهية » (١/٢٣) .

بحبيبِ بنِ أبي حبيبِ الورَّاقِ ، وكانَ يُدخِلُ عليهِمُ الحديثَ)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ كاتبُ الليثِ صدوقاً صادقاً ، لـٰكنْ وقعَتِ المناكيرُ في حديثِهِ مِنْ قبلِ جارٍ لهُ[2] .

وذكرَ ابنُ خزيمةَ قالَ : (كانَ لهُ ـ يعني : عبدَ اللهِ بنَ صالحٍ ـ جارٌ بينَهُ وبينَهُ عداوةٌ ، فكانَ يضعُ الحديثَ علىٰ شيخِ عبدِ اللهِ بنِ صالحٍ ، ويكتبُهُ في قرطاسٍ بخطٍّ يُشبِهُ خطَّ عبدِ اللهِ بنِ صالحٍ ، ويطرحُهُ في دارِهِ في وسطِ كتبِهِ ، فيجدُهُ عبدُ اللهِ فيتوهَّمُ أنَّهُ خطُّهُ ، فيُحدِّثُ بهِ)[3] .

وكانَ لسفيانَ بنِ وكيعِ بنِ الجرَّاحِ كاتبٌ يُقالُ لهُ : قرطبةُ ـ أو قرطمةُ ـ يُدخِلُ عليهِ الحديثَ[4] .

قلتُ : أفتراكَ تُسقِطُ روايةَ حمادِ بنِ سلمةَ وغيرِهِ مِنَ الثقاتِ ، وقد خرَّجَ عنهُ العلماءُ الأكابرُ ؟!

دائماً ما كانَ مِنْ حديثِهِم بهـٰذهِ الصفةِ المُتقدِّمةِ . . فليُعلَمْ أنَّهُ أُتِيَ عليهِم فيهِ مِنَ الوجهِ الذي قدَّمناهُ ، واللهُ أعلمُ[5] .

والوجهُ الثاني مِنْ وجهيِ الجوابِ : أنَّ الزنادقةَ وضعَتْ أحاديثَ ؛

---

(١) أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٤٢) .

(٢) انظر « الموضوعات » (١/ ١٤٢) .

(٣) أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٤٢) .

(٤) أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٤٢) ، وفيه : (ورّاق) بدل (كاتب) .

(٥) ذكر الإمام البيهقي في « الأسماء والصفات » بعض هـٰذه الأحاديث ، وقال الإمام الكوثري في إحدىٰ تعليقاته على الكتاب (ص٤١٠) : (وأحاديث حماد بن سلمة في الصفات تحتوي غرائب تحتاج إلىٰ تدوين كتاب خاص ، والدفاعُ عن حماد بن سلمة ومحاولة تصحيح مثل هـٰذا الحديث . . لا يصدر إلا ممن لا يعي ما يقول ، فتباً لعقل يستسيغ الوثنية في الإسلام ، ويحاول الدفاع عن ضعفاء الأحلام ، بعد وضوح العلل وتبين الخلل ، فيما يتمسك به أهل الزلل) .

ليشوِّشوا بها عقائدَ المسلمينَ ، وركَّبوا عليها أسانيدَ صحيحةً ليسَتْ في رواتِها علةٌ ، بل أسانيدَ معروفةَ الرواةِ ، ودسُّوها في مصنفاتِ أكابرَ ، ثمَّ أكَّدوها بالسماعاتِ وكتبِ الطباقِ بخطوطِ [. . .][1] ، فاتَّصلَتْ وهيَ على هـٰذهِ الحالةِ السيئةِ ، ولا يُظهِرُ بهرجَها إلا مَنْ حصرَ مسانيدَ الصحابةِ والتابعينَ ، ولا يفطنُ لهـٰذا البابِ إلا كبارُ الحفاظِ .

[حكمُ الأحاديثِ التي خالفَتِ العقلَ واحتُمِلَ تأويلُها]

والقسمُ الثاني مِنَ التقسيمِ الأخيرِ : ما صحَّ سندُهُ ومتنُهُ لـٰكنَّ ظاهرَهُ يأباهُ العقلُ ، ويحتملُ التأويلَ ، ويمكنُ تأويلُهُ ، فحينَئذٍ يُشتغَلُ بتأويلِهِ كما يُشتغَلُ بتأويلِ الظواهرِ المتواترةِ .

وهـٰذا القسمُ مِنْ بينِ سائرِ الأقسامِ هوَ المعتبرُ والمعمولُ بهِ والمُعوَّلُ عليهِ ، وهـٰذا القسمُ قد أفردتُ لهُ باباً يلي هـٰذا البابَ .

[لا يُشتغَلُ بالتأويلِ إلا بعدَ صحةِ المتنِ والسندِ]

واعلمْ : أنَّا إنَّما نشتغلُ بالتأويلِ بعدَ صحةِ المتنِ والسندِ ، وإلا فكيفَ نبني على جُرُفٍ هارٍ ؟! وكانَ جماعةٌ مِنَ المشايخِ ينتقدونَ على الأستاذِ أبي بكرِ ابنِ فُوركَ رضيَ اللهُ عنهُ اشتغالَهُ في كتابِهِ بتأويلِ أحاديثَ مناكيرَ لا أصلَ لها ، وذُكِرَ أنَّهُ إنَّما أوَّلَها بتقديرِ صحتِها[2] ، ومستندُهُم في ذلك : أنَّهُم خشُوا أنَّ ذلكَ يبقىٰ ذريعةً إلىٰ تداولِها ، وربَّما لا يظهرُ لبعضِ الجهلةِ تأويلُها ؛ فيكونُ ذلكَ سبباً لضلالِهِ .

---

(١) ما بين معقوفين غير واضح في الأصل بسبب رداءة التصوير .

(٢) بدليل أنه لم يؤول حديثَ : (إن الله عز وجلَّ خلق نفسه من عرق الخيل) ، وهو ما رواه حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة ؛ لكونه منكراً موضوعاً . انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٣٥٠) .

واعلمْ : أنَّ سائرَ الأقسامِ التي قدَّمتُها قد أوردَها المُحدِّثونَ وأهلُ الأثرِ في كتبِهِم ، وقد تداولُوها خَلَفاً عن سَلَفٍ ، ودوَّنوها في أجزائِهِم لا على وجهِ الطعنِ على رواتِها ، ولا القدحِ فيهِم ، ولا التنبيهِ على ضَعفِ نَقَلتِها ، بل على وجهٍ سوَّدوا بهِ صحائفَهُم صورةً ومعنىً .

والعجبُ كلُّ العجبِ مِنْ إمامٍ ماهرٍ في علمِ الحديثِ قدوةٍ فيهِ ينقلُ أمثالَ هٰذهِ الأحاديثِ ويأثرُها ، ويستشهدُ بها على صفاتِ الباريْ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ !!

فهوَ لا يخلو : إمَّا أنْ يعتقدَ بطلانَها أو لا يعتقدَ ؛ فإنِ اعتقدَ بطلانَها أو توهَّمَهُ فهوَ لا يَحِلُّ لهُ نقلُها إلا على سبيلِ الإنكارِ والاستبعادِ ، وإظهارِ خللِ رواتِها والتنديدِ بهِم والنعيِ عليهِم ؛ لتُجتَنَبَ ، كما قالَ[1] : [من الهزج]

عَــرَفْــتُ ٱلشَّــرَّ لا لِلشَّــرِّ ... لَٰكِــــنْ لِتَـــوَقِّيـــهِ
وَمَـــنْ لا يَعْـــرِفِ ٱلشَّـــرَّ ... مِـــنَ ٱلْخَيْـــرِ يَقَـــعْ فِيـــهِ

فكيفَ ينقلُها على سبيلِ الاستشهادِ على الصفاتِ ولا يُنبِّهُ عليها ، وقد صحَّتِ الروايةُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وكادَتْ تبلغُ حدَّ التواترِ أنَّهُ قالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ » ؟![2] .

وقولُهُ : « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ[3] . . فَهُوَ أَحَدُ ٱلْكَاذِبَيْنِ »

---

(١) البيتان لأبي فراس الحمداني في « ديوانه » (٣/ ٤٣١) .

(٢) أخرجه البخاري (١١٠) ، ومسلم (٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد أفرد الحافظ ابن الجوزي باباً في كتابه « الموضوعات » أورد فيه طرق هٰذا الحديث ، وذكر أن رواته من الصحابة بلغوا ثماني وتسعين نفساً ، ثم ذكر الأحاديث جميعها . انظر « الموضوعات » (١/ ٥٠ـ١٢٩) .

(٣) قال ملا علي القاري في « مرقاة المفاتيح » (١/ ٢٨٢) : (يُرىٰ : روي بضم الياء من الإراءة ؛ أي : يظن ، وبفتحها من الرأي ؛ أي : يعلم) .

أو « أَحَدُ ٱلْكَاذِبِينَ » على اختلافِ الروايةِ[1] ، فقد منعَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الحديثَ عنهُ بما يُتخيَّلُ فيهِ الكذبُ ، كما منعَ الحديثَ بما يُتحقَّقُ فيهِ الكذبُ .

فلا بدَّ مِنْ تحقُّقِ الصحةِ قبلَ أنْ يقولَ : (قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

وإنْ لم يعتقدْ بطلانَهُ فقد نبَّهَ علىٰ بطلانِهِ مَنْ هوَ دونَهُ في المنزلةِ في هٰذا الشأنِ مِنَ المتأخرينَ[2] ، فيبعدُ أنْ يعلمَ المُتأخِّرُ مِنْ هٰذا الأمرِ ما لا يعلمُهُ المُتقدِّمُ .

بل كانَ الأحسنُ بهٰؤلاءِ الأئمَّةِ الذينَ بهِم يُقتدىٰ ، وإلىٰ طرقِهِم يُهتدىٰ . . أنْ يَضربوا صفحاً عن هٰذهِ الأحاديثِ ولا يُورِدُوها في كتبِهِم ؛ لوجوهٍ :

الأولُ : لما في رجالِها مِنَ الخللِ .

الثاني : لما في متونِها مِنْ مخالفةِ المعقولِ والتنزيهِ .

الثالثُ : تحرُّجاً مِنَ الكذبِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

الرابعُ : أنَّ تركَهُ لا يُؤدِّي إلىٰ مفسدةٍ في الدينِ ولا في المعتقدِ .

الخامسُ : لما يُؤدِّي إليهِ نقلُهُ مِنْ إضلالِ الجمِّ الغفيرِ مِنَ المسلمينَ .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٦٢) ، وأحمد (٤/ ٢٥٥) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وابن حبان (٢٩) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه ، وضبطُ النون والباء من (الكاذبين) موافق لضبط المؤلف ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١/ ٦٤ـ٦٥) : (الكاذبين : ضبطناه بكسر الباء وفتح النون على الجمع ، وهٰذا هو المشهور ، قال القاضي عياض : الرواية فيه عندنا : « الكاذبينَ » على الجمع ، ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه « المستخرج علىٰ صحيح مسلم » في حديث سمرة « الكاذبَيْنِ » بفتح الباء وكسر النون على التثنية ، واحتج به علىٰ أن الراوي له يشارك البادئ بهٰذا الكذب) .

(٢) قوله : (بطلانه) في الموضعين : الأنسب : (بطلانها) بالتأنيث كما مرَّ قبل قليل .

السادسُ : لما يظهرُ لأهلِ المللِ وأهلِ الضلالةِ والزنادقةِ ممَّا يزيدُهُم مروقاً وطغياناً .

السابعُ : لما فيهِ مِنْ إثارةِ سوءِ الظنِّ بقومٍ مستورينَ أو ثقاتٍ .

الثامنُ : أنَّهُ لا ينبغي للعالمِ أنْ يُورِدَ في علمِهِ ما يُنفِّرُ القلوبَ عنهُ ، ويجرُّ إلىٰ سوءِ الظنِّ بهِ .

التاسعُ : أنَّهُ لا ينبغي للمُحدِّثِ المُحرِّرِ المُتحرِّرِ أنْ يُدوِّنَ في كتبِهِ الغثَّ والسمينَ ، « كَفَىٰ بِٱلْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ »[١] .

وذكرَ الإمامُ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ النيسابوريُّ في « علومِ الحديثِ » بسندِهِ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ قالَ : (سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : « لقد حدَّثتُ بأحاديثَ وَدِدتُ أنِّي ضُرِبتُ لكلِّ حديثٍ سوطينِ ولم أُحدِّثْ بها » ، فمالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ تحرُّجِهِ وتحرُّرِهِ ونقدِهِ الحديثَ ـ وهوَ كما قيلَ : أميرُ المؤمنينَ في حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ مُقِلٌّ مِنْ تدوينِ الحديثِ ـ يتقي الحديثَ بها هـٰذهِ التقيةَ ، فما ظنُّكَ بمَنْ حدَّثَ بالطِّمِّ والرِّمِّ)[٢] ، ويُقدِمَ علىٰ إشحانِ كتبِهِ بهـٰذا الغمِّ[٣] ؟! إنَّما أمرُهُم إلى اللهِ .

* * *

(١) أخرجه مسلم في مقدمة « صحيحه » (١/ ٨) ، وأبو داود (٤٩٩٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) معرفة علوم الحديث (ص ٦١) ، والطِّم : الغثاء الذي علىٰ وجه الماء ، أو العجيب ، والرِّم : ما تحمله الريح ، وقيل غير ذلك . انظر « تاج العروس » (٣٢/ ٢٨٤) ، مادة : (ر م م) .

(٣) وتحتمل في (أ) : (الهم) بدل (الغم) .

نماذج من الأحاديث السقيمة التي أوردوها في باب الاعتقاد

إذا ثبتَ ما ذكرتُهُ وعلمتَهُ وتقرَّرَ عندَكَ فاعلمْ : أنَّهُم أوردوا أحاديثَ في أبوابٍ مُتعدِّدةٍ مِنَ الاعتقادِ :

[حكمُ حديثِ : « منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ »]

فمنها : الحديثُ الذي أشارَ المفتي في كلامِهِ إليهِ مُنبِّهاً عليهِ بقولِهِ : « مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ »[1] ، وهـٰذا الحديثُ أوردوهُ بإسنادٍ فيهِ محمدُ بنُ يحيى بنِ رزينٍ ، قالَ أبو حاتمٍ البستيُّ : (كانَ كذَّاباً دجَّالاً يضعُ الأحاديثَ)[2] .

[حكمُ أحاديثَ واردةٍ في تكفيرِ مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ]

ومنها : أحاديثُ فيها تكفيرُ مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ :

فالأولُ[3] : بإسنادٍ فيهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حربٍ ، وقد قالَ فيهِ ابنُ عديٍّ : (مشهورٌ بالكذبِ ووضعِ الحديثِ)[4] ، وكذلكَ قالَ أبو حاتمٍ[5] ، وفيهِ أيضاً ابنُ حميدٍ ؛ وهوَ محمدُ بنُ حميدِ بنِ حيانَ ، وقد كذَّبَهُ أبو زرعةَ ، وقالَ صالحُ بنُ محمدٍ : ما رأيتُ أحذقَ بالكذبِ منهُ[6] .

---

(١) المفتي هو ابن تيمية ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٥٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر ما سبق (١/ ٨٤) .

(٢) انظر « المجروحين » (٢/ ٣١٢) .

(٣) وهو قوله : « القرآنُ كلامُ اللهِ ، لا خالقٌ ولا مخلوقٌ ، ومَنْ قالَ غيرَ ذلكَ فهوَ كافرٌ » ، وقد أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٥٢ـ١٥٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر « الكامل في ضعفاء الرجال » (١/ ٣٣٠) .

(٥) انظر « المجروحين » (١/ ١٥٤) .

(٦) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٣) .

والثاني[1] : أوردوهُ بإسنادٍ فيهِ مجاهيلُ ، وفيهِ أبو عمارةَ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ المهديِّ ، قالَ الدارقطنيُّ : (أبو عمارةَ ضعيفٌ جدّاً)[2] .

قالَ ابنُ الجوزيِّ : (قد رُوِيَ في هـٰذا البابِ أحاديثُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يثبتُ منها شيءٌ)[3] .

[حكمُ حديثِ : « إنَّ اللهَ قرأَ (طه) و(يسٓ) قبلَ خَلقِ آدمَ بألفِ عامٍ »]

ومنها : حديثُ : « إِنَّ ٱللَّهَ قَرَأَ (طَهَ) وَ(يَسٓ) قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَلْفِ عَامٍ » .

وهو أوردَهُ جماعةٌ مِنَ المُحدِّثينَ بأسانيدَ ترجعُ إلىٰ إبراهيمَ بنِ المنذرِ ، عن إبراهيمَ بنِ المهاجرِ بنِ مسمارٍ ، عن عمرَ بنِ حفصِ بنِ ذكوانَ ، عن إبراهيمَ مولى الحُرَقةِ ، عن أبي هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بهِ مُطوَّلاً[4] ، قال ابنُ عديٍّ : (لم أجدْ لإبراهيمَ حديثاً أنكرَ مِنْ هـٰذا)[5] ، وقالَ البخاريُّ : (إبراهيمُ بنُ المهاجرِ ضعيفٌ منكرُ الحديثِ)[6] .

وأمَّا عمرُ بنُ حفصٍ : فقالَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ : (خرَّقْنا حديثَهُ)[7] ، قالَ

---

(١) وهو قوله : « القرآنُ كلامُ اللهِ ليسَ بخالقٍ ولا مخلوقٍ ، فمَنْ زعمَ غيرَ ذلكَ فقد كفرَ بما أنزلَ اللهُ علىٰ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » ، وقد أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٥٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٤) .

(٣) الموضوعات (١/ ١٥٥) .

(٤) ومنهم الدارمي في « مسنده » (٣٤٥٧) ، والطبراني في « الأوسط » (٤٨٧٦) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٢٢٦ـ٢٢٧) .

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٣٥٣) .

(٦) التاريخ الكبير (١٠٣٣) ، الضعفاء الصغير (ص٢٢) .

(٧) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٧) ، وضبط في الأصل (خرّقنا) بالخاء والحاء .

يحيى بنُ معينٍ : (ليسَ بشيءٍ)[1] ، وقالَ النسائيُّ : (متروكُ الحديثِ)[2] ، وقالَ أبو حاتمِ بنُ حبانَ الحافظُ : (هـٰذا متنٌ موضوعٌ)[3] .

[نقلُ نموذجٍ مِنْ كلامِ ابنِ المفضلِ المقدسيِّ في ردِّ أحاديثَ واردةٍ في بابِ الصوتِ]

ومنها : أحاديثُ أوردوها في بابِ الصوتِ واستشهدوا بها عليهِ ، وهـٰذا البابُ قد كفانا مؤنتَهُ الأستاذُ الإمامُ العالمُ الحافظُ ناصرُ السنَّةِ قامعُ البدعةِ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المفضلِ ابنُ المقدسيِّ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ ؛ **إذْ صنَّفَ فيهِ جزأينِ** :

أحدُهُما : تكلَّمَ فيهِ علىٰ حديثِ جابرٍ عن عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يَحْشُرُ ٱللهُ ٱلنَّاسَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنَا ٱلْمَلِكُ ، أَنَا ٱلدَّيَّانُ »[4] ، واستوعبَ الكلامَ فيهِ عليهِ ، ولم يتركْ فيهِ لمَنْ بعدَهُ ما يقولُهُ ، ولا لمَنْ يحتجُّ بهِ مستنداً .

والجزءُ الآخرُ سمَّاهُ : « الجوابَ عن أحاديثِ الأصواتِ بأحوالِ الرواةِ واختلافِ الرواياتِ »[5] ، تكلَّمَ فيهِ علىٰ أربعةَ عشرَ حديثاً سُئِلَ عنها ، فيها ذكرُ الصوتِ ، واستوعبَ الكلامَ فيهِ أحسنَ استيعابٍ ، حقَّقَ بهِ أنَّهُ لم يتركِ الأولُ للآخرِ شيئاً[6] .

---

(١) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٧) .

(٢) الضعفاء والمتروكون (٤٦١) .

(٣) المجروحين (١/ ١٠٨) .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥) ، والحاكم (٢/ ٤٣٨) ، والبخاري معلقاً قبل حديث رقم : (٧٤٨١) .

(٥) وقد سبقت الإشارة إلىٰ هـٰذا الكتاب أثناء ترجمته في (١/ ٥٤٨) .

(٦) وانظر ما سبق عن هـٰذا الإمام الكبير وقصته مع الحافظ المنذري في (٢/ ٥٧) .

وإنْ أوردتُ ما ذكرَهُ مُستوعِباً لكلامِهِ عليها طالَ هـٰذا الكتابُ ، وإنْ ذكرتُ بعضَ كلامِهِ لم يتمَّ المقصودُ ؛ فإنَّهُ مرتبطٌ بعضُهُ ببعضٍ لا يُترَكُ منهُ شيءٌ ، لـٰكنْ رأيتُ أنْ أذكرَ السؤالَ والجوابَ الجُمْليَّ الذي أجابَ بهِ الفتيا ، وأمَّا التفصيلُ فليُكشَفْ مِنْ هـٰذا الجزءِ المشارِ إليهِ ، وهوَ روايتُنا عنِ الشيخِ الإمامِ المُقرئِ العدلِ[1] محيي الدينِ خواجا إمام أبي محمدٍ عبدِ الرحيمِ بنِ القاضي العدلِ علمِ الدينِ عبدِ المنعمِ بنِ خلفٍ اللخميِّ الدَّميريِّ قارئِ المصحفِ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ ، وإمامِ السلطانِ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : قُرِئَ على الشيخِ الإمامِ شرفِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المفضَّلِ المقدسيِّ وأنا أسمعُ قالَ :

بسم الله الرحمن الرحيم

نسخةُ السؤالِ : (ما يقولُ سيدُنا القاضي الفقيهُ الإمامُ العالمُ الحافظُ ، فخرُ الحفاظِ ، قدوةُ الأئمَّةِ ، سيفُ الأمَّةِ ، قامعُ البدعةِ ، بقيةُ السلفِ ، عمدةُ الخلفِ ، مفتي المسلمينَ ، شرفُ الدينِ ، أبو الحسنِ عليُّ بنُ القاضي الأجلِّ الأنجبِ أبي المكارمِ بنِ عليٍّ المقدسيُّ متَّعَ اللهُ المسلمينَ ببقائِهِ . . في الأحاديثِ الواردةِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في ذكرِ الصوتِ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ هل هيَ مِنَ الأحاديثِ الصحاحِ المُتفقِ علىٰ صحتِها كلِّها أو بعضِها أوِ المختلفِ في صحتِها ، أم هيَ مِنَ الأحاديثِ الحسانِ المعروفةِ رجالُها ممَّا لهُ علةٌ قادحةٌ أو غيرُ قادحةٍ أو ممَّا لا علةَ لهُ ، أم هيَ مِنَ الأحاديثِ الضِّعافِ الواهيةِ التي لا تقومُ بها حجةٌ ولا يُعوَّلُ عليها في حكمٍ ، أم هيَ مِنَ الأحاديثِ الموضوعةِ المحكومِ بكذبِ نَقَلَتِها وإسقاطِ روايتِهم وتركِها ؟

والمطلوبُ منهُ : أنْ يتكلَّمَ علىٰ أسانيدِها وما ذُكِرَ في نَقَلَتِها علىٰ طريقةِ أصحابِ الحديثِ في الجرحِ والتعديلِ ، دونَ طريقةِ المُتكلِّمينَ في التأويلِ

---

(١) تحتمل في (أ) : (المعدل) ، وكذلك في الموضع الآتي .

والتنزيلِ على المعقولِ ، مُبيِّناً ذلكَ بأوضحِ بيانٍ ، وأشملِ تِبيانٍ ، مأجوراً مشكوراً إنْ شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ) .

وعدَّ أربعةَ عشرَ حديثاً بأربعةَ عشرَ إسناداً في كلِّ حديثٍ منها ذكرُ الصوتِ إلىٰ أنْ فرغَ منها .

فقالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (الجوابُ واللهُ الموفِّقُ للصوابِ : أنَّ هـٰذهِ الأحاديثَ ليسَ في جميعِها ذكرُ الصوتِ ، وإنَّما قصدَ مُوردُها تكثيرَ العددِ بها ، وأكثرُها معلولةٌ أو ضعيفةٌ أو موضوعةٌ ، والذي في الكتبِ المشهورةِ منها أقلُّها ، ونحنُ نوردُها مُفصَّلةً حديثاً حديثاً حتىٰ نأتيَ علىٰ جميعِها بعونِ اللهِ وتأييدِهِ ، ونذكرُ ما قيلَ في رواتِها مِنَ الجرحِ ، ولا نبالي بعدَ ذلكَ بالتعديلِ ؛ إذ قولُ المُجرِّحِ مُقدَّمٌ علىٰ قولِ المُعدِّلِ ، وذلكَ خاصٌّ بمَنْ جَرَحَهُ قومٌ وعدَّلَهُ آخرونَ ، فأمَّا مَنْ لم يُذكَرْ إلا بالجرحِ فلا خلافَ في ردِّ خبرِهِ ، ولا يكفي أيضاً أنْ يكونَ ممَّنْ لم يُتعرَّضْ لهُ بجرحٍ ولا تعديلٍ ، فلا يثبتُ الخبرُ ولا يجبُ العملُ بهِ إلا بعدَ التعديلِ ، فأمَّا روايةُ المجاهيلِ فلا حُجَّةَ فيها ، وكذلكَ إذا كانَ في الإسنادِ مَنْ لم يُسَمَّ ، كما سيأتي بيانُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ) .

وقد وفَّىٰ رحمَهُ اللهُ بما ذكرَهُ وأتىٰ علىٰ كلِّ الأحاديثِ حديثاً حديثاً ، ولا يتهيَّأُ ذكرُها ، فأقتصرُ منها على الحديثِ الأولِ ؛ وهوَ حديثُ جابرٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ .

[كلامُ ابنِ المفضلِ في حديثِ : « يحشرُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ ، فيناديهِم بصوتٍ . . . »]

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ رحمَهُ اللهُ : (أمَّا حديثُ جابرٍ عن عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ : فقد كنَّا أفردْنا لهُ جزءاً خاصّاً بهِ ، والسببُ في ذلكَ : إخراجُ البخاريِّ لهُ تعليقاً بغيرِ إسنادٍ ، فاشتَهرَ بسببِ ذكرِ البخاريِّ إيَّاهُ في الجملةِ ، ولفظُ

البخاريِّ أنَّهُ قالَ : « ويُذكَرُ عن جابرٍ »[١] ، فذكرَهُ مختصراً دونَ القصةِ التي فيهِ ، وقد أوردْناها بإسنادِها مِنْ طرقٍ ، وهوَ حديثٌ مدارُهُ على عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ عن جابرٍ ، لم يروِهِ عنهُ أمثلُ منهُ ، وليسَ ابنُ عقيلٍ ممَّنْ خرَّجَ لهُ البخاريُّ ولا مسلمٌ شيئاً ؛ إذْ ليسَ مِنْ شرطِهِما ، ولذلكَ لم يُسمِّهِ البخاريُّ ، بل قالَ : « ويُذكَرُ عن جابرٍ » كما قدَّمناهُ .

وللبخاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ شروطٌ في كتابِهِ : أنَّهُ لا يُسمِّي مَنْ يجزمُ بردِّ حديثِهِ ، ويُسمِّي مَنْ لا يجزمُ بردِّ حديثِهِ إذا وافقَهُ مَنْ هوَ حُجَّةٌ عندَهُ ، فأمَّا ما ذكرَهُ العلماءُ في ابنِ عقيلٍ فقدِ استوعبْناهُ في الجزءِ المُقدَّمِ ذكرُهُ ، ونذكرُ ها هنا لمعةً كافيةً لمَنْ يفهمُ .

قالَ عليُّ بنُ المدينيِّ : « حدَّثَنا بشرُ بنُ عمرَ قالَ : كانَ مالكٌ لا يروي عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ ، وكانَ يحيى بنُ سعيدٍ لا يروي عنهُ »[٢] .

وقالَ ابنُ عيينةَ : « أربعةٌ مِنْ قريشٍ لا يُروى عنهُم » ، فذكرَهُ فيهم[٣] .

وقالَ أبو معمرٍ : « كانَ سفيانُ بنُ عيينةَ لا يَحمَدُ حفظَهُ »[٤] .

وقالَ يحيى بنُ معينٍ : « هوَ ضعيفٌ في كلِّ أمرِهِ »[٥] .

وقالَ مسلمُ بنُ الحجاجِ : قلتُ ليحيى بنِ معينٍ : عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عقيلٍ أحبُّ إليكَ أو عاصمُ بنُ عبيدِ اللهِ ؟ فقالَ : ما أحبُّ واحداً منهُما في الحديثِ[٦] .

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٢١) .
(٢) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٢/ ٢٩٨) .
(٣) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٢/ ٢٩٨) .
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .

وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : « عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عقيلٍ : ليِّنُ الحديثِ ليسَ بالقويِّ ولا ممَّنْ يُحتَجُّ بحديثِهِ »[1] .

وقالَ عليُّ بنُ المدينيِّ : « لم يُدخِلْ مالكٌ في حديثِهِ ابنَ عقيلٍ ولا ابنَ أبي فروةَ »[2] .

وقالَ السعديُّ : « عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عقيلٍ يُوقَفُ عنهُ ، عامَّةُ ما يُروىٰ عنهُ غرائبُ »[3] .

وقالَ أبو عيسى الترمذيُّ : « تكلَّمَ فيهِ بعضُهُم مِنْ قِبَلِ حفظِهِ »[4] .

وقالَ أبو حاتمٍ بنُ حبانَ : « كانَ رديءَ الحفظِ ، يُحدِّثُ بالتوهُّمِ ، فيجيءُ بالخبرِ علىٰ غيرِ سننِهِ ، فوجبَ تجانبُهُ »[5] .

وقد تفرَّدَ بهٰذا الحديثِ عنِ ابنِ عقيلٍ القاسمُ بنُ عبدِ الواحدِ ، وليسَ ممَّنْ يُحتَجُّ بحديثِهِ ، كذلكَ قالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ ، فهوَ حديثٌ انفردَ بهِ مَنْ لا يُحتَجُّ بهِ عن ضعيفٍ .

وقد رواهُ عنِ القاسمِ همَّامُ بنُ يحيىٰ وعبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، ومعَ ذلكَ فقد وقعَ في ألفاظِهِ مِنْ طريقِهِما اضطرابٌ كثيرٌ ؛ منها : أنَّهُ قالَ فيهِ عن جابرٍ : « فقدمتُ الشامَ » في روايةِ همَّامٍ عنِ القاسمِ ، وقالَ فيهِ : « فقدمتُ مصرَ » في روايةِ عبدِ الوارثِ عنهُ .

ومنها : أنَّهُ قالَ في روايةِ عبدِ الوارثِ : « ينادي بصوتٍ » ، وفي روايةِ

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .
(2) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٥/ ٢٠٦) .
(3) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٥/ ٢٠٦) .
(4) أورده ابن الجوزي في « الضعفاء والمتروكون » (٢١١٢) .
(5) المجروحين (٢/ ٣) .

همَّامٍ : « ينادي نداءً » على اختلافٍ فيهِ عن همَّامٍ .

ومنها : أنَّهُ قالَ فيهِ : « قلتُ : حديثٌ بلغَني عنكَ سمعتَهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم أسمعْهُ ، فخشيتُ أنْ أموتَ أو تموتَ قبلَ أنْ أسمعَهُ » ، هٰكذا في روايةِ همَّامٍ ، وفي روايةِ عبدِ الوارثِ : « بلغَني أنَّكَ تُحدِّثُ بهِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في القصاصِ ، فما أعلمُ أحداً يحفظُهُ غيرَكَ ، فأحببتُ أنْ تُذاكرَنيهِ » ، وهٰذا يُشعِرُ بأنَّ جابراً سمعَهُ وأرادَ استثباتَهُ .

واختُلِفَ على همَّامٍ أيضاً ؛ فرُوِيَ عنهُ هٰكذا ، ورُوِيَ عنهُ : « لم أسمعْهُ » كما في حديثِ عبدِ الوارثِ[1] .

واختُلِفَ فيهِ أيضاً على همَّامٍ وعبدِ الوارثِ جميعاً ؛ فرُوِيَ [عنهُما] تسميةُ عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ ، ورُوِيَ عنهُما : « رجلٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » غيرِ مُسمّىً[2] .

وهٰذا حديثٌ لم يُخرِّجْهُ البخاريُّ إلا تعليقاً ، ولم يخرِّجْهُ مسلمٌ ولا الترمذيُّ ، ولا أبو داودَ ولا النسائيُّ ولا ابنُ ماجه ، وأخرجَهُ أحمدُ[3] ، وفي « المسندِ » مِنَ الأحاديثِ الضعيفةِ الواهيةِ أعدادٌ كثيرةٌ ؛ فإنَّهُ لم يشرطِ الصحةَ ، بل فيهِ ما اعترفَ أحمدُ بضعفِهِ ، ومَنْ تأمَّلَ ما ذكرْناهُ وكانَ لهُ بصرٌ بهٰذهِ الصناعةِ تحقَّقَ ما قلْناهُ ، واللهُ أعلمُ ، فهٰذا أمثلُ طرقِهِ .

---

(١) كذا في (أ، ب) ، والمار قبل قليل في رواية همام أنه لم يسمعه ، وفي رواية عبد الوارث أنه سمعه .

(٢) ذكر روايات هٰذا الحديث وطرقه ابنُ ناصر الدين في « مجلس في حديث جابر » (ص٢٠٣ـ٢٢٦) ضمن « رسائله » .

(٣) مسند أحمد (٣/ ٤٩٥) .

وقد رواهُ أبو نعيمٍ عمرُ بنُ صبحٍ ، عن مقاتلِ بنِ حيَّانَ ، عن أبي الجارودِ العبسيِّ ، عن جابرٍ[1] ، وعمرُ بنُ صبحٍ كذَّابٌ يضعُ الحديثَ .

ورواهُ ابنُ لهيعةَ عن يزيدَ بنِ أبي حبيبٍ : أنَّ جابراً دخلَ مصرَ فأتىٰ منزلَ عقبةَ بنِ عامرٍ ، فسألَهُ عنِ الحديثِ ، وابنُ لهيعةَ ضعيفٌ جدّاً لا تقومُ بروايتِهِ حُجَّةٌ ، وأمرُهُ أسهلُ مِنْ أنْ يُطوَّلَ بذكرِهِ) انقضىٰ كلامُ ابنِ المفضَّلِ رحمَهُ اللهُ .

ولم أُثبِتْ كلامَهُ علىٰ هٰذا الحديثِ دونَ باقي الأحاديثِ إلا لأنَّهُ أوردَهُ البخاريُّ تعليقاً في كتابِهِ ، فاحتيجَ إلى الاعتناءِ بذكرِهِ وذكرِ ما عليهِ مِنَ الكلامِ والتضعيفِ ، وأمَّا باقي الأحاديثِ فيكفي فيها جوابُهُ الإجماليُّ ، فمَنْ أرادَ تفصيلَها فليكشفْ ذلكَ مِنْ كتابِهِ المذكورِ ، واللهُ أعلمُ .

وقالَ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ إبراهيمَ القرطبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ في « مختصرِهِ للبخاريِّ » في الحديثينِ المشارِ إليهما اللذينِ ذكرَهُما البخاريُّ تعليقاً : (تنبيهٌ : هٰذانِ الحديثانِ غيرُ صحيحينِ ، كلاهُما مُعلَّقٌ مقطوعٌ ، والأولُ موقوفٌ ، فلا يُعتمَدُ في كونِ اللهِ تعالىٰ مُتكلِّماً بصوتٍ ؛ فإنَّ كلامَهُ الذي هوَ صفتُهُ مُنزَّهٌ عنِ الحروفِ والأصواتِ التي نُعبِّرُ عنها بالحروفِ والأصواتِ ؛ لما دلَّتْ عليهِ الأدلَّةُ القاطعةُ)[2] .

قلتُ : إنَّما أوردتُ كلامَ القرطبيِّ ؛ ليكونَ لهُ حظٌّ في الردِّ ، وأجرٌ في المناضلةِ ، وإلا ففيما أوردَهُ ابنُ المفضَّلِ رحمَهُ اللهُ كفايةٌ ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه الخطيب في « الرحلة في طلب الحديث » (ص١١٥) .

(٢) وقد سبق كلام القرطبي في (٢/٥٥) ، وذكر ابن الجوزي له في « كشف المشكل » ، والزركشي في « التنقيح » ، وليس فيهما : (التي نعبر عنها بالحروف والأصوات) .

[حكمُ حديثِ : « مِنْ ها هنا عرجَ ربُّكَ إلى السماءِ »]

ومنها : حديثٌ أوردوهُ عن أبي الحسنِ الدارقطنيِّ ، عن أبي حاتمِ بنِ حبانَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ ، حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ سليمانَ بنِ عميرةَ ، حدَّثَنا بكرُ بنُ زيادٍ الباهليُّ ، حدَّثَنا ابنُ المباركِ ، عن سعيدِ بنِ أبي عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن زرارةَ بنِ أوفى ، عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَىٰ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ . . . » ، وقالَ في آخرِهِ : « ثُمَّ أَتَى ٱلصَّخْرَةَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ مِنْ هَا هُنَا عَرَجَ [رَبُّكَ] إِلَى ٱلسَّمَاءِ »[١] ، قالَ أبو حاتمٍ : (هٰذا حديثٌ لا يشكُّ عوامُّ أصحابِ الحديثِ أنَّهُ موضوعٌ ، فكيفَ بالبُزَّلِ في هٰذا الشأنِ ؟!)[٢] ، وكانَ بكرُ بنُ زيادٍ دجَّالاً يضعُ الحديثَ على الثقاتِ[٣] .

[حكمُ حديثِ التاجِ]

ومنها : حديثٌ ذُكِرَ فيهِ التاجُ ؛ نصُّهُ : « رَأَيْتُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ حَتَّىٰ رَأَيْتُ تَاجاً مُخَوَّصاً مِنْ زَبَرْجَدٍ » ، وهوَ حديثٌ حدَّثَ بهِ أبو العلاءِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ اليسعِ ، ثمَّ قالَ أبو العلاءِ : حدَّثَنا ابنُ اليسعِ بهٰذا الحديثِ في جملةِ أحاديثَ كثيرةٍ بهٰذا الإسنادِ ، ثمَّ رجعَ عن جميعِ النسخةِ ، وقالَ : (وهمتُ ؛ إذْ رويتُها عنِ ابنِ فيلٍ ، وإنَّما حدَّثَني بجميعِها قاسمُ بنُ إبراهيمَ الملطيُّ عن لُوينٍ)[٤] .

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/١٦٢) .

(٢) المجروحين (١/١٩٧) .

(٣) انظر « الموضوعات » (١/١٦٢) .

(٤) انظر « الموضوعات » (١/١٦٥) ، و« اللآلىء المصنوعة » (١/٢٠) .

قالَ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ : (أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ ـ يعني : ابنَ محمدٍ [القزَّازَ] ـ قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ الخطيبُ قالَ : سألتُ الأزهريَّ عنِ ابنِ اليسعِ ، فقالَ : ليسَ بحُجَّةٍ ، كنتَ تقعدُ معَهُ ساعةً فيقولُ لكَ : ختمتُ ختمةً منذُ قعدتَ) .

قالَ أبو الفرجِ : (أمَّا ابنُ اليسعِ : فليسَ بثقةٍ ، وقاسمُ بنُ إبراهيمَ الذي أحالَ عليهِ ثانياً ليسَ بشيءٍ أصلاً ، قالَ الدارقطنيُّ : هوَ كذَّابٌ ، ومثلُ هـٰذا الحديثِ لا يخفىٰ أنَّهُ موضوعٌ ؛ فإنَّهُ مُثبِتٌ البعضيةَ ، فكافأَ اللهُ مَنْ عملَهُ)[1] .

[حكمُ الحديثِ الواردِ في تفسيرِ المقامِ المحمودِ]

ومنها : حديثٌ رَوَوهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قالَ : « يجلسُهُ معَهُ على العرشِ »[2] ، وهـٰذا الحديثُ في رواتِهِ ليثُ بنُ أبي سليمٍ ، وسيأتي الكلامُ فيهِ[3] ، وبتقديرِ ألا يكونَ فيهِ ليثٌ فهوَ خلافُ قولِ هـٰؤلاءِ الظاهريةِ وخلافُ قولِنا ، فنحنُ وإيَّاهُم نأبىٰ صحتَهُ ، أمَّا هم فلأنَّ طريقَهُمُ الجمودُ على الظاهرِ ، والآيةُ فيها المقامُ المحمودُ ، وهو مَفعلٌ مِنَ القيامِ ، وهم قالوا : يجلسُهُ ، فيكونُ ذلكَ مَقعداً لا مقاماً .

وأمَّا الوجهُ الثاني : فلأنَّهُ وردَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ المرادَ بذلكَ الشفاعةُ العظمىٰ ؛ وهوَ المقامُ الذي يَحمَدُهُ فيهِ الأوَّلونَ والآخرونَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[4] .

وأمَّا علىٰ رأينا : فنحنُ نقولُ : هـٰذا مخالفٌ للمعقولِ مِنْ وجوهٍ :

---

(١) الموضوعات (١/١٦٢) ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٠/١٣٤) .
(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في « السنة » (٢٤٢) من كلام مجاهد رحمه الله تعالى .
(٣) انظر (٢/٣٣٩) .
(٤) كما أخرجه البخاري (٧٤٤٠) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

الأولُ : أنَّهُ يلزمُ منهُ المماسَّةُ على اللهِ تعالىٰ .

الثاني : يلزمُ منهُ على قولِهم أنْ يكونَ العرشُ أكبرَ مِنَ الذاتِ الشريفةِ ؛ لأنَّهُ على زعمِهِم وسعَ الذاتَ والجالسَ معَها ، وهـٰذهِ زندقةٌ لا تخفىٰ ، ومروقٌ مِنَ الدينِ ، وهوَ محالٌ عقلاً ، وكذبٌ سمعاً ، وإساءةٌ عرفاً .

الثالثُ : أنَّهُ يلزمُ منهُ الحدُّ والنهايةُ ؛ فإنَّ الذاتَ لا تخلو : إمَّا أنْ تكونَ مماسَّةً لجسدِ سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أو بينَهُما خلاءٌ وفضاءٌ ، فإنْ فرضتَ الذاتَ مماسَّةً لجسدِ سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فيلزمُ منهُ المماسَّةُ والتحيزُ ، وإنْ فرضتَ بينَهُما فضاءً . . فنهايةُ الفضاءِ تماسٌّ وتحيُّزٌ .

فهـٰذا الحديثُ مُخالِفٌ للعقلِ مِنْ كلِّ وجوهِهِ ، فلا يُشتغَلُ بتأويلِهِ[1] .

[حكمُ حديثِ : « يأخذُ السماواتِ بيمينِهِ والأرضينَ بشمالِهِ »]

ومنها : حديثٌ رَوَوهُ فيهِ : « يَأْخُذُ ٱلسَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ وَٱلْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ » ، ومرادُهُم بذلكَ : الزيادةُ في التشبيهِ حتىٰ باليمينِ والشمالِ ، فهو مردودٌ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ ذكرَ الشمالِ تفرَّدَ بهِ عمرُ بنُ حمزةَ عن سالمٍ[2] ، وعمرُ بنُ حمزةَ هـٰذا : هوَ عمرُ بنُ حمزةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ العمريُّ الذي يروي عن سالمٍ ، قالَ أحمدُ [والرازيُّ][3] : (أحاديثُهُ مناكيرُ) ، وقالَ

(١) وممَّن ذهب إلى أن المراد بالمقام المحمود إقعاد النبي مع الله على العرش : المجسِّم أبو بكر المروزي ، وقد حدثت بسببه فتنة ذهب ضحيتَها كثير من الأنفس . انظر « الكامل في التاريخ » (٦/٧٤٦-٧٤٧) .

(٢) كما أخرجه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٣/١٥٣) .

(٣) في (أ، ب) : (الرازي) دون واو، والمثبت من « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي .

يحيى بنُ معينٍ : (ضعيفٌ) ، وقالَ النسائيُّ كذلكَ ، وقالَ النسائيُّ : (ليسَ بالقويِّ)[1] .

الثاني : أنَّ هـٰذا الحديثَ رواهُ نافعٌ وعبيدُ اللهِ بنُ مِقْسمٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، ولم يذكرْ فيهِ الشمالَ[2] .

الثالثُ : أنَّ أبا داودَ خرَّجَ حديثَ عمرَ بنِ حمزةَ هـٰذا ولم يذكرْ فيهِ الشمالَ ، قالَ أبو داودَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ ومحمدُ بنُ العلاءِ : أنَّ أبا أسامةَ أخبرَهُم عن عمرَ بنِ حمزةَ قالَ : قالَ سالمٌ : أخبرَني عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَطْوِي ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ ٱلْيُمْنَىٰ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا ٱلْمَلِكُ ، أَيْنَ ٱلْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ ٱلْمُتَكَبِّرُونَ ؟! ثُمَّ يَطْوِي ٱلْأَرَضِينَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ - قالَ ابنُ عمرَ[3] : بيدِهِ الأخرىٰ - ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا ٱلْمَلِكُ »[4] ، فلم يذكرْ أبو داودَ الشمالَ والإسنادُ واحدٌ .

فإنْ قيلَ : قد وردَ ذكرُ الشمالِ في حديثٍ آخرَ في غيرِ هـٰذهِ القصَّةِ .

قلنا : قالَ البيهقيُّ : (إنَّهُ ضعيفٌ بمرَّةٍ ، وردَ مِنْ طريقينِ تفرَّدَ بإحداهُما جعفرُ بنُ الزبيرِ[5] ، وبالأخرىٰ يزيدُ الرقاشيُّ[6] ، [وهما متروكانِ] ، وكيفَ

---

(١) انظر « الكامل في ضعفاء الرجال » (٦/ ٣٦) ، و« الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٤٧٠) ، و« الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٤٥٣) .

(٢) كما أخرجه البخاري (٧٤١٢) ، وقوله : (لم يذكر) كذا في (أ ، ب) ، ولعل الأولى والأقرب : (يذكرا) بالتثنية .

(٣) في « سنن أبي داود » : (ابن العلاء) بدل (ابن عمر) .

(٤) سنن أبي داود (٤٧٣٢) .

(٥) كما أخرجه الطبراني في « الكبير » (٨/ ٢٨٨) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٦) كما أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢٠٣) ، وابن بطة في « الإبانة » (١٣٣٢) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

يصحُّ ذلكَ وصحيحٌ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ سمَّىٰ كلتا يديهِ يميناً ؟!)[1] .

قالَ الخطابيُّ : (ليسَ فيما يُضافُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ صفةِ اليدينِ شمالٌ ؛ لأنَّ الشمالَ محلُّ النقصِ والضَّعفِ ، وقد رُوِيَ « كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ »[2] ، وليسَ معنى اليدِ عندَنا الجارحةَ ، وإنَّما هيَ [صفةٌ] جاءَ بها التوقيفُ ، فننتهي إلىٰ حيثُ انتهىٰ)[3] .

قلتُ : يُؤيِّدُ ما ذكرَهُ الحافظُ البيهقيُّ مِنْ تضعيفِ جعفرِ بنِ الزبيرِ . . ما أذكرُهُ مِنْ تضعيفِ العلماءِ لهُ ؛ فإنَّ جعفراً هـٰذا : هوَ جعفرُ بنُ الزبيرِ البصريُّ ، ويُقالُ : الشاميُّ ، يروي عنِ القاسمِ عن أبي أمامةَ ، قالَ شعبةُ : كانَ يُحدِثُ ؛ يعني : الإحداثَ في الدينِ ، وقالَ يحيى بنُ معينٍ : ليسَ بثقةٍ ، وتركَهُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ ، وقالَ السعديُّ : نبذوا حديثَهُ ، وقالَ البخاريُّ والرازيُّ والنسائيُّ وعليُّ بنُ الجنيدِ والأزديُّ والدارقطنيُّ : متروكٌ[4] .

ويكفي يزيدَ الرقاشيَّ تضعيفُ الحافظِ البيهقيِّ لهُ .

[حكمُ الحديثِ الواردِ فيهِ : أنَّ الكرسيَّ بينَ يدي العرشِ ، وهوَ موضعُ قدميهِ]

وأيضاً : حديثٌ روَوهُ عنِ ابنِ عباسٍ ، وعنِ ابنِ مسعودٍ ، وعن أبي موسى الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُم .

فرواهُ السديُّ عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عنِ ابنِ عباسٍ ، وعن مرةَ

---

(١) الأسماء والصفات (ص٣٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣١٣ـ٣١٤) .

(٤) الكلام بنصه في « الضعفاء والمتروكون » (٦٦٦) .

الهَمْدانيِّ عنِ ابنِ مسعودٍ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، قالوا : السماواتُ والأرضُ في جوفِ الكرسيِّ ، والكرسيُّ بينَ يَدَيِ العرشِ ، وهوَ موضعُ قدميهِ ، وأمَّا ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة : ٢٥٥] : لا يثقلُ عليهِ[1] .

كذا رَوَوهُ مِنْ هٰذهِ الطرقِ : (موضعُ قدميهِ)[2] ، وهوَ مردودٌ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ سعيدَ بنَ جبيرٍ رواهُ عنِ ابنِ عباسٍ : (موضعُ القدمينِ) بالتعريفِ مِنْ غيرِ إضافةٍ ، [قالَ] : ولا يُقدَّرُ قدرُ عرشِهِ[3] ، قالَ البيهقيُّ : (وكذا قالَ أبو موسى الأشعريُّ مِنْ غيرِ إضافةٍ ، وكأنَّهُ أصحُّ) ، ثمَّ قالَ : (والخبرُ موقوفٌ لا يصحُّ رفعُهُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأمَّا المُتقدِّمونَ مِنْ أصحابِنا فإنَّهُم لم يُفسِّروا هٰذا ولم يشتغلوا بتأويلِهِ)[4] .

ومنها : حديثُ عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ ، ذكرَهُ بعضُ الفروعيينَ الشافعيينَ في كتابِهِ فقالَ : إنَّ عبدَ اللهِ بنَ رواحةَ رأتْهُ امرأتُهُ معَ جاريةٍ لهُ ، وذكرَ أنَّها لمَّا طالبتْهُ أنْ يقرأَ قالَ : [من الوافر]

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ ٱلنَّارَ مَثْوَى ٱلْكَافِرِينَا
وَأَنَّ ٱلْعَرْشَ فَوْقَ ٱلْمَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ ٱلْعَرْشِ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَا
وَتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ شِدَادٌ ... مَلائِكَةُ ٱلإِلَٰهِ مُسَوَّمِينَا[5]

---

(١) أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٣٢ـ٣٣٤) .
(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٣٤) .
(٣) كما أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٣٣) .
(٤) الأسماء والصفات (ص٣٣٣) .
(٥) ذكره الإمام الماوردي في « الحاوي الكبير » (١٤٨/١) ، والعمراني في « البيان » (٢٤٩/١) .

وتابعَهُ عليهِ بعضُ أئمَّةِ الحديثِ ، فساقَهُ بمعناهُ[1] ، ثمَّ قالَ بعضُ المغاربةِ : فهٰذا دليلٌ على أنَّ ذلكَ كانَ مُستقرّاً عندَهُم عندَ الرجالِ والنساءِ ، وهٰذا فيهِ إبطالٌ لجميعِ تأويلاتِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

قلتُ : هٰذا الحديثُ ذكرَهُ أئمَّةُ المُحدِّثينَ على خلافِ هٰذا السياقِ : فلمَّا انتهى عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ إلى القراءةِ . . ذكرَ لها أبياتَهُ المعروفةَ بهِ ؛ وهيَ : [من الطويل]

وَفِينَـا رَسُـولُ ٱللهِ يَتْلُـو كِتَـابَـهُ . . . .

إلى آخرِها .

وذكرَها أيضاً أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ في كتابِ « الأذكياءِ » بسندِهِ إلى عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ رواحةَ كانَ مُضطجعاً إلى جنبِ امرأتِهِ ، فخرجَ فواقعَ جاريةً لهُ ، وأنَّ امرأتَهُ رأتْهُ ، فأنكرَتْ ذلكَ ، وأرادَتْ أنْ تقتلَهُ مِنَ الغَيرةِ ، فقالَ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمنعُ أنْ يقرأَ الجنبُ شيئاً مِنَ القرآنِ ، فقالَتْ : إنْ كنتَ صادقاً فاقرأْ لي ، فقالَ : [من الطويل]

وَفِينَـا رَسُـولُ ٱللهِ يَتْلُـو كِتَـابَـهُ ... كَمَا ٱنْشَقَّ مَرْمُوقٌ مِنَ ٱلصُّبْحِ سَاطِعُ[2]

أَرَانَا ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ ٱلْعَمَىٰ فَقُلُوبُنَا ... بِـهِ مُـوقِنَـاتٌ أَنَّ مَـا قَـالَ وَاقِـعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا ٱسْتَثْقَلَتْ بِٱلْمُشْرِكِينَ ٱلْمَضَاجِعُ

فذكرَ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فضحكَ حتى بدتْ نواجذُهُ[3] .

---

(١) أخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (٨٢) .

(٢) قوله : (مرموق) كذا في الأصل ، وفي (ب) : (يرموق) ، وفي « أخبار الأذكياء » : (مشهور) ، وفي بعض المصادر : (معروف) .

(٣) أخبار الأذكياء (ص٥٧) .

فنقولُ للفقيهِ الفروعيِّ : حديثُك مقطوعٌ لا يُرجَعُ إليهِ ، ونقولُ للمُسنِدِ المُحدِّثِ : متابعتُكَ للجماعةِ المُحدِّثينَ أَولىٰ مِن انفرادِكَ بهـٰذا السردِ .

ولا يُقالُ : يُحمَلُ الأمرُ في ذلكَ علىٰ واقعتينِ ؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ الحيلةَ إذا ظهرَتْ واشتهرَتْ لا تخفىٰ عنِ امرأةِ عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ ، فلا تقنعُ منهُ في المرةِ الثانيةِ بما يقولُ لها مِنَ الأبياتِ ، كيفَ وقد أخبرَ بها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمَحضَرٍ مِنْ أصحابِهِ ، وضحكَ مُتعجِّباً منها ؟! فالغالبُ ظهورُها ، فلا تقنعُ امرأتُهُ بهـٰذا منهُ مرةً أخرىٰ[1] .

[حكمُ الحديثِ الواردِ فيهِ : أنَّ الربَّ استلقىٰ ووضعَ إحدىٰ رجليهِ على الأخرىٰ]

ومنها : حديثٌ رواهُ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، أخبرَنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصغانيُّ ، أخبرَنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ الحزاميُّ ، أخبرَنا محمدُ بنُ فُليحٍ ، عن أبيهِ ، عن سعيدِ بنِ الحارثِ ، عن عُبيدِ بنِ حُنينٍ قالَ : بينا أنا جالسٌ إذْ جاءَ قتادةُ بنُ النعمانِ ، فجلسَ فتحدَّثَ ، فثابَ إليهِ ناسٌ ، ثمَّ قالَ : انطلقْ بنا إلىٰ أبي سعيدٍ الخدريِّ ، فوجدْناهُ مُستلقياً واضعاً رجلَهُ اليمنىٰ على اليسرىٰ ، فرفعَ قتادةُ يدَهُ إلىٰ رجلِ أبي سعيدٍ ، فقرصَها قرصةً شديدةً ، فقالَ أبو سعيدٍ : سبحانَ اللهِ !! يا بنَ آدمَ أوجعتَني !! قالَ : ذاكَ أردتُ ، إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَضَىٰ خَلْقَهُ ٱسْتَلْقَىٰ ، ثُمَّ وَضَعَ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ ، ثُمَّ قَالَ : لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِي أَنْ يَفْعَلَ هَـٰذَا » .

---

(١) وانظر ما علقه العلامة الكوثري على « السيف الصقيل » (ص١٤٣ـ١٤٤) حول هـٰذه القصة .

قالَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ بعدَ أنْ أوردَهُ عنِ الحافظِ أبي عبدِ اللهِ الحاكمِ بهـٰذا السندِ : (هـٰذا حديثٌ منكرٌ ، ولم أكتبْهُ إلا مِنْ هـٰذا الوجهِ ، وفُليحُ بنُ سليمانَ معَ كونِهِ مِنْ شرطِ البخاريِّ ومسلمٍ فلم يُخرِّجا حديثَهُ هـٰذا في الصحيحِ ، وهوَ عندَ بعضِ الحفَّاظِ غيرُ مُحتجٍّ بهِ)[1] .

قالَ العباسُ بنُ محمدٍ : (سمعتُ يحيى بنَ معينٍ يقولُ : فليحٌ ضعيفٌ)[2] .

قالَ البيهقيُّ : (وبلغَني عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ النسائيِّ أنَّهُ قالَ : فُليحُ بنُ سليمانَ ليسَ بالقويِّ)[3] .

قالَ البيهقيُّ : (وإذا كانَ فُليحُ بنُ سليمانَ المريُّ مُختلَفاً في جوازِ الاحتجاجِ بهِ عندَ الحفاظِ . . لم يثبتْ بروايتِهِ مثلُ هـٰذا الأمرِ العظيمِ .

وفيهِ علةٌ أخرىٰ ؛ وهيَ : أنَّ قتادةَ بنَ النعمانِ ماتَ في خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وصلَّىٰ عليهِ عمرُ بنُ الخطابِ ، وعُبيدُ بنُ حُنينٍ ماتَ سنةَ خمسٍ ومئةٍ ولهُ خمسٌ وسبعونَ سنةً في قولِ الواقديِّ وابنِ بكيرٍ ، فتكونُ روايتُهُ عن قتادةَ بنِ النعمانِ منقطعةً ، وقولُ الراوي : « فانطلقْنا حتىٰ دخلْنا علىٰ أبي سعيدٍ » لا يرجعُ إلىٰ عبيدِ بنِ حنينٍ ، وإنَّما يرجعُ إلىٰ مَنْ أرسلَهُ عنهُ ، ونحنُ لا نعرفُهُ ، ولا نقبلُ المراسيلَ في الأحكامِ ، فكيفَ في هـٰذا الأمرِ العظيمِ ؟!

ثمَّ إنْ صحَّ واتَّصلَ مِنْ وجهٍ آخرَ فيحتملُ أنْ يكونَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حكاهُ عن بعضِ أهلِ الكتابِ مُنكِراً عليهِم ، فلم يفهمْ عبيدُ بنُ حنينٍ عن قتادةَ بنِ النعمانِ إنكارَهُ)[4] ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) الأسماء والصفات (ص٣٣٤) .

(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٣٤) .

(٣) الأسماء والصفات (ص٣٣٤) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٤٨٦) .

(٤) الأسماء والصفات (ص٣٣٥) .

[حكمُ حديثِ : « لا شخصَ أغيرُ مِنَ اللهِ »]

ومنها : حديثُ : « لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ ٱللهِ ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْعُذْرُ مِنَ ٱللهِ ؛ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ بَعَثَ ٱلْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْمِدْحَةُ مِنَ ٱللهِ ؛ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ وَعَدَ بِٱلْجَنَّةِ »[1] .

قالَ البيهقيُّ : (قالَ أبو سليمانَ الخطابيُّ فيما بلغَني عنهُ : إطلاقُ « الشخصِ » في صفةِ اللهِ تعالىٰ غيرُ جائزٍ ؛ وذلكَ لأنَّ الشخصَ لا يكونُ إلا جسماً مُؤلَّفاً ، وإنَّ ما يُسمَّىٰ شخصاً لما كانَ لهُ شخوصٌ وارتفاعٌ ، ومثلُ هـٰذا النعتِ مُنتفٍ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وخليقٌ ألا تكونَ هـٰذهِ اللفظةُ صحيحةً ، وأنْ تكونَ تصحيفاً مِنَ الراوي ، فمَنْ لم يُنعمِ الاستماعَ لم يأمنِ الوهمَ) .

قالَ : (وليسَ كلُّ الرواةِ يراعونَ لفظَ الحديثِ حتىٰ لا يتعدَّوهُ ، بل كثيرٌ منهُم يُحدِّثُ على المعنىٰ ، وليسَ كلُّهُم بفقيهٍ ، وقد قالَ بعضُ السلفِ في كلامٍ لهُ : « نعمَ المرءُ ربُّنا ، لو أطعناهُ ما عصانا » ، ولفظُ « المرءِ » إنَّما يُطلَقُ في الذكورِ مِنَ الآدميينَ ، وقائلُ هـٰذهِ الكلمةِ لم يقصدْ بها المعنى الذي لا يليقُ بصفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولـٰكنَّهُ أرسلَ الكلامَ علىٰ عادتِهِ في بديهةِ الطبعِ مِنْ غيرِ تدبُّرٍ ولا تنزيلٍ لهُ على المعنى الأخصِّ بهِ ، وحريٌّ أنْ يكونَ لفظُ « الشخصِ » إنَّما جرىٰ مِنَ الراوي علىٰ سبيلِ هـٰذا ، إنْ لم يكنْ ذلكَ مِنْ قِبَلِ التصحيفِ)[2] ، واللهُ أعلمُ .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٦) ، ومسلم (١٤٩٩) واللفظ له عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(٢) الأسماء والصفات (ص٢٧٥) ، وفي (ب) : (من قبيل) بدل (من قبل) .

فصل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا فصل أذكر فيه أحاديث أوردها الدارقطني في كتاب « الرؤيا والصفات »

فمنها : حديثُ أنسٍ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَفِي كَفِّهِ كَٱلْمِرْآةِ ٱلْبَيْضَاءِ » وأوردَهُ مُطوَّلاً ، وفيهِ : « هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ » ، وفي آخرِهِ : « ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ »[1] .

وفي بعضِ طرقِهِ : « فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتِهِ : ٱرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ » ، وفيهِ مِنْ كلامِ أهلِ الجنةِ : « وَأَسْمَعْتَنَا لَذَاذَةَ مَنْطِقِكَ » ، وفيها : « فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتِهِ » ، وفيها : « وَأَسْمَعْتُكُمْ لَذَاذَةَ مَنْطِقِي »[2] .

أوردَ هـٰذا الحديثَ مِنْ خمسِ طرقٍ لا يثبتُ منها شيءٌ[3] :

أمَّا الأولىٰ : فهيَ عن أنسٍ ، وطريقُها فيها سلامُ بنُ سليمانَ بنِ سوارٍ أبو العباسِ ـ وقيلَ : أبو المنذرِ ـ المدائنيُّ الدمشقيُّ ، حدَّثَ عن شعبةَ وغيرِهِ ، قالَ ابنُ عديٍّ : (منكرُ الحديثِ) ، وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : (ليسَ بالقويِّ) ، وقالَ ابنُ عديٍّ : (عامَّةُ ما يرويهِ لا يُتابَعُ عليهِ)[4] .

---

(١) رؤية الله (٥٩) .

(٢) رؤية الله (٦٤) .

(٣) انظر « رؤية الله » (٥٩ـ٦٥) ، وكل ما سيحال إليه فيما سيأتي هو ضمن هـٰذه الأرقام .

(٤) النقل من « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (١٤٦٠) ، وانظر « الكامل » (٢/ ٣٢٣ ، ٣٢٨) ، و« الجرح والتعديل » (٤/ ٢٥٩) .

وهوَ قد ذكرَ في هٰذهِ الطريقِ الأولىٰ : أنَّ لفظَ أبي صالحٍ تفرَّدَ بهِ سلامٌ[1] .

وفيها : ليثٌ ، دلَّسَ بهِ ، ولم يقلْ : ابنُ أبي سليمٍ ، وهٰذا ليثُ بنُ أبي سليمِ بنِ زُنَيمٍ الليثيُّ الكوفيُّ ، واسمُ أبي سليمٍ : أنسٌ ، يروي عنِ التابعينَ ، ضعَّفَهُ ابنُ عيينةَ والنسائيُّ ، قالَ أحمدُ : (مُضطَرِبُ الحديثِ ، ولٰكنْ قد حدَّثَ عنهُ الناسُ ، وقالَ السعديُّ بضعفِ حديثِهِ) ، وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ وأبو زرعةَ : (لا يُشتغَلُ بهِ ، هوَ مضطربُ الحديثِ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (اختلطَ في آخرِ عمرِهِ ، فكانَ يقلبُ الأسانيدَ ، ويرفعُ المراسيلَ ، ويأتي عنِ الثقاتِ بما ليسَ مِنْ حديثِهِم ، تركَهُ يحيى القطانُ ويحيى بنُ معينٍ وابنُ مهديٍّ وأحمدُ)[2] .

وفيها أيضاً : عثمانُ بنُ عميرٍ أبو اليقظانِ ، دلَّسَ بهِ ، فقالَ : (عن عثمانَ بنِ أبي حميدٍ) ، وعميرٌ هوَ أبو حميدٍ ، وغيرُهُ يُدلِّسُ بهِ أبو زرعةَ ، وسيأتي الكلامُ عليهِ في الطريقِ الثانيةِ .

الطريقُ الثانيةُ مِنْ حديثِ أنسٍ واهيةٌ لوجهينِ :

الأولُ : أنَّهُ ذكرَ عاصماً عن عثمانَ بنِ عميرٍ الذي يروي عنهُ موسى بنُ سفيانَ بنِ زيادٍ السكريُّ ، ولم يُبيِّنْهُ ولم يُعرِّفْهُ ؛ فإنَّ هٰذا الاسمَ قد شاركَ الأقوياءَ فيهِ جماعةٌ مِنَ الضعفاءِ وهوَ ، فلم يُعرِّفْهُ لا بنسبِهِ ولا بقبيلتِهِ ، فهوَ بينَ مجهولٍ أو ضعيفٍ ، ونحنُ لا نثبتُ الحديثَ إلا بعدَ معرفةِ راويهِ .

---

(١) رؤية الله (ص١٧٣) تحت رقم : (٥٩) .

(٢) النقل من « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٨١٥) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٥١١) ، و« الجرح والتعديل » (٧/ ١٧٨ـ ١٧٩) ، و« المجروحين » (٢/ ٢٣١) .

الوجهُ الثاني : أنَّ فيهِ عثمانَ بنَ عميرٍ أبا اليقظانِ ، وهوَ كوفيٌّ ، وهوَ الذي يُقالُ لهُ : عثمانُ بنُ أبي حميدٍ ، ويُقالُ : عثمانُ بنُ أبي زرعةَ ، وعثمانُ بنُ عميرٍ ، [ويُقالُ] : قيسٌ ، وعثمانُ أبو اليقظانِ ، وأعشىٰ ثقيفٍ . . كلُّهُم واحدٌ يروي عن أنسٍ وأبي الطفيلِ ، قالَ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ : (عثمانُ بنُ عميرٍ ـ ويُقالُ : عثمانُ بنُ قيسٍ ـ ضعيفُ الحديثِ) ، وقالَ يحيى بنُ معينٍ : (حديثُهُ ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ النسائيُّ : (ليسَ بالقويِّ) ، وقالَ الدارقطنيُّ : (ضعيفٌ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (اختلطَ حتىٰ لا يدري ما يقولُ ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بهِ)[1] .

وأمَّا الطريقُ الثالثةُ والرابعةُ : فمُستنِدةٌ إلىٰ عثمانَ بنِ عميرٍ المذكورِ ، فحكمُهما حكمُها ، **والطريقُ الرابعةُ** فيها ليثُ بنُ أبي سليمٍ ، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في الطريقِ الأولىٰ ، **وفي الطريقِ الثالثةِ** عنبسةُ بنُ سعيدٍ ؛ وهوَ عنبسةُ بنُ سعيدِ بنِ غنيمٍ الكَلاعيُّ ، قالَ أبو زرعةَ : (أحاديثُهُ منكرةٌ)[2] .

وأمَّا الطريقُ الخامسةُ : ففيها محمدُ بنُ سعيدٍ القرشيُّ ، ودلَّسَ بهِ ولم يقلْ جَدَّهُ ، وجدُّهُ زيادُ الأثرمُ ، وهوَ المعروفُ [بالكُريزيِّ] ، قالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : (هوَ منكرُ الحديثِ ، مضطربُ الحديثِ ، ضعيفٌ) ، وقالَ أبو زرعةَ : (ضعيفٌ ، وليسَ بشيءٍ)[3] .

---

(١) الكلام منقول من كتاب « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٢٨٠) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٤١٧) ، و« الضعفاء والمتروكون » للدارقطني (٤٠٣) ، و« المجروحين » (٢/ ٩٥) .

(٢) انظر « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٦١٦) ، و« الضعفاء » لأبي زرعة (١٧١) ، و« الجرح والتعديل » (٦/ ٤٠٠) .

(٣) الكلام منقول من كتاب « الضعفاء والمتروكون » (٣٠١١) ، وانظر « الجرح والتعديل » (٧/ ٢٦٥) .

فلا نحكمُ بصحةِ هٰذا الحديثِ ؛ لما بيَّنَّاهُ في طرقِهِ مِنْ ضَعفٍ ، ولا نحتاجُ إلىٰ تأويلِهِ ، بل نسقطُهُ مِنَ الأصلِ ، واللهُ أعلمُ .

قلتُ : وقد أوردَهُ مِنْ طريقٍ سادسةٍ : رواها عن عمرَ مولىٰ غفرةَ أختِ بلالِ بنِ رباحٍ ، يروي عن أنسٍ وهشامِ بنِ عروةَ ، قالَ يحيىٰ والنسائيُّ : (ضعيفٌ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (يقلبُ الأخبارَ ، ولا يُحتَجُّ بهِ)[1] .

قلتُ : وقدِ استوعبَ الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المفضلِ المقدسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ الكلامَ على الطريقِ الخامسةِ في كتابِ « الأصواتِ » .

ومنها : حديثٌ أوردَهُ عن جماعةٍ مِنَ الصحابةِ بأسانيدَ مُتعدِّدةٍ ينتهي إلىٰ كلِّ صحابيٍّ ، وهوَ عن معاذِ بنِ جبلٍ قالَ : (أبطأَ عنَّا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في صلاةِ الفجرِ حتىٰ كادَتِ الشمسُ أنْ تطلعَ ، ثمَّ خرجَ وأُقيمَتِ الصلاةُ . . .) وسردَ الحديثَ ، ثمَّ قالَ فيهِ : « إِنِّي قُمْتُ مِنَ ٱللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَا قَضَى ٱللهُ لِي ، وَإِنِّي رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي مَنَامِي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ لِي : فِيمَ يَخْتَصِمُ ٱلْمَلأُ ٱلأَعْلَىٰ ؟ قُلْتُ : لا أَدْرِي ، فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ . . . » وسردَ الحديثَ[2] .

أوردَ هٰذا الحديثَ مِنْ عدَّةِ طرقٍ عن معاذٍ[3] ، ومِنْ عدَّةِ طرقٍ عنِ ابنِ عائشٍ[4] ، ومِنْ عدَّةِ طرقٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ[5] ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ[6] ،

---

(١) انظر « الضعفاء والمتروكون » (٢٤٧٨) ، و« المجروحين » (٢/ ٨١) .
(٢) رؤية الله (٢٢٧) .
(٣) رؤية الله (٢٢٧ـ٢٣٢) .
(٤) رؤية الله (٢٣٣ـ٢٤٠) .
(٥) رؤية الله (٢٤١ـ٢٤٣ ، ٢٤٦) .
(٦) رؤية الله (٢٤٧) .

وعن أبي أمامةَ[1] ، وعن ثوبانَ[2] ، وعن أبي هريرةَ[3] ، وهيَ إذا تأمَّلتَها لم يُعجبْكَ شيءٌ مِنْ طرقِها .

أمَّا طُرُقُ ابنِ عائشٍ : فمدارُها على عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، وهوَ الذي يروي عنهُ الوليدُ بنُ مسلمٍ ؛ وهوَ عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ تميمٍ الشاميُّ الدمشقيُّ ، يروي عنِ الزهريِّ ، روىٰ عنهُ الوليدُ بنُ مسلمٍ وقالَ : (هوَ كذابٌ) ، قال أحمدُ : (قلبَ أحاديثَ شهرِ بنِ حوشبٍ ، فصيَّرَها حديثَ الزهريِّ) ، وجعلَ يُضعِّفُهُ ، قالَ عليُّ بنُ الجنيدِ : (ضعيفٌ) ، وقالَ البخاريُّ : (منكرُ الحديثِ) ، قالَ : (ويُقالُ : هوَ الذي روىٰ عنهُ أهلُ الكوفةِ ، فقالوا : عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ)[4] .

وأمَّا طرقُ ابنِ عباسٍ : ففيها قتادةُ يعنعنُهُ ، وقالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : (قالَ سليمانُ الشاذكونيُّ : مَنْ أرادَ التدينَ بالحديثِ فلا يأخذْ عنِ الأعمشِ ولا عن قتادةَ إلا ما قالا : « سمعْنا »)[5] ، وطرقُ ابنِ عباسٍ في هٰذا الحديثِ مدارُها على قتادةَ معنعنةً ، وبعضُها عن أبي قلابةَ مرسلاً .

وأمَّا طريقُ أنسِ بنِ مالكٍ : ففيها يوسفُ بنُ عطيةَ الصفارُ الباهليُّ البصريُّ ، وهوَ أبو سهلٍ السعديُّ ، يروي عن قتادةَ وثابتٍ ، قالَ يحيىٰ : (ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ السعديُّ : (لا يُحمَدُ حديثُهُ) ، وقالَ النسائيُّ : (متروكُ الحديثِ) ، وقالَ [عمرُو] بنُ عليٍّ : (كثيرُ الوهمِ والخطأِ ،

---

(١) رؤية الله (٢٤٨ـ٢٥٠) .

(٢) رؤية الله (٢٥٣ـ٢٥٦) .

(٣) رؤية الله (٢٥٧) .

(٤) الكلام منقول من كتاب « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (١٩١٠) ، وانظر « التاريخ الكبير » (٥/ ٣٦٥) ، و« الجرح والتعديل » (٥/ ٣٠٠) .

(٥) معرفة علوم الحديث (ص١٠٧) .

وما علمتُهُ كانَ يكذبُ) ، وقالَ أبو زرعةَ والدارقطنيُّ : (ضعيفُ الحديثِ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (يقلبُ الأخبارَ ، ويلزقُ المتونَ الموضوعةَ بالأسانيدِ الصحيحةِ ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بهِ)[1] .

وأمَّا طرقُ أبي أمامةَ : فمدارُها علىٰ ليثِ بنِ أبي سليمٍ ، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في حديثِ الدارقطنيِّ الذي قبلَهُ .

وأمَّا طريقُ عمرانَ بنِ حصينٍ[2] : فلم يُذكَرْ فيها زيادةُ : « فَوَضَعَ كَفَّهُ » ، وكذلكَ طريقُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ[3] .

وأمَّا طريقُ ثوبانَ : فمدارُها علىٰ معاويةَ بنِ صالحٍ ، قالَ ابنُ الجوزيِّ : (كانَ يحيى بنُ سعيدٍ لا يرضاهُ ، وقال الرازيُّ : لا يُحتَجُّ بهِ ، وقالَ الأزديُّ : ضعيفٌ)[4] .

وأمَّا إسنادُ أبي هريرةَ : ففيهِ سفيانُ بنُ وكيعِ بنِ الجرَّاحِ ، يروي عن أبيهِ ، قالَ البخاريُّ : (يتكلَّمونَ فيهِ) ، وقالَ أبو زرعةَ : (لا يُشتغَلُ بهِ ، قيلَ لهُ : أكانَ يُتَّهمُ بالكذبِ ؟ فقالَ : نعم) ، وقالَ ابنُ عديٍّ : (كانَ إذا لُقِّنَ تلقَّنَ) ، وقالَ النسائيُّ : (ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (قيلَ لهُ في أشياءَ لَقَّنَهَا فلم يرجعْ عنها ، فاستحقَّ التركَ لإصرارِهِ)[5] .

---

(١) الكلام من « الضعفاء والمتروكون » (٣٨٥٤) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للدارقطني (٥٩٩) ، و« الضعفاء » لأبي زرعة (٣٧٣) ، و« المجروحين » (٣/ ١٣٤) ، و« الجرح والتعديل » (٩/ ٢٢٦ـ٢٢٧) .

(٢) رؤية الله (٢٥١) .

(٣) رؤية الله (٢٥٢) .

(٤) الضعفاء والمتروكون (٣٣٥٥) ، وانظر « الجرح والتعديل » (٨/ ٣٨٢ـ٣٨٣) .

(٥) الكلام من « الضعفاء والمتروكون » (١٤٥٢) ، وانظر « التاريخ الأوسط » (٢/ ٣٨٥) ، و« الضعفاء » لأبي زرعة (٢/ ٤٠٤) ، و« الكامل » (٤/ ٤٨٢) ، و« الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٢٨٩) ، و« المجروحين » (١/ ٣٥٩) .

ومنها : حديثٌ أوردَهُ مِنْ طريقينِ عن قتادةَ ، عن عكرمةَ عنِ ابنِ عباسٍ[1] .

ولم يمكنْ أنْ أذكرَ اللفظَ ؛ لما فيهِ مِنْ سوءِ الإطلاقِ الذي لا يحسنُ أنْ يُطلقَهُ بعضُ الآدميين على بعضٍ ، فأنا أُجِلُّ سيدَنا رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُطلِقَ هـٰذا اللفظَ ، وأُجِلُّ ابنَ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يأثرَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما لا يمكنُ أنْ يقولَهُ ممَّا يأباهُ التعظيمُ ، وكذلكَ قتادةُ ، وكلُّ الرواةِ كذلكَ ، وأُجِلُّ الدارقطنيَّ أنْ يرويَ مثلَ هـٰذا على تمكُّنِهِ في العلمِ ورسوخِهِ فيهِ ، وتعظيمِهِ للهِ ولرسولِهِ .

ولا نقولُ هنا : إنَّ هـٰذا ممَّا عنعنَهُ قتادةُ ، **بل نقولُ** : هـٰذا لا يصحُّ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكيفَ يصحُّ وقد روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ حديثٍ طويلٍ : « أَرَانِي ٱللَّيْلَةَ عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ فِي ٱلْمَنَامِ » ، وذكرَ صفةَ المسيحِ ابنِ مريمَ على نبيِّنا وعليهِ السلامُ ، ثمَّ ذكرَ صفةَ الدجالِ ؛ فقالَ : « وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْداً قَطَطاً ، أَعْوَرَ عَيْنِ ٱلْيُمْنَىٰ . . . » وسردَ الحديثَ ، وفي آخرِهِ : « فَقُلْتُ : مَنْ هَـٰذَا ؟ فَقِيلَ : ٱلْمَسِيحُ ٱلدَّجَّالُ »[2] .

فمعاذَ اللهِ أنْ يرىٰ ربَّهُ في اليقظةِ أو في المنامِ علىٰ صورةٍ أصلاً ورأساً !!

---

(١) لم أجد هـٰذين الطريقين في مطبوع « رؤية الله » ، وانظر « الأسماء والصفات » (٤١٠ـ ٤١١) ، وما سيأتي عن المؤلف بعد قليل ، وفي هامش (أ، ب) : (هـٰذا الحديثُ في إيراده عن قتادةَ عن عكرمةَ نظرٌ ؛ فإن الحافظ ابن عساكرَ روىٰ عن أبي القاسم ـ يعني : ابنَ السمرقندي ـ بسنده إلىٰ قتادة قال : «ما حفظتُ عن عكرمة إلا بيتَ شعرٍ » ، فهـٰذا دليلٌ علىٰ أنه لم يرضَ رواية الحديث عن عكرمة) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٤١/١١٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٠) ، ومسلم (١٦٩/ ٢٧٤) .

فكيفَ علىٰ صورةٍ قد ذُكِرَ مثلُها أو أكثرُها عنِ المسيحِ الدجَّالِ ؟! تعالى اللهُ عن ذلكَ ، وحاشا سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ذكرِهِ ، وحاشا العلماءِ والصحابةِ والتابعينَ مِنْ نقلِهِ .

وإنَّما هـٰذا سندٌ رُكِّبَ علىٰ متنٍ ودُسَّ في كتابِ الدارقطنيِّ ، **والدليلُ علىٰ ذلكَ** : أنَّهُ في آخرِ الجزءِ ، فلعلَّ بعضَ النسَّاخِ تركَ في الجزءِ بياضاً يسعُ هـٰذا الخبرَ ، فألحقَهُ بهِ بعضُ الزنادقةِ ، أو مَنْ يعتقدُ التجسيمَ ويُصرِّحُ بهِ ممَّنْ ليسَ لهُ خلاقٌ ، فلمَّا نُقِلَتْ إلىٰ نسخةٍ أخرىٰ وُجِدَتْ علىٰ هـٰذهِ الصورةِ ، فنُقِلَتْ وقُوبِلَتْ ثمَّ سُمِعَتْ .

والغالبُ مِنْ شيوخِ الروايةِ : عدمُ الحفظِ ، وليسَ لهُم نقدُ شيوخِ الدرايةِ ، خصوصاً المتأخرينَ الذينَ يروونَ الكتبَ المدونةَ ، فسُمِعَتْ عليهِمُ النسخةُ ، ثمَّ نُقِلَتِ النسخُ مِنْ تلكَ النسخةِ ، فاطَّلعَ عليها شيوخُ الدرايةِ ، فلم يكنْ لهم فيها حيلةٌ ؛ إذ هيَ مِنَ الأصلِ في الظاهرِ ، ومسموعةٌ على الرواةِ ، فلم يكنْ لهم تغييرُها ، فبقيَتْ علىٰ هـٰذهِ الصورةِ .

ويبقىٰ مَنْ يعتقدُ الاعتقادَ الفاسدَ ، فيستطيلُ ويقولُ : هـٰذا مرويٌّ وذكرَهُ الدارقطنيُّ ، وأقسمُ باللهِ أنَّ الدارقطنيَّ بريءٌ مِنْ ذلكَ .

وهـٰذا مِنَ القسمِ الذي خالفَ فيهِ النقلُ العقلَ مِنْ كلِّ وجوهِهِ ، فلا يُشتغَلُ برواتِهِ ، بل يُقطَعُ بعدمِ صحتِهِ .

وبتقديرِ أنْ نتتبَّعَ رواتَهُ : فمدارُهُ علىٰ عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، وقد قالَ ابنُ عمرَ لنافعٍ : (لا تكذبْ عليَّ كما كذبَ عكرمةُ على ابنِ عباسٍ)[1] ، وكذلكَ

---

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في « التاريخ الكبير » (٢٣٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٨/٤١) .

قالَ سعيدُ بنُ المسيبِ لمولاهُ بردٍ[1] ، وقد كذَّبَهُ مجاهدٌ وابنُ سيرينَ ويحيى بنُ سعيدٍ ومالكُ بنُ أنسٍ[2] .

ومنها : حديثٌ أوردَهُ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي سلمةَ قالَ : بعثَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ يسألُهُ : هل رأىٰ محمدٌ ربَّهُ ؟ فبعثَ إليهِ : أنْ نعم ، فردَّ رسولَهُ إليهِ : كيفَ رآهُ . . . ، وسردَ حديثاً يُشبِهُ الذي يليهِ[3] .

قلتُ : هٰذا لا يصحُّ عنِ ابنِ عباسٍ ؛ لوجوهٍ :

الأولُ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ مِنْ علماءِ الصحابةِ كما قدَّمْنا ، وهوَ لا يسألُ عنِ الرؤيةِ بـ (كيفَ) .

الثاني : أنَّ في سندِهِ أحمدَ بنَ عبدِ الجبارِ العطارديَّ ، وقد قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ في « علومِ الحديثِ »[4] : (النوعُ الحادي والخمسونَ مِنْ علومِ الحديثِ : هٰذا النوعُ معرفةُ جماعةٍ مِنَ الرواةِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ لم يُحتَجَّ بحديثِهِم في الصحيحِ ولم يُسقَطوا) ، وذكرَ طبقاتِهِم ، ثمَّ قالَ : (ومثالُ ذلكَ في الطبقةِ السادسةِ مِنَ المحدثينَ : أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ العُطارديُّ) ، وعدَّ معَهُ جماعةً ، ثمَّ قالَ : (فجميعُ مَنْ ذكرْنا في هٰذا الموضعِ بعدَ الصحابةِ والتابعينَ قومٌ قدِ اشتَهرُوا بالروايةِ ، ولم يُعَدُّوا في طبقةِ [الأثباتِ المتقنينَ الحفَّاظِ])[5] .

قالَ ابنُ الجوزيِّ : (أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ أبو عمرَ العُطارديُّ الكوفيُّ :

---

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في « التاريخ الكبير » (٢٣٦٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/١٠٩) .

(٢) انظر « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٣٣٤) .

(٣) انظر « الأسماء والصفات » (ص٤٠٩) ، و« العلل المتناهية » (١/ ٢٤) .

(٤) زاد في (أ ، ب) : (فقال) ، ولا داعي لها .

(٥) معرفة علوم الحديث (ص٢٥٤ ، ٢٥٦) ، وما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

يروي عن أبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ ، قالَ ابنُ عديٍّ : رأيتُ أهلَ العراقِ مُجمِعينَ علىٰ ضَعفِهِ ؛ لأنَّهُ حدَّثَ عمَّنْ لم يلقَهُ ، وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : ليسَ بالقويِّ)[1] .

قلتُ : وبتقديرِ ألا يكونَ في العُطارديِّ كلامٌ : فالحديثُ أيضاً لا يُحتَجُّ بهِ ؛ فإنَّهُ صحابيٌّ بعثَ إلىٰ صحابيٍّ رسولاً لا يُعرَفُ مَنْ هوَ ؛ فهوَ بينَ أنْ يكونَ عبدُ اللهِ بنُ أبي سلمةَ رواهُ عن مجهولٍ ، أوِ الرسولُ معروفٌ ، فيكونُ موقوفاً على ابنِ عباسٍ .

ومنها : حديثٌ رواهُ عنِ الحسنِ بنِ رَشيقٍ بسندِهِ إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « رَأَيْتُ رَبِّي فِي مَنَامِي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ . . . » وسردَ الحديثَ[2] ، وهٰذا أيضاً لا يُحتَجُّ بهِ ؛ لوجوهٍ :

الأولُ : أنَّ فيهِ الحسنَ بنَ رَشيقٍ ، قالَ ابنُ الجوزيِّ : (تكلَّمَ فيهِ عبدُ الغنيِّ الحافظُ ، وأنكرَ عليهِ الدارقطنيُّ أنَّهُ كانَ يقبلُ ممَّنْ يقولُ لهُ الشيءَ فيُغيِّرُ كتابَهُ)[3] .

الثاني : أنَّ فيهِ عبدَ الرحمٰنِ بنَ خالدِ بنِ نَجيحٍ عن أبيهِ خالدٍ ، وخالدٌ هٰذا : هوَ المصريُّ ، قالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : (كذابٌ ، يفتعلُ الأحاديثَ ويضعُها في كتبِ ابنِ أبي مريمَ وكاتبِ الليثِ ، والأحاديثُ التي أُنكِرَتْ على كاتبِ الليثِ يُتوهَّمُ أنَّها مِنْ فعلِهِ)[4] .

---

(١) الضعفاء والمتروكون (١٩٥) ، وانظر « الكامل » (١/٣١٣ـ٣١٤) ، و« الجرح والتعديل » (٢/ ٦٢) .

(٢) رؤية الله (٢٨٥) .

(٣) الضعفاء والمتروكون (٨١٩) .

(٤) الجرح والتعديل (٣/ ٣٥٥) ، وفيه : (وأبي صالح) بدل (وكاتب الليث) ، وأبو صالح : هو كاتب الليث .

الثالثُ : أنَّ في سندِهِ إسحاقَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ أبي فروةَ ، **واسمُ أبي فروةَ** : كيسانُ ، أبو سليمانَ المدينيُّ مولىً لآلِ عثمانَ ، يروي عنِ الزهريِّ وزيدِ بنِ أسلمَ وابنِ المنكدرِ ، قالَ أحمدُ : (لا يَحِلُّ عندي الروايةُ عنهُ) ، وقالَ عليٌّ : (هوَ منكرُ الحديثِ) ، وقالَ يحيىٰ : (ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ البخاريُّ : (تركوهُ) ، وقالَ الفلّاسُ والنسائيُّ وعليُّ بنُ الجنيدِ والدارقطنيُّ : (متروكُ الحديثِ)[1] .

قلتُ : وذكرَ الشيخُ زكيُّ الدينِ عبدُ العظيمِ رحمَهُ اللهُ في « حواشيهِ علىٰ كتابِ ابنِ الجوزيِّ » : (قالَ محمدُ بنُ سعدٍ في [إسحاقَ بنِ عبدِ اللهِ أيضاً : كانَ إسحاقُ ـ يعني : ابنَ عبدِ اللهِ بنِ أبي فروةَ][2] ـ كثيرَ الحديثِ ، روىٰ أحاديثَ منكرةً ، ولا يُحتجُّ بحديثِهِ ، وقالَ مسلمٌ : ضعيفٌ ، وقالَ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمارٍ : ضعيفٌ ذاهبٌ ، وقالَ يعقوبُ الفسويُّ : لا يُكتَبُ حديثُهُ ، وقالَ ابنُ خراشٍ : إسحاقُ ابنُ أبي فروةَ كذابٌ)[3] .

ومنها : حديثُ أمِّ الطفيلِ[4] ، وذكرَ عن رجالِهِ أنَّ أبا زرعةَ الدمشقيَّ قالَ في رجالِهِ : (كلُّ هـٰؤلاءِ معروفونَ ، لهُم أنسابٌ قويةٌ بالمدينةِ ، **فأمَّا مروانُ بنُ عثمانَ** : فهوَ مروانُ بنُ عثمانَ بنِ أبي سعيدِ بنِ المُعلَّى الأنصاريُّ ، **وأمَّا عمارةُ** : فهوَ ابنُ عامرِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ صاحبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) الكلام منقول من « الضعفاء والمتروكون » (٣٢٢) ، وانظر « التاريخ الكبير » (١٢٦٠) ، و« الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٥٠) ، و« الضعفاء والمتروكون » للدارقطني (٩٢) ، و« الجرح والتعديل » (٢/ ٢٢٧ـ٢٢٨) .

(٢) في (أ ، ب) : (قال محمد بن سعد في عبد الله أيضاً : كان أبو إسحاق ؛ يعني : ابن أبي فروة) ، والتصويب من المصادر والمراجع .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٨/ ٢٤٦ـ٢٥٥) .

(٤) رؤية الله (٢٨٦) ، وأخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٨١) .

وسلَّمَ ، وعمرُو بنُ الحارثِ وسعيدُ بنُ أبي هلالٍ : فلا يُشَكُّ فيهما ، وحسبُكَ بعبدِ اللهِ بنِ وهبٍ مُحدِّثاً في دينِهِ وفضلِهِ)[1] .

قلتُ : ووقفَ ها هنا ؛ لأنَّهُ انتهىٰ إلىٰ أحمدَ بنِ صالحٍ ؛ لأنَّهُ مُتكلَّمٌ فيهِ ، وهوَ يُكنَّىٰ بأبي جعفرٍ ، قالَ ابنُ حبانَ : (يأتي عنِ الثقاتِ بالمُعضلاتِ ، وعنِ المجروحينَ بالطامَّاتِ ، تجبُ مجانبةُ ما روىٰ)[2] .

وبتقديرِ أنْ لا كلامَ فيهِ : فقد قالَ أبو عبدِ الرحمـٰنِ النسائيُّ : ومَنْ مروانُ حتىٰ يصدقَ على اللهِ عزَّ وجلَّ ؟![3] ، وقالَ مهنّىٰ : سألتُ أحمدَ عن هـٰذا الحديثِ ، فحوَّلَ وجهَهُ عنِّي ، وقالَ : هـٰذا حديثٌ مُنكَرٌ ، وهـٰذا رجلٌ مجهولٌ ـ يعني : مروانَ ـ ، قالَ : ولا يُعرَفُ أيضاً عمارةُ[4] .

قلتُ : إذا تعارضَ كلامُ النسائيِّ وأحمدَ ابنِ حنبلٍ معَ كلامِ أبي زرعةَ . . فلا التفاتَ إلىٰ أبي زرعةَ ، واللهُ أعلمُ .

وأوردَ حديثَ أمِّ الطفيلِ بسندٍ آخرَ فيهِ نعيمُ بنُ حمادٍ عنِ ابنِ وهبٍ[5] ، وقد قالَ ابنُ عديٍّ : كانَ يضعُ الحديثَ ، وكانَ يحيى بنُ معينٍ يُهجِّنُهُ في روايةِ حديثِ أمِّ الطفيلِ[6] .

قالَ ابنُ الجوزيِّ : (نعيمُ بنُ حمادٍ : يروي عنِ ابنِ المباركِ ، وثَّقَهُ أحمدُ ، ووثَّقَهُ يحيىٰ في روايةٍ ، وقالَ مرةً : شُبِّهَ لهُ فيروي ما ليسَ لهُ أصلٌ ، وقالَ النسائيُّ : ليسَ بثقةٍ ، وقالَ الدارقطنيُّ : كثيرُ الوهمِ .

---

(١) رؤية الله ، تحت رقم : (٢٨٦) .

(٢) المجروحين (١/١٤٩) .

(٣) انظر « الموضوعات » (١/١٨١) .

(٤) انظر « الموضوعات » (١/١٨٢) .

(٥) رؤية الله (٢٨٧) .

(٦) انظر « الموضوعات » (١/١٨١) .

وقالَ أبو الفتحِ الأزديُّ : قالوا : كانَ يضعُ الحديثَ في تقويةِ السنَّةِ ، وحكاياتٍ مزوَّرةً في ثلبِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ كلُّها كذبٌ) ، قالَ ابنُ الجوزيِّ : (وكذلكَ ذكرَ ابنُ عديٍّ)[1] .

فهٰذهِ الأحاديثُ كلُّها لا يُحتَجُّ بها ، ولا تنهضُ بها دلالةٌ ، ولا يُتكلَّفُ لها تأويلٌ .

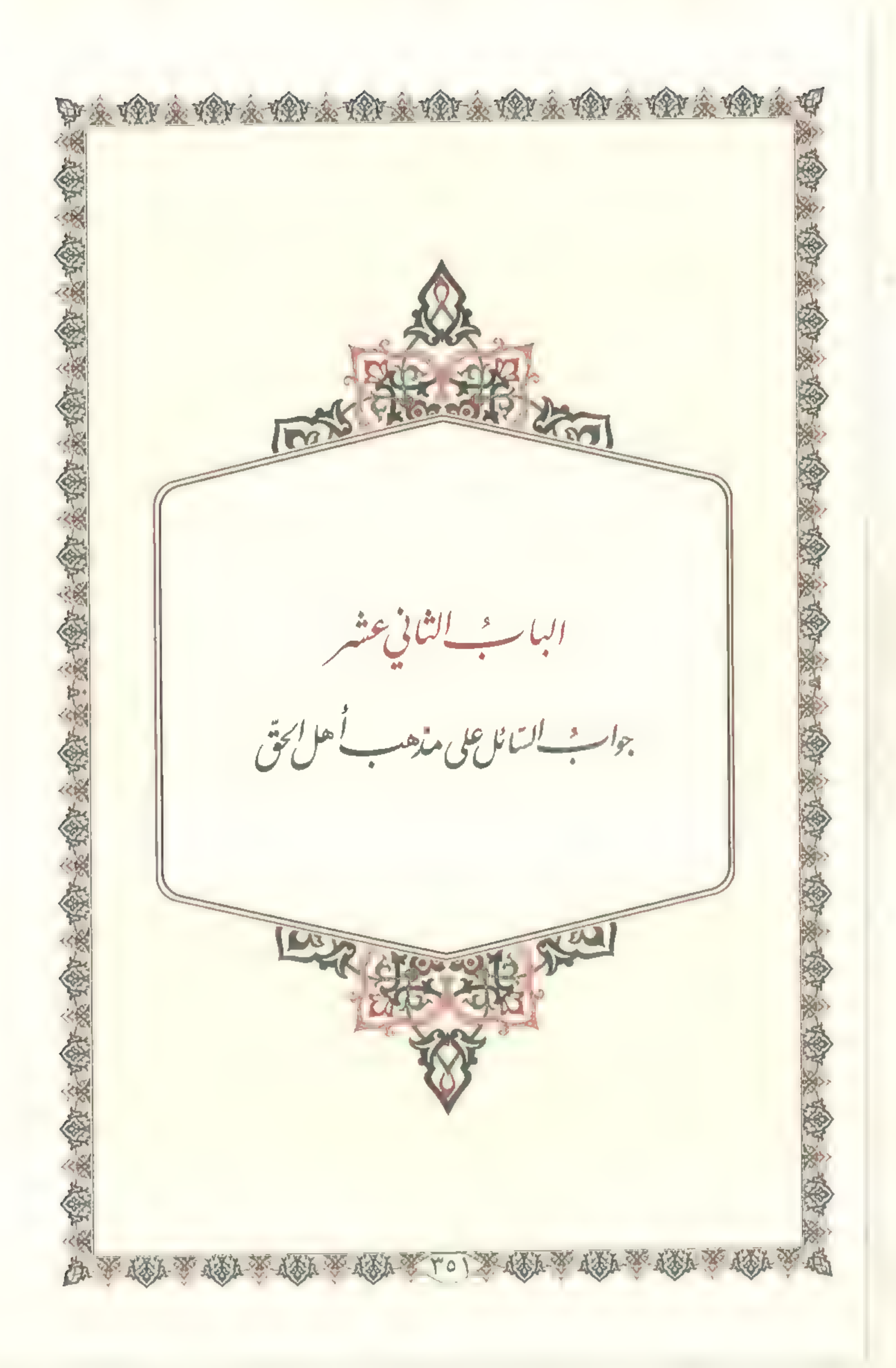
وأمَّا ما وردَ مِنَ الأحاديثِ في الصحيحينِ أو علىٰ شرطِ الصحيحينِ . . فقد أفردتُ لها باباً لذكرِها وذكرِ ما ذكرَهُ العلماءُ في تأويلِها مِنْ غيرِ استيعابٍ ، واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ[2] .

* * *

---

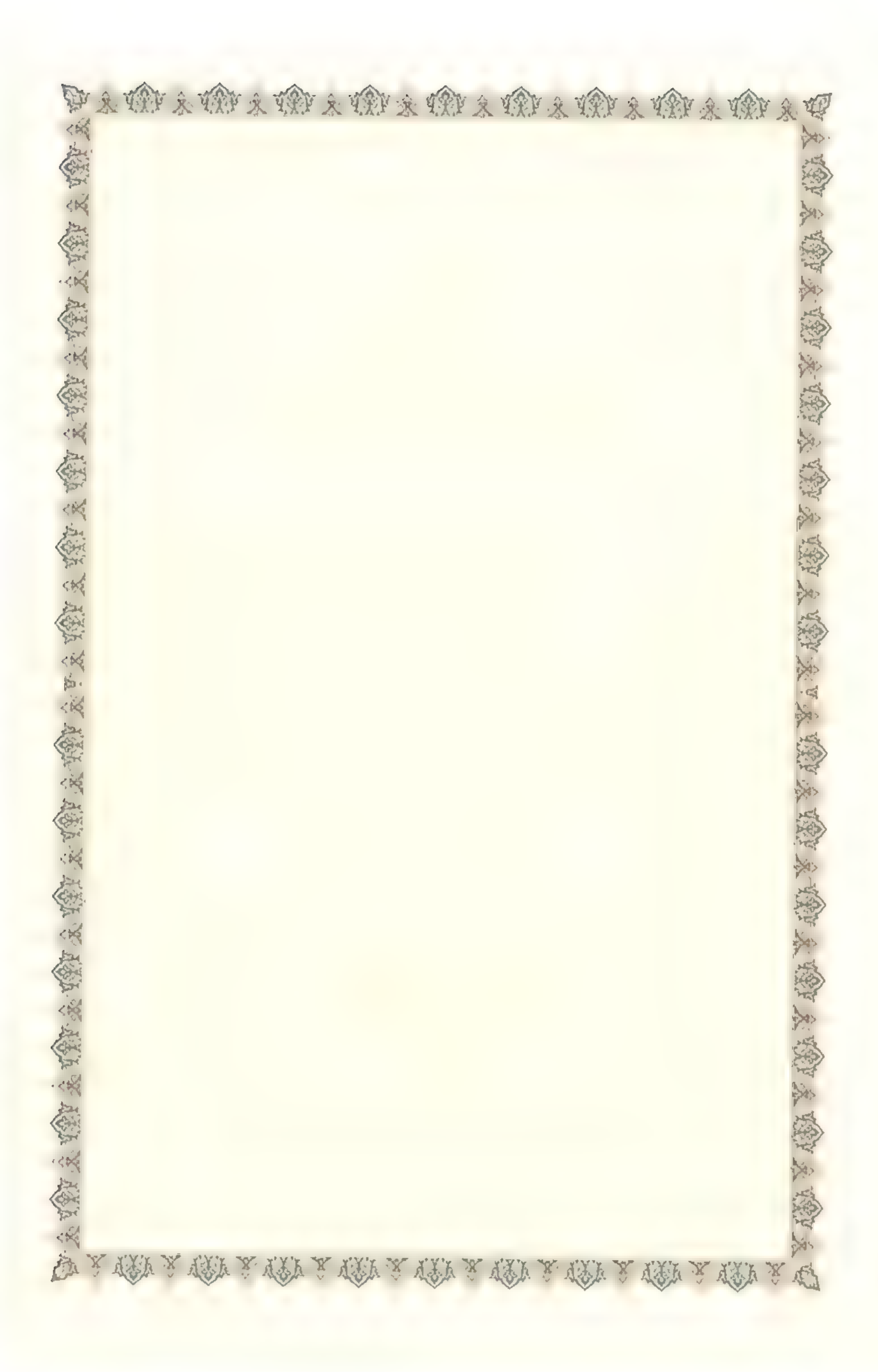
(١) الضعفاء والمتروكون (٣٥٤٣) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٥٨٩) ، و« الكامل » (٨/ ٢٥١) .

(٢) انظر (٢/ ٣٩٣ـ٤٠٨) .



الباب الثاني عشر

جواب السائل على مذهب أهل الحق



بابٌ
جوابُ السائلِ على مذهبِ أهلِ الحقِّ

اعلمْ أرشدَنا اللهُ وإيَّاكَ : أنَّكَ سألتَ عن أربعِ مسائلَ : إحداها : أنَّ ما بينَ الدَّفَّتينِ هل هوَ كلامُ اللهِ القديمُ ، أو هوَ عبارةٌ عنهُ ؟ وهل هوَ حادثٌ أو قديمٌ ؟ وهل كلامُ اللهِ بحرفٍ وصوتٍ ؟ والمادةُ في هـٰذهِ الأسولةِ كلِّها واللهِ واحدةٌ[1] .

فالجوابُ وباللهِ التوفيقُ وهوَ أعلمُ بالصوابِ : أنْ نقولَ : إنَّا لا نحكمُ بحقيقةٍ على حقيقةٍ إلا بعدَ تصوُّرِهما ؛ فإنَّ التصديقَ فرعُ التصوُّرِ ، فاعرفْ أوَّلاً حقيقةَ الكلامِ ، ثمَّ على ماذا يُطلَقُ بالإضافةِ إلينا ، ثمَّ بالإضافةِ إلى اللهِ تعالى ، ثمَّ بعدَ ذلكَ تصلُ إلى المعنى الذي اقتضى إطلاقَهُ على ما بينَ الدَّفَّتينِ ، وحينَئذٍ يتَّضحُ لكَ ما سألتَ عنهُ ، وأرجو أنْ أذكرَ لك ما فيهِ مقنعٌ ، وتستعينَ بهِ على جوابِ المسألةِ الثانيةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، مُستمِدّاً بعونِ اللهِ ولطفِهِ وهدايتِهِ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

[الاختلافُ في إطلاقِ الكلامِ عندَ النحاةِ]

اعلمْ : أنَّ العلماءَ اختلفوا في (الكلامِ) على ماذا يُطلَقُ ؟ فالنحاةُ على قسمينِ :

أحدُهُما : طائفةٌ تقولُ : إنَّ الكلامَ يُقالُ بالاشتراكِ على معانٍ :

---

(١) أو العبارة : (واللهُ أعلم) بدل (واللهِ) ، وهـٰذه الأسئلة سُئل عنها ابن تيمية ، فأجاب على خلاف مذهب أهل السنة ، ومن جملة الأسئلة مسألة الإستواء والتأويل للظواهر الموهمة كما سيأتي في (٢/ ٣٧٤ ، ٣٨٣) ، وانظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ١٠١) .

المعنى الأولُ : كلامُ النفسِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة : ٨] .

وقولِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : (زوَّرْتُ في نفسي كلاماً فسبقَني إليهِ أبو بكرٍ)[١] .

وقولِ الشاعرِ[٢] : [من الكامل]

إنَّ ٱلْكَلامَ لَفِي ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا   جُعِلَ ٱللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلا

المعنى الثاني : أنَّ الكلامَ يُطلَقُ على المكتوبِ ؛ كقولِكَ : هٰذا كلامُ سيبويهِ ، وهٰذا كلامُ أبي بكرٍ ، وهٰذا كلامُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، و[هٰذا] كلامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وما بينَ الدَّفَّتينِ كلامُ اللهِ .

الثالثُ : يُطلَقُ على العباراتِ الخاصَّةِ ؛ كقولِكَ : الكلامُ : هوَ اللفظُ المُركَّبُ المفيدُ بالوضعِ .

الرابعُ : يُطلَقُ على لسانِ الحالِ ؛ كقولِكَ : امتلأَ الحوضُ وقالَ : قَطْني[٣] .

الخامسُ : على الإشارةِ ؛ كقولِهِ[٤] : [من الطويل]

إِذَا كَلَّمَتْنِي بِـالْعُيُونِ الْفَوَاتِرِ   رَدَدْتُ عَلَيْهَا بِالدُّمُوعِ الْبَوَادِرِ

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري ضمن حديث طويل (٦٨٣٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أورده الجاحظ في « البيان والتبيُّن » (١/٢١٨) ، وينسب للأخطل . انظر « التذييل والتكميل » (١/٢٣) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٣/١٨٩) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٠/٨٣) ، و« أمالي ابن الشجري » (٢/٥٠-٥١) .

(٤) البيت لإبراهيم بن المهدي كما في « الوافي بالوفيات » (٦/٧٥) ، وانظر « التذييل والتكميل » (١/٢٧) .

وإلى الاشتراكِ ذهبَ جماعةٌ مِنَ النحاةِ ؛ منهُمُ ابنُ عصفورٍ مِنَ المُتأخِّرينَ[1] .

القسمُ الثاني مِنَ النحاةِ قالوا : الكلامُ حقيقةٌ في اللفظِ المركبِ المفيدِ بالوضعِ ، وما عداهُ فمجازٌ ، وإلىٰ هٰذا ذهبَ غالبُ النحاةِ مِنَ المُتقدِّمينَ والمُتأخِّرينَ ، وهوَ قولُ المعتزلةِ .

[تفسيرُ الكلامِ عندَ أهلِ السنَّةِ]

وأمَّا علماءُ الأصولِ : فقالَ أهلُ السنَّةِ : الكلامُ حقيقةٌ في النفسانيِّ الذي هوَ حديثُ النفسِ ، ثمَّ اختلفوا في العباراتِ التي هيَ ألفاظٌ وأصواتٌ :

فصارَ معظمُهُم : إلىٰ أنَّها دلالاتٌ على الكلامِ ، وليسَتْ بكلامٍ حقيقةً ، وإطلاقُ الكلامِ عليهِ مجازٌ[2] ، وبهِ قالَ الشيخُ أبو الحسنِ والقاضي أبو بكرٍ في أحدِ قولَيْهِما .

وقالَ الشيخُ أبو الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّهُ يُطلَقُ حقيقةً علىٰ ما في النفسِ ، وعلى العباراتِ أيضاً ، فيكونُ علىٰ هٰذا مشتركاً بينَهُما .

وقالَتِ المعتزلةُ والحشويةُ : إنَّهُ لا كلامَ حقيقةً إلا الحروفُ والأصواتُ مكتوبةً أو ملفوظاً بها[3] ، ثمَّ افترقوا فرقتينِ :

ففرقةٌ أفرطوا حتىٰ وقعوا في الكفرِ ونفَوُا الصفاتِ الثابتةَ للهِ تعالىٰ

---

(١) شرح جمل الزجاجي (١/ ١٥) ، وانظر « التذييل والتكميل » (١/ ٢٤ـ٢٦) .

(٢) قوله : (عليه) أي : المذكور من الألفاظ والأصوات .

(٣) إلا أن المعتزلة يقولون بحدوث الأصوات والحروف ، وهي غير قائمة بذاته ، والحشوية يقولون بقدمها ، حتىٰ تجاوز بعض الجهلة منهم : فقال : إن غلاف المصحف قديم ، وانظر ما سيأتي بعد قليل .

بالنصوصِ ؛ وهمُ المعتزلةُ الذينَ قالوا بخلقِ القرآنِ وخلقِ الكلامِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ[1] .

وفرقةٌ فرَّطوا ؛ وهمُ الجهلةُ الحشويةُ الذينَ قالوا : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ، ثمَّ افترقَ هـٰؤلاءِ فرقتينِ :

فرقةٌ قالوا ذلكَ ؛ بمعنىٰ : أنَّ الصفةَ القائمةَ بهِ مِنَ الكلامِ هيَ الحروفُ والأصواتُ ، وهـٰؤلاءِ يلزمُهُم قيامُ الحوادثِ بذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وذلكَ محالٌ .

وفرقةٌ قالوا : كلامُنا نحنُ الذي هوَ حروفٌ وأصواتٌ هوَ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ بمعنىٰ : أنَّ الصفةَ القديمةَ حلَّتْ بكلامِنا ، وفي ذلكَ مِنَ الجهلِ والكفرِ ما لا يخفىٰ مِنْ حلولِ القديمِ بالحادثِ ، وهم شرٌّ مِنَ النصارىٰ ؛ لأنَّ النصارىٰ قالوا بحلولِ الصفةِ القديمةِ بعيسى ابنِ مريمَ خاصَّةً ، وهـٰؤلاءِ يُثبتونَها لكلِّ مَنْ قرأَ القرآنَ العظيمَ أو شيئاً منهُ ، ويجعلونَ الحادثَ قديماً .

قالَ إمامُ الحرمينِ في كتابِهِ « الشاملِ » : (وقد جمعْنا على القائلينَ بقدمِ الحروفِ كتاباً ، ورأيْنا تنزيهَ كتابِنا هـٰذا عنِ التشاغلِ بهِم) .

وقد ألَّفَ القاضي رضيَ اللهُ عنهُ « النقضَ الكبيرَ » وهوَ في أربعينَ سفراً ، وتكلَّمَ في مسألةِ القرآنِ في ثلاثِ مجلداتٍ ، وجمعَ الكلامَ على القائلينَ بقدمِ الحروفِ في ثلاثةِ أسطرٍ ، فقالَ : (مَنْ زعمَ أنَّ السينَ مِنْ « باسمِ » بعدَ الباءِ ، والميمَ بعدَ السينِ الواقعةِ بعدَ الباءِ : لا أولَ لهُ .. فقد خرجَ عنِ المعقولِ ، وجحدَ الضرورةَ ، وأنكرَ البديهةَ ؛ فإنَّ مَنِ اعترفَ بوقوعِ شيءٍ بعدَ شيءٍ فقـدِ اعترفَ بأوَّليتِـهِ ، فإذا ادَّعىٰ أنَّهُ لا أولَ لما لهُ أوَّلٌ فقد سقطَتْ مُحاجَّتُهُ ، وتبيَّنَ

---

(١) المعتمد : أن المعتزلة منكري الصفات مبتدعة فسقة لا كفار .

لحوقُهُ بالسفسطةِ ، وكيفَ يُرجىٰ أنْ يُرشَدَ بالدليلِ مَنْ يتواقحُ في جحدِ الضروريِّ ؟!)[1] .

[الأدلَّةُ النقليةُ علىٰ إثباتِ الكلامِ النفسيِّ]

ودليلُ أهلِ السنَّةِ علىٰ إثباتِ كلامِ النفسِ : مِنَ المعقولِ والمنقولِ ؛ أمَّا المنقولُ : فقد مضتْ أقوالُ النحاةِ الذينَ همُ المهرةُ في هـٰذا التِّبيانِ والمرجوعُ إليهِم فيهِ[2] .

[الأدلةُ العقليةُ علىٰ إثباتِ الكلامِ النفسيِّ]

وأمَّا المعقولُ : فمِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّا نقولُ : الكلامُ لهُ أقسامٌ ، فلنأخذْ أحدَ الأقسامِ علىٰ سبيلِ المثالِ ، وننصبِ الدليلَ عليهِ ، ويتبيَّنَ بهِ ما عداهُ ؛ فنقولُ :

الأمرُ : اقتضاءُ الطاعةِ مِنَ المأمورِ ، والنهيُ : اقتضاءُ تركِ المنهيِّ عنهُ مِنَ المنهيِّ ، ونحنُ نجدُ في أنفسِنا اقتضاءَ الآمرِ الطاعةَ مِنَ المأمورِ وإنْ تصرَّمَ صوتُهُ ، وانقضتْ حروفُهُ ، وصمتَ عمَّا في ضميرِهِ ، وهوَ مُصمِّمٌ علىٰ اقتضائِهِ ودعائِهِ ، واقتضاءُ الطاعةِ أمرٌ ، والأمرُ كلامٌ .

ولا يُقالُ : إنَّ ذلكَ الاقتضاءَ إرادةٌ ؛ لوجهينِ :

أحدُهُما : أنَّ الآمرَ يجوزُ أنْ يأمرَ بما لا يريدُ .

الثاني : أنَّ الإرادةَ إنَّما ثبتَتْ معَ اللفظِ أو مُتقدِّمةً عليهِ بزمانٍ ، وإذا

---

(١) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٥٧) ، وما سبق في (١/ ٩٥ـ٩٦) .

(٢) انظر (٢/ ٣٥٣ـ٣٥٥) .

تصرَّمَتِ اللفظةُ استحالَ استمرارُ الإرادةِ لها ؛ لأنَّ الإرادةَ تطلبُ الاستقبالَ ، ونحنُ نجدُ أنَّ مَنْ أمرَ عبدَهُ إذا انقضتِ اللفظةُ يجدُ نفسَهُ مُصمِّماً على الاقتضاءِ والطلبِ ، وقدِ انقضتِ اللفظةُ ، والمُتصرِّمُ لا يُرادُ ، وإنَّما يُتلهَّفُ عليهِ ، فبطلَ انصرافُ اقتضاءِ النفسِ إلى الإرادةِ ، وتبيَّنَ أنَّ الذي يجدُهُ العاقلُ في نفسِهِ مِنَ الاقتضاءِ كلامٌ ، وهوَ الذي يُقالُ لهُ : حديثُ النفسِ أيضاً ، وتدلُّ عليهِ العباراتُ والكتابةُ والإشارةُ .

ولا يُقالُ أيضاً : إنَّ الاقتضاءَ الذي هوَ كلامُ النفسِ اعتقادٌ ؛ فإنَّ الاعتقادَ علمٌ أو جهلٌ أو ظنٌّ ، واقتضاءُ الأمرِ الطاعةَ يخالفُ ذلكَ كلَّهُ ؛ فإنَّهُ ليسَ بعلمٍ ولا جهلٍ ولا ظنٍّ ، وإنَّما هوَ طلبٌ ، ولو جُعِلَ حديثُ النفسِ اعتقاداً لجازَ جعلُ النظرِ اعتقاداً .

فقد تبيَّنَ بذلكَ ثبوتُ كلامِ النفسِ بالنسبةِ إلينا .

الوجهُ الثاني في إثباتِ كلامِ النفسِ : **أنْ يُقالَ** : إنَّ السيدَ إذا أشارَ إلىٰ عبدِهِ بأمرٍ . . فهمَهُ عبدُهُ مِنْ مواضعةٍ تقدَّمَتْ بينَهُ وبينَهُ ، ودلَّتْ تلكَ الإشارةُ العبدَ علىٰ تحتُّمِ ذلكَ الفعلِ الذي دلَّتْ عليهِ الإشارةُ المسبوقةُ بالمواضعةِ ، فذلكَ التحتُّمُ هوَ الإيجابُ ، ولا إيجابَ إلا معَ أمرٍ مِنَ المُوجِبِ(١) ، ولم يصدرْ منهُ في هـٰذهِ الصورةِ كلامٌ فيهِ حرفٌ ولا صوتٌ ، وقد أجمعَ المحققونَ علىٰ أنَّ الحركاتِ ليسَتْ كلاماً ، فلم يبقَ وجهٌ إلا تقديرُ كلامٍ في النفسِ تدُلُّ عليهِ الإشاراتُ ، ومِنَ المستحيلِ تقديرُ مأمورٍ مِنْ غيرِ توجُّهِ مأمورٍ بهِ ، فيستحيلُ تقديرُ أمرٍ وليسَ بكلامٍ .

الثالثُ : قالَ الإمامُ أبو [سعدٍ] المتولِّي : (**ومِنَ الدليلِ علىٰ ما قلنا** : أنَّ

---

(١) كتب في (أ) فوق كلمة (مع) : (بعد) ، وفي (ب) : (إلا مع تقدير) بدل (إلا مع) .

صيغةَ « افعلْ » قد تردُ للإيجابِ ؛ كقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] ، وللاستحبابِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ ﴾ [الحج : ٧٧] ، وللإباحةِ ؛ كقولِهِ : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ [المائدة : ٢] ، وللتهديدِ ؛ كقولِهِ : ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت : ٤٠] ، وإذا كانَ لفظُ الأمرِ يتردَّدُ علىٰ هـٰذهِ الوجوهِ [فقد] يقولُ : « افعلْ » ويريدُ بهِ الوجوبَ ، ويريدُ بهِ الإباحةَ ، ويريدُ بهِ النهيَ ، وقد يريدُ بهِ التهديدَ ، وصورةُ الحروفِ والأصواتِ واحدةٌ ، ولو كانَ الأمرُ نفسَ اللفظِ لما اختلفَ .

فعُلِمَ : أنَّ الأمرَ صفةٌ قائمةٌ بالنفسِ يتميَّزُ بوصفِهِ الخاصِّ [عنِ] الاستحبابِ والإباحةِ والتهديدِ)[1] .

قالَ أبو [سعيدٍ] رضيَ اللهُ عنهُ : (فإنْ قيلَ : ما ألزمتُمونا ينعكسُ عليكُم ؛ فإنَّكُم جعلتُمُ العبارةَ دلالةً علىٰ ما في النفسِ ، ولا يجوزُ أنْ يكونَ دليلُ الإيجابِ ودليلُ الاستحبابِ واحداً .

قلنا : التمييزُ يحصلُ بالقرائنِ ، لا بنفسِ الأصواتِ والحروفِ)[2] .

الرابعُ : في إثباتِ كلامِ النفسِ في غيرِ الأمرِ : وهوَ أنْ تقولَ : كلُّ مَنِ اتَّصفَ بالعلمِ فهوَ متصفٌ بكلامِ النفسِ ، وإنَّما قلنا ذلكَ ؛ لأنَّ العلمَ إمَّا تصوُّرٌ وإمَّا تصديقٌ ؛ فالتصديقُ حكمُ الذهنِ بحقيقةٍ علىٰ حقيقةٍ ، وذلكَ الحكمُ هوَ الذي يتصفُ بالجهلِ والعلمِ والظنِّ والشكِّ ، ويكونُ مطابقاً وغيرَ مطابقٍ ، والذي حكمَ بحقيقةٍ علىٰ حقيقةٍ نفسُهُ مُتكيِّفةٌ بذلكَ وإنْ لم ينطقْ بهِ ، ونحنُ لا نعني بالكلامِ النفسانيِّ إلا ذلكَ .

---

(١) الغنية في أصول الدين (ص ١٠١) .
(٢) الغنية في أصول الدين (ص ١٠٢) .

فإذا ثبتَ أنَّا نعقلُ كلاماً نفسانياً ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، وقد ثبتَ بالدليلِ العقليِّ والسمعيِّ أنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بكلامٍ ، ودلَّ الدليلُ العقليُّ على استحالةِ اتِّصافِ كلامِهِ بالحروفِ والأصواتِ ، ودلَّ علىٰ أنَّ الكلامَ مِنْ صفاتِ الذاتِ لا مِنْ صفاتِ الأفعالِ ؛ فليسَ كلامُ الذاتِ إلا النفسانيَّ ، وإذا ثبتَ أنَّ الكلامَ هوَ الكلامُ النفسانيُّ حقيقةً كما قالَ الإمامُ أبو الحسنِ . . فقولُنا : (ما بينَ الدَّفَّتينِ كلامُ اللهِ) مِنْ بابِ إطلاقِ المدلولِ على الدليلِ علىٰ أحدِ قولَيْ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأحكامُ اللهِ تعالىٰ جاريةٌ بتعظيمِهِ علىٰ لسانِ رسولِهِ وحملةِ الشرعِ ، فجاحدُهُ أو جاحدُ شيءٍ منهُ كافرٌ ، ولا يمسُّهُ إلا المطهرونَ ، ومَنِ امتهنَهُ حكمْنا بكفرِهِ ، كما حكمْنا بكفرِ مَنْ جحدَ ما يُنطَقُ بهِ ويُتلفَّظُ بهِ مِنَ القرآنِ ، أو جحدَ شيئاً منهُ أو تنقَّصَهُ ، ومنعْنا الجنبَ والحائضَ مِنَ القراءةِ احتراماً لهُ ؛ لكونِهِ دالاًّ علىٰ كلامِ اللهِ القديمِ .

وكلامُ اللهِ حقيقةٌ على القولِ الآخرِ عندَهُ ، ومعَ نفيِ ما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ علىٰ كلا القولينِ عندَهُ رضيَ اللهُ عنهُ ، وإنْ كانَ في القولِ الثاني لا يُعيِّنُ تأويلاً ؛ لـٰكنَّهُ ينفي الإيهامَ ، وهـٰذا هوَ أحدُ قولَيِ السلفِ رضيَ اللهُ عنهُم ، لا كما يظنُّ بعضُ مُتأخِّري الحنابلةِ .

* * *

فصل

في أن كلام الله قديم قائم بذاته، والأصوات والحروف دلالات عليه

قالَ علماءُ السنَّةِ : كلامُ اللهِ تعالىٰ قديمٌ قائمٌ بذاتِهِ ، ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، والحروفُ والأصواتُ دلالاتٌ عليهِ ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ موجودٌ واحدٌ يتعلَّقُ بجميعِ مُتعلَّقاتِ الكلامِ ، كما أنَّ علمَهُ واحدٌ يتعلَّقُ بجملةِ المعلوماتِ[1] ، وقدرتَهُ مُتعلِّقةٌ بجميعِ المقدوراتِ ، وكلُّ هـٰذهِ الصفاتِ صفاتٌ أزليَّةٌ قائمةٌ بذاتِهِ لا تُزالُ عنهُ إلىٰ غيرِهِ ، ولا تَحُلُّ بشيءٍ مِنْ مخلوقاتِهِ ، وأنَّ كلامَهُ الأزليَّ متصفٌ بالأمرِ والنهيِ والخبرِ ؛ إذ قد ثبتَ أنَّهُ مُتكلِّمٌ ، ولا يُعقَلُ كلامٌ خارجٌ عن هـٰذهِ الصفاتِ .

[الدليلُ علىٰ أنَّ الكلامَ الواحدَ يُتصوَّرُ أنْ يكونَ أمراً ونهياً وغيرَهُما]

فإنْ قيلَ : كيفَ يُتصوَّرُ أنْ يكونَ الكلامُ الواحدُ الذي هوَ صفةٌ واحدةٌ أمراً نهياً خبراً استخباراً تحضيضاً ، فنحنُ لا نعقلُ ما ذكرتُموهُ ؟ فإنَّ الشيءَ الواحدَ لا يكونُ مجتمعاً معَ ضدٍّ واحدٍ ، فكيفَ معَ أضدادٍ ؟ فهـٰذا الذي ذهبتُم إليهِ خلافُ المعقولِ أيضاً .

فالجوابُ عن نفيِ الإمكانِ : أنَّ الرجلَ إذا قالَ لأحدِ عبيدِهِ : إذا قلتُ لكَ : (اضربْ) .. فاعلمْ أنِّي آمرُكَ بضربِ زيدٍ ، وقالَ لعبدٍ آخرَ : إذا سمعتَ قولي : (اضربْ) .. فاعلمْ أنِّي نهيتُكَ عن قيامِكَ ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ

---

(1) أي : بجميعها .

منِّي : (اضربْ) . . فإنِّي أخبرتُكَ عن موتِ خالدٍ ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ : (اضربْ) . . فاعلمْ أنِّي أطلبُ منك أنْ تخبرَني عنِ الحالةِ الفلانيةِ ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ منِّي : (اضربْ) . . فإنِّي أنكرُ عليكَ الحالةَ التي أنتَ مُتلبِّسٌ بها ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ منِّي : (اضربْ) . . فإنِّي أحضُّكَ على الحالةِ الفلانيةِ ، فقالَ بمَحضَرٍ مِنْ هـٰؤلاءِ العبيدِ كلِّهِم : (اضربْ) ، ففهمَ هـٰذا منهُ الأمرَ ، وهـٰذا منهُ النهيَ ، وهـٰذا منهُ الخبرَ ، وهـٰذا منهُ الاستخبارَ ، وهـٰذا الإنكارَ ، وذلكَ التحضيضَ ، وذلكَ التوبيخَ[1] ، ولم يسمعْ أحدٌ منهُم غيرَ (اضربْ) .

فقد صَلَحَ أنْ يكونَ الكلامُ الواحدُ دالاًّ على الأمرِ والنهيِ والخبرِ والاستخبارِ وعلى الضدِّ والأضدادِ ، فانتفتِ الاستحالةُ .

[قد يُفهَمُ مِنَ الأمرِ الواحدِ أمورٌ مُتعدِّدةٌ مِنْ غيرِ تقدُّمِ مواضعةٍ]

فإنْ قيلَ : إنَّما فهمَ أولـٰئكَ هـٰذهِ الحالاتِ مِنْ هـٰذا اللفظِ الواحدِ بسابقِ المواضعةِ وتقدُّمِ الاصطلاحِ معَهُ على هـٰذا .

قلنا : في الممكنِ أنَّ الشخصَ الواحدَ يخلقُ اللهُ لهُ قدرةً على أنْ يفهمَ ما في نفسِ الإنسانِ فيعملَ بهِ مِنْ غيرِ تقدُّمِ مواضعةٍ حتى يأتيَ على وَفقِ كلامِهِ النفسانيِّ ، يُؤيِّدُ ذلكَ : (زوَّرتُ في نفسي كلاماً فسبقَني إليهِ أبو بكرٍ)[2] ، وها نحنُ نرى في الشاهدِ بعضَ الغلمانِ يفهمونَ أوامرَ ساداتِهِم مِنْ غيرِ تقدُّمِ مواضعةٍ ولا سابقِ اصطلاحٍ .

إذا ثبتَ هـٰذا فقد أمكنَ فهمُ المدلولِ مِنْ غيرِ مواضعةٍ ، وإذا فُهِمَ المدلولُ

---

(١) كذا في (أ، ب) ، ولم يذكر التوبيخ قبلُ .
(٢) سبق تخريجه في (١/ ٢٢٤) .

مِنْ غيرِ مواضعةٍ فقد صحَّ أنَّ الكلامَ يجوزُ أنْ يكونَ أمراً نهياً خبراً استخباراً ، وهوَ شيءٌ واحدٌ لا يتغيرُ بتغيُّرِ مدلولاتِهِ .

[كلامُ اللهِ يُسمَعُ مِنْ غيرِ واسطةِ الحرفِ والصوتِ]

ويُتصوَّرُ لنا سماعُ كلامِ اللهِ مِنْ غيرِ حرفٍ ولا صوتٍ ، بل بمعنىٰ إدراكٍ يهبُهُ اللهُ لمَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ زائدٍ على العلمِ يحصلُ عندَهُ علمٌ ضروريٌّ بوجودِ السماعِ ، ولا يُستبعَدُ ذلكَ ؛ لأنَّا نصِفُ اللهَ تعالىٰ بالسميعِ والبصيرِ كما وصفَ بهِ نفسَهُ ، ونقولُ : إنَّ السمعَ والبصرَ صفتانِ زائدتانِ على العلمِ ، واللهُ تعالىٰ متصفٌ بهما مِنْ غيرِ واسطةِ جارحةِ السماعِ ولا أداةِ البصرِ ، فكما عقلْنا وجودَ سماعٍ ولا جارحةَ كذلكَ نعقلُ وجودَ إسماعِ كلامٍ ولا حرفَ ولا صوتَ ، ونعقلُ سماعَ كلامٍ [ولا حرفَ] ولا صوتَ .

[رؤيةُ اللهِ عندَ أهلِ السنَّةِ مِنْ غيرِ تقليبِ حدقةٍ ولا انبثاثِ أشعَّةٍ]

وكذلكَ قالَ أهلُ السنَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم في رؤيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ التي أجمعوا عليها أنَّها واقعةٌ مِنْ غيرِ انطباعِ الأشعَّةِ المنبثةِ مِنَ الناظرِ إلى المنظورِ ؛ فإنَّ ذلكَ لا يكونُ إلا بواسطةِ الأجسامِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ، وكذلكَ رؤيةُ اللهِ لنا ليسَتْ بواسطةِ تقليبِ حدقةٍ ولا انبعاثِ أشعَّةٍ .

وإذا عقلْنا أنَّ الكلامَ يُسمَعُ مِنْ غيرِ واسطةِ الأصواتِ وقد دلَّ الدليلُ العقليُّ على استحالةِ الأصواتِ والحروفِ علىٰ كلامِ اللهِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ؛ لأنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ صفةٌ قديمةٌ أزليَّةٌ قائمةٌ بذاتِهِ ، والحروفَ يسبقُ بعضُها بعضاً ويتأخَّرُ بعضُها عن بعضٍ ، والمسبوقَ بغيرِهِ حادثٌ . . فالحروفُ على الصفةِ الأزليَّةِ محالٌ ، وما أفضىٰ إلى المحالِ فهوَ محالٌ .

قاعدة

[في أنَّ القراءةَ غيرُ المقروءِ والتلاوةَ غيرُ المتلوِّ عندَ أهلِ السنَّةِ]

مذهبُ أهلِ السنَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم : أنَّ القراءةَ غيرُ المقروءِ ، والتلاوةَ غيرُ المتلوِّ ؛ فالقراءةُ حادثةٌ والقرآنُ كلامُ اللهِ قديمٌ ، كما أنَّا إذا ذكرْنا لفظةَ (اللهِ) كانَ الذكرُ حادثاً والمذكورُ قديماً .

[أوجهُ الفرقِ بينَ القراءةِ والمقروءِ]

فالفرقُ بينَ القراءةِ والمقروءِ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ القراءةَ لها أولٌ وآخرٌ ، والمقروءَ لا أوَّلَ لهُ .

الثاني : قالَ أبو منصورٍ الأيوبيُّ[1] : (الفرقُ بينَ القراءةِ والمقروءِ : أنَّ القراءةَ تارةً تكونُ طاعةً مِنْ مطيعٍ يُثابُ عليها ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ ليسَ بطاعةٍ ، وكذلكَ إذا صدرَتْ عن حائضٍ أو جنبٍ ؛ فإنَّها معصيةٌ ، وكلامُ اللهِ ليسَ بمعصيةٍ)[2] .

الثالثُ : أنَّ القراءةَ قد تكونُ لحناً وخطأً ، وكلامُ اللهِ ليسَ بلحنٍ ولا خطأٍ .

الرابعُ : أنَّ القراءةَ تحدثُ بعدَ السكوتِ وتنقضي وتنعدمُ ، وكلامُ اللهِ

---

(١) هو محمد بن الحسن بن أبي أيوب ، وقد سبقت ترجمته في (١/ ٤١٤) ، وهـٰذا الإمام هو الذي حثَّ الإمام البيهقي علىٰ تصنيف كتاب « الأسماء والصفات » لنصرة السنة وقمع المبتدعة ، كما صرَّح البيهقي نفسُه بذلك في « الأسماء والصفات » (ص٢٧٦) .

(٢) ذكر مثلَ هـٰذا الفرق الإمامُ الباقلاني في « الإنصاف » (ص٩٦) .

تعالىٰ لا يحدثُ ولا ينقطعُ ولا يُعدَمُ[1] ؛ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

أنَّىٰ يقترنُ الأزليُّ بالمُحدَثِ ، والأبديُّ بالمنقطعِ ؟! هيهاتَ !! قد بيَّنَ الصبحُ لذي عينينِ .

* * *

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب مع ما قبله : (ينعدم) .

فصل
في إثبات الكلام النفساني بمثال توضيحي

وممَّا يزيدُ لكَ مسألةَ الكلامِ وضوحاً ، ويجعلُ رمزَها تصريحاً : أنْ نضربَ مثالاً ونتكلَّمَ عليهِ ، فنقولَ :

إذا قالَ زيدٌ لعمرٍو : (بلِّغْ خالداً أمري لهُ بأنْ يدخلَ المسجدَ ، ونهيي لهُ عنِ الركوبِ ، وأنِّي أُبشِّرُهُ بقدومِ عبدِ اللهِ منْ سفرِهِ ، وأُحذِّرُهُ مِنْ بكرٍ ؛ فإنَّهُ يسعىٰ بهِ عندَ السلطانِ ، وبلِّغْهُ كلامي هـٰذا مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ) ، فأتىٰ عمرٌو وقالَ لخالدٍ جميعَ ذلكَ وقالَ : (هـٰذا كلامُ زيدٍ لم أَزِدْ عليهِ ولم أنقصْ منهُ أيَّ شيءٍ) المشارُ إليه بكلام زيد من هـٰذا كله[1] : لا يتهيأ أنْ يكونَ المشارُ إليهِ بكلامِ زيدٍ مِنْ هـٰذا كلِّهِ إلا الكلامَ النفسانيَّ حقيقةً ؛ وذلكَ لأنَّ معنى الكلامِ النفسانيِّ الذي لزيدٍ عُبِّرَ عنهُ بعباراتِهِ ، فارتسمَ في ذهنِ عمرٍو مثلُ معانيهِ ومقاصدِهِ ، فعبَّرَ عنهُ بكلامٍ لهُ ارتسمَ في ذهنِ خالدٍ المُبلَّغِ مثلُ ما في نفسِ عمرٍو المماثلِ لما في نفسِ زيدٍ .

فنقولُ : عباراتُ زيدٍ قدِ انقضتْ ومضتْ ، ولم يبقَ منها شيءٌ في الوجودِ أصلاً ، فلا نتصوَّرُ مِنْ خالدٍ سماعَ كلامِ زيدٍ الذي هوَ عبارتُهُ أصلاً ، وليسَ كلامُ عمرٍو كلامَ زيدٍ حقيقةً ؛ لأنَّ فعلَ عمرٍو لا يكونُ فعلَ زيدٍ ، وليسَ المحفوظُ عن زيدٍ الذي ارتسمَ في ذهنِ عمرٍو لا نفسَ حروفِهِ المنطوقِ بها ولا المعنى النفسانيَّ القائمَ بذاتِ زيدٍ ؛ لأنَّ الأعراضَ حالةَ قيامِها بمحلٍّ لا تقومُ بمحلٍّ آخرَ .

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، ويحتمل أنه مكرر مع ما بعده ، والله تعالى أعلم .

فتعيَّنَ : أنَّ المرتسمَ في ذهنِ عمرٍو الذي حفظَهُ مِنْ زيدٍ ليبلغَهُ لخالدٍ . . مثلُ ما في نفسِ زيدٍ ، فعبَّرَ عنهُ بعبارةٍ دلَّتْ تلكَ العبارةُ علىٰ مرتسمٍ في النفسِ ، ذلكَ المرتسمُ نشأَ عن سماعِ كلامٍ وعبارةٍ هيَ دليلٌ علىٰ كلامِ زيدٍ النفسانيِّ الذي هوَ مدلولٌ رابطٌ لهـٰذهِ الوسائطِ كلِّها .

فانظرْ هـٰذهِ الوسائطَ التي بينَ كلامِ زيدٍ وكلامِ عمرٍو ؛ حتىٰ يقولَ خالدٌ : (أتاني كلامُ زيدٍ يأمرُني وينهاني ويُبشِّرُني ويُحذِّرُني) ، وتدبَّرْهُ ؛ فإنَّهُ يُعينُكَ علىٰ فهمِكَ ما سبقَ مِنَ الكلامِ على الكلامِ .

وعلىٰ نسقِ هـٰذا المعنىٰ نقولُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِـٱلنِّيَّاتِ »[1] ، و(إنَّما الأعمالُ بالنياتِ) مِنْ كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، والمُتكلِّمُ بها أنتَ ، عبَّرتَ بعبارتِكَ عمَّا ارتسمَ في ذهنِكَ مِنْ معنىٰ عبارةٍ نقلَها لكَ غيرُكَ ، عبَّرَ بها عمَّا ارتسمَ في ذهنِهِ مِنْ معنىٰ عبارةٍ نقلَها لهُ غيرُهُ ، وكذلكَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ولِمَ لا يكونُ الأمرُ كذلكَ وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَضَّرَ ٱللهُ ٱمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ » ؟ ![2] .

موضعُ الاستشهادِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَأَدَّاهَا » ، فجعلَ المُؤدَّىٰ نفسَ المقالةِ وإنْ كانَتْ قد ذهبَتْ ، والمؤدَّىٰ دالٌّ علىٰ ما ارتسمَ في الذهنِ مِنْ مثلِ مدلولِها ؛ حثّاً علىٰ عدمِ التحريفِ والتغييرِ والزيادةِ والنقصِ ، وأنْ تكونَ العبارةُ مثلَ العبارةِ ، وذلكَ مبالغةٌ في المجازِ في أدائِها وتقويةٌ لهُ .

---

(١) سبق تخريجه في (١/١٠٨) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٢٩٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وبنحوه الترمذي (٢٦٥٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والدارمي (٢٣٤) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه .

إذا ثبتَ ذلكَ : فقد قرَّرْنا استحالةَ الحروفِ والأصواتِ على كلامِ اللهِ تعالىٰ .

بقيَ الكلامُ النفسانيُّ الذي أسمعَهُ مَنْ شاءَ ، وارتسمَتْ في أذهانِهِم معانٍ عبَّروا عنها بعباراتٍ مختلفةِ اللغاتِ ؛ سُمِّيَتْ كلامَ اللهِ تعالىٰ مِنْ بابِ المجازِ الغالبِ .

* * *

فصل

في ذكر كلام مؤيِّد لمسألة الكلام النفساني منقول عن إمام الحرمين

وممَّا يُؤيِّدُ مسألةَ الكلامِ أيضاً : ما قالَهُ إمامُ الحرمينِ رضيَ اللهُ عنهُ عقيبَ مسألةِ الكلامِ ؛ وهوَ أنْ قالَ : (وعَضَدَ المُحصِّلونَ ذلكَ بأمورٍ سمعيَّةٍ ؛ منها : أنَّ الذي اعتلَّ لسانُهُ ولم يتمكَّنْ مِنَ التعبيرِ عمَّا في ضميرِهِ . . يَنفُذُ طلاقُهُ وعتقُهُ وبيعُهُ وفسخُهُ وإيمانُهُ وكفرُهُ ، وإنَّما يُستبانُ ذلكَ بالإشاراتِ ، وقد قالَ بعضُ العلماءِ : إنَّهُ يصحُّ منهُ القذفُ ويلزمُهُ الحدُّ ويُلاعِنُ ، وخالفَ في ذلكَ بعضُ العلماءِ ، وكذلكَ اختلفَ العلماءُ في شهادتِهِ ؛ فصارَ صائرونَ إلىٰ تصحيحِ شهادتِهِ ، وامتنعَ مِنْ ذلكَ آخرونَ .

وغرضُنا يتمُّ بحكمٍ واحدٍ مِنْ هٰذهِ الأحكامِ ، فنفرضُ الكلامَ في الطلاقِ مثلاً ونقولُ : إنَّما يقعُ طلاقٌ بتقديرِ نطقٍ ؛ إذْ إرادةُ الطلاقِ لا تُوقِعُ الطلاقَ إجماعاً ما لم يُقدَّرْ بهِ نطقٌ ، وعلىٰ هٰذا الوجهِ يطَّردُ الدليلُ في بيعِهِ وعتاقِهِ .

فإنْ قالوا : لو كانَ ما في النفسِ كلاماً لوقعَ بهِ كلامُ الناطقِ ؛ حتىٰ يُقالُ : المُعبِّرُ القادرُ على التعبيرِ إذا جزمَ في نطقِ نفسِهِ طلاقاً . . يُحكَمُ بوقوعِهِ وإنْ لم يُعبِّرْ عنهُ ، وأنتم لا تقولونَ بهِ ، فدلَّ علىٰ أنَّ الذي في النفسِ ليسَ بكلامٍ .

فالجوابُ عنهُ مِنْ وجهينِ :

الأولُ : أنَّا نقولُ : إنَّ مِنَ العلماءِ مَنْ صارَ إلىٰ أنَّ القادرَ على النطقِ إذا جزمَ في نفسِهِ طلاقاً . . وقعَ ، وإنَّهُ صارَ إليهِ بعضُ أصحابِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وعلى القولِ بأنَّهُ لا يقعُ : فالجوابُ[1] : أنَّ الطلاقَ لا يقعُ بكلِّ نطقٍ

---

(١) وهٰذا هو الجواب الثاني .

وكلام ، وإنَّما يقعُ بما ظهرَ واشتَهرَ ، أو كانَ لهُ علاقةٌ مُرشِّحةٌ لمجازِ الطلاقِ ؛ لأنَّهُ لو قالَ : « اقعدي » ونوى الطلاقَ لا يقعُ عليهِ طلاقٌ ، بخلافِ ما لو قالَ : « أنتِ بائنٌ » و« حبلُكِ على غاربِكِ » لإشعارِهِ بمعنى الطلاقِ معَ النيةِ ، ولو قالَ لها : « أنتِ طالقٌ » وقعَ الطلاقُ وإنْ لم ينوِ ، فصارَ الكلامُ مختلفَ الأحكامِ ؛ لا لكونِهِ مُتردِّداً بينَ أنْ يكونَ كلاماً أو لا يكونَ ، بل لقوَّتِهِ في المعنى الذي سيقَ لأجلِهِ ، فلمَّا جازَ الفصلُ بينَ قولٍ وقولٍ جازَ الفصلُ في حقِّ المُعبِّرِ بينَ ما يُظهِرُ وما يُضمِرُهُ ؛ ولهـٰذا إذا عجزَ عنِ التعبيرِ وإظهارِ ما في النفسِ [بالحروفِ] والأصواتِ[1] . . اكتفىٰ في الدَّلالةِ عليها بالإشاراتِ ، ومعَ هـٰذا فقد قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : لو أشارَ الناطقُ إشارةَ الأخرسِ لوقعَ طلاقُهُ ، وكذلكَ لو قالَ لامرأتِهِ : « أنتِ طالقٌ هـٰكذا » وأشارَ بأصابعِهِ الثلاثِ ؛ وقعَ الثلاثُ[2] .

فقد صحَّ أنَّهُ لا يُشترَطُ التعبيرُ مِنْ كلِّ وجهٍ ، ولـٰكنْ يُشترَطُ إظهارُ ما في الضميرِ مِنَ الكلامِ النفسانيِّ إلى الخارجِ بما يدُلُّ عليهِ ؛ إمَّا بإشارةٍ أو بعبارةٍ تُقوِّي دلالتَهُما علىٰ ذلكَ) ، واللهُ أعلمُ[3] .

* * *

---

(1) في (أ ، ب) : (من الحروف) .
(2) انظر « الأم » (٥/ ٢٦٢) ، و« البيان » (١٠/ ١١٢) ، و« روضة الطالبين » (٨/ ١٧٥) .
(3) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٣٢) .

فصل

في الاستدلال على الكلام النفساني بغير ما سبق

وممَّا يُستدَلُّ بهِ علىٰ كلامِ النفسِ : أنَّ القائلَ إذا قالَ : (افعلْ) .. فقد صدرَتْ منهُ حروفٌ متواليةٌ ، ولم يُوجَدِ المُتأخِّرُ إلا بعدَ ذهابِ المُتقدِّمِ ، والحرفُ الواحدُ لا يكونُ كلاماً ، فلو كانَ الكلامُ هوَ الحروفَ .. لوجبَ وجودُها جميعاً ، أوِ الحكمُ بأنَّ الحرفَ الواحدَ كلامٌ ، وكلاهُما باطلٌ ، فوجبَ أنْ يكونَ الكلامُ حقيقةً هوَ كلامَ النفسِ لا [غيرُ] .

ولأنَّ في جوازِ إطلاقِ أنَّ (افعلْ) عبارةٌ عمَّا في الضميرِ : مِنَ الكلامِ النفسانيِّ ، وهوَ أيضاً لا يُوجَدُ المتأخرُ إلا بعدَ ذهابِ المُتقدِّمِ ، ومعَ هـٰذا أطلقتَ عليهِ لفظَ العبارةِ ومنعتَ عنهُ لفظَ الكلامِ .

والجوابُ : أنَّا نعني بقولِنا : (الحروفُ عبارةٌ عمَّا في النفسِ) : أنَّها أمارةٌ وعلامةٌ دالَّةٌ علىٰ ما في النفسِ ، والعدمُ يصلحُ أنْ يكونَ أمارةً وعلامةً دالَّةً علىٰ ما في النفسِ ، بخلافِ الحرفِ المعدومِ ؛ فإنَّهُ لا يُسمَّىٰ كلاماً[1] .

* * *

(١) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٣٢) .

فصل

في أنّ كلام الله صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ به لا تفارقه

اعلمْ : أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بِهِ لا تفارقُهُ ، غيرُ متغايرٍ ولا مختلفٍ ، لا يُقالُ : هيَ هوَ ولا هيَ غيرُهُ ، ولا يُقالُ : إنَّهُ يتكلَّمُ إذا شاءَ ويسكتُ إذا شاءَ ، ولا يُقالُ : يقدرُ أنْ يتكلَّمَ ؛ فإنَّ [القدرةَ] لا تتعلَّقُ إلا بما يصحُّ حدوثُهُ عقلاً ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ ليسَ بحادثٍ ولا يمكنُ أنْ يحدثَ ، فيستحيلُ أنْ تتعلَّقَ القدرةُ بهِ أوِ الإرادةُ .

وفي حكايةِ امتحانِ إبليسَ للعالِمِ الفاسقِ والجاهلِ العابدِ حينَ اختلفَ هوَ وجنودُهُ : أيُّهما أقوىٰ عليكُم ؟ فقالوا : العابدُ الجاهلُ ، فخالفَهُم في ذلكَ ، ثمَّ حُكِيَ عنهُ في حكايةٍ طويلةٍ : أنَّهُ قالَ للعابدِ : هل يَقدِرُ أنْ يخلقَ اللهُ مثلَهُ ؟ فقالَ : إنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وقالَ لهُ العالمُ الفاسقُ : اذهبْ يا لعينُ !! فأينَ القِدَمُ ؟! فهـٰذا استشهادٌ علىٰ أنَّ القدرةَ لا تتعلَّقُ إلا بما يمكنُ حدوثُهُ ، وكذلكَ الإرادةُ .

قلتُ : قالَ أبو منصورٍ الأيوبيُّ : اعلمْ : أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ يُسمَّىٰ توراةً إذا كانَ بالعبرانيةِ[1] ، وإنجيلاً إذا قُرِئَ بالسريانيةِ ، ويُسمَّىٰ قرآناً إذا قُرِئَ بالعربيةِ ، فالقراءةُ مخلوقةٌ وكلامُ اللهِ تعالىٰ ليسَ بمخلوقٍ ولا مُحدَثٍ ، وهـٰذا يجري مَجرىٰ أنَّ البارئَ تعالىٰ يُسمَّىٰ بالعربيةِ (الله) ، وبالفارسيةِ (إيزد) و(خداي) ، وبالتركيةِ (ينكري) ، فالأسامي مختلفةٌ والمُسمَّىٰ بها واحدٌ ،

---

(١) قوله : (كان) كذا في الأصل ، والأنسب مع ما بعده أن يقول : (قُرئ) .

ثمَّ التسمياتُ مختلفةٌ والمعنيُّ بها واحدٌ ؛ وهوَ اللهُ ، فكذلكَ القولُ فيما ذكرْناهُ .

[تلخيصُ جوابَيِ السائلِ الأولِ والثاني]

فقد ثبتَ بما تقرَّرَ في هـٰذا الكلامِ جميعِهِ مِنِ ابتداءِ الجوابِ إلى الآنَ أيُّها السائلُ : أنَّ ما بينَ الدَّفَّتينِ يُطلَقُ عليهِ كلامُ اللهِ حقيقةً علىٰ أحدِ القولينِ[1] ، ومجازاً علىٰ قولِ الجمهورِ ، وأنَّهُ دالٌّ على الكلامِ القديمِ القائمِ بالذاتِ ، وأنَّ المدادَ المكتوبَ والصوتَ الخارجَ مِنَ اللَّهَواتِ بأيِّ لغةٍ كانَ . . حادثٌ ، وأنَّ كلامَ اللهِ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، وأنَّ كلامَهُ صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاتِهِ ؛ ليسَتْ حرفاً ولا صوتاً ، وأنَّ صفتَهُ لا تَحُلُّ في شيءٍ مِنْ عبادِهِ ولا مِنْ مخلوقاتِهِ ؛ لا حالَ قراءةٍ ، ولا حالَ خشوعٍ ، ولا حالَ اصطلامٍ ولا وجدٍ ولا مشاهدةٍ[2] ، كما يزعمُ بعضُ جهلةِ الصوفيةِ .

فهـٰذا جوابُكَ أيُّها السائلُ عنِ السؤالِ الأولِ والثاني مشروحاً أوَّلاً ، ومُلخَّصاً في هـٰذهِ الأسطرِ الأربعةِ .

[خاتمةٌ : فيها نقولاتٌ عنِ السَّادةِ الصوفيةِ مُتعلِّقةٌ بمسألةِ الكلامِ]

ولنختمْ ذلكَ بكلامٍ نُقِلَ في هـٰذا البابِ عن جماعةٍ مِنْ ساداتِ الصوفيةِ :

قالَ الشبليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (جلَّ الواحدُ المعروفُ ، قبلَ الحدودِ وقبلَ الحروفِ)[3] .

---

(١) مع نفي ما يوهم من الظواهر . انظر ما سبق (٢/ ٣٦٠) .

(٢) الاصطلام في الأصل : الاستئصال والإبادة .

(٣) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ٦٠) ، وقال القشيري تعقيباً : (هـٰذا صريحٌ من الشبلي : أن القديم سبحانه لا حدَّ لذاته ، ولا حروف لكلامه) .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ لمَّا خلقَ الأحرفَ جعلَها سرّاً له ، فلمَّا خلقَ آدمَ بثَّ فيهِ ذلكَ السرَّ ، ولم يبُثَّ ذلكَ السرَّ في أحدٍ مِنْ ملائكتِهِ ، فجرتِ الأحرفُ علىٰ لسانِ آدمَ عليهِ السلامُ بفنونِ الجرْياتِ وفنونِ اللغاتِ ، فجعلَها اللهُ صوراً لها)[1] .

وقالَ الأستاذُ أبو القاسمِ : (صرَّحَ ابنُ عطاءٍ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ)[2] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (إنَّ الحروفَ لسانُ فعلٍ لا لسانُ ذاتٍ ؛ لأنَّها فعلٌ في مفعولٍ) ، فهـٰذا أيضاً تصريحٌ بخلقِ الحروفِ[3] .

[الجوابُ عن السؤالِ الثالثِ المُتعلِّقِ بمسألةِ الاستواءِ]

الثالثُ : الكلامُ علىٰ قولِهِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

وأمَّا سؤالُكَ عن قولِهِ تباركَ وتعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ . . فقد قدَّمتُ لكَ في بابِ الدليلِ على التأويلِ مِنْ جهةِ العقلِ ، وإقامةِ الدليلِ الدائرِ بينَ النفيِ والإثباتِ ، وإلزامِ ما ينشأُ مِنَ الحملِ على الظاهرِ ، ووجوبِ الرجوعِ إلى التأويلِ . . ما فيهِ غنيةٌ عنِ الإعادةِ هنا[4] ، **والكلامُ الآنَ علىٰ ما ذكرَهُ العلماءُ في تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ** .

اعلمْ أرشدَنا اللهُ وإيَّاكَ : أنَّ العلماءَ **انقسموا في تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ قسمينِ** ؛ **فمنهُم** مَنْ أوَّلَ التركيبَ ، **ومنهُم** مَنْ أوَّلَ الأفرادَ[5] ، **وهـٰؤلاءِ علىٰ قسمينِ** ؛ **منهُم** مَنْ أوَّلَ (استوىٰ) ، **ومنهُم** مَنْ أوَّلَ (العرشَ) .

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٩٥ـ٩٦) .
(٢) الرسالة القشيرية (ص٩٦) .
(٣) الرسالة القشيرية (ص٩٦) .
(٤) انظر (١/ ١٩٢) وما بعدها .
(٥) في هامش (أ) : (المفردات) دون إشارة إلىٰ تصحيح .

ونحنُ نسردُ التأويلاتِ المذكورةَ مِنْ غيرِ تعيينِ جنسِ المجازِ ؛ فإنَّ ذلكَ يظهرُ لمتأمِّلِهِ ، واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ .

الأولُ : ذكرَهُ الإمامُ عبدُ القاهرِ التميميُّ في كتابِ « تفسيرِ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ » فقالَ : (هوَ إخبارٌ عن فعلٍ فعلَهُ اللهُ في عرشِهِ سمَّاهُ استواءً ، ووصفَ نفسَهُ مِنْ ذلكَ الفعلِ بهـٰذا الوصفِ)[1] .

وهـٰذا وإنْ كانَ نائياً عنِ التأويلِ في باديْ الرأيِ لـٰكنَّهُ صرفٌ للفظِ عن ظاهرِهِ إلىٰ معنىً محتملٍ .

الثاني[2] : أنْ يكونَ الكلامُ في الآيةِ مُنقطِعاً ، ويكونَ الوقفُ علىٰ قولِهِ : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [طه : ٥] ، والابتداءُ بقولِهِ : ﴿ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [طه : ٥-٦] أي : تمَّ لهُ وكملَ[3] ، وقولُهُ : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ كما قالَ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٨] ، وقالَ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] .

الثالثُ : وافقَ خلقُهُ الإرادةَ ، وهـٰذا قولُ الفراءِ وغيرِهِ[4] .

الرابعُ : (استوىٰ على العرش) : على الخلقِ ، ذكرَهُ التميميُّ ، واستشهدَ بقولِ متمِّمِ بنِ نويرةَ : [من الطويل]

[عُرُوشٌ تَفَانَوْا بَعْدَ عِزٍّ وَأُمَّةٍ ... هَوَوْا بَعْدَمَا نَالُوا ٱلسَّلَامَةَ وَٱلْبَقَا][5]

---

(١) انظر هـٰذا القول في « أصول الدين » لعبد القاهر (ص١١٣) .

(٢) في هامش (أ) : (وإليه ذهب الجنيد والشبلي) .

(٣) انظر « الدر المصون » (٨/ ١٣) .

(٤) انظر « معاني القرآن » للفراء (ص٢٥) .

(٥) انظر « أصول الدين » (ص١١٣) ، و« تفسير القرطبي » (٩/ ٢٦٤) .

الخامسُ : أنْ يكونَ العرشُ هنا وأمثالُهُ بمعنى المُلْكِ ، **وهـٰذا كثيرٌ في شعرِ العربِ** ، قالَ زهيرٌ[1] : [من الطويل]

[تَدَارَكْتُمَا] ٱلأَحْلافَ قَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا . . . .

السادسُ : (استوىٰ على العرش) أي : استأثرَ بملكِهِ وانفردَ بهِ كافَّةً ، وقالَ أميةُ بنُ أبي الصلتِ : [من الكامل]

سُبْحَانَ مَنْ خَضَعَتْ لِعِزَّةِ عَرْشِهِ سَبْـعٌ وَسَبْـعٌ بَيْنَهَـا ٱلآيَـاتُ
قَمَرٌ وَشَمْسٌ وَٱلسَّحَابُ رَوَاكِدٌ وَٱلـرِّيـحُ وَٱلأَنْهَـارُ وَٱلظُّلُمَـاتُ

فليسَ المرادُ العرشَ نفسَهُ الذي هوَ جسمٌ ؛ لأنَّهُ ليسَ الخضوعُ لهُ ، وإنَّما الخضوعُ لعزَّةِ ملكِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ ، وكذلكَ السماواتُ في قولِهِ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٩] ؛ فإنَّهُ لم يهبْ لأحدٍ مِنَ المخلوقينَ ملكَها ، وإنَّما جعلَ الخلفاءَ في الأرضِ .

فإنْ قيلَ : تأويلُكُم هـٰذا بهـٰذينِ التأويلينِ يدلُّ علىٰ أنَّ العرشَ معنًى ، والحديثُ الصحيحُ يدلُّ علىٰ أنَّ العرشَ جسمٌ لا معنًى ، ألا ترىٰ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ فِي جَانِبِ ٱلْعَرْشِ إِلا كَسَبْعٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلاةٍ »[2] .

فالجوابُ : هـٰذا صحيحٌ ، لـٰكنْ مِنْ أينَ لكَ أنَّ ذلكَ هوَ المرادُ ها هنا ؟!

السابعُ : في قولِهِ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ : أنَّ أفعالَهُ وأحكامَهُ وما كتبَ في

---

(١) ديوان زهير (ص ٨٦) ، وعجز البيت : (وذبيانَ قد زلَّتْ بأقدامِها النعلُ) ، وفي (أ، ب) : (تذكرنا) بدل (تداركتما) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٦١) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وفيه : (كحلقة) بدل (كسبع) .

الكتابِ : (أنَّ رحمتَهُ سبقَتْ غضبَهُ) المُودَعِ . . فوقَ عرشِهِ ، فيكونُ صيغةُ التأويلِ مِنِ ﴿ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ تمَّ حكمُهُ ، ويدُلُّ على ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قصةِ سعدِ بنِ معاذٍ : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ ٱلْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ أَرْقِعَةٍ »[1] ؛ يعني : أنَّكَ وافقتَ ما هوَ مثبتٌ مِنَ الحكمِ في بني قريظةَ ، وقولُهُ : « مِنْ فَوْقِ سَبْعِ أَرْقِعَةٍ » عائدٌ على الحكمِ لا على الملكِ .

الثامنُ : ﴿ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ صنعُهُ وأمرُهُ واقتدارُهُ ، ذكرَهُ أبو إسحاقَ الإسفرايينيُّ .

التاسعُ : ﴿ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ بمعنى : استولى ، وهٰذا تأويلُ جماعةٍ منهُمُ المعتزلةُ ، واستُشهِدَ على ذلكَ بقولِهِ[2] : [من الرجز]

قَدِ ٱسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَى ٱلْعِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبقولِ الشاعرِ[3] : [من الطويل]

إِذَا مَا غَزَا قَوْماً أَبَاحَ حَرِيمَهُمْ ... وَأَضْحَىٰ عَلَىٰ مَا مُلِّكُوهُ قَدِ ٱسْتَوَىٰ

العاشرُ : ذكرَهُ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ ، وأشارَ إليهِ أبو إسحاقَ الإسفرايينيُّ ؛ فإنَّهُ صنَّفَ كتاباً مفرداً في هٰذهِ المسألةِ .

قالَ أبو نصرٍ : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ : أقبلَ على خلقِهِ وقصدَ إليهِ ، ثمَّ قالَ في آخرِ كلامِهِ : (فإنَّ كلَّ ما يُجوِّزُهُ العقلُ ، وورَدَ بهِ الخبرُ . . فالأصلُ

---

(1) أخرجه البخاري (٣٠٤٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه دون قوله : « مِنْ فوقِ سبعِ أرقعةٍ » ، وانظر « سيرة ابن هشام » (٢/ ٢٤٠) .

(2) البيت للبَعِيث المجاشعي كما في « الأزمنة والأمكنة » (ص٣٦) ، وبشر : هو ابن مروان أخو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .

(3) أورده ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » (ص٢٠) .

إجراؤُهُ على الظاهرِ ، إلا أنْ يقومَ دليلٌ على تأويلٍ ، فأمّا ما يُوهِمُ في حقِّ الربِّ انتقالاً أو زوالاً أو تخصيصاً بجهةٍ . . فيجبُ تأويلُهُ ؛ لاستحالةِ أنْ يتطرَّقَ إلىٰ حقِّهِ سبحانَهُ نقصٌ وآفةٌ ، أو يجوزَ عليهِ مسافةٌ) انتهىٰ كلامُ ابنِ القشيريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

قلتُ : يدُلُّ علىٰ تأويلِهِ الاستواءَ بالقصدِ : قولُ الشاعرِ : [من البسيط]

ثُـمَّ ٱسْتَـوَيْتُـمْ لَنَـا تَـرْمُـونَ أَنْكُبَنَـا   بَغْياً وَفِي ٱلْبَغْيِ إِنْ لَمْ تَنْتَهُوا ٱلثُّكُلُ

وقولُهُ سبحانَهُ : ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ مُؤوَّلٌ بالاتفاقِ ؛ فإنَّهُ لم يكنْ في تلكَ الحالةِ شمسٌ ولا فجرٌ يكونُ طلوعُهُما وغروبُ الشمسِ لليومِ بدايةً ونهايةً حتىٰ يُسمَّىٰ يوماً ، وتأويلُهُ واللهُ أعلمُ : في مقدارِ ستةِ أيامٍ ؛ إمَّا مِنْ أيامِ الآخرةِ في ستةِ آلافِ سنةٍ ، أو مقدارِ ستةِ أيامٍ مِنْ أيامِ الدنيا ، ذكرَ التأويلينِ ابنُ القشيريِّ وجماعةٌ مِنَ المفسرينَ .

الحادي عشرَ : استوىٰ علىٰ خلقِهِ ؛ كما تقولُ : (استوىٰ فلانٌ في صنعتِهِ) و(علىٰ صنعتِهِ) : إذا أتقنَها ، ويدُلُّ علىٰ ذلكَ : قولُهُ : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [القيامة : ٣٨] أي : أتقنَ ، وقولُهُ : ﴿ بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧] يعني : كاملَ الخلقِ .

الثاني عشرَ : ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ : بمعنىٰ سوَّىٰ ، و﴿ عَلَى ﴾ : صلةٌ ؛ وذلك كما تقولُ : ازدجرَ واصطبرَ ؛ بمعنىٰ : زجرَ وصبرَ ، واكتتمَ : بمعنىٰ كتمَ ، ذكرَ هـٰذينِ التأويلينِ أبو إسحاقَ الإسفراينيُّ .

الثالثَ عشرَ : ذكرَهُ الشيخُ الإمامُ محمدُ بنُ عمرَ القرطبيُّ[1] ؛ وهوَ أنَّ الاستواءَ بمعنى العلوِّ بالعظمةِ والعزَّةِ ، وأنَّ صفاتِهِ تعالىٰ أرفعُ مِنْ صفاتِ

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، وفي « الوافي بالوفيات » (٢/ ٨٧) وغيره : (أحمد) بدل (عمر) .

العرشِ علىٰ جلالةِ قدرِهِ ، وهوَ قولُ أبي جعفرٍ السمنانيِّ وأبي المنصورِ[1] .

قلتُ : شرحُ هـٰذا التأويلِ أنْ يُقالَ : خلقُ السماواتِ والأرضِ التي خلقُها أكبرُ مِنْ خلقِ الناسِ ، وعظمتُهُ تقتضي ذلكَ ، بلِ العرشُ الذي تقرَّرَتْ عظمتُهُ عندَكُم لا تُذكَرُ عظمتُهُ وعُلوُّهُ بالنسبةِ إلىٰ عظمةِ الباريءِ وعلوِّهِ وعزَّتِهِ ، ونظيرُ هـٰذا : ما ذُكِرَ مِنْ أحدِ التأويلاتِ في قولِهِ : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة : ١] ، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق : ١٦] : لا أقسمُ بهـٰذهِ المخلوقاتِ وإنْ كانَتْ عظيمةً عندَكُم ، بل أطرحُها وأقسمُ بربِّها ؛ فإنَّ عظمتَها ليسَتْ بشيءٍ بالنسبةِ إلىٰ عظمةِ ربِّها بها .

الرابعَ عشرَ : أنَّهُ سبحانَهُ قهرَ العرشَ علىٰ عظمتِهِ واتِّساعِ عرشِهِ[2] ، فتضمَّنَ القهرَ والغلبةَ لما دونَهُ، وهوَ قولُ أبي المعالي إمامِ الحرمينِ ومَنْ ذهبَ مذهبَهُ[3] .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّهُ أخبرَ عن قهرِهِ السماواتِ بقولِهِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت : ١١] ، فكذلكَ أخبرَ عن قهرِهِ للعرشِ أيضاً بقولِهِ : ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ .

الخامسَ عشرَ : ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ هو وغيرُهُ بالنسبةِ [إلى] العلوِّ والعظمةِ والقدرةِ ، وهـٰذا القولُ ذكرَهُ القرطبيُّ عن محمدِ بنِ مروانَ ، عنِ الكلبيِّ ، عن أبي صالحٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (ثمَّ استوىٰ عندَهُ الخلائقُ القريبُ منهُم والبعيدُ ، فصاروا عندَهُ سواءً)[4] ، وهـٰذا التأويلُ وإنْ كانَ جيِّداً فرواتُهُ مُضعَّفونَ[5] .

---

(١) انظر « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » (٢/ ١٢٣) .

(٢) في « الأسنىٰ » (٢/ ١٢٣) : (واتساع حرمه) .

(٣) انظر « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » (٢/ ١٢٣) .

(٤) انظر « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » (٢/ ١٢٩) .

(٥) انظر تفصيل ذلك في « الأسنىٰ » (٢/ ١٣٠) .

فقد ظهرَ لكُم أيَّدَكُمُ اللهُ هـٰذهِ التأويلاتُ ، فمهما رجحَ عندَكُم فاحملوا اللفظَ عليهِ ؛ فإنَّ الظاهرَ منفيٌّ بإجماعِ علماءِ السنَّةِ ، فللّٰهِ الحمدُ على اتِّباعِهِم .

وقالَ الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي جمرةَ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « بهجةَ النفوسِ وتحلِّيَها بمعرفةِ ما عليها وما لها » لمَّا ذكرَ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَمَّا قَضَى ٱللهُ تَعَالَى ٱلْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي »[1] : (وقد يكونُ هـٰذا الحديثُ تفسيراً لقولِهِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ أي : إنَّ ما شاءَهُ مِنْ أثرِ قدرتِهِ وحكمتِهِ وكتابِهِ هوَ الذي استقرَّ على العرشِ ، لا ذاتُهُ الجليلةُ ، ولو أرادَ ذلكَ لأكَّدَهُ بالمصدرِ ، كما في كلامِهِ جلَّ وتعالىٰ حيثُ قالَ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، فأكَّدَهُ بالمصدرِ ؛ لأنَّ العربَ تقولُ : « جاءَ زيدٌ » ، ويعنونَ : خبرَهُ أو كتابَهُ ، فإذا أرادوهُ بذاتِهِ قالوا : « جاءَ زيدٌ نفسُهُ » ، فأثبتوا بذلكَ الحقيقةَ حقّاً ، فذهبَ ما زعمُوهُ بنظرِهِمُ الفاسدِ ، والحمدُ للهِ)[2] .

قلتُ : ويزيدُ هـٰذا المعنىٰ وضوحاً : بأنْ نُظهرَ ما أومأَ إليهِ وسبقَ إلىٰ إدراكِهِ مِنَ المعنىٰ ؛ فنقولُ : يكونُ التقديرُ علىٰ هـٰذا : (كتابُ رحمةِ الرحمـٰنِ على العرشِ استوىٰ) ، وتكونُ (استوىٰ) علىٰ بابِها ، ويؤيدُ ذلكَ : ذكرُ صفةِ الرحمـٰنِ ، ولم يقلِ : اللهُ على العرشِ ، ولا ربُّكُم على العرشِ ، بل ذكرَ الوصفَ الذي يشيرُ إلى الرحمةِ ؛ فالمعنىٰ : أنَّهُ كتبَ الكتابَ واستقرَّ على العرشِ ، ولا يردُ علينا قولُهُ : « عِنْدَهُ » ؛ فإنَّ العنديةَ وردَتْ كثيراً مُتجوَّزاً بها ، واللهُ أعلمُ .

* * *

---

(١) أخرجه « البخاري » (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « بهجة النفوس » (١/ ٣٩) .

خاتمة
في ذكر جمل وردت عن العلماء والمشايخ تؤيد عقيدة أهل السُّنَّة

ولنختمِ البابَ بجملٍ وردَتْ عنِ العلماءِ والمشايخِ في الكتبِ تشهدُ بقواعدِ عقائدِهِم :

ذكرَ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (سمعتُ الإمامَ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : كنتُ أعتقدُ شيئاً مِنْ حديثِ الجهةِ ، فلمَّا قدمتُ بغدادَ زالَ عنِّي ذلكَ ، فكتبتُ إلى أصحابي بمكَّةَ : إنِّي قد أسلمتُ جديداً)[1] .

[وقالَ : (سمعتُ][2] الأستاذَ أبا بكرِ ابنَ فُوركَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : سمعتُ محمداً المحبوبَ خادمَ أبي عثمانَ المغربيِّ يقولُ : قالَ لي يوماً أبو عثمانَ : يا با محمد[3] ؛ لو قالَ لكَ أحدٌ : أينَ معبودُكَ ؟ أيشٍ تقولُ ؟ قالَ : قلتُ : أقولُ : حيثُ لم يَزَلْ ، قالَ : فإنْ قالَ لكَ : أينَ كانَ في الأزلِ ؟ أيشٍ تقولُ ؟ قالَ : قلتُ : أقولُ : حيثُ الآنَ ؛ يعني : أنَّهُ كما كانَ ولا مكانَ ، فهوَ الآنَ كما كانَ ، فارتضى منِّي ذلكَ ، ونزعَ قميصَهُ وأعطانيهِ)[4] .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٩٠) .
(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمتين .
(٣) في « الرسالة القشيرية » : (يا محمدُ) .
(٤) الرسالة القشيرية (ص٨٩ ـ ٩٠) .

وذكرَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السلميُّ قالَ : (سمعتُ محمدَ بنَ محمدِ بنِ غالبٍ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بنَ سعيدٍ الإسفنجانيَّ يقولُ[1] : قالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : أَلزمَ الكلَّ الحدثَ ؛ لأنَّ القدمَ لهُ ، فالذي بالجسمِ ظهورُهُ فالعرضُ يلزمُهُ ، والذي بالأداةِ اجتماعُهُ فقواها تمسكُهُ ، والذي يُؤلِّفُهُ وقتٌ يُفرِّقُهُ وقتٌ ، والذي يقيمُهُ غيرُهُ فالضرورةُ تمسُّهُ ، والذي يظفرُ الوَهْمُ بِهِ فالتصويرُ يرتقي إليهِ ، ومَنْ آواهُ محلٌّ أدركَهُ أينٌ ، ومَنْ كانَ لهُ جنسٌ طالبَهُ تكييفٌ[2] .

إنَّهُ سبحانَـهُ لا يظلُّهُ فوقٌ ، ولا يقطعُهُ تحتٌ ، ولا يقابلُهُ حدٌّ ، ولا يزاحمُهُ عندٌ ، ولا يأخذُهُ خلفٌ ، ولا يحدُّهُ أمامٌ ، ولم يُظهِرْهُ قبلٌ ، ولم يُفنِهِ بعدٌ ، ولم يجمعْهُ كلٌّ ، ولم يوجدْهُ كانَ ، ولم يفقدْهُ ليسَ .

وصفُهُ لا صفةَ لهُ ، وفعلُهُ لا علَّةَ لهُ ، وكونُهُ لا أمدَ لهُ .

مُنزَّهٌ عن أحوالِ خلقِهِ ، ليسَ لهُ مِنْ خلقِهِ مزاجٌ ، ولا في فعلِهِ علاجٌ ، باينَهُم بقدمِهِ كما باينوهُ [بحدوثِهِم] .

إنْ قلتَ : « متىٰ » فقد سبقَ الوقتَ كونُهُ ، وإنْ قلتَ : « هوَ » فالهاءُ والواوُ خلقُهُ ، وإنْ قلتَ : « أينَ » فقد تقدَّمَ المكانَ وجودُهُ .

فالحروفُ دلائلُ آياتِهِ ، ووجودُهُ حقيقةُ إثباتِهِ ، ومعرفتُهُ توحيدُهُ ، وتوحيدُهُ تمييزُهُ مِنْ خلقِهِ .

ما تُصوِّرَ في الأوهامِ فهوَ بخلافِهِ .

---

(١) في « الرسالة القشيرية » : (الإسفيجابي) بدل (الإسفنجاني) .

(٢) في « الرسالة القشيرية » : (مكيف) بدل (تكييف) .

كيفَ يَحُلُّ بهِ ما منهُ بدا ، أو يعودُ إليهِ ما هوَ أنشا ؟! لا تماثلُهُ العيونُ[1] ، ولا تقابلُهُ الظنونُ .

قربُهُ كرامتُهُ ، وبُعدُهُ إهانتُهُ ، عُلُوُّهُ مِنْ غيرِ توقُّلٍ[2] ، ومجيئُهُ مِنْ غيرِ تنقُّلٍ ، هوَ الأولُ والآخرُ ، والظاهرُ والباطنُ ، ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ)[3] .

[عودةٌ إلى السؤالِ السابقِ]

الكلامُ على السؤالِ :

وأمَّا سؤالُكَ عن إجراءِ ما وردَ في الكتابِ العزيزِ والسنَّةِ النبويةِ على ظاهرِهِ.. فقد قدَّمتُ لكَ أرشدَكَ اللهُ مِنَ الأدلَّةِ على التأويلِ ما فيهِ مقنعٌ وكفايةٌ[4] .

واعلمْ : أنَّ مِنَ العلماءِ مَنْ أوَّلَ ، ومنهُم مَنْ سكتَ عنِ التأويلِ أدباً ؛ لئلا يقولَ : المرادُ بهـٰذا الكلامِ كذا ويكونُ المرادُ بالكلامِ غيرَهُ .

وكلا الفريقينِ اتَّفقا على نفيِ ما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ قولاً واحداً ؛ فيقولانِ في اليدينِ مثلاً : نحنُ نقطعُ بأنَّهُ ليسَ المرادُ بِهما الجارحتينِ ؛ [بل] إمَّا يدُ النعمةِ ، أوِ الكرمِ ، أوِ القوةِ ، فيفترقانِ هنا ، فمَنْ سكتَ عنِ التأويلِ أدباً لا يُعيِّنُ شيئاً مِنْ هـٰذهِ التأويلاتِ ، بل ينفي ما يُوهِمُ قطعاً ، ومَنْ أوَّلَ ذكرَ

---

(١) في « الرسالة القشيرية » : (لا تماقله) بدل (لا تماثله) أي : لا تراه بالمقلة متحيزاً .

(٢) التوقُّلُ : الصعود ، أو الإسراع فيه .

(٣) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٨٦ـ ٨٨) .

(٤) وخصَّص في ذلك الباب الأول والثاني .

ما يسَّرَهُ اللهُ لهُ مِنَ التأويلِ عندَهُ ، وكلا جانبَيْ هَرْشىٰ طريقٌ لسالكٍ[1] ، وكلا الفريقينِ على الحقِّ .

هـٰذا كلُّهُ في تلكَ الأزمنةِ المُتقدِّمةِ ؛ حيثُ النفوسُ مطمئنةٌ بالإيمانِ ، والصدورُ سليمةٌ مِنْ شُبَهِ أهلِ الزيغِ والطغيانِ ، وحيثُ لم يكنْ عدمُ التأويلِ ذريعةً إلى الوقوعِ في الفجورِ ، ووصفِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ بما يستحيلُ عليهِ ، ودعاءِ الناسِ إليهِ ، وحملِهِم علىٰ آراءِ أهلِ الأهواءِ والبدعِ مِنَ القولِ بالحرفِ والصوتِ والتجسيمِ وإثباتِ الجهةِ ، فأمَّا إذا صارَ السكوتُ عنِ التأويلِ ذريعةً إلىٰ ذلكَ . . فليسَ إلا التأويلُ كما قالَ الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ للشيخِ شرفِ الدينِ الكركيِّ : (إنَّهُم يُظهِرونَ في الظاهرِ عدمَ التأويلِ ، وقلوبُهُم في الباطنِ منطويةٌ على اعتقادِ التحيُّزِ ، والحرفِ والصوتِ ، والجهةِ والجسميةِ)[2] .

ولهـٰذا إنَّهُم إذا وجدوا غفلةً مِنْ أهلِ السنَّةِ أظهروا مُعتقدَهُمُ الفاسدَ ، وإذا أظهروهُ فلا يُجيبُهُم في الغالبِ إلا جفاةُ الأكرادِ وحفاةُ الجمَّالينَ وفلاحو البلادِ ، وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْفِتْنَةُ مِنْ هَا هُنَا » وأشارَ إلى المشرقِ[3] ، وقالَ : « ٱلْغِلْظَةُ وَٱلْجَفَاءُ فِي ٱلْفَدَّادِينَ أَهْلِ ٱلْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلِعِ ٱلشَّمْسِ »[4] .

وحسبُكَ بمَنِ انتهى حالُهُم إلىٰ ما بلغَني مِنْ غيرِ واحدٍ : أنَّ بعضَ جفاةِ الشرقيَّةِ مِنْ أعمالِ مصرَ ممَّنْ يعتقدُ هـٰذا الاعتقادَ في وقتِ رياضةِ باطنِهِم ،

---

(١) هرشىٰ : موضع في طريق مكة ، وفي كلامه مثل مأخوذ من قول الشاعر : (من الطويل)

خـذا بطـنَ هَـرْشـىٰ أو قفـاهـا فـإنَّـهُ ... كـلا جـانبَـيْ هَـرْشـىٰ لهُـنَّ طـريـقُ

وهو مثل يضرب للأمر يسهل من وجهين . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ١٤٨) .

(٢) سبق هـٰذا القول ضمن قصة مطولة . انظر (١/ ٢٩٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٩٦) ، ومسلم (٢٩٠٥) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) سبق تخريجه في (١/ ٢٢٠ـ٢٢١) .

وظهورِ صفاءِ أحوالِهم ، ووجدِهم وخشوعِ قلبِهم. . يجتمعونَ في موضعٍ بظاهرِ بلدِهم ويقولُ مِنْ بينِهم قائلٌ بأنكرِ الأصواتِ : إنَّ في الجنةِ حماراً ذنبُهُ مِنْ زعفرانٍ ، ليتَني ذاكَ الحمارُ ، وحمارُ بنُ حمارٍ .

فمَنِ انتهتْ حالُهُم إلىٰ أنْ تمنَّوا أنْ يكونوا حميراً لا يعقلونَ ؛ بُعْداً عنِ التأويلِ ، وسدّاً لأبوابِ فهمِ التنزيلِ ، واختاروا صفةَ البهائمِ التي لا تعرفُ التوحيدَ ولا التمجيدَ ولا الإيمانَ بهِ ، ولا اعتقادَ شيءٍ مِنَ الأشياءِ ، وتمنَّوا زوالَ التكليفِ الذي هوَ سببٌ لتحصيلِ الآخرةِ ، ومقدمةٌ نتيجتُها الأجورُ الفاخرةُ ، وما أظنُّ ذلكَ واللهُ أعلمُ إلا حالَهُم يومَ القيامةِ حينَ يقولُ مَنْ يرىٰ إذا رأى البهائمَ وقد صارَتْ تراباً : يا ليتَني كنتُ تراباً . . سبقَتْ لهُم في الدنيا : لا تعجلْ أيُّها القائلُ ، سوفَ تظهرُ بِهِ ندامتُكَ في قابلٍ .

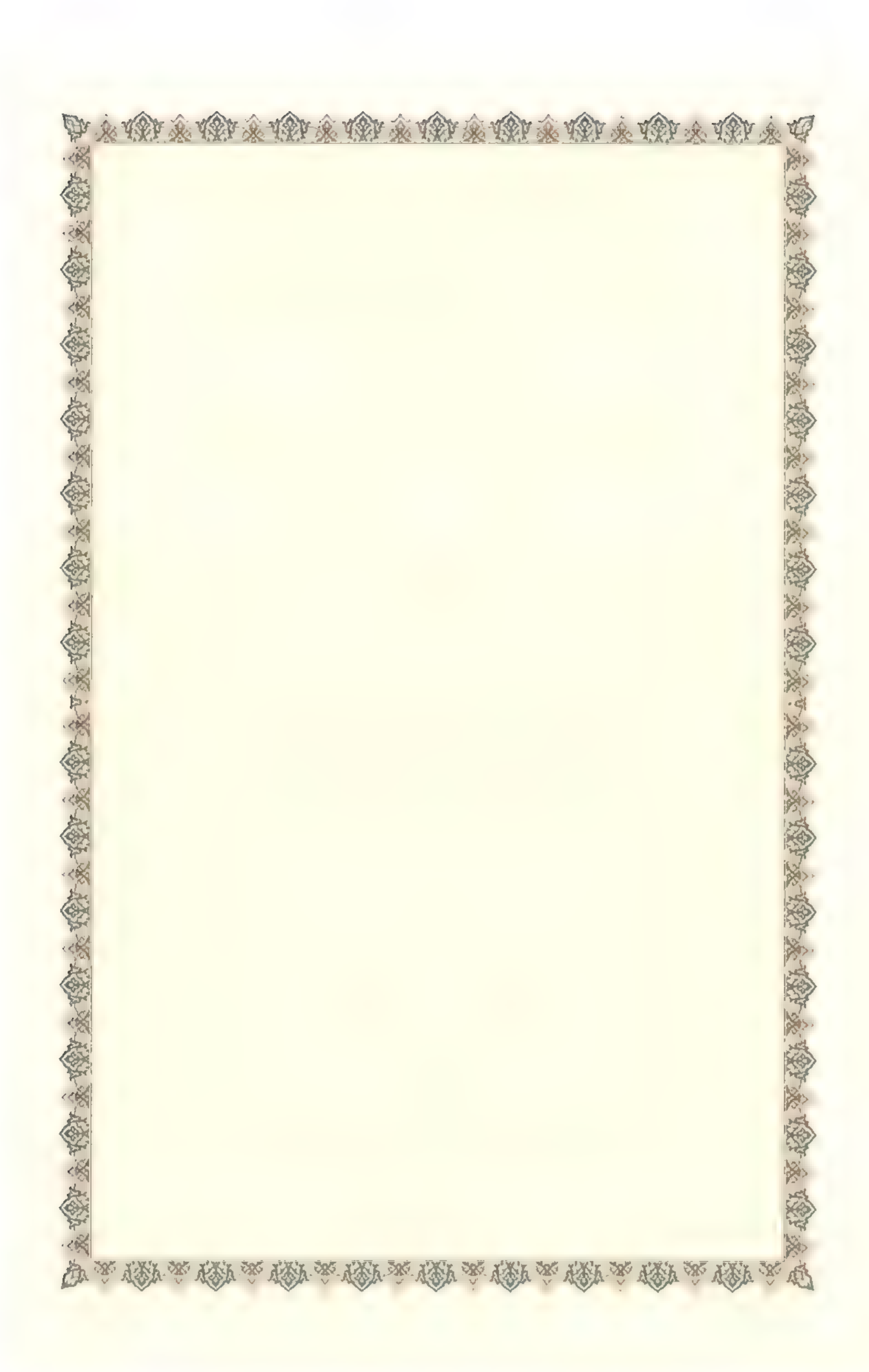
تَــرَفَّــقْ بِــدَمْعِــكَ لا تُفْنِــهِ   فَبَيْــنَ يَــدَيْـكَ بُكَـاءٌ طَـوِيـلُ[1]

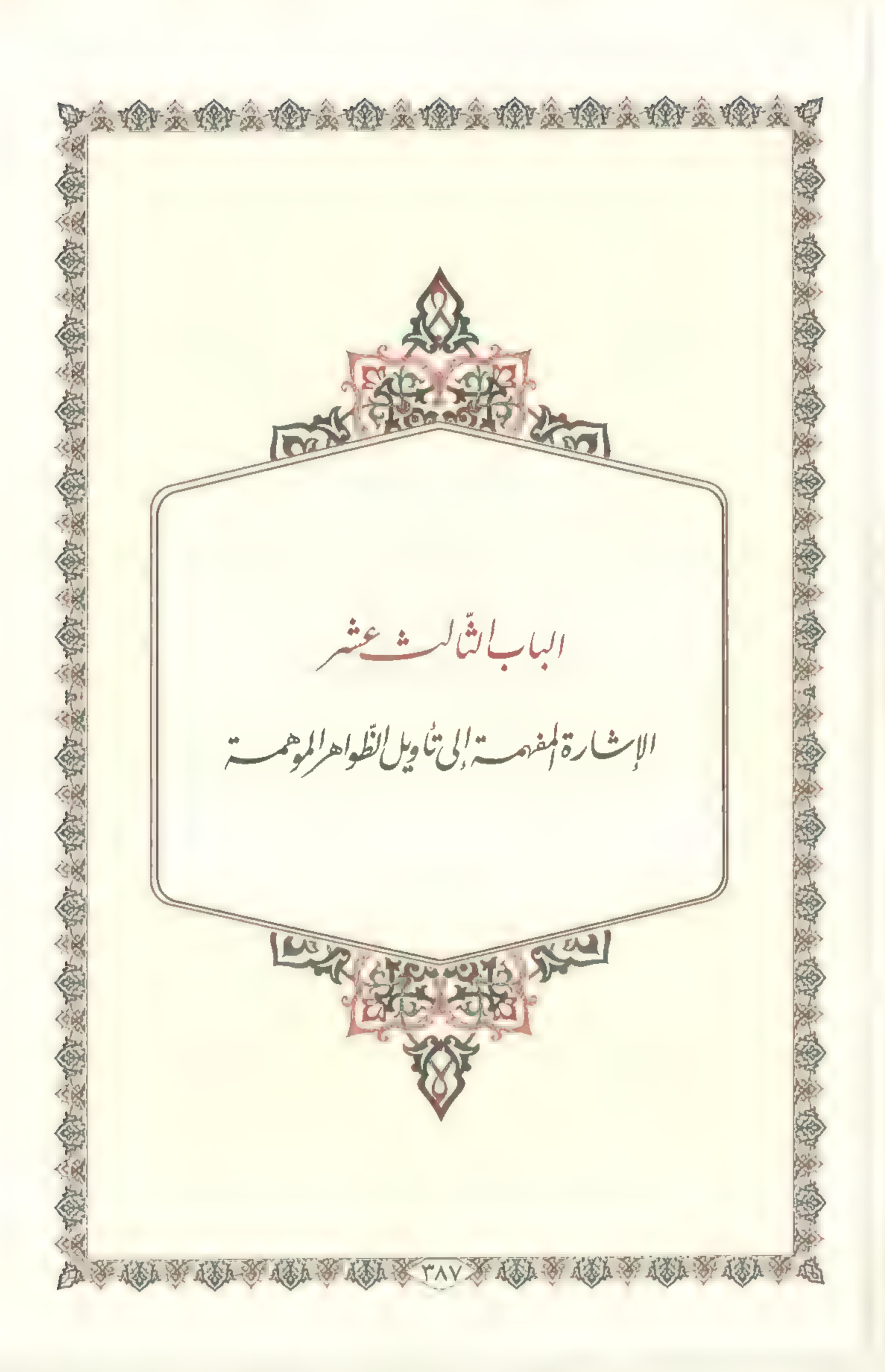
فالذي يتعيَّنُ علىٰ كلِّ مَنْ لهُ فهمٌ صحيحٌ : معرفةُ التأويلاتِ التي وردَتْ عنِ العلماءِ في المواضعِ التي تحتاجُ إلى التأويلِ مِنْ كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقد صنَّفَ العلماءُ في ذلكَ كتباً مفردةً ، ونقلوا أقاويلَ أوائلِ العلماءِ فيها ، ونقلَ جماعةٌ في ضمنِ التفاسيرِ أقاويلَ العلماءِ في التأويلاتِ ، فتتبَّعْ ذلكَ في مظانِّهِ أرشدَنا اللهُ وإيَّاكَ .

ولنذكُرْ مِنْ ذلكَ نبذةً يسيرةً مِنْ غيرِ استيعابٍ في بابٍ يلي هـٰذا البابَ ؛ ليكونَ طِرازاً للكتابِ ، وميزاناً يظهرُ بها رجحانُ الصوابِ .

* * *

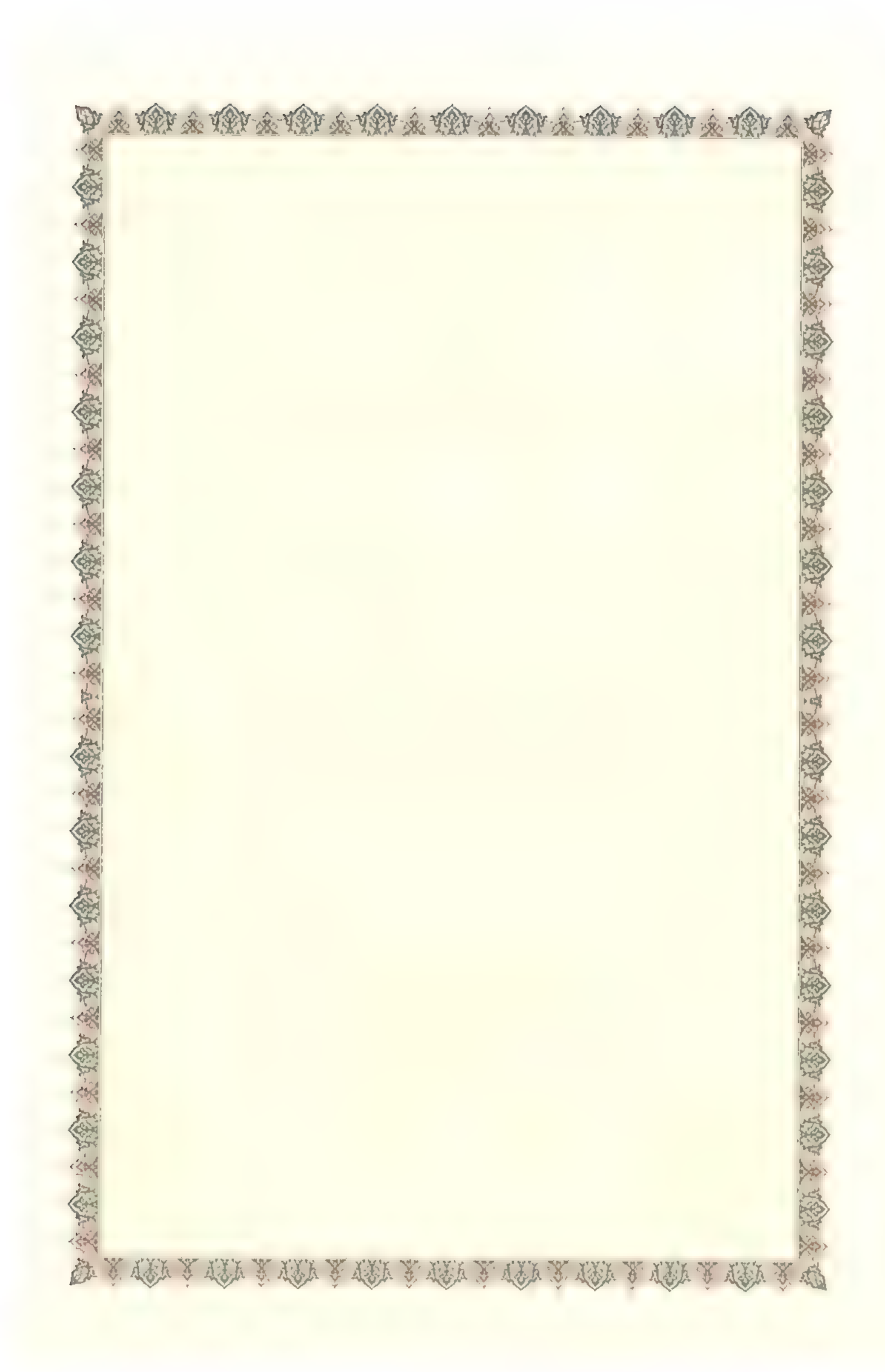
(1) أورده الصولي في « أشعار أولاد الخلفاء » (ص١٥) ، وعزاه لسليمان بن أبي جعفر ، وهو من المتقارب .





الباب الثالث عشر

الإشارة المفهمة إلى تأويل الظواهر الموهمة



بابُ
الإشارة المفهمة إلى تأويل الظواهر الموهمة

هـٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ تأويلاتِ ظواهرِ آيٍ في كتابِ اللهِ ، وأحاديثَ وردَتْ عن رسولِ اللهِ ليسَ في رجالِها علّةٌ ولا في متونِها ، يحتاجُ ظاهرُها إلىٰ تأويلٍ .

[ما الحكمةُ في التعبيرِ بالمتشابهِ الموهمِ ؟]

فإنْ قالَ سائلٌ : ما الحكمةُ في العدولِ عنِ الباطنِ السالمِ عنِ التأويلِ إلى الظاهرِ المُؤوَّلِ ؟ وهلا ذُكِرَ ذلكَ أوَّلاً .

فالجوابُ عنهُ[1] : أنَّ سيدَنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بُعِثَ مُعلِّماً مُبيِّناً ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل : ٤٤] ، وذلكَ على مقتضىٰ ما اطَّردَ في الحكمةِ الإلهيّةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

فرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مأمورٌ بالبيانِ ، ومُكلَّفٌ بإيصالِ المعارفِ إلى الأذهانِ ، وأنْ يُخاطِبَ كلَّ أحدٍ علىٰ مقدارِ ما يصلُ إلىٰ ذهنِهِ ، فليسَ خطابُهُ لأبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ وعائشةَ وأمثالِهم كخطابِهِ لمَنْ هوَ دونَ هـٰذهِ الطبقةِ ، وليسَ خطابُهُ لهـٰؤلاءِ كخطابِهِ لأهلِ البوادي ، وليسَ خطابُهُ لأهلِ

---

(١) وهـٰذا هو الوجه الأول ؛ وهو التقريب للأذهان ، ومخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم ، وستأتي أربعة وجوه أخرىٰ .

الباديةِ كخطابِهِ لجُفاةِ الأعرابِ ، فرُبَّ مَنْ لا يفهمُ إذا ذُكِرَتْ لهُ الحقيقةُ ، ولا يُدرِكُ ذلكَ إلا بضربٍ مِنَ المجازِ مِنَ الاستعارةِ أوِ التمثيلِ أو قياسِ شيءٍ على شيءٍ !!

ألا ترىٰ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [الطارق : ١] ، فسيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومَنْ آتاهُ اللهُ قدرةً على الفهمِ مِنْ أصحابِهِ . . يأخذُ مِنْ قرينةِ الكلامِ وملازمةِ السماءِ معَهُ أنَّ الطارقَ هنا المرادُ بهِ النجمُ ، لـٰكنْ أرادَ اللهُ تعالىٰ تفهيمَ مَنْ لم يعرفْ ذلكَ مِنْ أمَّتِهِ ؛ فقالَ : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ [الطارق : ٢] ، والخطابُ لهُ والمرادُ غيرُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [الطارق : ٣] ، ففهِمَ بالكلامِ الثاني مَنْ لم يفهمْ بالكلامِ الأولِ .

وهـٰذا كثيرٌ في القرآنِ وفي الحديثِ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ ، وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » ، فخشيَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ألا يظهرَ لمَنْ سمعَ معنىٰ وقوعِ العيبِ والنقصِ بتبعيَّةِ الآباءِ ؛ فقالَ مُمثِّلاً لهُم : « كَمَا تُنْتَجُ ٱلْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ـ أي : سليمةَ الخَلْقِ ـ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّىٰ تَكُونُوا أَنْـتُمْ تَجْدَعُونَهَا ؟! » ، ثمَّ قرأَ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠][1] ، ففهِمَ مَنْ لم يفهمْ قبلُ ، وتأكَّدَ المعنىٰ عندَ مَنْ فهِمَ .

وكذلكَ لمَّا سُئِلَ : أيأتي الخيرُ بالشرِّ ؟ فقالَ : « إِنَّ ٱلْخَيْرَ لا يَأْتِي إِلا بِـٱلْخَيْرِ ، وَإِنَّ مِنَ ٱلرَّبِيعِ مَا يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ . . . » الحديثَ[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ، ومسلم (٢٦٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيهما الآية مدرجة من قول سيدنا أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٢) ، ومسلم (١٠٥٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، **والربيع** : الجدول الذي يُستقىٰ منه ، **والحَبَط** : انتفاخ البطن من كثرة الأكل ، **ويُلِمُّ** : يقرب أن يقتل . انظر « إرشاد الساري » (٥/ ٦٥) .

فقولُهُ : « إِنَّ ٱلْخَيْرَ لا يَأْتِي إلا بِـٱلْخَيْرِ » ظاهرٌ لأولي العرفانِ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمُ الذينَ لا يحتاجونَ إلىٰ ضربِ مثالٍ ، ومثَّلَ لِمَنْ يحتاجُ إلى المثالِ في شدَّةِ الانهماكِ على الدنيا والتشوُّفِ إليها : بأنَّ الربيعَ يقتُلُ حَبَطاً ، ومثَّلَ المقتصدَ منها بآكِلَةِ الخَضِرِ . . . إلىٰ آخرِهِ ، فاستوى الجميعُ بالنسبةِ إلى الفهمِ .

فالذي وردَ مِنَ الظواهرِ المـُوهِمةِ . . مِنْ بابِ التقريبِ للأذهانِ ، وخطابِ الناسِ علىٰ قدرِ عقولِهِم ؛ محافظةً على البيانِ ، وحرصاً مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ فهمِ معاني القرآنِ ، كلُّ ذلكَ لطفٌ مِنَ اللهِ بعبادِهِ ، وتلطُّفٌ مِنْ رسولِهِ بالمؤمنينَ .

وكانَتِ المخاطبةُ بهـٰذهِ الظواهرِ للذينَ أُنزِلَ عليهِمُ الكتابُ ، وبلغتِهِم وقعَ الخطابُ ، وإليهِم صُرِفَ وجهُ التحدِّي برقيقِ كلامِهِ وجزلِهِ ، وعليهِم وقعَ التنديدُ بالعجزِ عنِ الإتيانِ بمثلِهِ ، فهمُ الفَهَمَةُ لهـٰذهِ اللطائفِ ، والمندوبونَ لذلكَ لا غيرُهُم مِنْ سائرِ الطوائفِ ، والمعنيُّونَ بقولِهِ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

فوردَ الكتابُ العزيزُ وجوامعُ الكَلِمِ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ مِنوالِ كلامِهِم ، ومِنْ جنسِ ما ينطقونَ بهِ في ألسنتِهِم ، وعلىٰ منهاجِ تفنينِهِمُ المعانيَ مِنَ المجازاتِ والاستعاراتِ ، وضروبِ الظواهرِ التي نحتاجُ نحنُ في فهمِها إلىٰ تأويلاتٍ ، وهم لا يحتاجونَ إلىٰ ذلكَ ؛ ليكونَ التحدِّي بمَأْتيٍّ بهِ مِنْ جنسِ كلامِهِم وعلىٰ طريقتِهِم ؛ لأنَّهُ لو كانَ علىٰ خلافِ ذلكَ لقالوا : عُذْرُنا أنَّ ذلكَ ليسَ علىٰ طريقةِ كلامِنا ، ولا علىٰ سَنَنِهِ ، ولا علىٰ ما نألفُهُ مِنَ التجوُّزاتِ في العجزِ عنهُ .

الوجهُ الثاني : ليرتقيَ المُتفهِّمُ لهُ رتبةً بعدَ رتبةٍ ، إلىٰ أنْ يحصلَ لهُ درجةُ الرسوخِ في العلمِ .

الثالثُ : لو كانَ كلُّ القرآنِ وكلامِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُشبِهُ واحداً عارياً عنِ التجوُّزِ بالظواهرِ . . لم يكنْ عالمٌ ولا مُتعلِّمٌ .

الرابعُ : لتقعَ المثوبةُ مِنَ اللهِ تعالىٰ علىٰ بذلِ المجهودِ في طلبِ التأويلِ .

الخامسُ : كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] ؛ ألا ترىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ لمَّا أنزلَ التوراةَ والإنجيلَ وفيها ظواهرُ ، فسدَّ أهلُ الكتابِ أبوابَ التأويلِ . . أُتِيَ عليهِم وكفروا ووقعوا في التثليثِ ، **كلُّ ذلكَ مِنْ حملِ الأبوَّةِ والبنوَّةِ علىٰ ظواهرِها** ، ولم يحملوها على الرحمةِ والبرِّ والمعاملةِ كمعاملةِ الأبِ الرحيمِ لولدِهِ ؛ ولذلكَ قالَ المسيحُ عليهِ السلامُ للماءِ : (هٰذا أبي) ، وللخبزِ : (هٰذا أمي) لأنَّ قوامَ الأبدانِ بهما ، وبقاءَ الروحِ مدارُهُ عليهما ، فهما كالأبوينِ اللذينِ منهُما النشأةُ ويحصلُ بهما النماءُ ؛ فقد رأيتَ ما ترتَّبَ علىٰ ظواهرِ التوراةِ والإنجيلِ ممَّا قدَّرَ اللهُ وقوعَهُ مِنْ ضلالِ هٰذهِ الطوائفِ ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود : ١١٨-١١٩] .

* * *

إذا ثبتَ ذلكَ فاعلمْ : أنَّ ظواهرَ القرآنِ والسنَّةِ تتبَّعَها جماعةٌ مِنَ العلماءِ وتفنَّنوا في التأويلاتِ ، وليسَ هـٰذا موضعَ استقصائِهِ لـٰكنْ نذكرُ علىٰ سبيلِ الإيماءِ والإشاراتِ .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ اليدِ واليدينِ والأيدي]

فمِنْ ذلكَ : ما وردَ في الكتابِ العزيزِ في معنى اليدِ واليدينِ والأيدي لا تفهمُ مِنْ كلِّ موطنٍ وردَتِ اليدُ فيهِ الجارحةَ ؛ ألا ترىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ في القرآنِ : ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت : ٤٢] ، وقالَ : ﴿ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة : ١٢] ، فقولُهُ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] إظهارٌ لصفةِ الكرمِ والنعمةِ والجودِ ، ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، والخيرُ كلُّهُ في يديكَ[١] ، واكتفىٰ بأحدِ القسمينِ عنِ الآخرِ ؛ كما قالَ : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] .

وينتظمُ في هـٰذا السلكِ : معنى الحديثِ النبويِّ : « يَمِينُ ٱللهِ مَلأَىٰ لا يَغِيضُهَا شَيْءٌ ، سَحَّاءُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ . . . » إلىٰ آخرِهِ[٢] ، وما يشبهُهُ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص : ٧٥] : في ذلكَ مزيدُ تشريفٍ علىٰ غيرِهِ ، وظهورُ زيادةِ تفضيلٍ علىٰ غيرِهِم وتكريمٍ ؛ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

---

(١) أشار به : إلىٰ حديث أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه بداية الكتاب (١/ ٥٣) .

ومثلُهُ مِنَ الحديثِ : « إِنَّ ٱللهَ يَأْخُذُ ٱلصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ »[1] ؛ كنايةً عنِ الاعتناءِ بجزاءِ الصدقةِ وتشريفِها منهُ ، وتلقِّيها بالقبولِ وحسنِ المكافأةِ عليها .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس : ٧١] اليدُ هنا بمعنىٰ : القدرةِ والإنشاءِ ؛ إذْ لا تسبُّبَ مِنَ الآدميينَ فيها .

فإنْ قيلَ : إذا أوَّلتُمُ اليدَ بالقدرةِ ، وقدرةُ اللهِ تعالىٰ معلومٌ واحدٌ . . فكيفَ جمعَ فقالَ : ﴿أَيْدِينَآ﴾ ؟

فالجوابُ عنهُ مِنْ وجهينِ :

الأولُ : أنَّهُ لمَّا كنَّىٰ عنِ القدرةِ بما يُثنَّىٰ ويُجمَعُ وهوَ اليدُ . . حسنَ أنْ يجمعَ باعتبارِ الكنايةِ لا باعتبارِ المكنيِّ ؛ كما ثنَّىٰ في كلامٍ وكلمةٍ وكلماتٍ ، ومذهبُ أهلِ السنَّةِ : أنَّهُ معلومٌ واحدٌ .

الثاني : أنَّ أنواعَ المِنَّةِ مُتعدِّدةٌ باعتبارِ تعدُّدِ المنافعِ مِنَ الملكِ والتذليلِ للركوبِ ، ثمَّ الأكلِ مِنْ لحومِها والشربِ مِنْ ألبانِها ، ومِنْ أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها أثاثاً ومتاعاً إلىٰ حينٍ ، فجمعَ باعتبارِ تعدُّدِ المقدورِ لا باعتبارِ تعدُّدِ القدرةِ .

وقيلَ : إنَّ اليدَ هنا صلةٌ ، والمعنىٰ : ممَّا عملناهُ ؛ كما قالَ : ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة : ٢٣٧] أي : الذي لهُ عقدةُ النكاحِ .

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٤/ ٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : (قلوصه) بدل (فصيله) ، والفَلُوّ ـ وفيه لغة بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو ـ : المُهر ، وسمي بذلك ؛ لأنه فُلِيَ عن أمه ؛ أي : فُصل وعُزل ، والفَصيل : ولد الناقة إذا فُصل من إرضاع أمه ، فعيل بمعنىٰ مفعول ، والقَلوص : الناقة الفتية . انظر « شرح النووي علىٰ مسلم » (٧/ ٩٩) .

ويتَّصلُ بذلكَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، المرادُ بذلكَ : كمالُ القدرةِ والقوةِ ؛ تقولُ : (فلانٌ في قبضتي) ، وأهلُ العرفِ مِنَ العربِ وغيرِهم يعتقدونَ أنَّ كمالَ القوةِ في اليمينِ ، وهوَ كما تقولُ : (كيفَ تنكرُ قدرتي وأنا الذي فعلتُ كذا وكذا ؟!) .

[ويحتملُ] أنْ يكونَ في قبضتِهِ[1] : في ملكِهِ ، وتخصيصُ ذلكَ بيومِ القيامةِ وإنْ كانَ كلُّ شيءٍ في ملكِهِ في يومِ القيامةِ وغيرِهِ ؛ لأنَّ في ذلكَ اليومِ تنقطعُ الدعاوىٰ ويعترفُ كلُّ جاحدٍ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[الانفطار: ١٩]، والأمرُ لهُ في ذلكَ اليومِ وغيرِهِ ، وإنَّما هناكَ تنقطعُ المشاركاتُ الوهبيةُ ؛ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦]، فلا مِلكَ ولا مُلكَ إلا للهِ ، ويتأكَّدُ في ذلكَ اليومِ ؛ لظهورِ عينِ اليقينِ وانقطاعِ الأوهامِ كما كانَتْ مُتعلِّقةً بهِ مِنَ الأسبابِ .

وقيلَ : اليمينُ هنا تأكيدٌ للملكِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٣] ؛ فإنَّهُ لم يُرِدْ هنا اليمينَ المقابلةَ للشمالِ ، وقد مضىٰ في الحديثِ : « وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ »[2] .

وقيلَ : ﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ؛ أي : ذاهباتٌ بقَسَمِهِ[3] ، وهوَ يفني الأجسامَ بعدَ إماتةِ الحيواناتِ ؛ كما قالَ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، يدُلُّ علىٰ أنَّ الطَّيَّ بمعنى الفَناءِ : أنَّ العربَ تقولُ : (هٰذا أمرٌ قد طُوِيَ) أي :

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمة .
(٢) انظر (٢/ ٣٣٢) .
(٣) لأنه أقسم أن يفنيها . انظر « تفسير الرازي » (٢٧/ ٤٧٥) .

ذهبَ واضمحلَّ ولم يبقَ لهُ ذكرٌ ؛ فقولُهُ : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] ؛ أي : يُفنيها بقدرتِهِ .

وعلىٰ مِنوالِ هٰذهِ التأويلاتِ فقسْ كلَّ ما وردَ عليكَ ممَّا صحَّ .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ السَّاقِ]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ . . . ﴾ الآيةَ [القلم : ٤٢] .

ويتَّصلُ بهِ حديثُ أبي سعيدٍ الخدريِّ : أنَّ ناساً في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ هل نرىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ . . . الحديثَ ، وفيهِ : « فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَلا يبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إلا أَذِنَ ٱللهُ لَهُ فِي ٱلسُّجُودِ ، وَلا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ ٱتِّقَاءً وَرِيَاءً إلا جَعَلَ ٱللهُ ظَهْرَهُ كَطَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ »[1] .

قالَ الجوهريُّ وغيرُهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ أي : عن شدَّةٍ ؛ كما يُقالُ : (قامتِ الحربُ علىٰ ساقٍ)[2] .

قالَ القرطبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (وقالَ ابنُ عباسٍ : هٰذا يومُ كربٍ وشدَّةٍ)[3] .

وقالَ أبو سليمانَ الخطابيُّ : وقالَ غيرُهُ مِنْ أهلِ التفسيرِ والتأويلِ في قولِهِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) .

(٢) الصحاح (٤/١٤٩٩) ، مادة : (س وق) .

(٣) انظر « تفسير القرطبي » (١٨/٢٤٩) ، وتأويل ابن عباس أخرجه الحاكم (٢/٤٩٩ـ٥٠٠) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥) .

تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي : عنِ الأمرِ الشديدِ ، وأنشدَ : [من الرجز]

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا ... وَجَدَّتِ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا[1]

وقالَ رؤبةُ[2] : [من مشطور الرجز]

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا

وَمِنْ طِرَادِي ٱلطَّيْرَ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا

وروىٰ عليُّ بنُ طلحةَ عنِ ابنِ عباسٍ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قالَ : (هوَ الأمرُ الشديدُ المفظعُ مِنْ هولِ يومِ القيامةِ)[3] .

وعن عمرِو بنِ دينارٍ عنِ ابنِ عباسٍ : أنَّهُ قرأَ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يريدُ : يومَ القيامةِ[4] .

قالَ الخطابيُّ : (فإنَّما جاءَ ذكرُ الكشفِ عنِ الساقِ علىٰ معنى الشِّدَّةِ .

ويحتملُ أنْ يكونَ معنى الحديثِ : أنْ يبرزَ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ وشدَّتِها ما يرتفعُ معَهُ سواترُ الامتحاناتِ ، فيُميَّزُ عندَ ذلكَ أهلُ اليقينِ والإخلاصِ ، فيُؤذَنُ لهُم في السجودِ ، فينكشفُ الغطاءُ عن أهلِ النفاقِ ، فتعودُ ظهورُهُم طبقاً لا يستطيعونَ السجودَ .

وقد تأوَّلَهُ بعضُهُم فقالَ : لا يُنكَرُ أنْ يكونَ اللهُ سبحانَهُ قد يكشفُ لهُم عن

---

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥) .

(٢) أوردها ابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٣/ ٢٢٣) ، وعزاها لرؤبة بن عيينة ، وانظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥) .

(٣) صحيفة علي بن طلحة (١٣٠٣) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٥٥٥) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥ـ٣٢٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٦) .

ساقٍ لبعضِ المخلوقينَ مِنْ ملائكتِهِ أو غيرِهِم ، فيجعلُ ذلكَ سبباً لبيانِ ما شاءَ مِنْ حكمتِهِ في أهلِ الإيمانِ والنفاقِ)[1] .

قالَ الخطابيُّ : (ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ بهِ : التجلِّيَ لهُم وكشفَ الحجبِ) بعدَ أنْ قدَّمَ أنَّ الساقَ قد يُرادُ بها الذاتُ نفسُها ، واستشهدَ بقولِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ راجعَهُ أصحابُهُ في قتالِ الخوارجِ ، فقالَ : واللهِ ؛ لأقاتلَنَّهُم ولو تَلِفَتْ ساقي ؛ يريدُ : نفسَهُ ، قالَ : (ولستُ أقطعُ بهِ)[2] .

قلتُ : ولا اعتبارَ بما رُوِيَ عن روحِ بنِ جناحٍ ، عن مولىً عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن أبي بردةَ ، عن أبي موسىً ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قولِهِ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قالَ : « عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً »[3] ، تفرَّدَ بهِ روحُ بنُ جناحٍ ، وهوَ شاميٌّ يأتي بأحاديثَ مُنكرةٍ لا يُتابَعُ عليها ، ومولىً عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فيهِم كثرةٌ ، ونحنُ لا نحتاجُ إلىٰ ذلكَ ، واللهُ أعلمُ[4] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الجَنْبِ والقدمِ والرجلِ]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] . . مضىٰ تأويلُهُ[5] .

أخبارُ القدمِ والرجلِ مضىٰ تأويلُها أيضاً[6] .

---

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٦ـ٣٢٧) .
(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٧) .
(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٣/٥٥٩) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٧) .
(٤) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٧) .
(٥) انظر (١/٢١٥) .
(٦) انظر (٢/٣٣٥) .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ العينِ]

قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود : ٣٧] ، وقولُهُ : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] ، وقولُهُ : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] ، وقولُهُ : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] ، قالَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ وغيرُهُ مِنَ العلماءِ : عرفْنا بقولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورىٰ : ١١] أنَّها ليسَتْ بحدقةٍ ، وأنَّ الوجهَ ليسَ بصورةٍ ، وأنَّها صفةُ ذاتٍ[١] .

قالَ البيهقيُّ : (ومِنْ أصحابِنا مَنْ حملَ العينَ المذكورةَ في الكتابِ : على الرؤيةِ ، [وقالَ : قولُهُ] : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ أي : بمرأىً منِّي ، وقولُهُ : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي : بمرأىً منَّا ، وهيَ صفةٌ واحدةٌ ، والجمعُ فيها على معنى التعظيمِ ؛ كقولِهِ : ﴿ مَا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ٢٧] .

ومنهُم مَنْ حملَها : على الحفظِ والكَلاءةِ ، وزعمَ أنَّها مِنْ صفاتِ الفعلِ ، والجمعُ فيها سائغٌ)[٢] .

قالَ ابنُ فُوركَ : (العينُ في كلامِ العربِ تُستعمَلُ علىٰ معانٍ كثيرةٍ :

منها : ما يُرادُ بهِ المشاهدةُ والرؤيةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الحفظُ والكلاءةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الجودةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الدَّلالةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الجارحةُ .

---

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٢٩٧) .

(٢) الأسماء والصفات (ص٢٩٧) ، وانظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٢٥٩ـ٢٦٠) .

وإذا كانَ لفظُ العينِ مشتركاً بينَ هٰذهِ المعاني المختلفةِ ، وكانَ وصفُ اللهِ تعالىٰ بالجارحةِ مستحيلاً . . وجبَ أنْ يكونَ محمولاً علىٰ بعضِ هٰذهِ المعاني)[1] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الوجهِ]

قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] . . قد مضىٰ تأويلُهُ[2] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ بَنَىٰ مَسْجِداً يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ ٱللهِ . . بَنَى ٱللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي ٱلْجَنَّةِ »[3] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ قِبَلَ وَجْهِهِ »[4] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حِجَابُهُ ٱلنُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا ٱنْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ »[5] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٦٥] : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ »[6] .

---

(١) مشكل الحديث وبيانه (ص٢٥٩ـ٢٦٠) .
(٢) انظر (١/٢١٧ـ٢١٨) .
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٠) ، ومسلم (٥٣٣) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .
(٤) أخرجه البخاري (٤٠٦) ، ومسلم (٥٤٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، ولعل هٰذا الحديث لا شاهد فيه على الوجه ، والله تعالىٰ أعلم .
(٥) أخرجه مسلم (١٧٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
(٦) أخرجه البخاري (٤٢٦٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

اعلمْ : أنَّ العلماءَ ذكروا : أنَّ الوجهَ الذي هوَ عضوٌ مِنَ الآدميِّ تقعُ بهِ المواجهةُ . . مستحيلٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فليُؤوَّلْ كلُّ موضعٍ بما يليقُ بهِ .

فقولُهُ : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ أي : الوجهُ الذي وجَّهَكُم إليهِ ، وقيلَ : الذي تصادفونَ باجتهادِكُم حكمَهُ فتتوجَّهونَ إليهِ ، وقيلَ : فثَمَّ رضا اللهِ وثوابُهُ .

وقولُهُ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ قالَ أبو المعالي : وأمَّا الوجهُ فالمرادُ بهِ : وجودُ الباريْ عندَ معظمِ أئمَّتِنا ، وهـٰذا الذي ارتضاهُ شيخُنا[1] ، ومِنَ الدليلِ على ذلكَ : قولُهُ تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ، والموصوفُ بالبقاءِ وجودُ الباريْ تعالى ، قالَ[2] : [من مخلع البسيط]

قَضَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ ٱلْمَنَايَا فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَانِ

وقيلَ : المرادُ بالوجهِ : القصدُ ، وأنشدوا[3] : [من البسيط]

أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ ٱلْعِبَادِ إِلَيْهِ ٱلْوَجْهُ وَٱلْعَمَلُ

وقولُهُ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ قالَ الخطابيُّ في قولِهِ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ : إنَّهُ صفةٌ للذاتِ .

وينتظمُ في ذلكَ : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ » ، و﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل : ٢٠] ، ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ ، وما وردَ مِنْ ذلكَ على رأيِ جماعةٍ مِنَ العلماءِ منهُم شيخُنا أبو محمدٍ المرجانيُّ قالَ : (العابدُ عابدانِ ؛ فعابدٌ عبدَ رجاءَ ثوابِ اللهِ وخشيةً مِنْ عقابِهِ ، وهوَ المرادُ بقولِهِ : « أَكْثَرُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ٱلْبُلْهُ »[4] ، وعابدٌ عبدَ اللهَ تعالى ؛ لأنَّ ذاتَ اللهِ مستحقةٌ العبادةَ ، وهـٰذهِ درجةٌ

---

(١) انظر « الإرشاد » (ص١٥٥ـ١٥٧) ، و« الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٩١ـ٤٩٢) .
(٢) البيت لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص٢٧٠) .
(٣) أورده ابن قتيبة في « أدب الكاتب » (ص٥٢٤) ، وابن فارس في « الصاحبي » (ص٢٩١) .
(٤) انظر « كشف الخفاء » (١/ ١٦٤) .

رفيعةٌ ، وقد ثبتَ أنَّهُ يمكنُ أنَّ المرادَ بالوجهِ الذاتُ) .

وقولُهُ : « فَإِنَّ ٱللَّهَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ » : فإنَّ رحمةَ اللهِ أو ثوابَ اللهِ قِبَلَ وجهِهِ ، فلا يحسنُ بالأدبِ أنْ يُهدِيَ الملكُ العظيمُ إليكَ هديةً فتقابلَها بأنْ تتفلَ في مقابلتِها ، بل يقبحُ ذلكَ ، ويُؤيِّدُ هـٰذا التأويلَ : ما رواهُ الترمذيُّ عن أبي ذرٍّ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَلَا يَمْسَحِ ٱلْحَصَىٰ ؛ فَإِنَّ ٱلرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ »[1] .

وقولُهُ : « سُبُحَاتُ وَجْهِهِ » قالَ البيهقيُّ : (سُبُحَاتُ وجهِهِ : مِنَ التسبيحِ ، والتسبيحُ تنزيهُ اللهِ مِنْ كلِّ [سوءٍ] ، فليسَ فيهِ إثباتُ [النورِ للوجهِ][2] ، وإنَّما فيهِ أنَّهُ لو كشفَ الحجابَ الذي على أعينِ الناسِ ولم يُثبِّتْهُم لرؤيتِهِ . . لاحترقوا .

وفيهِ عبارةٌ أخرىٰ ؛ وهيَ أنَّهُ لو كشفَ عنهُمُ الغطاءَ لأفنىٰ جلالُهُ وهيبتُهُ وقهرُهُ ما أدركَهُ بصرُهُ ـ يعني : كلَّ شيءٍ أوجدَهُ ـ مِنَ العرشِ إلى الثرىٰ ، ولا نهايةَ للبصرِ ، واللهُ أعلمُ)[3] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الصورةِ]

قولُهُ عليهِ السلامُ : « خَلَقَ ٱللهُ آدَمَ علىٰ صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً . . . » الحديثَ[4] ، قالَ الخطابيُّ : ([الهاءُ] وقعَتْ كنايةً بينَ اسمينِ ظاهرينِ ، فلم يصلحْ أنْ تُصرَفَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ لقيامِ الدليلِ على أنَّهُ سبحانَهُ ليسَ بذي صورةٍ ؛ إذْ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ ، فكانَ مرجعُها إلى آدمَ عليهِ السلامُ ، والمعنىٰ :

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٩) .

(٢) في (أ ، ب) : (شيء ، الوجه للنور) بدل (سوء ، النور للوجه) ، والمثبت من « الأسماء والصفات » .

(٣) الأسماء والصفات (ص٢٩٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

أنَّ ذريةَ آدمَ إنَّما خُلِقوا أطواراً ؛ كانوا في مبدأِ الخِلْقةِ نطفةً ، ثمَّ علقةً ، ثمَّ مضغةً ، ثمَّ صاروا أجِنَّةً إلىٰ أنْ تتمَّ مدةُ الحملِ ، ويُولَدونَ أطفالاً ، وينشؤونَ صغاراً إلىٰ أنْ يكبروا ، فيتمَّ طولُ أجسادِهِم ، يقولُ : إنَّ آدمَ عليهِ السلامُ لم يكنْ خلقُهُ علىٰ هـٰذهِ الصفةِ ، لـٰكنَّهُ أولَ ما تناولَتْهُ الخلقةُ وُجِدَ خلقاً تامّاً طولُهُ ستونَ ذراعاً)[١] ؛ أي : هـٰذهِ صفتُهُ عندَ خلقِهِ .

ويتَّصلُ بهِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ ٱلْوَجْهَ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ » قيلَ : المرادُ : علىٰ صورةِ هـٰذا الأخِ المقاتَلِ ، وذهبَ بعضُ أهلِ النظرِ : إلىٰ أنَّ الصورةَ للهِ تعالىٰ علىٰ معنى الملكِ ، ثمَّ وردَ التخصيصُ بإضافتِها إلى اللهِ عزَّ وجلَّ تشريفاً وتكريماً ، كما قالَ : (ناقةُ اللهِ) ، و(بيتُ اللهِ) ، و(مسجدُ اللهِ)[٢] .

وأسندَ ابنُ أبي شيبةَ إلى ابنِ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تُقَبِّحُوا ٱلْوَجْهَ ؛ فَإِنَّ ٱبْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَىٰ صُورَةِ ٱلرَّحْمَـٰنِ »[٣] .

قالَ البيهقيُّ : (ويحتملُ أنْ يكونَ لفظُ الخبرِ في الآخرِ : كما رويناهُ في حديثِ أبي هريرةَ ؛ يعني : « علىٰ صورتِهِ ») قالَ : (فأدَّاهُ بعضُ الرواةِ علىٰ ما وقعَ في قلبِهِ مِنْ معناهُ ، واللهُ أعلمُ)[٤] .

قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ روايةِ أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ : « فَيَأْتِيهِمُ ٱللهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ ٱلَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِٱللهِ

---

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٢٧٧) .

(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٢٧٨) ، و« مشكل الحديث وبيانه » (ص٥٨) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٢٧٨) ، والآجري في « الشريعة » (٧٢٥) .

(٤) الأسماء والصفات (ص٢٧٨) .

مِنْكَ ، هَـٰذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمْ فِي ٱلصُّورَةِ ـ وفي بعضِها : فِي صُورَتِهِ ـ ٱلَّتِي يَعْرِفُونَهُ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَـهُ . . . » الحديثَ[1] .

معناهُ : فيأتيهِمُ اللهُ بصورةٍ ، و(في) بمعنى الباءِ .

قالَ العلماءُ : هـٰذا مقامٌ هائلٌ ؛ لمَّا بقيَ في هـٰذهِ الأمةِ منافقوها أرادَ اللهُ تعالىٰ أنْ يُميِّزَ هـٰؤلاءِ عن هـٰؤلاءِ ، فأتاهُم بتلكَ الصورةِ ، فقالَتْ بإذنِهِ : (أنا ربُّكم) ، فأجابَ المؤمنونَ بإنكارِ ذلكَ والتعوُّذِ منهُ ؛ لما قد سبقَ لهُم مِنْ معرفةِ اللهِ تعالىٰ في الدنيا وأنَّهُ مُنزَّهٌ عن هـٰذهِ الصورةِ ؛ إذْ سماتُها سماتُ المحدثاتِ ؛ ولذلكَ قالَ في حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ : « فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِٱللهِ مِنْكَ لا نُشْرِكُ بِٱللهِ شَيْئاً » مرتينِ أو ثلاثاً ؛ حتىٰ إنَّ بعضَهُم ليَكادُ أنْ ينقلبَ[2] .

ولا يُستبعَدُ أنْ تأتيَ (في) بمعنى الباءِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] أي : بظُلَلٍ مِنَ الغمامِ .

وأمَّا الصورةُ الثانيةُ التي يعرفونَ عندَما يتجلَّىٰ لهُمُ الحقُّ سبحانَهُ . . فهيَ صفتُهُ التي لا يشاركُهُ فيها شيءٌ مِنَ الموجوداتِ ، وهوَ المُعبَّرُ عنهُ بقولِهِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، والصورةُ قد تُطلَقُ ويُرادُ بها الوصفُ ؛ تقولُ : (هـٰذهِ صورةُ الأمرِ كذا) أي : صفتُهُ[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ، ومسلم (١٨٢) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣) .

(٣) قوله : (هـٰذه) كذا في (أ ، ب) بإثباتها ، والأولىٰ حذفها كما في « مشكل الحديث وبيانه » (ص٧٠) .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ النفسِ]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، و﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما يروي عن ربِّهِ : « يَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . . . » الحديثَ[1] .

قالَ البيهقيُّ : (النفسُ في كلامِ العربِ علىٰ وجوهٍ ؛ منها : نفسٌ منفوسةٌ ، مُجسَّمةٌ مَرُوحةٌ ، ومنها : مُجسَّمةٌ غيرُ مروحةٍ ، تعالى اللهُ عن هـٰذينِ علوّاً كبيراً .

ومنها : نفسٌ بمعنىٰ إثباتِ الذاتِ ؛ كما تقولُ : « هـٰذا نفسُ الأمرِ » ، تريدُ إثباتَهُ ، لا أنَّ لهُ نفساً منفوسةً ، فعلىٰ هـٰذا المعنىٰ يُقالُ في حقِّ اللهِ تعالىٰ)[2] .

وقد قيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ أي : تعلمُ ما أُكِنُّهُ وأُسِرُّهُ ، ولا علمَ لي بما تُسِرُّهُ وتُغيِّبُهُ عنِّي ، وكذلكَ : « فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ » أي : بحيثُ لا يطَّلعُ عليهِ أحدٌ . . « ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي » يعني : جازيتُهُ حيثُ لا يعلمُ بهِ أحدٌ .

وقالَ المرجانيُّ في قولِهِ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ أي : ويُحذِّرُكُمُ اللهُ إيَّاهُ ، وقيلَ : ويُحذِّرُكُم عقابَهُ .

وللنفسِ محاملُ أخرُ لا يُحتاجُ إلىٰ ذكرِها هنا .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الأسماء والصفات (ص٢٧٤) .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الشخصِ]

قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حديثِ سعدٍ : « لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ ٱللهِ » .. قد مضىٰ تأويلُهُ[1] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الروحِ]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر : ٢٩] .

قالَتِ العلماءُ : (الروحُ الذي نُفِخَ في آدمَ عليهِ السلامُ كانَ خلقاً مِنْ خلقِ اللهِ جعلَ اللهُ تعالىٰ حياةَ الأجسامِ بهِ ، وإنَّما أضافَهُ إليهِ على طريقِ الخلقِ والملكِ)[2] .

وقولُهُ : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [النحل : ٢] ، و﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [غافر : ١٥] أي : الوحي ؛ لأنَّ الوحيَ حياةٌ مِنَ الجهلِ ، وسُمِّيَ المسيحُ روحاً ؛ لأنَّ اللهَ يهدي بهِ مَنِ اتبعَهُ .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الدنوِّ والتدلِّي]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٨ ـ ٩] .

وفي حديثِ الإسراءِ : ثمَّ هبطَ حتىٰ بلغَ موسىٰ فاحتبسَهُ موسىٰ ، فقالَ : يا محمدُ ؛ ماذا عهدَ إليكَ ربُّكَ ؟ قالَ : « عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً بِكُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ » ، وقالَ : إنَّ أُمَّتَكَ لا تستطيعُ ، فارجعْ فليُخفِّفْ عنكَ ربُّكَ وعنهُم ، فالتفتَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ جبريلَ كأنَّهُ يستشيرُهُ ، فأشارَ إليهِ جبريلُ : أنْ نعم ، قالَ : فعلا بهِ إلى الجبَّارِ تباركَ وتعالىٰ ، فقالَ وهوَ في

---

(١) انظر (٢/ ٣٣٧) .
(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٤١) .

مكانِهِ : « يَا رَبِّ ؛ خَفِّفْ »[1] ، وفي الحديثِ الصحيحِ ذكرُ المراجعةِ بينَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ موسىٰ بمشورةِ موسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ : فإنِّي قد بلوتُ بني إسرائيلَ وخبَرتُهُم[2] .

حكىٰ مكيٌّ والماورديُّ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (دنا مِنْ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتدلَّىٰ إليهِ أمرُهُ وحكمُهُ)[3] .

وأمَّا الحديثُ فهوَ حديثُ شريكِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي نمرٍ عن أنسٍ .

وقالَ الخطابيُّ : (وفي حديثِ شريكٍ لفظةٌ أخرىٰ تفرَّدَ بها شريكٌ لم يذكرْها غيرُهُ ؛ وهيَ قولُهُ : « فقالَ وهوَ في مكانِهِ »)[4] ، والمكانُ لا يُضافُ إلى اللهِ سبحانَـهُ ، إنَّما هوَ مكانُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومقامُهُ الأولُ الذي أُقيمَ فيهِ .

قالَ القاضي عياضٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (اعلمْ : أنَّ ما وقعَ مِنْ إضافةِ الدُّنُوِّ والقربِ مِنَ اللهِ أو إلى اللهِ تعالىٰ . . فليسَ بدنوِّ مكانٍ ولا قربِ مدىً ، وإنَّما دنوُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ربِّهِ [وقربُهُ] منهُ إبانةُ عظيمِ المنزلةِ ، وتشريفُ رتبتِهِ ، وإشراقُ أنوارِ معرفتِهِ ، ومشاهدةُ أسرارِ غيبِهِ وقدرتِهِ ، ومِنَ اللهِ تعالىٰ مَبَرَّةٌ وتأنيسٌ وبسطٌ وإكرامٌ ، ويُتأوَّلُ فيهِ ما يُتأوَّلُ في قولِهِ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلدُّنْيَا »[5] نزولَ إفضالٍ وإجمالٍ ، وقبولٍ وإحسانٍ)[6] .

قلتُ : ومرَّ بي في « مسندِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ » رضيَ اللهُ عنهُ حينَ سماعي لهُ

---

(1) أخرجه البخاري (٧٥١٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(2) أخرجه مسلم (١٦٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(3) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٧١٤٦) ، وانظر « النكت والعيون » (٥/ ٣٩٣) .

(4) انظر « الأسماء والصفات » (ص٤٠٧) .

(5) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(6) الشفاء (ص٢٥٦_٢٥٧) .

على ابنِ خطيبِ المِزَّةِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَنْزِلُ أَمْرُ رَبِّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا » ، لٰكنْ عسرَ عليَّ تتبعُهُ مِنْ مسنداتِ الصحابةِ ، فليُكشَفْ .

فنزولُهُ نزولُ لطفٍ وكرمٍ وإحسانٍ .

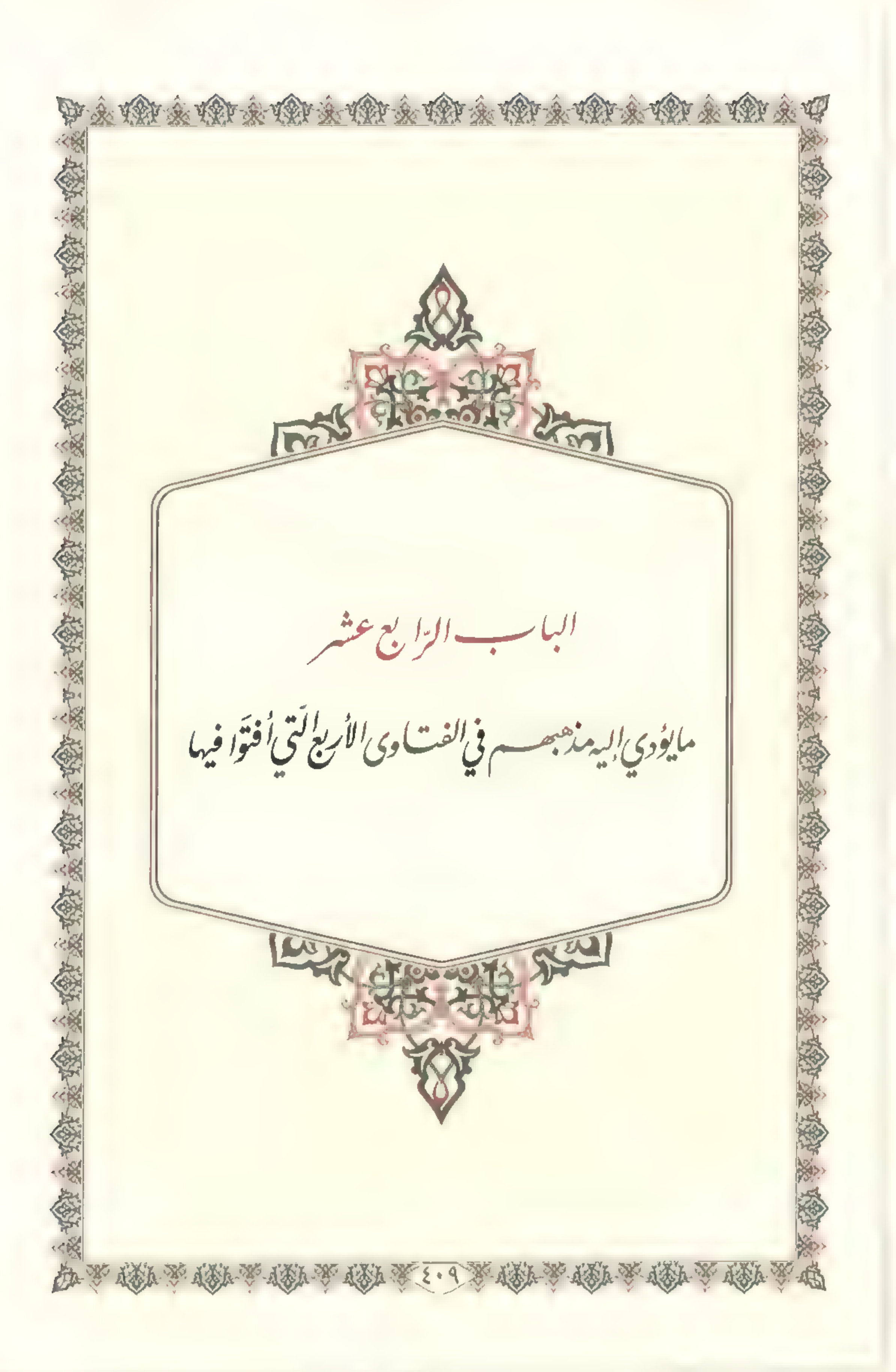
قالَ القاضي : (وقولُهُ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٩] فمَنْ جعلَ الضميرَ عائداً إلى اللهِ تعالىٰ لا إلىٰ جبريلَ . . كانَ عبارةً عن نهايةِ القربِ ، ولطفِ المحلِّ ، وإيضاحِ المعرفةِ ، والإشرافِ على الحقيقةِ مِنْ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعبارةً عن إجابةِ الرغبةِ ، وقضاءِ المطالبِ ، وإبانةِ المنزلةِ والرتبةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ويُتأوَّلُ فيهِ ما يُتأوَّلُ في قولِهِ عليهِ السلامُ مُخبِراً عنِ اللهِ : « مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[1] ، قربٌ بالإجابةِ والقبولِ ، وإتيانٌ بالإحسانِ وتعجيلِ المأمولِ)[2] .

فهٰذهِ تأويلاتُ الأحاديثِ الصحيحةِ قد ذكرتُ منها لمعةً ، ولم أستوعبْ أقوالَ العلماءِ في التأويلاتِ ، وفيما ذكرتُهُ مقنعٌ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

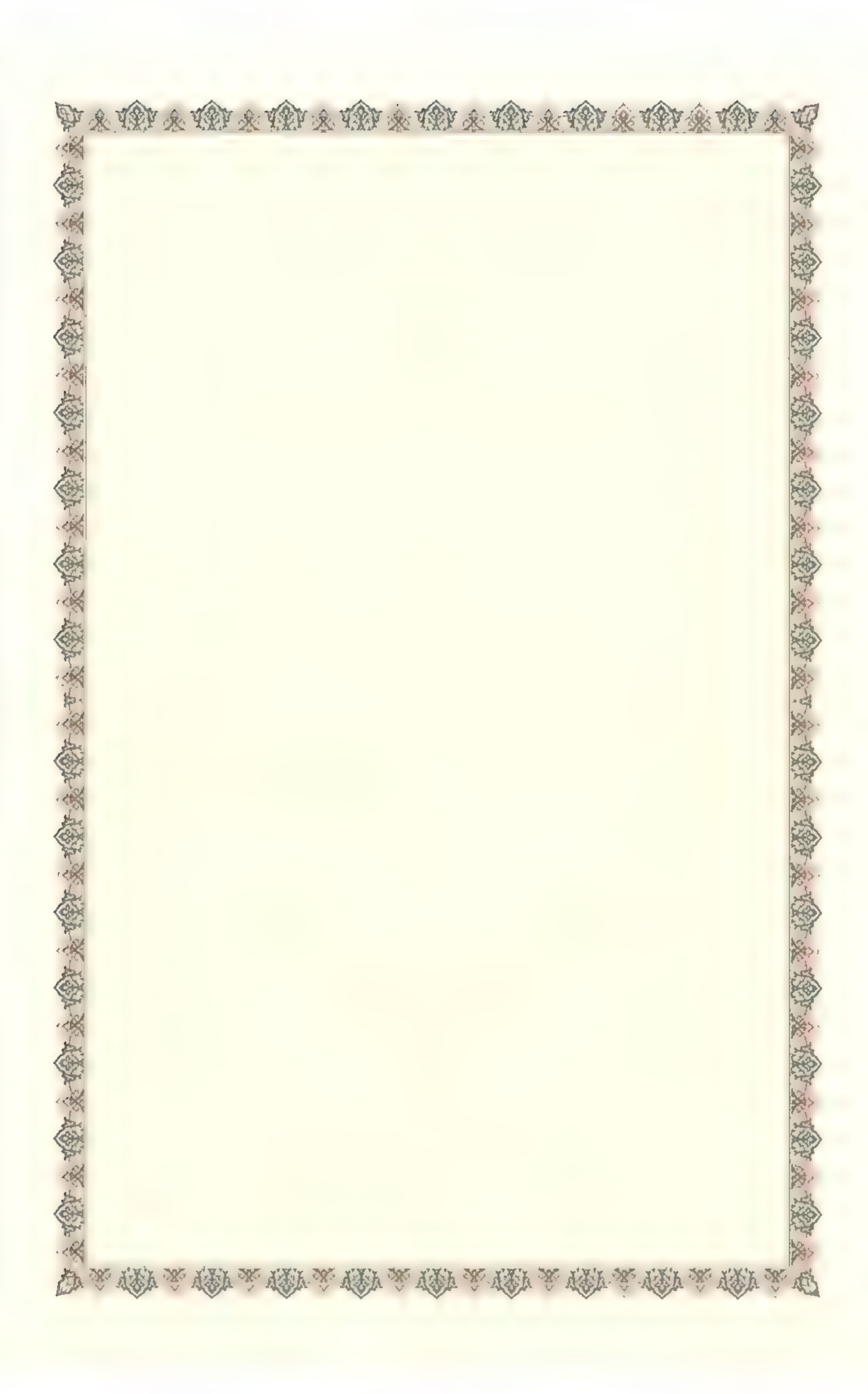
---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) الشفاء (ص٢٥٧) .



الباب الرّابع عشر

ما يؤدي إليه مذهبهم في الفتاوى الأربع التي أفتوا فيها



بابُ
ما يؤدي إليه مذهبهم في الفتاوى الأربع التي أفتوا فيها

قد تقدَّمَ الكلامُ في بابِ الأدلَّةِ العقليةِ وما بعدَهُ على ما يُؤدِّي إليهِ مذهبُهُم ، وفي إقامةِ الدليلِ على إبطالِهِ ، لكنْ كانَ ممازجاً لمذهبِ أهلِ الحقِّ ، فربَّما استترَ عَوارُهُ ، وخفيَ إلا على الناقدِ بهرجُهُ ، فالآنَ حصحصَ الحقُّ ، وتبيَّنَ النورُ مِنَ الظلامِ ، والصيِّبُ مِنَ الجَهامِ[1] ، وتميَّزَ الزُّبْدُ مِنَ الزَّبَدِ بالمخضِ ، ولاحَ نورُ اليقينِ بشروقِ شمسِ الرشادِ .

وكما ميَّزنا مذهبَ أهلِ الحقِّ في بابٍ مُفردٍ ليُتَّبعَ . . فكذلكَ ميَّزنا مذهبَ أهلِ الباطلِ ليُجتنبَ ، واللهُ المُوفِّقُ ، ونسألُهُ النجاةَ مِنْ غوائلِ الأهواءِ والبدعِ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بهِ ، وهوَ حسبُنا ونعمَ الوكيلُ .

أمَّا مسألةُ الكلامِ ، ويتَّصلُ بها مسألةُ ما بينَ الدَّفَّتينِ ، والقِدَمِ في الحروفِ . . فإنَّهُم قالوا بالحرفِ والصوتِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ ، وقالوا بذلكَ قولاً مُجمَلاً .

فنُفصِّلُ نحنُ ونقولُ :

قولُكُم : (**إنَّ كلامَهُ بحرفٍ وصوتٍ**) **لا يخلو** : **مِنْ أنْ يكونَ مرادُكُم** : كلامَ اللهِ الذي هوَ صفةٌ لذاتِهِ الأزليةِ الأبديةِ بحرفٍ وصوتٍ ؛ إذْ كلامُنا نحنُ بالقرآنِ الذي تنطقُ بهِ ألسنتُنا بأصواتِنا الخارجةِ مِنْ لهواتِنا ، وكذلكَ ما بينَ الدَّفَّتينِ الذي كُتِبَ على ورقٍ مُحدَثٍ بمدادٍ مُحدَثٍ كتبَتْهُ يدٌ مُحدَثةٌ .

---

(١) الجَهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

إنْ قلتُم : إنَّ الصفةَ القائمةَ بالذاتِ هيَ الحروفُ والأصواتُ . . **لزمَكُم قيامُ الحوادثِ بالذاتِ** ؛ لأنَّ الحروفَ والأصواتَ حوادثُ ، وصفاتِ الذاتِ قديمةٌ أزليةٌ بالاتفاقِ ، **والدليلُ علىٰ أنَّ الحروفَ والأصواتَ حوادثُ** : أنَّ بعضَها مُتقدِّمٌ علىٰ بعضٍ ؛ كالباءِ مِنْ (باسمِ اللهِ) تتقدَّمُ السينَ ، والسينِ تتقدَّمُ الميمَ ؛ فالباءُ كما تراها أولُهُ ، والسينُ تعقبُها ، والميمُ تعقبُ السينَ .

فإنْ قلتُم بحدوثِها فقد صحَّ إلزامُكُم قيامَ الحوادثِ بالذاتِ ، وذلكَ كفرٌ .

وإنْ منعتُم أنَّها حادثةٌ ، وقلتُم : بل هيَ قديمةٌ . . فقد جحدتُمُ الضرورةَ ، وأنكرتُمُ البديهةَ ، وخرجتُم مِنْ معاقلِ العقلِ إلىٰ بيداءِ فنونِ الجنونِ .

وإنْ قلتُم : إنَّ كلامَنا نحنُ بالقرآنِ وأصواتَنا الخارجةَ مِنْ لهواتِنا كلامُ اللهِ تعالى القديمُ وصفتُهُ الذاتيةُ . . لزمَكُمُ القولُ بحلولِ القديمِ بالحادثِ ، وتكونونَ شرّاً مِنَ النصارىٰ ؛ لأنَّهُم قالوا بحلولِ الصفةِ بعيسى ابنِ مريمَ ، وأنتُم تقولونَ بحلولِ الصفةِ القديمةِ التي هيَ كلامُ اللهِ تعالى القديمُ في قراءةِ كلِّ مَنْ قرأَ القرآنَ أو شيئاً منهُ ، وأنَّ الصفةَ القديمةَ حلَّتْ بكلِّ مصحفٍ كُتِبَ وكلِّ حجرٍ نُقِشَ عليهِ شيءٌ مِنَ القرآنِ مِنْ لدنْ سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وإلى الآنَ ، ويلزمُ عليهِ أنَّهُ إذا مُحِيَ زالَتِ الصفةُ عنهُ علىٰ رأيِهِم .

إذا ثبتَ ذلكَ فنقولُ : هم بينَ جاحدٍ للضرورةِ معدودٍ مِنَ السوفسطائيَّةِ ، وبينَ معتقدٍ قيامَ الحوادثِ بالذاتِ ؛ وهوَ كفرٌ ، وبينَ معتقدٍ حلولَ الصفاتِ القديمةِ بالحوادثِ ؛ وهـٰذا كفرٌ ؛ إذِ اعتقادُ المسلمينَ أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يَحُلُّ في شيءٍ ، ولا يَحُلُّ فيهِ شيءٌ ، وكذلكَ صفاتُ ذاتِهِ ؛ لا تَحُلُّ في غيرِهِ .

[عقيدةٌ لبعضِ المُشبِّهةِ القائلينَ بالحرفِ والصوتِ]

وجدتُ في كتابٍ ذكرَ كاتبُهُ أنَّهُ عقيدةُ بعضِ مشايخِ البلادِ وصرَّحَ باسمِهِ ، وأنَّهُ نقلَهُ عنهُ ، قالَ بعدَ الخطبةِ :

(أولُ نعمةٍ أنعمَ بها على العبدِ أنْ كتبَ الإيمانَ في قلبِهِ) ، ثمَّ قالَ : (ثمَّ بعدَ ذلكَ معرفةُ البارئِ وجبَتْ بالشرعِ لا بالعقلِ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، فلو كانَتِ المعرفةُ واجبةً بالعقلِ لقالَ : « وما كُنَّا معذبينَ حتىٰ نرزقَهُم عقولاً ») .

ثمَّ ذكرَ حديثاً آخرَ ، ثمَّ قالَ : (ودليلٌ ثالثٌ : أنَّ المعرفةَ لو كانَتْ بالعقلِ لكانَ كلُّ عاقلٍ عارفاً ، ولمَّا وجدْنا جماعةً مِنَ العقلاءِ كُفَّاراً دلَّ علىٰ أنَّ المعرفةَ لم تحصُلْ بالعقلِ ؛ أَمَا ترىٰ أنَّ ما يُدرَكُ بالنظرِ لا يختلفُ أربابُ النظرِ فيهِ) .

ثمَّ قالَ : (وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ منزلٌ غيرُ مخلوقٍ ، منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ ، تكلَّمَ بهِ في القِدَمِ بحرفٍ وصوتٍ ؛ حرفٍ يُكتَبُ ، وصوتٍ يُسمَعُ ، ومعنىً يُعلَمُ . . .) ، وذكرَ الأحاديثَ التي قدَّمتُها المطعونَ فيها قبلَ التي قدَّمتُها التي يستدلُّونَ بظواهرِها[١] .

ثمَّ قالَ : (وأنَّ التلاوةَ هيَ المتلوُّ ، وأنَّ القراءةَ هيَ المقروءُ ، وأنَّ ما جاءَ في المصاحفِ وما في صدورِ الرجالِ والألواحِ والصبيانِ . . كلامُ اللهِ بعينِهِ ، لا عبارةٌ ولا حكايةٌ) .

ثمَّ أردفَ ذلكَ بقولِهِ : (وأنَّ اللهَ علىٰ عرشِهِ بائنٌ مِنْ خلقِهِ كما وصفَ نفسَهُ بلا كيفٍ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، ثمَّ استدلَّ

---

(١) أي : في الباب الحادي عشر .

علىٰ ذلكَ بحديثٍ اختلقَهُ فقالَ : سألَتْ أمُّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : كيفَ استوىٰ ؟ فقالَ : « ٱلِاسْتِوَاءُ [غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَٱلْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَٱلإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ ، وَٱلْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ] »[1] .

* * *

(١) ما بين معقوفين سقط من (أ ، ب) ، ولعله سقط أيضاً رد المؤلف علىٰ هـٰذه العقيدة ، والله تعالىٰ أعلم ، ويؤخذ الرد عليها عموماً من ثنايا هـٰذا الكتاب ، وانظر « فتح الباري » (١٣/٤٠٦) .

فصل

في بيان أقسام المشبهة المعتقدين الظاهر من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

وأمَّا اعتقادُهُم في ظاهرِ قولِهِ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] . . فهم في ذلكَ علىٰ أقسامٍ : قسمٌ أثبتُوا الجسميةَ ، وقسمٌ نفَوْها .

فالذينَ أثبتُوا الجسميةَ : منهُم قومٌ يُقالُ لهُم : غلاةُ المُجسِّمةِ ؛ وهمُ الذينَ كَذَبوا على اللهِ وجوَّزوا عليهِ المماسَّةَ في المكانِ ، وهم هشامُ بنُ الحكمِ الرافضيُّ ، وهشامٌ الجواليقيُّ[1] ، وعليُّ بنُ منصورٍ ، وداودُ الجواربيُّ ، وجمهورُ الكراميةِ .

ثمَّ اختلفَ هـٰؤلاءِ : فجوَّزَ بعضُهُمُ الحركةَ والانتقالَ والزوالَ مِنْ مكانٍ إلىٰ مكانٍ ، وقالَ هشامٌ : الحركةُ فعلُهُ ، وفعلُهُ غيرُ مفعولِهِ ، وليسَتْ حركتُهُ مِنْ مكانٍ إلىٰ مكانٍ ، وأجازَ عليهِ السكاكُ الزوالَ مِنْ مكانٍ إلىٰ مكانٍ كما أجازَها هشامٌ عليهِ ؛ إذ لم يجدْ بينَهُما فرقاً .

واختلفَتْ عباراتُ الكراميةِ : فأطلقَ أوائلُهُم لفظَ المماسَّةِ بينَهُ وبينَ العرشِ ، وزعموا أنَّ الصفيحةَ العليا مِنَ العرشِ مكانٌ لهُ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً .

وقالَ بعضُهُم : لا نقولُ : إنَّهُ مماسٌّ لهُ ، ولـٰكنْ نقولُ : إنَّهُ ملاقٍ لهُ بغيرِ واسطةٍ بينَهُما .

---

(١) وفرقته مع الذي قبله تدعىٰ بـ(الهشامية) انظر « نهاية المرام » (ص٥٩٤) .

وكلُّ ذلكَ محالٌ عقلاً وكفرٌ شرعاً ؛ أمَّا محالٌ عقلاً : فلِمَا تقدَّمَ أنَّ الجسميةَ يلزمُ منها التركيبُ ، والتركيبَ يلزمُ منهُ الحدوثُ ، والحدوثُ على اللهِ تعالىٰ محالٌ[1] .

وأمَّا كفرٌ شرعاً : فلأنَّهُ قد تقرَّرَ أنَّ اللهَ تعالىٰ ليسَ بجسمٍ ، وقد ثبتَ بالدليلِ العقليِّ استحالةُ الجسميةِ عليهِ[2] .

والذي يعبدُ جسماً علىٰ عرشٍ كبيرٍ ، ويجعلُ جسمَهُ كقدرِ أبي قبيسٍ أو سبعةِ أشبارٍ بشبرِهِ كما حُكِيَ عن هشامِ الرافضيِّ ، أو كلاماً آخرَ تقشعرُّ منهُ جلودُ الذينَ يخشَونَ ربَّهُم[3] . . فقد عبدَ غيرَ اللهِ ، فهوَ كافرٌ ، فلعنَ اللهُ مَنْ يعتقدُ هـٰذا الاعتقادَ .

ولم يُشارِكْهُم في هـٰذا الاعتقادِ إلا بعضُ اليهودِ لعنَهُمُ اللهُ .

والقسمُ الثاني ممَّنْ أطلقوا الجسميةَ منعوا التأليفَ والتركيبَ ، وقالوا : عنَيْنا بكونِهِ جسماً : وجودَهُ ، وهـٰؤلاءِ كفروا ككفرِ النصارىٰ في إطلاقِ لفظِ الجوهرِ عليهِ .

قالَ الإمامُ أبو [سعدٍ] المُتولِّي في كتابِ « غنيةِ المقبولِ في علمِ الأصولِ » : (فإنْ قالوا : نحنُ نريدُ بقولِنا : « جسمٌ » أنَّهُ موجودٌ ، ولا نريدُ التأليفَ .

قلنا : هـٰذهِ التسميةُ في اللغةِ ليسَ كما ذكرتُم ، وهيَ منبئةٌ عنِ المستحيلِ ، فلِمَ أطلقتُم ذلكَ مِنْ غيرِ ورودِ سمعٍ ؟! وما الفصلُ بينكُم وبينَ مَنْ يُسمِّيهِ جسداً

---

(١) انظر (١/ ٢٠٠ـ٢٠١) .

(٢) انظر (١/ ٢٠١ـ٢٠٣) .

(٣) انظر « نهاية المرام » (ص٥٩٤) .

ويريدُ بهِ الموجودَ وإنْ كانَ يُخالِفُ مقتضى اللغةِ ؟!)[1] .

قالَ أبو [سعدٍ] رحمَهُ اللهُ : (فإنْ قيلَ : أليسَ تَسَمَّى نفساً ؟

قلنا : اتَّبعْنا فيهِ السمعَ ؛ وهوَ قولُهُ سبحانَهُ : ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ولم يَرِدِ السمعُ بالجسمِ)[2] ، وكذلكَ قالَ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُما[3] .

وأمَّا القسمُ الذينَ نفَوُا الجسميَّةَ وقالوا : لا نقولُ بالمماسَّةِ ولا بالملاقاةِ ؛ لأنَّ ذلكَ لا يكونُ إلا بواسطةِ الجسميةِ ، وذلكَ مُحالٌ على اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما نقولُ بالجهةِ مِنْ غيرِ جسميَّةٍ ولا مماسَّةٍ ولا ملاقاةٍ ، وبهِ قالَ المُتأخِّرونَ مِنَ الحنابلةِ . . [فهوَ] أيضاً باطلٌ ؛ لما تقدَّمَ في (بابِ الاستدلالِ على التأويلِ مِنْ جهةِ العقلِ) ، وأنَّ القائلَ بالجهةِ لا يخلو مِنْ أنْ يجعلَهُ شاغلاً لحيِّزٍ أو لأحيازٍ إلىٰ آخرِهِ[4] .

فلزمَهُم مِنَ القولِ بالجهةِ القولُ بالشغلِ ، ومِنَ القولِ بالشغلِ القدرُ والنهايةُ أوِ التركيبُ ، والتركيبُ مِنْ أوصافِ الجسميةِ ، وقد تقدَّمَ تكفيرُ القائلينَ بالجسميةِ[5] .

فنعوذُ باللهِ مِنْ هٰذهِ الضلالاتِ في المقالاتِ ، والإطالاتِ في الجهالاتِ ، ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۞ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ۞ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ۞ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ١٥٩ـ١٦٣] .

---

(١) الغنية في أصول الدين (ص٨١) .
(٢) الغنية في أصول الدين (ص٨١) .
(٣) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة (ص٤٣ـ٤٤) .
(٤) انظر (١/٢٠١) .
(٥) انظر (١/٨٩) متناً وتعليقاً .

[قالَ] الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرَ[1] الأنصاريُّ القرطبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (والذي يقتضي بطلانَ الجهةِ والمكانِ معَ ما قرَّرناهُ مِنْ كلامِ شيخِنا وغيرِهِ مِنَ العلماءِ . . وجهانِ :

أحدُهُما : أنَّ الجهةَ لو قُدِّرَتْ لكانَ فيها نفيُ الكمالِ ، وخالقُ الخلقِ مُستغنٍ بكمالِ ذاتِهِ عمَّا لا يكونُ بهِ كاملاً[2] .

والثاني : أنَّ الجهةَ إمَّا أنْ تكونَ قديمةً أو حادثةً ؛ فإنْ كانَتْ قديمةً أدَّىٰ إلىٰ محالينِ :

أحدُهُما : أنْ يكونَ معَ الباريْ في الأزلِ غيرُهُ ، والقديمانِ ليسَ أحدُهُما بأنْ يكونَ مكاناً للثاني بأَولىٰ مِنَ الآخرِ ، فافتقرا إلىٰ مُخصِّصٍ يُنقَلُ الكلامُ إليهِ ، وما يُفضِي إلى المحالِ محالٌ .

المحالُ الثاني : أنَّ الجهةَ والمكانَ إنَّما يكونانِ جسمينِ ، وهـٰذا يُؤدِّي إلىٰ جوازِ وجودِ الأجسامِ أزلاً ، وفيهِ القولُ بقِدَمِ العالَمِ ، نعوذُ باللهِ مِنْ قولٍ يُؤدِّي إليهِ .

وإنْ كانَتِ الجهةُ حادثةً فالحادثُ كيفَ يحتاجُ إليهِ القديمُ ؟! فإنَّهُ قبلَ كونِهِ كانَ مُستغنياً [عنهُ] ، وهوَ على استغنائِهِ عنهُ لم يَزَلْ ، فكذلكَ لا يزالُ .

وفيهِ محالٌ ثالثٌ يجمعُ التقديرينِ ؛ وهوَ أنَّ الجهةَ لو قُدِّرَتْ لكانَتْ مخلوقةً ، ومُحالٌ أنْ يكونَ خالقُ الكلِّ يفتقرُ إلىٰ بعضِ مخلوقاتِهِ .

فقفوا عندَ هـٰذا التحقيقِ ، واللهُ يُوفِّقُنا وإيَّاكُم إلىٰ سواءِ الطريقِ)[3] .

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، وفي « الوافي بالوفيات » (٢/ ٨٧) وغيره : (أحمد) .
(٢) العبارة في « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » : (عمَّا يكون به كاملاً) .
(٣) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (٢/ ١٤٣) .

قلتُ : هـٰذا كلُّهُ تقدَّمَ بالمعنىٰ في بابِ الاستدلالِ بالعقلِ ، وإنَّما أثبتُّهُ هنا تبرُّكاً بكلامِ هـٰذا الإمامِ ممَّنْ حضرَني .

* * *

بيان أقسام المشبهة القائلين بظواهر الكتاب والسنة

وأمَّا قولُهُم في الظواهرِ الواردةِ في الكتابِ والسنَّةِ النبويةِ . . ها هنا جاءَهُمُ السوداءُ المُستحكِمةُ ، والجنونُ المطبقُ ، والصرعُ الدائمُ ، والماليخوليا الغالبةُ[1] ، والتفنُّنُ في أنواعِ الكفرِ ، ولم يُبْقِ الجهلُ لهُم تصوُّراً ولا تدبُّراً ، نعوذُ باللهِ مِنَ الخذلانِ .

وانقسموا في ذلكَ إلىٰ أقسامٍ :

فغُلاةُ المُجسِّمةِ حملوها علىٰ ظاهرِها في جميعِ ما وردَ مِنْ ذكرِ اليدينِ والعينينِ والساقِ والقدمِ ، **وإلىٰ هٰذا** ذهبَ إبراهيمُ بنُ أبي يحيىٰ ، وداودُ الجواربيُّ ؛ حيثُ سُئِلَ عن **معبودِهِ ، فقالَ** : اعفُوني مِنَ الفرجِ واللحيةِ ؛ يعني : أنَّهُ أثبتَ لهُ ما سواهُما[2] .

ومنهُم قومٌ يُقالُ لهُمْ : البيانيةُ مِنَ الرافضة ، يُنسبون إلىٰ بيان بن سمعان التميميّ قالَ : إنَّ معبودَهُ علىٰ صورة الآدميّ ، وإنّهُ يهلكُ كلُّهُ إلا وجههُ ؛ جموداً علىٰ ظاهرِ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[3] [القصص : ٨٨] .

ومنهُمُ المغيريةُ : وهم أيضاً مِنَ الروافضِ ، يُنسَبونَ إلى المغيرةِ بنِ سعيدٍ العجليِّ ، يقولونَ أيضاً بذلكَ ، ويزيدونَ القلبَ لمعبودِهِم ، وأنَّهُ ينبعُ منهُ

---

(١) **الماليخوليا** : ضرب من الجنون .

(٢) انظر « التبصير في الدين » (ص١٢٠) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٠٥) .

(٣) انظر « مقالات الإسلاميين » (ص٥ـ ٦) ، و« التبصير في الدين » (ص١١٩) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٥٢ـ١٥٣) ، وما سبق في تأويل الآية (١/ ٢١٧ـ٢١٨) .

الحكمةُ ، وأنَّ حروفَ أبجدَ على عددِ أعضائِهِ[1] .

وهـٰؤلاءِ كلُّهُم كفرةٌ ، لعنَهُمُ اللهُ ولعنَ مَنْ يقولُ بقولِهِم ، اللهمَّ ؛ إنِّي أتقرَّبُ إليكَ بذلكَ ، فتقبَّلْ منِّي ؛ إنَّكَ أنتَ السميعُ العليمُ .

والقسمُ الثاني مِنَ الظاهريَّةِ قالوا : إنَّ جميعَ ما وردَ في الكتابِ العزيزِ والسنَّةِ النبويةِ مِنَ الظواهرِ ؛ مِنَ اليدينِ والرجلِ والقدمِ والعينِ والنفسِ . . كلُّها صفاتٌ ثابتةٌ لهُ مِنْ غيرِ جسميَّةٍ .

وهـٰؤلاءِ انقسموا قسمينِ :

فقسمٌ لم يسوقوها مَساقَ الأبعاضِ ، ولم ينزلوها منزلةَ التشبيهِ ، وهـٰؤلاءِ مُتأخِّرو الأثريةِ ، وإلى هـٰذا ذهبَ جماعةٌ مِنَ المُحدِّثينَ ، والفرقُ بينَهُ وبينَ مذهبِ أوائلِ السلفِ : أنَّ السلفَ رضيَ اللهُ عنهُم أمرُّوهُ مِنْ غيرِ حكمٍ عليهِ ؛ لا بكونِهِ صفةً ولا بكونِهِ مُؤوَّلاً ، بل يجعلونَـهُ مِنْ قبيلِ الغيبِ الذي يؤمنونَ بهِ ويكِلُونَ علمَهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ .

والقسمُ الثاني : نزَّلوا هـٰذهِ الصفاتِ منزلةَ الأعضاءِ ، وأجرَوْها مُجرى التشبيهِ بالتركيبِ الآدميِّ ، وصنَّفوا فيهِ كتباً في الصفاتِ ، وإلى هـٰذا ذهبَ جماعةٌ مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ ؛ كأبي يعلى وأبي الهيثمِ ، وبوَّبَ أبو يعلى ؛ فقالَ : (بابُ اليدينِ ، بابُ العينينِ ، بابُ كذا ، بابُ كذا . . .) إلى أنْ قالَ : (بابُ الفَرْجِ) ، فقالَ : (لم يَرِدْ فيهِ شيءٌ) .

قالَ بعضُ أكابرِ العلماءِ : (سلحَ أبو يعلى على الحنابلةِ سلحةً لا يغسلُها دجلةُ)[2] .

---

(١) انظر « مقالات الإسلاميين » (ص٦) ، و« التبصير في الدين » (ص١٢٥) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٧٦ـ١٧٧) .

(٢) انظر ما تقدم (١/ ١١٦) تعليقاً .

وهٰؤلاءِ أيضاً وقعوا في تِيهِ التشبيهِ ، وفرُّوا مِنْ نارٍ إلىٰ نيرانٍ ، وعليهِم مِنَ المناقضاتِ ما تقدَّمَ في الأدلَّةِ .

ويلزمُهُم أنْ يقولوا أيضاً ببقاءِ كلِّ ظاهرٍ علىٰ ما هوَ عليهِ .

ويلزمُهُم أنْ يجعلوا المعيَّةَ والاستواءَ والقربَ في حالةٍ واحدةٍ ، وذلكَ تناقضٌ .

ويلزمُهُم أنْ يقولوا أيضاً فيما وردَ ممَّا يُوهِمُ الحدوثَ أنَّهُ صفةٌ ذاتيَّةٌ ثابتةٌ ؛ كالضحكِ والنزولِ والمجيءِ : إنَّها صفاتٌ مِنْ غيرِ تأويلٍ ، فإنْ قالوا بذلكَ لزمَهُم قيامُ الحوادثِ بذاتِهِ ، **وإنَّ ذلكَ محالٌ** .

وإنْ أوَّلوها أو نفَوُا الظاهرَ فيها خاصَّةً . . فذلكَ تخصيصٌ مِنْ غيرِ مُخصِّصٍ .

وبالجملةِ : فهٰذا كلُّهُ لا يطرأُ إلا عن جهلٍ مُفرِطٍ ، أو نفاقٍ كامنٍ في الصدورِ يبرزُ في هٰذهِ الصورِ مِنَ البدعِ .

أخبرَني الشيخُ العارفُ قطبُ الوقتِ علمُ الزهَّادِ إمامُ العبَّادِ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ ابنُ النعمانِ قدَّسَ اللهُ روحَهُ[1] بما ذكرَهُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « نظمِ الجوهرِ في جوابِ المسترشدِ مِنْ أهلِ جوجرَ » قالَ :

(وقد ألَّفَ الشيخُ عبدُ القادرِ الجيليُّ كتاباً سمَّاهُ : « إبطالَ التأويلاتِ لأخبارِ الصفاتِ »[2] ، وقفتُ عليهِ عندَ بعضِ علمائِنا المعتنينَ في وقتِنا ، وقطعَهُ وغسلَهُ وقصدَ الردَّ عليهِ ، فأخذتُ ورقةً مِنَ الكتابِ المذكورِ وجدتُ عليها خطَّ ولدِهِ عبدِ الجبارِ ، وكانَ الشيخُ عبدُ القادرِ ذكرَ في الورقةِ التي

---

(١) وقد ترجم المؤلف لابن النعمان في (٢/ ١٦٣ـ ١٧٩) ترجمة حافلة .

(٢) لعل هٰذا الكتاب من تأليف أبي يعلى الفراء ، والله تعالىٰ أعلم .

وجدتُها بإسنادِهِ عن مجاهدٍ قالَ : « إذا كانَ يومُ القيامةِ ذكرَ داودُ ذنبَهُ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : كنْ أمامي ، فيقولُ : ربِّ ؛ ذنبي ، فيقولُ لهُ : خُذْ بقدمي » .

وذكرَ بإسنادِهِ عنِ ابنِ سيرينَ في قولِهِ : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٢٥] قالَ : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليقرِّبُ داودَ حتىٰ يضعَ قدمَهُ علىٰ فخذِهِ ، فيقولَ : ادنُ منَّا ازلفْ إلينا »[١] .

ثمَّ اعلمْ[٢] : أنَّهُ غيرُ ممتنعٍ حملُ هـٰذا الخبرِ علىٰ ظاهرِهِ ؛ إذْ ليسَ فيهِ ما يُحيلُ صفاتِهِ ولا يُحرِّفُها بما تستحقُّهُ[٣] ؛ فإنَّا لا نُثبِتُ قدماً وفخذاً جارحةً ، بل نثبتُ ذلكَ صفةً[٤] .

فكتبَ ولدُهُ عبدُ الجبَّارِ علىٰ حاشيةِ الكتابِ : « ويحَكَ يا مُصنِّفُ !! ما قولُ مجاهدٍ وابنِ سيرينَ ؟! ما قولُهُما بحُجَّةٍ ، ومِنْ أينَ أخذوا هـٰذا ؟! ومِنْ أينَ علموا بهِ ؟! وظاهرُ الكلامِ يقتضي : أنَّهُ ما أسندوهُ إلى الرسولِ ، بل هوَ مِنْ عندِهِم ، فلا يُلتفَتُ إليهِم » .

وكتبَ : « يا مُصنِّفُ ؛ واللهِ ثمَّ واللهِ ؛ غنيٌّ عن هـٰذا أنْ تجمعَ كلامَ مجاهدٍ وابنِ سيرينَ في مثلِ هـٰذا فتتكلَّمَ عليهِ وتُدوِّنَـهُ ، وللعاقلِ شغلٌ عن هـٰذا ، وإنَّ سماعَ هـٰذا مزعجٌ ، فكيفَ مَنْ لا إيمانَ لهُ بهِ ؟! ما حكيتَ شيئاً مِنَ الجوارحِ إلا وقد أضفتَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، ثمَّ تقولُ : لا نقولُ جارحةً ولا أبعاضاً !! كيفَ يندفعُ القولُ الأولُ بهـٰذا الاعتذارِ الركيكِ الذي ما يدخلُ في القلبِ منهُ شيءٌ ؟!

---

(١) انظر « إبطال التأويلات » للقاضي أبي يعلى الفراء (١/٢٠٦) ، وفيه : (يده) بدل (قدمه) .

(٢) القائل : عبد القادر الجيلي .

(٣) في « إبطال التأويلات » (ص٢٠٦) : (ولا يخرجها عمَّا تستحقه) .

(٤) الكلام بلفظه في « إبطال التأويلات » (١/٢٠٦-٢٠٧) .

هٰذا واللهِ الاشتغالُ بغيرِهِ أصلحُ في حقِّ العاقلِ ، وطوبىٰ لِمَنْ وُفِّقَ لمذهبِ العجائزِ[1] ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيدِنا محمدٍ .

وكتبَ : **أقلُّ غلامِ الحنابلةِ** ؛ عبدُ الجبارِ بنُ عبدِ القادرِ بنِ أبي صالحِ بنِ عبدِ اللهِ الجيليُّ ، ما كتبَهُ أشعريٌّ ولا مُعطِّلٌ ولا جهميٌّ ، بل تابعٌ سُنِّيٌّ »)[2] .

قلتُ : اعلمْ وفَّقَكَ اللهُ : أنَّ مِنْ هٰؤلاءِ خاصَّةً مَنْ يقولُ بالظواهرِ وأنَّها صفاتٌ . . لا يُنجيهِ ذلكَ مِنَ الدخولِ في سوءِ الاعتقادِ ؛ فإنَّ المُشبِّهَ بقولٍ يشبهُ قولَ الكفارِ واقعٌ في المحذورِ ، وقد ذمَّ اللهُ قوماً مِنَ اليهودِ والنصارىٰ ؛ فقال : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة : ٣٠] : يشابهونَ بقولِهم قولَ الذينَ كفروا مِنْ قبلُ .

وهٰؤلاءِ الذينَ قالوا : إنَّ البُنوَّةَ ليسَتْ علىٰ حقيقتِها ، وإنَّما هيَ صفةٌ ثابتةٌ وردَتْ في الإنجيلِ ، فنحنُ نجعلُها صفةً ، ومعَ ذلكَ فقد كفروا .

فأنتُم معشرَ المتأخرينَ مِنَ الحنابلةِ لا يُنجيكُمُ اعتقادُكُمُ الصفةَ معَ نفيِ الجسميَّةِ مِنْ مشابهتِكُمُ المبتدعةَ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ ذمَّ مَنْ أطلقَ الإطلاقَ الذي يُوهِمُ النقصَ في الباطنِ وإنْ كانَ لا يعتقدُهُ أحدٌ[3] .

ورُوِيَ عن كعبِ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (**في التوراةِ مكتوبٌ** : الثورُ يعرفُ مربطَهُ ، والحمارُ يعرفُ آريَّهُ ، وبنو إسرائيلَ لا يعرفونَ

---

(١) للإمام السنوسي كلام نفيس حول إطلاق هٰذه العبارة وأمثالها . انظر « شرح العقيدة الكبرى » (ص ١٥٢ـ١٥٧) .

(٢) انظر « دفع شبه التشبيه » (ص ٤٤ـ٤٥) .

(٣) وذكرت أن الإمام ابن الجوزي عقد مؤلفاً في الرد علىٰ هٰؤلاء المتأخرين من الحنابلة ، وسمَّاه : « دفع شبه التشبيه » انظر ما سبق (١/ ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٢) تعليقاً .

ربَّهُم)[1] ، ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ !! هٰذهِ بقايا مِنْ تلكَ البلايا ، وخبايا مِنْ أولئكَ الخزايا .

وقد قالَ سيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَتَسْلُكُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ؛ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ خَلْفَهُمْ » قالَ الراوي : قُلْنا : يا رسولَ اللهِ ؛ اليهودَ والنصارىٰ ؟ قالَ : « فَمَنْ ؟! »[2] .

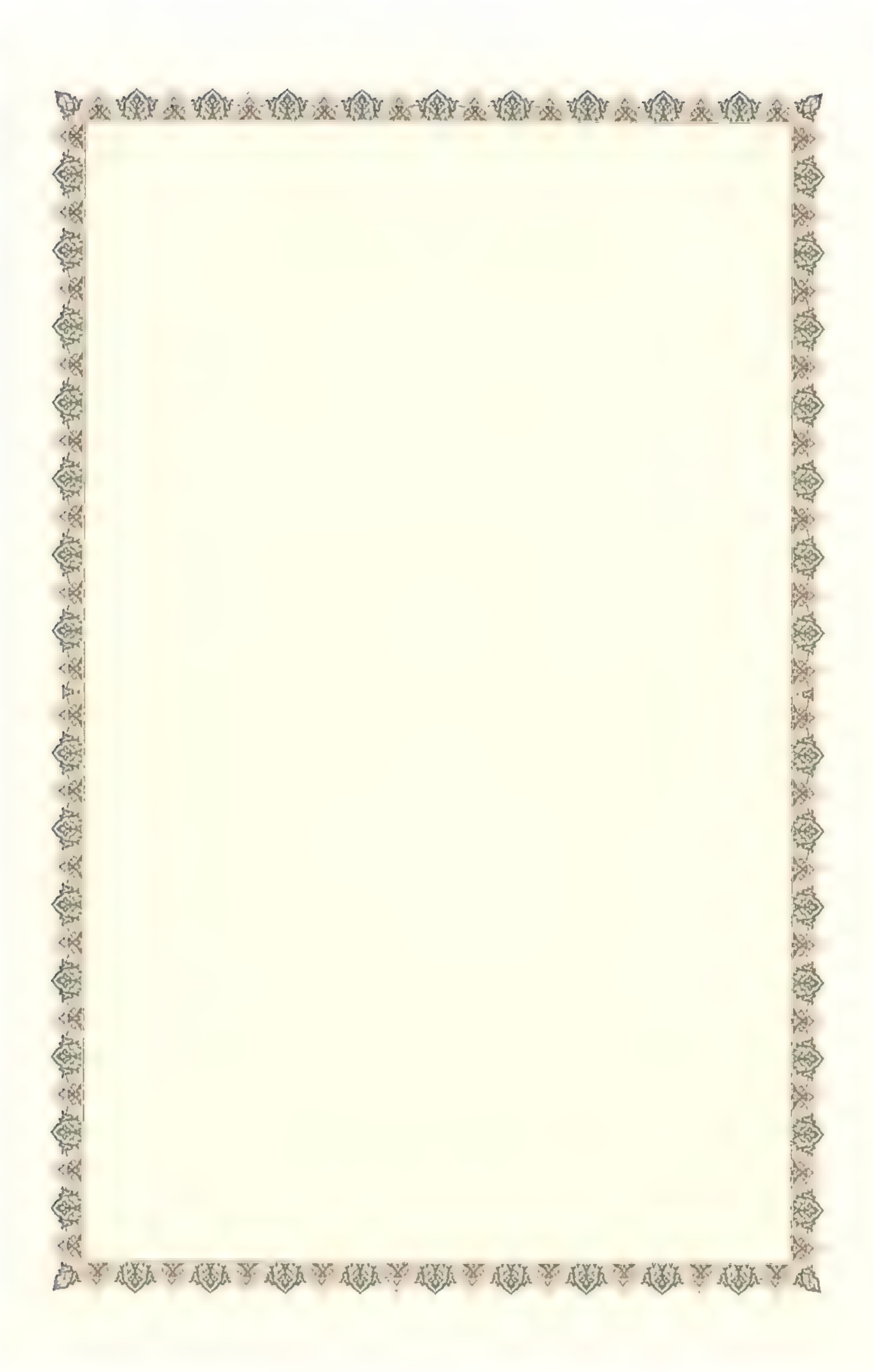
سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفونَ ، وسلامٌ على المرسلينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

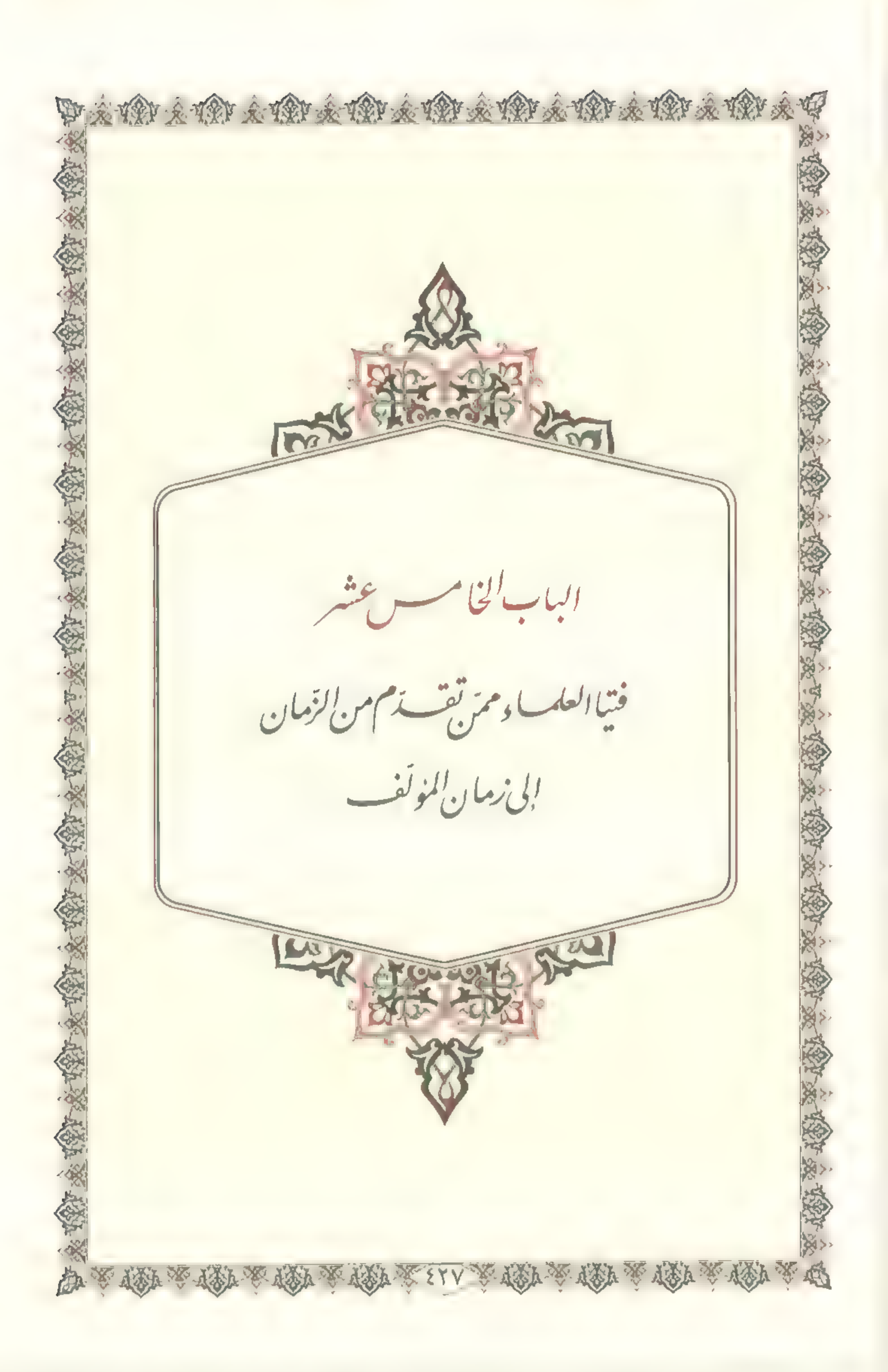
* * *

---

(١) أخرجه الربيع بلاغاً في « مسنده » (٨٤٧) ، والأَرِيُّ : معلف الدواب .

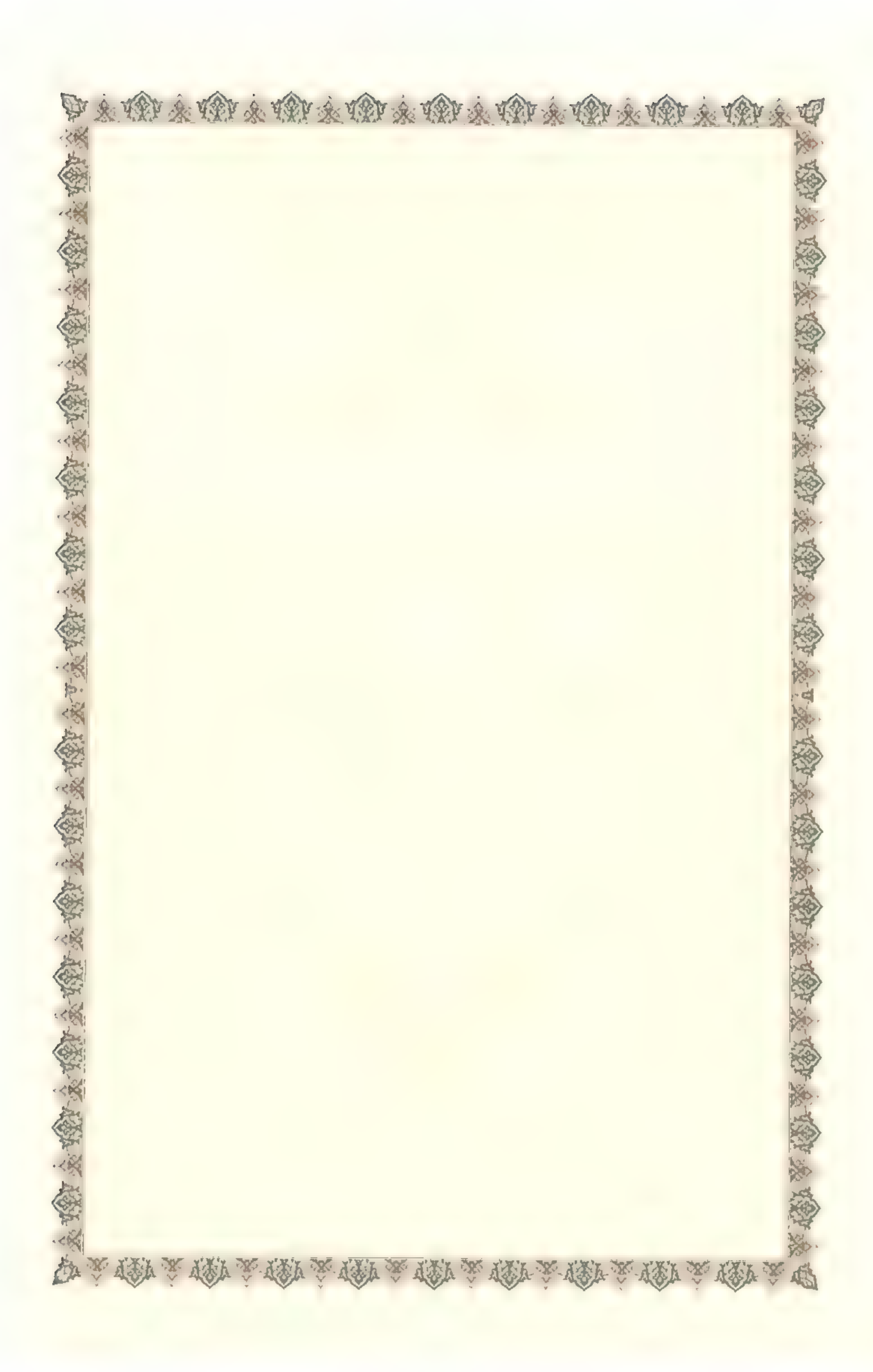
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ، ومسلم (٢٦٦٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .





الباب الخامس عشر

فتيا العلماء ممن تقدم من الزمان إلى زمان المؤلف



بابٌ
فتيا العلماء ممن تقدم من الزمان إلى زماننا فيهم

هـٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ مفترقاتِ أقوالِ العلماءِ حكماً لا استدلالاً ، وفتوىٰ ماضيةً لا جدالاً ، تتبَّعتُها وأثبتُّها هنا ، وأودعتُها منذُ ظهرَتْ هـٰذهِ البدعةُ وإلىٰ هـٰذا الحينِ ؛ لتكونَ مثالاً يُحتذىٰ حذوُهُ ، ومنهاجاً يُقتفىٰ نحوُهُ ، باقياً علىٰ تداولِ الأعصارِ ، عوناً لمَنْ يأخذُ علىٰ أيديهِم بالإنكارِ ؛ لتبقىٰ كلمةً باقيةً في العَقِبِ ، وجُنَّةً واقيةً علىٰ توالي الحقبِ ، وصارماً عندَ الحاجةِ إليهِ يُنتضىٰ[1] ، ورسماً يعملُ فيهِم بما أوجبَهُ الحكمُ واقتضىٰ ، ونسألُ اللهَ التوفيقَ لما أحبَّهُ وارتضىٰ ؛ بمحمدٍ وآلِهِ .

[نصوصٌ عنِ السلفِ والخلفِ في حكمِ أهلِ البدعِ المكفِّرةِ]

سُئِلَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ مهديٍّ عنِ الصلاةِ خلفَ أهلِ الأهواءِ ، فقالَ : تصحُّ إلا الرافضةَ والجهميةَ[2] .

وروىٰ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عمرَ قالَ : كنتُ عندَ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ مهديٍّ ، وذُكِرَ عندَهُ رجلٌ مِنَ الجهميَّةِ أنَّهُم ذكروا عندَهُ حديثَ : « إنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ » ، فقالَ : عجنَهُ بيدِهِ وحرَّكَ يدَهُ بالعجينِ ، فقالَ عبدُ الرحمـٰنِ : لوِ استشارَني هـٰذا السلطانُ في الجهميةِ لأشرتُ عليهِ أنْ

---

(١) يُنتضىٰ : يقال : انتضى السيفَ من غمده ؛ إذا أخرجه .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٧) .

يستتيبَهُم ، فإنْ تابوا ، وإلا ضربَ أعناقَهُم[1] .

ونقلَ الشيخُ محيي الدينِ النواويُّ رضيَ اللهُ عنهُ في كتابِهِ « الروضةِ » عنِ الشيخِ أبي حامدٍ ومَنْ تابعَهَ : أنَّهُم جزموا بردِّ شهادةِ أهلِ الأهواءِ ، وحملوا نصَّ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ حيثُ قالَ : (أقبلُ شهادَةَ أهلِ الأهواءِ) على المخالفينَ في الفروعِ ، وقالوا : هـٰؤلاءِ أولىٰ بردِّ الشهادةِ مِنَ الفسقةِ[2] .

ونقلَ الشيخُ الإمامُ أقضى القضاةِ نجمُ الدينِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « كفايةَ النبيهِ في شرحِ التنبيهِ » في قولِ الشيخِ أبي إسحاقَ رضيَ اللهُ عنهُ في (بابِ صفةِ الأئمَّةِ) : (ولا تجوزُ الصلاةُ خلفَ كافرٍ) : (لأنَّهُ لا صلاةَ لهُ ، وكيفَ يُقتدىٰ بهِ ؟!) ، قالَ : (وهـٰذا ينظِمُ مَنْ كُفرُهُ مُجمَعٌ عليهِ ومَنْ كفَّرْناهُ مِنْ أهلِ القبلةِ ؛ كالقائلينَ بخلقِ القرآنِ ، وبأنَّهُ لا يعلمُ المعدوماتِ قبلَ وجودِها ، ومَنْ لا يؤمنُ بالقدرِ ، وكذا مَنْ يعتقدُ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ ، كما حكاهُ القاضي الحسينُ هنا عن نصِّ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ)[3] .

ثمَّ نقلَ في (كتابِ الشهاداتِ) في (بابِ مَنْ تُقبَلُ شهادتُهُ ومَنْ لا تُقبَلُ) فقالَ : (وقالَ الشيخُ أبو حامدٍ وتبعَهُ البندنيجيُّ ـ وقالَ القاضي الحسينُ : إنَّ بهِ قالَ أصحابُنا ـ : أهلُ الأهواءِ علىٰ ثلاثةِ أضربٍ :

ضربٌ يُكفَّرونَ باعتقادِهِم ، وسنذكرُهُم ؛ فلا تُقبَلُ شهادتُهُم .

وضربٌ يُفسَّقونَ ولا يُكفَّرونَ ؛ كمَنْ سبَّ القرابةَ مِنَ الخوارجِ ، والصحابةَ مِنَ الروافضِ ؛ فلا نحكمُ بشهادتِهِم أيضاً .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٧) .
(٢) روضة الطالبين (١١/٢٤٠) .
(٣) كفاية النبيه (٤/٢٤) .

وضربٌ لا يُكفَّرونَ ولا يُفسَّقونَ ؛ ولكن يُخطَّؤونَ ، قالَ القاضي الحسينُ : كالبغاةِ ، وقالَ غيرُهُ : الذينَ اختلفوا في علمِ الشريعةِ)[1] .

ثمَّ ذكرَ لذلكَ ستةَ شروطٍ ، ثمَّ مثَّلَ الضربَ الأولَ ، ثمَّ حكىٰ بعدَ ذلكَ عنِ البَنْدَنيجيِّ ، فقالَ : (قال البَنْدَنيجيُّ : فلا تَحِلُّ مناكحةُ مَنْ ذكرْناهُم ، ولا تُؤكَلُ ذبيحتُهُم ، وحكمُهُم في هٰذا حكمُ الكفارِ ، هٰذا مذهبُ الشافعيِّ)[2] .

نقلَ الإمامُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ حسينِ بنِ الحسنِ المكيُّ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « نهايةَ المرامِ في علمِ الكلامِ » قالَ : (حكى القاضي أبو بكرٍ ـ يعني : ابنَ الباقلانيِّ ـ عن أبي الحسنِ رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ قالَ في كتابِ « النوادرِ » عندَ سؤالِهِ نفسَهُ : هل يعرفُ اللهَ تعالىٰ عبدٌ اعتقدَ أنَّهُ جسمٌ ؟ فقالَ : إنَّ هٰذا القائلَ غيرُ عارفٍ باللهِ تعالىٰ ، وإنَّهُ كافرٌ بهِ ، قالَ القاضي رحمَهُ اللهُ : وكذلكَ القولُ عندَهُ علىٰ مَنْ زعمَ أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ مخلوقٌ .

قالَ الأستاذُ أبو بكرٍ ابنُ فوركَ رضيَ اللهُ عنهُ : وليسَ لشيخِنا رحمَهُ اللهُ كلامٌ في التكفيرِ ؛ لا في إثباتِهِ ولا في نفيِهِ ، إلا أنَّا تتبَّعْنا كتبَهُ واستدلَلْنا بألفاظِهِ علىٰ أنَّ مذهبَهُ تكفيرُ مَنْ نذكرُهُ) .

وذكرَ بعدَ ذلكَ كلامَهُ في المعتزلةِ ، ثمَّ قالَ : (وقالَ في كتابِ « النوادرِ » في « بابِ المعلومِ والمجهولِ » : هل يجوزُ أنْ [يكونَ] الباريُّ تعالىٰ معلوماً مِنْ وجهٍ مجهولاً مِنْ وجهٍ آخرَ ؟ ثمَّ قالَ علىٰ طريقةِ مَنْ قالَ بتكفيرِ المتأوِّلينَ مِنْ أصحابِنا : يجوزُ مِنْ طريقِ العقلِ ، ولا يجوزُ مِنْ طريقِ الشرعِ ؛ لأنَّ إجماعَ

---

(1) وهٰؤلاء أيضاً لا تقبل شهادتهم .
(2) كفاية النبيه (١٩/ ١٣٨ـ١٤٠) .

الأمةِ علىٰ أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يكونَ الإنسانُ مؤمناً مِنْ وجهٍ كافراً مِنْ وجهٍ ، فلو قلنا : إنَّهُ يعلمُ مِنْ وجهٍ ويجهلُ مِنْ وجهٍ . . لزمَ أنْ يكونَ مؤمناً [مِنْ ذلكَ الوجهِ] كافراً بالوجهِ الذي جهلَهُ ، وذلكَ لا يجوزُ .

أمَّا الأستاذُ أبو بكرٍ ابنُ فوركَ فإنَّهُ لمَّا سُئِلَ فقيلَ لهُ : ما تقولُ في مُخالفينا في الأصولِ ؟ قالَ : أقولُ فيهِم ما يقولونَ فينا)[1] .

قالَ الإمامُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ المكيُّ : (وهـٰذا حسنٌ جدّاً ، ثمَّ قالَ الأستاذُ رحمَهُ اللهُ في « المختصرِ » : إنَّ التكفيرَ أمرٌ يتعلَّقُ بالشريعةِ ؛ فما قامَتِ الدَّلالةُ المُوجِبةُ لحكمٍ . . أعطيناهُ ذلكَ الحكمَ)[2] .

قالَ القاضي رضيَ اللهُ عنهُ : (الكفرُ خصلةٌ واحدةٌ ؛ وهوَ الجحدُ باللهِ تعالىٰ والجهلُ بهِ ، ومنهُم مَنْ جعلَ الجحدَ جهلاً ، ومنهُم مَنْ قالَ : الجحدُ يتضمَّنُ الجهلَ ، والجحدُ ضدُّ التصديقِ ـ الذي هوَ قولٌ في النفسِ ـ المتضمِّنِ علماً .

فمتىٰ علمْنا جاهلاً باللهِ تعالىٰ أو جاحداً وجودَهُ . . حكمْنا بكفرِهِ ، ومتىٰ علمْنا أنَّهُ معتقدٌ لمذهبٍ لا يصحُّ معَ مُقامِهِ عليهِ معرفةُ اللهِ تعالىٰ . . علمْنا بذلكَ أنَّهُ كافرٌ ، ومتىٰ وردَ الشرعُ بجعلِ بعضِ أفعالِ القلوبِ والجوارحِ علامةً علىٰ كفرِ مَنْ وقعَ ذلكَ منهُ . . حكمْنا بكفرِهِ ؛ لكونِ ما ظهرَ منهُ دلالةً علىٰ كفرِهِ)[3] .

* * *

---

(١) نهاية المرام (ص٣٠١ـ٣٠٢) .

(٢) نهاية المرام (ص٣٠٢) ، والعبارة فيه : (فما قامت عليه الدلالة الموجبة للعداوة تلقَّيناه بالقبول ، وما لا دليل عليه امتنعنا عنه) .

(٣) انظر « نهاية المرام » (ص٢٩٧ـ٢٩٨) .

فتوى الأئمة التي أوردها ابن عساكر فيمن كفر الأشعرية ولعنهم

ذكرَ الإمامُ الحافظُ ثقةُ اللهِ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ قالَ : وجدتُ في جزءٍ بخطِّ الثقاتِ سؤالاً يعقبُهُ ما أذكرُهُ بعدَهُ مِنَ الجواباتِ ، نقلتُهُ على نصِّهِ ونسختِهِ ؛ ليقفَ عليهِ مَنْ ينتفعُ بمعرفتِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وهوَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما قولُ السادةِ الجِلَّةِ الأئمَّةِ الفقهاءِ ـ أحسنَ اللهُ توفيقَهُم ورضيَ عنهُم ـ في قومٍ أجمعُوا علىٰ لعنِ فِرقةِ الأشعريةِ وتكفيرِهِم ؟ ما الذي يجبُ عليهِم في هٰذا القولِ ؟ يُفتونا في ذلكَ مُنعِمينَ مثابينَ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

[فتوى الإمامِ الدامَغانيِّ]

الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ كلَّ مَنْ أقدمَ علىٰ لعنِ فِرقةٍ مِنَ المسلمينَ وتكفيرِهِم . . فقدِ ابتدعَ ، وارتكبَ ما لا يجوزُ الإقدامُ عليهِ ، وعلى الناظرِ في الأمورِ ـ أعزَّ اللهُ أنصارَهُ ـ الإنكارُ عليهِ ، وتأديبُهُ بما يرتدعُ هوَ وأمثالُهُ عنِ ارتكابِ مثلِهِ .

وكتبَ : محمدُ بنُ عليٍّ الدامَغانيُّ

[فتوى الإمامِ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ]

وبعدَهُ : الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ الأشعريةَ أعيانُ أهلِ السنَّةِ ، وأنصارُ الشريعةِ ، انتصبوا للردِّ على المبتدعةِ مِنَ القدريةِ والرافضةِ وغيرِهِم ، فمَنْ طعنَ فيهِم فقد طعنَ علىٰ أهلِ السنَّةِ ، وإذا رُفِعَ أمرُ مَنْ يفعلُ ذلكَ إلى الناظرِ في أمورِ المسلمينَ . . وجبَ عليهِ تأديبُهُ بما يرتدعُ بهِ كلُّ أحدٍ .

وكتبَ : إبراهيمُ بنُ عليٍّ الفيروزاباديُّ

[فتوى الإمامِ الشاشيِّ]

وبعدَهُ : جوابي مثلُهُ .

وكتبَ : محمدُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ[1]

رحمةُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

[فتوىٰ ثانيةٌ للإمامِ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ]

وجدتُ في جزءٍ لطيفٍ قطعِ المعتزليِّ نسخةَ استفتاءٍ نسَخْتُهُ[2] ؛ وهوَ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ما تقولُ الأئمَّةُ العلماءُ ـ أحسنَ اللهُ توفيقَهُم ، وأجزلَ مِنْ كلِّ خيرٍ مزيدَهم ـ فيمَنْ يقولُ : كلامُ اللهِ تعالى القديمُ يَحُلُّ المُحدَثاتِ المخلوقاتِ ، وإنَّ الحروفَ التي ينطقُ بها المخلوقُ ، ويقطعُ عقلاً بأنَّ لها أوَّلاً وآخراً . . تَحُلُّ ذاتَ القديمِ ، وإنَّها قديمةٌ ، وإنَّ القديمَ يُمَسُّ ويُلمَسُ ، وإنَّ المُحدَثَ المخلوقَ ينقلبُ قديماً ، وإنَّ الصفةَ القديمةَ تنفصلُ عنِ القديمِ ؟ تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً !!

هل يجبُ تضليلُهُ وتفسيقُهُ وتبديعُهُ ؟ وهل يتعيَّنُ علىٰ إمامِ المسلمينَ ـ أعزَّ اللهُ أنصارَهُ وأعلىٰ شأنَهُ ـ ردعُهُ وزجرُهُ واستتابتُهُ وإبعادُهُ ، أم لا ؟

الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ هـٰذا القولَ قولُ الكفارِ والضُّلالِ ، ومَنْ قالَ هـٰذا حُكِمَ بكفرِهِ ، ويجبُ أنْ يُستتابَ ، فإنْ تابَ ، وإلا وجبَ قتلُهُ .

وكتبَ : إبراهيمُ بنُ عليٍّ الفيروزاباديُّ

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٩٩ـ٦٠٠) .

(٢) قوله : (المعتزلي) ضبطت التاء فقط في (أ) ، وفي (ب) : (المعترك) .

نسخةُ جوابِ أبي [سعدٍ] المُتولِّي : القولُ بهـٰذا كفرٌ وضلالٌ ، ومُعتقِدُ هـٰذا المذهبِ يُستتابُ ، فإنْ تابَ ، وإلا وجبَ ضربُ رقبتِهِ ، وباللهِ التوفيقُ .

وكتبَ : عبدُ الرحمـٰنِ بنُ المأمونِ النيسابوريُّ

نسخةُ جوابِ الشاشيِّ : بجنبِ جوابِ الشيخِ أبي إسحاقَ : جوابي مثلُ ذلكَ .

وكتبَهُ : محمدُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ

رحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ .

[فتوىٰ أخرىٰ مُفصَّلةٌ للإمامِ الشاشيِّ في المسألةِ]

وتلا ذلكَ بالخطِّ نسخةٌ لفتيا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما قولُ سيِّدِنا الشيخِ الأجلِّ السيدِ الإمامِ ـ أحسنَ اللهُ توفيقَهُ ـ في أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنَ الكلامِ كلامِ المخلوقينَ : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي حروفِ المعجمِ التي هيَ تسعةٌ وعشرونَ حرفاً : أهيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي إيمانِ العبادِ باللهِ تعالىٰ وبرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هل هوَ قديمٌ أم مخلوقٌ ؟

فإذا أوضحَ ذلكَ مُتفضِّلاً أنعمَ بالقولِ فيمَنْ يعتقدُ أنَّ أصواتَ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنْ كلامِ المخلوقينَ قديمةٌ ، ويعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ باللهِ تعالىٰ ، معَ اعتقادِهِ أنَّ الباريَ صورةٌ لا كالصُّورِ : ما حكمُهُ ؟ تُفتينا مُثاباً في ذلكَ مأجوراً إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وصلواتُهُ علىٰ سيِّدِنا نبيِّهِ محمدٍ وآلِهِ الطاهرينَ وسلامُهُ .

وتُنعِمُ أيضاً بالقولِ فيمَنْ يُصرِّحُ بأنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ سبحانَهُ على الحقيقةِ : ما حكمُهُ ؟ مُوفَّقاً إنْ شاءَ اللهُ .

نسخةُ جوابِ الشاشيِّ الثاني : الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ بذكرِ الحدودِ تُعرَفُ حقائقُ الأشياءِ عندَ العقلاءِ ، وحدُّ القديمِ : ما لا أولَ لوجودِهِ ، وكلُّ شيءٍ في المخلوقِ مخلوقٌ ، فيجبُ أنْ يُعرَضَ عليهِ ما وقعَ النزاعُ فيهِ ؛ فإنَّهُ يتَّضحُ بهِ الصوابُ إنْ أنصفَ نفسَهُ وتركَ الهوىٰ بمعزلٍ ، وهوَ شرطُ النظرِ المُؤدِّي إلى العلمِ ، والأصواتُ كلُّها مخلوقةٌ في القراءةِ وغيرِها ؛ لأنَّها تُوجَدُ عن عدمٍ وتُعدَمُ بعدَ الوجودِ ، ويعتريها التغيُّرُ في حالِ وجودِها ؛ فتكونُ مرَّةً مُستلَذَّةً تميلُ إليها النفسُ ، ومرَّةً قبيحةً وَحْشةً تنفرُ عنها الطباعُ ، والقديمُ لا يتغيَّرُ .

وأحسنُ أحوالِ مَنْ يدَّعي قِدَمَ الأصواتِ صورةً وهوَ أقبحُها حقيقةً : أنْ يكونَ مُقلِّداً لمُقلِّدٍ لا تمييزَ عندَهُ بينَ القديمِ والمُحدَثِ ، مُتَّبِعاً لصاحبِ هوىً يُظهِرُ لهُ خلافَ ما يُبطِنُ إنْ كانَ عندَهُ تحصيلٌ ، والتقليدُ في معرفةِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ حرامٌ ، وبهِ ذمَّ اللهُ الكفارَ لما اعتذروا في تركِهِمُ النظرَ فيما جاءَتْ بهِ الرسلُ مِنَ المعجزاتِ بقولِهِ : ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

وقولُ هٰذا القائلِ فيما يذكرُهُ شبيهٌ بقولِ السوفسطائيةِ الذينَ ينكرونَ حقائقَ الأشياءِ : إنَّ القُبْلَةَ يجوزُ أنْ تكونَ لطمةً .

وقولُهُ : (إنَّ مَنْ قالَ : « إنَّ الأصواتَ مخلوقةٌ » كافرٌ) فلولا أنَّا لا نستحسنُ أنْ نُطلِقَ علىٰ أحدٍ مِنْ أهلِ القبلةِ اسمَ الكفرِ . . لقُلْنا لهُ : يكفيكَ مِنَ المحنةِ وقلةِ الفطنةِ كفرُكَ بالتقليدِ عن تكفيرِ غيرِكَ ، والتقليدُ في فروعِ الدينِ إنَّما هوَ حُجَّةٌ في حقِّ المُقلِّدِ خاصَّةً ، لا لتخطئةِ غيرِهِ والإنكارِ عليهِ ، فكيفَ

بذلكَ فيما لا يُشرَعُ فيهِ التقليدُ مِنْ أصولِ الدينِ؟! ومَنْ كانَ هـٰذا كلامَهُ فجوابُهُ: أنْ يُقالَ لهُ ما قالَ اللهُ تعالىٰ في جوابِهِ مثلَ ذلكَ : ﴿سَلَٰمًا﴾ [الفرقان : ٦٣] .

وقولُهُ : (إنَّ إيمانَنا قديمٌ) فمِنْ جنسِ قولِهِ : (إنَّ أصواتَنا قديمةٌ) ، وذلكَ فسادُ حِسٍّ ؛ لأنَّ إيمانَنا مِنْ صفاتِنا المُكتسبةِ بأفعالِنا بعدَ وجودِنا وكمالِنا ، وصفاتُ المخلوقِ مخلوقةٌ ، كما أنَّ صفاتِ القديمِ قديمةٌ ، وقبلَ خلقِ الخلقِ لم يكنْ مِنْ جهتِهِم إيمانٌ .

فإنْ زعمَ : أنَّ إيمانَنا كانَ موجوداً قبلَ خلقِنا . . فقدِ التحقَ بالمعتزلةِ في قولِهِم : إنَّ المعدومَ شيءٌ[1] ، وحسبُهُ مِنَ الجهالةِ أنْ ينتقلَ مِنْ ضلالةٍ وهوَ لا يشعرُ إلىٰ ضلالةٍ .

والإيمانُ القديمُ هوَ إيمانُ اللهِ تعالىٰ ؛ وهوَ تصديقُهُ نفسَهُ في أنَّهُ أحدٌ صمدٌ ، لم يلدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكنْ لهُ كفواً أحدٌ ، فهوَ إيمانٌ قديمٌ لم يَزَلْ صفةً لهُ في الأزلِ ، وتستحيلُ مفارقتُهُ لهُ .

وأمَّا إثباتُ الصورةِ للهِ تعالىٰ : فتجسيمٌ محضٌ ، فكانَ ينبغي أنْ يقولَ : جسمٌ لا كالأجسامِ ، وهـٰذا يلعنُ المجسمةَ ، فكأنَّهُ يلعنُ نفسَهُ ولا يدري ، ويريدُ أنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ عزَّ وجلَّ على الحقيقةِ ، فهـٰذا ثمرةُ الجهلِ ونتيجةُ التقليدِ ومخالفةِ العقلِ ، حملَهُ ذلكَ على التجرُّؤِ على اللهِ في وصفِهِ بالمستحيلِ .

والعجبُ ممَّنْ يدَّعي التمسُّكَ بظواهرِ الألفاظِ المقتضيةِ للتجسيمِ والتشبيهِ ويمتنعُ مِنْ تأوُّلِها بالحملِ علىٰ موجبِ اللغةِ صَرْفاً لها عنِ التجسيمِ !! كيفَ يكونُ لهُ لسانٌ ينطقُ بقولِهِ : (صوتُ المخلوقِ صوتُ اللهِ تعالىٰ) لو كانَ للهِ صوتٌ علىٰ ما يُخيَّلُ إليهِ ؟!

---

(١) انظر « تحفة المريد » (ص ٣١٦) ، و« شرح العقائد النسفية » (ص ١٠٧) وما بعدها .

هـٰذا لَمَّا استعملَ عقلَهُ وأظهرَ فضلَهُ . . قالَ هـٰذا القولَ وطربَ لهُ ، وإذا سمعَ تنزيهَ الباريءِ تعالىٰ عن سماتِ المحدثاتِ ، وصفاتِ النقصِ في المخلوقاتِ . . اقشعرَّ جسمُهُ واشمأزَّ قلبُهُ ؛ ولـذلـكَ مثـالٌ فـي سـورةِ (الزمرِ)[1] .

ثمَّ العاقلُ منَّا يعلمُ أنَّ صوتَهُ ليسَ بصوتِ غيرِهِ على الحقيقةِ ، فكيفَ صارَ صوتُ المخلوقِ صوتَ القديمِ عندَهُ حقيقةً ؟! أترىٰ أيُّما أقربُ : المخلوقُ إلى القديمِ أوِ المخلوقُ إلى المخلوقِ ؟!

فإنْ قالَ : أريدُ بهِ أنَّ صوتَهُ كصوتِهِ .

قيلَ : فليسَ هـٰذا صوتَهُ على الحقيقةِ ، فرجعتَ فيما قلتَ ، ثمَّ وقعتَ في التشبيهِ ؛ فإنَّهُ إذا أشبهَ المخلوقُ القديمَ أشبهَ القديمُ المخلوقَ أيضاً ، وهوَ يلعنُ المُشبِّهةَ .

وأمَّا حروفُ المعجمِ : فمخلوقةٌ ؛ لأنَّ لها أوَّلاً وآخراً ، وما لهُ أولٌ وآخرٌ فمخلوقٌ ، وهيَ محدودةٌ معدودةٌ ، والخالقُ سبحانَهُ وتعالىٰ لا أولَ لهُ ولا آخرَ ، وصفاتُهُ كذاتِهِ لا حدَّ لهُ ، ومَنِ اعتقدَ في خالقِهِ أنَّهُ موصوفٌ بصفاتِ النقصِ في المخلوقِ . . فما عرفَهُ .

نسألُ اللهَ البصيرةَ في الدينِ ، والسلامةَ مِنْ غلبةِ الهوىٰ ، فما بقيَ أعزُّ على الإنسانِ وأضرُّ بالدينِ مِنِ استيلاءِ الهوىٰ ، سيَّما معَ الجهالةِ وانضمامِ التقليدِ إليهِ ، والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلواتُهُ علىٰ سيدِنا محمدٍ وآلِهِ .

وكتبَ : محمدُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ

---

(١) قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر : ٤٥] .

[فتوى الإمامِ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ عطاءٍ]

نسخةُ استفتاءٍ آخرَ استُفتيَ فيهِ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عطاءٍ :

بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ

ما يقولُ سيدُنا الشيخُ الإمامُ الأوحدُ الفقيهُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ، وأدامَ توفيقَهُ ، وأجزلَ مِنَ الخيراتِ حظَّه ومزيدَهُ ـ في أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنَ الكلامِ كلامِ المخلوقينَ : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي حروفِ المعجمِ التي هيَ تسعةٌ وعشرونَ حرفاً : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي إيمانِ العبادِ باللهِ تعالىٰ ورسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هل هوَ قديمٌ أم مخلوقٌ ؟

وإذا أوضحَ ذلكَ مُتفضِّلاً أنعمَ بالقولِ فيمَنْ يعتقدُ أنَّ أصواتَ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنْ كلامِ المخلوقينَ قديمةٌ ، ويعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ باللهِ تعالىٰ ، معَ اعتقادِهِ أنَّ الباريَ تعالىٰ صورةٌ لا كالصُّورِ ، ما حكمُهُ ؟

ويُنعِمُ أيضاً بالقولِ فيمَنْ يُصرِّحُ بأنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ سبحانَهُ على الحقيقةِ ، ما حكمُهُ ؟ وقد نَسَبَ ذلكَ فيما قيلَ في الحروفِ والإيمانِ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، هل لذلكَ حقيقةٌ أم لا ؟ يُنعِمُ بالجوابِ مُثاباً إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

نسخةُ جوابِ الشيخِ : مذهبُ أهلِ السنَّةِ مِنْ أئمَّةِ الدينِ : أنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ موجودٌ حيٌّ عالمٌ قادرٌ [مريدٌ] سميعٌ بصيرٌ مُتكلِّمٌ باقٍ قديمٌ واجبُ الوجودِ ، كانَ ولا شيءَ معَهُ ، وهوَ بصفاتِهِ واحدٌ ، خلقَ الخلقَ ولم يتغيَّرْ عن صفتِهِ القديمةِ ؛ إذْ لا يجوزُ عليهِ التغيُّرُ ؛ لكونِهِ قديماً .

واللهُ سبحانَـهُ وتعالىٰ خالقُ الجواهرِ والأعراضِ ، وليسَ هوَ مِنْ جنسِ الخلقِ ، وهوَ مُصوِّرٌ غيرُ مُصوَّرٍ ، مُقدِّرٌ غيرُ مُقدَّرٍ ، خالقُ الصورِ والهيئاتِ ،

لا يُوصَفُ بالصورةِ والهيئةِ ؛ لأنَّ الصورةَ مُقدَّرٌ داخلٌ في حكمِ الجائزاتِ ؛ جازَ أنْ يكونَ أكبرَ مِنْ ذلكَ ، وجازَ أنْ يكونَ أصغرَ مِنْ ذلكَ ، فإذا اختصَّ بقدرٍ معلومٍ وصورةٍ محدودةٍ . . يفتقرُ إلىٰ مُخصِّصٍ مُقدِّرٍ ، وهوَ إلحادٌ في صفةِ القديمِ .

وليسَ ذاتُهُ بجسمٍ ، ولا صفاتُهُ بجوارحَ ، وذاتُهُ واحدٌ لا ينقسمُ ، وصفاتُهُ متحدةٌ غيرُ مُتعدِّدةٍ .

وكلامُهُ سبحانَـهُ وتعالىٰ صفتُهُ قائمةٌ بذاتِهِ ، مُتكلِّمٌ ، وأصواتُ القرَّاءِ صفاتُهُم ونغماتُهُم تحدثُ فيهِم وتفنىٰ عنهُم ؛ فإنْ قرؤوا على الطهارةِ كانَتْ تلكَ القراءةُ والأصواتُ طاعةً منهُم يستحقُّونَ الثوابَ ، وإذا قرؤوا على الجنابةِ كانَتِ القراءةُ والأصواتُ منهُم معصيةً يستحقُّونَ علىٰ ذلكَ العقابَ ، وصفةُ اللهِ سبحانَـهُ ليسَتْ بطاعةٍ ولا معصيةٍ ؛ لأنَّ الطاعةَ امتثالُ أمرِ الآمرِ ، والمعصيةَ ارتكابُ نهيِ الناهي ، وليسَ للهِ سبحانَـهُ آمرٌ وناهٍ[1] ؛ لأنَّهُ هوَ الآمرُ والناهي ، فلا يُتصوَّرُ في وصفِهِ طاعةٌ ولا معصيةٌ ، وقراءةُ القراءِ بأصواتِهِم طاعةٌ في وقتٍ ، معصيةٌ في وقتٍ ، دلَّ علىٰ أنَّها صفتُهُم لا صفةُ الحقِّ سبحانَـهُ وتعالىٰ ، وأنَّ الصفةَ لا تُفارِقُ الموصوفَ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « زَيِّنُوا ٱلْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ »[2] ، أضافَ الأصواتَ إلى القُرَّاءِ ، وهٰذهِ مشاهدةٌ ، ومَنْ قالَ غيرَ هٰذا فقد جحدَ الضرورةَ وأنكرَ المشاهدةَ .

وليسَ للهِ تباركَ وتعالىٰ صوتٌ ؛ لأنَّ الصوتَ لا يخرجُ إلا مِنْ جسمينِ ،

---

(١) لعل القياس أن يقول : (ولا ناهٍ) بتكرار النفي .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٨) ، والنسائي (٢/ ١٧٩) ، والدارمي (٣٥٤٣) ، وابن حبان (٧٤٩) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما .

وليسَ للهِ تعالىٰ جسمٌ ، وكلُّ ما يُضافُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنَ الأجسامِ والحواسِّ فهوَ إضافةُ ملكٍ لا إضافةُ صفةٍ .

والحروفُ شكولٌ ورقومٌ وعلاماتٌ تخرجُ مِنْ مخارجَ لها معلومةٍ ، والمشاهدةُ تُغني عنِ الكشفِ والبيانِ ؛ فإنَّ الحروفَ مسبوقٌ بعضُها ببعضٍ ، والمسبوقُ لا يتقرَّرُ في العقولِ أنَّهُ قديمٌ ؛ فإنَّ القديمَ لا ابتداءَ لوجودِهِ ، وما مِنْ حرفٍ وصوتٍ إلا ولهُ ابتداءٌ ، وصفاتُ الباريّ جلَّ جلالُهُ قديمةٌ لا ابتداءَ [لوجودِها][1] ، ومَنْ تكلَّمَ بالحروفِ يترتَّبْ كلامُهُ ، ومَنْ ترتَّبَ كلامُهُ يشغلْهُ كلامٌ عن كلامٍ ، واللهُ تباركَ وتعالىٰ لا يشغلُهُ كلامٌ عن كلامٍ ، وهوَ سبحانَـهُ يُحاسِبُ الخلقَ يومَ القيامةِ في ساعةٍ واحدةٍ بدَفعةٍ واحدةٍ ، يُسمِعُ كلَّ واحدٍ مِنْ كلامِهِ خطابَهُ إيَّاهُ ، ولو كانَ كلامُهُ بحرفٍ ما لم يتفرَّغْ عن (يا إبراهيمُ) ، ولا يقدرُ أنْ يقولَ : (يا محمدُ) ، فيكونُ الخلقُ محبوسينَ ينتظرونَ فراغَهُ مِنْ واحدٍ ، وهـٰذا محالٌ جدّاً .

عرفْنا أنَّ كلامَهُ سبحانَهُ ليسَ بحرفٍ ؛ فإنَّ الحروفَ مخلوقةٌ مسبوقٌ بعضُها ببعضٍ .

وأمَّا الإيمانُ باللهِ تعالىٰ : صفةُ المؤمنِ لا صفةُ اللهِ تعالىٰ ، والمؤمنُ إذا كانَ مخلوقاً كيفَ يُتصوَّرُ أنْ تكونَ صفتُهُ قديمةً ؟! فالتصديقُ بالقلبِ مُحدَثٌ لم يكنْ فكانَ ، والقولُ باللسانِ مُحدَثٌ لم يكنْ فكانَ ، والعملُ بالأركانِ لم يكنْ فكانَ ، فهوَ مُحدَثٌ مخلوقٌ ، واللهُ تعالىٰ قديمٌ ، وصفاتُهُ قديمةٌ ، وصفاتُ الخلقِ مخلوقةٌ لا شكَّ فيها ولا ريبَ .

وهـٰذا قولُ الأئمَّةِ مِنْ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ مِنْ علماءِ السلفِ وعلماءِ المذاهبِ ؛ كالشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ مِنْ أصحابِ الحديثِ ، وأبي حنيفةَ

---

(١) في (أ ، ب) : (لوجوده) .

ومحمدِ بنِ الحسنِ وأبي يوسفَ وغيرِهِم مِنْ أصحابِ الرأيِ ؛ اتَّفقوا على هـٰذا ، ومَنْ عزا إلىٰ أبي حنيفةَ غيرَ ما في هـٰذا الذكرِ . . فقدِ افترىٰ علىٰ أبي حنيفةَ ، ومَنِ اعتقدَ غيرَ هـٰذا الذي ذُكِرَ وشُرِحَ . . فهوَ مُبتدِعٌ ضالٌّ يُستتابُ ، فإنْ تابَ وإلا [. . .][1] .

نصرَ اللهُ تعالى الدينَ والسنَّةَ وأهلَها .

كتبَهُ : الحسنُ بنُ عطاءٍ بخطِّهِ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ ذي الحِجَّةِ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ

[فتوىٰ مُفصَّلةٌ للإمامِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الملكِ الحاكميِّ]

وهـٰذهِ نسخةُ استفتاءٍ استُفتيَ فيها الإمامُ ركنُ الإسلامِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ الحاكميُّ[2] ؛ وهيَ :

بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ

ما يقولُ سيدُنا الشيخُ الإمامُ الأجلُّ الفقيهُ الأوحدُ ، ركنُ الإسلامِ ناصرُ السنَّةِ ـ أدامَ اللهُ علوَّهُ ، وحرسَ في دائمِ العزِّ سموَّهُ ـ في أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنَ الكلامِ كلامِ المخلوقينَ : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي إيمانِ العبادِ باللهِ وبرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هل هوَ قديمٌ أم مخلوقٌ ؟

يُفتينا في ذلكَ تطوُّلاً .

ونسألُهُ ـ لا زالَ قدوةً لأهلِ الحقِّ ـ أنْ يُوضِّحَ لنا القولَ فيمَنْ يعتقدُ أنَّ

(١) بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمتين ، وفي هامشهما : (كان الحكم مذكوراً في الأصل فكُشط ، ولم أعلم ما هو حتىٰ أكتبه ، فليكشف من نسخة أخرىٰ وليلحق) ، ولعل المحذوف : (ضربت عنقه) أو نحوه ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) وأبو الطاهر الحاكمي سبقت ترجمته في (١/ ٤٦٥ـ٤٦٦) .

أصواتَ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنْ كلامِ المخلوقينَ قديمةٌ ، ويعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ باللهِ تعالىٰ ، معَ اعتقادِهِ أنَّ الباريَ تعالىٰ صورةٌ لا كالصُّورِ ، ما حكمُهُ ؟ يتفضَّلُ بذلكَ .

والقولَ فيمَنْ يُصرِّحُ بأنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ سبحانَهُ على الحقيقةِ ، ما حكمُهُ ؟

وقد نَسَبَ ممَّا قيلَ في الحروفِ والإيمانِ إلىٰ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فهل لذلكَ حقيقةٌ أم لا ؟

يُنعِمُ في ذلكَ مُتفضِّلاً ، ويغتنمُ الأجرَ مِنَ اللهِ والثوابَ ؛ إنَّهُ جوادٌ وهَّابٌ .

نسخةُ الجوابِ لهٰذهِ الفتيا وهوَ طويلٌ لم يمكنِ اختصارُهُ ؛ لارتباطِ بعضِهِ ببعضٍ ، وها هوَ الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : المستفتي جمعَ في استفتائِهِ بينَ مسائلَ عدَّةٍ ، لو كانَ الجوابُ على حدِّ السؤالِ أورثَ ذلكَ انغلاقاً في الجوابِ ، فالأَوْلىٰ تفصيلُ ما وقعَ عنهُ السؤالُ في ترتيبِ الجوابِ عليهِ ، ومجموعُ ما وقعَ الاستفتاءُ عنهُ تسعُ مسائلَ :

[هل أصواتُ الآدميينَ حادثةٌ أو قديمةٌ ؟]

المسألةُ الأولىٰ : في أصواتِ الآدميينَ ، وأنَّها هل هيَ حادثةٌ أم لا .

وجوابُها : أنَّ الأصواتَ حادثةٌ كائنةٌ بعدَ أنْ لم تكنْ مستفتحَ الوجودِ مبتدأَ الثبوتِ ، لا اختصاصَ لأصواتِ الآدميينَ بالحدوثِ ؛ إذِ الحدوثُ حكمٌ يعمُّ جميعَ المخلوقاتِ وأصواتَ جميعِ الصائتينَ مِنَ الملائكةِ والإنسِ والجنِّ ، وكيفَ يُشَكُّ في حدوثِ هٰذهِ الأصواتِ وأوَّلُها مُتقدِّمٌ علىٰ ما بعدَها ، وما بعدَها مُتأخِّرٌ عن أوَّلِها ، والتقدُّمُ والتأخُّرُ مِنْ أعلامِ الحدوثِ ، ومعلومٌ أنَّ القديمَ لا يقبلُ الزيادةَ والنقصانَ ، والأصواتُ تارةً تكونُ منخفضةً ، ومرَّةً

تكونُ مرتفعةً ؛ إذْ أصواتُ الحيوانِ ما هيَ علىٰ حدٍّ واحدٍ ؛ يُستطابُ البعضُ منها ويُكرَهُ منها البعضُ ، والقديمُ ما يجبُ وجودُهُ علىٰ وجهٍ لا يُفرَضُ زوالُهُ وتغيُّرُهُ ، والأصواتُ لا يجبُ وجودُها ؛ إذْ ربَّما يُوجَدُ الصوتُ وربَّما لا يُوجَدُ ، يجوزُ وجودُهُ ويجوزُ عدمُهُ ، وما جازَ عدمُهُ وجازَ وجودُهُ استحالَ وصفُهُ بالقدمِ ؛ فإنَّ ما ثبتَ قدمُهُ استحالَ عدمُهُ .

هـٰذا ؛ وأصواتُ جميعِ الحيواناتِ صفاتٌ تطرأُ عليهم ، وعوارضُ تعتورُهُم نحوَ الحركاتِ والسكناتِ ، والفرحِ والسرورِ ، والغمِّ والجهلِ ، والصحةِ والمرضِ ، والإنسانُ تارةً يتحرَّكُ وتارةً يسكنُ ، ومرةً يعلمُ وأخرىٰ يجهلُ ، يكونُ في بعضِ أحوالِهِ فرحاناً ، وفي بعضِ أوقاتِهِ غضباناً ، يحيا مرةً ويموتُ أخرىٰ ، وكما لا يجوزُ أنْ تكونَ هـٰذهِ الصفاتُ قديمةً مثلَ الحركةِ والسكونِ والصحةِ والمرضِ . . لم يجزْ أنْ تكونَ الأصواتُ قديمةً ؛ فإنَّ اعتوارَ الأصواتِ كتعاورِ هـٰذهِ الصفاتِ ، ولا أحدَ يذهبُ إلىٰ قِدَمِ هـٰذهِ الأحوالِ ، وكما لا يُعتقَدُ قِدَمُها لا يُعتقَدُ قدمُ الأصواتِ ؛ فإنَّها بمثابتِها .

علىٰ أنَّ مِنَ الأصواتِ صوتَ الرعدِ ، وصوتَ الطبولِ والبوقاتِ ، وتصفيقَ الأيدي ، ولا عاقلَ يخطرُ ببالِهِ قدمُ [صوتِ] الرعدِ وصوتِ الطبلِ ، ولا فرقَ بينَ ضربِ الطبلِ ونهيقِ الحمارِ وصهيلِ الفرسِ وتغاريدِ الطيورِ ، [ولو] جازَ الذهابُ إلى اعتقادِ قدمِ صوتِ هـٰذهِ الحيواناتِ . . لجازَ الذهابُ إلى اعتقادِ قدمِ صوتِ هـٰذهِ الجماداتِ معَ اشتراكِ الكلِّ في الصوتِ ، علىٰ أنَّ الإنسانَ قد يُوجَدُ الصوتُ منهُ فيُوجَدُ ما يخالفُهُ إذا كانَ تاركاً لهُ ، ولو كانَ صوتُهُ قديماً لكانَ ما يُترَكُ بهِ الصوتُ إذا لم يكنْ صائتاً قديماً ، وذلكَ يُوجِبُ أنْ يكونَ صائتاً غيرَ صائتٍ ، فاعلاً للصوتِ غيرَ فاعلٍ لهُ في حالةٍ واحدةٍ ، وفسادُ ذلكَ ممَّا لا خفاءَ بهِ علىٰ مَنْ لهُ مُسكةٌ مِنَ العقلِ والتمييزِ .

ثمَّ ليتَ شعري !! ما يقولُ الذاهبُ إلىٰ قدمِ الصوتِ في الصائتِ ؟! يقولُ : إنَّ الصائتَ قديمٌ كما أنَّ الصوتَ قديمٌ ، أو يُثبِتُ قدمَ الصوتِ دونَ الصائتِ ويصفُ الصائتَ بالحدوثِ ؟

فإنْ ذهبَ إلىٰ قدمِ الصائتِ يلزمُهُ أنْ يقولَ : إنَّ الطيورَ والحيواناتِ والبهائمَ كلَّها قديمةٌ ، وإنَّ كلَّها موجودةٌ أزليةٌ لا أولَ لها ولا صانعَ لها ، معَ أنَّ الآباءَ تقدَّمَتْ على الأولادِ ، وهـٰذا جهلٌ لا ينتهي إليهِ عاقلٌ ، ولا غبيٌّ جاهلٌ .

فإنْ ذهبَ إلىٰ أنَّ الصائتَ وهوَ محلُّ الصوتِ حادثٌ كائنٌ عن عدمٍ . . قيلَ لهُ : الصوتُ وُجِدَ منهُ ، وإذا كانَ هوَ حادثاً وصوتُهُ بعدَهُ . . كانَ الصوتُ الموجودُ منهُ أدخلَ في الحدوثِ ؛ إذْ تأخُّرُهُ فوقَ تأخُّرِهِ ، والحادثُ هوَ الذي تأخَّرَ عنِ القديمِ الأزليِّ في الوجودِ .

علىٰ أنَّ مِنْ أصواتِ الآدميينَ ما هوَ غِناءُ المُغنِّينَ وترديدُ نغماتِهم وتكريرُ ألحانِهم علىٰ ترتيبٍ معلومٍ إذا وقعَ ذلكَ مُستطاباً ، وإذا وقعَ علىٰ خلافِهِ كانَ مكروهاً تأباهُ الطِّباعُ وتردُّهُ الأسماعُ ، ومِنْ أصواتِ الآدميينَ النِّياحةُ والبكاءُ عندَ ضيقِ الصدرِ ، ومِنْ أصواتِهم أنينُ المرضىٰ ، ومَنِ اعتقدَ قدمَ الغناءِ وإنشادِ الأبياتِ ونياحةِ النائحاتِ . . كانَ عنِ المعقولِ خارجاً ، وفي تِيهِ الجهلِ والجا .

ويُقالُ للذاهبِ إلىٰ قدمِ الأصواتِ : [الأصواتُ] التي اعتقدتَ قدمَها مِنْ فعلِ اللهِ تعالىٰ ، أو مِنْ فعلِ الصائتِ ؛ آدمياً كانَ أو غيرَهُ مِنَ الحيواناتِ ، أو فعلِ فاعلٍ لهُ ، أو هوَ موجودٌ قديمٌ مِنَ الأزلِ إلى الأبدِ ما لهُ ابتداءٌ ولا لوجودِهِ انتهاءٌ ؟

فإنْ ذهبَ إلىٰ أنَّ هـٰذهِ الأصواتَ التي نسمعُها مرةً ولا نسمعُها أخرىٰ لم

تَزَلْ موجودةً ولا تزالُ كذلكَ . . قطعَ الطمعَ عن رشدِهِ .

وإنْ ذهبَ إلىٰ أنَّها فعلُ اللهِ تعالىٰ أو فعلُ الآدميينَ . . قيلَ لهُ : الفاعلُ مِنْ ضرورتِهِ أنْ يتقدَّمَ في وجودِهِ علىٰ وجودِ فعلِهِ ، وإذا تقدَّمَ غيرُهُ عليهِ خرجَ مِنْ أنْ يكونَ قديماً ؛ إذِ القديمُ هوَ الذي يكونُ في بقاءٍ لا يسبقُهُ شيءٌ .

علىٰ أنَّهُ يُقالُ للذاهبِ إلىٰ قدمِ الصوتِ : ما الذي تريدُ بقدمِ الصوتِ ؟ تريدُ بِهِ وجودَ الصوتِ لا غيرُ ؟ إنْ كانَ أرادَ بِهِ محضَ الوجودِ كانَ معنىٰ كونِهِ قديماً هوَ أنَّهُ موجودٌ ، ولا أحدَ يذهبُ إلىٰ أنَّ الصوتَ ليسَ بموجودٍ .

وإنْ أرادَ بِهِ أنَّهُ لا أوَّلَ لوجودِهِ قيلَ لهُ : صوتُكَ هـٰذا كانَ معَ اللهِ في الأزلِ موجوداً لم يتأخَّرْ عنهُ ؟

فإنْ قالَ : بلىٰ . . تُرِكَ علىٰ جهلِهِ ؛ ليعتبرَ العقلاءُ بِهِ كيفَ مسخَهُ اللهُ تعالىٰ في عقلِهِ .

وإنْ قالَ : لم يكنْ صوتُهُ معَ اللهِ تعالىٰ موجوداً ثمَّ وُجِدَ . . قيلَ لهُ : الذي لم يكنْ موجوداً ثمَّ وُجِدَ لا يكونُ إلا حادثاً ؛ فإنَّهُ لا معنىٰ للحدوثِ إلا أنْ يكونَ تقدَّمَهُ العدمُ .

ويُعَدُّ مِنَ الأصواتِ : صريرُ البابِ وخريرُ المياهِ ، والماءُ حادثٌ ؛ إذْ أنزلَهُ اللهُ مِنَ السماءِ وقد شاهدْناهُ نزلَ مِنَ السماءِ ثمَّ جرىٰ ، وهوَ في جريانِهِ يخرُّ ، والبابُ كمثلِ [ذا] إذا اتُّخِذَ مِنْ خشبةٍ مقطوعةٍ مِنْ شجرةٍ غرسْناها فنبتَتْ .

وإذا استحالَ بما ذكرْناهُ قدمُ خريرِ الماءِ وصريرِ البابِ . . استحالَ قدمُ الأصواتِ ؛ فإنَّ الحيواناتِ يُوجَدُ صوتُهُم مرةً ولا يُوجَدُ أخرىٰ ، وخريرُ الماءِ يلازمُهُ كيفَ سالَ وجرىٰ .

وبعدُ : يُقالُ للذاهبِ إلىٰ قدمِ الأصواتِ : ما تقولُ في نفخةِ الصورِ

والصيحةِ التي تكونُ عندَها : أهيَ قديمةٌ أو حادثةٌ ؟

فإنْ قالَ : إنَّها قديمةٌ . . بانَ جهلُهُ ؛ لأنَّ النفخةَ في الصورِ لم تتَّفقْ بعدُ ، لـٰكنَّهُ معدومٌ مُحقَّقٌ .

وإنْ قالَ : إنَّها حادثةٌ . . قيلَ : كانَتْ تلكَ الصيحةُ حادثةً [وصياحُ] الناسِ وزعقاتُهُم قديمةً ؟![1] .

فإنْ قالَ : تلكَ الصيحةُ لم تُوجَدْ بعدُ ، فلا يمكنُ وصفُها بالقدمِ والحدوثِ ، ولـٰكنْ إذا وُجِدَتْ تُوجَدُ قديمةً . . قيلَ : هـٰذا هوَ النهايةُ في الجهلِ ؛ كيفَ يُوجَدُ الشيءُ قديماً والقديمُ ما لا أولَ لهُ والحادثُ ما لهُ أولٌ ؟! والشيءُ الواحدُ كيفَ يُعقَلُ علىٰ وصفٍ لهُ أولٌ في حالٍ ولا أولَ لهُ ؟! وهـٰذا عينُ السفسطةِ التي لا يقولُها عاقلٌ .

وحرامٌ علىٰ مَنْ يظنُّ بنا أنَّا نقصدُ بإيرادِ هـٰذهِ الكلماتِ إقامةَ الدليلِ علىٰ حدوثِ الأصواتِ ؛ إذِ العلمُ بحدوثِها يقعُ ضرورةً ، لـٰكنَّا أوردْناها تنبيهاً للجهَّالِ .

[هل صوتُ الآدميِّ في القراءةِ حادثٌ أو لا ؟]

المسألةُ الثانيةُ هيَ : أنَّ صوتَ الآدميِّ هل هوَ حادثٌ في القراءةِ أم لا ؟

وجوابُها وباللهِ التوفيقُ : أنَّ صوتَ الآدميِّ حادثٌ علىٰ كلِّ حالٍ ؛ إذْ صوتُهُ صفتُهُ ، والآدميُّ موصوفٌ بهِ ، وإذا كانَ الموصوفُ حادثاً كانَتِ الصفةُ حادثةً .

وكيفَ لا يكونُ صوتُهُ حادثاً وقد وُجِدَ بعدَ أنْ لم يكنْ ، وسُمِعَ ذلكَ بعدَ أنْ لم يُسمَعْ ؟! ولو جازَ أنْ يكونَ صوتُهُ قديماً وهوَ فعلُهُ . . جازَ أنْ تكونَ جميعُ أفعالِهِ قديمةً ؛ نحوَ قيامِهِ وقعودِهِ ، وحركتِهِ وسكونِهِ ، وذهابِهِ ورجوعِهِ

---

(١) في (أ ، ب) : (أو صياح) بدل (وصياح) .

وإيابِهِ ، وإذا استحالَ ذلكَ أنْ يكونَ قديماً استحالَ أنْ يكونَ صوتُهُ قديماً .

وأمَّا قراءتُهُ التي هيَ فعلُهُ : فحادثٌ ، وهيَ التي يُؤمَرُ بها مرةً ويُنهىٰ عنها أخرىٰ ، يُثابُ عليها ويُعاقَبُ علىٰ تركِها ، والقراءةُ عبادةٌ في بعضِ الأوقاتِ إذا كانَ القارئُ طاهراً ، ومعصيةٌ إذا كانَ جنباً ، والذي يُؤمَرُ بهِ ويُنهىٰ عنهُ حادثٌ ؛ إذِ المقصودُ بالأمرِ التحصيلُ ، والمقصودُ بالنهيِ التركُ ، والقديمُ لا يُوجَدُ ولا يُحصَّلُ ، ولا يمكنُ تركُهُ .

أمَّا القرآنُ الذي هوَ كلامُ اللهِ القديمُ : فلا يتَّصفُ بالحدوثِ ؛ إذْ هوَ صفةٌ مِنْ صفاتِ اللهِ تعالىٰ ؛ نحوَ علمِهِ وقدرتِهِ وإرادتِهِ وسمعِهِ وبصرِهِ وهٰذهِ الصفاتِ الأزليةِ ؛ إذ هيَ صفاتُ اللهِ ، وذاتُ اللهِ قديمةٌ ، وصفاتُهُ كذاتِهِ في القدمِ والأزليةِ .

وكيفَ يجوزُ أنْ تكونَ القراءةُ قديمةً ، والقراءةُ قد تكونُ جيدةً قويمةً ، وقد تكونُ ملحونةً سقيمةً ؟! ولا لحنَ في كلامِ اللهِ ولا خطأَ ، إنَّما اللحنُ والخطأُ في قراءةِ القراءِ ، تعالىٰ كلامُ اللهِ عن أنْ يُوصَفَ باللحنِ والاعوجاجِ والانحرافِ .

ولا يجوزُ أنْ يُعتقَدَ أنَّ كلامَ اللهِ قراءةُ الآدميِّ ، وقراءةُ الآدميِّ قد تقعُ بسرعةٍ وينقطعُ صوتُهُ ، وكلامُ اللهِ الأزليُّ باقٍ قبلَ وجودِ القراءِ ، وبعدَ تركِهِمُ القراءةَ وطريانِ الموتِ عليهِم ، تعالى اللهُ وتعالىٰ كلامُ اللهِ عن قولِ الظالمينَ علوّاً كبيراً .

ولقد تُوصَفُ القراءةُ بأوصافٍ لا يجوزُ وصفُ كلامِ اللهِ تعالىٰ بها ؛ فيُقالُ : قراءةُ فلانٍ قراءةٌ طيبةٌ ، وقراءةُ فلانٍ قراءةٌ كريهةٌ مستبشعةٌ ، والاستطابةُ والاستبشاعُ إنَّما يقعُ في قولِ الآدميينَ لا في كلامِ اللهِ تعالىٰ .

علىٰ أنَّ الناسَ لو تركوا قراءةَ القرآنِ إمَّا بموتٍ أو نسيانٍ أو غفلةٍ عامَّةٍ . . لم

يخلُ : إمَّا أنْ كانَ للهِ كلامٌ أو لم يكنْ لهُ كلامٌ .

فإنْ لم يكنْ لهُ كلامٌ كانَ محالاً ؛ إذِ الربُّ لم يَزَلْ مُتكلِّماً ولا يزالُ كذلكَ ، وُجِدَ الخلقُ أو لم يُوجَدوا .

وإنْ كانَ للهِ كلامٌ عُلِمَ أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ قراءةِ القارئِ ؛ إذِ القراءةُ تفنىٰ وتُعدَمُ ، وكلامُ اللهِ يستحيلُ عدمُهُ ، ويمتنعُ فناؤُهُ .

علىٰ أنَّ القارئَ كما يقرأُ القرآنَ يذكرُ الذاكرُ الربَّ سبحانَـهُ وتعالىٰ ، والربُّ تعالىٰ وعزَّ ذكرُهُ غيرُ ذكرِهِ ، بلِ الذكرُ صفةُ الذاكرِ ، فكذا القراءةُ صفةُ القارئِ ، والقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، لا أوَّلَ لوجودِهِ ؛ إذ هوَ موجودٌ أزلاً وأبداً ، وقراءةُ القارئِ حدثَتْ بعدَ أنْ لم تكنْ ، كما حدثَ القارئُ بعدَ أنْ لم يكنْ ، وقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَضْلُ كَلامِ ٱللهِ عَلَىٰ كَلامِ خَلْقِهِ كَفَضْلِ ذَاتِ ٱللهِ عَلَىٰ ذَاتِ خَلْقِهِ »[1] ، ثمَّ ذاتُ القديمِ قديمةٌ ، وذاتُ غيرِهِ حادثةٌ ، وكذا كلامُهُ يكونُ قديماً ، وكلامُ غيرِهِ يكونُ مخلوقاً .

[هلِ الكلامُ مخلوقٌ أم لا ؟]

المسألةُ الثالثةُ : هيَ أنَّ الكلامَ هل هوَ مخلوقٌ أم لا ؟

وجوابُها واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ : أنَّ الكلامَ قديمٌ وحادثٌ ، فالكلامُ القديمُ كلامُ اللهِ تعالىٰ ، والكلامُ الحادثُ كلامُ الخلقِ ، فكلامُ اللهِ قديمٌ غيرُ مخلوقٍ ، وكلامُ الخلقِ مُحدَثٌ مسبوقٌ ؛ إذْ كلامُ الخلقِ صفتُهُم ، وإذا كانَ الخلقُ حادثاً كانَتْ أوصافُهُ حادثةً .

هٰذا ؛ والعبدُ تارةً يتكلَّمُ بلسانِهِ وأخرىٰ يتكلَّمُ بقلبِهِ ، وعلى الكلامِ القلبيِّ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) ، والدارمي (٣٣٩٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

دلَّ قولُهُ : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك : ١٣] ، وقولُهُ : ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة : ٨] ، وهـٰذا النوعُ مِنَ الكلامِ لم يُنكِرْهُ أربابُ اللسانِ وهمُ العربُ ، وعليهِ دلَّ قولُ الأخطلِ(١) : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْكَـلامَ لَفِـي ٱلْفُـؤَادِ وَإِنَّمَـا   جُعِلَ ٱللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلا

وكلامُ العبدِ النفسيُّ واللسانيُّ حادثٌ ؛ إذْ كلامُهُ النفسيُّ : قولُهُ السِّرِّيُّ [ومحلُّهُ] قلبُهُ ، وقلبُ الآدميِّ بعضٌ مِنْ أبعاضِهِ ، وإذا كانَ الآدميُّ مُحدَثَ الجملةِ كانَ حادثَ التفصيلِ ، ومتىٰ كانَ قلبُ الآدميِّ حادثاً كانَ فعلُهُ في قلبِهِ حادثاً ، كما يكونُ فعلُهُ في جوارحِهِ الظاهرةِ حادثاً .

وأمَّا كلامُهُ باللسانِ : فحادثٌ ؛ إذْ هوَ حروفٌ وأصواتٌ وترديداتٌ ونغماتٌ ، والحروفُ حادثةٌ ؛ إذْ يتقدَّمُ البعضُ منها على البعضِ ، ويتأخَّرُ البعضُ عنِ البعضِ ، ولو لم تكنِ الحروفُ حادثةً لكانَتِ اللغاتُ كلُّها قديمةً ؛ لغةُ العربِ ، ولغةُ التركِ ، ولغةُ العجمِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ اللغاتِ ؛ فإنَّ جميعَها مُتركِّبٌ مِنَ الحروفِ والأصواتِ ، وإذا كانَتِ اللغاتُ كلُّها [قديمةً] وكانَ كلامُ الخلقِ مُتركِّباً منها قديماً . . كانَ كلامُ الخلقِ مِثْلاً لكلامِ اللهِ تعالىٰ في القِدَمِ ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ هوَ القديمُ ، ويدُلُّ كلامُ الخلقِ علىٰ ما دلَّ عليهِ الحديثُ الذي رويناهُ(٢) .

وكيفَ يُعتقَدُ قدمُ الحروفِ التي هيَ أصواتٌ ، والأصواتُ علىٰ ضربينِ : أصواتٍ مُغفلةٍ ، وأصواتٍ مُقطَّعةٍ ؟!

الأصواتُ المُغفلةُ : حادثةٌ ؛ نحوُ أصواتِ البهائمِ وسائرِ الحيواناتِ على اختلافِ أصنافِها وتباينِ أوصافِها .

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٥٤) .

(٢) انظر (٢/ ٤٤٩) .

والأصواتُ المقطَّعةُ : مثلُ الأصواتِ المغفلةِ إلا أنَّها مقطَّعةٌ تقطيعاً مخصوصاً ، وتقطُّعُها كذلكَ لا يُوجِبُ قدمَها ، وبعضُ هـٰذهِ الحروفِ وُجِدَتْ بعدَ أنْ لم تُوجَدْ ؛ فإنَّها سُمِعَتْ مِنَ الآدميِّ بعدَ أنْ لم تكنْ مسموعةً ، والموجودُ بعدَ العدمِ لا بدَّ وأنْ يكونَ حادثاً .

علىٰ أنَّ هـٰذهِ الحروفَ لها مخارجُ مخصوصةٌ ، وهيَ منقسمةٌ إلىٰ حلقيةٍ وإلىٰ شفهيةٍ ، وذلكَ يُحيلُ قدمَها ؛ فإنَّها فيها أحرفُ الغيرِ المعادةِ ؛ أيِ : النطقُ بهِ لا يُوجدُ إلا عندَ تحرُّكِ اللهواتِ والحلقِ والشفةِ ، وما لا يكونُ وجودُهُ إلا عندَ وجودِهِ صفةً ثابتةً للآدميِّ والآدميُّ حادثٌ . . كيفَ يكونُ قديماً ؟! وعلىٰ أيِّ وجهٍ يُعتقَدُ قدمُهُ ؟! لولا كثرةُ الجهلِ وقلةُ التأمُّلِ والتحصيلِ ، نسألُ اللهَ تعالى التثبتَ علىٰ سواءِ السبيلِ .

وقد يُوجَدُ مِنَ الواحدِ ألفاتٌ ولاماتٌ المئةُ وأكثرُ منها ، وهـٰذهِ الألفاتُ واللاماتُ بينَ أنْ تكونَ حادثةً وبينَ أنْ تكونَ قديمةً ، فإنْ كانَتْ حادثةً فهوَ الحقُّ الذي ندعوكَ إليهِ ، وإنْ كانَتْ قديمةً فمِنْ شأنِ القديمِ ألا يُعدَمَ ؛ إذْ يستحيلُ عدمُهُ ، والواحدُ مِنْ هـٰذهِ الألفاتِ واللاماتِ لا يُوجَدُ إلا بعدَ عدمِ ما قبلَهُ ؛ إذْ لو كانَ الخلقُ يمكنُهُم أنْ يجمعوا بينَ ألفينِ ولامينِ تُسمَعُ منهُما في النطقِ على التعددِ كما تُسمَعُ عندَ الاتِّحادِ . . لم يقدروا عليهِ .

وإذا ثبتَ عدمُ هـٰذهِ الحروفِ ليوجدَ أمثالُها . . عُلِمَ أنَّها حادثةٌ ؛ إذْ هيَ منقسمةٌ إلىٰ ماضٍ وإلىٰ مستقبلٍ ؛ الماضي منها : يدُلُّ علىٰ حدوثِهِ مضيُّهُ وانعدامُهُ[1] ، والمستقبلُ منها : يدُلُّ علىٰ حدوثِهِ إتيانُها واستقبالُها ، وبعضُ الحروفِ التي يُركَّبُ منهُ قذفُ الآدميينَ وسبُّهُم للهِ ورسولِهِ ـ أعني : الكفارَ منهم ـ . . لم يخلُ : إمَّا أنْ كانَتْ قديمةً ، وإمَّا أنْ كانَتْ حادثةً .

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب والأولىٰ : (مضيُّها وانعدامها) .

فإنْ كانَتْ حادثةً كانَتِ الحروفُ التي تُركِّبُ السبَّ أوِ الدعاءَ ، والتمجيدَ أوِ التعظيمَ . . حادثةً ؛ فإنَّ الحروفَ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ ، ولها عددٌ محصورٌ لا يُزادُ عليهِ ولا ينقصُ .

وإنْ كانَتْ قديمةً [فمحالٌ] لشيئينِ :

أحدُهُما : أنَّ هاذهِ الحروفَ لا تصوُّرَ لها دونَ تركيبِ اللسانِ والمخارجِ المعلومةِ ، ولا وجودَ لهاذهِ المخارجِ في الأزلِ .

الثاني : هوَ أنَّ هاذهِ الحروفَ إذا كانَتْ قديمةً وكلامُ الآدميِّ لا يُدخِلُ عليها مِنَ السبِّ والثناءِ . . كانَ الواجبُ ألا يُثابَ عليها ولا يُعاقَبَ عليها ؛ إذِ الإنسانُ إنَّما يُثابُ على فعلِهِ المندوبِ إليهِ ، وإنَّما يُعاقَبُ على فعلِهِ المحظورِ ، والقديمُ لا يقبلُ الحظرَ والندبَ ؛ إذِ الغرضُ منهُما التركُ والفعلُ ، والموجودُ الأزليُّ لا وجودَ لهُ عن أوَّلٍ فلا لهُ مَدىً وعدمٌ[1] .

على أنَّ هاذهِ الحروفَ لو كانَتْ قديمةً . . لم تخلُ : إمَّا أنْ كانَ لها محلٌّ ، أو لا يكونَ لها محلٌّ .

إنْ لم يكنْ لها محلٌّ فمحالٌ ؛ إذْ هيَ أعراضٌ وصفاتٌ ، والصفاتُ لا وجودَ لها دونَ موصوفاتِها ، وكذلكَ اللسانُ وجودُ حركتِهِ لا يُدرىٰ فيها مدركٌ .

وإنْ كانَ لها محلٌّ لم يخلُ محلُّها : إمَّا أنْ كانَ جماداً ، أو كانَ حيّاً ، وأيُّ الأمرينِ فُرِضَ فمحالٌ ؛ إذْ جواهرُ العوالمِ كلِّها حادثةٌ الأحياءُ منهُم والجماداتُ ، ومتى استحالَ قدمُ محلِّها وثبتَ أنَّها لم تُوجَدْ إلا في مَحالَّ . . عُرِفَ بهِ نفيُ قدمِها وثبوتُ حدوثِها .

---

(١) يحتمل في (أ) : (مدرك) بدل (مدىً) .

وهٰذا الذي جئنا بهِ مِنَ التفسيراتِ لن نقصدَ بها إلا التنبيهَ ، وإلا فحدوثُ الحروفِ معلومةٌ على القطعِ والاضطرارِ ، مِنْ غيرِ نَظَرٍ واعتبارٍ .

[هل إيمانُ العبادِ باللهِ ورسولِهِ قديمٌ أو حادثٌ ؟]

المسألةُ الرابعةُ : أنَّ إيمانَ العبادِ باللهِ ورسولِهِ قديمٌ أو حادثٌ ؟

وجوابُها وما توفيقي إلا باللهِ : أنَّ إيمانَ العبادِ مُحدَثٌ مخلوقٌ ؛ إذِ الإيمانُ صفةٌ مِنْ صفاتِ العبدِ وطاعةٌ مِنْ طاعاتِهِ ، وطاعاتُ العبدِ مخلوقةٌ ، وكيفَ لا يكونُ إيمانُهُ مخلوقاً وإيمانُهُ إمَّا أنْ يكونَ عبارةً عنِ العلمِ باللهِ وصفاتِهِ الواجبةِ والجائزةِ والمستحيلةِ ، أو يكونَ عبارةً عنِ التصديقِ ، أو يكونَ عبارةً عن كلمتَي الشهادةِ ، أو يكونَ عبارةً عن صلاتِهِ وجميعِ طاعاتِهِ ؟!

وما مِنْ قسمٍ مِنْ هٰذهِ الأقسامِ إلا وذهبَ إليهِ ذاهبونَ ، وفي القرآنِ ما يدلُّ علىٰ ذلكَ ؛ إذْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، وذلكَ أمرٌ بالإيمانِ ؛ إذِ العلمُ باللهِ واجبٌ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] ؛ أي : بمُصدِّقٍ لنا ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؛ أرادَ بهِ : الصلاةَ التي أدَّوها إلىٰ بيتِ المقدسِ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بُنِيَ ٱلإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَإِقَامِ ٱلصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ ٱلْبَيْتِ »[١] ، جعلَ كلمتَي الشهادةِ مِنَ الإسلامِ .

وقالَ في حديثٍ : « أَجْزَاءُ ٱلإِيمَانِ سِتَّةٌ وَسَبْعُونَ بَاباً ، أَعْلاهُ كَلِمَةُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، وَأَدْنَاهُ إِمَاطَةُ ٱلأَذَىٰ عَنِ ٱلطَّرِيقِ »[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦/٢١) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٤) ، وابن حبان (١٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، =

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ »[1] .

وإذا لم يُرَدَّ الإيمانُ [إلا] علىٰ هـٰذهِ الأقسام وجبَ حدوثُهُ[2] ؛ فإنَّ العلمَ والتصديقَ بالقلبِ أوِ اللسانِ ، أو كلمةَ الشهادةِ أوِ الصومَ والصلاةَ . . كلُّ ذلكَ فعلٌ حادثٌ بعدَ أنْ لم يكنْ ، وكيفَ لا يكونُ حادثاً والعبدُ مأمورٌ بالإيمانِ وأنْ يكتسبَهُ ؟! وإذا كانَ مأموراً بهِ لم يجزْ أنْ يكونَ مأموراً بفعلِ ما هوَ قديمٌ وتقدَّمَ عليهِ في الوجودِ ؛ إذِ الفاعلُ للفعلِ والمُكتسِبُ لهُ في الوجودِ لا بدَّ وأنْ يتقدَّمَ عليهِ حتىٰ يصحَّ أنْ يُضافَ إليهِ في جهةِ الفعليةِ والاكتسابِ .

هـٰذا قولُنا في إيمانِ العبادِ باللهِ ورسولِهِ ، بل إنَّها مِنَ اللهِ تعالىٰ بمعنى التصديقِ القوليِّ لا يكونُ حادثاً ؛ إذْ تصديقُ اللهِ تعالىٰ كلامُهُ ، وكلامُ اللهِ قديمٌ لا حدوثَ لهُ .

فإذا سألَ السائلُ مطلقاً وقالَ : الإيمانُ قديمٌ أو حادثٌ ؟ **لا يُجابُ عنهُ ولا يُقالُ** : إنَّهُ حادثٌ ، ومَنْ قالَ : إنَّهُ قديمٌ يكونُ قد أخطأَ ، وكذا مَنْ قالَ : إنَّهُ حادثٌ ، هـٰكذا قالَ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ .

الواجبُ أنْ نُفصِّلَ ونقولَ : الإيمانُ الذي سألتَ عنهُ : أردتَ بهِ إيمانَ اللهِ أو إيمانَ الخلقِ ؟ **إنْ أردتَ بهِ إيمانَ اللهِ تعالىٰ وتصديقَهُ** فذلكَ قديمٌ أزليٌّ ؛ لعودِهِ إلىٰ كلامِهِ ، وكلامُ اللهِ علىٰ ما بيَّنَّاهُ أزليٌّ .

وإنْ أردتَ بهِ إيمانَ العبدِ فإيمانُهُ بهِ مخلوقٌ موجودٌ بعدَ أنْ لم يكنْ .

= وبنحوه في « صحيح مسلم » (٣٥/٥٨) .

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق .

[ما حكمُ مَنْ يعتقدُ قِدَمَ أصواتِ الآدميينَ والقراءةِ ؟]

المسألةُ الخامسةُ : السؤالُ عن حالِ مَنْ يعتقدُ قِدَمَ أصواتِ الآدميينَ والقراءةِ .

وجوابُها : أنَّ مَنِ اعتقدَ قدمَ أصواتِ الآدميينَ بينَ أمرينِ : أنْ يعتقدَ قدمَ كلِّ صوتٍ مِنَ الآدميِّ ؛ كانَ ذلكَ كلاماً أو لم يكنْ كلاماً ، وبينَ أنْ يعتقدَ قدمَ الصوتِ الذي هوَ كلامُهُ .

فإنِ اعتقدَ قدمَ كلِّ صوتٍ يُوجَدُ مِنَ الآدميِّ . . فالاعتقادُ هـٰذا باطلٌ لا استرابةَ فيهِ ؛ إذِ الآدميُّ يخرجُ منهُ أصواتٌ مختلفةٌ ؛ نحوُ ما يُوجَدُ مِنَ التصفيرِ عندَ الحركاتِ المخصوصةِ ، وما يُسمَعُ مِنَ الآدميِّ مِنَ الأصواتِ المرتفعةِ والمنخفضةِ في المحالِّ المتباينةِ والمخارجِ المتباينةِ .

ومَنِ اعتقدَ قدمَ هـٰذهِ الأصواتِ وزعمَ أنَّهُ لا أوّلَ لوجودِها وأنَّها أزليةٌ . . فهـٰذا عنادٌ يُعلَمُ كذبُهُ فيهِ .

ويستحيلُ أنْ يكونَ للإنسانِ اعتقادٌ في الباطنِ هـٰذا وصفُهُ ؛ إذْ هـٰذا الذي يُخبِرُ عن نفسِهِ بهـٰذا الاعتقادِ بينَ أنْ يكونَ مُكلَّفاً عاقلاً ، وبينَ أنْ يكونَ مجنوناً مُختبِلَ العقلِ .

فإنْ كانَ عاقلاً مُكلَّفاً فالعاقلُ المُكلَّفُ لو أرادَ أنْ يُكلِّفَ نفسَهُ هـٰذا الاعتقادَ لا تطاوعُهُ نفسُهُ وكانَ ذلكَ منهُ تكليفَ شططٍ ؛ مثالَ أنْ يُكلِّفَ نفسَهُ ليعتقدَ كونَ الليلِ نهاراً ، والضياءِ ظلمةً ، والاثنينِ واحداً ، والواحدِ اثنينِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ إنكارِ المُشاهَداتِ ، ورفعِ الحقائقِ والمعقولاتِ ، ومَنْ أخبرَ عن نفسِهِ باعتقادِ هـٰذهِ الجملةِ وهوَ ممَّنْ تظهرُ منهُ أماراتُ العقلِ . . عُدَّ كاذباً مُستهزِئاً ؛ إمَّا بنفسِهِ أو غيرِهِ .

وإنْ كانَ مجنوناً فالمجنونُ لا يتأتَّىٰ منهُ فعلُ هـٰذا الاعتقادِ ؛ إذِ الاعتقادُ في أصلِهِ ربطُ العقلِ بمُعتقَدٍ مخصوصٍ علىٰ وصفٍ خاصٍّ ، ولا يتأتَّىٰ ذلكَ إلا بتكليفٍ يكونُ مِنَ المُعتقِدِ ، والمجنونُ ما هوَ أهلٌ بهـٰذا التكليفِ والجِبِلَّةِ .

وإذا كانَ كذلكَ بانَ بهِ أنَّهُ لا تصوُّرَ لهـٰذا الاعتقادِ وجوداً في النفسِ ، وأنَّ المخبرَ عنهُ كاذبٌ ، وإذا ثبتَ أنَّهُ كاذبٌ [كانَ] حكمُهُ حكمَ مَنْ يكابرُ المحسوسَ ؛ يُعمَلُ معَهُ مثلُ ما يُعمَلُ معَ مَنْ ينكرُ المحسوسَ ؛ يُمنَعُ مِنَ الدعاءِ إليهِ بالحبسِ والضربِ والتأديبِ إذا كانَ ذلكَ يُورِثُ فساداً في الرعيَّةِ ، وإنْ لم يقبلِ الناسُ قولَهُ كانَ حكمُهُ حكمَ عابثٍ أو أحمقَ لا يُؤبَهُ لهُ .

هـٰذا أنْ لو كانَ يعتقدُ قدمَ الأصواتِ الصادرةِ مِنَ الآدميينَ مِنْ غيرِ تفصيلٍ ، وإنِ اعتقدَ فيما أخبرَ قدمَ أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ . . نُبيِّنْ لهُ بالبينةِ والدليلِ الذي ذكرْناهُ أنَّ أصواتَ الآدميِّ في القراءةِ فعلُهُ ، وفعلَ الآدميِّ وغيرِ الآدميِّ مِنَ الفاعلينَ لا يكونُ قديماً ، فإنْ رجعَ عنهُ بعدَ الاستتابةِ منهُ فذاكَ ، وإنْ لم يرجعْ حُمِلَ على الرجوعِ عنهُ قهراً ، وأُدِّبَ بما يعتبرُ بهِ غيرُهُ .

ولو قالَ : أنا أعلمُ وأعتقدُ أنَّ القراءةَ فعلُ الآدميِّ ، وأنَّ الصوتَ صفةُ القارئِ ، إلا أنِّي لا أقولُ : صوتُ القارئِ حادثٌ ؛ خوفاً مِنْ أنْ يُعتقَدَ حدوثُ كلامِ اللهِ تعالىٰ .

قيلَ لهُ : إذا قلتَ : صوتُ القارئِ الذي هوَ فعلُهُ ويُسمَعُ منهُ مِنَ الترديداتِ حادثٌ . . لا يُفهَمُ منهُ حدوثُ كلامِ اللهِ ولا إيهامَ فيهِ ، وإنَّما الإيهامُ فيما أطلقتَ ؛ إذْ يُعتقَدُ منهُ ذهابُكَ إلىٰ قدمِ الأصواتِ التي للصائتينَ صفاتٌ ، وعلىٰ هـٰذا يسهلُ أمرُهُ ، ويُؤخَّرُ عنِ المذهبِ الذي يتعاطاهُ قهراً .

[ما حكمُ مَنْ يُكفِّرُ معتقدَ حدوثِ الحروفِ والأصواتِ ؟]

المسألةُ السادسةُ : السؤالُ عن حالِهِ في تكفيرِهِ مَنْ صارَ إلىٰ حدوثِ الحروفِ والأصواتِ .

وجوابُها والنصرُ مِنَ اللهِ : أنَّ الحروفَ والأصواتَ علىٰ ما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ حادثةٌ ، هـٰذا مذهبُ العقلاءِ كلِّهِم ، والصائرُ إلىٰ تكفيرِ المسلمينَ يكفرُ إنْ كانَ مِنْ أهلِ التكليفِ .

هـٰذا ؛ ومُعتقِدُ قدمِ الحروفِ والأصواتِ ليسَ ممَّنْ يُعَدُّ مِنَ العقلاءِ ، وأحكامُ أفعالِ العقلاءِ هيَ التي تُتَّبَعُ ويُنظَرُ فيها ، فأمَّا مَنْ كانَ في عقلِهِ خبلٌ لا يُنظَرُ إلىٰ أقوالِهِ ولا أفعالِهِ ، وهوَ مُلحَقٌ بالبهائمِ والمجانينِ .

[ما حكمُ مَنْ يعتقدُ أنَّ اللهَ تعالىٰ لهُ صورةٌ لا كالصُّوَرِ ؟]

المسألةُ السابعةُ : السؤالُ عن حالِ مَنِ اعتقدَ أنَّ القديمَ لهُ صورةٌ لا كالصُّوَرِ .

وجوابُها وما التوفيقُ إلا باللهِ تعالىٰ : أنَّ الصورةَ عبارةٌ عنِ الهيئةِ والتركيبِ ، والاجتماعِ علىٰ ضربٍ مِنَ التأليفِ والترتيبِ ، وذلكَ محالٌ على اللهِ تعالىٰ ؛ إذِ المُصوَّرُ مُقدَّرٌ ، والمُقدَّرُ مخلوقٌ ، والربُّ مُقدِّرٌ لا مُقدَّرٌ ، مُصوِّرٌ لا مُصوَّرٌ ؛ ولذلكَ وصفَ اللهُ نفسَهُ بكونِهِ مُصوِّراً كما وصفَ نفسَهُ بكونِهِ خالقاً في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر : ٢٤] ، وصفَ نفسَهُ بكونِهِ خالقاً ومُصوِّراً ، ولمَّا كانَ خالقاً لم يكنْ مخلوقاً ، وإذا كانَ مُصوِّراً لم يكنْ مُصوَّراً .

وليسَ لقائلٍ أنْ يقولَ : أنا أُسمِّي اللهَ تعالىٰ صورةً وإنْ لم أعتقدِ التركيبَ والتأليفَ والاجتماعَ والانضمامَ ؛ إذْ أسامي اللهِ تعالىٰ تُؤخَذُ توقيفاً ،

ولا توقيفَ يدلُّ على أنَّهُ تعالىٰ يُسمَّىٰ بهـٰذا الاسمِ ، وقولُ مَنْ قالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُصوَّرٌ وأنَّ لهُ صورةً لا كالصورِ . . بمثابةِ قولِ مَنْ يقولُ : إنَّ اللهَ تعالىٰ جسمٌ لا كالأجسامِ ، وجوهرٌ لا كالجواهرِ ، وعرضٌ لا كالأعراضِ ، وحيوانٌ لا كالحيواناتِ ، وإنسانٌ لا كالناسِ ، وزيدٌ لا كالزيدينَ ، وذلكَ باطلٌ بالاتِّفاقِ .

فإذا استحالَ أنْ يكونَ الربُّ جسماً وجوهراً وعرضاً ومُتألِّفاً ومُتركِّباً . . استحالَ أنْ يكونَ مُصوَّراً .

ويُقالُ لمَنْ زعمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ صورةٌ لا كالصورِ : ما الذي أردتَ بهـٰذهِ الصورةِ ؟ إنْ أردتَ بها ما يُفهَمُ مِنَ الصورةِ ؛ مثلُ التأليفِ والتركيبِ . . فذلكَ على اللهِ تعالىٰ محالٌ ، ومُعتقِدُهُ في اللهِ تعالىٰ جلَّ جلالُهُ مُشبِّهٌ ضالٌّ مُبتدِعٌ ، وفي تكفيرِهِ للعلماءِ كلامٌ .

وإنْ أردتَ بها معنىً لا يُفهَمُ منها فبيِّنْ ذلكَ المعنىٰ ؛ فإنْ بيَّنَ نُظِرَ فيهِ : إنْ كانَ اللهُ جائزَ الوصفِ بهِ صُوِّبَ في المعنىٰ ويُخطَّأُ في اللفظِ ، وإنْ لم يجزْ وصفُ اللهِ تعالىٰ بهِ ولا وصفُ القديمِ بهِ . . لم يُقبَلْ منهُ .

ولا يمكنُ تكفيرُهُ بما لم يُفهَمْ معناهُ الذي يستحيلُ ثبوتُهُ في حقِّ اللهِ تعالىٰ ، فإذا فُهِمَ ذلكَ كُفِّرَ إنْ كانَ مُقتضياً للتكفيرِ .

فأمَّا إذا قالَ : إنِّي أقولُ : إنَّ للهِ صورةً لا كالصورِ ؛ إذْ وردَ في بعضِ الأخبارِ أنَّ للهِ صورةً[1] .

قيلَ لهُ : لا تتجاوزِ الحديثَ ، وأطلقْ ما أطلقَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) انظر (٢/ ٤٠٢ـ٤٠٤) .

هٰذا ؛ ولم يثبتْ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إثباتُ الصورةِ للهِ تعالىٰ ، وما نُقِلَ فغيرُ صحيحٍ ، وما يصحُّ منهُ فمُؤوَّلٌ محمولٌ علىٰ غيرِ ما يُفهَمُ مِنَ الظاهرِ .

[ما حكمُ مَنْ يعتقدُ أنَّ صوتَ القارئِ هوَ صوتُ اللهِ تعالىٰ ؟]

المسألةُ الثامنةُ : السؤالُ عن حالِ مَنْ يزعمُ أنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ تعالىٰ .

وجوابُها : هوَ أنْ يُقالَ : لا صوتَ للهِ تعالىٰ ؛ إذِ الصوتُ عبارةٌ عن أعراضٍ حادثةٍ محالُّها بنيةٌ مخصوصةٌ ومخارجُ معلومةٌ فيما أجرى اللهُ تعالى العادةَ بهِ ، والأعراضُ لا يجوزُ فيها قيامُها بذاتِ اللهِ تعالىٰ .

هٰذا ؛ والأصواتُ إنَّما تحدثُ عندَ اصطكاكِ الأجرامِ ومماسَّتِها ، وكذلكَ يخرجُ الصوتُ مِنَ اليدينِ عندَ التصفيقِ ، ومثلُهُ يخرجُ مِنَ الطبلِ عندَ الضربِ ، وللعلماءِ كلامٌ في أنَّ الصوتَ الحاصلَ عندَ الاصطكاكِ هوَ الاصطكاكُ أم أمرٌ زائدٌ عليهِ ، وكيفَما كانَ لا وجهَ لفَرْضِهِ في حقِّ اللهِ تعالىٰ ؛ إذْ ليسَ القديمُ جسماً حتىٰ يماسَّ جسماً يخرجُ منهُما صوتٌ عندَ التماسِّ والاصطكاكِ .

علىٰ أنَّ هٰذا الذاهبَ إذا قالَ : صوتُ القارئِ صوتُ الباريْ . . كانَ ذلكَ محالاً آخرَ ؛ فإنَّ ما يكونُ صوتاً لإنسانٍ لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ صوتاً لإنسانٍ آخرَ ، كما أنَّ ما كانَ حركةً لإنسانٍ لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ حركةً لغيرِهِ ، وكيفَ يكونُ صوتُ زيدٍ صوتَ عمرٍو ، وصوتُ كلِّ واحدٍ منهُما لا بدَّ وأنْ يُوجَدَ بهِ في محالَّ مخصوصةٍ ؟! فإذا استحالَ أنْ يكونَ صوتُ زيدٍ صوتَ عمرٍو . . كيفَ يُعتقَدُ أنْ يكونَ صوتُ غيرِ اللهِ صوتاً للهِ ؟!

هٰذا ؛ والربُّ يستحيلُ أنْ يكونَ لهُ صوتٌ أو يُوجَدَ لهُ صوتٌ ، بلِ الربُّ

يخلقُ الأصواتَ ويفعلُها ، ولـٰكنْ لا يُضافُ إليهِ إضافةَ الصفةِ إلى الموصوفِ ، كما أنَّهُ تعالىٰ يخلقُ الألوانَ والحركاتِ ولا يُقالُ : (حركةُ اللهِ) و(لونُ اللهِ) . . فكذا لا يُقالُ : صوتُ اللهِ تعالىٰ ، ومَنِ اعتقدَ أنَّ الصوتَ يقومُ بذاتِ اللهِ ويكونُ القديمُ موصوفاً بهِ . . كانَ مُخطِئاً في اعتقادِهِ ، ذاهباً إلىٰ أنَّهُ تعالىٰ يقبلُ الأعراضَ الحادثةَ لا يخلو منها ، وما لا يخلو منها كانَ حادثاً ، ولا شكَّ في أنَّ مَنْ زعمَ أنَّ القديمَ يكونُ لهُ صوتٌ كانَ مُخطِئاً فيهِ ضالّاً مُبتدِعاً فاسقاً ، وفي تكفيرِهِ للعلماءِ كلامٌ .

[الجوابُ عمَّا نُسِبَ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ مِنَ القولِ بقدمِ الحروفِ]

المسألةُ التاسعةُ : في السؤالِ عن حالِ مَنْ أضافَ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ القولَ بقدمِ الحروفِ .

وجوابُها وباللهِ التوفيقُ : أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ شيخُ المسلمينَ ، وقدوةُ المُعلِّمينَ ، وهوَ بريءٌ عنِ الذهابِ إلى اعتقادِهِ قدمَ هـٰذهِ الحروفِ والأصواتِ ، ومَنْ نسبَ ذلكَ إليهِ فقدِ افترىٰ عليهِ ، وسيُجازيهِ اللهُ علىٰ سوءِ صنيعِهِ .

وهـٰذا الذي يَنسُبُ هـٰذا المذهبَ الباطلَ إلىٰ هـٰذا الإمامِ المقبولِ قولُهُ . . إنَّما ينسبُ إليهِ معَ علمِهِ بأنَّ هـٰذا الإمامَ ما ذهبَ إليهِ ؛ ليقبلَ الناسُ قولَهُ ، وينظرونَ إليهِ ويعتمدونَ فيما يقولُ[1] ، وحتمٌ علىٰ والي العصرِ والزمانِ أنْ يُؤدِّبَ هـٰذا الكذّابَ ؛ ليعتبرَ بهِ غيرُهُ فلا يُقدِمَ على الكذبِ علىٰ أئمَّةِ الدينِ وأعلامِ المسلمينَ .

وقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأولىٰ والأنسب : (وينظروا إليه ويعتمدوا فيما يقول) .

مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[1] ، وقد قالَ عليهِ السلامُ في حديثٍ آخرَ : « ٱلْعُلَمَاءُ وَرَثَـةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ »[2] ، وهـٰذا إنَّما وردَ في العلماءِ عامَّةً ، وفي أصحابِ المذاهبِ خاصَّةً ؛ نحوُ الأئمَّةِ المشهورينَ ؛ مثلُ أبي حنيفةَ ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ ومَنْ عداهُم ، رحمةُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

هـٰذا ؛ وإنْ كانَ الكاذبُ عليهِم مُتوعَّداً مِنَ اللهِ تعالىٰ بأليمِ العذابِ في الآخرةِ ؛ لأنَّهُ زُجِرَ في الدنيا ؛ رجاءَ أنْ ينزلَ عن ما هوَ عليهِ ، ويعودَ إلى الحقِّ الذي بهِ يرجو أنْ يُحشَرَ عليهِ .

هـٰذا جوابُ هـٰذهِ المسائلِ ، وقدِ اتَّفقَ التجاوزُ عن حدِّ الفتوىٰ ، والداعي إليهِ العلمُ بنقلِ هـٰذا الجوابِ إلىٰ بلادٍ بعيدةٍ يعسرُ الاستفتاءُ علىٰ أهلِها في كلِّ وقتٍ وحينٍ ، فاقتضى النظرُ إليهِم ذكرَ طرفٍ مِنَ الأدلةِ ؛ لكيلا يكونَ الجوابُ عَرِيّاً عنِ البرهانِ والحُجَّةِ ؛ إذْ ما وقعَ السؤالُ عنهُ مِنْ مسائلِ الأصولِ لا بدَّ مِنْ معرفتِها بأدلتِها ، واللهُ الموفقُ للصوابِ .

وكتبَ هـٰذهِ الأسطرَ بيدِهِ : إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ الحاكميُّ الطوسيُّ

ولم أطلْ بذكرِ فتياهُ على التمامِ والكمالِ إلا لأُظهِرَ كلامَهُ ؛ فإنِّي لم أقفْ لهُ علىٰ تصنيفٍ غيرِ هـٰذا ، وسألتُ مِنْ جماعةٍ عنهُ[3] ، فلم أسمعْ مَنْ رأىٰ لهُ تصنيفاً غيرَ هـٰذا ، وهوَ جليلُ القدرِ ، ذكرَهُ ابنُ عساكرَ في « تاريخِ دمشقَ » كما تقدَّمَ عندَ ترجمتِهِ[4] ، والحمدُ للهِ .

---

(1) سبق تخريجه (٢/ ٣١٦) .

(2) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) ، والدارمي (٣٥٤) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(3) قوله : (من جماعة) كذا في (أ ، ب) بزيادة (من) علىٰ مذهب الأخفش .

(4) انظر (١/ ٤٦٥ـ٤٦٦) .

[فتوى الإمامِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ التبَّانِ المالكيِّ]

رأيتُ بخطِّ الوليِّ الصالحِ أبي عليٍّ الحسنِ الطويلِ المالكيِّ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ ظهرِ كتابٍ مِنْ كتبِ أصولِ الدينِ مِنْ وقفِ المدرسةِ المالكيةِ الصلاحيةِ بمصرَ المحروسةِ . . فائدةً أثبتُّها هنا ، ونسختُها :

سؤالٌ سُئِلَ عنهُ الشيخُ الجليلُ الفقيهُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ التبَّانِ المالكيُّ القرويُّ بحضرةِ الفقيهِ الشيخِ الجليلِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ أبي زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ فقالوا لهُ : القرآنُ مخلوقٌ ؟ فقالَ لهُمُ الشيخُ أبو محمدٍ : القرآنُ كلامُ اللهِ ، ومَنْ قالَ : إنَّهُ مخلوقٌ . . فهوَ كافرٌ .

قالوا: ما تقولونَ فيمَنْ قرأَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ٢ـ٣] ؟ وما تقولونَ في التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وما في الصُّحُفِ المنزلةِ علىٰ كلِّ نبيٍّ : أهوَ كلامُ اللهِ في الحقيقةِ غيرُ مخلوقٍ أم لا ؟

فأجابَهُمُ الإمامُ أبو محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُ : وأنا أقولُ : فيمَنْ قرأَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

أمَّا قولُكَ أيُّها السائلُ : (قرأَ) . . فهوَ فعلٌ ماضٍ مثلُ قولِكَ : (قضىٰ) و(مشىٰ) و(غدا) ، وهٰذهِ أفعالٌ ماضيةٌ بإجماعِ الأمَّةِ ، وكذلكَ (تلا) وهوَ فعلٌ ماضٍ ، والمستقبلُ منهُ : (يقرأُ) و(يسعىٰ) و(يقضي)[1] ؛ لأنَّ الماضيَ يحسنُ فيهِ (قد قرأَ) و(قد قرأَ القرآنَ أمسِ) ، والمستقبلُ منهُ يُقالُ فيهِ : (يقرأُ زيدٌ القرآنَ غداً إنْ شاءَ اللهُ) ، وما حَسُنَ فيهِ الاستثناءُ فهوَ فعلٌ ؛ لقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف : ٢٣ـ٢٤] ، وإذا ثبتَ أنَّ القراءةَ فعلٌ بإجماعِ الأمَّةِ ثبتَ أنَّها مُحدَثةٌ غيرُ

---

(١) لعل الأنسب أن يقول : (ويمشي) بدل (ويسعىٰ) ، والله تعالىٰ أعلم .

قديمةٍ ، وأنَّ مَنْ قالَ : إنَّها قديمةٌ . . فهوَ كافرٌ بإجماعِ الأمَّةِ ؛ لأنَّهُ أوجبَ قدمَ الأفعالِ ، وهـٰذا شركٌ باللهِ تعالىٰ .

وأمَّا قولُكَ : (هوَ كلامُ اللهِ تعالىٰ في الحقيقةِ) : فلأنَّ الدليلَ دلَّ علىٰ أنَّ القراءةَ فعلٌ مِنَ الأفعالِ مُحدَثةٌ ، وأنَّ كلامَ اللهِ ليسَ هوَ فعلٌ لأحدٍ ، ومَنْ زعمَ بأنَّهُ فعلٌ فقد قالَ بأنَّهُ مخلوقٌ ؛ كما قالَتِ الجهميةُ : إنَّ القرآنَ فعلُ اللهِ والقراءةَ فعلُ القارئِ ، ونحنُ نقولُ : ليسَ مِنْ صفاتِ الفعلِ ، وإنَّما هوَ مِنْ صفاتِ الذاتِ للهِ تعالىٰ .

وأمَّا قولُكَ هـٰكذا : التوراةُ والإنجيلُ والزبورُ وما في الصحفِ المنزلةِ علىٰ كلِّ نبيٍّ : هل هوَ كلامُ اللهِ في الحقيقةِ غيرُ مخلوقٍ ؟

فالجوابُ : أنَّا نقولُ : المقروءُ منها كلُّها كلامُ اللهِ تعالىٰ غيرُ مُحدَثٍ ولا مخلوقٍ ، وإنَّ القراءةَ بها غيرُها ، وهيَ غيرُ قديمةٍ ، بل هيَ مُحدَثةٌ مخلوقةٌ ، ولنا في ذلكَ أدلةٌ نحنُ ذاكروها إنْ شاءَ اللهُ ، ثمَّ ذكرَ أدلَّةً ؛ منها : قالَ :

يُقالُ لكَ : هل تقولُ : إنَّ القرآنَ لم يَزَلْ متلوّاً ومقروءاً ومكتوباً ؟

فإنْ قلتَ : نعم . . كفرتَ بالإجماعِ ؛ لأنَّكَ أوجبتَ قِدَمَ التالي والقارئِ والكتابةِ ، وهـٰذا كلُّهُ قولُ الزنادقةِ والدهريةِ الذينَ يقولونَ بقِدَمِ العالمِ بأسرِهِ .

وإنْ قلتَ : إنَّ القرآنَ قد كانَ في الأزلِ غيرَ متلوٍّ ولا مقروءٍ ولا مكتوبٍ . . أصبتَ الحقَّ ، فصحَّ أنَّ التلاوةَ والقراءةَ والكتابةَ مخلوقةٌ غيرُ قديمةٍ ؛ لأنَّها كلَّها أفعالُ الخلقِ ، والخلقُ وأفعالُهُم مُحدَثٌ مخلوقٌ .

ويُقالُ : أخبرونا عن قرآنِكُم ؛ أليسَ بصوتٍ وحرفٍ ؟ فلا بدَّ مِنْ نعم أو لا ، فيُقالُ لكَ : أخبِرْنا عن كلامِ اللهِ سبحانَـهُ ؛ أليسَ هوَ عندَكَ بصوتٍ وحرفٍ ؟

فإنْ قالَ : نعم.. قيلَ لهُ : فإذا قرأتَ أنتَ القرآنَ فظهرَ صوتُكَ وسُمِعَ.. هل تقولُ : إنَّهُ صوتُ اللهِ المسموعُ أو هوَ غيرُ صوتِهِ ؟

فإنْ قالَ : صوتُ اللهِ المسموعُ.. كفرَ بالإجماعِ ، وأوجبَ أنَّ اللهَ تعالىٰ هوَ المُتكلِّمُ علىٰ لسانِ الخلقِ ، وهـٰذا قولُ أهلِ الحلولِ ، وهم طائفةٌ مِنَ الأثريَّةِ بالبصرةِ وبحرَّانَ ، قالَ محمدُ بنُ سحنونَ : وهم بذلكَ كفارٌ .

وإنْ قالَ : صوتي بالقرآنِ غيرُ صوتِ اللهِ.. تُرِكَ قولُهُ ، ورجعَ إلى أنَّ القراءةَ مُحدَثةٌ ، فيُقالُ لهُ : مِنْ أينَ قلتَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بصوتٍ وحرفٍ ؟ هل معَكَ بهـٰذا آيةٌ مِنْ كتابِ اللهِ أو سنَّةٌ عن رسولِ اللهِ أو إجماعُ الأمَّةِ ؟ فإنَّ الحُجَّةَ لا تقومُ إلا بواحدةٍ مِنْ هـٰذهِ الثلاثةِ ، فإنْ كنتَ إنَّما قلتَ ذلكَ بقياسٍ فيلزمُكَ علىٰ قياسِكَ أنْ تقولَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بلسانٍ وشفتينِ وحلقٍ يتنفَّسُ ، كما قلتَ ذلكَ في الصوتِ ، وإلا فما الفرقُ ؟

فإنْ قلتَ ذلكَ في اللهِ فقد كفرتَ ، وإنْ لم تقلْهُ خُصِمتَ وتناقضَ قولُكَ .

ثمَّ اعكسْ ذلكَ عليكَ ، فقيلَ لكَ : بلِ اللهُ تعالىٰ مُتكلِّمٌ ، وليسَ مُتكلِّماً بحرفٍ ولا صوتٍ ، وكلُّ حُجَّةٍ تحتجُّ بها فهيَ حُجَّةٌ عليكَ في الصوتِ والحرفِ .

ثمَّ يُقالُ لكَ : لو جازَ أنْ تضيفَ إلى اللهِ سبحانَـهُ صوتاً بغيرِ نصٍّ.. جازَ لغيرِكَ أنْ يضيفَ إلى اللهِ سبحانَهُ اسماً بغيرِ نصٍّ ، فيقولَ : يا فقيهُ ؛ اغفرْ لي ، كما اخترتَ أنتَ لهُ الصوتَ ، ولو جازَ ذلكَ لكانَ لآخَرَ أنْ يضيفَ إلى اللهِ تعالى القلبَ والضميرَ ، فيقولَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ بقلبٍ وضميرٍ ، كما قلتَ أنتَ في الصوتِ .

ولجازَ لآخرَ أنْ يقولَ : إنَّ لهُ عينينِ جارحةً ؛ لأنِّي لا أعقلُ إلا جارحةً في رأسٍ ، وأنْ يضيفَ إليهِ تعالىٰ أنَّ سمعَهُ بأذنينِ كما أُضيفَ إليهِ السمعُ .

ولجازَ لآخَرَ أنْ يقولَ : إنَّ للهِ تعالىٰ جسماً مُؤَلَّفاً ؛ لأنِّي لا أعقلُ الكلامَ المفهومَ بالأصواتِ إلا مِنَ الأجسامِ .

ولجازَ لآخَرَ أنْ يقولَ : إنَّهُ تعالىٰ لا يُرىٰ في الدارِ الآخرةِ إلا مُتلوِّناً ذا حيِّزٍ وشعاعٍ ؛ لأنِّي لا أعقلُ منظوراً إليهِ إلا ولهُ لونٌ وحيِّزٌ .

وباعتقاداتِكُم كفرتُم ، واللهُ المعينُ على الصوابِ .

وأمَّا القرآنُ الذي هوَ كلامُ اللهِ ، مكتوبٌ في المصاحفِ [على] الحقيقةِ[1] ، ومتلوٌّ بالألسنِ على الحقيقةِ ، ومحفوظٌ في الأذهانِ ومسموعٌ بالآذانِ على الحقيقةِ . . غيرُ حالٍّ في شيءٍ مِنْ ذلكَ ، كما أنَّ اللهَ المعبودَ المذكورَ بألسنتِنا [والمعلومَ] بقلوبِنا[2] . . غيرُ حالٍّ في شيءٍ مِنْ ذلكَ ، تعالى اللهُ عنِ الحلولِ والمُماسَّةِ والمجاورةِ لشيءٍ مِنَ المخلوقاتِ .

فمَنْ قالَ غيرَ هـٰذا وزعمَ أنَّ القرآنَ حالٌّ في الألسنِ والقلوبِ والمصاحفِ على الحقيقةِ . . فقد قالَ قولاً عظيماً أعظمَ مِنْ قولِ النصارىٰ ؛ لأنَّ النصارىٰ قالَتْ : إنَّ الكلمةَ حلَّتْ في عيسىٰ كامتزاجِ الماءِ باللبنِ ؛ فلذلكَ عبدوهُ وقالوا : فيهِ شيءٌ مِنْ ذاتِ اللهِ ، تعالى اللهُ عن قولِهِم .

وقالَتِ الدهريةُ : في كلِّ إنسانٍ جزءٌ مِنَ القديمِ الذي يعبدونَـهُ ، فإذا ماتَ الإنسانُ رُفِعَ ما فيهِ إلىٰ عنصرِهِ ، وكذلكَ قالَتِ العكرميةُ والنجرانيةُ وأهلُ الحلولِ ، تعالى اللهُ عمَّا يقولونَ علوّاً كبيراً .

* * *

(١) في (أ ، ب) : (في الحقيقة) .
(٢) في (أ ، ب) : (ومعلوم) بدل (والمعلوم) .

فتاوى منقولة من خطوط بعض الأئمة
فيمن اعتقد الحرف والصوت لله تعالى وغير ذلك

وجدتُ نسخةَ فتيا نُقِلَتْ مِنْ خطوطِ مشايخَ أُودِعَتْ بالخزانةِ السلطانيةِ زمنَ السلطانِ الملكِ الظاهرِ بيبرسَ تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ بخطِّ قاضي بلبيسَ ، وقابلَ عليها ، ثمَّ أخذَها السلطانُ تبرُّكاً بخطوطِ مَنْ فيها مِنَ المشايخِ ؛ **مثالُها** :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواتُهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلامُهُ

شاهدتُ ما مثالُهُ : يقولُ العبدُ الفقيرُ الحقيرُ ، المعترفُ بالزللِ والتقصيرِ ، الراجي عفوَ الملكِ الكبيرِ ؛ محمدُ بنُ المفضَّلِ بنِ يحيى بنِ عقيلٍ الشافعيُّ مولداً ومذهباً ، الأشعريُّ معتقداً ، النعمانيُّ بلدةً ، عفا اللهُ عنهُ : **شاهدتُ صورةَ استفتاءٍ سُئِلَ عنهُ جماعةٌ مِنَ الفقهاءِ الأئمَّةِ الأجلاءِ ، وجوابِهِم عليهِ ، وهـٰذهِ صورتُهُ** :

ما يقولُ سيدُنا الفقيهُ الإمامُ العالمُ الأوحدُ الأمينُ شرفُ المتكلمينَ ، مفتي العراقينِ ، إمامُ الأئمَّةِ ، ملكُ العلماءِ ، شهابُ الدينِ ـ أدامَ اللهُ توفيقَهُ ، ويسَّرَ إلى الخيراتِ طريقَهُ ـ في الحشويةِ الذينَ على مذهبِ ابنِ مرزوقٍ وابنِ الكيزانيِّ[1] الذينَ يعتقدونَ أنَّ اللهَ سبحانَـهُ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ تعالى اللهُ ،

(١) وابن مرزوق وابن الكيزاني هما من حشوية الحنابلة ، وقد ظن التاج السبكي ابنَ الكيزاني هـٰذا من الشافعية فترجم له في « طبقاته » تبعاً لابن خلكان . انظر تعليقات الإمام الكوثري على « السيف الصقيل » (ص٤٩) ، و(٢/ ٤٧٠) تعليقاً .

وأنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ : هل تنفذُ أحكامُهُم على أهلِ التوحيدِ وعامَّةِ المسلمينَ ؟ وهل تُقبَلُ شهاداتُهُم على المسلمينَ أم لا ؟

الجوابَ رحمَكَ اللهُ .

[فتوى الإمامِ محمدٍ الطوسيِّ]

صورةُ جوابِ الطوسيِّ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ : تُقبَلُ شهادةُ عدولِهِم علىٰ أصحابِهِم ، ولا تُسمَعُ شهاداتُهُم علىٰ أهلِ الحقِّ مِنَ الموحِّدينَ ، ولا ينفذُ حكمُ قاضيهِم على الموحِّدينَ ؛ فإنَّهُم أعداءُ الحقِّ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدٌ الطوسيُّ[1]

[فتوى الإمامِ يوسفَ الأَزْمَويِّ]

صورةُ خطِّ الأَزْمَويِّ : ما نُصَّ عليهِم أعلاهُ اقترفوا حوبةً عظيمةً ، يجبُ عليهِمُ القفولُ عمَّا اعتقدوهُ ، وهم كفارٌ عندَ أكثرِ المُتكلِّمينَ .

وكيفَ يسوغُ قبولُ أقوالِهِم ؟!

ويجبُ علىٰ مَنْ إليهِ الأمرُ إحضارُهُم واستتابتُهُم عمَّا هم عليهِ ، فإنْ تابُوا ، وإلا قُتلوا ، وحكمُهُم في الاستتابةِ حكمُ المرتدِّ في إمهالِهِ ثلاثةَ أيامٍ ، أو يُقتَلَ في الحالِ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : يوسفُ الأَزْمَويُّ

---

(١) وقد سبقت ترجمته (١/ ٥٢١ـ ٥٢٢) .

[فتوى الإمامِ محمدِ بنِ إبراهيمَ الحمويِّ ابنِ جماعةَ]

صورةُ خطِّ الحمويِّ : مَنِ اعتقدَ أنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ فقد قالَ قولاً يلزمُهُ فيهِ القولُ بقدمِ العالمِ ، ومَنْ قالَ بقدمِ العالمِ فهو كافرٌ لا تصحُّ ولايتُهُ ، ولا تُقبَلُ شهادتُهُ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدُ بنُ إبراهيمَ الحمويُّ(١)

استفتاءٌ ثانٍ وجدتُهُ في الدرجِ ، صورتَهُ :

ما يقولُ السادةُ الفقهاءُ الأئمةُ ، والقادةُ علماءُ هٰذهِ الأمةِ ـ أدامَ اللهُ إرشادَهُم ، ووفَّقَ إصدارَهُم وإيرادَهُم ـ في الحشويةِ الذينَ على مذهبِ ابنِ مرزوقٍ وابنِ الكيزانيِّ الذينَ يعتقدونَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ ، وأنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ : هل تُقبَلُ شهاداتُهُم على أهلِ الحقِّ المُوحِّدينَ الأشعريةِ ؟ وهل تنفذُ أحكامُ قضاتِهِم على الأشعريةِ أم لا ؟

الجوابَ مأجورينَ رحمَكُمُ اللهُ .

[فتوى الإمامِ أبي المنصورِ ظافرِ بنِ الحسينِ الأزديِّ]

صورةُ جوابِ أبي المنصورِ جدِّ شيخِ المشايخِ صفيِّ الدينِ رحمَهُ اللهُ : لا تُقبلُ شهادةُ مَنْ يقولُ : إنَّ اللهَ يتكلَّمُ بحرفٍ وصوتٍ ؛ لأنَّهُم مرتكبون كبيرةً ، وهيَ أعظمُ مِنْ مُرتكِبِ المعاصي ؛ كالزنا وشربِ الخمرِ ؛ لأنَّها كبيرةٌ تتعلَّقُ بأصلٍ مِنْ أصولِ الدينِ .

وكتبَ : ظافرُ بنُ حسينٍ الأزديُّ(٢)

---

(١) وقد سبقت ترجمته (٢/ ٢٩٥ـ٢٩٦) .

(٢) وقد سبقت ترجمته (١/ ٥٢٣) .

[فتوى الإمامِ أبي إسحاقَ العراقيِّ]

صورةُ خطِّ العراقيِّ أبي إسحاقَ : جوابي كذلكَ .

كتبَهُ : إبراهيمُ العراقيُّ[1]

[صورةٌ أخرىٰ لفتوى الإمامِ ابنِ جماعةَ]

صورةُ خطِّ الحمويِّ : مَنْ قالَ : إنَّ اللهَ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ . . فقد قالَ قولاً يلزمُ منهُ أنَّ اللهَ جسمٌ ، ومَنْ قالَ : إنَّهُ جسمٌ . . فقد قالَ بحدوثِهِ ، ومَنْ قالَ بحدوثِهِ . . فقد كفرَ ، والكافرُ لا يصحُّ ولايتُهُ ، ولا تُقبَلُ شهادتُهُ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدُ بنُ إبراهيمَ الحمويُّ

[فتوى الإمامِ جمالِ الدينِ ابنِ رشيقٍ]

صورةُ خطِّ الشيخِ جمالِ الدينِ ابنِ رشيقٍ أحدِ فقهاءِ المالكيةِ : لا تُقبَلُ شهادتُهُم ، ولا يجوزُ أنْ يُولَّوُا الحكمَ ولا غيرَهُ مِنَ المناصبِ الدينيةِ ؛ لأنَّهُم بينَ جاهلٍ مُصِرٍّ علىٰ جهلِهِ بما يتعيَّنُ عليهِ اعتقادُهُ مِنْ صفاتِ اللهِ سبحانَهُ ، وبينَ عالمٍ مُعانِدٍ للحقِّ ، ومَنْ هٰذهِ صفتُهُ يتعيَّنُ تأديبُهُ وزجرُهُ عمَّا صارَ إليهِ بأبلغِ الأدبِ ، ومِنْ جملةِ ذلكَ : ردُّ الشهادةِ ، وباللهِ التوفيقُ .

وكتبَ : حسينُ بنُ عتيقٍ ابنُ رشيقٍ[2]

---

(١) وقد سبقت ترجمته في (١/٥١٩ـ ٥٢٠) .

(٢) وقد سبقت ترجمته في (١/٥٩٨) .

[فتوى الإمامِ فخرِ الدينِ محمدٍ الفارسيِّ]

صورةُ خطِّ الشيخِ العارفِ فخرِ الدينِ الفارسيِّ : اللهُ المعينُ ، مَنْ قالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بالصوتِ والحرفِ . . فقد أثبتَ الجسميةَ ، وصارَ بقولِهِ مُجسِّماً ، والمُجسِّمُ كافرٌ .

ومَنْ قالَ : إنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ . . فقد كذَّبَ اللهَ تعالىٰ في قولِهِ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، ومُكذِّبُ اللهِ بصفةِ الإصرارِ كافرٌ ، ولا تثبتُ عدالتُهُم ، ولا تُقبَلُ شهادتُهُم ولا الصلاةُ خلفَهُم ، ويجبُ على الإمامِ أو علىٰ نوَّابِهِ في الأقاليمِ استتابتُهُم ، فإنْ لم يرجعوا عمَّا هم فيهِ مِنَ الكفرِ . . فيعاقبُهُم علىٰ كفرِهِم أو يقبلُ منهُمُ الجزيةَ إذلالاً كاليهودِ والنصارىٰ ، بل كفرُهُم أشنعُ وأبشعُ مِنْ مقالةِ النصارىٰ واليهودِ ؛ أمَّا اليهودُ فشبَّهوهُ بالحادثِ صفاتٍ ، وأمَّا النصارىٰ فقالوا : إنَّهُ جوهرٌ شريفٌ ، والمُجسِّمةُ يثبتونَ الجسمَ للهِ ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الظالمونَ علوّاً كبيراً .

وكتبَ : محمدٌ الفارسيُّ بخطِّه(١)

(١) وقد سبقت ترجمته (١/٥٧٦ـ ٥٧٨) ، قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص٥١ـ٥٢) : (وفي تلك الفتاوىٰ ما يتزجر به من يخاف مقام ربه من تلك البدع الشنيعة ، وبها يُعلَم أيضاً أن أبا عمرو عثمان بن مرزوق الحنبلي وأبا عبد الله الكيزاني الحنبلي مشتركان في إثارة البدع المذكورة بمصر ، ولا مانع من أن يكون بينهما بعض اختلاف في فرع من فروع تلك البدع ، ومن حاول تبرئة أحدهما منها فلا حجة عنده أصلاً ، وقد تكلَّف ابن رجب في « طبقاته » تبرئة ابن مرزوق عن ذلك بدون جدوىٰ ، بعد أن أقرَّ بذلك الناصح الحنبلي وابن القطيعي الحنبلي ، ولو كان ابن رجب رأىٰ تلك النصوص من فتاوىٰ علماء عصر ابن مرزوق وابن الكيزاني المنقولة من خطوطهم المحفوظة في خزانة الملك الظاهر بيبرس . . لما سعىٰ في تبرئة ساحته من تلك البدعة الشنيعة ، ونسبةُ القول بتلك البدعة إلى ابن الكيزاني في « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي . . لا تُبرِّئ ابن مرزوق منها ، علىٰ أن ابن رجب قال بعد ذلك : « ثم وجدت لأبي عمرو بن مرزوق مصنفاً في =

وجدتُ بخطِّ بعضِ الفضلاءِ صورةَ استفتاءٍ مثالُهُ :

ما يقولُ السادةُ الفقهاءُ رضيَ اللهُ عنهُم في كلامِ اللهِ القديمِ القائمِ بذاتِهِ : هل يجوزُ أنْ يُقالَ : إنَّهُ عينُ صوتِ القارئِ وحروفِهِ المُتقطِّعةِ ، وعينُ الأشكالِ التي يُصوِّرُها الكاتبُ في المصحفِ ؟

وهل يجوزُ أنْ يُقالَ : إنَّ كلامَ اللهِ القديمَ القائمَ بذاتِهِ حروفٌ وأصواتٌ على المعنى الظاهرِ فيها ، وإنَّهُ عينُ ما جعلَهُ اللهُ تعالىٰ معجزةً لرسولِهِ .

وما الذي يجبُ علىٰ مَنِ اعتقدَ جميعَ ذلكَ ، وصرَّحَ بهِ وأذاعَهُ وغرَّ بهِ ضعفاءَ المسلمينَ ؟ وهل يَحِلُّ للعلماءِ المعتبرينَ إذا علموا أنَّ ذلكَ قد شاعَ . . أنْ يسكتوا عن بيانِ الحقِّ في ذلكَ وإظهارِهِ ، والردِّ علىٰ مَنْ أظهرَهُ واعتقدَهُ ؟

أفتونا مأجورينَ .

[فتوى الإمامِ العزِّ بنِ عبدِ السلامِ]

صورةُ جوابِ الشيخِ الإمامِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : القرآنُ كلامُ اللهِ ، صفةٌ مِنْ صفاتِهِ ، قديمٌ بقدمِهِ ، ليسَ بحروفٍ ولا أصواتٍ ، ومَنْ زعمَ أنَّ الوصفَ القديمَ هوَ عينُ أصواتِ القارئِ وكتابةِ الكاتبينَ . . فقد ألحدَ في الدينِ ، وخالفَ إجماعَ المسلمينَ ، بل إجماعَ العقلاءِ مِنْ غيرِ أهلِ الدينِ ، ولا يَحِلُّ للعلماءِ كتمانُ الحقِّ ، ولا تركُ البدعِ ساريةً في المسلمينَ .

ويجبُ علىٰ ولاةِ الأمرِ إعانةُ العلماءِ المُنزِّهينَ المُوحِّدينَ ، وقمعُ المبتدعةِ

= أصول الدين ، ورأيته يقول فيه : إن الإيمان غير مخلوق ؛ أقواله وأفعاله ، وإن حركات العباد مخلوقة ، لـٰكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام في ألفاظ العباد » انتهىٰ ، هـٰذا طرازٌ آخرُ في التخريف ، يدل علىٰ أنه قائل بالحلول علىٰ مذهب السالمية ، ومثله لا يمكن ترقيع كلامه) ، وقد سبق ذكر ابن الكيزاني في أكثر من موضع في هـٰذا الكتاب .

المُشبِّهينَ المُجسِّمينَ ، ومَنْ زعمَ أنَّ المعجزةَ قديمةٌ فقد جهلَ حقيقتَها ، ولا يَحِلُّ لولاةِ الأمرِ تمكينُ أمثالِ هـٰؤلاءِ مِنْ إفسادِ عقائدِ المسلمينَ ، ويجبُ عليهِم أنْ يلزموهُم بتصحيحِ عقائدِهِم بمباحثةِ العلماءِ المعتبرينَ ، فإنْ لم يفعلوا أُلجِئوا إلىٰ ذلكَ بالحبسِ والضربِ والتعزيرِ ، واللهُ أعلمُ .

وفي الأصلِ : كتبَ : عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ[1]

[فتوى الإمامِ أبي عمرٍو ابنِ الحاجبِ]

صورةُ جوابِ الشيخِ الإمامِ جمالِ الدينِ أبي عمرٍو عثمانَ ابنِ الحاجبِ المالكيِّ : مَنْ زعمَ أنَّ أصواتَ القارئِ وحروفَهُ المقطَّعةَ والأشكالَ التي يُصوِّرُها الكاتبُ في المصحفِ هوَ نفسُ كلامِ اللهِ تعالى القديمِ . . فقدِ ارتكبَ بدعةً عظيمةً وخالفَ الضرورةَ ، وسقطَتْ مكالمتُهُ في المناظرةِ فيهِ ، ولا يستقيمُ أنْ يُقالَ : إنَّ كلامَ اللهِ تعالى القديمَ القائمَ بذاتِهِ هوَ الذي جعلَهُ اللهُ معجزةً لرسولِهِ ؛ فإنَّ ذلكَ يُعلَمُ بأدنىٰ نظرٍ ، وإذا شاعَ ذلكَ ، أو سُئِلَ عنهُ العلماءُ . . وجبَ عليهِم بيانُ الحقِّ في ذلكَ وإظهارُهُ .

ويجبُ علىٰ مَنْ لهُ الأمرُ وفَّقَهُ اللهُ أخذُ مَنْ يعتقدُ ذلكَ ويُغرُّ بهِ ضعفاءَ المسلمينَ ، وزجرُهُ وتأديبُهُ وحبسُهُ عن مخالطةِ مَنْ يُخافُ منهُ إضلالُهُ إلىٰ أنْ تظهرَ توبتُهُ عنِ اعتقادِ مثلِ هـٰذهِ الخرافاتِ التي تأباها العقولُ السليمةُ ، واللهُ المُسلِّمُ .

في الأصلِ : كتبَ : عثمانُ ابنُ الحاجبِ[2]

---

(١) وقد سبقت ترجمته في (٢/ ٦٤ـ ٨٣) ، وهي ترجمة حافلة ، وفيها ذكرُ الحادثة التي وقعت له مع المشبهة في خصوص مسألة الكلام ، وانظر ما سيأتي أيضاً في خصوص هـٰذه الحادثة في (٢/ ٥٠٠ـ ٥١٩) .

(٢) وقد سبقت ترجمته (٢/ ٢١) .

[فتوى الإمامِ علمِ الدينِ أبي الحسنِ السخاويِّ]

صورةُ جوابِ الإمامِ علمِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ السخاويِّ : كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ قديمٌ ، صفةٌ مِنْ صفاتِهِ ، ليسَ بمخلوقٍ ، وأصواتُ القراءِ وحروفُ المصاحفِ أمرٌ خارجٌ عن ذلكَ ؛ ولهـٰذا يُقالُ : (صوتٌ قبيحٌ) ، و(قراءةٌ غيرُ حسنةٍ) و(خطٌّ قبيحٌ غيرُ جيدٍ) ، ولو كانَ ذلكَ كلامَ اللهِ لم يجزْ ذمُّهُ على ما ذُكِرَ ؛ لأنَّ أصواتَ القراءِ بهِ تختلفُ باختلافِ مخارجِها ، واللهُ تعالىٰ مُنزَّهٌ عن ذلكَ .

والقرآنُ عندَنا مكتوبٌ في المصاحفِ ، متلوٌّ في المحاريبِ ، محفوظٌ في الصدورِ ، غيرُ حالٍّ في شيءٍ مِنْ ذلكَ ، والمصحفُ عندَنا مُعظَّمٌ محترمٌ لا يجوزُ للمُحدِثِ مسُّهُ ، ومَنِ استخفَّ بهِ أوِ ازدراهُ فهوَ كافرٌ مباحُ الدمِ .

والصفةُ القديمةُ القائمةُ بذاتِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ليسَتِ المعجزةَ ؛ لأنَّ المعجزةَ ما تحدَّىٰ بها الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وطالبَ بالإتيانِ بمثلِهِ[1] ، ومعلومٌ أنَّهُ لم يتحدَّهُم بصفةِ البارئِ القديمةِ ، ولا طالبَهُم بالإتيانِ بها ، ومَنِ اعتقدَ ذلكَ وصرَّحَ بهِ ، أو دعا إليهِ . . فهوَ ضالٌّ مُبتدِعٌ ، بل خارجٌ عمَّا عليهِ العقلاءُ إلىٰ تخليطِ المجانينِ ، والواجبُ علىٰ علماءِ المسلمينَ إذا ظهرَتْ هـٰذهِ البدعةُ إخمادُها وتبيينُ الحقِّ ، واللهُ أعلمُ[2] .

---

(١) كذا في (أ ، ب) بتذكير الضمير ، وهو راجع على لفظ (ما) .

(٢) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص٤٨ـ ٤٩) بعد أن نقل فتاوى العلماء السابقة : (انظر يا رعاك الله كيف كان العلماء يتكاتفون في قمع البدع وإحقاق الحق على اختلاف مذاهبهم في تلك العصور الزاهرة ، بخلاف غالب أهل العلم في زماننا هـٰذا ؛ فإنَّ لهم منازعَ وراء اختلاف المذاهب ، لا يهمهم ذيوعُ الباطل ، وقد خانوا دينهم الذي ائتمنهم الله عليه ، وبه يعيشون ، ويوم الخائنين يوم رهيب) ، ولم يترجم إمامنا ابن المعلم=

صورةُ جوابِ القاضي الإمامِ العالمِ شمسِ الدينِ محمدٍ [. . .][1] .

* * *

= للإمام السخاوي مع كونه من أئمة الأشاعرة ، ويحتمل أنه ترجمه ضمن الأوراق الساقطة ، والله تعالىٰ أعلم .

وفي زماننا هٰذا اتَّسع الخرق على الراقع ، فإذا أردت أن تدفع شبهة من شبههم الكاذبة ، أو تدرأ مفسدة بسبب تدليساتهم الخائبة . . قام بعض المُترسِّمين بالعلم ممَّن أخذوا علمهم عن تقليد ، أو ممَّن في قلبه بعض حشوية وتشبيه ، وقال : كلامك هٰذا فيه تفريق بين المسلمين ، وكسر لبيضة الدين ، وناهيك عن بعض أهل العلم ممن هم في سبات عميق ، وليلٍ من الغفلة سحيق ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وانظر فتوى القيرواني الآتية ؛ ففيها تأييد لكلام الإمام الكوثري رحمه الله تعالىٰ .

(١) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار نصف صفحة .

[الفتاوىٰ في ابنِ تيميةَ بعضُها انتهىٰ إلى التصنيفِ الكاملِ ، وبعضُها تجاوزَ الأوراقَ الكثيرةَ]

وقدِ استُفتِيَ فيمَنْ يقولُ بقولِكَ ، ونقلتُ لهُم نصَّ فتياكَ ، فكتبَ جماعةٌ مِنْ علماءِ عصرِنا عليكَ بالإنكارِ ، وذكرُ نصِّ فتياهُم يطولُ ؛ لأنَّ بعضَ الفتاوى انتهتْ إلى التصنيفِ الكاملِ ، وبعضَها تجاوزَ الأوراقَ الكثيرةَ ، وأخصرُ مَنْ رأيتُ أفتىٰ فيكَ شيخُ المشايخِ قطبُ الوقتِ أبو عبدِ اللهِ القرويُّ ، نفعَ اللهُ ببركتِهِ .

[فتوى الإمامِ محمدِ بنِ عبدِ الجبارِ القيروانيِّ في حقِّ ابنِ تيميةَ]

صورةُ جوابِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرويِّ : الحمدُ للهِ حقَّ حمدِهِ ، مَنْ كانَ بهٰذهِ الصفةِ فضالٌّ زائغٌ عنِ الطريقِ ، فإنْ كانَ مُعتقِداً لذلكَ استُتيبَ ، فإنْ تابَ قُبِلَتْ توبتُهُ ، وإنْ لم يتبْ فاختلفَ في كفرِهِ ؛ فعلى القولِ بكفرِهِ فكالمرتدِّ ، وإلا ففاسقٌ يُسجَنُ ، ويُضرَبُ المرةَ بعدَ المرةِ ، ويتأكَّدُ ذلكَ في حقِّ مَنْ كانَ منظوراً إليهِ ومسموعاً منهُ .

ويجبُ منعُ الناسِ مِنَ الاجتماعِ بهِ بعدَ ظهورِ توبتِهِ ، وقد حذَّرَ العلماءُ منهُ تحذيراً شديداً ، ويُمنَعُ مِنَ الانتصابِ ، ويُمنَعُ مِنَ المكالمةِ معَهُ فيما يعتقدُهُ ، بل ليسَ إلا التوبةُ ، أو وقوعُ العقوبةِ بهِ ، وفي فتحِ بابِ الكلامِ معَهُم إشارةٌ لمجدِهِم وإظهارٌ لمعاليهِم ، وقد حذَّرَ العلماءُ مِنْ ذلكَ ، وفيهِ أيضاً تشكيكٌ للعوامِّ والضعفاءِ مِنَ المشتغلينَ ، فليسَ إلا حسمُ مادَّتِهِم ، وحملُهُم علىٰ طريقِ أهلِ الحقِّ .

وقد قالَ العلماءُ أيضاً : لا يجوزُ أنْ يُستعانَ بهِم في كتابةٍ ولا عملٍ مِنْ أعمالِ المسلمينَ ؛ لأنَّ فيهِ إرهاصاً لأهلِ الدينِ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدُ بنُ عبدِ الجبارِ القيروانيُّ[1]

* * *

(١) وانظر ما سبق (٢/ ١٦٧) من زيارة ابن المعلم لهٰذا الإمام بعد كسره شوكة ابن تيمية .

[فهؤلاءِ] رحمَكُمُ اللهُ[1]، فتاوىٰ أهلِ الأمصارِ، وأقوالُ أهلِ الأعصارِ، سلفاً وخلفاً، وماضياً وأُنُفاً، طبقةً بعدَ طبقةٍ، مُبيِّنةٌ لحكمِ اللهِ فيكُم محققةٌ، نقلَها غابرٌ عن غابرٍ، وآثِرٌ عن داثرٍ، شاهدةً بما سمعتُم، فلا نبالي بئستُم بها أو نعمتُم.

ولعمرُ اللهِ؛ إنَّ تظافُرَ أربابِ المذاهبِ على اختلافِها، واجتماعَ أقوالِ الأمَّةِ وائتلافَها، واتِّفاقَ خَلَفِها معَ أسلافِها.. ينوبُ عنِ الإجماعِ، ويدفعُ عواديَ المماراةِ والنزاعِ؛ فإنَّ الأمةَ لا تُجمِعُ على الخَطَا، وإنَّها في ذلكَ أصدقُ مِنَ القَطَا.

ولقد وافقَتْ حكمَ الملكِ فيكُمُ المثبتَ في اللوحِ مِنْ فوقُ، فارجعوا إنْ كانَ لكُم إلى الحياةِ تَوْقٌ؛ فرأيُكُم معَ الجماعةِ أحبُّ مِنْ رأيِكُم وحدَكُم إلينا، وإنْ أبيتُم فعقوبةُ ذلكَ تعزُّ عليكُم لا علينا، والمرادُ بكُمُ اليسرُ لا العسرُ، والقصدُ لكُمُ الربحُ لا الخسرُ، والمأمولُ لكُمُ الهدايةُ لا الضلالُ، والأخوةُ في الإسلامِ تقتضي النصحَ لا النكالَ.

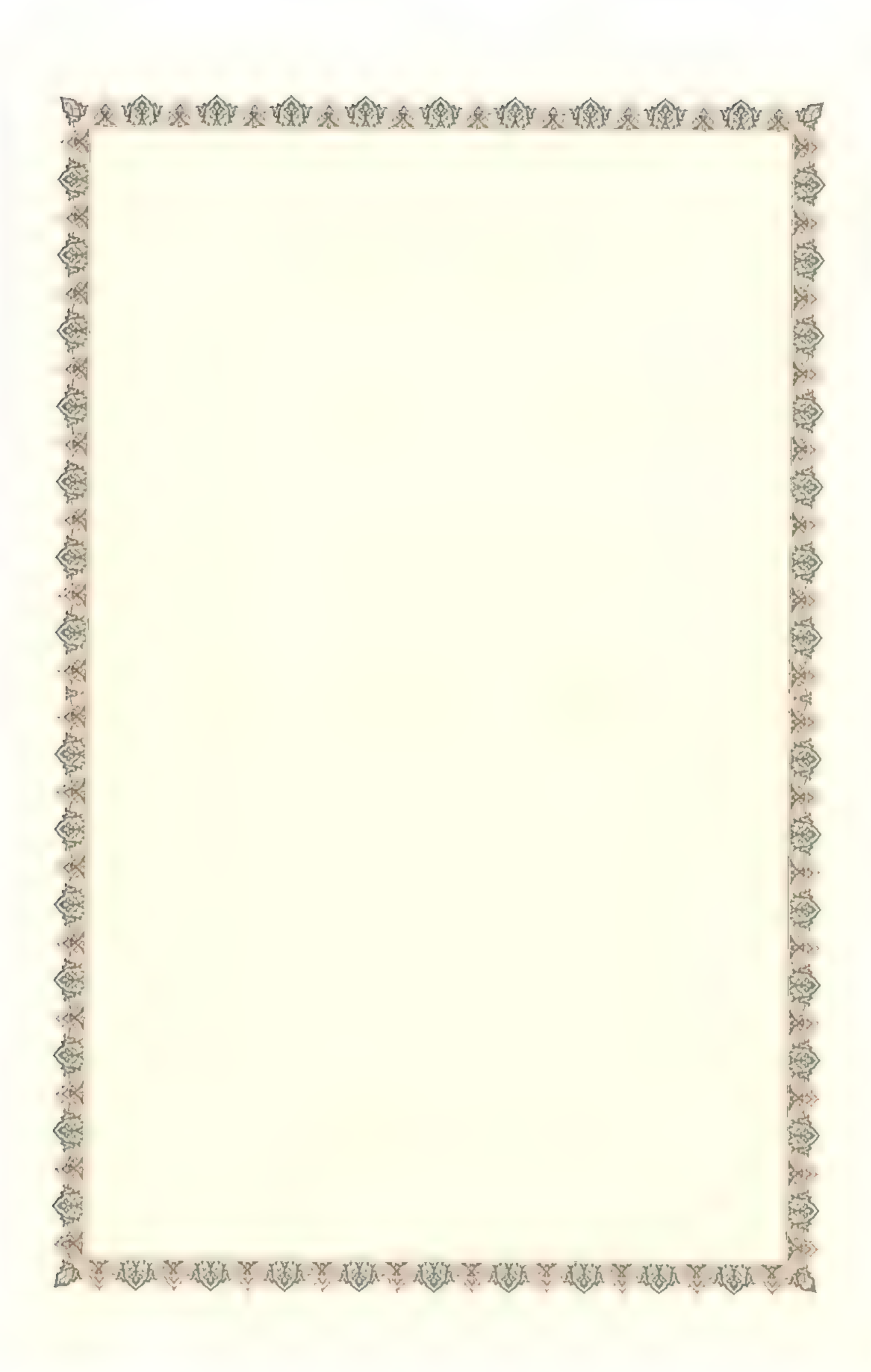
نسألُ اللهَ أنْ يهديَنا ويهديَكُم، ويكفَّ عنِ السوءِ ألسنتَكُم وأيديَكُم، ﴿قُلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[2] [الأنبياء: ١١٢].

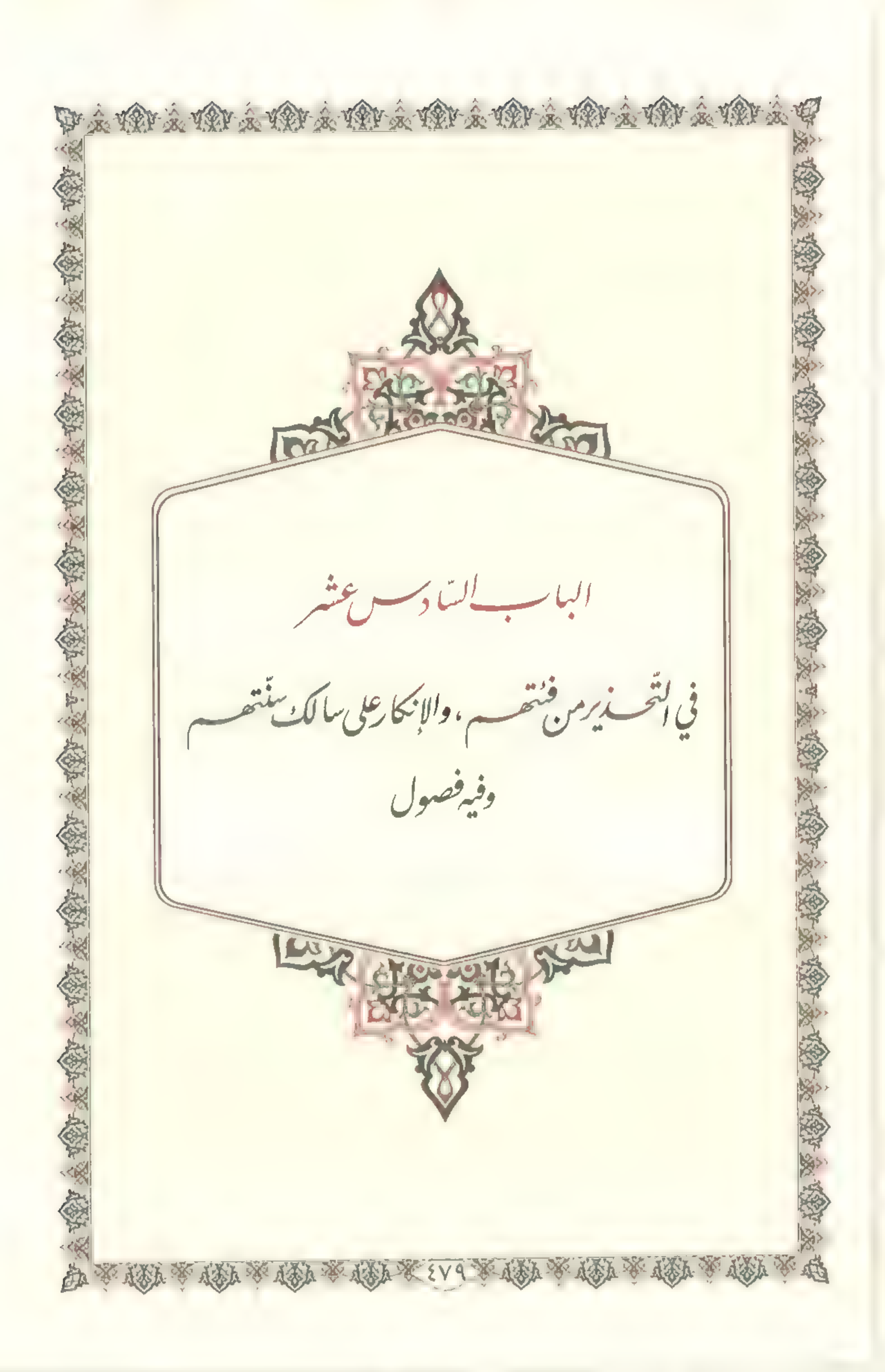
* * *

---

(١) ما بين معقوفين بياض بمقدار ورقة في الأصل، والمثبت متوافق مع السياق.

(٢) قراءة حفص: ﴿قَٰلَ رَبِّ﴾، والمثبت قراءة الباقين. انظر «إتحاف فضلاء البشر» (ص٣٩٥).

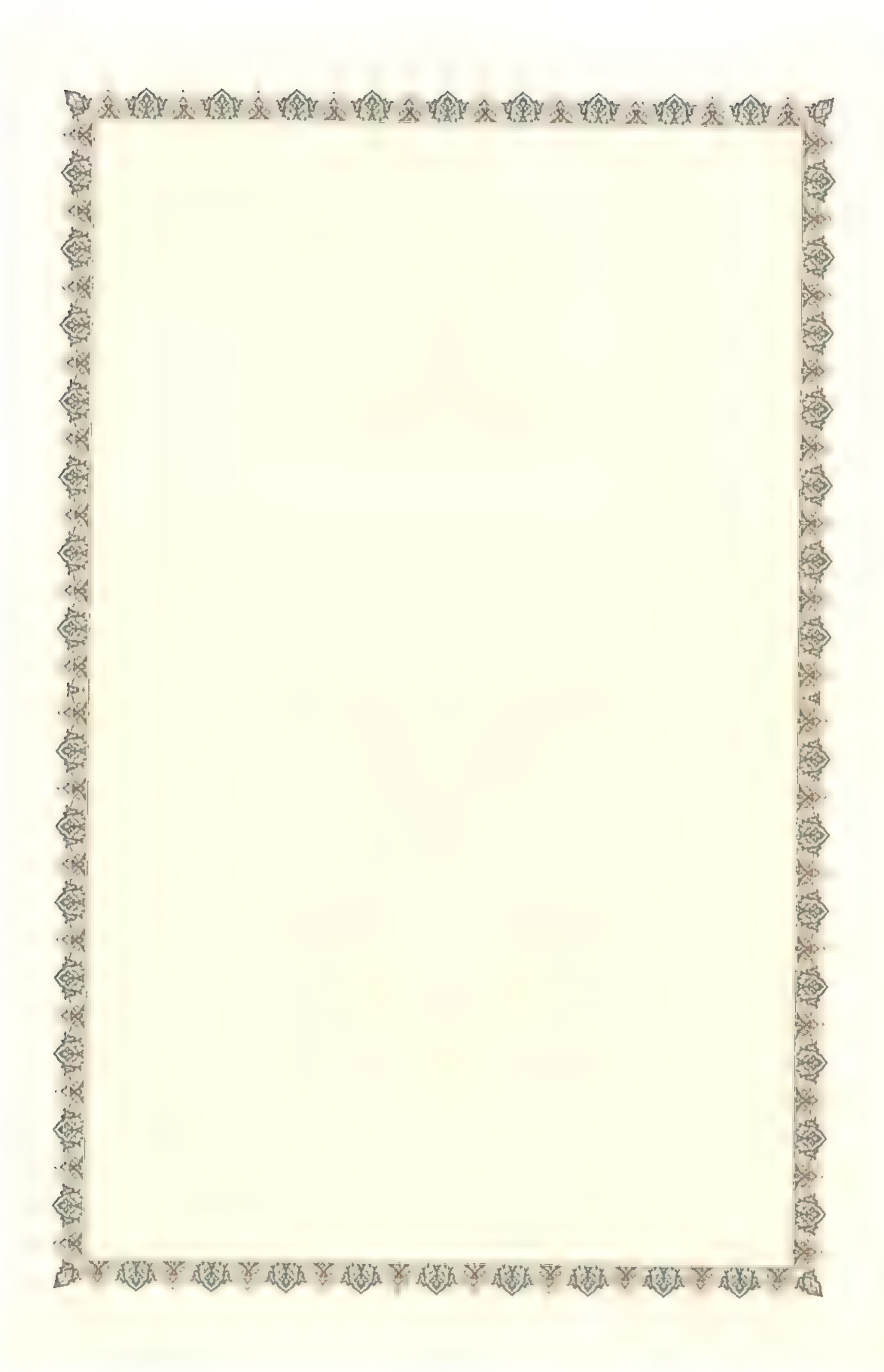




الباب السادس عشر

في التحذير من فتنهم، والإنكار على سالك سنتهم

وفيه فصول



بابُ
التحذير من فتنتهم ، والإنكار على سالك سُنتهم
وفيه فصول

الفصل الأول
فيما ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ؛ شِبْراً بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ؛ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُمْ » ، قلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ اليهودُ والنصارىٰ ؟ قالَ : « فَمَنْ ؟ »[1] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « شَرُّ ٱلْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ »[2] .

وعن نافعٍ ، عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَعْرَضَ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِوَجْهِهِ بُغْضاً لَهُ فِي ٱللهِ .. مَلَأَ ٱللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً ، وَمَنِ ٱنْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَمَّنَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْفَزَعِ ٱلْأَكْبَرِ ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَلَقِيَهُ بِٱلْبُشْرَىٰ وَٱسْتَقْبَلَهُ بِمَا يَسُرُّ .. فَقَدِ ٱسْتَخَفَّ بِمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) ، ومسلم (٢٦٦٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[1] .

وفي روايةٍ عنِ ابنِ عمرَ مثلُهُ ، وزادَ : « وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ رَفَعَهُ ٱللهُ فِي ٱلْجَنَّةِ دَرَجَةً »[2] .

والأحاديثُ في ذلكَ كثيرةٌ ، وقصدُنا الاختصارُ .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٩٩) ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/٣١٤) .

(٢) أخرجها الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٢٠/١٠١) .

الفصل الثاني
فيما ورد في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم

روى الحارثُ الهَمْدانيُّ قالَ : بلغَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ قوماً مِنْ عسكرِهِ فوَّضوا وشبَّهوا ، فأتى فخطبَ الناسَ ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ بما هو أهلُهُ ، ثمَّ قالَ : أيُّها الناسُ ؛ اتقوا هٰذهِ المارجةَ ، قالوا : وما المارجةُ ؟ قالَ : قومٌ يُشبِّهونَ اللهَ تعالى بأنفسِهم ، قالَ : يُضاهونَ قولَ الذينَ كفروا مِنْ قبلُ[1] .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سيرجعُ قومٌ مِنْ هٰذهِ الأمةِ عندَ اقترابِ الساعةِ كُفَّاراً ، فقالَ رجلٌ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ كفرُهُم بماذا ؟ أبالإحداثِ أم بالإنكارِ ؟ فقالَ : بل بالإنكارِ ؛ ينكرونَ خالقَهُم فيصفونَهُ بالجسمِ والأعضاءِ ، أولٰئكَ لا خلاقَ لهُم في الآخرةِ ، ولهُم عذابٌ أليمٌ .

وروى عيسى بنُ زيدٍ ، عن إبراهيمَ النخَعيِّ قالَ : مرَّ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ بحلقةٍ ورجلٌ يُحدِّثُهُم عنِ التوراةِ ، فقامَ عندَهُم ، فسكتَ الرجلُ المذكورُ ، فقالَ عبدُ اللهِ : ما يُحدِّثُكُم صاحبُكُم هٰذا ؟ قالوا : حدَّثَنا عنِ التوراةِ وعن ربِّنا ، فقالَ : عن ربِّكُم ماذا ؟! إنَّهُ لا يُحدَّثُ عنِ اللهِ إلا بالتحقيقِ إيماناً بالغيبِ لا تدركُهُ الأبصارُ ، ولا يحيطُ بهِ علمٌ .

قالوا : حدَّثَنا أنَّ اللهَ لمَّا خلقَ السماواتِ والأرضَ صَعِدَ إلى السماءِ مِنْ بيتِ المقدسِ ، فوضعَ قدمَهُ على الصخرةِ ، وأنَّهُ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا ليلةَ النصفِ مِنْ شعبانَ .

---

(١) أخرجه الربيع بن حبيب في « مسنده » (٨٣٦) ، وفيه : (المارقة) بدل (المارجة) في الموضعين .

فقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّا للهُ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، أكفرٌ بعدَ إيمانٍ ؟! ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء : ٨٩] ، ألا قلتُم كما قالَ إبراهيمُ : ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] .

ألا إنَّ ربَّكُم ليسَ بزائلٍ ، فاتَّهِمُوا اليهودَ علىٰ دينِكُم ؛ فإنَّهُم سيُضِلُّونَ مِنْ هٰذهِ الأمةِ أقواماً كما أضلَّ بولسُ أصحابَ عيسىٰ ، **ألا إنَّ ربَّكُم** ليسَ بزائلٍ ، فاتقوا أنْ تشركوا باللهِ شيئاً ، **ألا إنَّ الشركَ** بضعٌ وسبعونَ باباً ، **ألا إنَّ الشركَ** أخفىٰ مِنْ ذرَّةٍ سوداءَ ، **ألا إنَّ الشركَ** أخفىٰ مِنْ دبيبِ النملِ في ليلةٍ ظلماءَ علىٰ صخرةٍ سوداءَ ، **ألا مَنْ وصفَ** اللهَ بأنَّهُ زائلٌ فقد أنكرَهُ ، **ألا لا تُصدِّقوا** اليهودَ على التوراةِ ؛ فإنَّهُ ليسَ في التوراةِ تكذيبٌ لقرآنِكُم ، فما صدَّقَهُ قرآنُكُم فصدِّقُوهُ ، وما خالفَهُ قرآنُكُم فكذِّبُوهُ ؛ فإنَّهُ سيكونُ رجالٌ مِنْ هٰذهِ الأمةِ يتَّخذُهُمُ الناسُ رؤساءَ وقادةً يتحوَّلونَ عنِ الإيمانِ إلى الكفرِ كما يتحوَّلُ الرجلُ مِنْ دارٍ ، يصفونَ اللهَ بالحدِّ ، وسبحانَ اللهِ عمَّا يصفونَ !!

* * *

الفصل الثالث

فيما جاء من ذلك عن التابعين والصلحاء

رُوِيَ عنِ الفضيلِ بنِ عياضٍ قالَ : (مَنْ أحبَّ صاحبَ بدعةٍ أحبطَ اللهُ عملَهُ ، وأخرجَ نورَ الإسلامِ مِنْ قلبِهِ)[1] .

وقالَ : (إذا رأيتَ مبتدعاً في طريقٍ فخذْ في طريقٍ أخرىٰ)[2] .

وقالَ : (لا يرتفعُ لصاحبِ بدعةٍ إلى اللهِ عملٌ)[3] .

وقالَ : (مَنْ زوَّجَ كريمتَهُ مِنْ مبتدعٍ فقد قطعَ رحمَها)[4] .

وقالَ : (نظرُ المؤمنِ إلى المؤمنِ جلاءُ القلبِ ، ونظرُ الرجلِ إلىٰ صاحبِ البدعةِ يُورِثُ العمىٰ)[5] .

وقالَ : (أكلٌ عندَ اليهوديِّ والنصرانيِّ أحبُّ إليَّ مِنْ أكلٍ عندَ صاحبِ بدعةٍ ؛ فإنِّي إذا أكلتُ عندَهُما لا يُقتدىٰ بي ، وإذا أكلتُ عندَ صاحبِ بدعةٍ اقتدى الناسُ بي ، وعملٌ قليلٌ في سُنَّةٍ خيرٌ مِنْ عملٍ كثيرٍ مِنْ صاحبِ بدعةٍ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

(٢) أخرجه ابن بطة في « الإبانة الكبرىٰ » (٤٩٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

(٤) أخرجه ابن حبان في « الثقات » (١٢٧٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) من كلام الفضيل ، وأخرجه ابن حبان في « الثقات » (١٣١٦٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٣٣٤) من كلام الشعبي رحمه الله تعالىٰ ، وأخرجه ابن حبان في « المجروحين » (١/ ٢٣٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

ومَنْ جلسَ معَ صاحبِ بدعةٍ لم يُعطَ الحكمةَ ، ومَنْ جلسَ إلىٰ صاحبِ بدعةٍ فاحذروهُ ، وصاحبَ بدعةٍ لا تأمنْهُ في دينِكَ ، ولا تُشاوِرْهُ في أمرِكَ ، ولا تجلسْ إليهِ ، فمَنْ جلسَ إليهِ أورثَـهُ العمىٰ .

وإذا علمَ اللهُ مِنْ رجلٍ أنَّهُ مبغضٌ لصاحبِ بدعةٍ . . رجوتُ أنْ يغفرَ اللهُ لهُ وإنْ قلَّ عملُهُ .

وصاحبُ البدعةِ لا يرتفعُ لهُ عملٌ وإنْ كَثُرَ عملُهُ)[١] .

وقالَ الفضيلُ أيضاً : (إنَّ للهِ ملائكةً يطلبونَ حِلَقَ الذكرِ ، فانظرْ معَ مَنْ يكونُ مجلسُكَ ؛ لا يكونُ معَ صاحبِ بدعةٍ ؛ فإنَّ اللهَ لا ينظرُ إليهِم ، **وعلامةُ النفاقِ** : أنْ يقومَ الرجلُ ويقعدَ معَ صاحبِ بدعةٍ)[٢] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (**مِنْ علامةِ البلاءِ** : أنْ يكونَ الرجلُ صاحبَ بدعةٍ)[٣] ، [. . .][٤] .

[هل يُعتبَرُ التقشُّفُ وكثرةُ العبادةِ مِنْ أصحابِ البدعِ ؟]

فإنْ قيلَ : فما بالُنا نرىٰ أكثرَ مَنْ يعتقدُ هـٰذا الاعتقادَ يُظهِرُ التقشُّفَ والتنسُّكَ ، ويُكثِرُ مِنَ الصلاةِ والصومِ والاحترازِ عنِ النجاسةِ ، ويَظهَرُ علىٰ أيديهِم ما يُشبِهُ الكراماتِ ، وربَّما يُخبِرونَ بالمُغيَّباتِ ؟

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٠٣) .

(٢) أخرجه ابن بطة في « الإبانة » (٤٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/١٠٤) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٠٨) .

(٤) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار نصف صفحة .

هـٰذا ؛ ومن العجب أن بعض أئمة الحشوية والمشبهة قديماً وحديثاً يسوقون هـٰذه الآثار وأمثالها للتحذير من الفرق المبتدعة !! ويجهلون أو يتجاهلون أنها وردت فيهم وفي أمثالهم ممن خالفوا عقيدة أهل السنة والجماعة التي دعمها ودافع عنها إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ .

قلنا : أمَّا إظهارُ التقشُّفِ والورعِ وكثرةِ الأعمالِ . . فكالهباءِ ؛ لوجهينِ :

أحدُهما : أنَّ فيهم مَنْ يفعلُ ذلكَ تصنُّعاً ؛ لتنقادَ إليهِ العامَّةُ وتُحسِنَ الظنَّ بهِ وتُقلِّدَهُ في معتقدِهِ الفاسدِ ، فيفعلُ ذلكَ كيداً وشَرَكاً وأُحبولةً علىٰ صيدِ عقولِ الأغمارِ الذينَ ليسَ لهُم معرفةٌ .

والوجهُ الثاني : أنَّ رأسَ المالِ في ذلكَ كلِّهِ الإخلاصُ ، والإخلاصُ رأسُ مالِهِ الإيمانُ ، والإيمانُ مخدوشٌ مخدوجٌ بهٰذا الاعتقادِ الفاسدِ[1] .

وكأنَّ إبليسَ لعنَهُ اللهُ قالَ لهُم : ارجعوا إليَّ في أنْ تعبدوا غيرَ ربِّكُم ، أو في أنْ تُنقِّصوهُ ، أو تعتقدوا أنَّهُ علىٰ صفةِ النقصِ ، ولكُم عليَّ ألا أُطالبَكُم بأمرٍ آخرَ ، ولا أُثبِّطَكُم عن عملٍ تعملونَهُ وتُتعبونَ بهِ أجسادَكُم وتنصبونَ بهِ أبدانَكُم لا يُنتِجُ لكُم منهُ نتيجةٌ ولا يعودُ عليكُم منهُ نفعٌ ، ومصداقُ ذلكَ : في الكتابِ العزيزِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ٢ـ٥] .

[السببُ في ظهورِ الخوارقِ علىٰ يدِ بعضِ المبتدعةِ]

والجوابُ عن سؤالِ الكراماتِ أيضاً مِنْ وجهينِ :

[الجوابُ الأولُ] : أنَّ اللهَ تعالىٰ لهُ في ملكِهِ سرٌّ وإرادةٌ في اختلافِ الأديانِ واختلافِ الأهواءِ ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [هود : ١١٨] ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٩٩] ، فربَّما قدَّرَ اللهُ وقوعَ شيءٍ مِنْ ذلكَ ؛ فتنةً لمَنْ يتَّبعُهُم ، وزيادةً في ضلالِهِ ، وهوَ يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ ، ويكفي ما وردَ في الحديثِ الصحيحِ : أنَّ الدجَّالَ يُعطى الإحياءَ في

---

(١) المخدوج : الناقص .

الرجلِ الذي يضعُ المنشارَ علىٰ رأسِهِ حتىٰ يقدَّهُ بنصفينِ ، ويقولُ : أرأيتُم إنْ أحييتُهُ لكُم ؟ أتشكُّون في الأمرِ ؟

فيقولُ الأغمارُ الذينَ ليسَ لهُم ملاحظةٌ لبواطنِ الأمورِ ومعرفةٌ بعلاماتِ الإلـٰهيةِ وما يجبُ لها ويستحيلُ عليها : إنِ اتَّفقَ ذلكَ لا نشكُّ ، فيُحييهِ ويقولُ : أتؤمنُ بي ؟ فيقولُ : ما كنتُ قطُّ أبصرَ بي منكَ الآنَ ، أنتَ المسيحُ الدجَّالُ[1] .

وما كانَ كذلكَ إلا لأنَّ قدمَهُ راسخةٌ في العلمِ بحقوقِ الإلـٰهيةِ ، وأولـٰئكَ جُهَّالٌ أغمارٌ ، وكذلكَ هـٰؤلاءِ القومُ لا يتَّبعُهُم علىٰ معتقداتِهِم إلا أجلافُ الفلاحينَ ، وجفاةُ الحمَّالينَ[2] .

والجوابُ الثاني : أنَّ المُمخرِقينَ ربَّما يظهرُ عليهِم ما يشبهُ الكراماتِ[3] ، ويخبرونَ بالمُغيَّباتِ ، وكذلكَ الرهبانُ ، ومعَ ذلكَ فلا يُعتقَدُ في أحدٍ منهُم أنَّهُ علىٰ الحقِّ ، ولا يغترُّ بذلكَ إلا مَنْ جهلَ حقَّ الحقِّ ، ولم يكُ في قلبِهِ مِنَ التعظيمِ مثقالُ ذرَّةٍ .

روىٰ يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ قالَ : قالَ صاحبُنا ـ يريدُ : الليثَ بنَ سعدٍ ـ : لو رأيتُ صاحبَ هوىً يمشي على الماءِ ما قبلتُهُ ، فقالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٨/ ١١٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وعقيدة التشبيه من العقائد المُسهِّلة لافتنان الناس بالمسيح الدجال ، والخروج عن ربق العبودية للواحد ذي الجلال ؛ إذ عقيدة التشبيه والتجسيم مأخوذة من عقائد يهودية تجلبب بهـٰذه العقيدة دعاتها ممن يدعون اتباع السلف ؛ لإضلال العوام وفتنتهم ، والوصول إلىٰ غايات دنيوية فانية ، وللمؤلف نظرة ثاقبة في ذلك أشار إليها في (١/ ٩١) .

(٢) انظر ما سيأتي تعليقاً (٢/ ٥٢٣ـ ٥٢٤) .

(٣) المُمخرِق : المموِّهُ .

عنهُ : أَمَا إنَّهُ حصرَ ؛ لو رأيتُهُ يمشي في الهواءِ أيضاً ما قبلتُهُ[1] .

وروىٰ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عمرَ قالَ : ذُكِرَ عندَ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ مهديٍّ قومٌ مِنْ أهلِ البدعةِ واجتهادُهُم في العبادةِ ، فقالَ : لا يقبلُ اللهُ إلا ما كانَ على الأمرِ والسنَّةِ ، ثمَّ قرأ ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ [الحديد : ٢٧] ، فلم تُقبَلْ منهُم ووبَّخَهُم عليها ، ثمَّ قالَ : الزمِ الطريقَ والسنَّةَ[2] .

وقالَ : سألتُ عبدَ الرحمـٰنِ : الرجلُ يكتبُ عهدَهُ أو تكونُ لهُ خصومةٌ ، فيأتي إلىٰ أهلِ البدعِ ؟ قالَ : لا ، مشيُكَ إليهم توقيرٌ ، وقد جاءَ فيمَنْ وقَّرَ صاحبَ بدعةٍ ما جاءَ[3] .

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٣) ، وفيه : (قصَّر) بدل (حصر) ، وهو في « الحلية » (٩/ ١١٦) دون قول الإمام الشافعي .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٨) ، والطريقُ والسنة ما عليه جماهير علماء الأمة أتباع الإمامين الأشعري والماتريدي رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٨) ، وانظر ما سبق من الآثار (٢/ ٤٨١ـ٤٨٦) .

الفصل الرابع

في ذكر تواريخ تنبه من وقف عليها من بعد على مقاصدهم ويظهر له الكامن من مكايدهم

اعلموا وفَّقَنا اللهُ وإيَّاكم : أنَّ ممَّا أوضحَتْهُ التواريخُ ودلَّتْ عليهِ التجاربُ : أنَّ هـٰؤلاءِ لم يزالوا في كلِّ وقتٍ وأوانٍ يُوسِعونَ الحيلةَ ويُعمِلونَ الفكرةَ في أذىٰ أهلِ السنَّةِ والتنزيهِ ، والسببُ في ذلكَ : أنَّهُم يتحيَّلونَ على القربِ مِنَ الملوكِ والخلفاءِ ، فإنْ لم يمكنْهُم تقرَّبوا مِنَ الأمراءِ ووجوهِ الدولةِ ، ويبثُّونَ الدعاةَ مُتستِّرينَ غيرَ مُظهِري بدعتِهِم ، ثمَّ يسرقونَ عقولَهُم مِنْ حيثُ لا يشعرونَ ، فترجعُ إليهِمُ الدعاةُ ويخبرونَهُم بما وصلَتْ حالُهُم إليهِ ؛ كلُّ إنسانٍ معَ مَنْ يصحبُهُ .

فإذا أوثقوا أمرَهُم أظهروا بدعتَهُم ، فيحصلُ لهُم بعضُ المقصودِ مِنْ نكايةِ أهلِ السنَّةِ زمناً ما ، لـٰكنَّ اللهَ يردُّ كيدَهُم ، ويُضعِفُ قوَّتَهُم وأيدَهم ، ويعيدُ الحقَّ إلىٰ نصابِهِ ، والعزَّ إلىٰ أهلِ السنَّةِ الذينَ هم أولىٰ بهِ ، وللهِ العزةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ .

انظرْ ما اتَّفقَ لهُم حينَ ولَّى المأمونُ محمدَ بنَ عبدِ الرحمـٰنِ المخزوميَّ قضاءَ عسكرِ المهديِّ ، فأعملَ بشرُ بنُ الوليدِ الحيلةَ حتىٰ عزلَ محمداً ، وولاهُ المأمونُ القضاءَ بالجهةِ المذكورةِ ، وفي ذلكَ يقولُ محمدٌ : [من الكامل]

يَـا أَيُّهَـا ٱلْمَلِـكُ ٱلْمُعَظَّـمُ رَبَّـهُ ... قَاضِيكَ بِشْرُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ حِمَارُ
يَنْفِـي شَهَـادَةَ مَـنْ يَـدِيـنُ بِمَـا بِـهِ ... نَطَـقَ ٱلْكِتَـابُ وَجَـاءَتِ ٱلْأَخْبَـارُ

وَيَعُـدُّ عَـدْلاً مَـنْ يَقُـولُ بِـأَنَّـهُ شَيْخٌ يُحِيطُ بِجِسْمِهِ ٱلْأَقْطَارُ[1]

تعالى اللهُ عن ذلكَ .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الإمامِ أبي القاسمِ القشيريِّ]

ومِنْ ذلكَ : أنَّ الملكَ طُغْرُلْبَكَ المُكنَّى أبا طالبٍ محمدَ بنَ ميكائيلَ كانَ حنفيّاً سنيّاً ، وكانَ لهُ وزيرٌ يُلقَّبُ بـ (عميدِ المُلْكِ) أبي نصرِ بنِ منصورِ بنِ محمدٍ الكُنْدُريِّ ، وكانَ معتزليّاً رافضيّاً ، فأمرَ السلطانُ بلعنِ المبتدعةِ ، فسُقِطَ في يدِ الوزيرِ ، وجعلَ يعملُ في درءِ هـٰذا الأمرِ عنهُ وعن طائفتِهِ ، فدسَّ عليهِ بعضُ الشياطينِ مَنْ نبَّهَهُ لمخزيةٍ ؛ وهيَ أنْ يلعنَ الطائفةَ الأشعريَّةَ المبتدعةَ ؛ ستراً لحالِهِ ، فتمَّتْ لهُ الحيلةُ ولهُم ، فأمرَ بلعنِهِم ، فامتحنَ حينَئذٍ الأماثلَ ، وعَزلَ أبا عثمانَ بنَ الصابونيِّ عن خطابةِ نيسابورَ ، وولاها بعضَ الحنفيةِ ، وخرجَ حينَئذٍ الإمامُ أبو المعالي الجوينيُّ إمامُ الحرمينِ والأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ ، وهانَ عليهِما [في مخالفتِهِ] مفارقةُ وطنِهِما ، وتولَّى مكانَ الإمامِ في التدريسِ مَنْ يُكنِّي عنهُ في « النهايةِ » بـ (بعضِ المُصنِّفينَ)[2] .

سمعتُ هـٰذهِ الحكايةَ مِنْ شيخِنا الأستاذِ الإمامِ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ البهنسيِّ[3] .

---

(١) كذا أورد ابن المعلم القصة بهـٰذا السياق ، وفي المصادر والمراجع أن بشر بن الوليد من أئمة أهل السنة وممن قاموا على المبتدعة كالمعتزلة ، وأن قائل هـٰذه الأبيات من المعتزلة ذاماً له ، وقوله : (شيخ يحيط بجسمه الأقطار) هو على اعتقاد المعتزلة في نسبة أهل السنة إلى التجسيم والتشبيه ، وكأن المؤلف توهَّم من هـٰذه العبارة كونَ بشر بن الوليد من المشبهة والمجسمة ، فساق القصة على النحو المذكور ، والله تعالىٰ أعلم . انظر « الكامل في التاريخ » (٥/ ٥٣٥) ، و« الجواهر المضية » (١/ ١٦٦) .

(٢) لعله الإمام أبو القاسم الفُوراني صاحب « الإبانة » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) وانظر ما سبق حول فتنة الكندري (١/ ٣٢٩) وما بعدها .

ورأيتُ بعدَ ذلكَ الإمامَ الأستاذَ أبا القاسمِ ابنَ عساكرَ ذكرَ أكثرَها كذلكَ ، وأوردَ للأستاذِ أبي القاسمِ القشيريِّ رسالةً كتبَها إلىٰ أهلِ الآفاقِ يستنصرُ ببواطنِهِم وظواهرِهِم علىٰ أهلِ الابتداعِ ، أبدعَ فيها كلَّ الإبداعِ[1] .

---

(١) زاد في (أ ، ب) : (الحمد لله المجمل في بلائه ، المجزل في عطائه ، العدل في قضائه ، المكرم لأوليائه ، المنتقم من أعدائه ، الناصر لدينه بإيضاح الحق وتبيينه ، المبيد للإفك وأهله ، المجتث الباطلَ من أصله ، فاضح البدع بلسان العلماء ، وممهل الغُواة غير مهملهم ، ومجازٍ كلّاً غداً علىٰ مقتضىٰ عملِهِم .

نحمده علىٰ ما عرَّفنا من توحيده ، ونستوفقه علىٰ أداء ما كلَّفنا من رعاية حدوده ، ونستعصمه من الخطأ والخطل ، والزيغ والزلل ، في القول والعمل ، ونسأله أن يصلي علىٰ سيدنا المصطفىٰ ، وآله مصابيح الدجا ، وأصحابه أئمة الورىٰ .

هـٰذهِ قصة سمَّيناها : « شكاية أهل السنة ما حصل لهم من المحنة » ، تُخبِرُ عن بَثَّة مكروب ، ونَفْثة مغلوب ، وشرح ملم مؤلم ، وذكر مهم موهم ، وبيان خطب فادحٍ ، ونشر سانح ، للقلوب جارح ، رفعها عبد الكريم بن هوازن القشيري إلى العلماء والأعلام ، بجميع بلاد الإسلام .

أمّا بعد :

فإنَّ الله إذا أراد أمراً قدَّره ، فمن الذي أمسك ما يسَّره ، أو قدَّم ما أخَّره ، أو غلبه علىٰ أمر وقهرَهُ ؟! كلاً ، بل هو الله الواحد القهار ، الماجد الجبار .

ومما ظهر ببلدة نيسابورَ من قضايا التقدير ، مفتتحَ سنة خمس وأربعين وأربع مئة من الهجرة . . ما دعا أهل الدين إلىٰ شق صدور صبرهم ، وكشف قناع ضُرِّهم ، بل ظلَّت المِلَّةُ الحنيفية تشكو غليلها ، وتبدي عويلها ، وتنصب عَزالي رحمة الله علىٰ من يسمع شَكْوها ، وتصغي ملائكة السماء حين تندب شَجْوها ؛ وذلك من لعن إمام الدين ، وسراج ذوي اليقين ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، وناصر الحق ، وناصح الخلق ، الولي الرضي ، أبي الحسن الأشعريِّ ، قدَّس الله روحه ، وسقىٰ بماء الرحمة ضريحه .

وهو الذي ذبَّ عن الدين بأوضح حُجَج ، وسلك في قمع المبتدعة وسائر أنواع المعتزلة أبينَ نَهَج ، واستنفد عمره في الفحص عن الحق .

ولمَّا مَنَّ الله الكريم علىٰ أهل الإسلام بزمان السلطان المعظَّم المُحكَّم ، بالقوَّة السماوية في رقاب الأمم ، يمينِ خليفة الله ، وغياث عباد الله ؛ طُغْرُلْبَك أبي طالب محمد بن ميكائيل ، وقام بإحياء السنة ، والمناضلة عن الملة ، حتىٰ لم يبق من أصناف المبتدعة حزباً إلاَّ سلَّ =

. . . .

= لاستئصالهم سيفاً عضباً ، وأذاقهم ذُلاً وخسفاً ، ونسف آثارهم نسفاً . . حرجت صدور أهل البدع عن تحمل هـٰذه النِّقَم ، وضاق صبرهم عن مقاساة هـٰذا الألم ، ومُنُوا بلعن أنفسهم علىٰ رؤوس الأشهاد بألسنتهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت بانفرادهم بالوقوع في مَهْواة محنتهم ، فسوَّلت لهم أنفسهم أمراً ، وظنُّوا أنَّهم [بنوعِ] تخنيس ، أو ضرب تدليس ، [لعلهم] يجدون لعسرهم يسراً .

فسعَوْا إلىٰ عالي مجلس السلطان بنوع نميمة ، ونسبوا الأشعري إلىٰ مذاهب ذميمة ، وحكَوْا عنه مقالاتٍ لا يوجد في كتبه منها حرفٌ ، ولم يُرَ في المقالات المصنفة للمتكلمين الموافقين والمخالفين من وقت الأوائل إلىٰ زماننا هـٰذا لشيء منها . . حكايةٌ ولا وصفٌ ، بل كلُّ ذلك تزوير ، وبهتان بغير تقرير .

ثم قال : « وما نَقَمُوا من الأشعري إلا أنه قال كذا وكذا. . . » ، وذكر معتقده ، ثم قال في آخره : « وما لا يخفىٰ من مسائل الأصول التي تخالف طريقةُ طريقةَ المعتزلة والمجسمة فيها . معاشرَ المسلمينَ ؛ الغياثَ الغياثَ ، سعوا في إبطال الدين ، وراموا هدم قواعد المسلمين ، وهيهات هيهات ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة : ٣٢] !! وقد وعد الله للحق نصره وظهوره ، وللباطل محقه وثبوره » .

ثم قال : « ولمَّا ظهر ابتداء هـٰذه الفتنة بنيسابور ، وانتشر في الآفاق خبرُهُ ، وعظم علىٰ قلوب كافة المسلمين من أهل السنة والجماعة أثره ، ولم يبعدْ أن يخامر قلوبَ بعض أهل السلامة والوداعة توهُّمٌ في بعض هـٰذه المسائل أن الإمام أبا الحسن قال ببعض هـٰذه المقالات في كتبه ، ولقد قيلَ : « مَنْ يسمعْ يَخَلْ » . . أثبتْنا هـٰذه الفصول في شرح هـٰذه الحالة ، وأوضحنا صورة الأمر بذكر هـٰذه الجملة ؛ ليصرف كلُّ من كان من أهل السنة مُهِمَّه في الانتصار لدين الله تعالىٰ ؛ من دعاء يخلصه ، واهتمام يصدقه ، وكَلٌّ عن قلوبنا بالاستماع إلىٰ هـٰذه القصة يحمله ، بل ثواب من الله تعالىٰ على التوجُّع بذلك يستوجبه ، والله غالب علىٰ أمره ، وله الحمد علىٰ ما يمضيه من أحكامه ويبرمه ، ويقضيه من أفعاله فيما يؤخره ويقدمه .

وصلواتُهُ علىٰ سيدنا المصطفىٰ وسلامُهُ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ») .

وفي هامشها : (مرّت هـٰذه الرسالة ، فلا تكتب بعد قولي : « الإبداع » ، وقد قدَّمتُها في « باب فضائل أبي الحسن » ، وكأنَّ ذكرها هنا أمسُّ من هناك) ، وفيها اختلاف في الألفاظ وسقط يسير عما ورد سابقاً . انظر (١/ ٣٣٢ـ٣٣٦) .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ ـ وغيرُهُ معنىً ، واللفظُ لابنِ عساكرَ ـ : فلم يكنْ إلا يسيراً حتىٰ تقشَّعَتْ تلكَ الضبابةُ[1] ، وتبدَّدَ بهُلْكِ الوزيرِ شملُ تلكَ العصابةِ ، وماتَ ذلكَ السلطانُ ، ووليَ ابنُهُ ألب أرسلان[2] ، واستوزرَ الوزيرَ الكاملَ ، والصدرَ العالمَ العاملَ أبا عليٍّ الحسنَ ابنَ إسحاقَ[3] ، فأعزَّ أهلَ السنَّةِ وقمعَ أهلَ البدعةِ والنفاقِ ، وأمرَ بإسقاطِ ذكرِهِم مِنَ السبِّ ، وإفرادِ مَنْ عداهُم مِنَ المبتدعةِ باللعنِ والثلبِ ، واسترجعَ مَنْ خرجَ منهُم إلىٰ وطَنِهِ ، واستقدمَهُ مُكرَّماً بعدَ بُعدِهِ وظَعَنِهِ ، وبنىٰ لهُمُ المساجدَ والمدارسَ ، وعقدَ لهُمُ الحِلَقَ والمجالسَ ، وبُنِيَ لهُمُ الجامعُ المَنيعيُّ في أيامِ ذلكَ السلطانِ[4] .

وكانَ ذلكَ تداركاً لما سلفَ في حقِّهِم مِنَ الامتحانِ ، فاستقامَ في وزارتِهِ [الدينُ] بعدَ اعوجاجِهِ ، وصفا عيشُ أهلِ السنَّةِ بعدَ تكدُّرِهِ وامتزاجِهِ ، واستقرَّ الأمرُ بيُمْنِ نقيبتِهِ علىٰ ذلكَ إلىٰ هـٰذا الوقتِ[5] ، ونُظِرَ أربابُ البدعِ بعينِ

---

(١) في « التبيين » : (السحابة) .

(٢) كذا في نسختينا و« التبيين » ، وإنما هو ابن أخيه . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤١٤)، و« شذرات الذهب » (٥/ ٢٧٣) .

(٣) في « التبيين » : (العادل) بدل (العامل) ، وهـٰذا الوزير هو : الإمام الشهيد الفاضل الصالح العادل ، صاحب المناقب الكثيرة التي لا تعد ولا تحصىٰ : أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الملقب بـ (نظام الملك) (ت٤٨٥هـ) ، وهو باني المدارس العديدة التي شُهرت باسمه ، ومن أشهرها : نظامية بغداد التي درَّس بها كبار الأئمة ؛ كالإمام أبي إسحاق الشيرازي ، والإمام ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، والإمام الغزالي ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٠٩) وما بعدها .

(٤) والباني لهـٰذا الجامع : هو أبو علي حسان بن سعيد المخزومي الرئيس المَنيعي الحاجِّي (ت٤٦٣هـ)، وقد بنىٰ هـٰذا الجامعَ من خالص ماله ، وأنفق في بنائه الأموال الجزيلة ، وكان خطيبه الإمام الكبير أبا المعالي الجويني . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٠٠).

(٥) يقال : رجل ميمون النقيبة ؛ إذا كان مبارك النفس، مظفراً بما يحاول ، مُنجح الفعال ، نافذ الرأي .

الاحتقارِ والمقتِ ، ولم يضرَّ جمعَ الفرقةِ المنصورةِ ، ما فرطَ في حقِّهم في المدَّةِ اليسيرةِ ، ممَّنْ قصدَهُم بالمساءةِ ، ورماهُم بالشناعةِ ؛ لما ظهرَ بهم مِنَ اللعنِ ؛ إذْ كانوا بُرآءَ عندَ العقلاءِ والعلماءِ مِنَ الابتداعِ والذمِّ والطعنِ ، ولهُم في أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أسوةٌ حسنةٌ ؛ فقد كانَ يُسَبُّ على المنابرِ في الدولةِ الأمويةِ نحواً مِنْ ثمانينَ سنةً ، فما ضرَّ ذلكَ علياً رضوانُ اللهِ عليهِ ، ولا التحقَ بهِ ما نُسِبَ إليهِ .

وقُتِلَ الوزيرُ شرَّ قِتْلةٍ ، بعدَ أنْ مُثِّلَ بهِ كلَّ مُثْلةٍ[1] ، وفيهِ يقولُ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ : [من الوافر]

عَمِيدَ ٱلْمُلْكِ سَاعَدَكَ ٱللَّيَالِي ... عَلَىٰ مَا رُمْتَ مِنْ دَرَكِ ٱلْمَعَالِي[2]

فَلَمْ يَكُ مِنْكَ شَيْءٌ غَيْرَ أَمْرٍ ... بِلَعْنِ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَى ٱلتَّوَالِي

فَقَابَلَكَ ٱلْإِلَٰهُ بِمَا تُلَاقِي ... فَذُقْ مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ ٱلنَّكَالِ

انتهىٰ كلامُ الحافظِ ابنِ عساكرَ[3] .

وقالَ غيرُهُ مِنَ المؤرخينَ : (كانَ قتلُ الكُنْدُريِّ يومَ الأحدِ السادسَ عشرَ مِنْ ذي الحجَّةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ ، ومُثِّلَ بهِ ؛ فدُفِنَتْ مذاكرُهُ بخوارزمَ ، ودُفِنَ جسدُهُ بكُنْدُرَ ، ودماغُهُ وعظمُ رأسِهِ بنيسابورَ ، وسوءتُهُ وجلدةُ رأسِهِ حُشِيَتْ تبناً وطِيفَ بها ثمَّ دُفِنَتْ بكرمانَ)[4] .

ألحقَ اللهُ بهِ كلَّ مُبتدعٍ ، ولا أتاحَ لهُ القَدَرُ اصطناعَ مُصطنعٍ .

---

(١) انظر ما سبق تعليقاً (١/٣٢٩) .

(٢) في « التبيين » : (ما شئت) بدل (ما رمت) .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٣٧ـ٢٤٠) .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (٥/١٤٢) ، و« البداية والنهاية » (١٢/٩٣) ، وانظر ما سبق تعليقاً (١/٣٢٩) من كلام الذهبي في الكُنْدُري هنذا وردَّه .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الإمامِ أبي نصرٍ القشيريِّ]

ومِنْ ذلكَ : قضيَّتُهم معَ الإمامِ أبي نصرٍ عبدِ الرحيمِ بنِ عبدِ الكريمِ القشيريِّ ، وكانَ قدِ اشتغلَ علىٰ إمامِ الحرمينِ ، وخرجَ إلى الحجِّ ، فوصلَ إلىٰ بغدادَ ، وعقدَ بها مجلسَ وعظٍ ، وحصلَ لهُ قَبولٌ عظيمٌ ، وحضرَ الشيخُ أبو إسحاقَ الشيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ مجلسَهُ ، وأطبقَ علماءُ بغدادَ علىٰ أنَّهُم لم يرَوا مثلَهُ ، وكانَ يعظُ في المدرسةِ النظاميةِ ورباطِ شيخِ الشيوخِ ، فجرىٰ لهُ معَ الحنابلةِ الخصامُ بسببِ الاعتقادِ ؛ لأنَّهُ تعصَّبَ للأشاعرةِ ، وانتهى الأمرُ فيهِ إلىٰ فتنةٍ قُتِلَ فيها جماعةٌ مِنَ الفريقينِ ، وركبَ أحدُ أولادِ نظامِ المُلْكِ حتىٰ سكَّنَها ، وبلغَ الأمرُ نظامَ الملكِ وهوَ بأصفهانَ ، فسيَّرَ إليهِ واستدعاهُ ، فلمَّا حضرَ إليهِ زادَ في كرامتِهِ ، ثمَّ جهَّزَهُ إلىٰ نيسابورَ ، فلمَّا وصلَها لازمَ التدريسَ والاشتغالَ والإشغالَ والتذكيرَ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ في التاريخِ المذكورِ في ترجمتِهِ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الإمامِ فخرِ الدينِ الرازيِّ]

ومِنْ ذلكَ : ما أثاروهُ مِنَ الفتنةِ بفَيرُوزكوهَ مِنْ خراسانَ ؛ وذلكَ أنَّ الإمامَ فخرَ الدينِ بنَ الخطيبِ الرازيَّ كانَ قدمَ إلىٰ غياثِ الدينِ الغوريِّ أخي شهابِ الدينِ صاحبِ غزنةَ ، فأكرمَهُ غياثُ الدينِ واحترمَهُ ، وبنىٰ لهُ مدرسةً بهراةَ بالقربِ مِنَ الجامعِ ، فقصدَهُ الفقهاءُ مِنَ البلادِ ، فعظُمَ ذلكَ على الكراميةِ وهم كثيرٌ بهراةَ ، وأمَّا الغوريةُ فكلُّهُم كراميةٌ ، فكرهوهُ ، وكانَ أشدُّ الناسِ عليهِ الملكَ ضياءَ الدينِ ، وهوَ ابنُ عمِّ غياثِ الدينِ وزوجُ ابنتِهِ .

---

(١) الإحالة إلى ترجمته تؤكد وجود السقط الذي نبَّهت عليه سابقاً . انظر « تبيين كذب المفتري » (٥٦٥ـ٥٧٤) ، و (١/٤٤٧ ، ٤٥١) .

فاتَّفقَ أنْ حضرَ الفقهاءُ مِنَ الكراميةِ والحنفيةِ والشافعيةِ عندَ غياثِ الدينِ بفيروزكوهَ للمناظرةِ ، وحضرَ فخرُ الدينِ الإمامُ ومجدُ الدينِ عبدُ المجيدِ بنُ عمرَ المعروفُ بـ (ابنِ القدوةِ) وهوَ مِنَ الكراميةِ الهيصميةِ[1] ، ولهُ عندَهُم محلٌّ لزهدِهِ ، فتكلَّمَ الإمامُ فخرُ الدينِ ، فاعترضَ عليهِ ابنُ القدوةِ ، فاستطالَ عليهِ الإمامُ فخرُ الدينِ وبالغَ وشتمَهُ ، وابنُ القدوةِ لا يزيدُ علىٰ أنْ يقولَ : لا يفعلُ مولانا ، لا واخذَكَ اللهُ ، أستغفرُ اللهَ ، فانفصلوا علىٰ هـٰذا ، وقامَ الملكُ ضياءُ الدينِ ، وشكىٰ إلىٰ غياثِ الدينِ ، وذمَّ الإمامَ فخرَ الدينِ ، ونسبَهُ إلىٰ ما لا يليقُ بهِ ، وحاشاهُ ممَّا رماهُ بهِ .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ وعظَ ابنُ عمٍّ للمجدِ ابنِ القدوةِ بالجامعِ ، فلمَّا صعدَ المنبرَ قالَ بعدَ أنْ حمدَ اللهَ تعالىٰ وصلَّىٰ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

أيُّها الناسُ ؛ إنَّا لا نقولُ إلا ما صحَّ عندَنا عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأمَّا علمُ أرسطاطاليسَ ، وكفرياتُ ابنِ سينا ، وفلسفةُ الفارابيِّ . . فلا نعلمُها ، فلأيِّ معنىً ولأيِّ حالٍ يُشتَمُ بالأمسِ شيخٌ مِنْ شيوخِ الإسلامِ يذبُّ عن دينِ اللهِ وعن سنَّةِ نبيِّهِ ؟!) ، وبكىٰ ، وضجَّ الناسُ ، وبكى الكراميةُ واستغاثوا ، وأعانَهُم مَنْ يُؤثِرُ بُعدَ الإمامِ فخرِ الدينِ ، وكادَ الناسُ يقتتلونَ[2] .

فرأى الإمامُ فخرُ الدينِ تسكينَ هـٰذهِ الثائرةِ بعودِهِ إلىٰ هَراةَ ، وكانَ ذلكَ

---

(١) نسبة إلىٰ محمد بن الهيصم رأس الكرامية في زمانه . انظر « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للفخر الرازي (ص٦٧) .

(٢) ولم يأتِ هـٰذا المبتدع بكلام علمي في رده على الإمام الفخر الرازي ، وإنما ذكر جعجعة خطابية عاطفية ، كما هو شأن المبتدعة في كل زمان ؛ فإنهم يلجؤون إلى البكاء والصراخ والعويل وشق الصدور ، عندما يفحمهم الخصم ويبين فساد قلوبهم وعقائدهم .

سنةَ خمسٍ وتسعينَ ، ولم يزلِ الملكُ شهابُ الدينِ مُعظِّماً للإمامِ فخرِ الدينِ يُحضِرُهُ مجلسَهُ ، فيعظُهُ وينذرُهُ ويحثُّهُ على الخيرِ والبرِّ[١] .

ورأيتُ الإمامَ عزَّ الدينِ ابنَ الأثيرِ الجزريَّ عدَّ مِنْ مناقبِ الملكِ شهابِ الدينِ الغوريِّ ؛ قالَ (وكانَ فخرُ الدينِ الرازيُّ يعظُ في دارِهِ ، فقالَ لهُ يوماً : يا سلطانُ ؛ لا سلطانُكَ يبقىٰ ولا كلامُ الرازيِّ ، وبكىٰ ، وبكى الملكُ شهابُ الدينِ ، وبكىٰ كلُّ مَنْ حولَهُ)[٢] .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الوزيرِ نظامِ الملكِ مسعودِ بنِ عليٍّ]

ومِنْ ذلكَ : ما فعلوهُ مِنَ الحسدِ ؛ فإنَّ الوزيرَ نظامَ المُلكِ [مسعودَ بنَ عليٍّ][٣] وزيرَ خوارزم شاه علاءِ الدينِ تُكَشَ . . كانَ قد بنىٰ جامعاً بمروَ مُشرِفاً علىٰ جامعِ الخليفةِ ، فغضبَ شيخُ الإسلامِ مقدَّمُ الحنابلةِ بها[٤] ، فجمعَ الأوباشَ وأحرقَهُ ، فأنفذَ خوارزم شاه فأحضرَ شيخَ الإسلامِ وجماعةً ممَّنْ سعىٰ في ذلكَ فأغرمَهُم مالاً كثيراً ، وعنَّفَهُم علىٰ ما صدرَ منهُم ، وذلكَ في سنةِ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ .

ثمَّ بعدَ ذلكَ دُسَّ عليهِ مَنْ قتلَهُ مِنَ الإسماعيليةِ[٥] .

انظرْ هٰذهِ الجرأةَ ، وهٰذا التعدِّيَ للحسدِ المفرطِ ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ .

---

(١) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/١٦٥ـ ١٦٦) ، وما سبق في ترجمة الفخر الرازي (١/٥٣٨ـ٥٣٩ ، ٥٤١) .

(٢) الكامل في التاريخ (١٠/٢١٨) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات .

(٤) في « الكامل في التاريخ » (فتعصَّب) بدل (فغضب) .

(٥) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/١٧٢) .

[فتنةٌ ثانيةٌ زمنَ الإمامِ فخرِ الدينِ الرازيِّ]

ومِنْ ذلكَ : ما روَّجوهُ في سنةِ اثنتينِ وستِّ مئةٍ ؛ وذلكَ أنَّهُ لمَّا عزمَ شهابُ الدينِ أبو المظفرِ محمدُ بنُ سامٍ الغوريُّ ملكُ غزنةَ على قصدِ الخِطَا[1] . . كانَ في مخيمِهِ ذاتَ ليلةٍ ، فدخلَ نفرٌ مِنَ الملاحدةِ إلى مطافِهِ ، فقتلَ أحدُهُم بعضَ الحرسِ ببابِ سرادقِ شهابِ الدينِ ، فلمَّا قتلوهُ ثارَ أصحابُهُ فاشتغلوا به ، فقطعَ اثنانِ مِنَ الملاحدةِ قطعةً مِنَ السرادقِ ودخلا على شهابِ الدينِ الخركاهُ[2] ، فضرباهُ بالسكاكينِ اثنتينِ وعشرينَ ضربةً ، فماتَ ، فدخلَ أصحابُهُ فوجدوهُ قتيلاً وهوَ ساجدٌ ، فقُتِلَ الملاحدةُ .

وسارَ الوزيرُ مؤيدُ الملكِ وأتابكُ العساكرِ بجسدِهِ إلى غزنةَ في قصَّةٍ طويلةٍ ، فجاءَ بعضُ المفسدينَ إلى الغوريةِ ، وقالَ للمماليكِ : إنَّ فخرَ الدينِ الرازيَّ قتلَ مولاكُم ؛ لأنَّهُ نفذَ إليهِ مَنْ قتلَهُ ، وبالغوا في ذلكَ ، وألحُّوا على جماعةٍ مِنَ المماليكِ والغوريةِ ، وكانَ أكثرُ الغوريةِ كراميةً يبغضونَ الإمامَ فخرَ الدينِ ، فقالوا : ما قتلَ أستاذَنا إلا فخرُ الدينِ ؛ لأنَّهُ بموضعٍ مِنْ خوارزم شاه ، فثاروا بهِ ليقتلوهُ ، فهربَ وقصدَ مؤيدَ الملكِ الوزيرَ ، فأعلمَهُ بالحالِ ، فأخفاهُ عندَهُ وأرسلَهُ إلى مأمنِهِ ، وردَّ مكيدتَهُم[3] .

---

(١) والخِطَا : جنس من الترك ، بلادهم متاخمة لبلاد الصين . انظر « صبح الأعشى » (٤/٤٨١) .

(٢) الخركاه : بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويغشَّى بالجوخ ونحوه ، يحمل في السفر ليكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد . انظر « صبح الأعشى » (٢/١٤٦) .

(٣) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/٢١٥ـ٢١٦) .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ العزِّ بنِ عبدِ السلامِ]

فأمَّا قضيتُهُم معَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ . . فهيَ أشهرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ[1] ، ونهضَ الشيخُ جمالُ الدينِ محمودُ بنُ أحمدَ البخاريُّ الحنفيُّ المعروفُ بـ (الحَصيريِّ) فيها للهِ عزَّ وجلَّ ، وأرغمَ اللهُ بهِ معاطسَهُم ، وعادَ الأشرفُ إلىٰ وُدِّ الشيخِ عزِّ الدينِ وإكرامِهِ وتبجيلِهِ والتحيُّلِ علىٰ رضاهُ ، وذلكَ فيما أخبرَني بهِ ولدُهُ الشيخُ الإمامُ العلامةُ شرفُ الدينِ محمدٌ إجازةً[2] ؛ قالَ : (لمَّا دخلَ الملكُ الأشرفُ دمشقَ ، واتَّصلَ بهِ ما عليهِ والدي . . أحبَّهُ وصارَ يلهجُ بذكرِهِ ، ويتعرَّضُ إلى الاجتماعِ بهِ ، وهوَ يعرضُ عن ذلكَ ، ويُؤْثِرُ الانقطاعَ إلىٰ ملكِ الملوكِ ، والوقوفَ ببابِهِ ، والعكوفَ علىٰ جنابِهِ .

وكانَ للشيخِ أعداءٌ في الدينِ ، مِنَ الحنابلةِ المبتدعينَ ، وكانوا في تلكَ الدولةِ مُتقدِّمينَ ، وكانَ الملكُ الأشرفُ رحمَهُ اللهُ قد صحبَ جماعةً منهُم ممَّنْ يقولُ بالحرفِ والصوتِ ، وكانوا يقولونَ لهُ : هٰذا اعتقادُ السلفِ واعتقادُ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ وفضلاءِ أصحابِهِ ، وقرَّروا ذلكَ عندَ السلطانِ ، حتى اختلطَ اعتقادُهُ لذلكَ بلحمِهِ ودمِهِ ، وصارَ يعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ مباحُ الدمِ .

فقالَتْ لهُ طائفةٌ منهُم : ابنُ عبدِ السلامِ أشعريُّ المذهبِ ، غيرُ معتقدٍ للحرفِ والصوتِ ، بل يُخطِّئُ مَنْ يعتقدُ الحرفَ والصوتَ ، ويسبُّهُ ويذمُّهُ ويقدحُ في دينِهِ أتمَّ القدحِ ، ومِنْ جملةِ اعتقادِهِ : أنَّهُ يقولُ بقولِ الأشعريِّ : إنَّ

---

(١) وسبقت الإشارة إليها في (٢/ ٦٦ ، ٧٩) .

(٢) وقد أفرد شرف الدين هٰذه الفتنة والواقعة بمؤلف خاص ، كما أشار عليه والده بذلك ، وسمَّىٰ هٰذا المؤلف : « إيضاح الكلام فيما جرىٰ للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام » ، وانظر (٢/ ٦٦) ، و« إيضاح الكلام » (ص٣) .

الخبزَ لا يُشبعُ ، والماءَ لا يُروي ، والنارَ لا تُحرِقُ ، فاستهولَ السلطانُ ذلكَ واستعظمَهُ ، واتَّهمَهُم في ذلكَ ولم يُصدِّقْهُم ، ونسبَهُم إلى التعصُّبِ عليهِ ، فكتبوا فتيا في مسألةِ الكلامِ وأحضروها .

وكانَ الشيخُ قدِ اتَّصلَ بهِ ما ألقوهُ إلى السلطانِ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّ هـٰذهِ الفتيا كُتِبَتِ امتحاناً ، واللهِ ؛ لأكتبَنَّ فيها بمُرِّ الحقِّ[1] ، فكانَ مِنْ جملةِ ما كتبَ فيها بعدَ حمدِ اللهِ وتعظيمِهِ وتنزيهِهِ وتوحيدِهِ[2] :

وأنَّهُ حيٌّ ، [مريدٌ] ، سميعٌ ، بصيرٌ ، عليمٌ ، قديرٌ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، ولا يُعتقَدُ في كلامِهِ أنْ ينقلبَ مداداً في الألواحِ والأوراقِ[3] ، شكلاً ترمقُهُ العيونُ والأحداقُ ، كما زعمَ أهلُ الحشوِ والنفاقِ ، بلِ الكتابةُ مِنْ أفعالِ العبادِ ، ولا يُتصوَّرُ في أفعالِهِم أنْ تكونَ قديمةً ، ويجبُ احترامُها لدَلالتِها على ذاتِهِ[4] ، كما يجبُ احترامُها لدَلالتِها على صفاتِهِ ، وحُقَّ لمَنْ دلَّ عليهِ وانتسبَ إليهِ أنْ تُعتقدَ عظمتُهُ[5] ، وتُرعى حرمتُهُ ؛ ولذلكَ

---

(١) وهـٰذه العقيدة الآتية هي المسماة بـ « الملحة في اعتقاد أهل الحق » ، وقد تقدمت بطولها في (٢/ ٦٦ـ ٧٩) ، وفيها اختلاف يسير في الألفاظ عما ورد سابقاً ، وذكر المؤلف قبلُ جملةً من أخبره بهـٰذه العقيدة ؛ ومنهم الأئمة : الشريف أبو عبد الله الكركي الفاسي ، وأبو عبد الله ابن النعمان ، ورضي الدين القسطنيني ، ونور الدين العيني ، وأما في هـٰذا الفصل : فإنه شرح حال الفتنة التي تعرض لها الإمام ابن عبد السلام ، مسندةً عن ابنه شرف الدين ، وانظر (٢/ ٦٦) .

(٢) وقد ذكر المؤلف في (٢/ ٦٧) نقلاً عن الأئمة المصرح بهم في التعليق السابق.. ديباجةَ هـٰذه العقيدة ، والاختصارُ المذكور هنا هو لفظ شرف الدين بن العز بن عبد السلام . انظر « إيضاح الكلام » (ص٤) .

(٣) في « إيضاح الكلام » وفيما مرَّ : (ولا يتصور) بدل (ولا يعتقد) .

(٤) كذا في الأصل و« إيضاح الكلام » ، والذي سبق في (٢/ ٦٧) : (على كلامه) بدل (على ذاته) .

(٥) قوله : (لمن) كذا في الأصل ، والذي في « إيضاح الكلام » وما سبق في (٢/ ٦٧) : (لما) .

يجبُ احترامُ الكعبةِ والأنبياءِ ، والعُبَّادِ والعلماءِ .

أَمُـرُّ عَلَـى ٱلـدِّيَـارِ دِيَـارِ لَيْلَـى ... أُقَبِّـلُ ذَا ٱلْجِـدَارَ وَذَا ٱلْجِـدَارَا[1]

ولمثلِ ذلكَ يُقبَّلُ الحجرُ الأسودُ ، ويحرمُ على المُحدِثِ أنْ يمَسَّ المصحفَ ؛ أسطرَهُ وحواشيَهُ التي لا كتابةَ عليها ، وجلدَهُ وخريطتَهُ التي هوَ فيها ، فويلٌ لمَنْ زعمَ أنَّ كلامَ اللهِ القديمَ شيءٌ مِنْ ألفاظِ العبادِ ، أو رسمٌ مِنْ أشكالِ المدادِ[2] .

وأحمدُ ابنُ حنبلٍ وفضلاءُ أصحابِهِ وسائرُ علماءِ السلفِ . . برآءُ ممَّا نسبوهُ إليهِم واختلقُوهُ عليهِم ، وكيفَ يُظَنُّ بأحمدَ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ أنْ يعتقدوا أنَّ وصفَ اللهِ القديمَ القائمَ بذاتِهِ هوَ عينُ لفظِ اللافظينَ والكاتبينَ ، معَ أنَّ وصفَ اللهِ قديمٌ ، وهـٰذهِ الألفاظَ والأشكالَ حادثةٌ بضرورةِ العقلِ وصريحِ النقلِ ، وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حدوثِها في ثلاثةِ مواضعَ مِنْ كتابِهِ :

الموضعُ الأولُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] ، جعلَ الآتيَ مُحدَثاً ، فمَنْ زعمَ أنَّهُ قديمٌ فقد ردَّ على اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما هـٰذا المُحدَثُ دليلٌ على القديمِ ، كما أنَّا إذا كتبْنا رسمَ اللهِ عزَّ وجلَّ في ورقةٍ[3] ؛ لم يكنِ الربُّ القديمُ حالّاً في الورقةِ . . وكذلكَ إذا كتبتَ الوصفَ

---

(١) سبق تخريجه في (٢/٦٨) ، وزاد في « إيضاح الكلام » :

ومـا حـبُّ الـديـارِ شغفْـنَ قلبـي ... ولـٰكـنْ حـبُّ مَـنْ سكـنَ الـديـارا

(٢) سبق في (٢/٦٨ـ ٧٣) في هـٰذا الموضع زيادة بمقدار خمس صفحات ليست موجودة في « إيضاح الكلام » ، وقد حدَّث المؤلف بالعقيدة سابقاً عن مشايخه ؛ شرف الدين الفاسي ، والشمس ابن النعمان ، وغيرهما ، وحدَّث بها هنا عن ابن العز بن عبد السلام ضمن شرح الواقعة والفتنة التي تعرضت لوالده .

(٣) قوله : (رسم الله) كذا في (أ ، ب) ، والذي في « إيضاح الكلام » وما سبق في (٢/٧٣) : (اسم الله) .

القديمَ في شيءٍ ؛ لم يَحُلَّ الوصفُ المكتوبُ حيثُ حلَّتِ الكتابةُ .

الموضعُ الثاني : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ * وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة : ٣٨ـ٤٠] ، وقولُ الرسولِ صفةٌ للرسولِ ، ووصفُ الرسولِ لا بدَّ وأنْ يكونَ حادثاً ؛ لأنَّ الرسولَ حادثٌ ، فمَنْ زعمَ[1] أنَّ قولَ الرسولِ قديمٌ فقد ردَّ علىٰ ربِّ العالمينَ[2] .

الموضعُ الثالثُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ * وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [التكوير : ١٥ـ١٩] .

والعجبُ ممَّنْ يقولُ : القرآنُ مُركَّبٌ مِنْ حرفٍ وصوتٍ ، ثمَّ يزعمُ أنَّهُ في المصحفِ !! وليسَ في المصحفِ إلا حرفٌ مُجرَّدٌ لا صوتَ معَهُ ؛ إذْ ليسَ فيهِ حرفٌ مُتكوِّنٌ عن صوتٍ ؛ فإنَّ الحرفَ اللفظيَّ ليسَ هوَ الشكلَ الكتابيَّ ؛ ولذلكَ يُدرَكُ الحرفُ اللفظيُّ بالآذانِ ولا يُشاهَدُ بالعِيانِ ، ويُشاهَدُ الشكلُ الكتابيُّ بالعِيانِ ولا يُسمَعُ بالآذانِ ، ومَنْ توقَّفَ في ذلكَ لم يُعَدَّ مِنَ العقلاءِ ، فضلاً عنِ العلماءِ ، فلا كثَّرَ اللهُ مِنْ أهلِ البدعِ والأهواءِ ، [والإضلالِ والإغواءِ] .

ومَنْ قالَ : إنَّ الوصفَ القديمَ حالٌّ في المصحفِ . . لزمَهُ إذا احترقَ المصحفُ أنْ يقولَ : إنَّ وصفَ اللهِ القديمَ احترقَ ، سبحانَهُ وتعالىٰ عمَّا يقولونَ علوّاً كبيراً !! ومِنْ شأنِ القديمِ ألا يلحقَهُ تغيُّرٌ ولا عدمٌ ؛ فإنَّ ذلكَ مُنافٍ للقدمِ .

فإنْ زعموا أنَّ القرآنَ مكتوبٌ في المصحفِ غيرُ حالٍّ فيهِ كما يقولُهُ الأشعريُّ

---

(١) العبارة في « إيضاح الكلام » : (ووصف الحادث حادث يدل على الكلام القديم ، فمن زعم . . .) بدل (ووصف الرسول . . .) .

(٢) يوجد هنا زيادة ليست في « إيضاح الكلام » ، وقد سبقت في (٢/ ٧٣) ، وهي بمقدار ثلاثة أسطر .

رحمَهُ اللهُ . . فلِمَ يلعنونَ الأشعريَّ ؟! وإنْ قالوا بخلافِ ذلكَ فانظرْ كيفَ يفترونَ على اللهِ الكذبَ وكفىٰ بهِ إثماً مبيناً[1] .

وأمَّا قولُهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : ٧٧ـ٧٨] . . فلا خلافَ بينَ أئمَّةِ العربيةِ أنَّهُ لا بدَّ مِنْ كلمةٍ محذوفةٍ يتعلَّقُ بها قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ، ويجبُ القطعُ بأنَّ ذلكَ المحذوفَ تقديرُهُ : مكتوبٌ في كتابٍ مكنونٍ ؛ لما ذكرْناهُ ، وما دلَّ عليهِ العقلُ الشاهدُ بالوحدانيةِ وبصحَّةِ الرسالةِ ، وهوَ مَناطُ التكليفِ بإجماعِ المسلمينَ .

وإنَّما لم نستدلَّ بالعقلِ على القوم وكفىٰ بهِ شاهداً ؛ لأنَّهُم لا يسمعونَ شهادتَهُ ، معَ أنَّ الشرعَ قد عدَّلَ العقلَ وقبلَ شهادتَهُ ، واستدلَّ بهِ في مواضعَ مِنْ كتابه الكريم ؛ كالاستدلال بالإنشاءِ على الإعادة ، وكقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

فيا خيبةَ مَنْ ردَّ شاهداً قَبِلَهُ اللهُ ، وأسقطَ دليلاً نصبَهُ اللهُ ، فهُم يرجعونَ إلى المنقولِ ؛ فلذلكَ استدلَلْنا بالمنقولِ وتركْنا المعقولَ كَميناً ؛ إنِ احتجْنا إليهِ أبرزْناهُ ، وإنْ لم نحتجْ إليهِ أخَّرْناهُ .

وقد جاءَ في الحديثِ المشهورِ : « مَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ وَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يُعْرِبْهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ »[2] ، والقديمُ لا يكونُ مَعيباً باللحنِ وكاملاً بالإعرابِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٣٩] ، فإذا أخبرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأنَّا

---

(١) سبق في (٢/ ٧٤) في هـٰذا الموضع زيادة آية ، وهي ليست في « إيضاح الكلام » .

(٢) سبق تخريجه (٢/ ٧٥) .

نُجزىٰ على قراءةِ القرآنِ . . دلَّ علىٰ أنَّهُ مِنْ أعمالِنا ، وليسَتْ أعمالُنا بقديمةٍ .

وإنَّما أُتِيَ القومُ مِنْ قِبَلِ جهلِهِم بكتابِ اللهِ ، وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولسانِ العربِ ، وسخافةِ العقلِ ، وبلادةِ الذهنِ ؛ فإنَّ لفظَ القرآنِ يُطلَقُ في الشرعِ واللسانِ على الوصفِ القديمِ ، ويُطلَقُ على القراءةِ الحادثةِ[1] .

والعجبُ أنَّهُم يذمُّونَ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ بقولِهِ : (إنَّ الخبزَ لا يُشبِعُ ، والماءَ لا يُروي ، والنارَ لا تُحرِقُ) ، وهـٰذا كلامٌ أنزلَ اللهُ تعالىٰ معناهُ في كتابِهِ الكريمِ !! فإنَّ الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ حوادثُ انفردَ الربُّ سبحانَهُ وتعالىٰ بخلقِها ، فلم يخلُقِ الخبزُ الشِّبَعَ ، ولم يخلقِ الماءُ الريَّ ، ولم تخلقِ النارُ الاحتراقَ[2] ، وإنْ كانَتْ أسباباً في ذلكَ ؛ فالخالقُ هو المُسبِّبُ ؛ كما قالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، نفىٰ أنْ يكونَ رسولُهُ خالقاً للرمي وإنْ كانَ سبباً فيهِ ، وقد قالَ تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم : ٤٣-٤٤] ، فاقتطعَ الإضحاكَ والإبكاءَ والإماتةَ والإحياءَ عن أسبابِها ، وأضافَها إليهِ ، فكذلكَ اقتطعَ الأشعريُّ رحمَهُ اللهُ الشِّبَعَ والريَّ والإحراقَ عن أسبابِها وأضافَها إلىٰ خالقِها ؛ لقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] ، ولقولِهِ تعالىٰ : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس : ٣٩] ، ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٤] .

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ[3]

---

(١) سبق في (٢/ ٧٥-٧٦) في هـٰذا الموضع زيادة بمقدار صفحة ليست في « إيضاح الكلام » .

(٢) الذي سبق في (٢/ ٧٧) : (فلم يخلق الخبزَ للشبع ، ولم يخلق الماءَ للري ، ولم يخلق النارَ للإحراق) .

(٣) سبق تخريجه (٢/ ٧٧) ، وانظر « إيضاح الكلام » (ص٣-٧) .

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (وهـٰذا بعضُ ما كتبَ في الفتيا[1] ، فلمَّا فرغَ مِنْ كتابتِهِ ما رامُوهُ رماهُ إليهِم[2] وهوَ يضحكُ عليهِم ، فطاروا بالجوابِ وهم يعتقدونَ أنَّ الحصولَ عليهِ مِنَ الفرصِ العظيمةِ التي ظَفِروا بها ، ويقطعونَ بهلاكِهِ واستئصالِهِ ، واستباحةِ دمِهِ ومالِهِ .

فأوصلوا الفتيا إلى الملكِ الأشرفِ رحمَهُ اللهُ ، فلمَّا وقفَ عليها استشاطَ غضباً ، وقالَ : صحَّ عندي ما قالوهُ عنهُ ، وهـٰذا رجلٌ كُنَّا نعتقدُ أنَّهُ مُتوحِّدٌ في زمانِهِ في العلمِ والدينِ ، فظهرَ بعدَ الاختبارِ أنَّهُ مِنَ الفُجَّارِ ، لا بل مِنَ الكفارِ .

وكانَ ذلكَ في رمضانَ عندَ الإفطارِ ، وعندَهُ علىٰ سماطِهِ عامَّةُ الفقهاءِ مِنْ جميعِ الأقطارِ ، فلم يستطعْ أحدٌ منهُم أنْ يردَّ على السلطانِ ، بل قالَ بعضُ أعيانِهِمُ : السلطانُ أولىٰ بالعفوِ والصفحِ لا سيَّما في مثلِ هـٰذا الشهرِ ، وموَّهَ آخرونَ بكلامٍ مُوجَّهٍ يوهمُ صحَّةَ مذهبِ الخصمِ يُظهِرونَ أنَّهُم قد أفتَوا بموافقتِهِ .

فلمَّا انفصلوا تلكَ الليلةَ مِنْ مجلسِهِ بالقلعةِ . . اشتغلَ الناسُ في البلدِ بما جرىٰ في تلكَ الليلةِ عندَ السلطانِ .

وأقامَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالى الشيخَ العلامةَ جمالَ الدينِ أبا عمرٍو ابنَ الحاجبِ المالكيَّ ، وكانَ عالمَ زمانِهِ[3] ، وقد جمعَ بينَ العلمِ والعملِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في هـٰذهِ القضيةِ ، ومضىٰ إلى الأعيانِ القضاةِ والعلماءِ الذينَ

---

(١) وقد سبقت تامَّةً في (٢/ ٦٦ـ ٧٩) ، وذكرها تامَّةً أيضاً الإمامُ ابن السبكي في « طبقاته » كما سبقت الإشارة إليه تعليقاً في (٢/ ٧٩) ، إلا أنَّ نقل ابن المُعلِّم فيه زيادة توثيق ؛ إذ حدَّث بهـٰذه الفتيا عن كثيرين من أشياخه رحمهم الله تعالى . انظر (٢/ ٦٦) .

(٢) زاد في (أ، ب) : (وقال) .

(٣) وقد مرت ترجمته في (٢/ ٢١) ، وأشرت تعليقاً إلى بعض ما ذُكِر هنا .

حضروا هٰذهِ القضيةَ عندَ السلطانِ ، وشدَّدَ عليهِمُ النكيرَ وقالَ : العجبُ أنَّكُم كلَّكُم على الحقِّ وغيرَكُم على الباطلِ ، وما فيكُم مَنْ نطقَ بالحقِّ ، وسكتُّم وما انتخَيْتُم للهِ تعالىٰ وللشريعةِ المُطهَّرةِ[1] !! ولمَّا تكلَّمَ منكُم مَنْ تكلَّمَ قالَ : السلطانُ أولىٰ بالعفوِ والصفحِ ولا سيَّما في هٰذا الشهرِ ، وهٰذا غلطٌ يُوهِمُ الذنبَ ؛ فإنَّ العفوَ والصفحَ لا يكونانِ إلا عن جُرْمٍ وذنبٍ ، أَمَا كنتُم سلكْتُم طريقَ التلطُّفِ في إعلامِ السلطانِ بأنَّ ما قالَهُ ابنُ عبدِ السلامِ مذهبُكُم وهوَ مذهبُ الحقِّ ، وأنَّ جمهورَ السلفِ والخلفِ علىٰ ذلكَ ، ولم يُخالِفْهُم في ذلكَ إلا طائفةٌ مخذولةٌ يخفونَ مذهبَهُم ويدسُّونَهُ علىٰ تخوُّفٍ إلىٰ مَنْ يستضعفونَ علمَهُ وعقلَهُ ، وقد قالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٤٢] ؟!

ولم يَزَلْ يُعنِّفُهُم ويُوبِّخُهُم إلىٰ أنِ اصطلحَ معَهُم علىٰ أنْ تُكتَبَ فتيا بصورةِ الحالِ ويكتبوا فيها بموافقةِ ابنِ عبدِ السلامِ[2] ، فوافقوهُ ، وأخذَ خطوطَهُم بموافقتِهِ ، والتمسَ ابنُ عبدِ السلامِ مِنَ السلطانِ أنْ يعقدَ مجلساً للشافعيَّةِ والحنابلةِ وتحضرَهُ المالكيةُ والحنفيةُ وغيرُهُم مِنْ علماءِ المسلمينَ ، وذكرَ أنَّهُ أخذَ خطوطَ الفقهاءِ الذينَ كانوا بمجلسِ السلطانِ لمَّا قُرِئَتْ عليهِ الفتيا بموافقتِهِم لهُ ، وأنَّهُ لم يمكنْهُمُ الكلامُ بحضرةِ السلطانِ في ذلكَ الوقتِ ؛ لغضبِهِ وما ظهرَ مِنْ حِدَّتِهِ في ذلكَ المجلسِ .

وقالَ : الذي يُعتقَدُ في السلطانِ أنَّهُ إذا ظهرَ لهُ الحقُّ يرجعُ إليهِ ، وأنَّهُ يُعاقِبُ مَنْ مَوَّهَ الباطلَ عليهِ ، وهوَ أولى الناسِ بموافقةِ والدِهِ السلطانِ الملكِ

---

(١) **قوله** : (**وما انتخيتم**) : أي : ما أصابتكم النخوة والغيرة ، وفي « إيضاح الكلام » : (وما انتصرتم) بدل (وما انتخيتم) .

(٢) في هامش (أ ، ب) : (**قلت** : هي الفتيا التي قدَّمتُ نسختها قبلُ) ، وانظر (٢/ ٤٧١ـ ٤٧٤) .

العادلِ تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ ؛ فإنَّهُ كانَ قد عزَّرَ جماعةً مِنْ أعيانِ الحنابلةِ المبتدعةِ تعزيراً بليغاً رادعاً ، وبدَّعَ بهِم وأهانَهُم .

فلمَّا اتَّصلَ ذلكَ بالسلطانِ استدعىٰ دَواةً وورقةً ، **وكتبَ فيها بخطٍّ يدِهِ ما مثالُهُ** :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَ إليَّ ما التمسَهُ الفقيهُ ابنُ عبدِ السلامِ أصلحَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ عقدِ مجلسٍ وجمعِ المفتينَ والفقهاءِ ، وقد وقَفْنا علىٰ خطِّهِ وما أفتىٰ بهِ ، وعلمْنا مِنْ عقيدتِهِ ما أغنىٰ عنِ الاجتماعِ بهِ ، ونحنُ نتَّبعُ ما عليهِ الخلفاءُ الراشدونَ الذينَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حقِّهِم : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي »[1] ، وعقائدُ الأئمَّةِ الأربعةِ فيها كفايةٌ لكلِّ مسلمٍ يغلبُ هواهُ ويتبعُ الحقَّ ويتخلَّصُ مِنَ البدعِ ، اللهمَّ إلا إنْ كنتَ تدَّعي الاجتهادَ ، فعليكَ أنْ تُثبِتَ ؛ ليكونَ الجوابُ علىٰ قَدْرِ الدعوىٰ لتكونَ صاحبَ مذهبٍ خامسٍ .

وأمَّا ما ذكرتَهُ عنِ الذي جرىٰ في أيامِ والدي تغمَّدَهُ اللهُ برضوانِهِ . . فذلكَ الحالُ أنا أعلمُ بهِ منكَ ، وما كانَ السببُ إلا فتحَ بابِ السلامِ ، لا لأمرٍ دينيٍّ .

وَجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُفَهَـاءُ قَـوْمٍ　　فَحَـلَّ بِغَيْـرِ جَـانِيـهِ ٱلْعَـذَابُ[2]

ومعَ هٰذا : فقد وردَ في الحديثِ : « ٱلْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ ، لَعَنَ ٱللَّهُ مُثِيرَهَا »[3] ،

---

(1) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) ، والدرامي (٩٦) ، والحاكم (١/ ٩٥ـ ٩٦) عن سيدنا العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(2) البيت للمتنبي في « ديوانه » (١/ ٨١) ، وهو من الوافر .

(3) انظر « كشف الخفاء » (٢/ ٨٣) .

ومَنْ تعرَّضَ إلىٰ إثارتِها قابلْناهُ[1] بما يُخلِّصُنا مِنَ اللهِ وما يعضدُ كتابَ اللهِ وسنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ استدعىٰ رسولاً وسيَّرَ الرقعةَ معَهُ .

فلمَّا وفدَ بها عليهِ فضَّها وقرأَها وطواها ، وقالَ للرسولِ : قد وصلَتْ وقرأْتُها ، وفهمتُ [ما فيها ، فاذهبْ بسلامٍ] ، فقالَ الرسولُ : قرَّرَتِ الأوامرُ المطاعةُ السلطانيةُ إليَّ بإحضارِ جوابِها ، فاستحضرَ الشيخُ دَواةً وورقةً ، وكتبَ فيها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣] .

أمَّا بعدَ حمدِ اللهِ ـ جلَّتْ قدرتُهُ ، وعلَتْ حكمتُهُ ، وعمَّتْ رحمتُهُ ، وسبغَتْ نعمتُهُ ـ[2] . . فإنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ لأحبِّ خلقِهِ إليهِ ، وأكرمِهم لديهِ : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

وقد أنزلَ اللهُ تعالىٰ كتبَهُ وأرسلَ رسلَهُ بنصائحِ خلقِهِ ؛ فالسعيدُ مَنْ قَبِلَ نصائحَهُ ، وحفظَ وصاياهُ ، وكانَ فيما أوصىٰ بهِ خلقَهُ أنْ قالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] ، وهوَ سبحانَهُ وتعالىٰ أولىٰ مَنْ قُبِلَتْ نصيحتُهُ ، وحُفِظَتْ وصيتُهُ .

وأمَّا طلبُ المجلسِ وجمعُ العلماءِ والمفتينَ . . فما حملَني عليهِ إلا النصحُ للسلطانِ وعامَّةِ المسلمينَ ، وقد سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الدينِ

---

(١) ويحتمل في (أ) أيضاً : (قاتلناه) ، وهو كذلك في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٢٣١) .

(٢) سقط من « إيضاح الكلام » قوله : (جلت قدرته . . . نعمته) .

فقالَ : « ٱلدِّينُ ٱلنَّصِيحَةُ » ، قيلَ : لمَنْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « للهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَرَسُولِهِ ، وَأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »[1] .

فنصحُ اللهِ تعالىٰ : بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ ، ولكتابِهِ : بالعملِ بمواجبِهِ ، ولرسولِهِ : باتِّباعِ سنَّتِهِ ، وللأئمَّةِ : بإرشادِهِم إلىٰ أحكامِهِ ، والوقوفِ عندَ أوامرِهِ ونواهيهِ ، ولعامَّةِ المسلمينَ : بدلالتِهِم علىٰ ما يُقرِّبُهُم إليه ، ويزلفُهُم لديهِ ، وقد أدَّيتُ ما عليَّ في ذلكَ .

والفتيا التي وقعَتْ في هـٰذهِ القضيةِ يُوافِقُ عليها علماءُ المسلمينَ مِنَ الشافعيةِ والمالكيةِ والحنفيةِ والفضلاءِ مِنَ الحنبليةِ ، وما يُخالِفُ في ذلكَ إلا رَعاعٌ لا يعبأُ اللهُ بهم ، وهوَ الحقُّ الذي لا يجوزُ دفعُهُ ، والصوابُ الذي لا يمكنُ رفعُهُ .

ولو حضرَ [العلماءُ] مجلسَ السلطانِ لعلمَ صحةَ ما أقولُ ، والسلطانُ أقدرُ الناسِ علىٰ تحقيقِ ذلكَ ، وقد كتبَ الجماعةُ خطوطَهُم بمثلِ ما قلتُهُ ، وإنَّما سكتَ مَنْ سكتَ في أولِ الأمرِ ؛ لما رأَوْا مِنْ غضبِ السلطانِ ، ولولا ما شاهدوهُ مِنْ غضبِ السلطانِ لما أفتَوْا أوَّلاً إلا بما رجعوا إليهِ آخراً ، ومعَ ذلكَ : فيُكتَبُ ما ذكرتُهُ في هـٰذهِ الفتيا وما ذكرَهُ الغيرُ ، ويُبعَثُ إلىٰ بلادِ الإسلامِ ؛ ليكتبَ فيها كلُّ مَنْ يجبُ الرجوعُ إليهِ ، ويُعتمَدُ في الفتيا عليهِ ، ونحنُ نحضرُ كتبَ العلماءِ المعتبرينَ ليقفَ عليها السلطانُ .

وبلغَني أنَّهُم ألقَوا إلىٰ سمعِ السلطانِ أنَّ الأشعريَّ يستهينُ بالمصحفِ . ولا خلافَ بينَ الأشعريةِ وجميعِ علماءِ المسلمينَ أنَّ تعظيمَ المصحفِ واجبٌ ، وعندَنا : أنَّ مَنِ استهانَ بالمصحفِ أو بشيءٍ منهُ . . فقد كفرَ ، وانفسخَ نكاحُهُ ، وصارَ مالُهُ فيئاً للمسلمينَ ، وتُضرَبُ عنقُهُ ، ولا يُغسَّلُ ولا يُكفَّنُ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه .

ولا يُصلَّىٰ عليهِ ، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمينَ ، بل يُترَكُ بالقاعِ ، طعمةً للسباعِ .

ومذهبُنا : أنَّ كلامَ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ قديمٌ أزليٌّ قائمٌ بذاتِهِ ، لا يُشبِهُ كلامَ الخلقِ ، كما لا تُشبِهُ ذاتُهُ ذاتَ الخلقِ ، ولا يُتصوَّرُ في شيءٍ مِنْ صفاتِهِ أنْ يُفارِقَ ذاتَهُ ، ولو فارقَتْهُ لصارَ ناقصاً ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الظالمونَ علوّاً كبيراً .

وهوَ معَ ذلكَ مكتوبٌ في المصاحفِ ، محفوظٌ في الصدورِ ، مقروءٌ بالألسنِ ، وصفةُ اللهِ القديمةُ ليسَتْ بمدادِ الكاتبينَ ، ولا ألفاظِ اللافظينَ ، ومَنِ اعتقدَ ذلكَ فقد فارقَ الدينَ ، وخرجَ عن عقائدِ المسلمينَ ، بل لا يعتقدُ ذلكَ إلا جاهلٌ غبيٌّ ، وربُّنا المستعانُ علىٰ ما يصفونَ .

وليسَ ردُّ البدعِ وإبطالُها مِنْ بابِ إثارةِ الفتنِ ؛ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أمرَ العلماءَ بذلكَ ، وأمرَهُم ببيانِ ما علموهُ ، ومَنِ امتثلَ أمرَ اللهِ ونصرَ دينَهُ لا يجوزُ أنْ يلعنَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وأمَّا ما ذُكِرَ مِنْ أمرِ الاجتهادِ والمذهبِ الخامسِ : فأصولُ الدينِ ليسَ فيها مذاهبُ ؛ فإنَّ الأصلَ واحدٌ ، والخلافَ في الفروعِ ، ومثلُ هٰذا الكلامِ ممَّا اعتمدتُم فيهِ قولَ مَنْ لا يجوزُ أنْ يُعتمَدَ قولُهُ ، واللهُ أعلمُ بمَنْ يعرفُ دينَهُ ويقفُ عندَ حدودِهِ .

وبعدَ ذلكَ : فإنَّا نزعمُ أنَّا مِنْ جملةِ حزبِ اللهِ وأنصارِ دينِهِ وجندِهِ ، وكلُّ جنديٍّ لا يُخاطِرُ بنفسِهِ فليسَ بجنديٍّ .

وأمَّا ما ذُكِرَ مِنْ أمرِ بابِ السلامِ : فنحنُ تكلَّمْنا فيهِ بما ظهرَ لنا مِنْ أنَّ السلطانَ الملكَ العادلَ تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ إنَّما فعلَ ذلكَ إعزازاً للدينِ ونصرةً للحقِّ ، ونحنُ نحكمُ بالظاهرِ ، واللهُ يتولَّى السرائرَ .

والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلَّى اللهُ علىٰ محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ) .

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (وكانَ يكتبُها وهوَ مسترسلٌ مِنْ غيرِ توقُّفٍ ولا تردُّدٍ ولا تلعثُمٍ ، فلمَّا أنهىٰ كتابتَها طواها وختمَها ودفعَها للرسولِ .

وكانَ عندَهُ حالةَ كتابتِها رجلٌ مِنَ العلماءِ الفضلاءِ وممَّنْ يحضرُ مجلسَ السلطانِ ، فأوقفَهُ على الرُّقعةِ الواردةِ عليهِ مِنَ الملكِ الأشرفِ ، فتغيَّرَ لونُهُ ، واعتقدَ أنَّ الشيخَ يعجزُ عنِ الجوابِ ؛ لما في ورقةِ السلطانِ مِنْ تشديدِ الخطابِ ، فلمَّا خطَّ الشيخُ الكتابَ مُسترسِلاً عَجِلاً وهوَ يُشاهِدُ ما يكتبُهُ . . بطلَ عندَهُ ما كانَ يحسبُهُ ، وقالَ لهُ : لو كانَتْ هـٰذهِ الرُّقعةُ التي وصلَتْ إليكَ وصلَتْ إلىٰ قُسِّ بنِ ساعدةَ . . لعجَزَ عنِ الجوابِ ، وعَدِمَ الصوابَ ، ولـٰكنَّ هـٰذا تأييدٌ إلـٰهيٌّ .

فلمَّا عادَ الرسولُ إلى السلطانِ رحمَهُ اللهُ وأوصلَهُ الرُّقعةَ ؛ فلمَّا فضَّها وقُرِئَتْ عليهِ اشتدَّ استشاطتُهُ ، وعَظُمَ غضبُهُ ، وتيقَّنَ العدوُّ تلفَ الشيخِ وعطبَهُ ، ثمَّ استدعى الغرزَ خليلاً ، وكانَ إذ ذاكَ أستاذَ دارِهِ ، وكانَ مِنَ المُحبِّينَ للشيخِ والمعتقدينَ فيهِ ، فحمَّلَهُ رسالةً إلى الشيخِ وقالَ لهُ : تعودُ إليَّ سريعاً بالجوابِ .

فجاءَ الغرزُ إليهِ ، وجلسَ بينَ يديهِ بحسنِ تودُّدٍ وتأدُّبٍ وتأتٍّ[1]، ثمَّ قالَ لهُ : أنا رسولٌ ، وما على الرسولِ إلا البلاغُ المبينُ ، واللهِ ؛ لقد تعصَّبوا عليكَ ، وأعنتَهُم علىٰ نفسِكَ بعدمِ اجتماعِكَ في مبدأِ الأمرِ بالسلطانِ ، ولو كانَ رآكَ ولو مرَّةً واحدةً لما تمَّ شيءٌ مِنْ هـٰذهِ الأمورِ أصلاً ، وكنتَ أنتَ عندَهُ الأعلىٰ .

فقالَ لهُ : أَدِّ الرسالةَ كما قيلَتْ لكَ .

فقالَ : لا تسألْ ما حصلَ عندَ السلطانِ عندَ وقوفِهِ علىٰ ورقتِكَ ، ولا سيَّما أنَّهُ وجدَ فيها ما لا يعهدُهُ مِنْ مخاطبةِ الناسِ للملوكِ ، مُضافاً إلىٰ ما ذكرتَهُ مِنْ

---

(١) في « طبقات الشافعية الكبرى » : (وتأنٍّ) بدل (وتأتٍ) .

مخالفةِ اعتقادِهِ ، فقالَ : اذهبْ إلى ابنِ عبدِ السلامِ وقلْ لهُ : إنَّا قد شرطْنا عليهِ ثلاثةَ شروطٍ : أحدُها : أنَّهُ لا يُفتي ، والثاني : أنَّهُ لا يجتمعُ بأحدٍ ، والثالثُ : أنَّهُ يلزمُ بيتَهُ .

فقالَ لهُ : يا غرزُ ؛ إنَّ هـٰذهِ الشروطَ مِنْ نعمِ اللهِ الجزيلةِ عليَّ ، المستوجبةِ للشكرِ للهِ تعالىٰ على الدوامِ ؛ أمَّا الفتيا : فإنِّي واللهِ كنتُ مُتبرِّماً بها وأكرهُها وأعتقدُ أنَّ المفتيَ علىٰ شفيرِ جهنَّمَ ، ولولا أنِّي كنتُ أراها مُتعيِّنةً عليَّ لما أفتيتُ ، والآنَ فقد سقطَ عنِّي الوجوبُ وتخلَّصَتْ ذِمَّتي ، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وأمَّا تركُ اجتماعي بالناسِ ولزومي لبيتي : فهـٰذا مِنْ سعادتي ؛ لتفرُّغي لعبادةِ اللهِ تعالىٰ ، والسعيدُ مَنْ لزمَ بيتَهُ ، وبكىٰ علىٰ خطيئتِهِ ، واشتغلَ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ ، وهـٰذا تسليكٌ[1] مِنَ الحقِّ وهديةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ إليَّ أجراها علىٰ يدِ السلطانِ وهوَ غضبانُ وأنا بها فرحانُ[2] .

واللهِ يا غرزُ ؛ لو كانَ عندي خلعةٌ تصلحُ لكَ علىٰ هـٰذهِ الرسالةِ المُتضمِّنةِ لهـٰذهِ البشارةِ .. لخلعتُ عليكَ ونحنُ على الفتوحِ ، خُذْ هـٰذهِ السَّجَّادةَ صلِّ عليها ، فقبلَها وقبَّلَها ، وودَّعَهُ وانصرفَ إلى السلطانِ ، وذكرَ لهُ ما جرىٰ بينَهُ وبينَهُ ، فقالَ لِمَنْ حضرَهُ : قولوا لي : ما أفعلُ بهِ ؟ هـٰذا رجلٌ يرى العقوبةَ نعمةً ، اتركوهُ ، بينَنا وبينَهُ اللهُ .

ثمَّ إنَّ الشيخَ بقيَ علىٰ تلكَ الحالِ ثلاثةَ أيامٍ .

ثمَّ إنَّ الشيخَ جمالَ الدينِ الحَصيريَّ شيخَ الحنفيةِ في زمانِهِ ، وكانَ قد جمعَ بينَ العلمِ والعملِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[3] .. ركبَ حماراً لهُ وحولَهُ أصحابُهُ ،

---

(١) في « إيضاح الكلام » : (وهـٰذا تسلية) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٣٥) .

(٣) وقد سبقت ترجمته (١/ ٦١٢) ، وقد ألمحنا فيها تعليقاً إلىٰ مجمل ما ذكره المؤلف هنا .

وقصدَ السلطانَ ، فلمّا بلغَ الملكَ الأشرفَ دخولُ الحَصيريِّ إلى القلعةِ . . أرسلَ إليهِ خاصَّتَهُ يتلقَّونَهُ ، وأمرَهُم أنْ يدخلوا بهِ إلىٰ دارِهِ راكباً علىٰ حمارِهِ ، فلمَّا رآهُ السلطانُ وثبَ قائماً ، ومشىٰ إليهِ ، وأنزلَهُ عن حمارِهِ ، وأجلسَهُ علىٰ تكرمتِهِ ، واستبشرَ بوفودِهِ عليهِ ، وكانَ في رمضانَ قريبَ غروبِ الشمسِ .

فلمَّا دخلَ وقتُ المغربِ وأذَّنَ المُؤذِّنُ صلَّوا صلاةَ المغربِ ، ثمَّ أُحضِرَ للسلطانِ قدحُ شرابٍ ، فتناولَهُ وناولَهُ للشيخِ ، فقالَ لهُ : ما جئتُ إلىٰ طعامِكَ ولا إلىٰ شرابِكَ ، فقالَ لهُ : يرسمُ الشيخُ ونحنُ نمتثلُ مرسومَهُ .

قالَ لهُ : أيشٍ بينَكَ وبينَ ابنِ عبدِ السلامِ ؟! هاذا رجلٌ لو كانَ في الهندِ أو في أقصى الدنيا كانَ ينبغي للسلطانِ أنْ يسعىٰ في حلولِهِ في بلدِهِ ؛ لتتمَّ بركتُهُ عليهِ وعلىٰ بلادِهِ ، ويفتخرَ بهِ علىٰ سائرِ الملوكِ ؟! قالَ : عندي خطُّهُ باعتقادِهِ في فتيا ، وخطُّهُ أيضاً في رُقعةِ جوابِ رقعةٍ سيَّرتُها إليهِ ، فيقفُ الشيخُ عليهما ويكونُ الحَكَمَ بيني وبينَهُ .

ثمَّ أحضرَ الورقتَينِ ، فوقفَ عليهما وقرأَهُما إلىٰ آخرِهما ، وقالَ لهُ : هاذا اعتقادُ المسلمينَ ، وشعارُ الصالحينَ ، ونَفَسُ المؤمنينَ[1] ، وكلُّ ما فيهما صحيحٌ ، ومَنْ خالفَ ما فيهما وذهبَ إلىٰ ما قالَهُ الخصمُ مِنْ إثباتِ الحرفِ والصوتِ . . فهوَ حمارٌ .

فقالَ السلطانُ رحمَهُ اللهُ : نحنُ نستغفرُ اللهَ ممَّا جرىٰ ، ونستدركُ الفارطَ في حقِّهِ ، واللهِ ؛ لأجعلَنَّهُ أغنى العلماءِ ، وأرسلَ إلى الشيخِ واسترضاهُ ، وطلبَ مُحاللتَهُ ومُخاللتَهُ .

وكانَتِ الحنابلةُ قدِ استَضْرَوا علىٰ أهلِ السنَّةِ[2] ، وعلتْ كلمتُهُم علىٰ

---

(١) في « إيضاح الكلام » : (ويقين) بدل (ونفس) .

(٢) في « إيضاح الكلام » : (استنصروا) بدل (استضروا) .

كلمتِهم ؛ بحيثُ إنَّهُم صاروا إذا خلَوا بهِم في المواضعِ الخاليةِ . . يسبُّونَهُم ويضربونَهُم ويذمُّونَهُم ، فعندَما اجتمعَ الشيخُ جمالُ الدينِ الحَصيريُّ بالسلطانِ وتحقَّقَ ما عليهِ الجمُّ الغفيرُ مِنِ اعتقادِ أهلِ الحقِّ . . تقدَّمَ إلى الفريقينِ بالإمساكِ عنِ الكلامِ في مسألةِ الكلامِ ، وألا يُفتيَ أحدٌ فيها بشيءٍ ؛ سدّاً لبابِ الخصامِ ، فانكسرَتِ المبتدعةُ بعضَ الانكسارِ ، وفي النفوسِ ما فيها .

ولم يَزَلِ الأمرُ مُستمرّاً على ذلكَ إلى أنِ اتَّفقَ وصولُ السلطانِ الملكِ الكاملِ رحمَهُ اللهُ تعالى إلى دمشقَ مِنَ الديارِ المصريةِ ، وكانَ اعتقادُهُ صحيحاً ، وهوَ مِنْ أهلِ الحقِّ[١] ، قائلٌ بقولِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ في الاعتقادِ ، وكانَ وهوَ بالديارِ المصريةِ قد سمعَ ما جرى في دمشقَ في مسألةِ الكلامِ ، فرامَ الاجتماعَ بالشيخِ ، فاعتذرَ إليهِ ، فطلبَ منهُ أنْ يكتبَ لهُ ما جرى في هـٰذهِ القضيَّةِ مُستقصىً مُستوفىً ، فأمرَني والدي رحمَهُ اللهُ بكتابةِ ما سقتُهُ في هـٰذا الجزءِ مِنْ أولِ القضيةِ إلى آخرِها .

فلمَّا وصلَ ذلكَ إليهِ ووقفَ عليهِ أسرَّ ذلكَ في نفسِهِ ، إلى أنِ اجتمعَ بالسلطانِ الملكِ الأشرفِ رحمَهُ اللهُ تعالى ، وقالَ لهُ : يا خواند ؛ كنتُ سمعتُ أنَّهُ جرى بينَ الشافعيةِ والحنابلةِ خصامٌ في مسألةِ الكلامِ ، وأنَّ القضيةَ اتَّصلَتْ بالسلطانِ ، فماذا صنعتَ فيها ؟

فقالَ : يا خواند ؛ منعتُ الطائفتَينِ مِنَ الكلامِ في مسألةِ الكلامِ ، وانقطعَ بذلكَ الخصامُ .

فقالَ السلطانُ الملكُ الكاملُ رحمَهُ اللهُ تعالى : واللهِ ؛ مليحٌ !! ما هـٰذهِ إلا سياسةٌ وسلطنةٌ ؛ تُساوي بينَ أهلِ الحقِّ والباطلِ ، وتمنعُ أهلَ الحقِّ مِنَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وأنْ يكتموا ما أنزلَ اللهُ إليهم ؟!

---

(١) العبارة في « إيضاح الكلام » : (وهو من المتعصبين لأهل الحق) .

كانَ الطريقُ أنْ تُمكِّنَ أهلَ السنَّةِ مِنْ أنْ يلحنوا بحُجَّتِهِم ، وأنْ يُظهِروا دينَ اللهِ ، وأنْ تشنقَ مِنْ هٰؤلاءِ المبتدعةِ عشرينَ نفساً ليرتدعَ غيرُهُم ، وأنْ تُمكِّنَ المُوحِّدينَ مِنْ إرشادِ المسلمينَ ، وأنْ يُبيِّنوا لهُم طريقَ المؤمنينَ .

فعندَ ذلكَ ذلَّتْ رقابُ المبتدعةِ ، وانقلبوا خائبينَ ، وعادوا خاسرينَ ، وردَّ اللهُ الذينَ كفروا بغيظِهِم لم ينالوا خيراً ، وكفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ علىٰ يدِ السلطانِ الملكِ الكاملِ رحمَهُ اللهُ .

وانقشعَتِ المسألةُ للسلطانِ الملكِ الأشرفِ رحمَهُ اللهُ ، وصرَّحَ بخجلِهِ وحيائِهِ مِنَ الشيخِ ، وقالَ : لقد غَلِطْنا في حقِّ ابنِ عبدِ السلامِ غلطةً عظيمةً ، وصارَ يترضَّاهُ ، ويعملُ بفتاويهِ وما أفتاهُ ، ويطلبُ أنْ يُقرَأَ عليهِ تصانيفُهُ الصغارُ ؛ مثلُ « الملحةِ في اعتقادِ أهلِ الحقِّ » التي ذكرَ بعضَها في الفتيا ، وقُرِئَتْ عليهِ « مقاصدُ الصلاةِ » في يومٍ ثلاثَ مرَّاتٍ ، تُقرَأُ عليهِ وكلَّما دخلَ عليهِ أحدٌ مِنْ خواصِّهِ يقولُ للقارئِ : اقرأْ « مقاصدَ الصلاةِ » لابنِ عبدِ السلامِ حتىٰ يسمعَها فلانٌ وينفعَهُ اللهُ تعالىٰ بسماعِها ، حتىٰ قالَ والدي رحمَهُ اللهُ : لو قُرِئَتْ « مقاصدُ الصلاةِ » علىٰ بعضِ مشايخِ الزوايا أو علىٰ مُتزهِّدٍ أو مريدٍ أو مُتصوِّفٍ مرَّةً واحدةً في مجلسٍ . . لما أعادَها فيهِ مرَّةً أخرىٰ[1] .

ولقد دخلَ على السلطانِ الملكِ الأشرفِ الشيخُ شمسٌ سبطُ ابنِ الجوزيِّ ، وكانَ واعظَ الزمانِ ، وكانَ لهُ قَبولٌ عظيمٌ ، ويحضرُ مجلسَهُ الألوفُ مِنَ الناسِ .

ولقد شاهدتُ منهُ عَجَباً ؛ كانَ يطلعُ على المنبرِ في بعضِ الأيامِ ، ويُحدِقُ الناسُ إليهِ ، فيطرقُ ساعةً وينتحبُ ويبكي ، ويبكي الناسُ معَهُ ، ويقتلونَ أنفسَهُم ، وينزلُ عنِ المنبرِ ولا يتكلَّمُ بكلمةٍ واحدةٍ ، ويذهبُ هائماً علىٰ

---

(١) وقد طبعت هٰذه الرسالة مستقلة ، وطبعت طبعة أخرىٰ مضافاً إليها « مقاصد الصيام » و« مناسك الحج » للإمام ابن عبد السلام .

وجههِ ، ويذهبُ الناسُ مِنْ مجلسِهِ وهم سُكارىٰ حَيارىٰ !! وهٰذا لم أرَهُ لأحدٍ غيرِهِ .

وكانَ يجلسُ في الثلاثةِ الأشهرِ رجبٍ وشعبانَ ورمضانَ في كلِّ [سبتٍ][1] ، وكانَ الناسُ يتأهَّبونَ لحضورِ مجلسِهِ قبلَ السبتِ بثلاثةِ أيامٍ .

فلمَّا دخلَ على السلطانِ ناولَهُ « مقاصدَ الصلاةِ » ، وقالَ لهُ : اقرأها ، فقرأها بينَ يديهِ واستحسنَها ، وقالَ : لم يُصنِّفْ أحدٌ مثلَها ، فقالَ : طَرِّزْ مجلسَكَ الآتيَ بذكرِها ، وحَرِّضِ الناسَ علىٰ تحصيلِها وتعلُّمِها[2] .

ولم يَزَلْ يعظمُ السلطانُ الشيخَ ويتبرَّكُ بأقوالِهِ إلىٰ أنْ مرضَ مرضةَ الموتِ ويئسَ مِنَ الحياةِ ، فقالَ لأكبرِ أصحابِهِ : اذهبْ إلى ابنِ عبدِ السلامِ وقُلْ لهُ : مُحِبُّكَ موسى بنُ العادلِ أبي بكرٍ يُسلِّمُ عليكَ ، ويسألُكَ أنْ تعودَهُ وتدعوَ لهُ وتُوصِيَهُ بما ينتفعُ بهِ غداً عندَ اللهِ تعالىٰ .

فلمَّا وصلَ الرسولُ إليهِ بهٰذهِ الرسالةِ قالَ : نعم ، إنَّ هٰذهِ العيادةَ لَمِنْ أفضلِ العباداتِ ؛ لما فيها مِنَ النفعِ المُتعدِّي إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، فتوجَّهَ إليهِ وسلَّمَ عليهِ ، فسُرَّ برؤيتِهِ سروراً عظيماً ، وقبَّلَ يدَهُ ، وقالَ لهُ : يا عزَّ الدينِ ؛

---

(١) في (أ ، ب) : (سنة) بدل (سبت) .

(٢) زاد في « إيضاح الكلام » : (فلمَّا جاء الميعاد طلع على المنبر ، وحمد الله وأثنىٰ عليه ، وصلىٰ علىٰ نبيه صلى الله عليه وسلم وقال : اعلموا رحمكم الله : أن أفضل العبادات البدنية الصلاة ، وهي صلة بين العبد وربه ، فعليكم بـ« مقاصد الصلاة » تصنيفِ ابن عبد السلام ، فاسمعوها وعوها ، واحفظوها واعملوا بها ، وعلِّموها أولادكم ومن يَعِزُّ عليكم ، وكانت عروساً وهو ماشطتها ، فحلاها عليهم وأهداها إليهم ، وكان لها وقعٌ عظيم في ذلك المجلس ، وعندما انفضَّ المجلس قَصَدَنا الناسُ لكتابتها وتعلُّمها وتحصيلها ، فأحالهم والدي عليَّ ، فعيَّنت لهم جماعة من النساخ ، وكتبوا منها من النسخ ما لا يحصىٰ عدده ، وكان الناس يُحصِّلونها ، ويسمعونها على الشيخ) ، وقوله : (فحلاها) كذا فيه ، ويحتمل أن يكون : (فجلاها) بالمعجمة ، والله تعالىٰ أعلم .

اجعلْني في حِلٍّ وادعُ اللهَ لي ، وأوصِني وانصحْني .

فقالَ لهُ : **أمَّا محاللتُكَ** : فإنِّي في كلِّ ليلةٍ أُحالِلُ الخلقَ ، وأبيتُ وليسَ لي عندَ أحدٍ مظلمةٌ ، وأرىٰ أنْ يكونَ أجري على اللهِ تعالىٰ ولا يكونَ على الناسِ ؛ عملاً بقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورىٰ : ٤٠] ، فلأَنْ يكونَ أجري على اللهِ ولا يكونَ علىٰ خلقِهِ أحبُّ إليَّ .

وأمَّا السلطانُ : فإنِّي أدعو لهُ في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ ؛ لما في صلاحِهِ مِنْ صلاحِ المسلمينَ والإسلامِ ، واللهُ تعالىٰ يُبصِّرُ السلطانَ بما يُبيِّضُ بهِ وجهَهُ عندَهُ يومَ يلقاهُ .

وأمَّا وصيَّتي ونصيحتي للسلطانِ: فقد وجبَتْ وتعيَّنَتْ لقبوليَّتِهِ وتقاضيهِ[1] .

وكانَ قُبيلَ مرضِهِ قد وقعَ بينَهُ وبينَ أخيهِ السلطانِ الملكِ الكاملِ واقعٌ ووحشةٌ ، وأمرَ وهوَ في ذلكَ المرضِ بنصبِ دهليزِهِ إلىٰ صوبِ مصرَ ، فضربَ علىٰ منزلةٍ تُسمَّى الكسوةَ ، وكانَ في ذلكَ الزمانِ قد ظهرَ التترُ بالشرقِ .

فقالَ الشيخُ : السلطانُ الملكُ الكاملُ أخوكَ الكبيرُ ورحِمُكَ ، وأنتَ مشهورٌ بالفتوحاتِ والنصرِ على الأعداءِ ، والتترُ قد خاضوا بلادَ المسلمينَ ، تتركُ ضربَ دهليزِكَ وتضربُهُ إلىٰ جهةِ التترِ أعداءِ اللهِ وأعداءِ المسلمينَ[2] ، ولا تقطعُ رحِمَكَ في هـٰذهِ الحالةِ ، وتنوي معَ اللهِ تعالىٰ نصرَ دينِهِ وإعزازَ كلمتِهِ؛ فإنْ مَنَّ اللهُ تعالىٰ بعافيةِ السلطانِ رجَوْنا مِنْ أخيهِ الصلحَ والمعونةَ)[3] .

---

(١) في « إيضاح الكلام » : (لقبوله) بدل (لقبوليته) .

(٢) العبارة في « إيضاح الكلام » : (تترك ضرب دهليزك إلىٰ أعداء الله وأعداء المسلمين وتضربه إلىٰ جهة أخيك ؟!) ، والفرق بين العبارتين واضح .

(٣) انظر « إيضاح الكلام » (ص٣ـ١٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٢١٨ـ٢٤٠) .

قلتُ : تُوفِّيَ السلطانُ الملكُ الأشرفُ رحمَهُ اللهُ مِنْ مرضِهِ ذلكَ في [يومِ الخميسِ رابعِ المحرمِ بدمشقَ][1] سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار خمس كلمات ، وانظر « النجوم الزاهرة » (٣٠١/٦) .

الفصل الخامس
في بيان تحذيرٍ وذكر تذكيرٍ بوقائع دلت التواريخ عليها وهدت العبرة إليها

منها : أنَّ هـٰذهِ البدعةَ ـ أعني : القولَ بالجهةِ والحرفِ والصوتِ ، وحملَ الظواهرِ علىٰ ما يُنافي التنزيهَ ـ لم تظهرْ بينَ قومٍ ، ولم ينهضْ أهلُ الحَلِّ والعقدِ في ذلكَ الزمانِ لإخمادِها وردْعِ أهلِها وزَجْرِهِم عن ذلكَ . . إلا آذنَتْ بوبالِهِم ، وكانَتْ سبباً لشؤمِ مآلِهِم ، وكذلكَ ما فشتْ في قُطْرٍ مِنْ أقطارِ الأرضِ إلا دمَّرَتْهُ وكانَتْ سبباً في خرابِهِ ، ولا كانَتْ بينَ قومٍ إلا غشيَتْهُمُ الذِّلَّةُ ، وسُلِّطَ عليهِمُ الأعداءُ ؛ وذلكَ لأنَّها تُضاهي قولَ اليهودِ ، فيشاركونَهُم في الإهانةِ والصَّغارِ ، وتأمَّلِ التواريخَ تهدِكَ إلىٰ ذلكَ[1] .

[نماذجُ مِنْ شؤمِ المُشبِّهةِ على البلادِ التي حلُّوا بها]

فأمَّا شُؤمُها علىٰ الأقوامِ في سالفِ الأعوامِ : فانظرْ : لمَّا اشتهَرَتْ هـٰذهِ البدعةُ في طائفةٍ مِنْ أهلِ البصرةِ . . سُلِّطَ عليهِم بنو عامرٍ مرتَينِ ؛ مرةً في صفرٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، ومرةً ثانيةً في سنةِ ثلاثٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، فقتلوا ونهبوا ، وفعلوا كلَّ قبيحةٍ .

---

(١) ولم تفشُ هـٰذه البدعة في زمن من الأزمان كما فشت في زماننا هـٰذا ، ولقد لقيت تأييداً مضاعفاً ، وتغلغلت في صفوف المسلمين ، بل صوَّر أعداء الدين ، أنه هو الإسلام الذي جاء به سيد المرسلين ؛ فلذلك لم نرَ ذلاً وصَغاراً ، وانحلالاً وتفرُّقاً ، وفساداً وتمزُّقاً ، وصل إليه المسلمون كما وصلوا إليه في زماننا هـٰذا ، نسأل الله أن يأذن بالفرج القريب عاجلاً غير آجل .

وكذلكَ لمَّا ظهرَتْ بهراةَ وفيروزكوهَ وخراسانَ في زمنِ الغوريةِ وكانَ أكثرُهُم كراميةً ؛ فاضمحلَّ ملكُهُم وسُلِّطَ عليهِم خوارزم شاه .

ثمَّ ظهرَتْ بعدَ وفاةِ الإمامِ فخرِ الدينِ بالريِّ وتفاقمَ أمرُها ، فسُلِّطَ عليهِمُ التتارُ في سنةِ سبعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ .

وجعلَتْ هـٰذهِ البدعةُ كلَّما ظهرَتْ بإقليمٍ أو قُطْرٍ . . سُلِّطَ عليهِمُ التتارُ بالقتلِ وسفكِ الدماءِ ، يطوونَ البلادَ طيّاً ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

فالحمدُ للهِ الذي ألهمَ أهلَ الحلِّ والعقدِ في هـٰذا الزمانِ ، الرجوعَ إلىٰ جهابذةِ النقدِ مِنْ علماءِ الأوانِ ، فقمعوا هـٰذهِ البدعةَ ، وطهَّروا منها مصرَنا الذي جعلَهُ اللهُ بعدَ الأَحْرامِ مِنْ أشرفِ بقعةٍ .

وأمَّا شُؤْمُها على البقاعِ : فيكفي إقليمَ خراسانَ أنَّهُ لم يبقَ منهُ إلا ربعُهُ ، والعراقَ قد دثرَ بشؤمِها صقعُهُ ، وكرسيُّ ملكِها حرَّانُ قد خلا مِنَ الأنيسِ رَبعُهُ ، بل دمَّرَ اللهُ عليهِ أشدَّ دمارٍ[1] ، فما بهِ نافخُ ضَرَمةٍ ولا مضرمُ نارٍ[2] .

فالحمدُ للهِ الذي جعلَ خرابَ كومِ الجارحِ مِنْ أخطاطِ مصرَ بأيدي المؤمنينَ الأبرارِ[3] ، ولم يُسلِّطْ عليهِ عدداً مِنَ الكفَّارِ ، وهوَ وإنْ كانَ مأوى المبتدعةِ لـٰكنَّهُ بجوارِ أهلِ السنَّةِ محفوفٌ ؛ فلأجلِ ذلكَ ساعدُ العدوانِ عنهُ مكفوفٌ .

واللهُ المسؤولُ أنْ يُطهِّرَ جبلَ قاسيونَ مِنْ أهلِ البدعِ[4] ، ويُفرِّقَ مِنْ شملِهِم

---

(١) وذكرت سابقاً قصة نزوح أسرة ابن تيمية من حرّان إلىٰ دمشق ، وكان ابن تيمية في ذلك الوقت صغير السن . انظر (١/ ٦٥) .

(٢) قوله : (فما به نافخ ضَرَمة) الضَّرَمة : الجمرة ، وقيل : النار نفسها ، وهو مثل ضربه ، وأراد به : أنه لم يبقَ بحرّان أحد من أهلها . انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٢٨٧) .

(٣) انظر ما سبق عن هـٰذه القرية في (٢/ ٥٧) .

(٤) قاسيون : جبل مشرف علىٰ مدينة دمشق .

بيدِ المملكةِ الناصريةِ ما اجتمعَ ، وأنْ يتداركَ ما تصدَّرَهُ مِنَ الصَّدا بجلائِهِ ، ومَنْ بقيَ مِنْ دُعاةِ العدا بجَلائِهِ ، قبلَ أنْ يتجلَّىٰ لهُ تجلِّيَ الغَضَبِ ، ويصبَّ عليهِ سوطَ العذابِ والعَطَبِ ، فيدكَّهُ أو ينسفَهُ نَسْفاً ، أو يخسفَ بِهِ الأرضَ أو يسقطَ عليهِ مِنَ السماءِ كِسْفاً ، وكلُّ ذلكَ بشؤمِ بعضِ سُكَّانِهِ ، وفسادِ عقائدِ بعضِ قُطَّانِهِ[1] .

فالجسدُ الصحيحُ لِمَا حلَّ بِهِ مِنَ الخلطِ يألمُ ، وبسكَّانِها تشقى البقاعُ وتنعمُ[2] ؛ ولأجلِ ذلكَ هُجِرَ مسجدُ الضرارِ ، وخُسِفَ بقارونَ وبالدارِ ، فحذارِ حذارِ معاشرَ سكانِ الجبلِ ، وبَدارِ بَدارِ إلى الإقلاعِ عن هـٰذا الخَبَلِ ، قبلَ أنْ يسبقَ السيفُ العتابَ ، ويقعَ عليكُمُ القولُ ويُوضَعَ الكتابُ ، نسألُ اللهَ أنْ يخيرَ لكُم ، وأنْ يُطهِّرَ مِنْ هـٰذهِ البدعةِ جِبِلَّتَكُم وجبلَكُم ؛ إنَّهُ قريبٌ مجيبٌ .

تنبيهٌ

[في سببِ تسميةِ جبلِ قاسيونَ بـ (جبلِ الصالحيَّةِ)]

الجبلُ المعروفُ بـ (سكنِ الجماعةِ) كانَ اسمُهُ قاسيونَ ، وإنَّما سُمِّيَ جبلَ الصالحيةِ باسمِ الملكِ الصالحِ بنِ [......][3] ، فليُعلَمْ ذلكَ .

---

(١) ومن قطانه : ثلة من المقدسيين والحرَّانيين وغيرهم الذين نزحوا عن بلادهم إثر الغزو المغولي والصليبي واستقروا في جبل قاسيون ، وكان من هـٰؤلاء ممن نبتَ على عقيدة التشبيه ، وغرس في صفوف بعض المسلمين بذورَها وشؤمها .

(٢) أخذ هـٰذا الكلام من قول أبي تمام :

وإذا تـأمَّلـتَ البقـاعَ وجـدتَهـا ... تشقى كما تشقى الرجالُ وتسعدُ

انظر « وفيات الأعيان » (١/ ٤٤٢ـ٤٤٣) .

(٣) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات ، والملك الصالح : هو السلطان المشهور صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولعل المؤلف أراد أن ينبه على ما يتوهم في « معجم البلدان » =

تنبيهٌ ثانٍ

[في سببِ تسمية القائلينَ بالحرفِ والصوتِ بـ (الحشويةِ)]

إنَّما سُمِّيَ معتقدو هـٰذا الاعتقادِ (الحشويةَ) لما يؤولُ أمرُهُم مِنَ التجسيمِ الذي يقتضي تحيُّزَ الجسمِ في الجهةِ وحشوَهُ فيها .

وقيلَ : لأنَّ القائلينَ بالحرفِ والصوتِ مصرِّحونَ بأنَّ الكلامَ لا ينفكُّ عنهُما ، والصوتَ لا يكونُ إلا بينَ جسمينِ ، فهوَ حينَ بروزِهِ إلى الوجودِ صادرٌ بينَ جسمينِ حشوٌ لهُما ، تعالى اللهُ عن ذلكَ .

[رأيُ المؤلِّفِ في سببِ تسميتِهِم بـ (الحشويةِ)]

والذي يظهرُ لي : أنَّهُ مأخوذٌ مِنْ حشوِ الكلامِ ؛ وهوَ الذي لا فائدةَ فيهِ ، وحشوِ الناسِ الذينَ لا غَناءَ عندَهُم وليسَ لهُم علمٌ ولا يُشارُ إليهِم ، ولمَّا كانَ القائلونَ بهـٰذهِ المقالاتِ الغالبُ أنْ يكونوا مِنْ جُفاةِ الناسِ وسُقَّاطِهِم ، ومَنْ لا مُسكةَ لهُ مِنْ عقلٍ ولا مَلَكَةَ لهُ في علمٍ ، دهماءَ غوغاءَ لا يعبأُ اللهُ بهِم شيئاً ؛ ما بينَ جمَّالٍ أو فلاحٍ أو جافي الطبعِ مُقلِّدٍ جاهلٍ . . صدقَ عليهِم : حشوٌ ، ليسَ بهِم كمالٌ في الظاهرِ ، ولا نفعٌ في الباطنِ[1] .

= (٣/ ٣٩٠) أنها سميت بذلك لصلاح بعض القاطنين بها وأكثرُهم كانوا من المقدسيين الحنابلة ، والله تعالىٰ أعلم .

(١) ومن الأمور المضحكات والمصائب المبكيات في الوقت نفسه : أن رجلاً من كبار الحشوية المعاصرة ، والذي انتشر علىٰ يده هـٰذا الإثم الكبير ، والإفساد المستحكم الخطير . . غيَّر اعتقاده من مذهب أهل السنة إلىٰ مذهب الحشوية بسبب فلاَّح جاهل غُمْرٍ غُتْميٍّ ، بعد أن أطلعه علىٰ كتاب لأحد كبار أئمتهم ، وكان هـٰذا الفلاَّح قد أخذ آراءه الفاسدة من إنسان رمَّالٍ كان يبث سمومه على الطَّغام والأغتام من العمال والفلاحين والكنَّاسين وغيرهم ، وهـٰكذا أهل الابتداع من قديم الزمان ، إلىٰ عصر المؤلف ، حتىٰ زماننا هـٰذا ؛ ينشرون اعتقادهم أوَّلاً بين الجاهلين ، أو طلاب العلم المغمورين ، الذين أخذوا علمهم عن تكرار ، وتقلَّدوه=

ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّ المأمونَ لمَّا كتبَ كتابَهُ في أولِ المحنةِ قالَ في أثنائِهِ : (وقد بلغَنا أنَّ قوماً مِنْ حشوِ الرَّعاعِ وسُقَّاطِ الدَّهْماءِ . . .) ، ثُمَّ ذكرَ باقيَ الكتابِ ، وهوَ مُسطَّرٌ في التواريخِ ، فمَنْ أرادَ الوقوفَ عليهِ فليتبعْهُ في مظانِّهِ[1] .

[تنبيهٌ] ثالثٌ

[في التحقُّقِ مِنْ نسبةِ بعضِ الأثريةِ المبتدعةِ لبعضِ الأئمةِ القولَ بخلقِ القرآنِ]

اعلَمْ : أنَّ بعضَ مَنْ يتتبَّعُ أحوالَ الرواةِ والعلماءِ مِنْ جماعةِ المبتدعةِ الذينَ يُسمُّونَ أنفسَهُمُ (الأثريةَ) . . مُتسرِّعونَ إلىٰ إطلاقِهِم : (فلانٌ كانَ يقولُ بخلقِ القرآنِ) مِنْ غيرِ تثبُّتٍ ولا نظرٍ في أمرِهِ ، ولعلَّهُم لا يجدونَ في كلامِهِ تصريحاً بذلكَ ، وإنَّما يقولُ قولاً مثلَ قولِ الأشعريِّ أو يُقاربُهُ مِنْ غيرِ أنْ يجترئَ علىٰ إطلاقِ الخلقِ ، وحاشَ للهِ مِنْ ذلكَ .

هـٰذا العسكريُّ صاحبُ « الأوائلِ » قالَ : (أولُ مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ فلانٌ)[2] ، وحاشا ذلكَ الإمامِ الذي ذكرَهُ العسكريُّ مِنْ ذلكَ ، وإنَّما هـٰذا مِنَ

= من دون فهم واستبصار ، ثم يظهرونه على العلن عندما تستحكم قوتهم ويلقون دعماً وتأييداً ما ؛ ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٣٣] .

(١) وغرض المؤلف من هـٰذا الاستشهاد : تأييدُ ما ذهب إليه من تفسير (الحشوية) بما ذكره ، وقال السبكي في « الإبهاج » (١/ ٣٦٢) : (الحشوية : طائفة ضلوا عن سواء السبيل ، وعميت أبصارهم ، يجرون آيات الصفات على ظاهرها ، ويعتقدون أنه المراد ، سمُّوا بذلك ؛ لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري رحمه الله تعالى ، فوجدهم يتكلمون كلاماً ساقطاً ، فقال : ردوا هـٰؤلاء إلىٰ حشا الحلقة ـ أي : جانبها ـ وقيل : سموا بذلك ؛ لأن منهم المجسمة والجسم محشوٌّ ، فعلىٰ هـٰذا : القياس فيه : « الحشْوية » بسكون الشين ؛ إذ النسبة إلى الحَشْو) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٥/ ٢٠) ، و« النجوم الزاهرة » (٢/ ٢١٨) .

(٢) انظر « الأوائل » (ص٣٦٩) ، ويقصد بـ(فلان) : الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى .

التعصُّبِ وإغماضِ العينِ عنِ المحاسنِ واختلاقِ المعايبِ ، وبموجَبِ ذلكَ يُلزَمونَ تلازمَ أقوالِهِم .

وهٰذهِ نكتةٌ إنْ أردتَ تحقيقَها فاكشفْ كلامَ كلِّ شخصٍ نسبوا إليهِ ذلكَ ممَّنْ يشهدُ باطنُكَ ببراءتِهِ . . تجدْ كلامَهُ لا يقتضي شيئاً مِنْ ذلكَ ، **فتأمَّلْ ذلكَ وحقِّقْهُ** ، إلا أنَّ قوماً معروفونَ بذلكَ ، فأولئكَ لا كلامَ فيهِم ، **فاعلمْ ذلكَ** .

* * *

الفصل السادس

في ذكر ما عاملهم به ولاة الأمور، في سالف الدهور
ليقوم إجراؤه على المستمعين، مقام رأي العين

وأنا أذكرُ فيهِ مراسمَ المُتقدِّمينَ وهلمَّ جرّاً، وأنقلُ ما نكَّلوا بهم ردعاً وزجراً.

وإنَّما أثبتْنا ذلكَ ؛ ليظهرَ أنَّ هـٰذهِ الدولةَ المنيرةَ أدامَ اللهُ علىٰ أهلِ السنَّةِ إشراقَها ، وبوَّأَهُم حرمَها الآمنَ ورِواقَها ، وروَّىٰ ظمأَهُم مِنْ أغداقِ جودِها ، وذهبَ بأبصارِ المبتدعةِ وأسماعِهِم بإبراقِها ورعودِها ، ولا زالَتْ ألويتُها المنصورةُ في الخافقَينِ خافقةً، وقلوبُ الأعداءِ في صدورِهِمُ الحرجةِ خافقةً . . لم تأتِ في ردعِ المبتدعةِ ببِدْعٍ ، ولا خالفَتْ في ذلكَ منهجَ شرعٍ ، وأنَّها وافقَتْ مَنْ تقدَّمَها بالنكالِ والإحراقِ ، لـٰكنِّي لم أظفَرْ بهِ ، فمَنْ ظَفِرَ بهِ علىٰ نصِّهِ فليُنبِّهْ في هـٰذا الموضعِ .

[ذكرُ ما عاملَ بهِ الملكُ الناصرُ ابنَ تيميةَ ومَنْ لفَّ لفَّهُ][1]

وبالجملةِ : فقد أحيا مولانا السلطانُ الملكُ الناصرُ العادلُ المُؤيَّدُ المُظفَّرُ[2] ، سيدُ الملوكِ والسلاطينِ ، قاهرُ المبتدعةِ الشياطينِ ، مُذِلُّ رقابِ

---

(١) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص١٨ـ١٩) : (ولم يكن له ـ أي : الملك الناصر ـ عداء شخصي نحو ابن تيمية أصلاً ، كما اعترف بذلك أشياع ابن تيمية ، لـٰكن لمَّا رأىٰ تواليَ فِتَنِهِ ، واتَّفق علماء المذاهب علىٰ ضده ، ومعهم قاضي قضاة الحنابلة . . لم يسعْهُ إلا أن يصدر مرسوماً لأهل دمشق ومرسوماً لسائر البلدان أسوةً بما أصدره بمصر ضد هـٰذا الزائغ ، وقد تُليت تلك المراسيم على المنابر ؛ نصحاً للأمة وإفهاماً لها أن ذلك الرجل مُجسِّم زائغٌ اعتقاداً وعملاً ، فلا يجوز الاغترار به) ، وسيأتي نصُّ هـٰذا المرسوم في (٢/ ٥٣٠ـ ٥٣٤) .

(٢) هو أبو الفتح محمد بن قلاوون الصالحي ، من كبار سلاطين الدولة القلاوونية ،=

الكفارِ ، ومُبِيدُ أعداءِ اللهِ التتارِ . . مآثرَ الملوكِ الأُوَلِ والخلفاءِ السالفينَ ، فكانَتْ دولتُهُ مربيةً على تلكَ الدولِ ، ومناقبُهُ مُنسيةً مناقبَ الملوكِ الأُوَلِ ، وللهِ القائلُ[1] :

[من البسيط]

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ ... فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وممَّا أُرِّخَ مِنْ مناقبِهِ ، وممَّا قامَتْ سطوتُهُ فيهِ مَقامَ مقانبِهِ[2] : نهضةٌ أخلصَ للهِ فيها القيامَ ؛ رفعَ بها مِنَ الباطلِ الغبارَ والقَتامَ ، وأعلىٰ فيها رايةَ أهلِ السنَّةِ ، ومحا آيةَ الحشويةِ أُولي المحنةِ ، فأصبحَتْ عَلَماً علىٰ حُلَّةِ الزمانِ ، وعِلْماً إلى الساعةِ يُعمَلُ بهِ ويُدانُ ، وسنَّةً حسنةً اقتضَتْ سعادتَهُ الأعمالُ في سببِها ، وحكمَتْ إرادةُ الشريعةِ بالسبقِ إلىٰ هـٰذهِ الخصلةِ الجميلةِ فلهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها ؛ حينَ ظهرَتْ فتيا ابنِ التيميةِ في أثناءِ سنةِ خمسٍ وسبعِ مئةٍ حينَ استخفَّ قومَهُ[3] ، واستعجلَ يومَهُ .

فبعثَ[4] إلى النُّوَّابِ بكفِّهِ ، مُوعِزاً لهُم أنْ يُغِضَّ مِنْ صوتِهِ ويحذفَ مِنْ حرفِهِ ، ثمَّ لم يقنعْ بأمرِهِ السريعِ المَضاءِ ، وزجرِهِ المُؤيَّدِ بالتأييدِ الإلهيِّ ونفوذِ القضاءِ ، فاستحضرَهُ علىٰ خيلِ البريدِ ، وأشخصَهُ إلى القلعةِ المحروسةِ

= وانظر ما تقدم (١/ ٦٨ـ٦٩) .

(١) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٨١) .

(٢) المقانب : جماعة الفرسان .

(٣) أفاض ابن الدواداري في « كنز الدرر » (٩/ ١٣٣ـ١٤٥) ، والنويري في « نهاية الأرب » (٣٢/ ١٠١) وما بعدها في التاريخ لحادثة ابن تيمية وشرح أسبابها وموجباتها من بدايتها إلىٰ نهايتها ، وقد ذكر المؤلف مواضع من هـٰذه الفتيا في بداية الكتاب ، وقد قمت بفضل الله بتوثيقها وتخريجها كاملةً بحيث ينقطع الشك والريب في نسبة هـٰذه الفتيا لابن تيمية . انظر (١/ ٧٧ـ١٣٩) .

(٤) أي : الملك الناصر .

بالاستحثاثِ المزعجِ والإرهاقِ الشديدِ ، وألقاهُ في غَيابةِ الجُبِّ الجديدِ .

ثـمَّ تقـدَّمَ أمـرُهُ المطـاعُ ، المُقـابَـلُ بـالامتثـالِ عنـدَ السمـاعِ ، المُتَّبِعُ لمراضي اللهِ ، والمُوافِقُ لرأيِ الراضي باللهِ . . أنْ يُكتَبَ كتابٌ يتهدَّدُ فيهِ مَنِ اتَّبعَ رأيَهُ وسعىٰ سعيَهُ مِنَ القائلينَ بالحروفِ والأصواتِ ، والمُحيِّزينَ لربِّهِم في الجهاتِ ، مُنكِراً لمذهبِهِمُ السخيفِ ، مُنكِّراً لمعارفِهِمُ المنكرةِ عندَ التعريفِ ، مُستوقِفاً لَهُم عنِ اعتقادِهِمُ الذي ابتدعوهُ مِنْ غيرِ توقيفٍ ؛ ليكونَ ذلكَ سَنَناً تتبعُهُ الملوكُ مِنْ أعقابِهِ ، ويعاملونَ بهِ مَنْ تظاهرَ منهُم علىٰ توالي الزمانِ وأحقابِهِ .

فانتدبَ لهٰذهِ المنقبةِ مَنْ محبةُ اللهِ ورسولِهِ ، قضتْ لهُ ببلوغِ مناهُ ونُجْحِ سولِهِ ، وأعطىٰ رايتَهُ مَنْ تباشيرُ الفتحِ مُتحقِّقةٌ مِنْ ميمونِ طلعتِهِ ، وعنوانُ النُّجْحِ مُستقرىً مِنْ إخلاصِهِ المُبرَّأِ مِنْ شنعةِ الرياءِ وسمعتِهِ ، رأسُ ديوانِ الإنشاءِ ، وصدرُ أعيانِ الكفاةِ والأكفاءِ ، يمينُ المملكةِ الناصريةِ القاهرةِ ، وأمينُ الدولةِ المنيرةِ الزاهرةِ ، ولسانُها المُعرِبُ عن مُرادِها ، وترجمانُها الموافقُ سدادُهُ لسدادِها ، ثمرةُ دوحةِ المآثرِ ، ووارثُ المعالي كابراً عن كابرٍ ، السابقُ في حَلْبةِ الفضائلِ ، والباسقُ فرعاً زاهيَ الجنىٰ زاهرَ الخمائلِ .

المُعْيي مَنْ يُجاريهِ في مجدِهِ ، والمُحْيي مناقبَ المُحْيي جدِّهِ ؛ الحبابُ العلائيُّ ، العالميُّ الفاضلُ البارعيُّ ، الأصيلُ الكفيلُ الزعيمي ، القواميُّ العلائيُّ علاءُ الدينِ ، عينُ الأعيانِ جمالُ الإسلامِ ، حسنةُ الأيامِ ، ذخرُ الأنامِ ، يمينُ الإمامِ ، أبو الحسنِ عليُّ نجلُ المعزِّ الأشرفِ ، العالي العالميِّ العامليِّ ، الفاضلِ البارعيِّ القواميِّ ، النظاميِّ الوزيريِّ الصاحبيِّ ، الفتحيِّ فتحِ الدينِ شرفِ الأصحابِ ، خالصةِ أميرِ المؤمنينَ ، لا زالَ علاؤُهُ متبوِّئاً مِنَ الشرفِ المكانَ المكينَ ، ونهوضُهُ في ذاتِ اللهِ نهوضَ المعانِ المعينِ ، ونصرتُهُ

في اللهِ نصرةَ المخلصينَ ، وعزمُهُ عزمَ الأسرةِ المُنعَمِ عليهِم بالاجتباءِ المُخصَّصينَ .

فأجابَ إجابةَ المجاهِدِ باليدِ واللسانِ ، وأعملَ قلمَهُ الذي أغنىٰ عنِ المرهفِ والسِّنانِ ، واستمطرَ سحائبَ الحججِ المغدقةِ [. . .][1] ، وطرَّزَ أرديةَ الشمسِ بما معناهُ كضياءِ النهارِ ، ولونُهُ كسوادِ الليلِ فأرعدَ وأبرقَ ، وتهدَّدَ بما هو إنْ داموا علىٰ معتقدِهِم مُحقَّقٌ ، مُؤيِّداً في ذلكَ باتباعِ الكتابِ والسنَّةِ ، مُسدِّداً نحوَهُم شديدَ الكلامِ الذي هوَ أبلغُ مِنْ وقعِ السهامِ ووخزِ الأسنَّةِ ، ذاهباً في التحذيرِ والإنذارِ كلَّ مذهبٍ ، مُبالِغاً في إنكارِهِ عليهِم سوءَ المَذهَبِ ، مُفصِّلاً بجواهرِ المعاني قلائدَ اللفظِ المُذهَبِ ، آتياً بما هوَ شفاءٌ لأكبادِ السنَّةِ مِنَ الظما ، وشقاءُ المبتدعةِ والذينَ لا يؤمنونَ في آذانِهِم وقرٌ وهوَ عليهِم عمىً .

فوافقَ مِنَ السلطانِ عزَّ نصرُهُ ما كانَ في النفسِ ، وأشرقَ وجهُهُ مِنَ المسرَّةِ بهِ إشراقَ الشمسِ ، وشكرَهُ وهوَ جديرٌ بأنْ يُشكَرَ ، وكافأَهُ عليهِ ولأَجْرُ الآخرةِ أكبرُ .

وتوجَّهَ بالعلامةِ الشريفةِ ، واستنهضَ لهُ جماعةَ البُرْدِ التي هيَ على الأعداءِ ثقيلةٌ وفي السُّرىٰ خفيفةٌ ، وأمرَهُ أنْ يكتبَ نسخاً علىٰ أُنموذجِهِ النظيمِ ، وأنْ تُشنَّفَ بهِ آذانُ المنابرِ في كلِّ إقليمٍ ، وأنْ يحضرَ قراءتَها أهلُ الحَلِّ والعقدِ ، والموافقةِ والردِّ مِنَ الحُرِّ والعبدِ ، وأنْ يُعلَنَ بذلكَ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ ؛ ليستفيضَ ذلكَ عندَ كلِّ حاضرٍ وبادٍ .

---

(١) ما بين معقوفين كلمة غير واضحة علىٰ هامش الأصل .

[المرسومُ السلطانيُّ الذي صدرَ في حقِّ ابنِ تيميةَ والحنابلةِ]

فكانَ مِنْ جملةِ نسخِهِ : ما قُرِئَ في جامعِ القاهرةِ بعدَ صلاةِ الجمعةِ ، وبمصرَ بعدَ عصرِ الجمعةِ ، سلخَ شهرِ رمضانَ سنةَ خمسٍ وسبعِ مئةٍ ؛ وهوَ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي تنزَّهَ عنِ الشبيهِ والنظيرِ ، وتعالىٰ عنِ المثيلِ فقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، نحمدُهُ علىٰ أنْ ألهمَنا العملَ بالسنَّةِ والكتابِ ، ورفعَ في أيامِنا أسبابَ الشكِّ والارتيابِ ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، شهادةَ مَنْ يرجو بإخلاصِهِ حسنَ العقبىٰ والمصيرِ ، ويُنزِّهُ خالقَهُ عنِ التحيُّزِ في جهةٍ ؛ لقولِهِ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي نهجَ سبيلَ النجاةِ لِمَنْ سلكَ سبيلَ مرضاتِهِ ، وأمرَ بالتفكُّرِ في آلاءِ اللهِ ونهىٰ عنِ التفكُّرِ في ذاتِهِ[١] ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ الذينَ علا بهم منارُ الإيمانِ وارتفعَ ، وشيَّدَ اللهُ بهم مِنْ قواعدِ الدينِ الحنيفِ ما شرعَ ، وأخملَ بهِم كلمةَ مَنْ حادَ عنِ الحقِّ ومالَ إلى البدعِ[٢] .

وبعدُ : فإنَّ العقائدَ الشرعيةَ ، وقواعدَ الإسلامِ المرعيَّةَ ، وأركانَ الإيمانِ العليَّةَ ، ومذاهبَ الدينِ المرضيَّةَ . . هيَ الأساسُ الذي يُبنىٰ عليهِ ، و[الموئلُ

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١) ، والطبراني في « الأوسط » (٦٣١٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « كشف الخفاء » (١/٣١١-٣١٢) .

(٢) في « نهاية الأرب » ، و« كنز الدرر » : (وأخمد) بدل (وأخمل) .

الذي] يرجعُ كلُّ أحدٍ إليهِ ، والطريقُ التي مَنْ سلكَها فقد فازَ فوزاً عظيماً ، ومَنْ حادَ عنها فقدِ استوجبَ عذاباً أليماً .

فلهـٰذا يجبُ أنْ تُنفَّذَ أحكامُها ، ويُؤكَّدَ دوامُها ، وتُصانَ عقائدُ المِلَّةِ عنِ الاختلافِ ، وتُزانَ قواعدُ الأئمَّةِ بالائتلافِ ، وتُخمَدَ ثوائرُ البدعِ ، ويُفرَّقَ مِنْ فِرَقِها ما اجتمعَ .

وكانَ ابنُ التيميةِ في هـٰذهِ المُدَّةِ قد بسطَ لسانَ قلمِهِ ، ومدَّ عِنانَ كَلِمِهِ ، وتحدَّثَ في مسائلِ الذاتِ والصفاتِ ، ونصَّ في كلامِهِ على أمورٍ مُنكراتٍ ، وتكلَّمَ فيما سكتَ عنهُ الصحابةُ والتابعونَ ، وتحدَّثَ فيما تجنَّبَهُ السلفُ الصالحونَ[1] ، وأتىٰ في ذلكَ بما أنكرَهُ أئمَّةُ الإسلامِ ، وانعقدَ علىٰ خلافِهِ إجماعُ العلماءِ والحكامِ ، وشَهَرَ مِنْ فتاويهِ في البلادِ ما استخفَّ بهِ عقولَ العوامِّ ، وخالفَ في ذلكَ فقهاءَ عصرِهِ ، وعلماءَ شامِهِ ومِصْرِهِ ، وبعثَ برسائلِهِ إلىٰ كلِّ مكانٍ ، وسمَّىٰ فتاويَهُ أسماءً ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سلطانٍ .

ولمَّا اتَّصلَ بنا ذلكَ ، وما سلكَ المريدونَ لهُ مِنْ هـٰذهِ المسالكِ ، وأظهروهُ مِنْ هـٰذهِ الأحوالِ وأشاعوهُ ، وعَلِمْنا أنَّهُ استخفَّ قومَهُ فأطاعوهُ ؛ حتىٰ قيلَ : إنَّهُم صرَّحوا في حقِّ اللهِ تعالىٰ بالحرفِ والصوتِ والتجسيمِ . . قُمْنا في اللهِ تعالىٰ مشفقينَ مِنْ هـٰذا النبأِ العظيمِ ، وأنكرْنا هـٰذهِ البدعةَ ، وعزَّنا أنْ تشيعَ عمَّنْ تضمُّهُ ممالكُنا هـٰذهِ السمعةُ ، وكرهْنا ما فاهَ بهِ المبطلونَ ، وتلَوْنا قولَهُ تعالىٰ : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٩] ؛ فإنَّهُ تنزَّهَ في ذاتِهِ وصفاتِهِ عنِ العديلِ والنظيرِ ، ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

وتقدَّمَتْ مراسمُنا باستدعاءِ المذكورِ إلىٰ أبوابِنا العاليةِ عندَما سارَتْ فتاويهِ

---

(١) في « نهاية الأرب » ، و« كنز الدرر » : (وفاه بما) بدل (وتحدث فيما) .

شاماً ومصراً ، وصرَّحَ فيها بألفاظٍ ما سمعَها ذو لُبٍّ إلا وتلا قولَهُ تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف : ٧٤] .

ولمَّا وصلَ إلينا تقدَّمْنا إلىٰ أُولي الحَلِّ والعَقْدِ ، وذوي التحقيقِ والنقدِ ، وحضرَ قضاةُ الإسلامِ ، وحكامُ الأنامِ ، وعلماءُ الدينِ ، وفقهاءُ المسلمينَ ، وعُقِدَ لهُ مجلسُ شرعٍ ، في ملأٍ وجمعٍ ، فثبتَ عندَ ذلكَ عليهِ ، ما نُسِبَ إليهِ ، وبمقتضىٰ خطٍّ بيدِهِ ، الدالِّ علىٰ مُعتقدِهِ ، وانفصلَ ذلكَ الجمعُ وهم لعقيدتِهِ منكرونَ ، وواخذوهُ بما شهدَ قلمُهُ عليهِ تالينَ لهُ ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

ونُقِلَ إلينا أنَّهُ كانَ استُتيبَ فيما تقدَّمَ ، وأُخِّرَ لمَّا تعرَّضَ إلىٰ ذلكَ وأقدمَ[١] ، ثمَّ عادَ بعدَ منعِهِ ، ولم تدخلْ تلكَ النواهي في سمعِهِ ، وصحَّ ذلكَ في مجلسِ الحكمِ العزيزِ المالكيِّ ووضحَ ، وصدقَ فيهِ أملُ الراجينَ للحقِّ فنجحَ ، واقتضى الشرعُ الشريفُ أنْ يُسجَنَ هـٰذا المذكورُ ، وأنْ يُمنَعَ مِنَ التصرُّفِ والظهورِ ؛ لما في ذلكَ مِنْ مصالحِ الجمهورِ .

ومرسومُنا هـٰذا : يأمرُ بألا يسلكَ أحدٌ هـٰذهِ المسالكَ ، وينهىٰ عنِ اعتقادِ مثلِ ذلكَ ، أو يغدوَ لهُ في هـٰذا القولِ مُتَّبعاً ، أو لمثلِ ألفاظِهِ مُستمِعاً ، وأنْ يسريَ في التجسيمِ مسراهُ ، أو أنْ يفوهَ في ذلكَ كما فاهَ[٢] ، أو أنْ يتحدَّثَ أحدٌ في صوتٍ أو حرفٍ ، أو يُوسِعَ القولَ في ذاتٍ أو وصفٍ ، أو يتفوَّهَ بتجسيمٍ ، أو ينطقَ بلفظٍ في ذلكَ غيرِ مستقيمٍ[٣] ، أو يخرجَ عن رأيِ الأئمَّةِ ، أو ينفردَ عن

---

(١) في « نهاية الأرب » ، و« كنز الدرر » : (وأَخَّرَه الشرع الشريف) بدل (وأُخِّر) .

(٢) في « نهاية الأرب » : (أو أن يفوه بجهة العلو مُخصِّصاً أحداً كما فاه) .

(٣) العبارة في « كنز الدرر » : (أو يطلق لسانه بتجسيم ، أو يحيد عن طريق الحق المستقيم) بدل (أو يتفوَّه بتجسيم . . .) .

علماءِ الأمَّةِ ، أو يُحيِّزَ اللهَ تعالىٰ في جهةٍ ، أو يتعرَّضَ إلىٰ حيثُ أو كيفَ ، فليسَ لمَنْ يعتقدُ هـٰذا المجموعَ عندَنا إلا السيفُ .

فليقفْ كلُّ أحدٍ علىٰ هـٰذا الحدِّ ، ولله الأمرُ مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ ، وليُلزَمْ كلٌّ مِنَ الحنابلةِ بالرجوعِ عن هـٰذهِ العقيدةِ ، والخروجِ عن هـٰذهِ المشتبهاتِ الشديدةِ ، ولزومِ ما أمرَ اللهُ بهِ مِنَ التمسُّكِ بمذاهبِ أهلِ الإيمانِ الحميدةِ ؛ فإنَّهُ مَنْ خرجَ عن أمرِ اللهِ فقد ضلَّ سواءَ السبيلِ ، وليسَ لهُ غيرَ السجنِ الطويلِ مِنْ مقيلٍ[1] .

ومتىٰ أصرُّوا على الامتناعِ ، وأَبَوا إلا الدفاعَ . . أَمَرْنا بإسقاطِهِم مِنْ مناصبِهِم ، ووضعِهِم مِنْ مراتبِهِم ، وليسَ لهُم عندَنا قضاءٌ ولا حكمٌ ولا إمامةٌ ، ولا نسمحُ لهُم في بلادِنا بتدريسٍ ولا شهادةٍ ولا إقامةٍ ؛ فإنَّا أزلْنا دعوةَ هـٰذا الرجلِ مِنَ البلادِ ، وأبطلْنا هـٰذهِ العقيدةَ التي أضلَّ بها كثيراً مِنَ العبادِ أو كادَ ، وقد أعذرْنا وحذَّرْنا ، وأنصفْنا حيثُ أنذرْنا .

وليُقرَأْ مرسومُنا هـٰذا على المنابرِ ؛ ليكونَ أبلغَ واعظٍ وزاجرٍ ، وأعدلَ ناهٍ وآمرٍ ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى[2] .

---

(١) زاد النويري في « نهاية الأرب » : (رسَمْنا بأن يُنادىٰ في دمشقَ المحروسة ، والبلادِ الشامية وتلك الجهاتِ . . بالنهي الشديد ، والتخويف والتهديد ، لمَنْ يتَّبعُ ابن تيمية في الأمر الذي أوضحناه ، ومَنْ تبعه فيه تركناه في مثل مكانه وأحللناه ، ووضعناهُ من عيون الأمم كما وضعناه) .

(٢) زاد ابن الدواداري في « كنز الدرر » : (وليُبلِّغ للغائب الحاضرُ ، والخطُّ الشريف أعلاه ، حُجَّةٌ بمقتضاه) ، وقال : (وكتب هـٰذا المرسوم عدةَ نسخ ، ونفذ إلى سائر الممالك الإسلامية ، وتولىٰ قراءة هـٰذا المرسوم الوارد بدمشق القاضي شمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود المُوقِّع ، وبلَّغ عنه ابن صبيح المؤذن ، وأحضروا الحنابلة بعد ذلك ، واعترفوا عند قاضي القضاة جمال الدين المالكي بأنهم جميعهم يعتقدون ما يعتقده الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه؛ وهو قوله : « آمنت بالله وما جاء عن الله عمَّن آمن=

والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلواتُهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلامُهُ .

فلمَّا وصلَ إليهِمُ المثالُ الشريفُ ، وقُرِئَ عليهِم ما فيهِ مِنَ التهديدِ والتخويفِ ، مِنَ الخلفاءِ والملوكِ ، في اقتفاءِ المناهجِ والسلوكِ . . شكرَ اللهُ سعيَها وصنيعَها ، وتقبَّلَ أعمالَها التي أخلصَتْها راجيةً ألا يضيعَها ، فلقد شفتْ أكباداً ، وشقَّتْ أعداءً وأضداداً ، وأظهرَتِ الحقَّ ، وأنكرَتْ مِنَ الباطلِ ما استوجبَ الإنكارَ واستحقَّ ، واتَّبعَتْ في ذلكَ هديَ الرسولِ ، واقتدتْ بما سمعَتْ مِنَ المنقولِ .

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ بسندِهِ إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَنْعَشَ حَقّاً بِلِسَانِهِ جَرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللهَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُوَفِّيَهُ ثَوَابَهُ » ، وقالَ حبانُ بنُ موسىٰ : « حَقّاً يُعْمَلُ بِهِ بَعْدَهُ »[1] .

[ذكرُ ما عاملَ بهِ الخليفةُ الراضي البَربَهاريَّ وأصحابَهُ]

ذكرَ الشيخُ عزُّ الدينِ عليُّ بنُ محمدِ ابنِ عبدِ الكريمِ الجزريُّ المعروفُ بـ (ابنِ الأثيرِ) في « تاريخِهِ » قالَ : (ثمَّ دخلَتْ سنةُ ثلاثٍ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ) ، وعدَّدَ وقائعَ جرتْ في السنةِ المذكورةِ ، ثمَّ قالَ : (وفيها عَظُمَ أمرُ الحنابلةِ ، وقَوِيَتْ شوكتُهُم ، وصاروا يكبسونَ دورَ القُوَّادِ والعامَّةِ ، وإنْ وجدوا نبيذاً أراقوهُ ، وإنْ وجدوا مُغنِّيةً ضربوها وكسروا آلةَ الغناءِ ، واعترضوا في البيعِ والشراءِ ، ومشيِ الرجالِ معَ النساءِ والصبيانِ ، فإذا رأَوْا ذلكَ سألوهُ

= باللهِ ، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله عن مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ») .

(1) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٧٩) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٧٦) ، وبنحوه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٦٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وحبان بن موسىٰ : من الرجال الواردين في طرق أبي نعيم في « الحلية » .

عنِ الذي معَهُ مَنْ هوَ ، فإنْ أخبرَهُم ، وإلا ضربوهُ ، وحملوهُ إلىٰ صاحبِ الشرطةِ وشهدوا عليهِ بالفاحشةِ ، فأوهجوا بغدادَ[1] .

فركبَ بدرٌ الخَرْشَنيُّ ـ وهوَ صاحبُ الشرطةِ ـ عاشرَ جمادى الآخرةِ ، ونادىٰ في جانبَيْ بغدادَ في أصحابِ أبي محمدٍ البربهاريِّ : أنَّ الحنابلةَ لا يجتمعُ منهُمُ اثنانِ ، ولا يتناظرونَ في مذهبِهِم ، ولا يُصلِّي منهُم إمامٌ إلا إذا جهرَ بـ « بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ » في صلاةِ الصبحِ والعشاءينِ ، فلم يُفِدْ فيهِم ، وزادَ شرُّهُم وعنتُهُم ، واستظهروا بالعميانِ الذينَ كانوا يأوونَ المساجدَ ، وكانوا إذا مرَّ بهِم شافعيُّ المذهبِ أَغْرَوا بهِ [العميانَ] ، فيضربونَهُ بعِصيِّهِم حتىٰ يكادُ يموتُ .

فخرجَ توقيعُ الراضي باللهِ بما يُقرأُ على الحنابلةِ يُنكِرُ عليهِم فعلَهُم ويُوبِّخُهُم باعتقادِهِم وغيرِهِ ؛ فمنهُ : (إنَّهُ تارةً تزعمونَ أنَّ صورةَ وجوهِكُمُ القبيحةِ السمجةِ علىٰ مثالِ ربِّ العالمينَ ، وهيئتَكُمُ الرذلةَ علىٰ هيئتِهِ ، وتذكرونَ الوجهَ واليدينِ والأصابعَ ، والرجلينِ والنعلينِ [المذهبينِ] ، والشعرَ القططَ ، والصعودَ إلى السماءِ ، والنزولَ [إلى الدنيا] ، تباركَ اللهُ عمَّا يقولُ الظالمونَ علوّاً كبيراً .

ثمَّ طعنُكُم علىٰ خيارِ الأمةِ ، ونسبتُكُم شيعةَ آلِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الكفرِ والضلالِ ، ثمَّ استدعاؤُكُمُ المسلمينَ إلى الدينِ بالبدعِ الظاهرةِ والمذاهبِ الفاجرةِ التي لا يشهدُ بها القرآنُ[2] ، وإنكارُكُم زيارةَ قبورِ الأئمَّةِ وتشنيعُكُم علىٰ زُوَّارِها بالابتداعِ ، وأنتم معَ ذلكَ تجتمعونَ لزيارةِ قبرِ رجلٍ مِنَ

---

(١) في « الكامل » : (فأرهجوا) بالراء ؛ يقال : أرهج بينهم ؛ إذا أثار الفتنة ، وأوهج ؛ إذا أوقدها .

(٢) زاد في « تجارب الأمم » : (ولا يقتضيها فرائض الرحمـٰن) .

العوامِّ ليسَ بذي شرفٍ ولا نسبٍ ولا سببٍ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتأمرونَ بزيارتِهِ ، وتدَّعونَ لهُ معجزاتِ [الأنبياءِ][1] ، وكراماتِ الأولياءِ ، فإنَّ الشيطانَ[2] زيَّنَ لكُم هـٰذهِ المنكراتِ بإغوائِهِ .

وأميرُ المؤمنينَ يقسمُ باللهِ قسماً جهداً أليَّةً يلزمُهُ الوفاءُ بها ؛ لئنْ لم تنتهوا عن مذمومِ مذهبِكُم ، ومُعْوَجِّ طريقتِكُم . . لَيُوسعَنَّكُم ضرباً وتشريداً ، وقتلاً وتبديداً[3] ، ويستعملُ السيفَ في رقابِكُم ، والنارَ في منازلِكُم)[4] .

[ما عاملَ بِهِ علاءُ الدينِ تُكَشَ الحنابلةَ وشيخَهم عندَما هدموا جامعَ أهلِ السنَّةِ الذي بناهُ الوزيرُ نظامُ الملكِ]

ومِنْ ذلكَ : ما أوقعَهُ خوارزم شاه علاءُ الدينِ تُكَشُ بشيخِ الإسلامِ وبالحنابلةِ حينَ هدموا جامعَ نظامِ الملكِ الذي بناهُ لأهلِ السنَّةِ ، وقد مضىٰ ذكرُ هـٰذهِ القصَّةِ قبلُ[5] .

[ما عاملَ به الملكُ الكاملُ الحنابلةَ الذينَ أضرُّوا بالعزِّ بنِ عبدِ السلامِ]

ومِنْ ذلكَ : ما كتبَ بهِ السلطانُ الملكُ الكاملُ إلىٰ أخيهِ الأشرفِ في واقعةِ ابنِ عبدِ السلامِ يُعنِّفُهُ علىٰ ما صدرَ منهُ ، ويأمرُهُ أنْ يوقعَ بأضدادِ ابنِ عبدِ السلامِ[6] .

ولمَّا سُقِطَ في أيديهم ، وتحقَّقوا المقابلةَ علىٰ تعدِّيهم ، فحاصوا حيصةَ حُمرِ الوحشِ ، وخافوا مِنَ النَّكالِ والبطشِ ، وشاوروا أبلةَ قلوبِهم ، فأشارَ

---

(١) في (أ ، ب) : (الأبدال) ، والمثبت من « الكامل في التاريخ » .
(٢) في « الكامل » : (فلعن الله شيطاناً) بدل (فإن الشيطان) .
(٣) في (أ) : (وتنديداً) .
(٤) الكامل في التاريخ (٧/ ٤٠ـ٤١) ، وانظر « تجارب الأمم » (٥/ ٤١٤ـ٤١٥) .
(٥) انظر (٢/ ٤٩٨) .
(٦) وقد سبق شرح هـٰذه الواقعة مفصلاً . انظر (٢/ ٥٠٠ـ٥١٩) .

عليهِم بالتوبةِ وأصابَ ، وهل يختارُ الصَّغارَ على غرةِ الدنيا والآخرةِ إلا معتوهٌ أو مصابٌ ؟! فدخلوا في السِّلْمِ ، وأظهروا متابعةَ أهلِ العلمِ ، وأظهرَ مَنْ كانَ يتظاهرُ بالخلافِ وِفاقاً ، وتابَ عمَّا كانَ عليهِ إمَّا صدقاً أو نفاقاً ، وتلكَّأَ بعضُ مَنْ كانَ قدوةً لهُم في فتونِهِم ، داعيةً إلى ما يزيدُ في فتونِهِم ، مختاراً مذهبَهُ على ما بيدِهِ مِنَ المَناصبِ ، مُظهِراً وقوفَهُ موقفَ المناوئِ والمُناصبِ ، مُتربِّصاً بأهلِ السنَّةِ الدوائرَ ، طامعاً أنْ تعودَ لهُ كرةٌ [. . .][1] بعدَ ردعِ الدبرِ وقطعِ الدابرِ .

فلمَّا يئسَ مِنَ المطالِ ، وإعمالِ الحيلةِ في العملِ فحصلَتْ لهُ حالةُ البطالِ ، ورأى أنَّهُ يُلاحَظُ بالازدراءِ ، ويُنبَذُ لسُقْمِ معتقدِهِ بالعَراءِ ، وعلمَ أنَّهُ يُعلِّلُ نفسَهُ بعللِ العاشقِ بالمنى والطيفِ ، وتيقَّنَ أنَّهُ إنْ لم يرجع بحكمِ الوقتِ فالوقتُ سيفٌ . . دخلَ فيما دخلَ فيهِ أصحابُهُ ، وتابَ والعلمُ للهِ هل صحيحٌ أم سقيمٌ مَتابُهُ ؟ فقرَّتْ عينُهُ ، وتباعدَ حَيْنُهُ ، وعادَ إليهِ مِنَ المناصبِ ما لو دامَ على حالِهِ ما عادَ ، وتُلُقِّيَ قدومُهُ بالإسعافِ والإسعادِ ، وانتظمَ شملُ الكافَّةِ في الظاهرِ ، وخابَ أملُ المعاندِ للحقِّ والمظاهرِ .

وللهِ لُطْفٌ في غَضِّ ناظرِ البدعِ المَرِهِ[2] ، وفضِّ جمعِهِ وفَلِّ عسكَرِهِ ، وإعلاءِ الحقِّ وإنْ أبغضَ ذلكَ المُبطِلُ وكَرِهَ .

وَعَادَاتُ نَصْرٍ لَمْ تَزَلْ تَسْتَعِيدُهَا عِصَابَةُ حَقٍّ فِي عِصَابَةِ بَاطِلِ
وَمَا هُوَ إِلا ٱلْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعَيْ كُلِّ مَائِلِ[3]
فَهَـٰذَا دَوَاءُ ٱلدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ وَهَـٰذَا دَوَاءُ ٱلدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلِ

---

(١) ما بين معقوفين كلمة مطموسة في (أ) .

(٢) المَرِه في الأصل : فاسد العين لترك الكحل .

(٣) الظُّبا : حدُّ السيف أو السنان ونحوه ، والأَخْدَعان : عِرقان في موضع الحجامة ، وقيل : هما عرقان في الرقبة .

فَيَا أَيُّهَا ٱلنُّوَّامُ عَنْ رَيِّقِ ٱلْهُدَىٰ   وَقَدْ جَادَكُمْ مِنْ دِيمَةٍ بَعْدَ وَابِلِ
هُوَ ٱلْحَقُّ إِنْ تَسْتَيْقِظُوا فِيهِ تَغْنَمُوا   وَإِنْ تَغْفُلُوا فَٱلسَّيْفُ لَيْسَ بِغَافِلِ[1]

[عودٌ إلىٰ ذكرِ ابنِ تيميةَ ومراجعتِهِ في التوبةِ]

هـٰذا ؛ وابنُ تيميةَ يُراجَعُ في التوبةِ فلا يرجعُ ، ويُصعَدُ بهِ مِنَ السجنِ فينحدرُ لمقالةِ السوءِ ولا يُقلِعُ ؛ حرصاً علىٰ أنْ يُوقَعَ بِهِ أمرٌ مُفظِعٌ ، فيعظُمَ أمرُهُ عندَ أتباعِهِ ، وينجمَ بدرُهُ عندَ أشياعِهِ ، وتسيرَ السمعةُ عنهُ غرباً وشرقاً أنَّهُ لم يُثنِهِ عن مذهبِهِ ما يُقاسيهِ مِنَ النكالِ ، ويكفي هـٰذا والشفعاءُ يسعَوْنَ فلا تغني شفاعتُهُم ، ويُقابَلُ بالردِّ أفرادُهُم وجماعتُهُم ، ويُناديهِم مُنادي الإخفاقِ : ارضَوْا مِنَ الغنيمةِ بالإيابِ ، فليسَ لهُ خلاصٌ إلا بالمتابِ ، وهوَ في تضاعيفِ ذلكَ ترشقُهُ الألسنةُ بأسهُمِ الكلامِ المطلقةِ ، وترمقُهُ العيونُ بعينِ المقتِ لا المِقَةِ[2] .

ونُظِمَتْ فيهِ القصائدُ والمقاطيعُ ، وكَثُرَتْ فيهِ الأقوالُ ما بينَ مُتوسِّطٍ وقِطٌّ فظيعٍ[3] .

ومِنَ المُتوسِّطِ في ذلكَ : ما أنشدَنيهِ القاضي الأجلُّ العالمُ ، النحويُّ الأديبُ الفاضلُ ، البارعُ المفيدُ ، ناصرُ الدينِ ، شرفُ الفضلاءِ ، فخرُ الأدباءِ ، لسانُ العربِ ، حُجَّةُ الأدبِ ؛ شافعُ بنُ عليٍّ لنفسِهِ[4] : [من المتقارب]

وَلَمَّـا أَتَـانَـا ٱبْـنُ تَيْمِيَّـةٍ   وَصَغَّـرَ بِـٱلْخُبْـرِ سُـوءُ ٱلْخَبَـرْ[5]

---

(١) الأبيات لأبي تمام في « ديوانه » (٣/ ٨٦ ـ ٨٧) ، وهي من الطويل .
(٢) المِقَة : المحبة .
(٣) القِطُّ : الصحيفة المكتوبة .
(٤) ورواهما الصفدي في « أعيان العصر » (٢/ ٥١٢) .
(٥) في « أعيان العصر » : (وحقق) بدل (وصغَّر) .

أَذَبْنَا عَقِيدَةَ تَجْسِيمِهِ ... بِرِيقِ بَرِيقِ سُيُوفِ ٱلنَّظَرِ

وأنشدَني أيضاً لنفسِهِ[1] : [من السريع]

قَالُوا أَمَا تَسْمَعُ مَا قَدْ جَرَىٰ ... مِنْ حَنْبَلِيٍّ تَاهَ فِي حَشْوِهِ[2]

فَقُلْتُ هَـٰذَا خُشْكَنَانُ أَنَا ... وَٱللهِ لا أَدْخُلُ فِي حَشْوِهِ[3]

عُدْنا إلىٰ سياقةِ الكلامِ : فحينَ بطلَتْ شفاعةُ الشافعينَ ، ولم يبقَ إلا الاعتمادُ علىٰ ربِّ العالمينَ . . هدى اللهُ قلبَهُ للتوبةِ ، وقدَّرَ لهُ الرجوعَ والأوبةَ ، فأذعنَ للطاعةِ ، وكانَ منهُ ما ذكرتُهُ في ترجمةِ قاضي القضاةِ بدرِ الدينِ ابنِ جماعةَ .

فاقترحَ عليهِ أنْ يكتبَ بخطِّهِ ما يُؤاخَذُ بهِ إنْ لم يقفْ عندَ شرطِهِ ، وكتبَ مُمتثِلاً ، مُكابِداً للمشقَّةِ مُحتمِلاً ، وتوَّجَ خطَّهَ بالعلامةِ الشريفةِ : (قاضي القضاةِ) .

وشهدَ عليهِ جماعةٌ مِنَ العلماءِ بمقتضاهُ ، وإنْ لم يكنْ رَضَاهُ ، وذلكَ في شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ سبعٍ وسبعِ مئةٍ .

[نصُّ توبةِ ابنِ تيميةَ]

وكُتِبَتْ مِنْ توبتِهِ نسخٌ منقولةٌ مِنْ خطِّ يدِهِ ؛ لتكونَ مقابلةً لإنكارِهِ في غدِهِ ، وحُجَّةً علىٰ تابعيهِ في معتقدِهِ ، ولتُجعَلَ كلمةً في عقبِهِ باقيةً ، ولِلَسْبِ عقاربِهم عندَ إظهارِ مذاهبِهم راقيةً[4] .

---

(١) ورواهما الصفدي في « أعيان العصر » (٢/ ٥١٢) .

(٢) في « أعيان العصر » : (في لغوه) بدل (في حشوه) .

(٣) الخُشْكَنان : خبز يصنع من خالص دقيق الحنطة ، وتملأ بالسكر واللوز أو الفستق وتقلىٰ .

(٤) اللَّسْب : اللَّدْغ ، وأكثر ما يستعمل في العقرب .

وهـٰذهِ نسختُها :

(الحمدُ للهِ ، الذي أعتقدُهُ : أنَّ القرآنَ معنىً قائمٌ بذاتِ اللهِ ، وهوَ صفةٌ مِنْ صفاتِ ذاتِهِ القديمةِ الأزليَّةِ ، وهوَ غيرُ مخلوقٍ ، وليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، وليسَ هوَ حالّاً في مخلوقٍ أصلاً ؛ لا ورقٍ ولا خشبٍ ولا غيرِ ذلكَ .

والذي أعتقدُهُ في قولِهِ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] : أنَّهُ على ما قالَهُ الجماعةُ الحاضرونَ ، وليسَ على حقيقتِهِ وظاهرِهِ ، ولا أعلمُ كنهَ المرادِ بهِ ، بل لا يعلمُ ذلكَ إلا اللهُ ، والقولُ في النزولِ كالقولِ في الاستواءِ ، أقولُ فيهِ ما أقولُ فيهِ ؛ لا أعلمُ كنهَ المرادِ بهِ ، بل لا يعلمُ ذلكَ إلا اللهُ ، وليسَ على حقيقتِهِ وظاهرِهِ كما قالَ الجماعةُ الحاضرونَ .

وكلُّ ما يُخالِفُ هـٰذا الاعتقادَ فهوَ باطلٌ ، وكلُّ ما في خطِّي أو لفظي مما يُخالِفُ ذلكَ فهوَ باطلٌ ، وكلُّ ما في ذلكَ ممَّا فيهِ إضلالُ الخلقِ أو نسبةُ ما لا يليقُ باللهِ إليهِ فأنا بريءٌ منهُ ، وقد برِئْتُ منهُ ، وتائبٌ إلى اللهِ مِنْ كلِّ ما يُخالِفُ الدينَ .

كتبَهُ : أحمدُ ابنُ تيميةَ ، وذلكَ يومَ الخميسِ سادسِ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ سبعٍ وسبعِ مئةٍ ، وكلُّ ما كتبتُهُ وقلتُهُ في هـٰذهِ الورقةِ فأنا مختارٌ في ذلكَ غيرُ مُكرَهٍ ، كتبَهُ : أحمدُ ابنُ تيميةَ ، حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ) .

وبأعلىٰ هـٰذا المكتوبِ علىٰ [. . .][1] بالحمدلةِ بخطِّ سيِّدِنا قاضي القضاةِ بدرِ الدينِ . . ما صورتُهُ : (اعترفَ عندي بكلِّ ما كتبَ بهِ خطُّهُ في التاريخِ المذكورِ ، كتبَهُ : محمدُ بنُ إبراهيمَ الشافعيُّ) .

وبحاشيةِ الخطِّ ما صورتُهُ : (اعترفَ بكلِّ ما كتبَ بخطِّهِ ، كتبَهُ : عبدُ الغنيِّ بنُ محمدٍ الحنبليُّ) .

---

(١) ما بين معقوفين كلمة غير واضحة في (أ)، وتحتمل : (يسراه) ، وفي (ب): (سر) !!

[صُوَرُ رسومِ شهاداتِ العلماءِ في اعترافِ ابنِ تيميةَ وتوبتِهِ]

وبآخرِ خطِّ ابنِ تيميةَ رسومُ شهاداتٍ هـٰذهِ صورتُها :

صورةُ خطِّ الشيخِ الإمامِ العالمِ أقضى القضاةِ ، نجمِ الدينِ شيخِ المُصنِّفين ، مهذبِ المؤلفينَ ، ابنِ الرفعةِ ، أدامَ اللهُ عزَّهُ : (كتبَ المذكورُ بخطِّهِ أعلاهُ بحضوري ، واعترفَ بمضمونِهِ ، كتبَهُ : أحمدُ ابنُ الرفعةِ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ ، كتبَهُ : عبدُ العزيزِ النِّمْراويُّ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ كلِّهِ بتاريخِهِ ؛ وهوَ سادسُ ربيعٍ الآخَرِ سنةَ سبعٍ وسبعِ مئةٍ ، كتبَهُ : عليُّ بنُ محمدِ ابنِ خطابٍ الباجيُّ الشافعيُّ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ وكتبَهُ بحضوري ، كتبَهُ : محمدُ ابنُ عَدْلانَ الكنانيُّ الشافعيُّ ، لطفَ اللهُ تعالىٰ بِهِ ، آمينَ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (جرىٰ ذلكَ بحضوري في تاريخِهِ ، كتبَهُ : الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الحسينيُّ) .

وبالحاشيةِ أيضاً ما مثالُهُ : (كتبَ المذكورُ أعلىٰ قرينةَ خطِّهِ بحضوري واعترفَ بهِ ، كتبَهُ : عبدُ اللهِ ابنُ جماعةَ) .

مثالُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ وكتبَهُ بحضوري ، كتبَهُ : محمدُ بنُ عثمانَ البوريجيُّ ، عفا اللهُ عنهُ بكرمِهِ) .

فالحمدُ للهِ علىٰ ما منحَهُ مِنَ التوبةِ والرجوعِ[1] .

---

(١) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص٩٥ـ٩٦) : (وكلٌّ هـٰؤلاء من كبار أهل العلم في ذلك العصر ، وابنُ الرفعة وحده له « المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي » في أربعين مجلداً ، وفي ذلك عِبَرٌ) .

. . . .

* * *

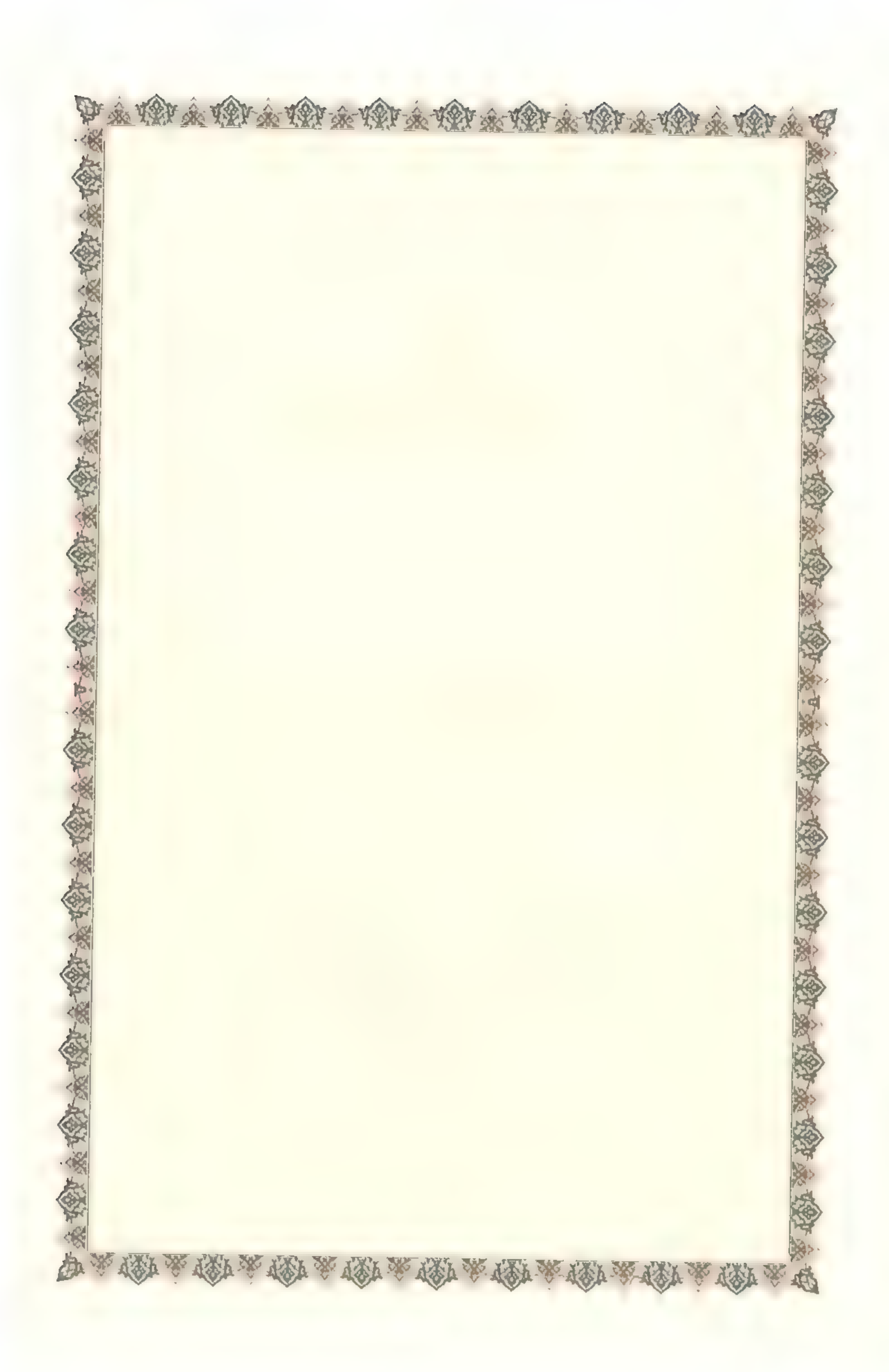
ولولا أن ابن تيمية كان يدعو العامة إلى اعتقاد ضد ما في صيغة الاستتابة هـٰذه بكل ما أوتي من حول وحيلة . . لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة ، وما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه ، وبعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توَّج خطه قاضي القضاة البدر ابن جماعة بالعلامة الشريفة ، وشهد علىٰ ذلك جماعة من العلماء ، وحفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية .

لـٰكن لم تمضِ مدةٌ علىٰ ذلك حتىٰ نقض ابن تيمية عهوده ومواثيقه ، كما هي عادة أئمة الضلال ، وعاد إلىٰ دعوته الضالة ، ورجع إلىٰ عادته القديمة في الإضلال) .

وإلىٰ قوله : (من التوبة والرجوع) انتهت آخر ورقة في (أ) ، وحصل خلط في (ب) في ترتيب الأوراق ، وكتب في خاتمتها : (وكانَ الفراغُ مِنْ نسخِ هـٰذا المؤلَّفِ في يوم الأربعاءِ الموافقِ « ٢٨ » مِنْ شهرِ رجبٍ سنةَ « ١٣٥٥هـ » ، « ١٤ » مِنْ شهرِ أكتوبر سنةَ « ١٩٣٦م » عن نسخةٍ منقولةٍ بالفتوغرافيةِ محفوظةٍ بدارِ الكتبِ المصريةِ تحتَ رقم « ١٣١٧ » ، نقلَهُ عبدُ الوهابِ محمد زرنبه نسَّاخٌ بالدارِ) .



الفهارس العامّة



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣-٢	٤٦٢/٢
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	٣٩٥/٢
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٣٨٢/١

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾	٢٣	٢٦٠/٢
﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾	٢٦	١٦٣/١
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾	٢٩	٣٧٦/٢
﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾	٣٤	٢١٦/١
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ . . .﴾	٣٥	٢١٦/١
﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤٢	٧١/٢، ٥٠٧
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي﴾	٤٣	٣٥٩/٢
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ . . .﴾	٦١	١٢٥/١، ١٤٩
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾	٦٤	١٩٩/١
﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾	١٠٢	١١٧/١
﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾	١١٥	١٧٦/١، ٤٠٠/٢
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾	١٤٣	٤٥٣/٢
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	١٥٢	٧٩/٢
﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣	١٨٩/١
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . . .﴾	١٦٤	١٨٩/١
﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . . .﴾	١٧٠	٤٣٦/٢

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٧	١/ ٢١٨، ٢/ ٤٠٠
سورة الواقعة		
﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٧ـ٧٩	١/ ٨٠، ٢/ ٧٤، ٥٠٤
سورة الحديد		
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤	٢/ ٥٣٠
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾	٢٧	٢/ ٤٨٩
سورة المجادلة		
﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . .﴾	٧	١/ ١٥٩، ٣٠٦
﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾	٨	٢/ ٣٥٤، ٤٥٠
﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾	١٢	٢/ ٣٩٣
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . .﴾	٢٢	١/ ٥٩، ٥٣٣
سورة الحشر		
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾	٢٤	٢/ ٤٥٧
سورة المنافقون		
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ . . .﴾	١	١/ ١٧٦
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا . . .﴾	٦	٢/ ٢٦٣
سورة الملك		
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	١٠	١/ ١٩٠
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٣	٢/ ٤٥٠
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾	١٤	٢/ ٢٦٦
﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾	١٦	١/ ١٥٦

* * *

فهرس أطراف الأحاديث والآثار[1]

(١) الأثر الذي رمز له بـ (ف) هو حديث موقوف.

* * *

فهرس الأعلام المترجمين في الكتاب

* * *

فهرس الأشعار والأرجاز

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
قد شمرت عن ساقها فشدوا	فجدوا	الرجز	-	١	٢/٣٩٧
الدال المفتوحة					
إذا القوم مدوا بأيديهم	يدا	المتقارب	الخنساء	٢	١/٢١٤
الدال المكسورة					
لعمرك ما طرق المعالي خفيةٌ	بقاصد	الطويل	أبي فراس الحمداني	١	١/١٢٤
هما كنفا الأرض الذي لو تزعزعا	السد	الطويل	العديل بن الفرخ العجلي	١	١/٦٩
وإن بقومٍ سودوك لحاجةً	بسيد	الطويل	الأحوص الأنصاري	١	١/٦٢
وفي أرضنا نحن الموالي لأهلها	عبيدها	الطويل	-	١	١/٢٩٠
سلام رائح أبداً وغادي	والرشاد	الوافر	نفيس الدين الأشعري	٢٠	٢/١٧٥، ١٧٦
اثنان قد مضيا وبورك فيهما	السؤدد	الكامل	-	٣	١/٣٨٥
عندي لمولانا ألوزير أيادي	إياد	الكامل	سراج الدين الوراق	٢٧	٢/١٠٢، ١٠٣
والرابع المشهور سهل محمدٍ	موحد	الكامل	-	٣	١/٣٨٥
يا طالب الغايات غير مراقبٍ	الآساد	الكامل	-	١	١/٦٤
كلامه حرف وصوت وبه	مناد	الرجز	ابن الجوزي	١	٢/٢٦٧
يا رب لا تحيني إلى زمنٍ	أحد	المنسرح	كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري	٢	١/٤٨٣
الراء المضمومة					
شكا المغرب الأقصى لكم ما شكت مصر	حصر	الطويل	سراج الدين الوراق	٤٢	٢/٢٥٠، ٢٥١
فما جازه مجد ولا حل دونه	يصير	الطويل	أبو نواس	١	١/٣٢٨
وعيرها الواشون أني أحبها	عارها	الطويل	أبو ذئيب الهذلي	١	١/٢٨٥
الآن قد ثبتت وقر قرارها	منارها	الكامل	سراج الدين الوراق	٢٥	٢/٢٣٥، ٢٣٦
هل للردئ علم بمن يختار	والأخيار	الكامل	سراج الدين الوراق	١٧	٢/١٠٦، ١٠٧
يا أيها الملك المعظم ربه	حمار	الكامل	محمد بن عبد الرحمن المخزومي	٣	٢/٤٩٠؛ ٤٩١

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الدهر أصبر صبراً في تقلبه	أثر	البسيط	أبو القاسم القشيري	٢	١/٤٤١، ٤٤٢
يا من تقدس في علياء عزته	يصوره	البسيط	أبو القاسم القشيري	٢	١/٤٤١
أظهروا للناس نسكاً	داروا	مجزوء الرمل	العلاء بن الجارود، أو محمود الوراق	١	٢/٧١
يعرفه الباحث من جنسه	منكر	السريع	-	١	٢/٧١

الراء المفتوحة

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
أسائل دمعي صرت بالسر مخبرا	مضمرا	الطويل	ناصر الدين ابن النقيب	٣٦	٢/١٨٧، ١٨٩
يقولون إن الصاحب ابن محمدٍ	فتأثرا	الطويل	أبو الحسين الجزار	٢	٢/٢٨٥
لقد ظهرت فلا تخفى على أحدٍ	القمرا	البسيط	ذي الرمة	١	٢/٧٨
أمر على الديار ديار ليلى	الجدارا	الوافر	قيس بن الملوح	١	٢/٦٨، ٥٠٨
إني ادخرت ليوم ورد منيتي	خطيرا	الكامل	أبو سعدٍ إسماعيل بن أحمد الجرجاني	١٠	١/٣٨١، ٣٨٢
ملأ الوجود بجوده فتعمرا	فتنورا	الكامل	أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغني المنوفي	١٦	٢/٢٨٧، ٢٨٨
من مات خلى مشبهيه كثيرا	نظيرا	الكامل	جمال الدين ابن قطنة	٢٥	٢/٢٦٩، ٢٧٠
ولربما انقلب الصديق	بالمضره	مجزوء الكامل	منصور الفقيه (ويعزى لغيره)	١	١/١٣٧

الراء المكسورة

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
إذا كلمتني بالعيون الفواتر	البوادر	الطويل	إبراهيم بن المهدي	١	٢/٣٥٤
عجبت لأمري إذ تلطفت في أمري	الأمر	الطويل	أبو مدين التلمساني	١٠	١/٥١١
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم	والسير	البسيط	أبو العلاء المعري	٦	٢/٣٠٥
إن الفقيه أبا رزين ثابتاً	الخنصر	الكامل	ابن المفضل المقدسي	٢	١/٥٨٥
بكت السماء عليه عند وفاته	الممطور	الكامل	نجم الدين ابن إسرائيل	٣	١/٥٩٣
خذها إليك مشيحةً سيارةً	متحضر	الكامل	ابن الرومي	٣	١/١٣٣

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
القلب نحوك نازع	منازع	مجزوء الكامل	أبو القاسم القشيري	٣	١/٤٤٢
يا مربعاً قلبي له مربع	يهمع	السريع	نجم الدين محمد ابن إسرائيل	٣	١/٥٩٣
أخذت بأعضادهم إذ نأوا	ودعوا	المتقارب	أبو عبد الله ابن تومرت	٣	١/٤٦٨
		العين المفتوحة			
بكئ جامع ابن العاص فقدك طائعا	وسامعا	الطويل	سراج الدين الوراق	١٠	٢/٢١٧
		العين المكسورة			
وكان فتحاً تعالىٰ أن يحيط به	السجع	البسيط	أبو تمام	١	١/١٣٩
أقول لها وقد طارت شعاعاً	تراعي	الوافر	قطري بن الفجاءة	١	١/٢١٦
		الفاء المكسورة			
يا منسي الناس حفظ الحافظ السلفي	السلف	البسيط	جمال الدين ابن قطنة	٤	٢/٢٦٧، ٢٦٨
أسفي وهل يجدي طويل تأسفي	تلهفي	الكامل	ابن المعلم القرشي	٣٢	٢/٢٧٠، ٢٧٢
يا بن الكرام المطعمين إذا شتوا	خاشف	الكامل	شرف الدين ابن عنين	٧	١/٥٤٢
		الفاء الساكنة			
يا من عدا ثم اعتدىٰ ثم اقترف	اعترف	الرجز	أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي	٢	١/٤١٩
		القاف المضمومة			
أما لك يا نومي بجفني تعلق	يطرق	الطويل	سراج الدين الوراق	٣٠	٢/٩٣، ٩٥
إذا فقت بالسلب فيك رتوق	طريق	الطويل	أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغني المنوفي	٧	٢/٢٨٨، ٢٨٩
عليك فتى النعمان دمعي شقائق	وحدائق	الطويل	سراج الدين الوراق	٣٣	٢/١٧٧، ١٧٩
		القاف المفتوحة			
أجلك أن أشكو إليك الذي ألقىٰ	حقا	الطويل	-	٦	٢/٢٣٢

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
تبدت لنا أعلام علم الهدىٰ صدقا	شرقا	الطويل	أبو أحمد الأندلسي	٢٣	١/٥١٣، ٥١٢
عروش تفانوا بعد عز وأمة	والبقا	الطويل	متمم بن نويرة	١	٢/٣٧٥
			القاف المكسورة		
أقول لنفسي حين خود رألها	مشفق	الطويل	رجل من بني أسد	١	١/٢١٦
ولقد ذكرتك والعيون هواجع	المشرق	الكامل	كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري	٢	١/٤٨٣
قد استوىٰ بشر على العراق	مهراق	الرجز	البعيث المجاشعي	١	٢/٣٧٧
عجبت من نفسي ومن إشفاقها	إشفاقها	مشطور الرجز	رؤبة بن عيينة	٣	٢/٣٩٧
			القاف الساكنة		
وبتنا جميعاً وبات الغيور	حنق	المتقارب	ابن المستوفي الإربلي	٢	١/٦١٩
			الكاف المفتوحة		
وكل يدعون وصال ليلىٰ	بذاكا	الوافر	ـ	١	٢/٧١
			الكاف المكسورة		
إذا هزه في عظم قرنٍ تهللت	الضواحك	الطويل	تأبط شراً	١	١/٢١٣
			اللام المضمومة		
تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها	النعل	الطويل	زهير بن أبي سلمىٰ	١	٢/٣٧٦
رعى الله فيه للرعية رأفةً	تزايله	الطويل	أبو تمام	١	٢/٢٩٥
سرىٰ نعشه فوق الرقاب وطالما	ونائله	الطويل	أبو يعلى حمزة ابن أبي حصين	٢	١/٤٩٥
نهاية أقدام العقول عقال	ضلال	الطويل	فخر الدين الرازي	٤	١/٥٤١
أستغفر الله ذنباً لست محصيه	والعمل	البسيط	ـ	١	١/٢١٧، ٢/٤٠١
ثم استويتم لنا ترمون أنكبنا	الثكل	البسيط	ـ	١	٢/٣٧٨
يا من علا فرأىٰ ما في الغيوب وما	منسدل	البسيط	أبو مدين شعيب بن الحسين	٤	١/٥١١، ٥١٢
سألت الناس عن خل وفي	سبيل	الوافر	أبو إسحاق الشيرازي	٢	١/٤٤٦

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الميم المفتوحة					
فما أنا بالباكي عليك صبابةً	سالما	الطويل	حصين بن منذر الرقاشي	١	١/١٣٦
يا أوحد ألأكرمين ألعلما	علما	المنسرح	علم الدين ابن بنت العراقي	١٥	٢/٢٨٠، ٢٨١
يا علماً يهتدي به أبداً	ألعلما	المنسرح	ناصر الدين ابن النقيب	١٠	٢/٢٨٠
أحمد الله ذا الجلال له الأمـر	قيوما	الخفيف	شهاب الدين ابن أبي شامة	٨٣	٢/١٠٨، ١١٣
الميم المكسورة					
لها فخذا بكرٍ وساقا نعامةٍ	ضيغم	الطويل	محيي الدين محمد بن محمد الشهرزوري	٢	١/٤٩٥
وأسلمت وجهي حين شدت ركائبي	المكارم	الطويل	الفرزدق	١	١/٢١٧
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ	تعلم	الطويل	زهير بن أبي سلمىٰ	١	١/٧١
لا تنكر الدين والدنيا إذا اجتمعا	ومقدام	البسيط	ابن بنت الأعز (ابن العلامي)	٢	٢/١٠١
يا لائمي كف عن ملامي	الأنام	مخلع البسيط	جلال الدين الدشنائي	٢١	٢/١٣٥، ١٣٦
إذا قالت حذام فصدقوها	حذام	الوافر	لجيم بن صعب	١	١/٥٨٧، ٢/٧٥
تحمل ما استطعت من الخطايا	كريم	الوافر	أبو نواس	١	١/١٣٢
لشمس الدين صدر أي صدرٍ	الكلام	الوافر	أبو عبد الله الخزاعي الجزري	٢	٢/١٦٨
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً	السقيم	الوافر	المتنبي	١	٢/٧٧، ٥٠٥
يجر الموصل الأذيال فخراً	والرسوم	الوافر	العماد المغربي الصنهاجي النحوي	٣	٢/١٠
وضع «الإمام» لنا الإمام محمد	لمسلم	الكامل	جمال الدين ابن قطنة	٤	٢/٢٦٨
كنت فيما كتبته نائم العيـن	الأقلام	الخفيف	المتنبي	١	١/٦٠
إذا كنت مستبصراً في الذكاء	الأنام	المتقارب	ناصر الدين ابن المنير السكندري	٢	٢/١٨٩
الميم الساكنة					
أما الفتاوىٰ فعليها السلام	السلام	السريع	أبو الحسين الجزار	٢٩	٢/٨١، ٨٢
النون المضمومة					
إذا صرف الجنون فمن يجن	يئن	الوافر	مرهف بن صارم السفطي	٢	١/٦٠٧

* * *

ملحق الأشعار والأرجاز

* * *

فهرس أسماء الكتب التي ذكرها المصنف

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ إرشاد المريد السالك، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ الأسامي والعلل من كتاب المهذب، عمر بن محمد ابن البزري	١/ ٤٧٦
ـ أستار المحرمية وأسرار المحرمية، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ الاستثناء، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ أسرار علم المناجين ومدح مقامات السالكين، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ الأسماء والصفات، البيهقي	١/ ٩٥
ـ الأسماء والصفات، المحاسبي	١/ ١٠٠
ـ الأشربة، إسماعيل بن أحمد الجرجاني	١/ ٣٨١
ـ الاصطلام، منصور بن محمد السمعاني	٢/ ٣٠، ٣١
ـ الإعانة على دفع الإغانة، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ الإعلام بالأعلام من الحكام، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الإعلام بمن حدث عن مالك بن أنس من مشايخه الأعلام، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ الإكليل، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ إكمال الإكمال، ابن نقطة	٢/ ٨٧
ـ الإلمام، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦
ـ الأم، الشافعي	٢/ ٢٩٧
ـ الأمالي، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ أمالي السمعاني، عبد الكريم بن محمد السمعاني	٢/ ٢٠٩
ـ أمالي العشيات، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ الإمام، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦، ٢٦٨
ـ الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة، هبة الله بن عبد الله القفطي	٢/ ٢٤١
ـ الإنصاف من الانتصاف، عبد الكريم بن علي ابن بنت العراقي	٢/ ٢٧٩
ـ الإنقاذ في الاعتقاد، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ الأنوار البهية في أحكام خرقة الفقراء والصوفية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨، ١٧٠

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ الفصول في الأصول، محمد بن خفيف	١/ ٣٥٦
ـ الفصول في الرد على الفلاسفة والدهريين وأهل التشبيه، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٨
ـ فضائل الشافعي، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ فضل الحج وثواب الحاج، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ فك الأزرار عن عنق الأنوار وهتك الأسرار عن معالم الأسرار مما جمع من جواب السائل عن غريب المسائل، الحسين بن ظافر الأزدي	٢/ ١٥٦
ـ فوائد أبي الطاهر العباس المخلص، ابن البقال	٢/ ٨٦
ـ فوائد الخراسانيين، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ الفوائد السفرية في ذكر من تطهرت نفسه الزكية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الفوائد السلفية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ فوائد الشيخ، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ فوائد حديث بريرة، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦
ـ الفوز والرضوان فيمن باع نفسه من الله عز وجل بالجنان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ قطع النفس للمفاوز في طلب الواجب والجائز، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ القواعد، محمد بن إبراهيم الجاجرمي	١/ ٥٥٨
ـ القواعد، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ قواعد الإسلام، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٥، ٢/ ١٩٩
ـ القوانين الشرعية في وصية الراعي بالرعية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري	١/ ٢٩٠، ٤٩٦، ٢/ ٥٣٤
ـ الكتاب، سيبويه	١/ ٥١٨، ٢/ ٣٠٠
ـ كتاب الأصوات، علي بن المفضل المقدسي	١/ ٥٤٨، ٢/ ٣٢١، ٣٤١
ـ كتاب المناهي	١/ ٥٠٤
ـ كتاب في الرد على الخوارج، جعفر بن محمد الصادق	١/ ٢٦٧
ـ كتاب في الرد على القدرية، جعفر بن محمد الصادق	١/ ٢٦٧

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ كتاب في الرد على القدرية من القرآن، زيد بن علي بن الحسين	١/٢٦٣
ـ الكشاف، الزمخشري	٢/١٨٤، ٢٧٩
ـ كشف التمويهات على شرح الإشارات والتنبيهات، الآمدي	١/٥٩٤
ـ الكشف عما التبس على بعض من التمس، عبد الرحمن بن عبد العلي ابن السكري	١/٥٨٣
ـ الكفاية، محمد بن إبراهيم الجاجرمي	١/٥٥٨
ـ كفاية النبيه في شرح التنبيه، ابن الرفعة	٢/٢٩٨، ٤٣٠
ـ لباب الألباب، الآمدي	١/٥٩٤
ـ اللمع، أبو إسحاق الشيرازي	١/٤٤٥
ـ اللمع في أحكام الكنائس والبيع، محمد بن موسى بن النعمان	٢/١٦٩
ـ لمعة الاعتقاد، ابن قدامة	١/٧٨، ٨٥
ـ المآخذ الجلية في المؤاخذات الجدلية، الآمدي	١/٥٩٤
ـ مآخذ على المحصول، الآمدي	١/٥٩٤
ـ المجاز، العز بن عبد السلام	٢/٦٥
ـ المجالس، أحمد بن محمد ابن العريف	١/٤٧٢
ـ المجموع، إسماعيل بن إبراهيم القنائي	١/٥٥٢، ٥٥٣
ـ محجة القاصدين إلى منهج الصادقين، محمد بن موسى بن النعمان	٢/١٦٨
ـ المحرر في تفسير القرآن العظيم، أبو الحسن الأشعري	١/٣٤٧
ـ المحصل، فخر الدين الرازي	١/٥٤٠
ـ المحصول، فخر الدين الرازي	١/٥٤٠
ـ المحصول في علم الأصول، الحسين بن عتيق ابن رشيق	١/٥٩٨
ـ المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط، محمد بن يونس ابن منعة	١/٥٤٥
ـ المختار في المذهب، الحسين بن عتيق ابن رشيق	١/٥٩٨
ـ المختصر، أبو بكر ابن فورك	٢/٤٣٢
ـ مختصر البويطي، البويطي	٢/٢٩٧
ـ مختصر المختصر، أبو محمد الجويني	١/٤٢٣

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ منائح القرائح، الآمدي	١/ ٥٩٣
ـ المنائح وإبداء النصائح، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ المنتخب، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ المنتقى لأهل التقى، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ منتهى السول في علم الأصول، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ المهذب، أبو إسحاق الشيرازي	١/ ٤٤٤، ٤٧٦، ٢/ ٥٧، ٦٢
ـ موافقات السنن، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ موافقات الصحيحين، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ موافقة المعبود في ترك مغالاة النصارى واليهود، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ المواهب الرحمانية في المناقب النعمانية، محمد بن عبد الحميد القرشي	٢/ ١٦٤
ـ الموجز، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٨
ـ الموجز الكبير، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٩
ـ الموضوعات، ابن الجوزي	١/ ٨٤، ٢/ ٣١٢
ـ الموطأ، مالك بن أنس	١/ ٥٠٤، ٢/ ١٧.
ـ نزهة الناظر فيمن روى عن البغوي من الأكابر، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ نسل الأسرار وسر الإسكار، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ النصيحة والإرشاد في وصية الأمراء والأجناد، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ النصيحة والبيان في ترك معاشرة الأحداث والنسوان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ نظم الجوهر في جواب المسترشدين من أهل جوجر، محمد ابن النعمان	٢/ ٤٢٢
ـ نظم الدرر واللآلي بجيد الأجواد أهل الفتوة ذوي المعالي، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ النفائس، محمد بن محمد العميدي	١/ ٥٥٩
ـ النفائس في هدم البيع والكنائس، ابن الرفعة	٢/ ٢٩٨
ـ النقض الكبير، البلاقلاني	١/ ٩٥، ٢/ ٣٥٦
ـ النكت، أبو إسحاق الشيرازي	١/ ٤٤٥

* * *

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

- الإبانة الكبرى، للإمام المحدث أبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري البغدادي (ت٣٨٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الراية، الرياض، السعودية.

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت.

- الإبهاج شرح المنهاج، للإمامين: أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، وتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، طبع سنة (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للإمام القارىء شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني البناء الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، ط٣، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، للإمام الأديب المؤرخ لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، ط١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- إحكام الدلالة على تحرير الرسالة، للإمام قاضي القضاء شيخ الإسلام زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، ط١، (١٢٩٠هـ، ١٨٧٠م) المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- أحكام القرآن، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، جمع الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط٢، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- أخبار الأذكياء، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- الأخبار الطوال، للإمام اللغوي المؤرخ أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، (١٩٦٠م)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي إدارة إحياء التراث، القاهرة، مصر.
- أخبار النحويين البصريين، للإمام النحوي الأديب أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط١، (١٣٧٣هـ-١٩٦٦م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- آداب الشافعي ومناقبه، للإمام المحدث المفسر أبي محمد عبد الرحمٰن بن محمد ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أدب الكاتب، للإمام اللغوي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط١، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- الأربعين في أصول الدين، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ط١، (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- الأزمنة والأمكنة، للإمام الأديب أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت٤٢١هـ)، تحقيق خليل منصور، ط١، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للإمام الأديب المؤرخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد العظيم شلبي، طبع سنة (١٣٥٨هـ-١٩٣٩م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالتعاون مع المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، مصر.
- أساس البلاغة، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الأسماء والصفات، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق محمد حسن جبل وطارق أحمد محمد، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، دار الصحابة للتراث، القاهرة، مصر.

- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، للإمام الأديب أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت٣٣٥هـ)، تحقيق هيوث دن، ط١، (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)، مطبعة الصاوي، القاهرة، مصر.

- أصول الدين، للإمام الأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت٤٢٩هـ)، ط١، (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)، مدرسة الإلهيات بدار الفنون، إستنبول، تركيا.

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الاعتقاد، للإمام الفقيه أبي الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ)، تحقيق محمد بن عبد الرحمٰن الخميس، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار أطلس الخضراء، الرياض، السعودية.

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق علي سامي النشار، طبع سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- أعيان العصر وأعوان النصر، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان. دار الفكر، دمشق، سورية.

- إكمال الإكمال، للحافظ النسابة أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- الأم، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، طبع سنة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- أمالي ابن الشجري، للإمام الشريف النحوي اللغوي الأديب أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسني المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ أمالي الشريف المرتضى، للأديب الشاعر الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ)، تحقيق محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، (١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م)، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

ـ الأمالي، للإمام الأديب أبي علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي (ت٣٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، (١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

ـ الأمثال المولدة، للإمام النسابة جمال الدين أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت٣٨٣هـ)، تحقيق محمد حسين الأعرجي، ط٢، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

ـ إنباء الغمر بأبناء العمر، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حسن حبشي، طبع سنة (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م)، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر.

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، للإمام الوزير المؤرخ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٢م)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ـ أنس الفقير وعز الحقير، للإمام الرحالة المؤرخ أبي العباس أحمد بن الحسين بن علي ابن قنفذ القسنطيني (ت٨١٠هـ)، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب.

ـ الأنساب، للإمام الحافظ المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني وزملائه، ط١، (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، المسمى: «رسالة الحرة»، للإمام المجدد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط٢، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

ـ الأوائل، للإمام اللغوي الأديب الشاعر أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد السيد الوكيل، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، دار البشير، القاهرة، مصر.

ـ إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، للإمام قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة (ت٧٢٨هـ)، تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ١٩٩٠م)، دار إقرأ، دمشق، سورية.

- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، للإمام الأديب اللغوي أبي بكر محمد بن بشار الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمـٰن رمضان، ط١، (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.
- إيضاح شواهد الإيضاح، للإمام النحوي أبي علي الحسن بن عبد الله القيسي (من علماء القرن السادس الهجري)، تحقيق محمد بن حمود الدعجاني، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، طبع سنة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، للإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن وابن النحوي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الهجرة، الرياض، السعودية.
- البعث والنشور، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، لبنان.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م)، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٦٧٩م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني، للعلامة المحقق محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري (ت١٣٧١هـ)، طبع سنة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.
- بلوغ الأمل في فن الزجل، للإمام الأديب تقي الدين أبي بكر بن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ)، تحقيق رضا محسن القريشي، طبع سنة (١٩٧٤م)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية.
- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، للإمام المحدث الورع أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت٦٩٩هـ)، ط١، (١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م)، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، مصر.
- البيان في مذهب الإمام الشافعي، للإمام الفقيه أبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني (ت٥٥٨هـ)، تحقيق قاسم محمد النوري، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ البيان والتبين، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، للإمام الفقيه القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي (ت٥٢٠هـ)، تحقيق محمد حجي وآخرون، ط٢، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزَّبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من المحققين، ط١، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

ـ تاريخ ابن أبي خيثمة، المسمى: «التاريخ الكبير»، للإمام الحافظ المؤرخ أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي البغدادي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

ـ تاريخ إربل، المسمى: «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل»، للإمام المؤرخ الأديب المبارك بن أحمد بن المبارك ابن المستوفي اللخمي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق سامي بن سيد خماس الصقار، طبع سنة (١٩٨٠م)، دار الرشيد، بغداد، العراق.

ـ تاريخ أصبهان، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ التاريخ الأوسط، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م)، دار الوعي، حلب، سورية. مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

ـ تاريخ البرزالي، المسمى: «المقتفي على كتاب الروضتين»، للإمام الحافظ المؤرخ علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

ـ تاريخ الخلفاء، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط٢، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- التاريخ الكبير، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- تاريخ بغداد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تاريخ جرجان، للحافظ المؤرخ أبي القاسم حمزة بن يوسف القرشي السهمي الجرجاني (ت٤٢٧هـ)، تم تحقيقه تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، ط٤، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- تاريخ قضاة الأندلس، المسمى: «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا»، للإمام أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي النباهي المالقي (ت نحو ٧٩٢هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط٥، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تأسيس التقديس، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي وأحمد محمد خير الخطيب، ط١، (٢٠١١م)، دار نور الصباح، دمشق، سورية.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، للإمام المتكلم الأصولي أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني (ت٤٧١هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، ومعه مقدمة العلامة المحقق محمد زاهد الكوثري، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، للإمام أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تحقيق أبي القاسم إمامي، ط٢، (٢٠٠٠م)، سروش، طهران، إيران.
- التحرير والتنوير، المسمى: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، للعلامة المفسر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، طبع سنة (١٩٨٤م)، الدار التونسية، تونس.

ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للإمام الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمـٰن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تخريج إحياء علوم الدين، المسمى: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ)، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، مكتبة دار طبرية، الرياض، السعودية.

ـ تذكرة الحفاظ، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ التذكرة الحمدونية، للإمام الأديب المؤرخ بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي (ت٥٦٢هـ)، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، للإمام النحوي المفسر أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق حسن هنداوي، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار القلم، دمشق، سورية. دار كنوز إشبيليا، الرياض، السعودية.

ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

ـ التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، للإمام اللغوي الأديب أبي يعقوب يوسف بن يحيى ابن الزيات التادلي (ت٦١٧هـ)، تحقيق أحمد التوفيق، ط٢، (١٩٩٧م)، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب.

ـ تفسير ابن أبي حاتم، المسمى: «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين»، للإمام المحدث المفسر أبي محمد عبد الرحمـٰن بن محمد ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية.

ـ تفسير ابن المنذر، للإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٩هـ)، تحقيق سعد بن محمد السعد، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار المآثر، المدينة المنورة، السعودية.

ـ تفسير ابن عباس، المسمى: «صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس»، جمع راشد عبد المنعم الرجال، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ـ تفسير التستري، للإمام العارف بالله أبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت٢٨٣هـ)، جمعها أبو بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تفسير الرازي، المسمى: «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط١، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ تفسير الطبري، المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ تفسير مقاتل بن سليمان، للمفسر أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ التفسير والمفسرون، للدكتور الشيخ محمد السيد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ)، طبع سنة (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

ـ تقييد المهمل وتمييز المشكل، للإمام الحافظ المحدث أبي علي الحسين بن محمد الغساني الجياني (ت٤٩٨هـ)، تحقيق علي بن محمد العمران ومحمد عزير شمس، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، السعودية.

ـ تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، للإمام جمال الدين أبي حامد محمد بن علي ابن الصابوني (ت٦٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ التكملة لكتاب الصلة، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار (ت٦٥٨هـ)، تحقيق عبد السلام الهراس، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ التكملة لوفيات النقلة، للإمام الحافظ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط٣، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حسن بن عباس بن قطب، ط١، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.

ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، للمحدث الشيخ نور الدين علي بن محمد بن علي ابن عراق الكناني (ت٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق الغماري، ط١، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، للإمام الفقيه الأصولي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق يحيى بن محمد علي الحكمي، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

ـ تهذيب الأسرار، للإمام العارف أبي سعيد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي (ت٤٠٧هـ)، تحقيق بسام محمد بارود، طبع سنة (١٩٩٩م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.
ـ تهذيب الأسماء واللغات، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمـٰن القضاعي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
ـ التهذيب في اختصار المدونة، للإمام الفقيه أبي سعيد خلف بن أبي القاسم محمد ابن البراذعي القيرواني (ت٣٧٢هـ)، تحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات.
ـ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، للإمام المحدث شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط١، (١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
ـ الثقات، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للإمام الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، دار البشائر، دمشق، سورية.
ـ الجامع لأحكام القرآن، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
ـ الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.
ـ الجرح والتعديل، للإمام المحدث المفسر أبي محمد عبد الرحمـٰن بن محمد ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمـٰن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١، (١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
ـ جمهرة الأمثال، للإمام اللغوي الأديب الشاعر أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الجيل، بيروت، لبنان. دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للإمام محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ)، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي، باكستان.

ـ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمـٰن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق إبراهيم عبد المجيد، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

حاشية العكاري، للعلامة المحقق علي العكاري المراكشي (ت١١١٨هـ)، صورة عن مخطوطة في المكتبة الأزهرية ذات الرقم العام: (٣٩٤٤٤)، والخاص: (٣٠٥٨)، تاريخ النسخ: (١١٨٠هـ).

ـ الحاوي الكبير في فقه مذهب الشافعي وهو شرح مختصر المزني، للإمام الفقيه أقضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الحاوي للفتاوي، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، طبع سنة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، نسخة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ـ حقائق التفسير، للإمام العارف أبي عبد الرحمـٰن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ الحوادث والبدع، للإمام الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٣٠هـ)، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

ـ حياة الحيوان الكبرى، للإمام الفقيه كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت٨٠٨هـ)، ط١، (١٢٨٤هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

ـ الحيوان، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، شركة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للإمام النحوي اللغوي عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر، للإمام العارف الفقيه المؤرخ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الآثار الإسلامية، بربلي، سريلانكا.

ـ خلق أفعال العباد، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق عبد الرحمـٰن عميرة، ط٢، دار المعارف، الرياض، السعودية.

ـ الدارس في تاريخ المدارس، للإمام المحدث المؤرخ أبي المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت٩٢٧هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للإمام النحوي اللغوي المقرئ أبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، سورية.

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ درء تعارض العقل والنقل، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية.

ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

ـ دفع شبه التشبيه، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الحسن عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.

ـ دلالة المستنهج إلى معالم المعارف ورسالة المستبهج إلى عوالم العوارف، لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الخبري الفارسي، (ت ٦٢٢هـ) مخطوطة مصورة عن مكتبة أياصوفيا ذات الرقم: (١٧٨٥).

ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، للإمام المؤرخ برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن علي ابن فرحون اليعمري (ت٧٩٩هـ)، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ ديوان ابن الرومي، للشاعر العباسي أبي الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي (ت٢٨٣هـ)، تحقيق حسين نصار، ط٣، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- ديوان ابن الفارض، للشاعر الصوفي سلطان العاشقين شرف الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن ابن الفارض الحموي المصري (ت٦٣٢هـ)، طبع سنة (١٩٦٢م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ديوان ابن دريد، للإمام الشاعر اللغوي أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق عمر بن سالم، ط١، (٢٠١٢م)، مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، الإمارات.
- ديوان ابن عنين، لشاعر عصره شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر ابن عنين الأنصاري الدمشقي (ت٦٣٠هـ)، تحقيق خليل مردم بك، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، للتابعي القاضي مؤسس علم النحو أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي (ت٦٩هـ)، صنعة أبي سعيد الحسن السكري (ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي العتاهية، للشاعر العباسي الزاهد أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم العنزي (ت٢١١هـ)، طبع سنة (١٨٨٦م)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي تمام، للشاعر العباسي الكبير أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ)، وعليه «شرح الخطيب التبريزي»، تحقيق محمد عبده عزام، ط٥، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، للشاعر المخضرم الفحل أبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي (نحو ت٢٧هـ)، تحقيق أحمد خليل الشال، ط١، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م)، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد، مصر.
- ديوان أبي فراس الحمداني، للشاعر الأمير أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الحمداني (ت٣٥٧هـ) تحقيق سامي الدهان، طبع سنة (١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي نواس، لشاعر العراق أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول البغدادي (ت١٩٨هـ)، تحقيق محمود أفندي واصف، ط١، (١٨٩٨م)، طبع على نفقة إسكندر آصاف، المطبعة العمومية، القاهرة، مصر.
- ديوان الأعشى، للشاعر الجاهلي صنَّاجة العرب أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الوائلي أعشى قيس (ت٧هـ)، تحقيق محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.
- ديوان الحارث بن حلزة، للشاعر الجاهلي الخطيب الحارث بن حلزة ابن مالك الوائلي (نحو ٥٠ ق هـ)، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ديوان الحماسة، للشاعر العباسي الكبير أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ)، ومعه «شرح ديوان الحماسة» للخطيب التبريزي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر.

- **ديوان الخنساء**، للشاعرة الصحابية المخضرمة تماضر بنت عمرو المعروفة **بالخنساء** (ت٢٤هـ)، تحقيق حمدو طماس، ط٢، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **ديوان السموءل**، للشاعر الجاهلي الحكيم **السموءل** بن عريض بن عادياء الأزدي (نحو ٦٥ ق هـ)، تحقيق واضح الصمد، ط١، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- **ديوان الصبابة**، للأديب الفاضل شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي المعروف **بابن أبي حجلة**، طبع سنة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- **ديوان الكميت**، لشاعر الهاشميين الأموي أبي المستهل **الكميت بن زيد** بن خنس **الأسدي** (ت١٢٦هـ)، تحقيق محمد نبيل طريفي، ط١، (٢٠٠٠م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **ديوان المتنبي**، للشاعر الحكيم **أبي الطيب** أحمد بن الحسين بن الحسن **المتنبي** الكوفي الكندي (ت٣٥٤هـ)، ومعه شرح أبي البقاء العكبري المسمى: «التبيان في شرح الديوان»، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، طبع سنة (١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م) لدى مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- **ديوان المعاني**، للإمام اللغوي الأديب الشاعر **أبي هلال** الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد **العسكري** (ت بعد ٣٩٥هـ)، ط١، (١٩٠٠م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- **ديوان النابغة الذبياني**، للشاعر الجاهلي أبي أمامة زياد بن معاوية بن ضباب **النابغة الذبياني** (ت نحو ١٨ ق هـ)، طبع سنة (١٩١١م)، مطبعة الهلال، القاهرة، مصر.
- **ديوان امرئ القيس**، لأشعر الشعراء الشاعر الجاهلي ذي القروح **امرئ القيس** بن حجر بن الحارث الكندي (ت٨٠ ق هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، (١٩٨٤م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- **ديوان جرير**، للشاعر الأموي الكبير ابن حرزة **جرير** بن عطية بن الخطفى التميمي اليربوعي البصري بن بدر الكلبي (ت١١٠هـ)، طبع سنة (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار بيروت، بيروت، لبنان.
- **ديوان ذي الرمة**، للشاعر الأموي الفحل **ذي الرمة** أبي الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس المضري (ت١١٧هـ)، تحقيق أحمد حسن بسبح، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، للشاعر الحكيم الجاهلي **زهير بن أبي سلمى** المازني المضري (ت١٣ ق هـ)، تحقيق علي حسن فاعور، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **ديوان صالح بن عبد القدوس**، للشاعر الواعظ أبي الفضل صالح بن عبد القدوس بن عبد الله **بن عبد القدوس** الجذامي، ط١، (ت نحو ١٦٧هـ)، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب، طبع سنة (١٩٦٧م)، دار منشورات البصري، بغداد، العراق.

ـ ديوان الفرزدق، للشاعر الأموي الكبير أبي فراس الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي (ت ١١٠هـ) بشرح إيليا الخولي، ط١، (١٩٨٣م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

ـ ديوان مهلهل بن ربيعة، للشاعر الجاهلي المهلهل أبي ليلى عدي بن ربيعة بن مرة (ت نحو ١٠٠ ق هـ)، تحقيق طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، لبنان.

ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، للأديب الوزير أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

ـ ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، للإمام الحافظ الشريف تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي (ت٨٣٢هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، للحافظ المؤرخ أبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني (ت٤٦٦هـ)، تحقيق عبد الله أحمد سليمان الحمد، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

ـ ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، للإمام الحافظ أبي محمد هبة الله بن أحمد بن محمد بن هبة الله ابن الأكفاني الدمشقي (ت٥٢٤هـ)، تحقيق عبد الله بن أحمد بن سلمان الحمد، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

ـ ذيل مرآة الزمان، للإمام المؤرخ قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت٧٢٦هـ)، ط٢، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م)، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر.

ـ رحلة ابن جبير، المسمى «رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك»، للإمام الرحالة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ)، ط٢، (١٩٨٦م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

ـ الرحلة العياشية، للشيخ الرحالة أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (ت١٠٩٠هـ)، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط١، (٢٠٠٦م)، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات.

ـ الرحلة في طلب الحديث، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، ط١، (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الرد على الجهمية، للحافظ أبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط٢، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)، دار ابن الأثير، الكويت.

ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للحافظ أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي البكري (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محمد باكريم باعبد الله، ط٢، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.
ـ الرسالة القشيرية، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
ـ رسائل، للإمام الحافظ ابن ناصر الدين محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تحقيق مشعل بن باني الجبرين المطيري، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
ـ رفع الإصر عن قضاة مصر، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد عمر، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
ـ روض الرياحين في حكايا الصالحين، للإمام العارف الفقيه المؤرخ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق عدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، ط٢، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار البشائر، دمشق، سورية.
ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. عمان، الأردن.
ـ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، للإمام المحدث المقرئ المؤرخ أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل أبي شامة المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
ـ الزاهر في معاني كلمات الناس، للإمام اللغوي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق حاتم الضامن، ط١، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
ـ الزهد والرقائق، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع سنة (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، طبعة مصورة عن طبعة المجلس العلمي في الهند، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ زهر الآداب وثمر الألباب، للإمام الأديب الناقد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، تحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ـ زهر الأكم في الأمثال والحكم، للإمام الأديب نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (ت١١٠٢هـ)، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، ط١، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

ـ الزهرة، للإمام الأديب الشاعر أبي بكر محمد بن داود بن علي الظاهري الأصبهاني (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٢، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام المحدث المؤرخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

ـ سقط الزند، للشاعر الفيلسوف أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري (ت٤٤٩هـ)، طبع سنة (١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م)، دار بيروت، بيروت، لبنان. دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ السنة، للإمام المحدث المفسر أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت٣١١هـ)، تحقيق عطية الزهراني، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الراية، الرياض، السعودية.

ـ السنة، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الألباني، ط١، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ السنة، للإمام المحدث أبي عبد الرحمـٰن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

ـ سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

ـ سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

ـ سنن الدارقطني، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسن شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ سنن الدارمي، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمـٰن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، السعودية.

ـ السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ سنن النسائي الصغرى، المسمى: «المجتبى من السنن»، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سورية.

ـ سير أعلام النبلاء، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ سيرة الإمام أحمد ابن حنبل، للإمام المحدث أبي الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٦٥هـ)، تحقيق فؤاد عبد المنعم، ط٢، (١٤٠٤هـ)، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر.

ـ السيرة النبوية، للإمام المؤرخ النسابة أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الذهلي (ت٢١٣هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

ـ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر.

ـ السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، للإمام قاضي القضاة المجتهد أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، ومعه «تكملة الرد على نونية ابن القيم»، للعلامة المحقق محمد زاهد الكوثري، مكتبة زهران، القاهرة، مصر.

ـ الشامل في أصول الدين، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق علي سامي النشار وفيصل بدير عون وسهير محمد مختار، (١٩٦٩م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام المؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. دار ابن كثير، بيروت، لبنان.

ـ شرح الإرشاد، للإمام الأصولي المتكلم تقي الدين أبي الفتح مظفر بن عبد الله بن علي المقترح (ت٦١٢هـ)، تحقيق فتحي أحمد عبد الرزاق، أطروحة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في العقيدة والفلسفة (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م)، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، للإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت نحو ٩٠٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
ـ شرح الحكم الغوثية، للإمام الصوفي أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي النقشبندي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.
ـ شرح الرضي على الكافية، للإمام النحوي نجم الأئمة محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (ت نحو ٦٨٦هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، ط٢، (١٩٩٦م)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا.
ـ شرح ألفية ابن مالك، للإمام النحوي قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمـٰن ابن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، دار التراث، القاهرة، مصر.
ـ شرح العقيدة الكبرى، المسمى: «عمدة أهل التوفيق والتسديد»، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني (ت٨٩٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ)، دار التقوى، دمشق، سورية.
ـ شرح المنظومة، المسماة: «عقود رسم المفتي»، للإمام المحقق فقيه الديار الشامية الشريف محمد أمين ابن عمر ابن عابدين (ت١٢٥٢هـ)، ط٢، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، مركز توعية الفقه الإسلامي، حيدر آباد أند هرابرديش، الهند.
ـ شرح جمل الزجاجي، للإمام النحوي أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق فواز الشعار، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ شرح ديوان الحماسة، للإمام الأديب أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت٤٢١هـ)، تحقيق غريد الشيخ، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ شرح ديوان المتنبي، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت٤٦٨هـ)، نشره فريدريخ ديتريشي، طبع سنة (١٨٤١م)، برلين، ألمانيا.
ـ شرح مشكل الآثار، للإمام الحافظ محدث الديار المصرية وفقيهها أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المصري (ت٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
ـ شرح نهج البلاغة، للإمام الأديب المؤرخ عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد المدائني (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- شعر الأحوص، للشاعر الأموي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأحوص الأنصاري (ت١٠٥هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، طبع سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، مكتبة الأندلس، بغداد، العراق.
- الشعر والشعراء، للإمام اللغوي الأديب المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م)، دار الحديث، القاهرة، مصر.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبده كوشك، ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الفيحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.
- الصاحبي، للإمام اللغوي الأديب أبي الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، طبع سنة (١٩٧٧م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للإمام الأديب المؤرخ أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، طبع سنة (١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام اللغوي أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- صحيح ابن خزيمة، المسمى: «مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه صلى الله عليه وسلم، من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار»، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق محمد الأعظمي، ط٣، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- صحيح البخاري، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»، (الطبعة السلطانية اليونينية)، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان. دار المنهاج، جدة، السعودية.

- صحيح مسلم، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر، وتم اعتماد ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- صفة الجنة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق علي رضا بن عبد الله رضا، ط٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.
- صفة الصفوة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- صلة التكملة لوفيات النقلة، للإمام الحافظ المؤرخ الشريف عز الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني (ت٦٩٥هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، للمؤرخ البحاثة أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، تحقيق عزة العطار، ط٢، (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- الضعفاء الكبير، للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الضعفاء والمتروكون، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الله القاضي، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الضعفاء والمتروكون، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، (١٣٩٦هـ)، دار الوعي، حلب، سورية.
- الضعفاء، للإمام الحافظ أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد المخزومي الرازي (ت٢٦٤هـ)، تحقيق سعدي الهاشمي، ط٢، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الوفاء، القاهرة، مصر. مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، السعودية.
- الضعفاء، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، مكتبة ابن عباس، القاهرة، مصر.
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، للعلامة الأديب كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق أمين عبد العزيز، ط١، (١٣٣٢هـ - ١٩١٤م)، مطبعة الجمالية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الشافعية الكبرى، للإمام الأصولي قاضي القضاة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الشافعية، للإمام الأصولي الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعية، للإمام الفقيه المؤرخ تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة الأسدي (ت٨٥١هـ)، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، (١٤٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعيين، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم عمر ومحمد زينهم محمد عزب، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الصوفية، للإمام العارف أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شريبة، ط٣، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الفقهاء الشافعية، للإمام الفقيه المفتي تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن ابن الصلاح الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق محيي الدين نجيب، ط١، (١٩٩٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الفقهاء، للإمام الفقيه الأصولي النظار أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٧٠م)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

ـ الطبقات الكبرى، للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ طبقات النحويين واللغويين، للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ـ طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، للإمام العارف ضياء الدين أبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني (ت٦٩٤هـ)، طبع سنة (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ العبر في خبر من غبر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ العظمة، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.
ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للإمام الفقيه المتفنن أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، طبع سنة (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
ـ العقد الفريد، للإمام الأديب الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحيني، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، للإمام الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الحنبلي (ت٧٤٤هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان.
ـ العقيدة الواسطية، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط٢، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.
ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق، ط٢، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.
ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام الفقيه المتفنن أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، طبعة مصورة عن الطبعة المنيرية لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
ـ العناية شرح الهداية، للإمام الفقيه أكمل الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمود البابرتي (ت٧٨٦هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
ـ عوارف المعارف، للإمام العارف المربي شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد القرشي البكري السهروردي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، ط٢، (٢٠١٧م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
ـ العواصم من القواصم، للإمام الفقيه القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
ـ عيون الأخبار، للإمام اللغوي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، (١٩٩٦م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، للإمام موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ابن أبي أصيبعة الخزرجي (ت٦٦٨هـ)، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
ـ غاية النهاية في طبقات القراء، لإمام القراء الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، طبعة مصورة عن نسخة براجسترسر سنة (١٣٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
ـ الغنية في أصول الدين، للإمام الفقيه أبي سعد عبد الرحمـٰن بن مأمون المتولي النيسابوري (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
ـ فتاوى ابن الصلاح، للإمام الفقيه المفتي تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمـٰن ابن الصلاح الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق موفق عبد القادر، ط١، (١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، ودار عالم الكتب، بيروت، لبنان.
ـ فتاوى البرزلي، المسمى «جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام» للإمام الفقيه المفتي أبي القاسم بن أحمد البلوي البرزلي (ت٨٤١هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، (٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
ـ الفتاوى الحديثية، للإمام الفقيه المفتي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق أحمد عناية، ط١، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
ـ فتاوى الرملي، للإمام الفقيه المفتي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت٩٥٧هـ)، نشر المكتبة الإسلامية.
ـ الفتاوى الكبرى، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.
ـ الفتوحات المكية، للشيخ الأكبر سلطان العارفين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي الحاتمي الطائي (ت٦٣٨هـ)، طبع على نفقة الحاج فدا محمد الكشميري، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، مصر.

ـ الفقيه والمتفقه، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق عادل الغرازي، ط٢، (١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

ـ فهرسة اللبلي، للإمام المقرىء شهاب الدين أبي جعفر أحمد بن يوسف اللَّبْلي الفهري (ت٦٩١هـ)، تحقيق ياسين يوسف وعواد عبد ربه، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ القضاء والقدر، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق صلاح الدين بن عباس شكر، ط١، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، للإمام أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت٣٨٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم الرضواني، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

ـ الكامل في اختصار الشامل في أصول الدين، للإمام المتكلم موسى بن محمد ابن الأمير الحاج التبريزي (ت٧٣٦هـ)، تحقيق جمال عبد الناصر عبد المنعم، ط١، (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)، دار السلام، بيروت، لبنان.

ـ الكامل في التاريخ، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عبد السلام تدمري، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ كتاب الرؤية، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق إبراهيم العلي وأحمد الرفاعي، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

ـ الكتاب، لشيخ العربية الإمام أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام النحوي المفسر جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمحدث الشام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي (ت١١٦٢هـ)، طبع سنة (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للمؤرخ البحاثة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة التركي (ت١٠٦٧هـ)، طبع سنة (١٩٤١م)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- كفاية النبيه في شرح التنبيه، للإمام الفقيه أقضى القضاة نجم الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي ابن الرفعة الأنصاري (ت٧١٠هـ)، تحقيق مجدي محمد سرور باسلوم، ط١، (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الكفاية في علم الرواية، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي عبد الله السورقي وإبراهيم المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، السعودية.
- الكليات، للإمام النحوي اللغوي المتفنن الشريف أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- كنز الدرر وجامع الغرر، للإمام المؤرخ أبي بكر بن عبد الله بن أيبك ابن الدواداري (ت بعد ٧٣٦هـ)، تحقيق ثلة من الأساتذة، طبع سنة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للإمام المحدث علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان المتقي الهندي المدني (ت٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط٥، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، للإمام المؤرخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق خليل المنصور، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق صلاح عويضة، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللباب في تهذيب الأنساب، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

ـ لطائف المنن، للإمام العارف تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري (ت٧٠٩هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود، ط٣، (٢٠٠٦م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ـ اللطائف والظرائف، للإمام الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، ط١، (١٩٩٢م)، دار المناهل، بيروت، لبنان.

ـ اللمع، للإمام الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، ط١، (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر. مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

ـ لمعة الاعتقاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، ط٢، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية.

ـ لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، للإمام الفقيه الصوفي المربي أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق صهيب ملا محمد نوري علي، ط١، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م)، دار الوعي، حلب، سورية.

ـ مجمع الأمثال، للإمام اللغوي أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

ـ مجموع الفتاوى، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، طبع سنة (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية.

ـ المجموع شرح المهذب، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ومعه «تكملة المجموع» للإمام تقي الدين السبكي والشيخ محمد نجيب المطيعي، تحقيق وتكميل محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

ـ المحاضرات والمحاورات، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ هـ)، تحقيق يحيى الجبوري، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام المفسر أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ مختصر المزني، الملحق بكتاب «الأم»، للإمام المجتهد الفقيه أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني (ت٢٦٤هـ)، طبع سنة (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ مختصر المعاني، للإمام المتكلم الأصولي المتفنن سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، طبع سنة (١٣٠٩هـ)، دار سعادت، إستنبول، تركيا.

ـ المدخل إلى علم السنن، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٧م)، دار اليسر، القاهرة، مصر.

ـ المدونة الكبرى، لإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمـٰن بن قاسم، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للإمام العارف الفقيه المؤرخ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، طبع سنة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، المكتب الإسلامي، القاهرة، مصر.

ـ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، للإمام المؤرخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق ثلة من العلماء، ط١، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م)، دار الرسالة، دمشق، سورية.

ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للإمام الفقيه المحدث نور الدين أبي الحسن ملا علي القاري بن سلطان محمد الهروي (ت١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للإمام القاضي الأديب الكاتب المؤرخ أبي العباس أحمد بن يحيى ابن فضل الله العدوي العمري (ت٧٤٩هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات.

ـ المسائل والأجوبة، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق حسين بن عكاشة، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن البيِّع الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ط١، (١٣٤٢هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- المستقصى في أمثال العرب، للإمام النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٢، (١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مسند أبي يعلى، للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق حسين أسد، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.

- مسند الإمام أحمد، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، طبع سنة (١٣١٣هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

- مسند الإمام الشافعي، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية العلامة السندي، تحقيق يوسف علي الزواوي وعزة العطار الحسيني، طبع سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مسند الربيع بن حبيب، للإمام المحدث الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري (ت١٠٣هـ)، تحقيق محمد إدريس وعاشور بن يوسف، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الحكمة، بيروت، لبنان.

- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مسند الشهاب ويسمى بـ: «شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية»، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مشكل الحديث وبيانه، للإمام المتكلم أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت٤٠٦هـ)، تحقيق موسى محمد علي، ط٢، (١٩٨٥م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- مشيخة ابن الجميزي، للإمام القاضي الفقيه المتكلم بهاء الدين أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة ابن الجميزي اللخمي (ت٦٤٩هـ)، بتخريج الإمام المحدث رشيد الدين العطار (ت٦٦٢هـ)، صورة عن مخطوطة مكتبة تشستربتي، ذات الرقم: (٦٠٨٠).

- **المصنف**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي شيبة** العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.
- **معالم التنزيل**، للإمام الفقيه المفتي محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت٥١٠هـ)، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط٤، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.
- **معاني القرآن وإعرابه**، للإمام النحوي **أبي إسحاق** إبراهيم بن السري **الزجاج** (ت٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- **معاني القرآن**، للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله **الفراء** (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، ط١، دار المصرية، القاهرة، مصر.
- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، للإمام الأديب الشريف أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد **العباسي** (ت٩٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (١٩٤٧م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- **معجز أحمد**، المسمى: «شرح ديوان أبي الطيب المتنبي»، للشاعر الفيلسوف **أبي العلاء** أحمد بن عبد الله بن سليمان **المعري** (ت٤٤٩هـ)، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- **معجم الأدباء**، المسمى: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت** بن عبد الله الرومي **الحموي** (ت٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **المعجم الأوسط**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن الحسيني، طبع سنة (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.
- **معجم البلدان**، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت** بن عبد الله الرومي **الحموي** (ت٦٢٦هـ)، عني به المستشرق وستنفيلد، ط٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **معجم السفر**، للإمام الحافظ صدر الدين **أبي طاهر** أحمد بن محمد **السلفي** (ت٥٧٦هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، بيروت، لبنان.

- معجم الشيوخ الكبير، للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية.

- معجم الشيوخ، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق وفاء تقي الدين، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- معرفة علوم الحديث، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن البيع الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق السيد معظم حسين، طبع سنة (١٩٦٦م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- المعرفة والتاريخ، للحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، للإمام أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم الهروي التادلي الصومعي (ت١٠١٣هـ)، تحقيق علي الجاوي، طبع سنة (١٩٩٦م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب.

- معيار العلم في المنطق، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط٢، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المغرب في حلى المغرب، للإمام أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، (١٩٥٥م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام النحوي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، (١٩٨٥م)، دار الفكر، دمشق، سورية.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام الفقيه المحدث أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي الأنصاري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محيي الدين مستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار ابن كثير، دمشق سورية، بيروت، لبنان. دار الكلم الطيب، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمـٰن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لإمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري البصري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق هلموت ريتر، ط٣، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، دار فرانز شتايز، فيسبادن، ألمانيا.

ـ مقالات الكوثري، للعلامة المحقق محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري (ت١٣٧١هـ)، ط٢، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

ـ مقامات الحريري، للإمام النحوي اللغوي الأديب أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت٥١٦هـ)، بإشراف اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ المقفى الكبير، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، ط٢، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، للإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ط١، (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.

ـ مكارم الأخلاق، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ المكتفى في الوقف والابتدا، للإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمـٰن رمضان، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار عمار، عمان، الأردن.

ـ الملل والنحل، للإمام المتكلم أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، مصر.

ـ مناقب الشافعي، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر الحسيني، ط١، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، للإمام المؤرخ الحافظ تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني العراقي (ت٦٤١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي (ت٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة السنة، القاهرة، مصر.
- منتخب نزهة الألباء فيما يروى عن الأدباء، للإمام قاضي القضاة المحدث الأديب عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة (ت٧٦٧هـ)، تحقيق محمود محمد العامودي، ط١، (٢٠١٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله المصري (ت٨٧٤هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، طبع سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- المهمات في شرح الروضة والرافعي، للإمام الأصولي الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق أحمد بن علي الدمياطي، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت٨٤٥هـ)، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الموضوعات الكبرى، المسمى: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، للإمام الفقيه المحدث نور الدين أبي الحسن ملا علي القاري بن سلطان الشهير بـملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دمشق، سورية.
- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بوياجيلار، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

ـ الموطأ، لإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق علي البجاوي، ط١، (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ النبراس شرح شرح العقائد، لإمام المعقول محمد عبد العزيز الفرهاري، طبع سنة (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)، إستنبول، تركيا.

ـ النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، للإمام الفقيه محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد الأنصاري التلمساني (ت٩٠١هـ)، صورة عن نسخة محفوظة ضمن مخطوطات مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء تحت الرقم (١٩١٠)، وجاء ضمن أربعة أجزاء في (٤١٠) ورقة.

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله المصري (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، مصر.

ـ نزهة الألباب في الألقاب، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد العزيز السديري، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

ـ نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، للإمام المؤرخ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ابن دقماق العلائي (ت٨٠٩هـ)، تحقيق سمير طبارة، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

ـ نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، للعلامة المؤرخ أبي الثناء محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي (ت١٢٢٨هـ)، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، ط١، (١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ النصيحة الذهبية لابن تيمية، للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، وهي رسالة ملحقة بكتاب «زغل العلم والطلب»، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للإمام الأديب المؤرخ أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ نكت الهميان في نكت العميان، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- النكت والعيون، للإمام القاضي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، للإمام الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري البكري (ت٧٣٣هـ)، ط١، (١٤٢٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- نهاية الأقدام في علم الكلام، للإمام المتكلم أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق ألفرد جيوم، طبع سنة (١٩٣١م)، أكسفورد، إنكلترا.

- نهاية المرام في دراية الكلام، للإمام المتكلم خطيب الري ضياء الدين أبي القاسم عمر بن الحسين الطبري (ت٥٥٠هـ)، تحقيق عبد القادر محمد علي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نهاية المطلب في دراية المذهب، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق توفيق محمد التكلة، ط١، (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، للإمام المؤرخ الأديب بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ابن شداد الأسدي الموصلي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، للإمام المفسر أبي محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القرطبي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق ثلة من طلاب الدراسات العليا بجامعة الشارقة، ط١، (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م)، الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات.

ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ الوافي بالوفيات، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، للإمام القاضي المؤرخ أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
ـ الوفيات، للإمام الرحالة المؤرخ أبي العباس أحمد بن الحسين بن علي ابن قنفذ (ت٨١٠هـ)، تحقيق عادل نويهض، ط٤، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للإمام الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق مفيد محمد قمحية، ط١، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

* * *

محتوى الجزء الأول

الباب الأول

فيما يؤيد أهل السنة في التأويل من جهة النقل المأثور من الكتاب والسنة الناطقة بالصواب ١/ ١٤٥

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب السابع
في فضل الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ١/٣١٧

* * *

محتوى الجزء الثاني

الباب السادس عشر

* * *

الفهارس العامة

* * *

